

(١٣٤٥)

العرب والعربية

في مصنفات ابن تيمية

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"الجزء الثامن والعشرون

سئل هل المدينة من الشام وما تقول في الكنائس التي أغلقت في القاهرة هل ذلك ظلم

وسئل هل المدينة من الشام ؟

فأجاب : مدينة النبي صلى الله عليه وسلم من الحجاز باتفاق أهل العلم ولم يقل أحد من المسلمين ولا غيرهم أن المدينة النبوية من الشام وإنما يقول هذا جاهل بحد الشام والحجاز جاهل بما قاله الفقهاء وأهل اللغة وغيرهم . ولكن يقال المدينة شامية ومكة يمانية : أي المدينة أقرب إلى الشام ومكة أقرب إلى اليمن وليست مكة من اليمن ولا المدينة من الشام . وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته : أن تخرج اليهود والنصارى من جزيرة **العرب** – وهي الحجاز – فأخرجهم عمر." (١)

"ص –٤١١– باب اللقطة

سئل شيخ الإسلام رحمه الله عن رجل وجد فرسا لرجل من المسلمين مع أناس من **العرب**، فأخذ الفرس منهم، ثم إن الفرس مرض بحيث أنه لم يقدر على المشي، فهل للآخذ بيع الفرس لصاحبها ؟ أم لا ؟

فأجاب :

الحمد لله، نعم يجوز، بل يجب في هذه الحال أن يبيعه الذي استنقذه لصاحبه، وإن لم يكن وكله في البيع، وقد نص الأئمة على هذه المسألة، ونظائرها، ويحفظ الثمن . والله أعلم .

وسئل عن رجل لقي لقية في وسط فلاة، وقد أنشد عليها إلى حيث دخل إلى بلده . فهل هي حلال ؟ أم لا ؟." (٢)

"ص –٦٥٢– سفيان الثوري عن مسروق بن عبد الرحمن بن عتبة قال : كتب عمر رضي الله عنه حين صالح نصارى الشام كتابا وشرط عليهم فيه : أن لا يحدثوا في مدنهم ولا ما حولها ديرا ولا صومعة ولا كنيسة ولا قلاية لراهب ولا يجددوا ما خرب ولا يمنعوا كنائسهم أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونهم ولا يأووا جاسوسا ولا يكتموا غش المسلمين ولا يعلموا أولادهم القرآن ولا يظهروا شركا ولا يمنعوا ذوي قرابتهم من الإسلام إن أرادوه وأن يوقروا المسلمين وأن يقوموا لهم من مجالسهم إذا أرادوا الجلوس ولا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم : من قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا يتكنوا بكناهم ولا يركبوا سرجا ولا يتقلدوا سيفا ولا يتخذوا شيئا من سلاحهم ولا ينقشوا خواتيمهم **بالعربية** ولا يبيعوا الخمور

---

(١) مجموع الفتاوى /١

(٢) مجموع الفتاوى /٢

وأن يجزوا مقادم رءوسهم وأن يلزموا زيهم حيث ما كانوا وأن يشدوا الزنانير على أوساطهم ولا يظهروا صليبا ولا شيئا من كتبهم في شيء من طريق المسلمين ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم ولا يضربوا بالناقوس إلا ضربا خفيا ولا يرفعوا أصواتهم بقراءتهم في كنائسهم في شيء في حضرة المسلمين ولا يخرجوا شعانين ولا يرفعوا مع موتاهم أصواتهم ولا يظهروا النيران معهم ولا يشتروا من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين . فإن خالفوا شيئا مما اشترط عليهم فلا ذمة لهم وقد حل للمسلمين منهم." (١)

"ص -١٥- باب أركان النكاح وشروطه

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

فصل

عمدة من قال : لا يصح النكاح إلا بلفظ [الإنكاح] و [التزويج] وهم أصحاب الشافعي، وابن حامد، ومن وافقهم من أصحابنا كأبي الخطاب والقاضي، وأصحابه، ومن بعده إلا في لفظ : [أعتقتك، وجعل عتقك صداقك] ، أنهم قالوا : ما سوي هذين اللفظين [كناية] ، والكناية لا تقتضي الحكم إلا بالنية، والنية في القلب لا تعلم، فلا يصح عقد النكاح بالكناية؛ لأن صحته مفتقرة إلى الشهادة عليه، والنية لا يشهد عليها، بخلاف ما يصح بالكناية؛ من طلاق وعتق وبيع؛ فإن الشهادة لا تشترط في صحة ذلك . ومنهم من يجعل ذلك تعبدا؛ لما فيه من ثبوت العبادات . وهذا قول من لا يصححه إلا **بالعربية** من أصحابنا وغيرهم . وهذا ضعيف لوجوه :

أحدها : لا نسلم أن ما سوي هذين كناية، بل ثم ألفاظ هي حقائق عرفية في العقد أبلغ من لفظ [أنكحت] ، فإن هذا اللفظ مشترك بين الوطء والعقد، ولفظ [الإملاك] خاص بالعقد، لا يفهم إذا قال القائل : أملك فلان على فلانة، إلا العقد، كما في الصحيحين : " أملكتكها على ما معك من القرآن " ، سواء كانت الرواية باللفظ أو بالمعنى .." (٢)

"ص -٣٧٦- باب العتق

سئل عن عتق ولد الزنا ؟

فأجاب :

يجوز عتق ولد الزنا، ويثاب بعتقه . والله أعلم .

---

(١) مجموع الفتاوى /٢

(٢)

وسئل الشيخ رحمه الله عن رجل قرشي : تزوج بجارية مملوكة، فأولدها ولدا . هل يكون الولد حرا ؟ أم يكون عبدا مملوكا ؟

فأجاب :

الحمد لله رب العالمين، إذا تزوج الرجل المرأة، وعلم أنها مملوكة . فإن ولدها منه مملوك لسيدها باتفاق الأئمة؛ فإن الولد يتبع أباه في النسب والولاء، ويتبع أمه في الحرية والرق .

فإن كان الولد ممن يسترق جنسه بالاتفاق، فهو رقيق بالاتفاق، وإن كان ممن تنازع الفقهاء في رقه، وقع النزاع في رقه، **كالعرب** .

والصحيح أنه يجوز [استرقاق **العرب** والعجم] ؛ لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لا أزال أحب بني تميم بعد ثلاث." (١)

"ص -٢٩٢- وقد بسطنا الكلام على هذا في موضع آخر، وبينا أن الأنبياء كلهم كان دينهم الإسلام من نوح إلى المسيح .

ولذا لما بدأ الإسلام غريبا لم يكن غيره من الدين مقبولا، بل قد ثبت في الحديث الصحيح - حديث عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال : " إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم **عربهم** وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب " الحديث .

ولا يقتضي هذا أنه إذا صار غريبا أن المتمسك به يكون في شر، بل هو أسعد الناس، كما قال في تمام الحديث : " فطوبي للغرباء " . و " طوبي " من الطيب، قال تعالى : ﴿ طوبى لهم وحسن مآب ﴾ [الرعد : ٢٩] ، فإنه يكون من جنس السابقين الأولين الذين اتبعوه لما كان غريبا . وهم أسعد الناس .

أما في الآخرة فهم أعلى الناس درجة بعد الأنبياء عليهم السلام .

وأما في الدنيا فقد قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾ [الأنفال : ٦٤] ، أي : إن الله حسبك وحسب متبعك وقال تعالى : ﴿ إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولي الصالحين ﴾ [الأعراف : ١٩٦] ، وقال تعالى : ﴿ إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولي الصالحين ﴾ [الزمر : ٣٦] ،." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣/

"ص -١٦- فهذا الاتباع والتقليد الذي ذمه الله هو اتباع الهوى إما للعادة والنسب كاتباع الآباء وإما للرئاسة كاتباع الأكابر والسادة والمتكبرين فهذا مثل تقليد الرجل لأبيه أو سيده أو ذي سلطانه وهذا يكون لمن لم يستقل بنفسه وهو الصغير : فإن دينه دين أمه فإن فقدت فدين ملكه وأبيه : فإن فقد كاللقيط فدين المتولي عليه وهو أهل البلد الذي هو فيه فأما إذا بلغ **وأعرب** لسانه فإما شاكرا وإما كفورا . وقد بين الله أن الواجب الإعراض عن هذا التقليد إلى اتباع ما أنزل الله على رسله؛ فإنهم حجة الله التي أعذر بها إلى خلقه . والكلام في التقليد في شيئين : في كونه حقا؛ أو باطلا من جهة الدلالة . وفي كونه مشروعا؛ أو غير مشروع من جهة الحكم . أما الأول فإن التقليد المذكور لا يفيد علما ؟ فإن المقلد يجوز أن يكون مقلده مصيبا : ويجوز أن يكون مخطئا وهو لا يعلم أمصيب هو أم مخطئ ؟ فلا تحصل له ثقة ولا طمأنينة فإن علم أن مقلده مصيب." (١)

"ص -٥١٨- من أن يوصف أو يتصور بسماع لفظ، إذ المخبر ليس كالمعاين؛ ولهذا اتبع ذلك بالقسم على الرؤية التي هي عين اليقين، التي هي فوق الخبر الذي هو علم اليقين، فقال : ﴿لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ﴾ [التكاثر : ٦، ٧] ،وهذا الكلام جواب قسم محذوف مستقبل، مع كون جواب لو محذوفا كما تقدم، في أحد القولين . وفي الآخر : هو متعلق بلو، لكن يقال : جواب لو إنما يكون ماضيا، فيقال : لرأيتم الجحيم . كقول النبي صلى الله عليه وسلم : " لو تكونون على الحال التي تكونون عندي، لصافحتكم الملائكة في طرقكم وعلى فرشكم " ، ولو كان ماضيا فليس مما يؤكد بل يقال : لو يجيء، لأجيء . وجواب هذا أنه جواب قسم محذوف سد مسد جواب لو . كقوله : ﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ [الأنعام : ١٢١] ، وله نظائر في القرآن وكلام **العرب**، فإن الكلام إذا اشتمل على قسم وشرط، وكل منهما يقتضي جوابه، أجيب الأول منهما، وهو - هنا - القسم، وهو المقصود .
وعلى هذا القول، يكون المعنى : والله لو تعلمون علم اليقين، لترون الجحيم بقلوبكم، والأول هو المشهور، ومن المفسرين من لم يذكر سواه، وهو الذي أثروه عن متقدميهم، ويدل على صحته وأنه الحق أن قوله : ﴿ثم لترونها ﴾ ، ﴿ثم لتسألن ﴾ ،معطوف على ما قبله، فيكون داخلا في حيزه، فلو كان الأول معلقا بالشرط،لكان المعطوف عليه." (٢)

(١) مجموع الفتاوى ، ٣/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣/

"ص -٢٤٨- بينهم في المضاجع " إذا بلغوا عشر سنين ولم يحتلموا بعد، فكيف بما هو فوق ذلك، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال : " لا يخلو رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان " ، قال : " إياكم والدخول على النساء " . قالوا : يا رسول الله، أفرأيت الحم ؟ قال : " الحمو الموت " فإذا كانت الخلوة محرمة لما يخاف منها فكيف بالمضاجعة ؟ !

وأما قول القائل : إنه يفعل ذلك لله، فهذا أكثره كذب، وقد يكون لله مع هوي النفس، كما يدعي من يدعي مثل ذلك في صحبة النساء الأجانب، فيبقي كما قال تعالى في الخمر : ﴿ فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهمآ أكبر من نفعهما ﴾ [البقرة : ٢١٩] وقد روي الشعبي عن النبي صلى الله عليه وسلم : " أن وفد عبد القيس لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيهم غلام ظاهر الوضاءة أجلسه خلف ظهره، وقال : إنما كانت خطيئة داود عليه السلام النظرة " . هذا وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو مزوج بتسع نسوة، والوفد قوم صالحون، ولم تكن الفاحشة معروفة في العرب وقد روي عن المشائخ من التحذير عن صحبة الأحداث ما يطول وصفه .

وليس لأحد من الناس أن يفعل ما يفضي إلى هذه المفاسد المحرمة، وإن ضم إلى ذلك مصلحة من تعليم أو تأديب؛ فإن المردان يمكن تعليمهم وتأديبهم بدون هذه المفاسد التي فيها مضرة عليهم، وعلى من يصحبهم، وعلى المسلمين : بسوء الظن تارة، وبالشبهة أخري، بل روي : أن رجلا كان يجلس." (١)

"ص -٦٥٣- ما يحل من أهل المعاندة والشقاق . وأما ما يرويه بعض العامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من آذى ذميا فقد آذاني " فهذا كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يروه أحد من أهل العلم . وكيف ذلك وأذاهم قد يكون بحق وقد يكون بغير حق بل قد قال الله تعالى : ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا ﴾ [الأحزاب : ٥٨] فكيف يحرم أذى الكفار مطلقا ؟ وأي ذنب أعظم من الكفر ؟ . ولكن في سنن أبي داود عن العرباض بن سارية – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله لم يأذن لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ولا ضرب أبشارهم ولا أكل ثمارهم إذا أعطوكم الذي عليهم " وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : أذلوهم ولا تظلموهم . وعن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن آبائهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه حقه

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣/

أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس . فأنا حجيجه يوم القيامة " .

وفي سنن أبي داود عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : قال رسول." (١)

"ص -٣٣٨- أن جميع العالم صدر عن العقل الأول، وهو رب السموات والأرض وما بينهما عندهم، وإن كان مربوبا للواجب بنفسه، وهو عندهم متولد عن الله، لازم لذاته، وليس هذا قول أحد من أهل الملل، لا المسلمين ولا إليهود، ولا النصاري إلا من ألحد منهم ولا هو قول المجوس، ولا جمهور الصابئين، ولا أكثر المشركين، ولا جمهور الفلاسفة، بل هو قول طائفة منهم .

وأيضا، فإن العقل في لغة المسلمين عرض من الأعراض، قائم بغيره وهو غريزة، أو علم، أو عمل بالعلم، ليس العقل في لغتهم جوهرا قائما بنفسه، فيمتنع أن يكون أول المخلوقات عرضا قائما بغيره، فإن العرض لا يقوم إلا بمحل، فيمتنع وجوده قبل وجود شيء من الأعيان، وأما أولئك المتفلسفة، ففي اصطلاحهم أنه جوهر قائم بنفسه، وليس هذا المعني هو معني العقل في لغة المسلمين، والنبي صلى الله عليه وسلم خاطب المسلمين بلغة العرب، لا بلغة اليونان، فعلم أن المعني الذي أراده المتفلسفة لم يقصده الرسول، لو كان تكلم بهذا اللفظ، فكيف إذا لم يتكلم به ؟ !

وأما الحديث الثاني، وهو قوله : " أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم " فهذا لم يروه أحد من علماء المسلمين الذين يعتمد عليهم في الرواية، وليس هو في شيء من كتبهم، وخطاب الله ورسوله للناس." (٢)

"ص -٥١٩- كذلك، وهو باطل؛ لأن رؤيتها عين اليقين، والمسألة عن النعيم ليس معلقا بأن يعلموها في الدنيا علم اليقين .

وأيضا، فتفسير الرؤية المطلقة برؤية القلب ليس هو المعروف من كلام العرب .

وأيضا، فيكون الشرط هو الجواب، فإن المعنى –حينئذ– لو علمتم علم اليقين، لرأيتم بقلوبكم، وذلك هو العلم، فالمعنى : لو علمتم لعلمتم، وهذا لا يفيد . ولو أريد بمشاهدة القلب قدر زائد على مجرد العلم، فهذا معلوم أن من علم الشيء أمكنه أن يجعل مشاهدا له بقلبه .

وأيضا، فهذا المعنى لو كان مفيدا، لم يكن مما يستحق القسم عليه، فإنه ليس بطائل .

وأيضا، فقوله : ﴿لو تعلمون علم اليقين﴾ ، لم يذكر المعلوم، حتى يستلزم العلم به العلم بالجحيم، فإن

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤/

أريد معلوم خاص، فلا دليل في الشرط عليه، حتى يصح الارتباط . وإن أريد المعلوم العام وهو ما بعد الموت فذاك يستلزم العلم بالجحيم وغيرها، وهذا فيه نظر . فقد يسأل ويقال : قوله : ﴿سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ﴾ ، لم يذكر." (١)

"ص -١٦٥- وليس هذا ببدع . فإن أهل البحرين ما زالوا من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل إسلام وفضل، قد قدم وفدهم من عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم الأشج فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مرحبا بالوفد . غير خزايا ولا ندامى " . فقالوا : يا رسول الله، إن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، وإن لا نصل إليك إلا في شهر حرام، فمرنا بأمر فصل نعمل به ونأمر به من وراءنا : فقال : " آمركم بالإيمان بالله . أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم " . ولم يكن قد فرض الحج إذ ذاك، وقال للأشج : " إن فيك لخلقين يحبهما الله : الحلم، والأناءة " قال : خلقين تخلقت بهما أو خلقين جبلت عليهما ؟ قال : " خلقين جبلت عليهما " ، فقال : الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله .

ثم إنهم أقاموا الجمعة بأرضهم، فأول جمعة جمعت في الإسلام بعد جمعة المدينة جمعة بجؤاثي قرية من قرى البحرين .

ثم إنهم ثبتوا على الإسلام لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتد من ارتد من **العرب**، وقاتل بهم أميرهم العلاء بن الحضرمي الرجل الصالح أهل الردة، ولهم في السيرة أخبار حسان .." (٢)

"ص -٤١٣- وسئل رحمه الله عن حجاج التقوا مع **عرب** قد قطعوا الطريق على الناس، وأخذوا قماشهم، فهربوا وتركوا جمالهم والقماش فهل يحل أخذ الجمال التي للحرامية والقماش الذي سرقوه ؟ أم لا ؟

فأجاب :

الحمد لله، ما أخذوه من مال الحجاج فإنه يجب رده اليهم إن أمكن؛ فإن هذا كاللقطة تعرف سنة، فإن جاء صاحبها فذاك، وإلا فلآخذها أن ينفقها بشرط ضمانها . ولو أيس من وجود صاحبها فإنه يتصدق به، ويصرف في مصالح المسلمين .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤/

وكذلك كل مال لا يعرف مالكه من الغصوب والعواري والودائع، وما أخذ من الحرامية من أموال الناس، أو ما هو منبوذ من أموال الناس، فإن هذا كله يتصدق به، ويصرف في مصالح المسلمين .

وسئل رحمه الله لما جاء التتار، وجفل الناس من بين أيديهم، وخلفوا دوابا، وأثاثا من النحاس، وغيره، وضمه مسلم، وطالت مدته، ولم يظهر له صاحب." (١)

"ص -٣٧٨- وأحب الحديث إلى أصدقه، فاختاروا إحدى الطائفتين، إما المال، وإما السبي وقد كنت استأنيت بكم " ، وكان انتظرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين، قالوا : فإنا نختار سبينا؛ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين؛ وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : " أما بعد، فإن إخوانكم قد جاؤونا تائبين، وإني رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب بذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل " . فقال الناس : طيبنا ذلك يا رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنا لا ندري من أذن في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم " ، فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه أنهم قد طيبوا، وأذنوا . ففي هذا الحديث الصحيح أنه سبي نساء هوازن، وهم **عرب**، وقسمهم بين الغانمين . فصاروا رقيقا لهم؛ ثم بعد ذلك طلب أخذهم منهم، إما تبرعا، وإما معاوضة، وقد جاء في الحديث أنه أعتقهم، كما في حديث عمر لما اعتكف وبلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم أعتق السبي، فأعتق جارية كانت عنده والمسلمون كانو يطؤون ذلك السبي بملك اليمين، كما في سبي أوطاس، وهو من سبي هوازن، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه : " لا توطأ حامل حتى تضع، ولا غير ذات حمل حتى تستبرأ بحيضة " .." (٢)

"ص -٧- أبي حنيفة، وهو قول في مذهب أحمد، ووجه في مذهب الشافعي، بخلاف المعاطاة في الأموال الجليلة فإنه لا حاجة إليه، ولم يجر به العرف .

القول الثالث : أنها تنعقد بكل ما دل على مقصودها من قول أو فعل . فكل ما عده الناس بيعا وإجارة فهو بيع وإجارة؛ وإن اختلف اصطلاح الناس في الألفاظ والأفعال، انعقد العقد عند كل قوم بما يفهمونه بينهم، من الصيغ والأفعال، وليس لذلك حد مستمر، لا في شرع، ولا في لغة، بل يتنوع بتنوع اصطلاح

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤/

الناس، كما تتنوع لغاتهم .

فإن لفظ البيع والإجارة في لغة **العرب**، ليس هو اللفظ الذي في لغة الفرس، أو الروم، أو الترك، أو البربر، أو الحبشة، بل قد تختلف أنواع اللغة الواحدة، ولا يجب على الناس التزام نوع معين من الاصطلاحات في المعاملات، ولا يحرم عليهم التعاقد بغير ما يتعاقد به غيرهم، إذا كان ما تعاقدوا به دالا على مقصودهم، وإن كان قد يستحب بعض الصفات، وهذا ه و الغالب على أصول مالك . وظاهر مذهب أحمد .

ولهذا يصح في ظاهر مذهبه بيع المعاطاة مطلقا، وإن كان قد." (١)

"ص -٤٠٣- الفقه من الفقهاء والمتكلمين : فمعلوم أن أول من عرف أنه جرد الكلام في أصول الفقه هو الشافعي، وهو لم يقسم الكلام إلى حقيقة ومجاز، بل لا يعرف في كلامه مع كثرة استدلاله وتوسعه ومعرفته الأدلة الشرعية أنه سمى شيئا منه مجازا ولا ذكر في شيء من كتبه ذلك؛ لا في الرسالة ولا في غيرها .

وحينئذ فمن اعتقد أن المجتهدين المشهورين وغيرهم من أئمة الإسلام وعلماء السلف قسموا الكلام إلى حقيقة ومجاز كما فعله طائفة من المتأخرين : كان ذلك من جهله وقلة معرفته بكلام أئمة الدين وسلف المسلمين . كما قد يظن طائفة أخرى أن هذا مما أخذ من الكلام **العربي** توقيفا وأنهم قالوا : هذا حقيقة وهذا مجاز، كما ظن ذلك طائفة من المتكلمين في أصول الفقه وكان هذا من جهلهم بكلام **العرب** كما سيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى، وكما يظن بعضهم أن ما يوجد في كلام بعض المتأخرين كالرازي والآمدي وابن الحاجب : هو مذهب الأئمة المشهورين وأتباعهم ولا يعرف ما ذكره أصحاب الشافعي ومالك وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم من أصول الفقه الموافق لطريق أئمتهم فهذا أيضا من جهله وقلة علمه . وإن قال الناقل عن كثير من الأصوليين : مرادي بذلك أكثر المصنفين في أصول الفقه من أهل الكلام والرأي كالمعتزلة والأشعرية وأصحاب." (٢)

"ص -١٨- وأما توكل الذمي في قبول النكاح له فهو يشبه تزويج الذمي ابنته الذمية من مسلم، ولو زوجها من ذمي جاز، ولكن إذا زوجها من مسلم ففيها قولان في مذهب أحمد وغيره . قيل : يجوز . وقيل : لا يجوز، بل يوكل مسلما . وقيل : لا يزوجها إلا الحاكم بإذنه . وكونه وليا في تزويج المسلم مثل كونه وكيلا في تزويج المسلمة . ومن قال : إن ذلك كله جائز، قال : إن الملك في النكاح يحصل للزوج؛ لا

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٥/

للوكيل باتفاق العلماء، بخلاف الملك في غيره؛ فإن الفقهاء تنازعوا في ذلك : فمذهب الشافعي وأحمد وغيرهما أن حقوق العقد تتعلق بالموكل، والملك يحصل له : فلو وكل مسلم ذميا في شراء خمر لم يجز . وأبو حنيفة يخالف في ذلك . وإذا كان الملك يحصل للزوج، وهو الموكل للمسلم، فتوكيل الذمي بمنزلة توكله في تزويج المرأة بعض محارمها . كخالها؛ فإنه يجوز توكله في قبول نكاحها للموكل . وإن كان لا يجوز له تزوجها، كذلك الذمي إذا توكل في نكاح مسلم . وإن كان لا يجوز له تزوج المسلمة، لكن الأحوط ألا يفعل ذلك؛ لما فيه من النزاع؛ ولأن النكاح فيه شوب العبادات .

ويستحب عقده في المساجد، وقد جاء في الآثار : " من شهد إملاك مسلم فكأنما شهد فتحا في سبيل الله " . ولهذا وجب في أحد القولين في مذهب أحمد وغيره أن يعقد بالعربية، كالأذكار المشروعة .

وإذا كان كذلك لم ينبغ أن يكون الكافر متوليا لنكاح مسلم، ولكن لا يظهر مع ذلك أن العقد باطل؛ فإنه ليس على بطلانه دليل شرعي، والكافر يصح منه النكاح، وليس هو من أهل العبادات . والله أعلم .." (١)

"ص -٣٧٩- وفي المسند للإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني المصطلق، فوقعت جويرية بنت الحارث لثابت بن قيس بن شماس، أو لابن عم له، كاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحة، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، وجئتك أستعينك على كتابتي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : " أقضي كتابتك، وأتزوجك " . قالت : نعم، يا رسول الله، قال : " قد فعلت " ، قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج جويرية بنت الحارث، فأرسلوا ما بأيديهم، قالت : فقد عتق بتزوجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، وما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها . وهذه الأحاديث ونحوها مشهورة، بل متواترة : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسبي العرب وكذلك خلفاؤه بعده، كما قال الأئمة وغيرهم : سبى النبي صلى الله عليه وسلم العرب، وسبى أبو بكر بني ناحية، وكان يطارد العرب بذلك الاسترقاق، وقد قال الله لهم : ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم ﴾ [النساء : ٢٤] ، وفي حديث أبي سعيد وغيره : أنها نزلت في المسبيات، أباح الله لهم وطأها بملك اليمين .." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٥/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٥/

"ص –٤٧١– صلى الله عليه وسلم؛ حيث أمر بقتال الخوارج عن السنة، وأمر بالصبر على جور الأئمة وظلمهم، والصلاة خلفهم مع ذنوبهم، وشهد لبعض المصرين من أصحابه على بعض الذنوب أنه يحب الله ورسوله، ونهى عن لعنته، وأخبر عن ذى الخويصرة وأصحابه مع عبادتهم وورعهم أنهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية . وقد قال تعالى فى كتابه : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ [النساء : ٦٥] .

فكل من خرج عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته، فقد أقسم الله بنفسه المقدسة أنه لا يؤمن حتى يرضي بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع ما يشجر بينهم من أمور الدين والدنيا، وحتى لا يبقى فى قلوبهم حرج من حكمه . ودلائل القرآن على هذا الأصل كثيرة .

وبذلك جاءت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسنة خلفائه الراشدين . ففى الصحيحين عن أبى هريرة قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وارتد من ارتد من **العرب**، قال عمر بن الخطاب لأبى بكر : كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم." (١)

"ص –٤١٣– بقوم من النبيين الكذابين، كمسيلمة الكذاب، وطليحة الأسدي، وغيرهما، فقام إلى جهادهم الشاكرون، الذين ثبتوا على الدين، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، من المهاجرين والأنصار، والطلقاء، والأعراب، ومن اتبعهم بإحسان، الذين قال الله عز وجل فيهم : ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ [المائدة : ٥٤] ، هم أولئك الذين جاهدوا المنقلبين على أعقابهم الذين لم يضروا الله شيئا .

وما أنزل الله في القرآن من آية إلا وقد عمل بها قوم، وسيعمل بها آخرون . فمن كان من الشاكرين الثابتين على الدين، الذين يحبهم الله عز وجل ورسوله، فإنه يجاهد المنقلبين على أعقابهم، الذين يخرجون عن الدين، ويأخذون بعضه ويدعون بعضه، كحال هؤلاء القوم المجرمين المفسدين، الذين خرجوا على أهل الإسلام، وتكلم بعضهم بالشهادتين، وتسمي بالإسلام من غير التزام شريعته، فإن عسكرهم مشتمل على أربع طوائف :

كافرة باقية على كفرها : من الكرج، والأرمن، والمغل .

(١) مجموع الفتاوى ، ٥/

وطائفة كانت مسلمة فارتدت عن الإسلام، وانقلبت على عقبيها : من **العرب**، والفرس، والروم، وغيرهم . وهؤلاء أعظم جرما عند الله." (١)

"ص –٤٤٤– المدينة، فلم يزالوا بهم حتى نقضت قريظة العهد، ودخلوا فى الأحزاب . فاجتمعت هذه الأحزاب العظيمة، وهم بقدر المسلمين مرات متعددة . فرفع النبى صلى الله عليه وسلم الذرية من النساء والصبيان فى آطام المدينة، وهى مثل الجواسق، ولم ينقلهم إلى مواضع أخر . وجعل ظهرهم إلى سلع وهو الجبل القريب من المدينة من ناحية الغرب والشام وجعل بينه وبين العدو خندقا . والعدو قد أحاط بهم من العالية والسافلة . وكان عدوا شديد العداوة، لو تمكن من المؤمنين لكانت نكايته فيهم أعظم النكايات .

وفى هذه الحادثة تحزب هذا العدو من مغل وغيرهم من أنواع الترك، ومن فرس و**مستعربة**، ونحوهم من أجناس المرتدة، ومن نصارى الأرمن وغيرهم . ونزل هذا العدو بجانب ديار المسلمين، وهو بين الإقدام والإحجام، مع قلة من بإزائهم من المسلمين . ومقصودهم الاستيلاء على الدار، واصطلام أهلها . كما نزل أولئك بنواحى المدينة بإزاء المسلمين .

ودام الحصار على المسلمين عام الخندق على ما قيل : بضعا وعشرين ليلة . وقيل : عشرين ليلة .

وهذا العدو عبر الفرات سابع عشر ربيع الآخر، وكان أول." (٢)

"ص –٣٥٠– استعمال الطهور، ولهذا كانت هذه الباء لا تدل على التبعيض عند أحد من السلف، وأئمة **العربية** .

ولا قال الشافعي : إن التبعيض يستفاد من الباء،بل أنكر إمام الحرمين وغيره من أصحابه ذلك، وحكوا كلام أئمة **العربية** في إنكار ذلك، ولكن من قال بذلك استند إلى دلالة أخرى .

وقوله تعالى : ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾ [المائدة : ٦] . دلت هذه الآية على أن التراب طهور كما صرحت بذلك السنة الصحيحة في قول النبي صلى الله عليه وسلم : " وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا " وعن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الصعيد الطيب طهور المسلم، وإن لم يجد الماء عشر سنين، فإذا وجد الماء فليمسه بشرته فإن ذلك خير " . رواه الإمام أحمد، وأبو داود والنسائي والترمذي وهذا لفظه . وقال : حديث حسن

(١) مجموع الفتاوى ، ٥/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٥/

صحيح .

وقد اتفق المسلمون على أنه إذا لم يجد الماء في السفر تيمم وصلى، إلى أن يجد الماء، فإذا وجد الماء فعليه استعماله .

وكذلك تيمم الجنب : ذهب الأئمة الأربعة وجماهير السلف والخلف." (١)

"ص -٧٨- وقال تعالى لما بين الفرق بين النبي والكاهن والساحر : ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وإنه لفي زبر الأولين ﴾ [الشعراء : ١٩٢ : ١٩٦] إلى قوله : ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾ [الشعراء : ٢٢١ : ٢٢٣] وقال تعالى : ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ﴾ [الأنعام : ٩٣] وقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ﴾ [النساء : ١٣٥] .." (٢)

"ص -٣٥٩- وكذلك ما ذكر عن الملك المسمى بالخطار، هو من الأكاذيب ولا وجود له . وأما غزاة تبوك فلم يكن بها قتال، بل قدم النبي صلى الله عليه وسلم بالشام رومهم وعربهم، وغيرهم، ولم يجتمع المسلمون في غزاة مع النبي صلى الله عليه وسلم أكثر مما اجتمع معه عام تبوك، وهي آخر المغازي، وأقام بتبوك عشرين يوما فلم تقدم عليه النصاري .

وكذلك الأحزاب، لم يكن فيها اقتتال بين الجيشين، بل كان الأحزاب محاصرين للمسلمين خارج الخندق الذي حفره المسلمون حول المدينة، وكان المسلمون داخل الخندق، وكان فيها مناوشة قليلة بين بعض المسلمين وبعض الكفار بمنزلة المبارزة أو ما يشبهها، وقتل على رضي الله عنه عمرو بن عبد ود العامري، ولم تنكسر الأحزاب بقتال، ولا قتل منهم ولا من المسلمين عدد له قدر، بل أرسل الله عليهم الريح ريح الصبا وأرسل الملائكة، كما قال تعالى في قصة الأحزاب : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ﴾ الآيات [الأحزاب : ٩] ، وما ذكر من كيفية قتل عمرو بن عبد ود العامري فهو كذب، وكذلك ضرب عمرو بن عبد ود الشجرة بفخذه وقلعها كذب،

(١) مجموع الفتاوى ، ٦/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٦/

ولم يكن هناك شجر وإنما النخيل كان بعيدا من العسكر .

وكذلك ما ذكر من مناداة المنادي بقوله : " لا سيف إلا ذو." (١)

"ص -٣٨٠- وإذا سبيت واسترقت بدون زوجها جاز وطؤها بلا ريب، وإنما فيه خلاف شاذ في مذهب أحمد، وحكى الخلاف في مذهب مالك . قال ابن المنذر : أجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم على أن المرأة إذا وقعت في ملك ولها زوج مقيم بدار الحرب، أن نكاح زوجها قد انفسخ، وحل لمالكها وطؤها بعد الاستبراء، وأما إذا سبيت مع زوجها ففيه نزاع بين أهل العلم .

ومعلوم أن عامة السبي الذي كان يسبيه النبي صلى الله عليه وسلم كان في [الحرب] ، وقد قاتل أهل الكتاب، فإنه خرج لقتال النصارى عام تبوك، ولم يجر بينهم قتال، وقد بعث إليهم السرية التي أمر عليها زيد، ثم جعفر، ثم عبد الله بن رواحة . ومع هذا فكان في النصارى **العرب**، والروم . وكذلك قاتل اليهود بخيبر والنضير وقينقاع؛ وكان في يهود **العرب**، وبنو إسرائيل . وكذلك يهود اليمن، كان فيهم **العرب**، وبنو إسرائيل .

وأيضا، فسبب الاسترقاق هو [الكفر] بشرط [الحرب] ، فالحر المسلم لا يسترق بحال، والمعاهد لا يسترق، والكفر مع المحاربة موجود في كل كافر، فجاز استرقاقه، كما يجوز قتاله، فكل ما أباح قتل المقاتلة أباح سبي الذرية؛ وهذا حكم عام في **العرب** والعجم، وهذا مذهب مالك والشافعي في الجديد من قوليه، وأحمد .

وأما أبو حنيفة فلا يجوز استرقاق **العرب**، كما لا يجوز ضرب الجزية عليهم؛ لأن **العرب** اختصوا بشرف النسب؛ لكون النبي صلى الله عليه وسلم منهم،." (٢)

"ص -٢١٣- ويفطر من عادته السفر إذا كان له بلد يأوي إليه، كالتاجر الجلاب الذي يجلب الطعام، وغيره من السلع، وكالمكاري الذي يكري دوابه من الجلاب وغيرهم، وكالبريد الذي يسافر في مصالح المسلمين ونحوهم، وكذلك الملاح الذي له مكان في البر يسكنه .

فأما من كان معه في السفينة امرأته وجميع مصالحه ولا يزال مسافرا، فهذا لا يقصر ولا يفطر .

وأهل البادية كأعراب **العرب**، والأكراد، والترك، وغيرهم الذين يشتون في مكان، ويصيفون في مكان، إذا كانوا في حال ظعنهم من المشتي إلى المصيف، ومن المصيف إلى المشتي، فإنهم يقصرون، وأما إذا نزلوا

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٦/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٦/

بمشتاهم ومصيفهم، لم يفطروا ولم يقصروا، وإن كانوا يتتبعون المراعي . والله أعلم .

وسئل رحمه الله عمن يكون مسافرا في رمضان، ولم يصبه جوع ولا عطش ولا تعب، فما الأفضل له الصيام أم الإفطار ؟." (١)

"ص -٢٤٨- بل يكون ذلك سببا للمنع، فإن في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن قوما دخلوا عليه فسألوه ولاية، فقال : " إنا لا نولي أمرنا هذا من طلبه " . وقال لعبد الرحمن ابن سمرة : " يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها من غير مسألة، أعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة، وكلت إليها " . أخرجاه في الصحيحين . وقال صلى الله عليه وسلم : " من طلب القضاء واستعان عليه، وكل إليه،ومن لم يطلب القضاء ولم يستعن عليه، أنزل الله عليه ملكا يسدده " . رواه أهل السنن .

فإن عدل عن الأحق والأصلح إلى غيره؛ لأجل قرابة بينهما، أو ولاء عتاقة أو صداقة، أو مرافقة في بلد أو مذهب، أو طريقة، أو جنس : كالعربية، والفارسية، والتركية، والرومية، أو لرشوة يأخذها منه من مال أو منفعة، أو غير ذلك من الأسباب، أو لضغن في قلبه على الأحق، أو عداوة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين، ودخل فيما نهى عنه في قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم ﴾ [الأنفال : ٢٧، ٢٨] .

فإن الرجل لحبه لولده، أو لعتيقه، قد يؤثره في بعض الولايات، أو يعطيه ما لا يستحقه، فيكون قد خان أمانته، وكذلك قد يؤثره زيادة في." (٢)

"ص -٩- من السلف من الصحابة والتابعين ما يوافق قولهم . ولعله هو الغالب على نصوصه، بل قد نص على أن الطلاق يقع بالفعل والقول . واحتج على أنه يقع بالكتاب بقول النبي صلى الله عليه وسلم : " إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به " . قال : وإذا كتب فقد عمل . وذهب البغداديون الذين كانوا في ذلك الوقت، كأبي عبد الله بن حامد، ومن اتبعهم؛ كالقاضي أبي يعلي ومن سلك سبيله : أنه لا تقع الفرقة إلا بالكلام، وذكروا من كلام أحمد ما اعتمدوه في ذلك؛ بناء على أن الفرقة فسخ النكاح، والنكاح يفتقر إلى لفظ . فكذلك فسخه .

وأما النكاح : فقال هؤلاء؛ كابن حامد والقاضي وأصحابه، مثل أبي الخطاب وعامة المتأخرين : إنه لا

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٦/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٦/

ينعقد إلا بلفظ الإنكاح والتزويج، كما قاله الشافعي،بناء على أنه لا ينعقد بالكناية؛ لأن الكناية تفتقر إلى نية، والشهادة شرط في صحة النكاح، والشهادة على النية غير ممكنة . ومنعوا من انعقاد النكاح بلفظ الهبة أو العطية أو غيرهما من ألفاظ التمليك .

وقال أكثر هؤلاء؛ كابن حامد والقاضي والمتأخرين : إنه لا ينعقد إلا بلفظ **العربية** لمن يحسنها . فإن لم يقدر على تعلمها انعقد بمعناها الخاص بكل لسان، وإن قدر على تعلمها ففيه وجهان؛." (١)

"ص -١١٣- مباشرة العورة في الغسل باليسرى، وهكذا غاسل مورد النجاسة يصب باليمنى، وإذا احتاج إلى مباشرة المحل باشره باليسرى، وشواهد الشريعة وأصولها على ذلك متظاهرة . والله أعلم .

وسئل : عن الختان : متى يكون ؟

فأجاب :

أما الختان فمتى شاء اختتن، لكن إذا راهق البلوغ فينبغي أن يختتن كما كانت **العرب** تفعل، لئلا يبلغ إلا وهو مختون .

وأما الختان في السابع ففيه قولان، هما روايتان عن أحمد، قيل : لا يكره؛ لأن إبراهيم ختن إسحاق في السابع . وقيل : يكره لأنه عمل اليهود، فيكره التشبه بهم، وهذا مذهب مالك . والله أعلم .

وسئل : عن مسلم بالغ عاقل يصوم ويصلى، وهو غير مختون وليس مطهرا هل يجوز ذلك ؟ ومن ترك الختان كيف حكمه ؟ فأجاب :

إذا لم يخف عليه ضرر الختان فعليه أن يختتن، فإن." (٢)

"ص -٣٨٠- فأجاب : الحمد لله، هذا اللفظ كذب باطل، ولكن اللفظ المأثور الذي رواه الترمذي وغيره أنه قيل : يارسول الله، متي كنت نبيا ؟ قال : " وآدم بين الروح والجسد " ، وفي السنن عن **العرباض** بن سارية، أنه قال : " إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته " .

ومما يروون أيضا : " العازب فراشه من النار، ومسكين رجل بلا امرأة، ومسكينة امرأة بلا رجل " .

فأجاب : الحمد لله، هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ولم أجده مرويا، ولم يثبت .

ومما يروون أن إبراهيم عليه السلام لما بني البيت صلى في كل ركن ألف ركعة، فأوحي الله تعالى إليه : يا إبراهيم، أفضل من هذا سد جوعة، أو ستر عورة .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٦/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٧/

فأجاب : الحمد لله، هذا كذب ظاهر، ليس هو في شيء من كتب المسلمين .
ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم، أنه قال : " إذا ذكر إبراهيم وذكرت أنا فصلوا عليه، ثم صلوا على، وإذا ذكرت أنا والأنبياء غيره فصلوا على ثم صلوا عليهم " .
فأجاب : الحمد لله، هذا لا يعرف من كتب أهل العلم ولا عن أحد من العلماء المعروفين بالحديث .." (١)

"ص -٦٧- من تزوج امرأة نكاحا فاسدا، وطلقها، وظن أنه لم يقع به الطلاق، لخطئه أو لخطأ من أفتاه، فوطئها بعد ذلك، فجاءه ولد؛ فههنا يلحقه النسب، وتكون هذه مدخولا بها، فتحرم، وإن كانت ربيبة لم يدخل بأمها باتفاق العلماء . فالكفار إذا تزوج أحدهم امرأة نكاحا يراه في دينه وأسلم بعد ذلك ابنه كما جري للعرب الذين أسلم أولادهم، وكما يجري في هذا الزمان كثيرا فهذا ليس له أن يتزوج بامرأة ابنه، وإن كان نكاحها فاسدا باتفاق العلماء . فالنسب يتبع باعتقاد الوطء للحل؛ وإن كان مخطئا في اعتقاده . والمصاهرة تتبع النسب . فإذا ثبت النسب فالمصاهرة بطريق الأولى .
وكذلك [حرية الولد] يتبع اعتقاد أبيه؛ فإن الولد يتبع أباه في [النسب والحرية] ، ويتبع أمه في هذا باتفاق العلماء . ويتبع في الدين خيرهما دينا عند جماهير أهل العلم، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد، وأحد القولين في مذهب مالك . فمن وطئ أمة غيره بنكاح أوزنا كان ولده مملوكا لسيدها، وإن اشتراها ممن ظن أنه مالك لها أو تزوجها يظنها حرة، فهذا يسمي [المغرور] وولدها حر باتفاق الأئمة؛ لاعتقاده أنه يطأ من يصير الولد بوطئها حرا، فالنسب والحرية يتبع اعتقاد الواطئ وإن كان مخطئا، فكذلك تحريم المصاهرة، وإنما تنازع العلماء في الزنا المحض : هل ينشر حرمة المصاهرة ؟ فيه نزاع مشهور بين السلف والخلف . التحريم قول أبي حنيفة وأحمد، والجواز مذهب الشافعي، وعن مالك روايتان .." (٢)

"ص -٢٥٢- ابن حجاج تغنت به امرأة فأخذ شعره، ثم رآه جميلا فنفاه إلى البصرة، وقال : لا يكون عندي من تغني به النساء، فكيف لو رأي عمر من يغني بمثل هذه الأقوال الموزونة في المردان، مع كثرة الفجور، وظهور الفواحش، وقلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ ! فإن هؤلاء من المضادين لله ولرسوله ولدينه . ويدعون إلى ما نهى الله عنه، ويصدون عما أمر الله به، ويصدون عن سبيل الله، ويبغونها عوجا .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٧/
(٢) مجموع الفتاوى ، ٧/

الوجه الثالث : أن هذا الكلام الموزون كلام فاسد مفردا أو مركبا؛ لأنهم غيروا فيه كلام **العرب**، وبدلوه، بقولهم : ماعوا وبدوا وعدوا . وأمثال ذلك مما تمجه القلوب والأسماع، وتنفر عنه العقول والطباع .
وأما مركباته، فإنه ليس من أوزان **العرب**، ولا هو من جنس الشعر ولا من أبحره الستة عشر، ولا من جنس الأسجاع والرسائل والخطب .
ومعلوم أن تعلم **العربية** وتعليم **العربية** فرض على الكفاية، وكان السلف يؤدبون أولادهم على اللحن، فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون **العربي**، ونصلح الألسن المائلة عنه، فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة، والاقتداء **بالعرب** في خطابها . فلو ترك الناس على لحنهم كان نقصا وعيبا فكيف إذا جاء قوم إلى الألسنة **العربية** المستقيمة، والأوزان القويمة، فأفسدوها بمثل هذه المفردات والأوزان المفسدة للسان، الناقلة عن **العربية** **العرباء** إلى أنواع الهذيان، الذي لا يهذي به الأقوم من الأعاجم الطماطم الصميان ؟ ! !." (١)

"ص -٣٨١- واختص كفارهم بفرط عدوانه؛ فصار ذلك مانعا من قبول الجزية، كما أن المرتد لا تؤخذ منه الجزية؛ للتغليظ؛ ولما حصل له من الشرف بالإسلام السابق . واحتج بما روي عن عمر أنه قال : ليس على **عربي** ملك .
والذين نازعوه لهم قولان في جواز استرقاق من لا تقبل منه الجزية، هما روايتان عن أحمد .
إحداهما : أن الاسترقاق كأخذ الجزية، فمن لم تؤخذ منه الجزية لا يسترق، وهذا مذهب أبي حنيفة وغيره وهو اختيار الخرقي، والقاضي وغيرهما من أصحاب أحمد، وهو قول الاصطخري من أصحاب الشافعي .
وعند أبي حنيفة تقبل الجزية من كل كافر، إلا من مشركي **العرب**، وهو رواية عن أحمد . فعلى هذا لا يجوز استرقاق مشركي **العرب**؛ لكون الجزية لا تؤخذ منهم، ويجوز استرقاق مشركي العجم، وهو قول الشافعي؛ بناء على قوله : إن **العرب** لا يسترقون .
والرواية الأخرى عن أحمد : أن الجزية لا تقبل إلا من أهل الكتاب، والمجوس، كمذهب الشافعي . فعلى هذا القول في مذهب أحمد : لا يجوز استرقاق أحد من المشركين، لا من **العرب**، ولا من غيرهم كاختيار الخرقي، والقاضي وغيرهما . وهذان القولان في مذهب أحمد لا يمنع فيه الرق؛ لأجل النسب، لكن لأجل الدين . فإذا سبي **عربية** فأسلمت." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٧/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٧/

"ص –١٠– بناء على أنه مختص بهذين اللفظين، وأن فيه شوب التعبد .

وهذا مع أنه ليس منصوصا عن أحمد فهو مخالف لأصوله، ولم ينص أحمد على ذلك، ولا نقلوا عنه نصا في ذلك، وإنما نقلوا قوله في رواية أبي الحارث : إذا وهبت نفسها لرجل فليس بنكاح؛ فإن الله تعالى قال : ﴿خالصة لك من دون المؤمنين ﴾ [الأحزاب : ٥٠] ، وهذا إنما هو نص على منع ما كان من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم، وهو النكاح بغير مهر، بل قد نص أحمد في المشهور عنه على أن النكاح ينعقد بقوله لأمته : أعتقتك وجعلت عتقك صداقك . وبقوله : جعلت عتقك صداقك، أو صداقك عتقك . ذكر ذلك في غير موضع من جواباته .

فاختلف أصحابه، فأما أبو عبد الله بن حامد : فطرد قياسه وقال : لابد مع ذلك من أن يقول : تزوجتها، أو نكحتها؛ لأن النكاح لا ينعقد قط بالعربية إلا بهاتين الصيغتين . وأما القاضي أبو يعلي وغيره : فجعلوا هذه الصورة مستثناة من القياس الذي وافقوا عليه ابن حامد، وأن ذلك من صور الاستحسان . وذكر ابن عقيل قولا في المذهب : أنه ينعقد بغير لفظ الإنكاح والتزويج؛ لنص أحمد بهذا . وهذا أشبه بنصوص أحمد وأصوله . ومذهب مالك في ذلك شبيه بمذهبه؛ فإن أصحاب مالك اختلفوا : هل ينعقد بغير لفظ الإنكاح والتزويج ؟ على." (١)

"ص –١٥٦– وهذا المعنى مستفيض عنه في الصحاح والسنن والمسانيد من غير وجه . وفي صحيح مسلم عن جندب : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال قبل أن يموت بخمس : " إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور أو قال : قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك " ، وفيه : " لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا، لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن صاحبكم خليل الله " . وهذا المعنى في الصحيحين من وجوه، وفيه : " لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت؛ إلا خوخة أبي بكر " بين هذين الأمرين اللذين تواترا عنه، وجمع بينهما قبل موته بخمسة أيام : من ذكر فضل أبي بكر الصديق، ومن نهيه عن اتخاذ القبور مساجد، فبهما حسم مادة الشرك التى أفسد بها الدين، وظهر بها دين المشركين . فإن الله قال في كتابه عن قوم نوح : ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا ﴾ [نوح : ٢٣، ٢٤] .

وقد روى البخارى في صحيحه بإسناده عن ابن عباس قال : صارت الأوثان التى كانت في قوم نوح في العرب تعبد؛ أما [ود] : فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما [سواع] : فكانت لهذيل، وأما [يغوث]

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٧/

: فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما [يعوق] : فكانت لهمدان، وأما [نسر] : فكانت لحمير لآل ذى." (١)

"ص -٣٦١- المسلمون يقاتلون مسيلمة الكذاب وأصحابه ألجؤوهم إلى حديقتهم، فحمل الناس البراء بن مالك حتى ألقوه إليهم داخل السور، ففتح لهم الباب .

وأما قصة مرحب فقد روي في الصحيح : أن عليا رضي الله عنه قتل مرحبا، وروي في الصحيح أن محمد بن مسلمة قتل مرحبا وقال بعضهم : بل إحدى الروايتين غلط .

وأما كون البيضة التي على رأسه كانت جرن رخام فكذب، وكذلك كون الضربة قسمت الفارس وفرسه ونزلت إلى الأرض، فهذا كله كذب، ولم ينقل مثل هذا أهل العلم بالمغازي والسير، وإنما ينقله الجهال والكذابون .

وأظهر من ذلك عبور العسكر على ساعد على، ومرور البغلة، ودعاء على عليها بقطع النسل؛ فإن هذا وأمثاله إنما يرويه من هو من أجهل الناس بأحوال الصحابة، ومن هو من أجهل الناس بأحوال الوجود؛ فإن البغلة مازالت عقيما، وعسكر خيبر لم يكن فيه بغلة أصلا، ولم يكن مع المسلمين بغلة ولا في المدينة بغلة ولا حوله ا من أرض **العرب** بغلة،إلا البغلة التي أهداها المقوقس صاحب مصر للنبي صلى الله عليه وسلم، وكان أهداها له بعد خيبر؛ فإنه صلى الله عليه وسلم لما صالح أهل الحديبية رجع منصرفا." (٢)

"ص -٤٠٦- لكان اللفظ مشتركا، ولو كان مشتركا لما سبق إلى الفهم عند إطلاق هذه الألفاظ البعض دون البعض ضرورة التساوي في الأدلة الحقيقية .

ولا شك أن السابق إلى الفهم من إطلاق لفظ الأسد إنما هو السبع، ومن إطلاق لفظ الحمار إنما هو البهيمة، وكذلك في باقي الصور . كيف وأن أهل الأعصار لم تزل تتناقل في أقوالها وكتبها عن أهل الوضع تسمية هذا حقيقة وهذا مجازا ؟ فإن قيل : لو كان في لغة **العرب** لفظ مجازي فإما أن يقيد معناه بقرينة؛ أو لا يقيد بقرينة . فإن كان الأول فهو مع القرينة لا يحتمل غير ذلك المعنى فكان مع القرينة حقيقة في ذلك المعنى وإن كان الثاني فهو أيضا حقيقة؛ إذ لا معنى للحقيقة إلا ما يكون مستعملا بالإفادة من غير قرينة . وأيضا فإنه ما من صورة من الصور إلا ويمكن أن يعبر عنها باللفظ الحقيقي الخاص بها فاستعمال اللفظ المجازي فيها مع افتقاره إلى القرينة من غير حاجة بعيد عن أهل الحكمة والبلاغة في وضعهم . قلنا

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٧/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٨/

: الجواب عن الأول أن المجاز لا يفيد عند عدم الشهرة إلا بقرينة، ولا معنى للمجاز سوى هذا النوع في ذلك اللفظي . كيف وأن المجاز والحقيقة من صفات الألفاظ دون القرائن المعنوية؛ فلا تكون الحقيقة صفة للمجموع .." (١)

"ص -٣٨٢- استرقها، وإن لم تسلم أجبرها على الإسلام . وعلى هذا يحملون ما كان النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة يفعلونه من استرقاق **العرب** .

وأما الرقيق الوثني، فلا يجوز إقراره عندهم برق، كما يجوز بجزية . وهذا كما أن الصحابة سبوا **العربيات** والوثنيات؛ ووطؤوهم؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا توطأ حامل حتى تضع، ولا غير ذات حمل حتى تستبرأ بحيضة " . ثم الأئمة الأربعة متفقون على أن الوطأ إنما كان بعد الإسلام؛ وأن وطء الوثنية لا يجوز، كما لا يجوز تزويجها .

والقول الثاني : أنه يجوز استرقاق من لا تؤخذ منهم الجزية من أهل الأوثان، وهو مذهب الشافعي، وأحمد في الرواية الأخرى؛ بناء على أن الصحابة استرقوهم؛ ولم نعلم أنهم أجبروهم على الإسلام؛ ولأنه لا يجوز قتلهم، فلابد من استرقاقهم، والرق فيه من الغل ما ليس في أخذ الجزية . وقد تبين مما ذكرناه أن الصحيح جواز استرقاق **العرب** . وأما [الأثر] المذكور عن عمر إذا كان صحيحا صريحا في محل النزاع فقد خالفه أبو بكر وعلي؛ فإنهم سبوا **العرب** . ويحتمل أن يكون قول عمر محمولا على أن **العرب** أسلموا قبل أن يسترق رجالهم، فلا يضرب عليهم رق، كما أن قريشا أسلموا كلهم فلم يضرب عليهم رق؛ لأجل إسلامهم، لا لأجل النسب، ولم تتمكن الصحابة من سبي نساء قريش، كما تمكنوا." (٢)

"ص -٢٥١- وقوله : ﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ [لقمان : ٢٢] ، فإن إسلام الوجه لله يتضمن إخلاص العمل لله، والإحسان هو إحسان العمل لله وهو فعل ما أمر به فيه كما قال تعالى : ﴿ إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ﴾ [الكهف : ٣٠] ، فإن الإساءة في العمل الصالح تتضمن الاستهانة بالأمر به، والاستهانة بنفس العمل، والاستهانة بما وعده الله من الثواب، فإذا أخلص العبد دينه لله وأحسن العمل له كان ممن أسلم وجهه لله وهو محسن، فكان من الذين لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

فصل

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٨/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٨/

لفظ [النية] في كلام **العرب** من جنس لفظ القصد والإرادة، ونحو ذلك، تقول **العرب** : نواك الله بخير، أي : أرادك بخير، ويقولون : نوي منويه، وهو المكان الذين ينويه، يسمونه نوي، كما يقولون : قبض بمعني مقبوض، والنية يعبر بها عن نوع من إرادة، ويعبر بها عن نفس المراد، كقول **العرب** : هذه نيتي، يعني : هذه البقعة هي التي نويت إتيانها، ويقولون : نيته قريبة أو بعيدة، أي : البقعة التي." (١)

"ص -٣٦٢- ففتح الله عليهم خيبر، ثم رجع وأرسل إلى الملوك رسله، فأرسل إلى كسري، وقيصر، والمقوقس، وملوك **العرب** بالشام واليمن واليمامة والمشرق، ولكن المعروف عند أهل العلم أن عليا قلع باب خيبر .

وما ذكر من نزول ذو الفقار من السماء كذب، وقد تقدم أنه كان سيفا من سيوف أبي جهل غنمه المسلمون يوم بدر منه، فأما على فقد سماه أبوه بهذا الاسم قبل أن يبعث الله محمدا بالنبوة، وقبل أن يثبت لأحد حكم الإسلام؛ لا من الرجال، ولا من الصبيان .

وأما قول القائل : إنه كان عصي موسي وسفينة نوح وخاتم سليمان، فهذا لا يقوله عاقل يتصور ما يقول، وهو بكلام المجانين أشبه منه بكلام العقلاء، وهذا لا يقصد أحد مدح على به إلا لفرط في الجهل، فإن عليا -هو من دونه من الصحابة- أشرف قدرا عندالله من هذه الجمادات، وإن كانت العصي آية لموسي، فليس كل ما كان معجزة لنبي أفضل من المؤمنين، بل المؤمنون أفضل من الطير الذي كان المسيح يصوره من الطين، فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله، وأفضل من الجراد والقمل والضفادع والدم الذي كان آية لموسي، وأفضل من العصي والحية، وأفضل من ناقة صالح . فمن ظن أنه بهذا الكذب والجهل يمدح عليا كان جهله من المدح والثناء من جنس جهله بأن هذه الجمادات لم تكن آدميين قط .." (٢)

"ص -٤٤٩- والقرآن ما يدل إلا على ذلك؛ لأنه قال : ﴿ وأزواجه أمهاتهم ﴾ [الأحزاب : ٦] ، وقال : ﴿ ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ﴾ [الأحزاب : ٥٣] ، وهذا أيضا دليل ثالث من الآية؛ لأن الضمير في قوله: ﴿ وإذا سألتموهن ﴾ [الأحزاب : ٥٣] ، عائد إلى أزواجه فليس للمملوكات ذكر في الخطاب، لكن إباحة سراريه من بعده فيه نظر

فصل

من قال : من أن السراح والفراق صريح في الطلاق؛ لأن القرآن ورد بذلك، وجعل الصريح ما استعمله القرآن

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٩/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٩/

فيه، كما يقوله الشافعي والقاضي وغيرهما من الأصحاب، فقوله ضعيف لوجهين :

أحدهما : أن هذا الأصل لا دليل عليه، بل هو فاسد؛ فإن الواقع أن الناس ينطقون بلغاتهم التي توافق لغة **العرب** أو تخالفها من **عربية** أخرى **عربا** مقررة أو مغيرة لفظا أو معنى، أو من **عربية** مولدة، أو **عربية** **معربة**، تلقيت عن العجم، أو عن عجمية، فإن الطلاق ونحوه يثبت بجميع هذه الأنواع من اللغات، إذ المدار على المعنى ولم يحرم ذلك عليهم، أو حرم عليهم فلم يلتزموه، فإن ذلك لا يوجب وقوع ما لم يوقعوه وأيضا، فاستعمال القرآن لفظا في معنى." (١)

"ص -٣٨٢- فأجاب : الحمد لله، القرآن كلام الله منزل غير مخلوق،فلا يشبه بالمخلوقين، واللفظ المذكور غير مأثور .

ومما يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم : " أنا من **العرب**، وليس **العرب** مني " .

فأجاب : الحمد لله، هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم .

ومما يروون عنه أيضا : " اللهم أحيني مسكينا، وأمتني مسكينا، واحشرني في زمرة المساكين " .

فأجاب : هذا يروي، لكنه ضعيف لا يثبت، ومعناه أحيني خاشعا متواضعا، لكن اللفظ لم يثبت .

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم، أنه قال : " إذا سمعتم عني حديثا فاعرضوه على الكتاب والسنة، فإن وافق فاروه، وإن لم يوافق فلا " .

فأجاب : الحمد لله، هذا مروي ولكنه ضعيف عن غير واحد من الأئمة؛ كالشافعي، وغيره .

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم، أنه قال : " ياعلي، اتخذ لك نعلين من حديد وافنهما في طلب العلم ولو بالصين " . فأجاب : الحمد لله، ليس هذا ولا هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم .." (٢)

"ص -٢٥٤- لهم والمعاشر إذا ادعى سلامته من ذلك لم يقبل؛ فإنه إما أن يفعل معهم المحرمات، ويترك الواجبات، وإما أن يقرهم على المنكرات، فلا يأمرهم بمعروف، ولا ينهاهم عن منكر . وعلى كل حال فهو مستحق للعقوبة، وقد رفع إلى عمر بن عبد العزيز أقوام يشربون الخمر فأمر بجلدهم الحد، فقيل : إن فيهم صائما ؟ فقال : إبدؤوا بالصائم فاجلدوه : ألم يسمع إلى قوله تعالى : ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾ [النساء : ١٤٠] . وقوله تعالى : ﴿ وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٩/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٩/

على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون ﴾ [الأنعام : ٦٨، ٦٩] ، فنهى سبحانه عن القعود مع الظالمين، فكيف بمعاشرتهم ؟ أم كيف بمخادنتهم ؟ !

وهؤلاء قوم تركوا المقامرة بالأيدي، وعجزوا عنها، ففتحوا القمار بالألسنة، والقمار بالألسنة أفسد للعقل والدين من القمار بالأيدي . والواجب على المسلمين المبالغة في عقوبة هؤلاء، وهجرهم، واستتابتهم، بل لو فرض أن الرجل نظم هذه الأزجال **العربية** من غير مبالغة لنهي عن ذلك، بل لو نظمها في غير الغزل، فإنهم تارة ينظمونها بالكفر بالله وبكتابه ورسوله، كما نظمها أبو الحسن التستري في وحدة الوجود، وأن الخالق هو المخلوق . وتارة ينظمونها في الفسق، كنظم هؤلاء الغواة، والسفهاء الفساق . ولو قدر أن ناظما نظم هذه الأزجال في مكان حانوت، نهى؛ فإنها تفسد اللسان **العربى**، وتنقله إلى العجمة المنكرة .." (١)

"ص -٦٣٨- ومسلم ونحو ذلك .

ويذكر فيها مذاهب الأئمة ويترضى فيها عن الخلفاء الراشدين، وإلا كانوا قبل ذلك من شر الخلق . فيهم قوم يعبدون الكواكب ويرصدونها وفيهم قوم زنادقة دهرية لا يؤمنون بالآخرة ولا جنة ولا نار ولا يعتقدون وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وخير من كان فيهم الرافضة والرافضة شر الطوائف المنتسبين إلى القبلة . فبهذا السبب وأمثاله كان إحداث الكنائس في القاهرة وغيرها وقد كان في بر مصر كنائس قديمة، لكن تلك الكنائس أقرهم المسلمون عليها حين فتحوا البلاد، لأن الفلاحين كانوا كلهم نصارى ولم يكونوا مسلمين، وإنما كان المسلمون الجند خاصة وأقروهم كما أقر النبي صلى الله عليه وسلم اليهود على خيبر لما فتحها، لأن اليهود كانوا فلاحين وكان المسلمون مشتغلين بالجهاد . ثم إنه بعد ذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما كثر المسلمون واستغنوا عن اليهود أجلاهم أمير المؤمنين عن خيبر كما أمر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال : " أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة **العرب** " حتى لم يبق في خيبر يهودي . وهكذا القرية التي يكون أهلها نصارى وليس عندهم مسلمون ولا مسجد للمسلمين فإذا أقرهم المسلمون على كنائسهم التي فيها جاز ذلك كما فعله المسلمون : وأما إذا سكنها المسلمون." (٢)

"ص -٣٨٣- من سبي نساء طوائف من **العرب**؛ ولهذا لم يسترق منهم أحد، ولم يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن سبيهم شيء .

وأما إذا تزوج **العربي** مملوكة فنكاح الحر للمملوكة لا يجوز إلا بشرطين : خوف العنت، وعدم الطول إلى

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٩/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٩/

نكاح حرة، في مذهب مالك والشافعي وأحمد . وعللوا ذلك بأن تزوجه يفضي إلى استرقاق ولده، فلا يجوز للحر **العربي** ولا العجمي أن يتزوج مملوكة إلا لضرورة، وإذا تزوجها للضرورة كان ولده مملوكا . وأما أبو حنيفة فالمانع عنده أن تكون تحته حرة، وهو يفرق في الاسترقاق بين **العربي** وغيره .

وأما إذا وطئ الأمة بزنا فإن ولدها مملوك لسيدها بالاتفاق، وإن كان أبوه **عربيا**؛ لأن النسب غير لاحق . وأما إذا وطئها بنكاح، وهو يعتقدها حرة، أو استبرأها فوطئها يظنها مملوكته، فهنا ولده حر، سواء كان **عربيا** أو عجميا . وهذا يسمى [المغرور] . فولد المغرور من النكاح أو البيع حر؛ لاعتقاده أنه وطئ زوجة حرة، أو مملوكته . وعليه الفداء لسيد الأمة كما قضت بذلك الصحابة؛ لأنه فوت سيد الأمة ملكهم، فكان عليه الضمان . وفي ذلك تفريع ونزاع ليس هذا موضعه . والله أعلم .." (١)

"ص -١٢- رووا الحديث تارة هكذا، وتارة هكذا .

ثم تعيين اللفظ **العربي** في مثل هذا في غاية البعد عن أصول أحمد ونصوصه، وعن أصول الأدلة الشرعية؛ إذ النكاح يصح من الكافر والمسلم، وهو وإن كان قربة فإنما هو كالعتق والصدقة . ومعلوم أن العتق لا يتعين له لفظ؛ لا **عربي** ولا عجمي . وكذلك الصدقة والوقف والهبة لا يتعين لها لفظ **عربي** بالإجماع، ثم العجمي إذا تعلم **العربية** في الحال، قد لا يفهم المقصود من ذلك اللفظ كما يفهمه من اللغة التي اعتادها .

نعم، لو قيل : تكره العقود بغير **العربية** لغير حاجة كما يكره سائر أنواع الخطاب بغير **العربية** لغير حاجة؛ لكان متوجها، كما قد روي عن مالك وأحمد والشافعي ما يدل على كراهة اعتياد المخاطبة بغير **العربية** لغير حاجة . وقد ذكرنا هذه المسألة في غير هذا الموضع .

وقد ذكر أصحاب مالك والشافعي وأصحاب أحمد؛ كالقاضي أبي يعلي، وابن عقيل،والمتأخرين : أنه يرجع في نكاح الكفار إلى عادتهم . فما اعتقدوه نكاحا بينهم جاز إقرارهم عليه إذا أسلموا وتحاكموا إلينا، إذا لم يكن حينئذ مشتملا على مانع، وإن كانوا يعتقدون أنه ليس بنكاح لم يجز الإقرار عليه، حتى قالوا : لو قهر حربي حربية فوطئها." (٢)

"ص -٢٩٩- ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل " .

وإذا قدر أن في الناس من حصل له سوء في الدنيا والآخرة بخلاف ما وعد الله به رسوله وأتباعه فهذا من

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٩/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٩/

ذنوبه ونقص إسلامه، كالهزيمة التي أصابتهم يوم أحد .

وإلا فقد قال تعالى : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ [غافر : ٥١] ، وقال تعالى : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ [الصافات : ١٧١ ١٧٣] . وفيما قصه الله تعالى من قصص الأنبياء وأتباعهم ونصرهم ونجاتهم وهلاك أعدائهم عبرة، والله أعلم .

فإن قيل : قوله تبارك وتعالى : ﴿ من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ [المائدة : ٥٤] ، هو خطاب لذلك القرن، كقوله تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ [النور : ٥٥] . ولهذا بين النبي صلى الله عليه وسلم أنهم أهل اليمن الذين دخلوا في الإسلام لما ارتد من ارتد من **العرب** . ويدل على ذلك أنه في آخر الأمر لا يبقي مؤمن .

قيل : قوله تبارك وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ خطاب لكل من." (١)

"ص -٥٣٤- سورة الكافرون

قال الشيخ رحمه الله :

فصل

في سورة ﴿قل يا أيها الكافرون ﴾ للناس في وجه تكرير البراءة من الجانبين طرق، حيث قال : ﴿لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ [الكافرون : ٢، ٣] ، ثم قال : ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ [الكافرون : ٤، ٥] ، منها قولان مشهوران ذكرهما كثير من المفسرين، هل كرر الكلام للتوكيد،أو لنفي الحال والاستقبال ؟

قال أبو الفرج : في تكرار الكلام قولان؛ أحدهما : إنه لتأكيد الأمر وحسم إطماعهم فيه، قاله الفراء . وقد أفعمناهذا في سورة الرحمن قال ابن قتيبة : التكرير في سورة الرحمن للتوكيد . قال : وهذه مذاهب **العرب**، أن التكرير للتوكيد والإفهام، كما أن مذاهبهم الاختصار للتخفيف." (٢)

"ص -٢٢٠- الخمر، وروى عنه أنه قال : نغزوهم لأنهم لم يقوموا بالشروط التي شرطها عليهم عثمان؛ فإنه شرط عليهم أن وغير ذلك من الشروط . وقال ابن عباس : بل تباح؛ لقوله تعالى : ﴿ ومن

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٠/

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٠/

يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ [المائدة : ٥١] وعامة المسلمين من الصحابة وغيرهم لم يحرموا ذبائحهم، ولا يعرف ذلك إلا عن علي وحده، وقد روي معنى قول ابن عباس عن عمر بن الخطاب .

فمن العلماء من رجح قول عمر وابن عباس، وهو قول الجمهور، كأبي حنيفة ومالك، وأحمد في إحدى الروايتين عنه، وصححها طائفة من أصحابه، بل هي آخر قوليه، بل عامة المسلمين من الصحابة والتابعين وتابعيهم على هذا القول . وقال أبو بكر الأثرم : ما علمت أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كرهه إلا عليا، وهذا قول جماهير فقهاء الحجاز والعراق، وفقهاء الحديث والرأي كالحسن وإبراهيم النخعي والزهري وغيرهم وهو الذي نقله عن أحمد أكثر أصحابه، وقال إبراهيم بن الحارث : كان آخر قول أحمد على أنه لا يرى بذبائحهم بأسا .

ومن العلماء من رجح قول علي، وهو قول الشافعي، وأحمد في إحدى الروايتين عنه . وأحمد إنما اختلف اجتهاده في بني تغلب،وهم الذين تنازع فيهم الصحابة . فأما سائر اليهود والنصارى من العرب مثل : تنوخ، وبهراء." (١)

"ص -٤٧- ذلك . وقد يحصل في الأفضل معارض راجح يجعله مفضولا؛ مثل من يجاور بمكة مع السؤال والاستشراف، والبطالة عن كثير من الأعمال الصالحة، وكذلك من يطلب الإقامة بالشام لأجل حفظ ماله وحرمة نفسه، لا لأجل عمل صالح، فالأعمال بالنيات .

وهذا الحديث الشريف إنما قاله النبي صلى الله عليه وسلم بسبب الهجرة فقال : " إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه " . قال ذلك بسبب أن رجلا كان قد هاجر يتزوج امرأة يقال لها : أم قيس، وكان يقال له : مهاجر أم قيس .

وإذا فضلت جملة على جملة لم يستلزم ذلك تفضيل الأفراد على الأفراد، كتفضيل القرن الثاني على الثالث، وتفضيل العرب على ما سواهم، وتفضيل قريش على ما سواهم . فهذا هذا، والله أعلم .." (٢)

"ص -٢٥٥- وما زال السلف يكرهون تغيير شعائر العرب حتى في المعاملات، وهو التكلم بغير العربية إلا الحاجة، كما نص على ذلك مالك والشافعي وأحمد، بل قال مالك : من تكلم في مسجدنا بغير العربية أخرج منه . مع أن سائر الألسن يجوز النطق بها لأصحابها، ولكن سوغوها للحاجة، وكرهوها

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٠/

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٠/

لغير الحاجة، ولحفظ شعائر الإسلام؛ فإن الله أنزل كتابه باللسان **العربى**، وبعث به نبيه **العربى**، وجعل الأمة **العربية** خير الأمم، فصار حفظ شعارهم من تمام حفظ الإسلام، فكيف بمن تقدم على الكلام **العربي** مفرده ومنظومه فيغيره ويبدله، ويخرجه عن قانونه ويكلف الانتقال عنه ؟ ! ! إنما هذا نظير ما يفعله بعض أهل الضلال من الشيوخ الجهال، حيث يصمدون إلى الرجل العاقل فيولهونه، ويخنثونه، فإنهم ضادوا الرسول إذ بعث بإصلاح العقول والأديان . وتكميل نوع الإنسان وحرم ما ينير العقل من جميع الألوان، فإذا جاء هؤلاء إلى صحيح العقل ف أفسدوا عقله وفهمه، وقد ضادو الله وراغموا حكمه . والذين يبدلون اللسان **العربي** ويفسدونه، لهم من هذا الذم والعقاب بقدر ما يفتحونه؛ فإن صلاح العقل واللسان، مما يؤمر به الإنسان، ويعين ذلك على تمام الإيمان، وصد ذلك يوجب الشقاق والضلال والخسران . والله أعلم .

وسئل رحمه الله عمن يتحدث بين الناس بكلام وحكايات مفتعلة، كلها كذب : هل يجوز ذلك ؟." (١)

"ص -٤٠٩- لأحد إليه؛ فإنه لا يمكن أحدا أن ينقل عن **العرب** أنها وضعت هذه الألفاظ لغير هذه المعاني المستعملة فيها . فإن قالوا : قد قالوا : جناح الطائر وظهر الإنسان وتكلموا بلفظ الظهر والجناح وأرادوا به ظهر الإنسان وجناح الطائر .

قيل لهم : هذا لا يقتضي أنهم وضعوا جناح السفر وظهر الطريق، بل هذا استعمل مضافا إلى غير ما أضيف إليه ذاك؛ إن كان ذلك مضافا . وإن لم يكن ذلك مضافا فالمضاف ليس هو مثل المعرف الذي ليس بمضاف؛ فاللفظ المعرف والمضاف إلى شيء ليس هو مثل اللفظ المضاف إلى شيء آخر فإذا قال : الجناح والظهر؛ وقيل : جناح الطائر وظهر الإنسان : فليس هذا وهذا مثل لفظ جناح السفر وظهر الطريق؛ وجناح الذل . كذلك إذا قيل : رأس الطريق وظهره ووسطه وأعلاه وأسفله كان ذلك مختصا بالطريق؛ وإن لم يكن ذلك مماثلا كرأس الإنسان وظهره ووسطه وأعلاه وأسفله وكذلك أسفل الجبل وأعلاه هو مما يختص بـه وكذلك سائر الأسماء المضافة يتميز معناه بالإضافة ومعلوم أن اللفظ المركب تركيب مزج أو إسناد أو إضافة ليس هو من لغتهم كاللفظ المجرد عن ذلك لا في الإعراب ولا في المعنى .

بل يفرقون." (٢)

"ص -٢٢٨- الناس من آدم وآدم من تراب " . وقال : " إنه لا فضل **لعربى** على عجمى، ولا لعجمى على **عربى**، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى " .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٠/

(٢) مجموع الفتاوى ، ١١/

فذكر الأزمان والعدل بأسماء الإيثار والولاء والبلد والانتساب إلى عالم أو شيخ إنما يقصد بها التعريف به ليتميز عن غيره . فأما الحمد والذم والحب والبغض والموالاة والمعاداة، فإنما تكون بالأشياء التى أنزل الله بها سلطانه، وسلطانه كتابه، فمن كان مؤمنا وجبت موالاته من أى صنف كان، ومن كان كافرا وجبت معاداته من أى صنف كان . قال تعالى : ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ [المائدة : ٥٥، ٥٦] . وقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ﴾ [المائدة : ٥١] . وقال تعالى : ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ [التوبة : ٧١] . وقال تعالى : ﴿لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ﴾ [الممتحنة : ١] . وقال تعالى : ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ﴾ [الكهف : ٥٠] . وقال تعالى : ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

ومن كان فيه إيمان وفيه فجور، أعطى من الموالاة بحسب إيمانه،." (١)

"ص -٢٢١- وغيرهما من اليهود، فلا أعرف عن أحمد في حل ذبائحهم نزاعا، ولا عن الصحابة ولا عن التابعين وغيرهم من السلف، وإنما كان النزاع بينهم في بني تغلب خاصة، ولكن من أصحاب أحمد من جعل فيهم روايتين كبني تغلب . والحل مذهب الجمهور كأبي حنيفة ومالك، وما أعلم للقول الآخر قدوة من السلف .

ثم هؤلاء المذكورون من أصحاب أحمد قالوا : من كان أحد أبويه غير كتابي بل مجوسيا لم تحل ذبيحته ومناكحة نسائه . وهذا مذهب الشافعي فيما إذا كان الأب مجوسيا؛ وأما الأم فله فيها قولان . فإن كان الأبوان مجوسيين حرمت ذبيحته عند الشافعي ومن وافقه من أصحاب أحمد، وحكى ذلك عن مالك . وغالب ظنى أن هذا غلط على مالك؛ فإني لم أجده في كتب أصحابه، وهذا تفريع على الرواية المخرجة عن أحمد في سائر اليهود والنصارى من **العرب**، وهذا مبني على إحدى الروايتين عنه في نصارى بني تغلب، وهو الرواية التي اختارها هؤلاء ، فأما إذا جعل الروايتين في بني تغلب دون غيرهم من **العرب**، أو قيل إن النزاع عام وفرعنا على القول بحل ذبائح بني تغلب ونسائهم كما هو قول الأكثرين، فإنه على هذه الرواية لا

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١١/

عبرة بالنسب، بل لو كان الأبوان جميعا مجوسيين أو وثنيين والولد من أهل الكتاب فحكمه حكم أهل الكتاب على هذا القول بلا ريب، كما صرح بذلك الفقهاء من أصحاب أحمد وأبي حنيفة وغيرهم .." [1]

"ص -٣٢٦- وعلى ذلك يدل قوله تعالى : ﴿كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾ [البقرة : ١٧٨] ، قال غير واحد من السلف : نزلت هذه الآية في قبيلتين من **العرب** كان بينهما قتال، فأمر الله تعالى أن يقاص من القتلي؛ الحر من هؤلاء بالحر من هؤلاء، والعبد بالعبد، والأنثي بالأنثي . ثم قال : ﴿فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾ [البقرة : ١٧٨] . يقول : إن فضل لأحدهما على الآخر شيء فليؤده اليهم بمعروف، والتتبعة الأخري أن يطالبهم به بإحسان والإتباع هو المطالبة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " مطل الغني ظلم، وإذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع " .

وهذا لأن الطوائف الممتنعة التي يعين بعضها بعضا في القتال، ثم يكون الضمان فيها على الذي يباشر القتال والأخذ والإتلاف، وعلى الردء الذي يعينه عند جمهور العلماء .

ولهذا كان في مذهب الجمهور : أن قطاع الطريق يقتل منهم الردء، والمباشر . وعمر ابن الخطاب رضي الله عنه قتل ربيئة المحاربين، وهو الناظر الذي ينظر لهم الطريق . فالمتعاونون على الظلم والعدوان تجب عليهم العقوبة بالضمان وغيره؛ ولهذا قال عامة الفقهاء : إن الطائفتين المقتتلين على عصبية ورياسة تضمن كل طائفة ما أتلفت للأخري؛ من." [2]

"ص -٥٣٦- لتكرار الوقت . وذلك أنهم قالوا : إن سرك أن ندخل في دينك عاما فادخل في ديننا عاما، فنزلت هذه السورة .

قلت : هذا الكلام الذي ذكره بإعادة اللفظ وإن كان كلام **العرب** وغير **العرب**، فإن جميع الأمم يؤكدون إما في الطلب، وإما في الخبر، بتكرار الكلام . ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : " والله ! لأغزون قريشا، ثم والله ! لأغزون قريشا، ثم والله ! لأغزون قريشا، ثم قال : إن شاء الله، ثم لم يغزهم "

وروي عنه أنه في غزوة تبوك كان يقود به حذيفة، ويسوق به عمار، فخرج بضعة عشر رجلا حتى صعدوا العقبة ركبانا متلثمين، وكانوا قد أرادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لحذيفة : " قد، قد " ولعمار : " سق، سق " .

---

(١) مجموع الفتاوى ، /١١

(٢) مجموع الفتاوى ، /١١

فهذا أكثر، لكن ليس في القرآن من هذا شيء . فإن القرآن له شأن اختص به، لا يشبهه كلام البشر – لا كلام نبي، ولا غيره، وإن كان نزل بلغة **العرب**– فلا يقدر مخلوق أن يأتي بسورة، ولا ببعض سورة مثله . فليس في القرآن تكرار للفظ بعينه عقب الأول قط . وإنما في." (١)

"ص –١٣٢– والمسح اسم جنس يدل على إلصاق الممسوح به بالممسوح،ولا يدل لفظه على جريانه لا بنفي ولا إثبات . قال أبو زيد الأنصاري وغيره : **العرب** تقول : تمسحت للصلاة . فتسمي الوضوء كله مسحا، ولكن من عادة **العرب** وغيرهم إذا كان الاسم عاما تحته نوعان، خصوا أحد نوعيه باسم خاص . وأبقوا الاسم العام للنوع الآخر، كما في لفظ الدابة فإنه عام للإنسان وغيره من الدواب، لكن للإنسان اسم يخصه، فصاروا يطلقونه على غيره . وكذلك لفظ الحيوان، ولفظ ذوي الأرحام يتناول لكل ذي رحم، لكن للوارث بفرض أو تعصيب اسم يخصه . وكذلك لفظ المؤمن يتناول من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، ومن آمن بالجبت والطاغوت، فصار لهذا النوع اسم يخصه وهو الكافر، وأبقي اسم الإيمان مختصا بالأول . وكذلك لفظ البشارة، ونظائر ذلك كثيرة .

ثم إنه مع القرينة تارة ومع الإطلاق أخري يستعمل اللفظ العام في معنيين : كما إذا أوصي لذوي رحمه، فإنه يتناول أقاربه من مثل الرجال والنساء . فقوله تعالى في آية الوضوء : ﴿وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم﴾ يقتضي إيجاب مسمي المسح بينهما . وكل واحد من المسح الخاص الخالي عن الإسالة، والمسح الذي معه إسالة : يسمي مسحا؛ فاقتضت الآية القدر المشترك في الموضعين، ولم يكن في لفظ الآية ما يمنع كون الرجل." (٢)

"ص –٢٢٢– ومن ظن من أصحاب أحمد وغيرهم أن تحريم نكاح من أبواه مجوسيان أو أحدهما مجوسي قول واحد في مذهبه فهو مخطئ خطأ لا ريب فيه؛ لأنه لم يعرف أصل النزاع في هذه المسألة؛ ولهذا كان من هؤلاء من يتناقض فيجوز أن يقر بالجزية من دخل في دينهم بعد النسخ والتبديل، ويقول مع هذا بتحريم نكاح نصرانى **العرب** مطلقا ومن كان أحد أبويه غير كتابي، كما فعل ذلك طائفة من أصحاب أحمد، وهذا تناقض . والقاضي أبو يعلى وإن كان قد قال هذا القول هو وطائفة من أتباعه فقد رجع عن هذا القول في الجامع الكبير، وهو آخر كتبه، فذكر فيمن انتقل إلى دين أهل الكتاب من عبدة الأوثان، كالروم وقبائل من **العرب**،وهم تنوخ، وبهراء، ومن بني تغلب هل تجوز مناكحتهم، وأكل ذبائحهم ؟ وذكر

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٢/

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٢/

أن المنصوص عن أحمد أنه لا بأس بنكاح نصارى بني تغلب، وأن الرواية الأخرى مخرجة على الروايتين عنه في ذبائحهم، واختار أن المنتقل إلى دينهم حكمه حكمهم، سواء كان انتقاله بعد مجيء شريعتنا أو قبلها، وسواء انتقل إلى دين المبدلين أو دين لم يبدل، ويجوز مناكحته وأكل ذبيحته . وإذا كان هذا فيمن أبواه مشركان من **العرب** والروم فمن كان أحد أبويه مشركا فهو أولى بذلك، هذا هو المنصوص عن أحمد فإنه قد نص على أنه من دخل في دينهم بعد النسخ والتبديل كمن دخل في دينهم في هذا الزمان فإنه يقر بالجزية . قال أصحابه : وإذ أقررناه بالجزية حلت ذبائحهم ونساؤهم، وهو مذهب أبي حنيفة ومالك وغيرهما .." (١)

"ص -٢٢٤- في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم . وقد ذكر بعض هذا المعنى البخارى في صحيحه، كما ذكر قول ابن عباس : أن هذه الأوثان صارت إلى **العرب**، وذكره ابن جرير الطبرى وغيره في التفسير عن غير واحد من السلف . وذكره غيره في قصص الأنبياء من عدة طرق . وقد بسطت الكلام على هذه المسائل في غير هذا الموضع .

وأول من وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التى على القبور هم أهل البدع من الرافضة وغيرهم الذين يعطلون المساجد ويعظمون المشاهد؛ التى يشرك فيها، ويكذب فيها، ويبتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطانا، فإن الكتاب والسنة إنما فيه ذكر المساجد دون المشاهد، كما قال تعالى : ﴿قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون ﴾ [الأعراف : ٢٩] ، وقال : ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ [الجن : ١٨] ، وقال : ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ﴾ [التوبة : ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ﴾ [البقرة : ١٨٧] ، وقال تعالى : ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ﴾ [البقرة : ١١٤] ، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : " إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد،." (٢)

"ص -٢٥٥- فصل

ولفظ [النية] يراد بها النوع من المصدر،ويراد بها المنوي، واستعمالها في هذا لعله أغلب في كلام **العرب**، فيكون المراد إنما الأعمال بحسب ما نواه العامل،أي : بحسب منويه؛ولهذا قال في تمامه : " فمن كانت

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٢/

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٢/

هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله " فذكر ما ينويه العامل ويريده بعمله وهو الغاية المطلوبة له،فإن كل متحرك بالإرادة لابد له من مراد .

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : " أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأقبحها حرب ومرة، وأصدقها حارث وهمام " فإن كل آدمي حارث وهمام، والحارث هو العامل الكاسب، والهمام الذي يهم ويريد . قال تعالى : ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ﴾ [الشوري : ٢٠] ، فقوله حرث الدنيا أي : كسبها وعملها؛ ولهذا وضع الحريري مقاماته على لسان الحارث بن همام؛ لصدق هذا الوصف على كل أحد .." (١)

"ص -٢٧٦- السرف والخيلاء والفخر، وذلك منتف إذا احتيج إليه، وكذلك لبسها للبرد، أو إذا لم يكن عنده ما يستتر به غيرها .

وسئل رحمه الله :

هل الشرع المطهر ينكر ما تفعله الشياطين الجانة من مسها وتخبيطها وجولان بوارقها على بني آدم، واعتراضها ؟ فهل ذلك معالجة بالمخرقات والأحراز، والعزائم، والأقسام، والرقى، والتعوذات، والتمائم ؟ وأن بعض الناس قال : لا يحكم عليهم؛ لأن الجن يرجعون إلى الحقائق عند عامرة الأجساد بالبوار، وأن هذه الخواتم المتخذة مع كل إنسان من سرياني، وعبراني، وعجمي، **وعربي**، ليس لها برهان، وأنها من مختلق الأقاويل، وخرافات الأباطيل، وأنه ليس لأحد من بني آدم من القوة، ولا من القبض بحيث يفعل ما ذكرنا من متولي هذا الشأن على ممر الدهور، والأوقات ؟ فأجاب :

الحمد لله، وجود الجن ثابت بكتاب الله، وسنة رسوله، واتفاق سلف الأمة، وأئمتها . وكذلك دخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة، قال الله تعالي : ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾ [البقرة : ٢٧٥] وفي." (٢)

"ص -١٣٧- وكذلك كون الشمس حاذت البرج الفلاني، أو الفلاني، هذا أمر لا يدرك بالأبصار، وإنما يدرك بالحساب الخفي الخاص المشكل الذي قد يغلط فيه، وإنما يعلم ذلك بالإحساس تقريبا، فإنه إذا انصرم الشتاء، ودخل الفصل الذي تسميه **العرب** الصيف، ويسميه الناس الربيع؛ كان وقت حصول الشمس في نقطة الاعتدال الذي هو أول الحمل، وكذلك مثله في الخريف، فالذي يدرك بالإحساس الشتاء

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٣/

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٣/

والصيف، وما بينهما من الاعتدالين تقريبا، فأما حصولها في برج بعد برج فلا يعرف إلا بحساب فيه كلفة وشغل عن غيره، مع قلة جدواه .

فظهر أنه ليس للمواقيت حد ظاهر عام المعرفة إلا الهلال .

وقد انقسمت عادات الأمم في شهرهم وسنتهم القسمة العقلية؛ وذلك أن كل واحد من الشهر والسنة، إما أن يكونا عدديين، أو طبيعيين، أو الشهر طبيعيا، والسنة عددية، أو بالعكس .

فالذين يعدونهما، مثل من يجعل الشهر ثلاثين يوما، والسنة اثني عشر شهرا، والذين يجعلونهما طبيعيين، مثل من يجعل الشهر قمريا، والسنة شمسية، ويلحق في آخر الشهور الأيام المتفاوتة بين." (١)

"ص -١١٨- ولهذا كان عند جميع العلماء قوله تعالى في المحاربين : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ﴾ [المائدة : ٣٣] ، لا يقتضي أن الإمام يخير تخيير مشيئة، ففعل هذه الأربع مسائل كلهم متفقون على أنه يتعين هذا في حال، وهذا في حال . ثم أكثرهم يقولون : تلك الأحوال مضبوطة بالنص، فإن قتلوا تعين قتلهم، وإن أخذوا المال ولم يقتلوا تعين قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، كما هو مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد، وروي في ذلك حديث مرفوع . ومنهم من يقول : التعيين باجتهاد الإمام كقول مالك، فإذا رأي أن القتل هو المصلحة قتل، وإن لم يكن قد قتل .

ومن هذا الباب تخيير الإمام في الأرض المفتوحة عنوة بين جعلها فيء ا، وبين جعلها غنيمة، كما هو قول الأكثرين كأبي حنيفة، والثوري، وأبي عبيد، وأحمد في المش٥ور عنه فإنهم قالوا : إن رأي المصلحة جعلها غنيمة قسمها بين الغانمين، كما قسم النبي صلى الله عليه وسلم خيبر، وإن رأي أن لا يقسمها جاز، كما لم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم مكة، مع أنه فتحها عنوة شهدت بذلك الأحاديث الصحيحة، والسيرة المستفيضة، وكما قاله جمهور العلماء؛ ولأن خلفاءه بعده أبو بكر، وعمر، وعثمان فتحوا ما فتحوا من أرض **العرب** والروم وفارس، كالعراق، والشام، ومصر، وخراسان، ولم يقسم أحد من الخلفاء شيئا من العقار المغنوم بين الغانمين، لا السواد، ولا غير السواد، بل جعل العقار فيء ا للمسلمين داخلا في قوله : ﴿ ما أفاء الله على رسوله من." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٣/

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٣/

"ص -١٦- والصيام، والحج . وما لم يكن له حد في اللغة ولا في الشرع، فالمرجع فيه إلى عرف الناس كالقبض المذكور في قوله صلى الله عليه وسلم : " من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يقبضه " .

ومعلوم أن البيع والإجارة والهبة ونحوها لم يحد الشارع لها حدا؛ لا في كتاب الله ولا سنة رسوله، ولا نقل عن أحد من الصحابة والتابعين أنه عين للعقود صفة معينة من الألفاظ أو غيرها، أو قال ما يدل على ذلك من أنها لا تنعقد إلا بالصيغ الخاصة، بل قد قيل : إن هذا القول مما يخالف الإجماع القديم، وأنه من البدع . وليس لذلك حد في لغة **العرب**، بحيث يقال : إن أهل اللغة يسمون هذا بيعا ولا يسمون هذا بيعا، حتى يدخل أحدهما في خطاب الله ولا يدخل الآخر، بل تسمية أهل العرف من **العرب** هذه المعاقدات بيعا دليل على أنها في لغتهم تسمي بيعا . والأصل بقاء اللغة وتقريرها؛ لا نقلها وتغييرها . فإذا لم يكن له حد في الشرع ولا في اللغة كان المرجع فيه إلى عرف الناس وعاداتهم . فما سموه بيعا فهو بيع وما سموه هبة فهو هبة .

الوجه الثالث : أن تصرفات العباد من الأقوال والأفعال نوعان : عبادات يصلح بها دينهم، وعادات يحتاجون إليها في دنياهم . فباستقراء أصول الشريعة نعلم أن العبادات التي أوجبها الله أو أحبها لا يثبت الأمر بها إلا بالشرع . وأما العادات فهي ما اعتاده الناس في دنياهم مما." (١)

"ص -١٣٨- السنتين، فإن السنة القمرية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما، وبعض يوم خمس أو سدس، وإنما يقال فيها : ثلاثمائة وستون يوما جبرا للكسر في العادة عادة **العرب** في تكميل ما ينقص من التاريخ في اليوم والشهر والحول .

وأما الشمسية، فثلاثمائة وخمسة وستون يوما، وبعض يوم، ربع يوم؛ ولهذا كان التفاوت بينهما أحد عشر يوما إلا قليلا، تكون في كل ثلاثة وثلاثين سنة وثلث سنة : سنة؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا ﴾ [الكهف : ٢٥] قيل معناه : ثلاثمائة سنة شميسة . ﴿ وازدادوا تسعا ﴾ بحساب السنة القمرية، ومراعاة هذين عادة كثير من الأمم، من أهل الكتابين بسبب تحريفهم، وأظنه كان عادة المجوس أيضا .

وأما من يجعل السنة طبيعية، والشهر عدديا، فهذا حساب الروم والسريانيين والقبط ونحوهم من الصابئين والمشركين، ممن يعد شهر كانون ونحوه عددا، ويعتبر السنة الشمسية بسير الشمس .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٤/

فأما القسم الرابع، فبأن يكون الشهر طبيعيا، والسنة عددية، فهو سنة المسلمين ومن وافقهم، ثم الذين يجعلون السنة طبيعية لا يعتمدون." (١)

"ص -٢٢٥- للذكور والإناث، والسما الكثيرة الموت . قال ابن عباس فكانت المرأة تنذر إن عاش لها ولدان تجعل أحدهما يهوديا، لكون اليهودية كانوا أهل علم وكتاب، **والعرب** كانوا أهل شرك وأوثان، فلما بعث الله محمدا كان جماعة من أولاد الأنصار تهودوا، فطلب آباؤهم أن يكرهوهم على الإسلام، فأنزل الله تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ [البقرة : ٢٥٦] . فقد ثبت أن هؤلاء كان آباؤهم موجودين تهودوا . ومعلوم أن هذا دخول بأنفسهم فى اليهودية قبل الإسلام وبعد مبعث المسيح صلوات الله عليه وهذا بعد النسخ والتبديل، ومع هذا نهى الله عز وجل عن إكراه هؤلاء الذين تهودوا بعد النسخ والتبديل على الإسلام وأقرهم بالجزية، وهذا صريح في جواز عقد الذمة لمن دخل بنفسه في دين أهل الكتاب بعد النسخ والتبديل، فعلم أن هذا القول هو الصواب دون الآخر . ومتى ثبت أنه يعقد له الذمة ثبت أن العبرة بنفسه لا بنسبه، وأنه تباح ذبيحته وطعامه باتفاق المسلمين؛ فإن المانع لذلك لم يمنعه إلا بناء على أن هذا الصنف ليسوا من أهل الكتاب فلا يدخلون، فإذا ثبت بنص السنة أنهم من أهل الكتاب دخلوا في الخطاب بلا نزاع .

الوجه الثاني : أن جماعة من اليهود الذين كانوا بالمدينة وحولها كانوا **عربا** ودخلوا في دين اليهود، ومع هذا فلم يفصل النبي صلى الله عليه وسلم في أكل طعامهم، وحل نسائهم، وإقرارهم بالذمة، بين من دخل أبواه بعد مبعث عيسى عليه السلام ومن دخل قبل ذلك، ولا بين المشكوك في نسبه، بل حكم." (٢)

"ص -٤٣- يريبني، أي : حرك قلبي، ومنه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه مر بظبي حاقف فقال : " لا يريبه أحد " أي : لا يحركه أحد . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك " . فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة، فإن الصادق من لا يقلق قلبه والكاذب يقلق قلبه، وليس هناك شك بل يعلم أن الريب أعم من الشك .

ولهذا في الدعاء المأثور : " اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك " الحديث إلى

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٤/

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٥/

آخره . وفي المسند والترمذي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال : " سلو الله اليقين والعافية، فإنه لم يعط خيرا من اليقين والعافية فاسألوها الله سبحانه وتعالى " . **والعرب** تقول : ماء يقن، إذا كان ساكنا لا يتحرك . فقلب المؤمن مطمئن لا يكون فيه ريب . هذا معني قوله سبحانه وتعالى : ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ [الحجرات : ١٥] . وفي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : قال : أعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا ولم يعط رجلا وهو أحب إلى منهم فقلت : يا رسول الله، مالك عن فلان ؟ فوالله إني أراه مؤمنا، قال : " أو مسلما " مرتين أو ثلاثا ثم قال : " إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلى منه خشية أن يكبه الله على وجهه في النار " .

ولهذا قال أبو جعفر الباقر وغيره من السلف : الإسلام دائرة." (١)

"ص -٢٤٥- اللغة وإن كان قد جاء من الأحاديث أحاديث صحيحة تبين أن الخمر اسم لكل شراب مسكر .

وتارة لكون اللفظ مشتركا أو مجملا، أو مترددا بين حقيقة ومجاز، فيحمله على الأقرب عنده وإن كان المراد هو الآخر كما حمل جماعة من الصحابة في أول الأمر الخيط الأبيض والخيط الأسود على الحبل وكما حمل آخرون قوله : ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ﴾ [المائدة : ٦] ، على اليد إلى الإبط . وتارة لكون الدلالة من النص خفية، فإن جهات دلالات الأقوال متسعة جدا يتفاوت الناس في إدراكها وفهم وجوه الكلام بحسب منح الحق سبحانه ومواهبه ثم قد يعرفها الرجل من حيث العموم ولا يتفطن لكون هذا المعنى داخلا في ذلك العام ثم قد يتفطن له تارة ثم ينساه بعد ذلك . وهذا باب واسع جدا لا يحيط به إلا الله وقد يغلط الرجل فيفهم من الكلام ما لا تحتمله اللغة **العربية** التي بعث الرسول صلى الله عليه وسلم بها .

السبب السابع : اعتقاده أن لا دلالة في الحديث . والفرق بين هذا وبين الذي قبله أن الأول لم يعرف جهة الدلالة والثاني عرف." (٢)

"ص -٣٠٨- سعيد الأنصاري؛ وربيعة بن أبي عبد الرحمن؛ وحنظلة بن أبي سفيان الجمحي؛ وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون وغير هؤلاء .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٥/

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٦/

وكان أبو يوسف يختلف في مجالس هؤلاء، ويتعلم منهم الحديث، وأكثر عمن قدم من الحجاز؛ ولهذا يقال في أصحاب أبي حنيفة : أبو يوسف أعلمهم بالحديث؛ وزفر أطردهم للقياس، والحسن بن زياد اللؤلؤي أكثرهم تفريعا، ومحمد أعلمهم بالعربية والحساب؛ وربما قيل أكثرهم تفريعا، فلما صارت العراق دار الملك، واحتاج الناس إلى تعريف أهلها بالسنة والشريعة، غير المكيال الشرعي برطل أهل العراق، وكان رطلهم بالحنطة الثقيلة والعدس إذ ذاك تسعين مثقالا : مائة وثمانية وعشرون درهما وأربعة أسباع الدرهم . فهذا هو المرتبة الأولى لإجماع أهل المدينة وهو حجة باتفاق المسلمين .

المرتبة الثانية : العمل القديم بالمدينة قبل مقتل عثمان بن عفان، فهذا حجة في مذهب مالك، وهو المنصوص عن الشافعي. قال في رواية يونس بن عبد الأعلى : [إذا رأيت قدماء أهل المدينة على شيء فلا تتوقف في قلبك ريبا أنه الحق] وكذا ظاهر مذهب أحمد أن ما سنه الخلفاء الراشدون فهو حجة يجب اتباعها، وقال أحمد كل بيعة كانت في المدينة فهي خلافة نبوة، ومعلوم أن بيعة أبي بكر وعمر وعثمان كانت بالمدينة، وكذلك بيعة علي كانت بالمدينة ثم خرج منها، وبعد ذلك لم يعقد بالمدينة بيعة." (١)

"ص -٢٢٦- في الجميع حكما واحدا عاما، فعلم أن التفريق بين طائفة وطائفة، وجعل طائفة لا تقر بالجزية وطائفة تقر ولا تؤكل ذبائحهم، وطائفة يقرون وتؤكل ذبائحهم، تفريق ليس له أصل في سنة رسول صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه . وقد علم بالنقل الصحيح المستفيض أن أهل المدينة كان فيهم يهود كثير من العرب وغيرهم من بني كنانة وحمير وغيرهما من العرب؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن : " إنك تأتي قوما أهل كتاب " ، وأمره أن يأخذ من كل حالم دينارا أو عدله معافريا ولم يفرق بين من دخل أبوه قبل النسخ أو بعده . وكذلك وفد نجران وغيرهم من النصارى الذين كان فيهم عرب كثيرون أقرهم بالجزية، وكذلك سائر اليهود والنصارى من العرب لم يفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من خلفائه وأصحابه بين بعضهم وبعض بل قبلوا منهم الجزية، وأباحوا ذبائحهم، ونساءهم . وكذلك نصارى الروم وغيرهم لم يفرقوا بين صنف وصنف . ومن تدبر السيرة النبوية علم كل هذا بالضرورة، وعلم أن التفريق قول محدث لا أصل له في الشريعة .

الوجه الثالث : أن كون الرجل مسلما أو يهوديا أو نصرانيا ونحو ذلك من أسماء الدين، هو حكم يتعلق بنفسه،لاعتقاده وإرادته وقوله وعمله،لا يلحقه هذا الاسم بمجرد اتصاف آبائه بذلك،لكن الصغير حكمه

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٦/

في أحكام الدنيا حكم أبويه؛لكونه لا يستقل بنفسه،فإذا بلغ وتكلم بالإسلام أو بالكفر كان حكمه معتبرا بنفسه باتفاق المسلمين،فلو كان أبواه." (١)

"ص -١١٢- لا سيما من قال بالتعدد، فإنه يلزمه في المناسك ما يعلم به خلاف دين الإسلام، إذا رأي بعض الوفود أو كلهم الهلال، وقدموا مكة، ولم يكن قد رؤي قريبا من مكة، ولما ذكرناه من فساده صار متنوعا، والذي ذكرناه يحصل به الاجتماع الشرعي، كل قوم على ما أمكنهم الاجتماع عليه، وإذا خالفهم من لم يشعروا بمخالفته لانفراده من الشعور بما ليس عندهم لم يضر هذا، وإنما الشأن من الشعور بالفرقة والاختلاف .

وتحقيق ذلك العلم بالأهلة، فقال : ﴿ هي مواقيت للناس والحج ﴾ [البقرة : ١٨٩] .

وهذا يدل على أنه أراد المعلوم ببصر أو سمع؛ ولهذا ذهب الشافعي وأحمد في إحدي الروايتين : إلا أنه إذا كانت السماء مصحية ولم يحصل أحد على الرؤية أنه ليس بشك؛ لانتفاء الشك في الهلال، وإن وقع شك في الطلوع، وذلك من وجهين :

أحدهما : أن الهلال على وزن فعال . وهذا المثال في كلام العرب لما يفعل به كالإزار : لما يؤتزر به، والرداء : لما يرتدي به، والركاب : لما يركب به، والوعاء : لما يوعي فيه وبه، والسماد : لما تسمد به الأرض، والعصاب : لما يعصب به، والسداد : لما يسد به، وهذا كثير مطرد في الأسماء .." (٢)

"ص -١٤٠- فإن عدد شهور السنة، وعدد السنة بعد السنة إنما أصله بتقدير القمر منازل، وكذلك معرفة الحساب؛ فإن حساب بعض الشهور لما يقع فيه من الآجال ونحوها إنما يكون بالهلال، وكذلك قوله تعالى : ﴿ قل هي مواقيت للناس والحج ﴾ [البقرة : ١٨٩] .

فظهر بما ذكرناه أنه بالهلال يكون توقيت الشهر والسنة، وأنه ليس شيء يقوم مقام الهلال البتة لظهوره وظهور العدد المبني عليه، وتيسر ذلك وعمومه، وغير ذلك من المصالح الخالية عن المفاسد .

ومن عرف ما دخل على أهل الكتابين والصابئين والمجوس، وغيرهم في أعيادهم وعباداتهم وتواريخهم وغير ذلك من أمورهم من الاضطراب والحرج، وغير ذلك من المفاسد؛ ازداد شكره على نعمة الإسلام،مع اتفاقهم أن الأنبياء لم يشرعوا شيئا من ذلك، وإنما دخل عليه م ذلك من جهة المتفلسفة الصابئة الذين أدخلوا في ملتهم، وشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٦/

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٦/

فلهذا ذكرنا ما ذكرن اه حفظا لهذا الدين عن إدخال المفسدين، فإن هذا مما يخاف تغييره، فإنه قد كانت **العرب** في جاهليتها قد غيرت ملة إبراهيم بالنسيء الذي ابتدعته، فزادت به في السنة شهرا جعلتها كبيسا؛ لأغراض." (١)

"ص -٣٠٩- وقد ثبت في الحديث الصحيح حديث **العرباض** بن سارية، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة " .

وفى السنن من حديث سفينة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يصير ملكا عضوضا " . فالمحكي عن أبي حنيفة يقتضي أن قول الخلفاء الراشدين حجة، وما يعلم لأهل المدينة عمل قديم على عهد الخلفاء الراشدون مخالف لسنة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم

والمرتبة الثالثة : إذا تعارض في مسألة دليلان، كحديثين وقياسين جهل أيهما أرجح وأحدهما يعمل به أهل المدينة، ففيه نزاع فمذهب مالك والشافعي أنه يرجح بعمل أهل المدينة، ومذهب أبي حنيفة أنه لا يرجح بعمل أهل المدينة ولأصحاب أحمد وجهان :

أحدهما : وهو قول القاضي أبي يعلى، وابن عقيل أنه لا يرجح .

والثاني : وهو قول أبي الخطاب، وغيره أنه يرجح به قيل هذا هو المنصوص عن أحمد، ومن كلامه قال : إذا رأى أهل المدينة حديثا وعملوا به فهو الغاية، وكان يفتي على مذهب أهل." (٢)

"ص -٤١٥- الاقتصار عليه وعدم زيادة عليه .

وسواء قيل : إن ترك الزيادة من المتكلم أمر وجودي أو قيل : إنه عدمي . فإن أكثر الناس يقولون : الترك أمر وجودي يقوم بذات التارك، وذهب أبو هاشم وطائفة إلى أنه عدمي ويسمون الذمية؛ لأنهم يقولون : العبد يذم على ما لم يفعله، وعلى التقديرين فهو يقصد الدلالة باللفظ وحده لا باللفظ مع المعنى، وكونه وحده قيد في الدلالة؛ وهذا القيد منتف إذا كان معه لفظ آخر .

ثم العادة في اللفظ أن الزيادة في الألفاظ المقيدة نقص من اللفظ المفرد ولهذا يقال : الزيادة في الحد نقص في المحدود، وكلما زادت قيود اللفظ العام نقص معناه؛ فإذا قال : [الإنسان؛ والحيوان] كان معنى هذا أعم من معنى الإنسان **العربي**؛ والحيوان الناطق .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٦/

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٧/

الوجه الخامس : لا جائز أن يقال بكونها حقيقة فيها، لأنها حقيقة فيما سواها بالاتفاق، فإن لفظ الأسد حقيقة في السبع، والحمار في البهيمة، و الظهر والمتن والساق والكلكل في الأعضاء المخصوصة بالحيوان . ولو كانت حقيقة فيما ذكر كان اللفظ مشتركا، ولو كان مشتركا لما سبق إلى الفهم عند الإطلاق هذا البعض دون بعض ضرورة التساوي في الدلالة الحقيقية .." (١)

"ص -١٠١- النقض لم يبق ما يوجب القتل عنده بلا مماثلة إلا الزنا وهو من نوع العدوان أيضا ووقوع القتل به نادر، لخفائه وصعوبة الحجة عليه .

الثالث : أن العقوبة في الدنيا لا تدل على كبر الذنب وصغره، فإن الدنيا ليست دار الجزاء وإنما دار الجزاء هي الآخرة ولكن شرع من العقوبات في الدنيا ما يمنع الفساد والعدوان كما قال تعالى : ﴿من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ﴾ [المائدة : ٣٢] وقالت الملائكة : ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ [البقرة : ٣٠] . فهذان السببان اللذان ذكرتهما الملائكة هما اللذان كتب الله على بني إسرائيل القتل بهما، ولهذا يقر كفار أهل الذمة بالجزية مع أن ذنبهم في ترك الإيمان أعظم باتفاق المسلمين من ذنب من نقتله من زان وقاتل . فأبو حنيفة رأى أن الكفر مطلقا إنما يقاتل صاحبه لمحاربته فمن لا حراب فيه لا يقاتل ولهذا يأخذ الجزية من غير أهل الكتاب العرب وإن كانوا وثنيين . وقد وافقه على ذلك مالك وأحمد في أحد قوليه ومع هذا يجوز القتل تعزيرا وسياسة في مواضع .." (٢)

"ص -٤١٦- يقال له : قولك : لو كان حقيقة فيما ذكر كان اللفظ مشتركا ما تعني بالمشترك ؟ إن عنيت الاشتراك الخاص وهو : أن يكون اللفظ دالا على معنيين من غير أن يدل على معنى مشترك بينهما ألبتة فمن الناس من ينازع في وجود معنى هذا في اللغة الواحدة التي تستند إلى وضع واحد؛ ويقول : إنما يقع هذا في موضعين كما يسمي هذا ابنه باسم ويسمي آخر ابنه بذلك الاسم . وهم لا يقولون : إن تسمية الكوكب سهيلا والمشتري وقلب الأسد والنسر ونحو ذلك هو باعتبار وضع ثان سماها من سماها من العرب وغيرها بأسماء منقولة كالأعلام المنقولة كما يسمي الرجل ابنه كلبا وأسدا ونمرا وبحرا ونحو ذلك . ولا ريب أن الاشتراك بهذا المعنى مما لا ينازع فيه عاقل، لكن معلوم أن هذا وضع ثان وهذا لا يغيره دلالة الأعلام الموضوعة على مسمياتها، والعلامة المميزة في المجاز وإن كان المسمى بالاسم قد يقصد به

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٧/

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٨/

اتصاف المسمى إما التفاؤل بمعناها؛ وإما دفع العين عنه؛ وإما تسميته باسم محبوب له من أب أو أستاذ أو مميز؛ أو يكون فيه معنى محمود كعبد الله وعبد الرحمن ومحمد وأحمد . لكن بكل حال هذا وضع ثان لهذا واللفظ بهذا الاعتبار يصير به مشتركا ولهذا احتيج في الأعلام إلى التمييز باسم الأب أو الجد مع الأب إذا لم يحصل التمييز باسمه واسم أبيه وإن حصل التمييز بذلك اكتفى به كما فعل النبي." (١)

"ص -١١٥- فأئمة هؤلاء هم شيوخ المشركين الذين يعبدون الأصنام مثل الكهان والسحرة الذين كانوا **للعرب** المشركين، ومثل الكهان الذين هم بأرض الهند والترك وغيرهم .

ومن هؤلاء من إذا مات لهم ميت يعتقدون أنه يجيء بعد الموت، فيكلمهم ويقضي ديونه، ويرد ودائعه ويوصيهم بوصايا، فإنهم تأتيهم تلك الصورة التي كانت في الحياة، وهو شيطان يتمثل في صورته، فيظنونه إياه .

وكثير ممن يستغيث بالمشائخ فيقول : يا سيدي فلان، أو يا شيخ فلان، اقض حاجتي . فيري صورة ذلك الشيخ تخاطبه، ويقول : أنا أقضي حاجتك وأطيب قلبك فيقضي حاجته، أو يدفع عنه عدوه، ويكون ذلك شيطانا قد تمثل في صورته لما أشرك بالله فدعي غيره .

وأنا أعرف من هذا وقائع متعددة، حتي إن طائفة من أصحابي ذكروا أنهم استغاثوا بي في شدائد أصابتهم . أحدهم كان خائفا من الأرمن، والآخر كان خائفا من التتر، فذكر كل منهم أنه لما استغاث بي رآني في الهوي وقد دفعت عنه عدوه . فأخبرتهم أني لم أشعر بهذا، ولا دفعت عنكم شيئا، وإنما هذا الشيطان تمثل لأحدهم فأغواه لما أشرك بالله تعالي . وهكذا جري لغير واحد من أصحابنا المشائخ مع أصحابهم، يستغيث أحدهم بالشيخ، فيرى." (٢)

"ص -٣٦٤-

فصل

وأما الصعيد : ففيه أقوال، فقيل : يجوز التيمم بكل ما كان من جنس الأرض، وإن لم يعلق بيده؛ كالزرنيخ، الزرنيخ : حجر منه أبيض وأحمر وأصفر . والنورة، النورة : الزهر الأبيض، والجص، الجص : هو ما يطلي به، وهو **معرب**، وكالصخرة الملساء، فأما ما لم يكن من جنسها كالمعادن فلا يجوز التيمم به . وهو قول أبي حنيفة . ومحمد يوافقه، لكن بشرط أن يكون مغبرا لقوله : ﴿منه﴾ .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٨/

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٨/

وقيل : يجوز بالأرض، وبما اتصل بها حتى بالشجر، كما يجوز عنده وعند أبي حنيفة بالحجر، والمدر، وهو قول مالك، وله في الثلج روايتان :

إحداهما : يجوز التيمم به، وهو قول الأوزاعي والثوري . وقيل يجوز بالتراب والرمل، وهو أحد قولي أبي يوسف، وأحمد في إحدى الروايتين، وروي عنه أنه يجوز بالرمل عند عدم التراب .

وقيل : لا يجوز إلا بتراب طاهر له غبار يعلق باليد، وهو قول أبي يوسف، والشافعي، وأحمد في الرواية الأخرى .." (١)

"ص -٤١٨- مع أنها أمور اختيارية ولها مناسبات فتناسب أهل مكان وزمان من ذلك ما لا تناسب أهل زمان آخر، كما يختار الناس من ذلك في الشتاء والبلاد الباردة ما لا يختارونه في الصيف والبلاد الحارة مع وجود المناسبة الداعية لهم؛ إذ كانوا يختارون في الحر من المأكل الخفيف والفاكهة ما يخف هضمه لبرد بواطنهم وضعف القوى الهاضمة، وفي الشتاء والبلاد الباردة يختارون من المآكل الغليظة ما يخالف ذلك لقوة الحرارة الهاضمة في بواطنهم أو كان زمن الشتاء تسخن فيه الأجواف وتبرد الظواهر من الجماد والحيوان والشجر وغير ذلك لكون الهواء يبرد في الشتاء، وشبيه الشيء منجذب إليه فينجذب إليه البرد فتسخن الأجواف وفي الحر يسخن الهواء فتنجذب إليه الحرارة فتبرد الأجواف فتكون الينابيع في الصيف باردة لبرد جوف الأرض وفي الشتاء تسخن لسخونة جوف الأرض .

والمقصود هنا أن بشرا من الناس ليس عباد بن سليمان وحده بل كثير من الناس بل أكثر المحققين من علماء العربية والبيان يثبتون المناسبة بين الألفاظ والمعاني، ويقسمون الاشتقاق إلى ثلاثة أنواع :

الاشتقاق الأصغر وهو اتفاق اللفظين فى الحروف والترتيب مثل علم وعالم وعليم .

والثاني الاشتقاق الأوسط وهو اتفاقهما فى الحروف دون الترتيب." (٢)

"ص -٢٣٧- وأيضا،فلو أمرهم بذلك لكانوا ينقلونه ويأمرون به . ولم ينقل عن أحد من الصحابة أنه أمر بالوضوء من مجرد المس العارى عن شهوة، بل تنازع الصحابة في قوله تعالى : ﴿أو لامستم النساء﴾ [المائدة : ٦] ، فكان ابن عباس وطائفة يقولون : الجماع، ويقولون : الله حيى كريم يكنى بما يشاء عما شاء . وهذا أصح القولين .

وقد تنازع عبد الله بن عمر والعرب وعطاء بن أبي رباح والموالي : هل المراد به الجماع أو ما دونه ؟ فقالت

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٠/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٠/

العرب : هو الجماع . وقالت : الموالي هو ما دونه . وتحاكموا إلى ابن عباس فصوب العرب وخطأ الموالي .

وكان ابن عمر يقول : قبلة الرجل امرأته ومسها بيده من الملامسة،وهذا قول مالك وغيره من أهل المدينة .
ومن الناس من يقول : إن هذا قول ابن عمر وابن مسعود؛ لكونهما كانا لا يريان التيمم للجنب، فيتأولان الآية على نقض الوضوء، ولكن قد صرح في الآية أن الجنب يتيمم .
وقد ناظر أبو موسى ابن مسعود بالآية فلم يجبه ابن مسعود بشيء وقد ذكر ذلك البخاري في صحيحه، فعلم أن ذلك كان من عدم استحضاره لموجب الآية .." (١)

"ص -٢٨٣- ما جري لغيرنا، لكن الاعتماد في الأجوبة العلمية على ما يشترك الناس في علمه، لا يكون لما يختص بعلمه المجيب، إلا أن يكون الجواب لمن يصدقه فيما يخبر به .
وسئل عمن يقول : يا أزران : ياكيان ! هل صح أن هذه أسماء وردت بها السنة، لم يحرم قولها ؟
فأجاب :
الحمد لله، لم ينقل هذه عن الصحابة أحد، لا بإسناد صحيح، ولا بإسناد ضعيف، ولا سلف الأمة، ولا أئمتها . وهذه الألفاظ لا معنى لها في كلام العرب؛ فكل اسم مجهول ليس لأحد أن يرقى به، فضلا عن أن يدعو به، ولو عرف معناها وأنه صحيح، لكره أن يدعو الله بغير الأسماء العربية .
وسئل عمن أصيب بمرض، فإذا اشتد عليه الوجع، استغاث بالله تعالي ويبكى . فهل تكون استغاثته مما ينافي الصبر المأمور به أو هو." (٢)

"ص -٢٣٠- الوجه السادس : أن تعليق الشرف في الدين بمجرد النسب هو حكم من أحكام الجاهلية، الذين اتبعتهم عليه الرافضة وأشباههم من أهل الجهل؛فإن الله تعالى قال : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [الحجرات : ١٣] وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا فضل لعربي على عجمي،ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أبيض ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى . الناس من آدم وآدم من تراب " ؛ ولهذا ليس في كتاب الله آية واحدة يمدح فيها أحدا بنسبه، ولا يذم أحدا بنسبه، وإنما يمدح بالإيمان والتقوى، ويذم بالكفر والفسوق والعصيان وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال : " أربع من أمر الجاهلية في أمتي لن

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٠/
(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٠/

يدعوهن : الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والنياحة، والاستسقاء بالنجوم " فجعل الفخر بالأحساب من أمور الجاهلية، فإذا كان المسلم لا فخر له على المسلم بكون أجداده لهم حسب شريف، فكيف يكون لكافر من أهل الكتاب فخر على كافر من أهل الكتاب بكون أجداده كانوا مؤمنين ؟ وإذا لم تكن مع التماثل في الدين فضيلة لأحد الفريقين على الآخرين في الدين لأجل النسب علم أنه لا فضل لمن كان من اليهود والنصارى آباؤه مؤمنين متمسكين بالكتاب الأول قبل النسخ والتبديل على من كان أبوه داخلا فيه بعد النسخ والتبديل . وإذا تماثل دينهما تماثل حكمهما في الدين .." (١)

"ص -٨٢- السائل، ويستغيث به عند المصائب يقول : يا سيدى فلان، كأنه يطلب منه إزالة ضره أو جلب نفعه، وهذا حال النصارى في المسيح وأمه وأحبارهم ورهبانهم . ومعلوم أن خير الخلق وأكرمهم على الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأعلم الناس بقدره وحقه أصحابه، ولم يكونوا يفعلون شيئا من ذلك؛ لا في مغيبه، ولا بعد مماته . وهؤلاء المشركون يضمون إلى الشرك الكذب، فإن الكذب مقرون بالشرك، وقد قال تعالى : ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ﴾ [الحج : ٣٠ : ٣١] . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " عدلت شهادة الزور الإشراك بالله " مرتين، أو ثلاثا . وقال تعالى : ﴿إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين ﴾ [الأعراف : ١٥٢] ، وقال الخليل عليه السلام : ﴿أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين ﴾ [الصافات : ٨٦ : ٨٧] .

فمن كذبهم أن أحدهم يقول عن شيخه : إن المريد إذا كان بالمغرب وشيخه بالمشرق وانكشف غطاؤه رده عليه، وإن الشيخ إن لم يكن كذلك لم يكن شيخا . وقد تغويهم الشياطين، كما تغوى عباد الأصنام كما كان يجرى في العرب في أصناهم، ولعباد الكواكب وطلاسمها من الشرك والسحر، كما يجرى للتتار، والهند، والسودان، وغيرهم من أصناف المشركين؛ من إغواء الشياطين ومخاطبتهم ونحو ذلك .." (٢)

"ص -٢٣١- والشريعة إنما علقت بالنسب أحكاما مثل كون الخلافة من قريش، وكون ذوي القربي لهم الخمس، وتحريم الصدقة على آل محمد صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك؛ لأن النسب الفاضل مظنة أن يكون أهله أفضل من غيرهم : كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا " ، والمظنة تعلق الحكم بما إذا خفيت الحقيقة

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٠/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٠/

أو انتشرت . فأما إذا ظهر دين الرجل الذي به تتعلق الأحكام وعرف نوع دينه وقدره لم يتعلق بنسبه الأحكام الدينية؛ ولهذا لم يكن لأبي لهب مزية على غيره لما عرف كفره كان أحق بالذم من غيره؛ ولهذا جعل لمن يأتي بفاحشة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ضعفين من العذاب، كما جعل لمن يقنت منهن لله ورسوله أجرين من الثواب .

فذوو الأنساب الفاضلة إذا أساؤوا كانت إساءتهم أغلظ من إساءة غيرهم، وعقوبتهم أشد عقوبة من غيرهم، فكفر من كفر من بني إسرائيل إن لم يكن أشد من كفر غيرهم وعقوبتهم أشد عقوبة من غيرهم فلا أقل من المساواة بينهم؛ ولهذا لم يقل أحد من العلماء إن من كفر وفسق من قريش **والعرب** تخفف عنه العقوبة في الدنيا أو في الآخر، بل إما أن تكون عقوبتهم أشد عقوبة من غيرهم في أشهر القولين، أو تكون عقوبتهم أغلظ في القول الآخر؛ لأن من أكرمه بنعمته ورفع قدره إذا قابل حقوقه بالمعاصي وقابل نعمه بالكفر كان أحق بالعقوبة ممن لم ينعم عليه كما أنعم عليه .." (١)

"ص -٢٠٥- الحشيشة وشربها كان حراما . ونبينا صلى الله عليه وسلم بعث بجوامع الكلم فإذا قال كلمة جامعة كانت عامة في كل ما يدخل في لفظها ومعناها، سواء كانت الأعيان موجودة في زمانه أو مكانه، أو لم تكن .

فلما قال : "كل مسكر حرام " ، تناول ذلك ما كان بالمدينة من خمر التمر وغيرها، وكان يتناول ما كان بأرض اليمن من خمر الحنطة والشعير والعسل وغير ذلك، ودخل في ذلك ما حدث بعده من خمر لبن الخيل الذي يتخذه الترك ونحوهم . فلم يفرق أحد من العلماء بين المسكر من لبن الخيل، والمسكر من الحنطة والشعير، وإن كان أحدهما موجودا في زمنه كان يعرفه، والآخر لم يكن يعرفه؛ إذ لم يكن بأرض **العرب** من يتخذ خمرا من لبن الخيل .

وهذه الحشيشة فإن أول ما بلغنا أنها ظهرت بين المسلمين في أواخر المائة السادسة وأوائل السابعة، حيث ظهرت دولة التتر، وكان ظهورها مع ظهور سيف جنكسخان، لما أظهر الناس ما نهاهم الله ورسوله عنه من الذنوب سلط الله عليهم العدو، وكانت هذه الحشيشة الملعونة من أعظم المنكرات، وهي شر من الشراب المسكر من بعض الوجوه، والمسكر شر منها من وجه آخر، فإنها مع أنها تسكر آكلها حتى يبقى مصطولا

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢١/

تورث التخنيث والديوثة، وتفسد المزاج، فتجعل الكبير كالسفنجة وتوجب كثرة الأكل، وتورث الجنون، وكثير من الناس صار مجنونا بسبب أكلها .." (١)

"ص -٣١٥- وكذلك إجماع الصحابة أيضا من أقوى الأدلة الشرعية، فنفي الحكم بالاستحباب لانتفاء دليل معين من غير تأمل باقي الأدلة خطأ عظيم، فإن الله يقول : ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ [فصلت : ١٠] ، وقال تعالى : ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ [البقرة : ٢٩] ، وقال تعالى : ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه﴾ [الجاثية : ١٣] ، وقال تعالى : ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾ [النحل : ٨] ، ولم تكن البغال موجودة بأرض **العرب**، ولم يركب النبي صلى الله عليه وسلم بغلة إلا البغلة التي أهداها له المقوقس من أرض مصر بعد صلح الحديبية . وهذه الآية نزلت بمكة . ومثلها في القرآن : يمتن الله على عباده بنعمه التي لم تكن بأرض الحجاز كقوله تعالى : ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا﴾ [عبس : ٢٤ ٣١] . ولم يكن بأرض الحجاز زيتون، ولا نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أكل زيتونا . ولكن لعل الزيت كان يجلب إليهم .

وقد قال تعالى : ﴿والتين والزيتون﴾ [التين : ١] ، ولم يكن بأرضهم لا هذا ولا هذا، ولا نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أكل منهما، وكذلك قوله : ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين﴾ [المؤمنون : ٢٠] ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : "كلوا الزيت وادهنوا." (٢)

"ص -٢٦٤- تحصيلها بلسانه، وتحصيل الحاصل محال، فلذلك يقع كثير من الناس في أنواع من الوسواس .

واتفق العلماء على أنه لا يسوغ الجهر بالنية، لا لإمام، ولا لمأموم، ولا لمنفرد، ولا يستحب تكريرها، وإنما النزاع بينهم في التكلم بها سرا : هل يكره أو يستحب ؟

فصل

لفظة [إنما] للحصر عند جماهير العلماء، وهذا مما يعرف بالاضطرار من لغة **العرب**، كما تعرف معاني حروف النفي والاستفهام والشرط، وغير ذلك، لكن تنازع الناس : هل دلالتها على الحصر بطريق المنطوق

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢١/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٢/

أو المفهوم ؟ على قولين، والجمهور على أنه بطريق المنطوق، والقول الآخر قول بعض مثبتي المفهوم، كالقاضي أبي يعلى في أحد قوليه، وبعض الغلاة من نفاته، وهؤلاء زعموا أنها تفيد الحصر، واحتجوا بمثل قوله : ﴿ إنما المؤمنون ﴾ [الأنفال : ٢] .

وقد احتج طائفة من الأصوليين على أنها للحصر بأن حرف [إن] للإثبات وحرف [ما] للنفي فإذا اجتمعا حصل النفي والإثبات جميعا." (١)

"ص -١٤٢- فاليمين التي يقصد بها الحض، أو المنع، أو التصديق، أو التكذيب بالتزامه عند المخالفة ما يكره وقوعه سواء كانت بصيغة القسم، أو بصيغة الجزاء، يمين عند جميع الخلق من **العرب** وغيرهم؛ فإن كون الكلام يمينا مثل كونه أمرا أو نهيا وخبرا . وهذا المعنى ثابت عند جميع الناس، **العرب** وغيرهم، وإنما تتنوع اللغات في الألفاظ، لا في المعاني، بل ما كان معناه يمينا أو أمرا أو نهيا عند العجم فكذلك معناه يمين أو أمر أو نهي عند **العرب** . وهذا أيضا يمين الصحابة رضوان الله عليهم وهو يمين في العرف العام، ويمين عند الفقهاء كلهم .

وإذا كان يمينا فليس في الكتاب والسنة لليمين إلا حكمان : إما أن تكون اليمين منعقدة محترمة ففيها الكفارة، وإما ألا تكون منعقدة محترمة كالحلف بالمخلوقات : مثل الكعبة، والملائكة، وغير ذلك فهذا لا كفارة فيه بالاتفاق . فأما يمين منعقدة، محترمة، غير مكفرة، فهذا حكم ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يقوم دليل شرعي سالم عن المعارض المقام . فإن كانت هذه اليمين من أيمان المسلمين فقد دخلت في قوله تعالى للمسلمين : ﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ﴾ [التحريم : ٢] ، وإن لم تكن من أيمانهم، بل كانت من الحلف بالمخلوقات، فلا يجب بالحنث، لا كفارة ولا غيرها، فتكون مهدرة .." (٢)

"ص -٢٣٩- بالعجز كغيره من الشرائط، فإنه لو لم يمكنه أن يطوف إلا عريانا لكان طوافه عريانا أهون من صلاته عريانا، وهذا واجب بالاتفاق، فالطواف مع **العربي** إذا لم يمكن إلا ذلك أولي وأحري .

وإنما قل تكلم العلماء في ذلك لأن هذا نادر، فلا يكاد بمكة يعجز عن سترة يطوف بها، لكن لو قدر أنه سلب ثيابه، والقافلة خارجون لا يمكنه أن يتخلف عنهم، كان الواجب عليه فعل ما يقدر عليه من الطواف مع العري، كما تطوف المستحاضة، ومن به سلس البول مع أن النهي عن الطواف عريانا أظهر وأشهر في

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٢/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٢/

الكتاب والسنة، من طواف الحائض .

وهذا الذي ذكرته هو مقتضي الأصول المنصوصة . العامة المتناولة لهذه الصورة لفظا ومعني، ومقتضي الاعتبار والقياس على الأصول التي تشابهها، والمعارض لها إنما لم يجد للعلماء المتبوعين كلاما في هذه الحادثة المعينة، كما لم يجد لهم كلاما فيما إذا لم يمكنه الطواف إلا عريانا، وذلك لأن الصور التي لم تقع في أزمنتهم لا يجب أن تخطر بقلوبهم، ليجب أن يتكلموا فيها . ووقوع هذا وهذا في أزمنتهم إما معدوم، وإما نادر جدا، وكلامهم في هذا الباب مطلق عام، وذلك يفيد العموم، لو لم تختص الصورة المعينة بمعان توجب الفرق والاختصاص، وهذه الصورة قد لا يستحضرها المتكلم باللفظ العام من." (١)

"ص -٢٣٢- الوجه السابع : أن يقال : أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتحوا الشام والعراق ومصر وخراسان وغيرهم كانوا يأكلون ذبائحهم، لا يميزون بين طائفة وطائفة، ولم يعرف عن أحد من الصحابة الفرق بينهم بالأنساب، وإنما تنازعوا في بني تغلب خاصة؛ لأمر يختص بهم كما أن عمر ضعف عليهم الزكاة وجعل جزيتهم مخالفة لجزية غيرهم، ولم يلحق بهم سائر **العرب**، وإنما ألحق بهم من كان بمنزلتهم .

الوجه الثامن : أن يقال : هذا القول مستلزم ألا يحل لنا طعام جمهور من أهل الكتاب؛ لأنا لا نعرف نسب كثير منهم، ولا نعلم قبل أيام الإسلام أن أجداده كانوا يهودا أو نصارى قبل النسخ والتبديل، ومن المعلوم أن حل ذبائحهم ونسائهم ثبت بالكتاب والسنة والإجماع، فإذا كان هذا القول مستلزما رفع ما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع، علم أنه باطل .

الوجه التاسع : أن يقال : ما زال المسلمون في كل عصر ومصر يأكلون ذبائحهم، فمن أنكر ذلك فقد خالف إجماع المسلمين . وهذه الوجوه كلها لبيان رجحان القول بالتحليل ، وأنه مقتضى الدليل . فأما أن مثل هذه المسألة أو نحوها من مسائل الاجتهاد يجوز لمن تمسك فيها بأحد القولين أن ينكر على الآخر بغير حجة ودليل، فهذا خلاف إجماع المسلمين .." (٢)

"ص -٥٩- أو أن من الأولياء من يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهذا كافر يجب قتله بعد استتابته؛ لأن موسى عليه السلام لم تكن دعوته عامة، ولم يكن يجب على الخضر اتباع موسى عليهما السلام بل قال الخضر لموسى : إني

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٢/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٢/

على علم من الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من الله علمكه الله لا أعلمه .

فأما محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جميع الثقلين؛ الجن والإنس، عربهم وعجمهم، دانيهم وقاصيهم، ملوكهم ورعيتهم، زهادهم وغير زهادهم . قال الله تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ [سبأ : ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض ﴾ [الأعراف : ١٥٨] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : "كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة " . وهو خاتم الرسل، ليس بعده نبي ينتظر، ولا كتاب يرتقب، بل هو آخر الأنبياء، والكتاب الذى أنزل عليه مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه . فمن اعتقد أن لأحد من جميع الخلق علمائهم وعبادهم وملوكهم خروجا عن اتباعه وطاعته وأخذ ما بعث به من الكتاب والحكمة، فهو كافر .

ويجب التفريق بين العبادات الإسلامية الإيمانية النبوية الشرعية التى." (١)

"ص -٦٥٠- والصدقة المفروضة واجبة وقد روي أنها هي المنذورة .

وهذا نص في أنه يجب بالنذر ما كان واجبا بالشرع فإذا تركه عوقب لإخلاف الوعد الذي هو النذر فإن النذر وعد مؤكد هكذا نقل عن العرب وهذه الآية تسمى النذر وعدا .

وقوله : ﴿لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل ﴾ [يوسف : ٦٦] ورده إلى أبيه كان واجبا عليهم بلا موثق . ومن الحرب المباحة دفع الظالم عن النفوس والأموال والأبضاع المعصومة .

وإنما جاءت الرخصة في السلم والحرب خاصة لأن هذين الموطنين مبناهما على تأليف القلوب وتنفيرها فإذا تألفت فهي المسالمة وإذا تنافرت فهي المحاربة والتأليف والتنفير يحصل بالتوهمات كما يحصل بالحقائق، ولهذا يؤثر قول الشعر في التأليف والتنفير بحيث يحرك النفوس شهوة ونفرة تحريكا عظيما وإن لم يكن الكلام منطبقا على الحق، لكن لأجل تخييل أو تمثيل .

فلما كانت المسالمة والمحاربة الشرعية يقوم فيها التوهم لما لا حقيقة له مقام توهم ما له حقيقة ولم يكن في المعارض إلا الإيهام بما لا حقيقة له والناطق لم يعن إلا الحق صار ذلك حقا وصدقا عند المتكلم

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٢/

وموهما للمستمع توهما يؤلفه تأليفا يحبه الله ورسوله أو ينفره تنفيرا يحبه الله ورسوله بمنزلة تأليفه وتنفيره بالأشعار التي فيها تخييل وتمثيل وبمنزلة." (١)

"ص -٢٦٥- وهذا خطأ عند العلماء **بالعربية**؛ فإن [ما] هنا هي ما الكافة، ليست ما النافية، وهذه الكافة تدخل على إن وأخواتها فتكفها عن العمل، وذلك لأن الحروف العاملة أصلها أن تكون للاختصاص؛ فإذا اختصت بالاسم أو بالفعل ولم تكن كالجزء منه عملت فيه، فإن وأخواتها اختصت بالاسم فعملت فيه، وتسمي الحروف المشبهة للأفعال؛ لأنها عملت نصبا ورفعا وكثرت حروفها، وحروف الجر اختصت بالاسم فعملت فيه، وحروف الشرط اختصت بالفعل فعملت فيه، بخلاف أدوات الاستفهام فإنها تدخل على الجملتين ولم تعمل، وكذلك ما المصدرية .

ولهذا القياس في ما النافية ألا تعمل أيضا على لغة تميم، ولكن تعمل على اللغة الحجازية التي نزل بها القرآن في مثل قوله تعالى : ﴿ ما هن أمهاتهم ﴾ [المجادلة : ٢] ، و ﴿ ما هذا بشرا ﴾ [يوسف : ٣١] ، استحسانا لمشابهتها [ليس] هنا، لما دخلت ما الكافة على إن أزالت اختصاصها، فصارت تدخل على الجملة الإسمية والجملة الفعلية فبطل عملها، كقوله : ﴿ إنما أنت منذر ﴾ [الرعد : ٧] ، وقوله : ﴿ إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ [الطور : ١٦] .

وقد تكون ما التي بعد إن اسما لا حرفا، كقوله : ﴿ إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ [طه : ٦٩] ، بالرفع، أي : أن الذي صنعوه كيد ساحر، خلاف قوله : ﴿ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ﴾ [طه : ٧٢] ، فإن القراءة بالنصب لا تستقيم إذا كانت ما بمعني الذي، وفي كلا المعنيين الحصر موجود، لكن إذا." (٢)

"ص -٤٢١- وهذا أيضا له أسباب يعرفها النحاة وأهل التصريف إما كثرة الاستعمال، وإما نقل بعض الالفاظ، وإما غير ذلك كما يعرف ذلك أهل النحو والتصريف : اذ كانت أقوى الحركات هي الضمة؛ وأخفها الفتحة؛ والكسرة متوسطة بينهما، فجاءت اللغة على ذلك من الألفاظ **المعربة** والمبنية .

فما كان من **المعربات** عمدة فى الكلام لا بد له منه كان له المرفوع كالمبتدأ والخبر؛ والفاعل والمفعول القائم مقامه، وما كان فضلة كان له النصب كالمفعول؛ والحال؛ والتمييز، وما كان متوسطا بينهما لكونه يضاف إليه العمدة تارة والفضلة تارة كان له الجر وهو المضاف إليه .

وكذلك فى المبنيات مثل ما يقولون في [أين] و [كيف] بنيت على الفتح طلبا للتخفيف لأجل الياء،

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٢/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٣/

وكذلك في حركات الألفاظ المبينة الأقوى له الضم، وما دونه له الفتح، فيقولون كره الشيء والكراهية يقولون فيها كرها بالفتح كما قال تعالى : ﴿ وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون ﴾ [آل عمران ٨٣] وقال : ﴿ائتيا طوعا أو كرها ﴾ [فصلت ١١] ، وكذلك الكسر مع الفتح فيقولون في الشيء المذبوح والمنهوب ذبح ونهب بالكسر كما قال تعالى : ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ [الصافات ١٠٧] وكما في الحديث : أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنهب إبل، في المثل السائر : أسمع جعجعة ولا أرى طحنا بالكسر أي ولا أرى." (١)

"ص -٢٠٧- دخل فيها، وكل ما دخل فيها فهو مذكور في القرآن والحديث باسمه العام، وإلا فلا يمكن ذكر كل شيء باسمه الخاص، فإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى جميع الخلق، وقال : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] ، وقال : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس ﴾ [سبأ : ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿ الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ [الفرقان : ١] ، وقال : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ، فاسم الناس والعالمين يدخل فيه العرب وغير العرب من الفرس والروم، والهند والبربر، فلو قال قائل : إن محمدا ما أرسل إلى الترك والهند والبربر؛ لأن الله لم يذكرهم في القرآن كان جاهلا، كما لو قال : إن الله لم يرسله إلى بني تميم، وبني أسد وغطفان، وغير ذلك من قبائل العرب، فإن الله لم يذكر هذه القبائل بأسمائها الخاصة، وكما لو قال : إن الله لم يرسله إلى أبي جهل وعتبة، وشيبة، وغيره من قريش؛ لأن الله لم يذكرهم بأسمائهم الخاصة في القرآن .

وكذلك لما قال : ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ﴾ [المائدة : ٩٠] ، دخل في الميسر الذي لم تعرفه العرب ولم يعرفه النبي صلى الله عليه وسلم، وكل الميسر حرام باتفاق المسلمين، وإن لم يعرفه النبي صلى الله عليه وسلم كاللعب بالشطرنج وغيره بالعوض فإنه حرام بإجماع المسلمين، وهو الميسر الذي حرمه الله، ولم يكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم . والنرد أيضا من الميسر الذي حرمه الله، وليس في القرآن ذكر النرد والشطرنج باسم." (٢)

"ص -٤٧٢- والامتحان ما جعل لسائر أهل بيته، كجده صلى الله عليه وسلم وأبيه وعمه، وعم أبيه رضي الله عنهم . فإن بني هاشم أفضل قريش، وقريشا أفضل العرب، والعرب أفضل بني آدم . كما صح

---

(١) مجموع الفتاوى ، /٢٣

(٢) مجموع الفتاوى ، /٢٣

ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، مثل قوله في الحديث الصحيح : " إن الله اصطفي من ولد إبراهيم بني إسماعيل، واصطفي كنانة من بني إسماعيل، واصطفي قريشا من كنانة، واصطفي بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم " .

وفي صحيح مسلم عنه أنه قال يوم غدير خم : " أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي " .

وفي السنن أنه شكا إليه العباس : أن بعض قريش يحقرونهم، فقال : " والذي نفسي بيده، لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم لله ولقرابتي " .

وإذا كانوا أفضل الخلق، فلا ريب أن أعمالهم أفضل الأعمال .

وكان أفضلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا عدل له من البشر، ففاضلهم أفضل من كل فاضل من سائر قبائل قريش **والعرب**، بل ومن بني إسرائيل وغيرهم .

ثم علي وحمزة وجعفر وعبيدة بن الحارث هم من السابقين الأولين من المهاجرين . فهم أفضل من الطبقة الثانية من سائر القبائل . ولهذا." (١)

"ص –٤٦٢– وأيضا، فإن الله تعالى ابتلى الناس بهذه الفتنة، ليجزى الصادقين بصدقهم، وهم الثابتون الصابرون، لينصروا الله ورسوله، ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم . ونحن نرجو من الله أن يتوب على خلق كثير من هؤلاء المذمومين؛ فإن منهم من ندم . والله سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات . وقد فتح الله للتوبة بابا من قبل المغرب عرضه أربعون سنة، لا يغلقه حتى تطلع الشمس من مغربها .

وقد ذكر أهل المغازى منهم ابن إسحاق أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى الخندق : " الآن نغزوهم، ولا يغزونا " ، فما غزت قريش ولا غطفان، ولا اليهود المسلمين بعدها، بل غزاهم المسلمون، ففتحوا خيبر ثم فتحوا مكة . كذلك إن شاء الله هؤلاء الأحزاب من المغل وأصناف الترك ومن الفرس، **والمستعربة**، والنصارى، ونحوهم من أصناف الخارجين عن شريعة الإسلام، الآن نغزوهم ولا يغزونا . ويتوب الله على من يشاء م ن المسلمين، الذين خالط قلوبهم مرض أو نفاق، بأن ينيبوا إلى ربهم، ويحسن ظنهم بالإسلام، وتقوى عزيمتهم على جهاد عدوهم . فقد أراهم الله من الآيات ما فيه عبرة لأولى الأبصار، كما قال : ﴿ورد

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٣/

الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا ﴾ [الأحزاب : ٢٥] .." (١)

"ص -٤٢٢- طحينا . ومن قال بالفتح أراد الفعل كما أن الذبح والنهب هو الفعل،

ومن الناس من يغلط هذا القائل .

وهذه الأمور وأمثالها هي معروفة من لغة **العرب** لمن عرفها، معروفة بالاستقراء والتجربة تارة؛ وبالقياس أخرى، كما تفعل الأطباء في طبائع الأجسام، وكما يعرف ذلك في الأمور العادية التي تعرف بالتجربة المركبة من الحس والعقل، ثم قد قيل تعرف مالم تجرب بالقياس، ومعلوم أن هذه الأمور لها أسباب ومناسبات عند جماهير العقلاء من المسلمين وغيرهم ومن أنكر ذلك من النظار فذلك لا يتكلم معه في خصوص مناسبات هذا؛ فإنه ليس عنده في المخلوقات قوة يحصل بها الفعل ولا سبب يخص أحد المتشابهين، بل من أصله أن محض مشيئة الخالق

تخصص مثلا عن مثل بلا سبب ولا لحكمة . فهذا يقول كون اللفظ دالا

على المعنى إن كان بقول الله فهذا لمجرد الاقتران العادي وتخصيص الرب عنده ليس لسبب ولا لحكمة بل نفس الإرادة تخصص مثلا عن مثل بلا حكمة ولا سبب . وإن كان باختيار العبد فقد يكون السبب خطور ذلك اللفظ في القلب الواضع دون غيره، وبسط هذه الأمور له موضع آخر . والمقصود هنا أن الحجة التي." (٢)

"ص -٣١٧- وكان صلى الله عليه وسلم يجاهد من يليه من الكفار من المشركين وأهل الكتاب، فمن جاهد من يليه من هؤلاء فقد اتبع السنة، وإن كان نوع هؤلاء غير نوع أولئك؛ إذ أولئك كان غالبهم **عربا**، ولهم نوع من الشرك هم عليه، فمن جاهد سائر المشركين تركهم، وهندهم وغيرهم، فقد فعل ما أمر الله به . وإن كانت أصنامهم ليست تلك الأصنام .

ومن جاهد اليهود والنصارى فقد اتبع السنة، وإن كان هؤلاء اليهود والنصارى من نوع آخر، غير النوع الذين جاهدهم البنى صلى الله عليه وسلم، فإنه جاهد يهود المدينة : كقريظة، والنضير، وبنى قينقاع، ويهود خيبر، وضرب الجزية على نصارى نجران، وغزا نصارى الشام، **عربها** وورومها، عام تبوك، ولم يكن فيها قتال، وأرسل إليهم زيدا، وجعفرا، وعبد الله بن رواحة، قاتلوهم في غزوة مؤتة . وقال : " أميركم زيد، فإن قتل فجعفر فإن

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٣/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٤/

قتل فعبد الله ابن رواحة " .

وصالح أهل البحرين، وكانوا مجوسا على الجزية، وهم أهل هجر وفي الصحيح أنه قدم مال البحرين فجعله في المسجد، وما ثاب حتى قسمه، وهذا باب واسع قد بسطناه في غير هذا الموضع، وميزنا بين السنة والبدعة، وبينا أن السنة هى ما قام الدليل الشرعي عليه بأنه طاعة لله ورسوله، سواء فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو فعل." (١)

"ص -٣٠٤- فإن العلماء تنازعوا على ثلاثة أقوال في الطلاق البائن . فقيل : إن شاء الزوج طلق طلاقا بائنا، وإن شاء طلق طلاقا رجعيا، بناء على أن الرجعة حق له . وإن شاء أثبتها . وإن شاء نفاها . وهذا مذهب أبي حنيفة ورواية عن أحمد . وأظنه رواية عن مالك . وقيل : لا يملك الطلاق البائن ابتداء، بل إذا طلبت منه الإبانة ملك ذلك، وهذا معروف عن مالك، ورواية عن أحمد اختارها الخرقي . وقيل : لا يملك إبانتها بلا عوض، بل سواء طلبت ذلك أو لم تطلبه، ولا يملك إبانتها إلا بعوض . وهذا مذهب أكثر فقهاء الحديث، وهو مذهب الشافعي وأحمد في ظاهر مذهبه، وعليه جمهور أصحابه، وهو قول إسحاق، وأبي ثور، وابن المنذر، وابن خزيمة، وداود وغيرهم، وعليه أكثر النقول الثابتة عن أكثر الصحابة، وعلى هذا القول يدل الكتاب والسنة، فإن الله لم يجعل الطلاق إلا رجعيا، وليس في كتاب الله طلاق بائن من الثلاث، إلا بعوض، لا بغير عوض، بل كل فرقة تكون بائنة فليست من الثلاث .

وأيضا، فإن الخلع والطلاق يصح بغير اللفظ **العربي** باتفاق الأئمة، ومعلوم أنه ليس في لغة العجم لفظ يفرق مع العوض بين ما هو خلع وما هو طلاق ليس بخلع، وإنما يفرق بينهما ما يختص بالخلع من دخول العوض فيه وطلب المرأة الفرقة . فلفظ الطلاق يضاف إلى غير المرأة،كقولهم : طلقت الدنيا، وطلقت ودك . وإذا أضيف إلى المرأة فقد يراد به الطلاق من غير الزوج،كما تقول أنت : طالق من وثاق، أو طالق من الهموم والأحزان." (٢)

"ص -٤٩٠- تأخر كسيرة عثمان وعلى، والبدع بالضد،كل ما بعد عنه كان شرا مما قرب منه، وأقربها من زمنه الخوارج . فإن التكلم ببدعتهم ظهر فى زمانه، ولكن لم يجتمعوا وتصير لهم قوة إلا فى خلافة أمير المؤمنين على رضي الله عنه .

ثم ظهر فى زمن على التكلم بالرفض، لكن لم يجتمعوا ويصير لهم قوة إلا بعد مقتل الحسين رضي الله عنه

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٤/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٤/

بل لم يظهر اسم الرفض إلا حين خروج زيد بن على بن الحسين بعد المائة الأولى لما أظهر الترحم على أبى بكر وعمر رضي الله عنهما رفضته الرافضة فسموا [رافضة] ، واعتقدوا أن أبا جعفر هو الإمام المعصوم . واتبعه آخرون فسموا [زيدية] نسبة إليه .

ثم فى أواخر عصر الصحابة نبغ التكلم ببدعة القدرية والمرجئة، فردها بقايا الصحابة، كابن عمر، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وأبى سعيد، وواثلة بن الأسقع، وغيرهم، ولم يصر لهم سلطان واجتماع حتى كثرت المعتزلة والمرجئة بعد ذلك .

ثم فى أواخر عصر التابعين ظهر التكلم ببدعة الجهمية نفاة الصفات ولم يكن لهم اجتماع وسلطان إلا بعد المائة الثانية فى إمارة أبى العباس الملقب بالمأمون؛ فإنه أظهر التجهم، وامتحن الناس عليه، وعرب كتب." (١)

"ص -٤٩٧- ولهذا لم يرد بتنجيس الكثير أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه . واختلف كلام أحمد رحمه الله في تنجيس الكثير . وأما القليل فإنه ظن صحة حديث معمر فأخذ به . وقد اطلع غيره على العلة القادحة فيه ولو اطلع عليها لم يقل به ولهذا نظائر : كان يأخذ بحديث ثم يتبين له ضعفه فيترك الأخذ به، وقد يترك الأخذ به قبل أن تتبين صحته، فإذا تبين له صحته أخذ به، وهذه طريقة أهل العلم والدين رضي الله عنهم .

ولظنه صحته، عدل إليه عما رآه من آثار الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فروى صالح بن أحمد في مسائله عن أبيه أحمد بن حنبل : ثنا أبي، ثنا إسماعيل، ثنا عمارة بن أبي حفصة، عن عكرمة : أن ابن عباس سئل عن فأرة ماتت في سمن قال : تؤخذ الفأرة وما حولها . قلت : يا مولانا فإن أثرها كان في السمن كله، قال : عضضت بهن أبيك، إنما كان أثرها بالسمن وهي حية، وإنما ماتت حيث وجدت . ثنا أبي، ثنا وكيع، ثنا النضر بن عربى، عن عكرمة، قال : جاء رجل إلى ابن عباس فسأله عن جر فيه زيت وقع فيه جرذ فقال ابن عباس : خذه وما حوله فألقه، وله : قلت : أليس جال في الجر كله ؟ قال : إنه جال وفيه الروح، فاستقر حيث مات . وروى الخلال عن صالح قال : ثنا أبي، ثنا وكيع، ثنا سفيان، عن حمران بن أعين، عن أبي حرب بن أبي." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، /٢٤

(٢) مجموع الفتاوى ، /٢٥

"ص –٣١٨– على زمانه، أو لم يفعله، ولم يفعل على زمانه لعدم المقتضى حينئذ لفعله، أو وجود المانع منه .

فإنه إذا ثبت أنه أمر به أو استحبه فهو سنة، كما أمر بإجلاء اليهود والنصارى من جزيرة **العرب**، وكما جمع الصحابة القرآن في المصحف، وكما داوموا على قيام رمضان في المسجد جماعة، وقد قال صلى الله عليه وسلم : " لا تكتبوا عنى غير القرآن، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه " فشرع كتابة القرآن؛ وأما كتابة الحديث فنهى عنها أولا، وذلك منسوخ عند جمهور العلماء بإذنه لعبد الله بن عمرو أن يكتب عنه ما سمعه، في الغضب والرضا، وبإذنه لأبي شاه أن تكتب له خطبته عام الفتح، وبما كتبه لعمرو بن حزم من الكتاب الكبير الذي كتبه له لما استعمله على نجران، وبغير ذلك .

والمقصود هنا أن كتابة القرآن مشروعة، لكن لم يجمعه في مصحف واحد؛ لأن نزوله لم يكن تم، وكانت الآية قد تنسخ بعد نزولها، فلوجود الزيادة والنقص لم يمكن جمعه في مصحف واحد، حتى مات . وكذلك قيام رمضان . قد قال صلى الله عليه وسلم : " إن الرجل إذا قام مع الإمام حتى ينصرف، كتب له قيام ليلة " وقام في أول الشهر بهم ليلتين، وقام في آخر الشهر ليالى، وكان الناس يصلون على عهده في المسجد فرادى وجماعات، لكن لم يداوم بهم على الجماعة، خشية أن." (١)

"ص –٣٦٠– الجهاد، فإذا قيل له : لا يحل لك أن تأخذ شيئا من هذا، بل ارفع يدك عن هذا الإقطاع، فتركه وأخذه من يريد الظلم، ولا ينفع المسلمين : كان هذا القائل مخطئا جاهلا بحقائق الدين، بل بقاء الجند من الترك **والعرب** الذين هم خير من غيرهم، وأنفع للمسلمين، وأقرب للعدل على إقطاعهم، مع تخفيف الظلم بحسب الإمكان، خير للمسلمين من أن يأخذ تلك الإقطاعات من هو أقل نفعا وأكثر ظلما .

والمجتهد من هؤلاء المقطعين كلهم في العدل والإحسان بحسب الإمكان، يجزيه الله على ما فعل من الخير، ولا يعاقبه على ما عجز عنه، ولا يؤاخذه بما يأخذ ويصرف إذا لم يكن إلا ذلك –كان ترك ذلك يوجب شرا أعظم منه . والله أعلم .." (٢)

"ص –٢٠٩– العلماء، وإن لم تكن تلك المياه معروفة عند المسلمين على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى : ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة : ٥] ، فدخل فيه كل مشرك من

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٥/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٥/

العرب وغير العرب، كمشركي الترك، والهند، والبربر، وإن لم يكن هؤلاء ممن قتلوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ [التوبة : ٢٩] ، يدخل فيه جميع أهل الكتاب، وإن لم يكونوا ممن قتلوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فإن الذين قتلوا على زمانه كانوا من نصاري العرب والروم، وقاتل اليهود قبل نزول هذه الآية، وقد دخل فيها النصاري من القبط، والحبشة، والجركس، والأل، واللاص، والكرج، وغيرهم فهذا وأمثاله نظير عموم القرآن لكل ما دخل في لفظه ومعناه، وإن لم يكن باسمه الخاص .

ولو قدر بأن اللفظ لم يتناوله وكان في معنى ما في القرآن والسنة ألحق به بطريق الاعتبار والقياس، كما دخل اليهود والنصاري والفرس في عموم الآية ودخلت جميع المسكرات في معنى خمر العنب، وأنه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالكتاب والميزان، ليقوم الناس بالقسط." (١)

"ص -٣٨٢- أن يجعل ذلك الفضل ويلبسها فضلا آخر، فلا يمكنه أن يجعل الحنطة شعيرا، ولا الفرس حمارا، ولا الحمار ثورا . وكذلك لا يمكنه أن يجعل الفضة ذهبا ولا النحاس فضة، وأمثال ذلك، وإنما غايته يشبه وجوده، ويدلس .

ومن زعم من الكيماوية أن الفضة ذهب لم يستكمل نضجه، فقد كذب، بل لهذا معدن، ولهذا معدن، كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قيل له : أي الناس أكرم ؟ فقال : " أتقاهم " . فقالوا : لسنا نسألك عن هذا؛ فقال : " يوسف نبي الله، ابن يعقوب نبي الله، ابن إسحاق نبي الله، ابن إبراهيم خليل الله " . فقالوا : لسنا نسألك عن هذا . فقال : " أفعن معادن العرب تسألوني ؟ الناس معادن كمعادن الذهب والفضة " ، فكما أن قريشا ليس أصلها أصل تميم، وعدنان ليس أصلها أصل قحطان، والعرب ليس أصلها أصل العجم، فكذلك ليس أصل الذهب أصل الفضة، ولا أصل الفضة أصل الذهب، وإن قدر أن معدن الذهب يكون فيه فضة، كما يكون في معدن الفضة نحاس، فكذلك خبث المعادن .

ومعلوم أن المستخرج من المعدن لابد من تصفيته من خبثه، والناس يعلمون ماشاء الله من معادن الفضة لا يخرج منها ذهب . ولو كانت الفضة إذا أكمل طبخها صارت ذهبا، لكان يخرج من معادن الفضة

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٥/

ذهب، إلا أن يقال : ليس من طبيعة ذلك المعدن حرارة طبخها . فيقال : هذا أيضا مما يبطل الكيماوية؛ وذلك أن الله سبحانه يخلق." (١)

"ص –٩٠– ونحو ذلك . فكيف يعدل المؤمن بالله ورسوله عما شرع الله ورسوله إلى بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، تضاهى دين المشركين والنصارى ؟ !

فإن زعم أحد أن حاجته قضيت بمثل ذلك، وأنه مثل له شيخه ونحو ذلك، فعباد الكواكب والأصنام ونحوهم من أهل الشرك يجرى لهم مثل هذا، كما قد تواتر ذلك عمن مضى من المشركين، وعن المشركين في هذا الزمان . فلولا ذلك ما عبدت الأصنام ونحوها، قال الخليل عليه السلام : ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس ﴾ [إبراهيم : ٣٥، ٣٦] .

ويقال : إن أول ما ظهر الشرك في أرض مكة بعد إبراهيم الخليل من جهة " عمرو بن لحى الخزاعى " ،الذى رآه النبي صلى الله عليه وسلم يجر أمعاءه في النار . وهو أول من سيب السوائب، وغير دين إبراهيم . قالوا : إنه ورد الشام، فوجد فيها أصناما بالبلقاء، يزعمون أنهم ينتفعون بها في جلب منافعهم ودفع مضارهم، فنقلها إلى مكة، وسن للعرب الشرك وعبادة الأصنام .

والأمور التى حرمها الله ورسوله، من الشرك، والسحر، والقتل، والزنا وشهادة الزور، وشرب الخمر وغير ذلك من المحرمات، قد يكون للنفس فيها حظ مما تعده منفعة، أو دفع مضرة، ولولا ذ لك ما أقدمت النفوس على المحرمات التى لا خير فيها بحال، وإنما يوقع النفوس في المحرمات الجهل." (٢)

"ص –٢٧٢– للإمام أن يقول : من أخذ شيئا، فهو له، كما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد قال ذلك في غزوة بدر، إذا رأي ذلك مصلحة راجحة على المفسدة .

وإذا كان الإمام يجمع الغنائم ويقسمها، لم يجز لأحد أن يغل منها شيئا . ﴿ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ﴾ [آل عمران : ١٦١] ، فإن الغلول خيانة، ولا تجوز النهبة، فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنها . فإذا ترك الإمام الجمع والقسمة، وأذن في الأخذ إذنا جائزا، فمن أخذ شيئا بلا عدوان، حل له بعد تخميسه، وكل ما دل على الإذن، فهو إذن . وأما إذا لم يأذن أو أذن إذنا غير جائز، جاز للإنسان أن يأخذ مقدار ما يصيبه بالقسمة، متحريا للعدل في ذلك .

ومن حرم على المسلمين جمع الغنائم والحال هذه وأباح للإمام أن يفعل فيها ما يشاء، فقد تقابل القولان

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٧/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٨/

تقابل الطرفين، ودين الله وسط . والعدل في القسمة : أن يقسم للراجل سهم، وللفارس ذي الفرس **العربي** ثلاثة أسهم : سهم له، وسهمان لفرسه، هكذا قسم النبي صلى الله عليه وسلم عام خيبر . ومن الفقهاء من يقول : للفارس سهمان . والأول هو الذي دلت عليه السنة الصحيحة،ولأن الفرس يحتاج إلى مؤونة نفسه وسائسه، ومنفعة الفارس به أكثر من منفعة راجلين . ومنهم من يقول : يسوي بين الفرس **العربي** والهجين." (١)

"ص -٥٣٣- ونحن ننبه على هذين الأصلين : على قول من جعل الإجارة على خلاف القياس وعلى قول من جعل إجارة الظئر ونحوها على خلاف القياس .

أما الأول فنقول : قولهم : الإجارة بيع معدوم وبيع المعدوم على خلاف القياس : مقدمتان مجملتان فيهما تلبيس ؛ فإن قولهم : الإجارة بيع إن أرادوا أنها البيع الخاص الذي يعقد على الأعيان فهو باطل وإن أرادوا البيع العام الذي هو معاوضة إما على عين وإما على منفعة فقولهم في المقدمة الثانية : أن بيع المعدوم لا يجور إنما يسلم – إن سلم – في الأعيان لا في المنافع ولما كان لفظ البيع يحتمل هذا وهذا تنازع الفقهاء في الإجارة : هل تنعقد بلفظ البيع ؟ على وجهين .

والتحقيق : أن المتعاقدين إن عرفا المقصود انعقدت فأي لفظ من الألفاظ عرف به المتعاقدان مقصودهما انعقد به العقد وهذا عام في جميع العقود فإن الشارع لم يجد في ألفاظ العقود حدا بل ذكرها مطلقة فكما تنعقد العقود بما يدل عليها من الألفاظ الفارسية والرومية وغيرهما من الألسن العجمية فهي تنعقد بما يدل عليها من الألفاظ **العربية** ولهذا وقع الطلاق والعتاق بكل لفظ يدل عليه وكذلك البيع وغيره .

وطرد هذا النكاح فإن أصح قولي العلماء أنه ينعقد بكل لف." (٢)

"ص -١٥٥- وعشرين، فأمرنا على أن نتمها يوما . أبو عبدالله رحمةالله عليه يقول : العمل على هذا الشهر؛ لأن هكذا وهكذا تسعة وعشرون، فمن صام هذا الصوم قضي يوما، ولا كفارة عليه .

وبما ذكرناه يتبين الجواب عما روي عن عائشة في هذا قالت : يرح الله أبا عبد الرحمن، وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا فنزل لتسع وعشرين . فقيل له، فقال : " إن الشهر قد يكون تسعا وعشرين " ، فعائشة رضي الله عنها ردت ما أفهموها عن ابن عمر، أو ما فهمته هي من أن الشهر لا يكون إلا تسعا وعشرين . وابن عمر لم يرد هذا، بل قد ذكرنا عنه الروايات الصحيحة، بأن الشهر يكون مرة تسعة وعشرين،

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٠/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣١/

ومرة ثلاثين، فثبت بذلك أن ابن عمر روي أن الشهر يكون تارة كذلك، وتارة كذلك .

وما رواه إما أن يكون موافقا لما روته عائشة أيضا من أن الشهر قد يكون تسعا وعشرين، وإما أن يكون معناه : أن الشهر اللازم الدائم الواجب هو تسعة وعشرون، ومن كلام **العرب** وغيرهم أنهم ينفون الشيء في صيغ الحصر أو غيرها، تارة لانتفاء ذاته، وتارة لانتفاء فائدته ومقصوده، ويحصرون الشيء في غيره، تارة لانحصار جميع الجنس منه، وتارة لانحصار المفيد أو الكامل فيه، ثم إنهم تارة." (١)

"ص -٨٩- طائفة من هؤلاء فيها لفلاحتها تعطلت مصالح الدين التي لا يقوم بها غيرهم فلما كان في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفتحت البلاد وكثر المسلمون استغنوا عن اليهود فأجلوهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال : " نقركم فيها ما شئنا – وفي رواية – ما أقركم الله " وأمر بإجلائهم منها عند موته صلى الله عليه وسلم فقال : " أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة **العرب** " .

ولهذا ذهب طائفة من العلماء كمحمد بن جرير الطبري – إلى أن الكفار لا يقرون في بلاد المسلمين بالجزية إلا إذا كان المسلمون محتاجين إليهم فإذا استغنوا عنهم أجلوهم كأهل خيبر .

وفي هذه المسألة نزاع ليس هذا موضعه . والمقصود هنا أن الناس إذا احتاجوا إلى الطحانين والخبازين فهذا على وجهين : أحدهما : أن يحتاجوا إلى صناعتهم، كالذين يطحنون ويخبزون لأهل البيوت فهؤلاء يستحقون الأجرة وليس لهم عند الحاجة إليهم أن يطالبوا إلا بأجرة المثل كغيرهم من الصناع . والثاني : أن يحتاجوا إلى الصنعة والبيع، فيحتاجوا إلى من يشتري الحنطة ويطحنها، وإلى من يخبزها ويبيعها خبزا . لحاجة الناس إلى شراء." (٢)

"ص -١٥٣- ثبت ذلك في الصحيح، فتبين أن تركه للقنوت لم يكن ترك نسخ؛ إذ قد ثبت أنه قنت بعد ذلك، وإنما قنت لسبب، فلما زال السبب ترك القنوت، كما بين في هذا الحديث أنه ترك الدعاء لهم لما قدموا . وليس أيضا قوله في حديث أنس المتفق عليه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قنت شهرا بعد الركوع يدعو على أحياء من أحياء **العرب** ثم تركه، أنه ترك الدعاء فقط، كما يظنه من ظن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مداوما على القنوت في الفجر بعد الركوع أو قبله، بل ثبت في أحاديث أنس التي في الصحيحين : أنه لم يقنت بعد الركوع إلا شهرا، وغير ذلك مما يبين أن المتروك كان القنوت .

وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع، وبينا أن من تأمل الأحاديث علم علما يقينا أن النبي صلى الله عليه

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣١/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣١/

وسلم لم يداوم على القنوت في شيء من الصلوات، لا الفجر ولا غيرها؛ ولهذا لم ينقل هذا أحد من الصحابة : بل أنكروه . ولم ينقل أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم حرفا واحدا مما يظن أنه كان يدعو به في القنوت الراتب، وإنما المنقول عنه ما يدعو به في العارض : كالدعاء لقوم وعلى قوم، فأما ما يدعو به من يستحب المداومة على قنوت الفجر من قول : " اللهم اهدنا فيمن هديت " ، فهذا إنما في السنن أنه علمه للحسن يدعو به في قنوت الوتر .." (١)

"ص -٤٩٩- رافع بن عمرو الغفارى أخا الحكم بن عمرو الغفارى، قلت : ما حديث سمعته من أبى ذر كذا وكذا ؟ فذكرت له الحديث، فقال : وأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فهذه المعانى موجودة فى أولئك القوم الذين قتلهم على رضي الله عنه وفى غيرهم . وإنما قولنا : إن عليا قاتل الخوارج بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، مثل ما يقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم قاتل الكفار، أى : قاتل جنس الكفار، وإن كان الكفر أنواعا مختلفة، وكذلك الشرك أنواع مختلفة، وإن لم تكن الآلهة التى كانت **العرب** تعبدها هى التى تعبدها الهند والصين والترك، لكن يجمعهم لفظ الشرك ومعناه . وكذلك الخروج والمروق يتناول كل من كان فى معنى أولئك، ويجب قتالهم بأمر النبى صلى الله عليه وسلم، كما وجب قتال أولئك . وإن كان الخروج عن الدين والإسلام أنواعا مختلفة، وقد بينا أن خروج الرافضة ومروقهم أعظم بكثير .

فأما قتل الواحد المقدور عليه من الخوارج، كالحرورية، والرافضة، ونحوهم فهذا فيه قولان للفقهاء، هما روايتان عن الإمام أحمد . والصحيح أنه يجوز قتل الواحد منهم، كالداعية إلى مذهبه، ونحو ذلك ممن فيه." (٢)

"ص -٣٦- ونظائر ذلك في الكتاب كثير، يأمر الله فيه بطاعة رسوله، واتباع كتابه، وينهى عن اتباع ما ليس من ذلك .

والبدع جميعها كذلك، فإن البدعة الشرعية - أي : المذمومة في الشرع هي ما لم يشرعه الله في الدين، أي : ما لم يدخل في أمر الله ورسوله وطاعة الله ورسوله، فأما إن دخل في ذلك فإنه من الشرعة لا من البدعة الشرعية، وإن كان قد فعل بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بما عرف من أمره، كإخراج اليهود والنصارى بعد موته، وجمع المصحف، وجمع الناس على قارئ واحد في قيام رمضان، ونحو ذلك .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٣/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣٣/

وعمر بن الخطاب الذي أمر بذلك وإن سماه بدعة؛ فإنما ذلك لأنه بدعة في اللغة، إذ كل أمر فعل على غير مثال متقدم يسمي في اللغة بدعة، وليس مما تسميه الشريعة بدعة، وينهى عنه، فلا يدخل فيما رواه مسلم من صحيحه عن جابر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته : " إن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة " فإن قوله صلى الله عليه وسلم : " كل بدعة ضلالة " حق، وليس فيما دلت عليه الأدلة الشرعية على الاستحباب بدعة، كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أهل السنن، وصححه الترمذي عن العرباض بن سارية عن." (١)

"ص -٣٧- فإن قيل : هذا يسمي قضاء أو أداء ؟

قيل : الفرق بين اللفظين هو فرق اصطلاحي؛ لا أصل له في كلام الله ورسوله، فإن الله تعالى سمي فعل العبادة في وقتها قضاء، كما قال في الجمعة : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ﴾ [الجمعة : ١٠] ، وقال تعالى : ﴿ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله ﴾ [البقرة : ٢٠٠] مع أن هذين يفعلان في الوقت . و [القضاء] في لغة العرب : هو إكمال الشيء وإتمامه، كما قال تعالى : ﴿ فقضاهن سبع سماوات ﴾ [فصلت : ١٢] ، أي أكملهن وأتمهن . فمن فعل العبادة كاملة، فقد قضاها، وإن فعلها في وقتها .

وقد اتفق العلماء فيما أعلم على أنه لو اعتقد بقاء وقت الصلاة فنواها أداء . ثم تبين أنه صلى بعد خروج الوقت صحت صلاته، ولو اعتقد خروجه فنواها قضاء ثم تبين له بقاء الوقت أجزأته صلاته .

وكل من فعل العبادة في الوقت الذي أمر به أجزأته صلاته، سواء نواها أداء أو قضاء، والجمعة تصح سواء نواها أداء أو قضاء إذا أراد القضاء المذكور في القرآن، والنائم والناسي إذا صليا وقت الذكر والانتباه فقد صليا في الوقت الذي أمرا بالصلاة فيه، وإن كانا قد صليا بعد خروج الوقت المشروع لغيرهما . فمن سمي ذلك قضاء باعتبار هذا المعني، وكان في لغته أن القضاء فعل العبادة بعد خروج الوقت المقدر شرعا." (٢)

"ص -١٤٤- الفاسقين لما كان يسكنها إذ ذاك الفاسقون، ثم لما سكنها الصالحون صارت دار الصالحين .

وهذا أصل يجب أن يعرف، فإن البلد قد تحمد أو تذم في بعض الأوقات لحال أهله، ثم يتغير حال أهله

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٣/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣٤/

فيتغير الحكم فيهم؛ إذ المدح والذم والثواب والعقاب إنما يترتب على الإيمان والعمل الصالح، أو على ضد ذلك من الكفر والفسوق والعصيان . قال الله تعالى : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ﴾ [النساء : ١] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا فضل لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى . الناس بنو آدم، وآدم من تراب " . وكتب أبو الدرداء إلى سلمان الفارسى وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخى بينهما، لما آخى بين المهاجرين والأنصار، وكان أبو الدرداء بالشام، وسلمان بالعراق نائبا لعمر بن الخطاب : أن هلم إلى الأرض المقدسة . فكتب إليه سلمان : إن الأرض لا تقدس أحدا، وإنما يقدس الرجل عمله .." (١)

"ص -٥٩١- تسمى [مغانى العرب] ونحو ذلك . فإن هذا فيه ضمان الحانة فى بعض الوجوه . فهذا أقبح ما يكون، بخلاف ساحل القبلة، فإنه قد يظلم فيه كثير من الناس .

لكن أهل الإقطاعات الكثيرة الذين أقطعوا أكثر مما يستحقونه، إذا أمر السلطان أن يؤخذ منها بعض الزيادة، لم يكن هذا ظلما وإقطاعه أصلها زكاة، لكن زيد فيها ظلم .

وإذا كان كذلك فمن كان فى إقطاعه شيء من ذلك، فليجعل الحلال الطيب لأكله وشربه، ثم الذى للناس، ثم الذى يليه يجعل لعلف الجمال، ويكون علف الخيل أطيب منها فإنها أشرف، ويعطى الذى يليه للدبادب والبوقات والبازيات ونحوهم . فإن الله يقول : ﴿فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ [التغابن : ١٦] فعلى كل إنسان أن يتقى الله ما استطاع، وما لم يمكن إزالته من الشر يخفف بحسب الإمكان، فإن الله بعث الرسل بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها .." (٢)

"ص -٥٣٥- من الفرس والعرب وغيرهم شر من الكفار الأصليين من الترك ونحوهم، وهم بعد أن تكلموا بالشهادتين مع تركهم لكثير من شرائع الدين خير من المرتدين من الفرس والعرب وغيرهم، وبهذا يتبين أن من كان معهم ممن كان مسلم الأصل هو شر من الترك الذين كانوا كفارا؛ فإن المسلم الأصلى إذا ارتد عن بعض شرائعه، كان أسوأ حالا ممن لم يدخل بعد فى تلك الشرائع، مثل مانعى الزكاة وأمثالهم ممن قاتلهم الصديق . وإن كان المرتد عن بعض الشرائع متفقها أو متصوفا أو تاجرا أو كاتبا أو غير ذلك، فهؤلاء شر من الترك الذين لم يدخلوا فى تلك الشرائع وأصروا على الإسلام؛ ولهذا يجد المسلمون من ضرر هؤلاء

---

(١) مجموع الفتاوى ، /٣٤

(٢) مجموع الفتاوى ، /٣٤

على الدين ما لا يجدونه من ضرر أولئك، وينقادون للإسلام وشرائعه وطاعة الله ورسوله أعظم من انقياد هؤلاء الذين ارتدوا عن بعض الدين، ونافقوا فى بعضه، وإن تظاهروا بالانتساب إلى العلم والدين .

وغاية ما يوجد من هؤلاء يكون ملحدا، نصيريا، أو إسماعيليا، أو رافضيا . وخيارهم يكون جهميا اتحاديا أو نحوه، فإنه لا ينضم إليهم طوعا من المظهرين للإسلام إلا منافق أو زنديق أو فاسق فاجر . ومن أخرجوه معهم مكرها فإنه يبعث على نيته . ونحن علينا أن نقاتل العسكر جميعه إذ لا يتميز المكره من غيره .

وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :." (١)

"ص -٥٦١- وأنا لا يسوغ لي أن أذكر ما يزيل براءتكم، ولا أكذب عليكم، فإنكم تنقصون منها إذا تبرأت، بل التبري منها داع وباعث لمن له عقل أن ينظر في سبب هذه البراءة، لا سيما في حق الرسول الذي خوطب أولا بقوله : ﴿قل ﴾ فلينظر العاقل في سبب براءتي من الشرك وما أنتم عليه، واختياري به عداوتكم، والصبر على أذاكم . واحتمالي هذه المكاره العظيمة . بعد ما كنتم تعظموني غاية التعظيم، وتصفوني بالأمانة، وتسموني [الأمين] وتفضلوني على غيري، ونسبي فيكم أفضل نسب وتعرفون ما جعل الله في من العقل والمعرفة ومكارم الأخلاق وحسن المقاصد وطلب العدل والإحسان، وأني لا أختار لأحد منكم سوءا، ولا أريد أن أصيب أحدا بشر . فاختياري للبراءة مما تعبدون، وإظهاري لسبهم وشتمهم، أهو سدي ليس له موجب أوجبه ؟ فانظروا في ذلك . ففي السورة دعاء وبعث للكفار إلى طلب الحق ومعرفته، مع ما فيها من كمال البراءة منهم . ومعانيها كثيرة شريفة يطول وصفها .

وقوله : ﴿قل يا أيها الكافرون ﴾ ، يتناول كل كافر . فهو لا يعبد ما يعبده أحد من الكفار، ولا مشركي **العرب**، ولا غيرهم من المشركين." (٢)

"ص -١١٩- مقدورا بفعل ضده فيكون فعل الضد طريقا إلى مطلوب الناهي وإن لم يكن نفس المقصود وذلك أن الناهي إنما نهى عن الشيء لما فيه من الفساد فالمقصود عدمه كما ينهى عن قتل النفس وشرب الخمر وإنما نهى لابتلاء المكلف وامتحانه كما نهى قوم طالوت عن الشرب إلا بملء الكف فالمقصود هنا طاعتهم وانقيادهم وهو أمر وجودي وإذا كان وجوديا فهو الطاعة التي هي من جنس فعل المأمور به فصار المنهي عنه إنما هو تابع للمأمور به، فإن مقصوده إما عدم ما يضر المأمور به أو جزء من أجزاء المأمور به وإذا كان إما حاويا للمأمور به، أو فرعا منه : ثبت أن المأمور به أكمل وأشرف وهو

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٥/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣٧/

المقصود الأول .

الوجه الخامس عشر

أن الأمر أصل والنهي فرع، فإن النهي نوع من الأمر، إذ الأمر هو الطلب والاستدعاء والاقتضاء وهذا يدخل فيه طلب الفعل وطلب الترك لكن خص النهي باسم خاص كما جرت عادة العرب أن الجنس إذا كان له نوعان أحدهما يتميز بصفة كمال أو نقص أفردوه باسم وأبقوا الاسم العام على النوع الآخر كما يقال : مسلم، ومنافق . ويقال نبي ورسول .." (١)

"ص -٥٦٢- والكفار أهل الكتاب لا اليهود ولا النصارى، ولا غيرهم من أصناف الكفار وذلك أنه قال : ﴿لا أعبد ما تعبدون ﴾ . فذكر لفظ [ما] ، ولم يقل : [من تعبدون] . و [ما] تدل على الصفة كما تقدم وما ذكره المهدوي وغيره من أنه قال : ﴿ما أعبد ﴾ ولم يقل : [من أعبد] يقابل به ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم ﴾ الذي يراد به الأصنام، فضعيف جدا يغير اللغة ويخص عموم القرآن وهو عموم مقصود ويزيل المعنى الذي به تعلقت هذه البراءة .

فإن [ما] في اللغة إما لما لا يعلم، ولصفات ما يعلم، كما في قوله : ﴿فانكحوا ما طاب ﴾ [النساء : ٣] ﴿وما سواها ﴾ [الشمس : ٧] ، ﴿وما خلق الذكر والأنثى ﴾ [الليل : ٣] ، وفي التسبيح المأثور أنه يقال عند سماع الرعد : [سبحان ما سبحت له] ومثله كثير . فقوله : ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ ، جار على أصل اللغة .

وأيضا، فقوله : ﴿لا أعبد ما تعبدون ﴾ ، خطاب للكفار مطلقا، فهو لا يعبد الملائكة، ولا غير ذلك مما عبد من دون الله وإن كان ما عبد أهل العلم والعقل فعبر عن ذواتهم ب [من] فتخصيص البراءة من الشرك بشرك مشركي العرب غلط عظيم، وإنما هي براءة من كل شرك .

وكون الرب يتصف بما تتصف به الأصنام من عدم العلم ما لا." (٢)

"ص -٢٨١- قدم أولاده بين يديه، وكذلك الشدة والقوة محبوبة، فبين أن قوة النفوس أحق بالمدح من قوة البدن، وهو أن يملك نفسه عند الغضب، كما قيل لبعض سادات العرب : ما بال عبيدكم أصبر منكم عند الحرب وعلى الأعمال ؟ قال : هم أصبر أجسادا، ونحن أصبر نفوسا .

وأما قوله : في اسم المسلمين فهو من جنس قوله : في المسلم والمؤمن والمهاجر والمجاهد، وهذا مطابق

---

(١) مجموع الفتاوى ، /٣٧

(٢) مجموع الفتاوى ، /٣٨

لما تقدم من أن الشارع لا ينفي مسمي اسم شرعي إلا لانتفاء كماله الواجب؛ فإن هجر ما نهى الله عنه واجب، وسلامة المسلمين من عدوان الإنسان بلسانه ويده واجب، والمؤمن على دمائهم وأموالهم لا يكون من أمنه الناس إلا إذا كان أمينا والأمانة واجبة، والمسكين الذي لا يسأل ولا يعرف هو أحق بالإعطاء ممن أظهر حاجته وسؤاله، وعطاؤه واجب، وتخصيص السائل بالعطاء دون هذا لا يجوز، بل تخصيص الذي لا يسأل أولى وأوجب وأحب .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : " لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية؛ وإذا استنفرتم فانفروا " ، وقال : " لا تنقطع الهجرة ما قوتل العدو " وكلاهما حق . فالأول أراد به الهجرة المعهودة في زمانه، وهي الهجرة إلى المدينة من مكة وغيرها من أرض **العرب**، فإن هذه الهجرة كانت مشروعة لما كانت مكة وغيرها دار كفر وحرب، وكان الإيمان بالمدينة، فكانت الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام واجبة لمن قدر عليها، فلما فتحت مكة وصارت دار الإسلام، ودخلت **العرب** في الإسلام." (١)

"ص -٢٤٣- وأحمد بن حنبل والشافعي وغيرهم : النردشير من الشطرنج . وكلا القولين صحيح باعتبار؛ فإن النرد إذا كان بعوض، والشطرنج بغير عوض، فالنرد شر منه، وهو حرام حينئذ بالإجماع . وأما إن كان كلاهما بعوض أو كلاهما بلا عوض فالشطرنج شر من النرد؛ لأن الشطرنج يشغل القلب ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة أكثر من النرد .

ولهذا قيل : الشطرنج مبني على مذهب القدر، والنرد مبني على مذهب الجبر . فإن صاحب النرد يومي ويحسب بعد ذلك، وأما صاحب الشطرنج فإنه يقدر ويفكر ويحسب حساب النقلات قبل النقل . فإفساد الشطرنج للقلب أعظم من إفساد النرد، ولكن كان معروفا عند **العرب**، والشطرنج لم يعرف إلا بعد أن فتحت البلاد، فإن أصله من الهند وانتقل منهم إلى الفرس؛ فلهذا جاء ذكر النرد في الحديث، وإلا فالشطرنج شر منه إذا استويا في العوض، أو عدمه . وقد بسط جواب السؤال في موضع آخر . والله أعلم .

وسئل شيخ ال إسلام رحمه الله عن رجل لعب بالشطرنج، وقال : هو خير من النرد : فهل هذا صحيح ؟ وهل اللعب بالشطرنج بعوض أو غير عوض حرام ؟ وما قول العلماء فيه ؟

فأجاب :

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٩/

الحمد لله، اللعب بالشطرنج حرام عند جماهير علماء الأمة وأئمتها كالنرد . وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من لعب بالنرد." (١)

"ص -٥٦٤- من جهة كونه معبودا لهم منزه عن هذه الإضافة . فليس هو معبودا لليهود، وإنما في جبلاتهم صفات ليست هي صفاته زينها لهم الشيطان . فهم يقصدون عبادة المتصف بتلك الصفات، وإنما هو الشيطان .

فالرسول والمؤمنون لا يعبدون شيئا تعبده اليهود وإن كانوا يعبدون من يعبدونه، وهذا مما يظهر به فائدة ما ذكرنا .

وعلى هذا فقوله : ﴿لكم دينكم ولي دين ﴾ ، خطاب لجميع الكفار كما دلت عليه الآية . وبهذا يظهر خطأ من قال : إنه خطاب للمشركين والنصارى دون اليهود، كما في قول ابن زيد : ﴿لكم دينكم ولي دين ﴾ ، قال : للمشركين والنصارى، واليهود، لا يعبدون إلا الله، ولا يشركون، إلا أنهم يكفرون ببعض الأنبياء بما جاؤوا به من عند الله، ويكفرون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به، وقتلوا طوائف الأنبياء ظلما وعدوانا . قال : إلا العصابة التي تقول حيث خرج بخت نصر، وقيل : من سموا عزيرا [ابن الله] ولم يعبدوه . ولم يفعلوا كما فعلت النصارى قالت : المسيح ابن الله، وعبدته .

فهذا الذي ذكره من أن اليهود لا تشرك كما أشركت **العرب** والنصارى صحيح، لكنهم مع هذا لا يعبدون الله، بل يستكبرون عن عبادته، ويعبدون الشيطان، لا يعبدون الله . ومن قال : إن اليهود." (٢)

"ص -٤٣٩- [المسألة الأولى] : اختلف الناس في اللفظ المشترك : هل له وجود في اللغة ؟ فأثبته قوم ونفاه آخرون . قال : والمختار جواز وقوعه؛ أما الخطابي العقلي فلا يمتنع من واضع واحد، وإن يتفق وضع قبيلة للاسم على معناه ووضع أخرى له بازاء معنى آخر من غير شعور كل واحدة بما وضعت الأخرى، ثم يشتهر الوضعأن لخفاء سببه، قال : وهو الأشبه .

قال : وأما بيأن الوقوع أنه لو لم تكن الألفاظ المشتركة واقعة في اللغة مع أن المسببات غير متناهية؛ والأسماء متناهية ضرورة تركيبها من الحروف المتناهية؛ لخلت أكثر المسميات عن ألفاظ الأسماء الدالة عليها مع الحاجة إليها . وهو ممتنع، قال : وهو غير سديد من حيث أن الأسماء إن كانت مركبة من الحروف المتناهية فلا يلزم أن تكون متناهية إلا أن يكون ما يحصل من تضاعف التركيبات متناهية، فلا

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٩/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤٠/

نسلم أن المسميات المتضادة والمختلفة وهى التي يكون اللفظ مشتركا بالنسبة إليها غير متناهية وأن كانت غير متناهية، غير أن وضع الأسماء على مسمياتها مشروط بكون كل وأحد من المسميات مقصودا بالوضع، وما لأنهاية له مما يستحيل فيه ذلك، وإن سلمنا أنه غير ممتنع؛ ولكن لا يلزم من ذلك الوضع .
ولهذا ياتى كثير من المعانى لم تضع **العرب** بازائها ألفاظا تدل عليها بطريق الاشتراك ولا التفضيل، كأنواع الروائح وكثير من الصفات." (١)

"ص -٣٥٣- ولهذا لا يجوز تغيير واحد من هذه المساجد الثلاثة عن موضعه . وأما سائر المساجد ففضيلتها من أنها مسجد لله وبيت يصلى فيه، وهذا قدر مشترك بين المساجد، وإن كان بعضها تكثر العبادة فيه، أو لكونه أعتق من غيره ونحو ذلك، فهذه المزية موجودة في عامة المساجد، بعضها أكثر عبادة من بعض، وبعضها أعتق من بعض . فلو شرع السفر لذلك لسوفر إلى عامة المساجد .
والسفر إلى البقاع المعظمة هو من جنس الحج، ولكل أمة حج، فالمشركون من **العرب** كانوا يحجون إلى اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وغير ذلك من الأوثان؛ ولهذا لما قال الحبر الذي بشر بالنبي صلى الله عليه وسلم لأمية بن أبي الصلت : إنه قد أظل زمان نبي يبعث، وهو من بيت يحجه **العرب** . فقال أمية : نحن معشر ثقيف، فينا بيت يحجه **العرب**، فقال الحبر : إنه ليس منكم، إنه من إخوانكم من قريش . فأخبر أمية أن **العرب** كانت تحج إلى اللات . وقد ذكر طائفة من السلف أن هذا كان رجلا يلت السويق للحاج ويطعمهم إياه، فلما مات عكفوا على قبره وصار وثنا يحج إليه، ويصلى له، ويدعي من دون الله، وقرأ جماعة من السلف : " " أفرأيتم اللات " " ، بتشديد التاء، وكانت اللات لأهل الطائف، والعزى لأهل مكة، ومناة لأهل المدينة؛ ولهذا قال أبو سفيان يوم أحد، لما جعل يرتجز فقال : أعل هبل .." (٢)

"ص -٣٥٥- ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ [التوبة : ٣١] .
والمشركون في هذه الأزمان من الهند وغيرهم يحجون إلى آلهتهم كما يحجون إلى سمناة وغيره من آلهتهم . وكذلك النصاري يحجون إلى قمامة وبيت لحم، ويحجون إلى القونة التي بصيدنايا، والقونة : الصورة

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤١/
(٢) مجموع الفتاوى ، ٤١/

وغير ذلك من كنائسهم التي بها الصور التي يعظمونها ويدعونها ويستشفعون بها . وقد ذكر العلماء من أهل التفسير والسير وغيرهم أن أبرهة ملك الحبشة، الذي ساق الفيل إلى مكة ليهدمها، حين استولت الحبشة على اليمن وقهروا **العرب** . ثم بعد هذا وفد سيف بن ذي يزن فاستنجد كسري ملك الفرس، فأنجده بجيش حتى أخرج الحبشة عنها وهو ممن بشر بالنبي صلى الله عليه وسلم . وكانت آية الفيل التي أظهر الله تعالى بها حرمة الكعبة لما أرسل عليهم الطير الأبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، أي جماعات متفرقة، والحجارة من سجيل طين قد استحجر، وكان عام مولد النبي صلى الله عليه وسلم . وهو من دلائل نبوته، وأعلام رسالته، ودلائل شريعته . والبيت الذي لا يحج ولا يصلى إليه إلا هو وأمته .
قالوا : كان أبرهة قد بني كنيسة بأرض اليمن، وأراد أن يصرف حج **العرب** إليها، فدخل رجل من **العرب** فأحدث في الكنيسة، فغضب." (١)

"ص -٥٤٣- عليه أن يطيع المسلم ولو كان عبدا، ولا يطيع الكافر، وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشى، كأن رأسه زبيبة، ما أقام فيكم كتاب الله ودين الإسلام " . إنما يفضل الإنسان بإيمانه وتقواه،لا بآبائه، ولو كانوا من بنى هاشم أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم؛ فإن الله خلق الجنة لمن أطاعه وإن كان عبدا حبشيا، وخلق النار لمن عصاه ولو كان شريفا قرشيا، وقد قال الله تعالى : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ [الحجرات : ١٣] . وفى السنن عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا فضل **لعربى** على عجمى، ولا لعجمى على **عربى**، ولا لأسود على أبيض، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، الناس من آدم، وآدم من تراب " .
وفى الصحيحين عنه أنه قال لقبيلة قريبة منه : " إن آل أبى فلان ليسوا بأوليائى، إنما وليى الله وصالح المؤمنين " ، فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن موالاته ليست بالقرابة والنسب، بل بالإيمان والتقوى . فإذا كان هذا فى قرابة الرسول، فكيف بقرابة جنكسخان الكافر المشرك ؟ ! وقد أجمع المسلمون على أن من كان أعظم إيمانا وتقوى كان أفضل ممن هو دونه فى الإيمان والتقوى، وإن كان الأول أسود حبشيا، والثانى علويا أو عباسيا .." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٣/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤٣/

"ص -٤٧- فأجاب :
الحمد لله، الأصل في هذا : أن كل ما شرط من العمل من الوقوف التي توقف على الأعمال فلابد أن تكون قربة، إما واجبا، وإما مستحبا، وأما اشتراط عمل محرم، فلا يصح باتفاق علماء المسلمين، بل وكذلك المكروه، وكذلك المباح على الصحيح .
وقد اتفق المسلمون على أن شروط الواقف تنقسم إلى صحيح، وفاسد، كالشروط في سائر العقود . ومن قال من الفقهاء : إن شروط الواقف نصوص كألفاظ الشارع، فمراده أنها كالنصوص في الدلالة على مراد الواقف؛ لا في وجوب العمل بها، أي : أن مراد الواقف يستفاد من ألفاظه المشروطة، كما يستفاد مراد الشارع من ألفاظه، فكما يعرف العموم والخصوص والإطلاق والتقييد والتشريك والترتيب في الشرع من ألفاظ الشارع، فكذلك تعرف في الوقف من ألفاظ الواقف .
مع أن التحقيق في هذا : أن لفظ الواقف ولفظ الحالف والشافع والموصى وكل عاقد يحمل على عادته في خطابه ولغته التي يتكلم بها، سواء وافقت العربية العرباء؛ أو العربية المولدة، أو العربية الملحونة، أو كانت غير عربية، وسواء وافقت لغة الشارع، أو لم توافقها، فإن المقصود من الألفاظ دلالتها على مراد الناطقين بها، فنحن نحتاج إلى معرفة كلام الشارع؛ لأن معرفة لغته وعرفه وعادته تدل على معرفة مراده، وكذلك في." (١)

"ص -١٦٨- النبي صلى الله عليه وسلم أولاهم العرب، وبواسطتهم حصلت الدعوة لسائر الأمم؛ لأنه إنما بعث بلسانهم، فكانوا أميين عامة، ليست فيهم مزية علم ولا كتاب ولا غيره، مع كون فطرهم كانت مستعدة للعلم أكمل من استعداد سائر الأمم، بمنزلة أرض الحرث القابلة للزرع، لكن ليس لها من يقوم عليها، فلم يكن لهم كتاب يقرؤونه منزل من عندالله كما لأهل الكتاب، ولا علوم قياسية مستنبطة، كما للصابئة ونحوهم . وكان الخط فيهم قليلا جدا، وكان لهم من العلم ما ينال بالفطرة التي لا يخرج بها الإنسان عن الأموة العامة، كالعلم بالصانع سبحانه وتعظيم مكارم الأخلاق، وعلم الأنواء والأنساب والشعر . فاستحقوا اسم الأمية من كل وجه، كما قال فيهم : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ﴾ [الجمعة : ٢] ، وقال تعالى : ﴿ وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ﴾ [آل عمران : ٢٠] ، فجعل الأميين مقابلين لأهل الكتاب، فالكتابي غير الأمي .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٤/

فلما بعث فيهم ووجب عليهم اتباع ما جاء به من الكتاب وتدبره وعقله والعمل به وقد جعله تفصيلا لكل شيء، وعلمهم نبيهم كل شيء حتى الخراءة صاروا أهل كتاب وعلم، بل صاروا أعلم الخلق،." (١)

"ص -٣٥٦- لذلك أبرهة، وسافر إلى الكعبة ليهدمها، حتى جري ما جري . قال تعالى : ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول﴾ [الفيل : ١ - ٥] . وهذا معروف عند عامة العلماء من أهل التفسير والسير وغيرهم، أنه بني كنيسة أراد أن يصرف حج **العرب** إليها . ومعلوم أنه إنما أراد أن يفعل فيها ما يفعله في كنائس النصاري . فدل على أن السفر إلى الكنائس عندهم هو من جنس الحج عند المسلمين وأنه يسمي حجا، ويضاهي به البيت الحرام، و أن من قصد أن يجعل بقعة للعبادة فيها كما يسافر إلى المسجد الحرام فإنه قصد ما هو عبادة من جنس الحج . والنبي صلى الله عليه وسلم نهي أن يحج أحد أو يسافر إلى غير المساجد الثلاثة، والحج الواجب الذي يسمي عند الإطلاق حجا إنما هو إلى المسجد الحرام خاصة . والسفر إلى بقعة للعبادة فيها هو إلى المسجدين، وما سوي ذلك من الأسفار إلى مكان معظم هو من جنس الحج إليه، وذلك منهي عنه .

وكذلك في حديث أبي سفيان لما اجتمع بأمية بن أبي الصلت الثقفي، وذكر عن عالم من علماء النصاري أنه أخبره بقرب نبي يبعث من **العرب**، قال أمية : قلت : نحن من **العرب** . قال : إنه من أهل بيت يحجه **العرب** . قال : فقلت : نحن معشر ثقيف، فينا بيت يحجه **العرب** .." (٢)

"ص -١٦٠- ﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور﴾ [هود : ١٠] ﴿إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾ [هود : ١١] . وقال : ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ [الحديد : ٢٣] .

وبهذا وصف كعب بن زهير من وصفه من الصحابة المهاجرين حيث قال :

لا يفرحون إذا نالت سيوفهم

قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا .

وكذلك قال حسان بن ثابت في صفة الأنصار :

لا فخر إن هم أصابوا من عدوهم

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٤/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤٤/

وإن أصيبوا فلا خور ولا هلع .

وقال بعض العرب في صفة النبي صلى الله عليه وسلم : يغلب فلا يبطر، ويغلب فلا يضجر . ولما كان الشيطان يدعو الناس عند هذين النوعين إلى تعدي الحدود بقلوبهم وأصواتهم وأيديهم : " نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال لما قيل له : وقد بكى لما رأى إبراهيم في النزع أتبكي ؟ أولم تنه عن البكاء ؟ فقال : إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير شيطان . وصوت عند مصيبة لطم خدود وشق جيوب ودعاء بدعوى الجاهلية " فجمع بين الصوتين .." (١)

"ص -٥٦٩- منه ثم كبر وسجد ووضع كفيه على الأرض، ثم جافى بين مرفقيه حتى استقر كل شيء منه، ثم رفع رأسه فجلس حتى استقر كل شيء منه، ففعل ذلك أيضا ثم صلى أربع ركعات مثل هذه الركعة، فصلى صلاته . ثم قال : هكذا رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي .

وهذا إجماع الصحابة رضي الله عنهم فإنهم كانوا لا يصلون إلا مطمئنين . وإذا رأي بعضهم من لا يطمئن أنكر عليه ونهاه . ولا ينكر واحد منهم على المنكر لذلك . وهذا إجماع منهم على وجوب السكون والطمأنينة في الصلاة، قولا وفعلا . ولو كان ذلك غير واجب لكانوا يتركونه أحيانا كما كانوا يتركون ما ليس بواجب .

وأيضا، فإن الركوع والسجود في لغة العرب لا يكون إلا إذا سكن حين انحنائه وحين وضع وجهه على الأرض، فأما مجرد الخفض والرفع عنه، فلا يسمى ذلك ركوعا، ولا سجودا . ومن سماه ركوعا وسجودا فقد غلط على اللغة . فهو مطالب بدليل من اللغة على أن هذا يسمى راكعا وساجدا، حتى يكون فاعله ممتثلا للأمر، وحتى يقال : إن هذا الأمر المطالب به يحصل الامتثال فيه بفعل ما يتناوله الاسم فإن هذا لا يصح حتى يعلم أن مجرد هذا يسمى في اللغة ركوعا وسجودا وهذا مما لا سبيل إليه، ولا دليل عليه . فقائل ذلك قائل بغير علم في كتاب الله وفي لغة العرب، وإذا حصل الشك : هل هذا ساجد أو ليس بساجد ؟ لم يكن ممتثلا بالاتفاق؛ لأن الوجوب معلوم، وفعل." (٢)

"ص -٥٧٠- الواجب ليس بمعلوم، كمن يتيقن وجوب صلاة أو زكاة عليه، ويشك في فعلها .

وهذا أصل ينبغي معرفته؛ فإنه يحسم مادة المنازع الذي يقول : إن هذا يسمى ساجدا وراكعا في اللغة، فإنه قال بلا علم ولا حجة . وإذا طولب بالدليل انقطع، وكانت الحجة لمن يقول : ما نعلم براءة ذمته إلا

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٥/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤٦/

بالسجود والركوع المعروفين .

ثم يقال : لو وجد استعمال لفظ [الركوع والسجود] في لغة **العرب** بمجرد ملاقاة الوجه للأرض بلا طمأنينة لكان المعفر خده ساجدا، ولكان الراغم أنفه وهو الذي لصق أنفه بالرغام وهو التراب ساجدا، لا سيما عند المنازع الذي يقول : يحصل السجود بوضع الأنف دون الجبهة من غير طمأنينة . فيكون نقر الأرض بالأنف سجودا، ومعلوم أن هذا ليس من لغة القوم، كما أنه ليس من لغتهم تسمية نقرة الغراب ونحوها سجودا، ولو كان ذلك كذلك لكان يقال للذى يضع وجهه على الأرض، ليمص شيئا على الأرض، أو يعضه أو ينقله ونحو ذلك : ساجدا .

وأيضا، فإن الله أوجب المحافظة والإدامة على الصلاة، وذم إضاعتها." (١)

"ص -٥٧٠- أن كل من رغب عنها فقد سفه نفسه . وفيه من جهة الإعراب والمعنى قولان :

أحدهما وهو قول الفراء وغيره من نحاة الكوفة واختيار ابن قتيبة وغيره، وهو معنى قول أكثر السلف : أن النفس هي التي سفهت . فإن [سفه] فعل لازم لا يتعدي، لكن المعنى : إلا من كان سفيها فجعل الفعل له ونصب النفس على التمييز لا النكرة، كقوله : ﴿واشتعل الرأس شيبا﴾ [مريم : ٤] .

وأما الكوفيون فعرفوا هذا وهذا . قال الفراء : نصب النفس على التشبيه بالتفسير، كما يقال : ضقت بالأمر ذرعا، معناه : ضاق ذرعي به . ومثله : ﴿واشتعل الرأس شيبا﴾ ، أي : اشتعل الشيب في الرأس . قال : ومنه قوله : ألم فلان رأسه، ووجع بطنه، ورشد أمره . وكان الأصل : سفهت نفس زيد، ورشد أمره، فلما حول الفعل إلى زيد انتصب ما بعده على التمييز .

فهذه شواهد عرفها الفراء من كلام **العرب** . ومثله قوله : غبن فلان رأيه، وبطر عيشه . ومثل هذا قوله : ﴿بطرت معيشتها﴾ [القصص : ٥٨] ، أي : بطرت نفس المعيشة . وهذا معنى قول يمان بن رباب : حمق رأيه ونفسه، وهو معنى قول ابن السائب : ضل من قبل نفسه، وقول." (٢)

"ص -٣٥٩- فإن العزى كانت ببطن نخلة من ناحية عرفات . ومعلوم بالنقول الصحيحة أن أهل مكة كانوا يعبدون العزى . كما علم بالتواتر أن أهل الطائف كان لهم اللات، ومناة كانت حذو قديد، وكان أهل المدينة يهلون لها، كما ثبت ذلك في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها .

وأما ما ذكره معمر بن المثني من أن هذه الثلاثة كانت أصناما في جوف الكعبة من حجارة، فهو باطل

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٧/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤٧/

باتفاق أهل العلم بهذا الشأن، وإنما كان في الكعبة [هبل] الذي ارتجز له أبو سفيان يوم أحد وقال : أعل هبل أعل هبل . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ألا تجيبوه ؟ " . قالوا : وما نقول ؟ قال : " قولوا : الله أعلى وأجل " . كما تقدم ذكره . هذا وكان إساف ونائلة على الصفا والمروة، وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما، وهذه الأسماء الثلاثة مؤنثة : اللات، والعزى، ومناة .

وبكل حال فقد قال أمية بن أبي الصلت : فينا بيت يحجه العرب، وأبو سفيان يوافقه على ذلك . فدل ذلك على أن البقاع التي يسافر إليها والسفر إليها حج، والحج نسك، وهو حج إلى غير بيت الله ونسك لغير الله، كما أن الدعاء لها صلاة لغير الله وقد قال تعالى : ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ [الأنعام : ١٦١ : ١٦٣] ، فالله تعالى أمر نبيه." (١)

"ص -٥٧١- أبي روق : عجز رأيه عن نفسه .

والبصريون لم يعرفوا ذلك . فمنهم من قال : جهل نفسه، كما قاله ابن كيسان، والزجاج . قال : لأن من عبد غير الله فقد جهل نفسه، لأنه لم يعلم خالقها .

وهذا الذي قالوه ضعيف . فإنه إن قيل : إن المعنى صحيح، فهو إنما قال : [سفه] ، و [سفه] فعل لازم، ليس بمتعد، و [جهل] فعل متعد . وليس في كلام العرب [سفهت كذا] البتة بمعنى : جهلته . بل قالوا : سفه بالضم سفاهة، أي صار سفيها، وسفه بالكسر أي : حصل منه سفه، كما قالوا في [فقه وفقه] . ونقل بعضهم : سفهت الشرب إذا أكثرت منه . وهو يوافق ما حكاه الفراء، أي : صار شربه سفيها، فسفه شربه لما جاوز الحد .

وقال الأخفش، ويونس : نصب بإسقاط الخافض، أي : سفه في نفسه . وقولهم [بإسقاط الخافض] ، ليس هو أصلا فيعتبر به، ولكن قد تنزع حروف الجر في مواضع مسموعة، فيتعدي الفعل بنفسه . وإن كان مقيسا في بعض الصور، ف [سفه] ليس من هذا، لا يقال : سفهت أمر الله، ولا دين الإسلام، بمعنى : جهلته، أي : سفهت فيه . وإنما يوصف بالسفه وينصب على التمييز ما خص به،." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٧/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤٨/

"ص -٥٢- والربا آخر ما حرم الله، وكان أهل الطائف قد أسلموا وصلوا وجاهدوا، فبين الله أنهم إذا لم ينتهوا عن الربا، كانوا ممن حارب الله ورسوله .

وفي الصحيحين أنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفر من كفر من **العرب**، قال عمر لأبي بكر : كيف تقاتل الناس ؟ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها " فقال أبو بكر : ألم يقل : " إلا بحقها ؟ " والله، لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه . قال عمر : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعلمت أنه الحق .

وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الخوارج فقال : " يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة " .

فإذا كان الذين يقومون الليل، ويصومون النهار، ويقرؤون." (١)

"ص -٢٩٣- وفى قوله تعالى : ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون ﴾ [التوبة : ٥٦] . وهو كثير فى الكتاب والسنة، وهو مما اتفق عليه أهل الأرض، حتى إنهم يقولون فى الأمثال العامية : " لا طعنة ولا جفنة " ، ويقولون : " لا فارس الخيل، ولا وجه **العرب** " .

ولكن افترق الناس هنا ثلاث فرق : فريق غلب عليهم حب العلو فى الأرض والفساد، فلم ينظروا فى عاقبة المعاد، ورأوا أن السلطان لا يقوم إلا بعطاء، وقد لا يتأتى العطاء إلا باستخراج أموال من غير حلها، فصاروا نهابين وهابين . وهؤلاء يقولون : لا يمكن أن يتولى على الناس إلا من يأكل ويطعم، فإنه اذا تولى العفيف الذى لا يأكل ولا يطعم سخط عليه الرؤساء وعزلوه، إن لم يضروه فى نفسه وماله . وهؤلاء نظروا فى عاجل دنياهم، وأهملوا الآجل من دنياهم وآخرتهم، فعاقبتهم عاقبة رديئة فى الدنيا والآخرة، إن لم يحصل لهم ما يصلح عاقبتهم من توبة ونحوها .

وفريق عندهم خوف من الله تعالى ودين يمنعهم عما يعتقدونه قبيحا من ظلم الخلق، وفعل المحارم . فهذا حسن واجب؛ ولكن قد يعتقدون مع ذلك أن السياسة لا تتم إلا بما يفعله أولئك من الحرام، فيمتنعون

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٩/

عنها مطلقا، وربما لأن فى نفوسهم جبن أو بخل، أو ضيق خلق ينضم إلى ما معهم من الدين، فيقعون أحيانا فى ترك واجب، يكون تركه." (١)

"ص -٤٥٢- الأربعة وغيرهم، ولا الثورى، ولا الأوزاعي، ولا الليث بن سعد، ولا غيره . وإنما وجد في كلام احمد بن جنبل لكن بمعنى آخر كما أنه وجد في كلام أبي عبيدة معمر بن المثنى بمعنى آخر . ولم يوجد أيضا تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز في كلام أئمة النحو واللغة، كأبي عمرو بن العلاء، وأبي عمرو الشيباني، وأبي زيد، والأصمعي، والخليل، وسيبويه، والكسائي، والفراء ولا يعلمه أحد من هؤلاء عن **العرب** .

وهذا يعلمه بالاضطرار من طلب علم ذلك، كما يعلم بالاضطرار عند **العرب** أنها لم تتكلم باصطلاح النحاة التي قسمت بعض الألفاظ فاعلا واللفظ الآخر مفعولا؛ ولفظا ثالثا مصدرا؛ وقسمت بعض الألفاظ : **معربا** وبعضها مبنيا . لكن يعلم أن هذا اصطلاح النحاة، لكنه اصطلاح مستقيم المعنى، بخلاف من اصطلح على لفظ الحقيقة والمجاز، فإنه اصطلاح حادث وليس بمستقيم في هذا المعنى؛ إذ ليس بين هذا وهذا فرق في نفس الأمر حتى يخص هذا بلفظ وهذا بلفظ بل أي معنى خصوا به اسم الحقيقة وجد فيما سموه مجازا وأي معنى خصوا به اسم المجاز يوجد فيما سموه حقيقة، ولا يمكنهم أن يأتوا بما يميز بين النوعين .

وليسوا مطالبين بما يقال : أن حد الحقيقى مركب من الجنس." (٢)

"ص -٤٥٣- والفصل؛ فإن لو كان حقا لم يطالبوا به، فكيف إذا كان باطلا ؟ بل المطلوب التمييز بين المسميين، وهو معنى الحد اللفظى، كما يميز بين مسمي الاسم **المعرب** والمبنى، والفاعل والمفعول؛ ويميز بين مسميات سائر الأسماء، فيطالبون بما يميزون بين ما سموه حقيقة وما سموه مجازا، وهذا منتف في نفس الأمر، إذ ليس في نفس الأمر نوعأن ينفصل أحدهما عن الآخر حتى يسمى هذا حقيقة وهذا مجازا . وهذا بحث عقلى غير البحث اللفظى؛ فإنهم يعترفون بأن النزاع في المسألة لفظى .

وقد ظنوا أن هذا التسمية والفرق منقول عن **العرب** وغلطوا في ذلك، كما يغلط من يظن أن هذه التسمية والفرق يوجد في كلام الصحابة والتابعين وأئمة العلم، وأن هذه ذكره الشافعى أو غيره من العلماء، أوتكلم به وأحد من هؤلاء؛ فإن هذا غلط، يشبه أن الواحد تربى على اصطلاح اصطلحه طائفة فيظن أن المتقدمين

---

(١) مجموع الفتاوى ، /٥٣

(٢) مجموع الفتاوى ، /٥٤

من أهل العلم كان هذا اصطلاحهم . ومن ظن أن **العرب** قسمت هذا التقسيم أو أن هذا أخذ عنها توقيف، كما يوجد في كلام طائفة من المصنفين في أصول الفقه فغلطه أظهر، وقد وجد في كلام طائفة كأبي الحسين البصرى والقاضى أبي الطيب والقاضي أبي يعلى وغيرهم .." (١)

"ص -١٢٧- ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا ﴾ [مريم : ٧٤] ، والأثاث : المال من اللباس ونحوه . والرئي : المنظر . فأخبر أن الذين أهلكهم قبلهم كانوا أحسن صورا، وأحسن أثاثا، وأموالا، ليبين أن ذلك لا ينفع عنده ولا يعبأ به . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا فضل **لعربي** على عجمي، ولا لعجمي على **عربي**، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوي " . وفي السنن عنه أنه قال : " البذاذة من الإيمان " .

وأيضا ، فقد حرم علينا من لباس الحرير والذهب، وآنية الذهب والفضة، ما هو من أعظم الجمال في الدنيا، وحرم الله الفخر والخيلاء، واللباس الذي فيه الفخر والخيلاء، كإطالة الثياب، حتى ثبت في الصحيح عنه أنه قال : " من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة " . ومثل ذلك ما في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا " . وفي الصحيح عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء، خسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة " .

وقال تعالي : ﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله ﴾ [الأعراف : ٢٦] ، فأخبر أن لباس التقوي خير من ذلك . وقال تعالي : ﴿ أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين ﴾ [الزخرف : ١٨] ، وقال تعالي في حق قارون :." (٢)

"ص -٥٧٩- فإنه يكون تارة مخلصا، وتارة مشركا . وأما الرب - تعالى - فإنه لا يكون إلا إلها واحدا .

والحال - وإن كانت صفة للمفعول فهي - أيضا - حال للفاعل . فإنهم قالوا : نعبده في هذه الحال . فلزم أن عبادتهم له ليست في غير هذا الحال . وبين أن قوله : ﴿نعبد إلهك وإله آبائك . . . إلها واحدا ﴾ [البقرة : ١٣٣] ، هي حال متعلقة بالفاعل والمفعول جميعا - بالعابد والمعبود . فإن العامل فيها - المتعلق بها - العبادة، وهي فعل العابد، والذي يقال له المفعول في **العربية** هو المعبود .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٥٥/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٥٥/

كما قيل في الجملة : ﴿ونحن له مسلمون﴾ [البقرة : ١٣٣] قيل : هي واو العطف . وقيل : واو الحال . أى : نعبده في هذه الحال . قالوا : وهي حال من فاعل [نعبد] أو مفعوله لرجوع الهاء إليه في [له] . وهذا التقدير غلط؛ إذ هي حال منهما جميعا . فإنهم إذا عبدوه وهم مسلمون فهم مسلمون حال كونهم عابدين، وحال كونه معبودا؛ إذ كونهم عابدين وكونه معبودا ليس مختصا بمقارنة أحدهما دون الآخر . فالظرف والحال –هنا– كلمة وليست مفردا؛ ولهذا اشتبه عليهم . فإن المفرد لا يمكن أن يكون في اللفظ صفة لهذا وهذا . فإذا قلت : ضربت زيدا قاعدا، فالقعود حال للفاعل أو المفعول . وإذا قلت : ضربته والناس." (١)

"ص –٤٥٤– وأعجب من هذا دعوى تواتر هذا عن أهل الوضع وعن أهل الأعصار لم يزل يتناقل في أقوالها وكتبها عن أهل الوضع تسمية هذا حقيقة وهذا مجازا، وهذا التواتر الذي ادعاه لا يمكنه ولا غيره أن يأتي بخبر وأحد فضلا عن هذا التواتر الذي ادعاه .

فصل

وأما حجة النفاة التى ذكرها فإنه قال : فإن قيل : لو كان في لغة العرب لفظ مجازى فإما أن يقيد معناه بقرينة، أولا يقيد بقرينة؛ فإن كان الأول فهو مع القرينة لا يحتمل غير ذلك فكان مع القرينة حقيقة في ذلك المعنى . وإن كان الثاني فهو أيضا حقيقة، إذ لا معنى للحقيقة إلا ما يكون مستقلا بالإفادة من غير قرينة . ثم قال : قلنا : جواب الأول أن المجاز لا يفيد عند عدم الشهرة إلا بقرينة، ولا معنى للمجاز إلا هذا، والنزاع في ذلك لفظى، كيف وأن المجاز والحقيقة من صفات الألفاظ دون القرائن المعنوية ؟ فلا تكون الحقيقة صفة للمجموع .

فيقال : هو قد سلم أن النزاع لفظى، فيقال : إذا كان النزاع لفظيا، وهذا التفريق إصطلاح حادث لم يتكلم به العرب؛ ولا أمة من الأمم، ولا الصحابة، والتابعون، ولا السلف كان المتكلم بالألفاظ الموجودة التى تكلموا بها ونزل بها القرآن أولى من المتكلم باصطلاح." (٢)

"ص –١٧٥– وأما حلفه : إن الرحمن على العرش استوى على ما يفيده الظاهر ويفهمه الناس من ظاهره، فلفظة الظاهر قد صارت مشتركة، فإن الظاهر في الفطر السليمة واللسان العربي والدين القيم ولسان السلف غير الظاهر في عرف كثير من المتأخرين . فإن أراد الحالف بالظاهر شيئا من المعاني التي هي من

(١) مجموع الفتاوى ، /٥٦

(٢) مجموع الفتاوى ، /٥٦

خصائص المحدثين، أو ما يقتضي نوع نقص . بأن يتوهم أن الاستواء مثل استواء الأجسام على الأجسام، أو كاستواء الأرواح إن كانت لا تدخل عنده في اسم الأجسام، فقد حنث في ذلك، وكذب، وما أعلم أحدا يقول ذلك، إلا ما يروي عن مثل داود الجواربي البصري، ومقاتل بن سليمان الخراساني، وهشام بن الحكم الرافضي، ونحوهم، إن صح النقل عنهم .

فإنه يجب القطع بأن الله ليس كمثله شيء لا في نفسه، ولا في صفاته ولا في أفعاله وأن مباينته للمخلوقين، وتنزهه عن مشاركتهم أكبر وأعظم مما يعرفه العارفون من خليقته، ويصفه الواصفون . وأن كل صفة تستلزم حدوثا أو نقصا غير الحدوث فيجب نفيها عنه . ومن حكي عن أحد من أهل السنة أنه قاس صفاته بصفات خلقه، فهو إما كاذب، أو مخطئ .

وإن أراد الحالف بالظاهر ما هو الظاهر في فطر المسلمين قبل ظهور الأهواء وتشتت الآراء وهو الظاهر الذي يليق بجلاله سبحانه وتعالى." (١)

"ص -٤٠١- فصل

ونذكر هذا على قوله : ﴿أو لامستم النساء﴾ [النساء : ٣٤] .

المراد به : الجماع . كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من **العرب** . وهو يروى عن علي رضي الله عنه وغيره . وهو الصحيح في معنى الآية . وليس في نقض الوضوء من مس النساء، لا كتاب ولا سنة . وقد كان المسلمون دائما يمسون نساءهم . وما نقل مسلم واحد عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه أمر أحدا بالوضوء من مس النساء .

وقول من قال : إنه أراد ما دون الجماع، وإنه ينقض الوضوء، فقد روي عن ابن عمر والحسن [باليد] وهو قول جماعة من السلف في المس بشهوة، والوضوء منه حسن مستحب لإطفاء الشهوة، كما يستحب الوضوء من الغضب لإطفائه . وأما وجوبه، فلا .

وأما المس المجرد عن الشهوة، فما أعلم للنقض به أصلا عن السلف .

وقوله تعالى : ﴿أو لامستم النساء﴾ [المائدة] . لم يذكر في القرآن الوضوء." (٢)

"ص -٤٥٦- تعليقا، مع أن الاستثناء والشرط له معنى، ولولا الدلالة والوضع لما كان كذلك .

قلنا : لا نسلم التغيير في الوضع، بل غايته صرف اللفظ عما اقتضاه من جهة إطلاقه إلى غيره بالقرينة، فقد

---

(١) مجموع الفتاوى ، /٥٦

(٢) مجموع الفتاوى ، /٥٧

تكلم في [لا إله إلا الله] إذا كانت من مورد النزاع، فإنه يزعم أن كل عام خص ولو بالاستثناء كان مجازا؛ فيكون [لا إله إلا الله] عنده مجازا

ومعلوم أن هذا الكلام من أعظم المنكرات في الشرع، وقائله إلى أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل أقرب منه الى أن يجعل من علماء المسلمين، ثم هذا القائل مفتر على اللغة والشرع والعقل ؛ فإن **العرب** لم تتكلم بلفظ [لا إله] مجردا، ولا كانوا نافين للصانع حتى يقولوا : [لا إله] ، بل كانوا يجعلون مع الله إلهة أخرى، قال تعالى : ﴿أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد ﴾ [الأنعام : ١٩] ولهذا قالوا : ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب ﴾ [ص : ٥]

و ا لقرآن كله يثبت توحيد الألهية ويعيب عليهم الشرك، وقد تواتر عنه صلى الله عليه وسلم أنه أول مادعى الخلق الى شهادة أن لا إله إلا الله، وقال : " أمرت أن اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله " ، والمشركون لم يكونوا ينازعونه." (١)

"ص -١٧٨- مخلوق، أو يفسر باستواء مستلزم حدوثا أو نقصا، فهذا الذي يحكي عن الضلال المشبهة والمجسمة وهو باطل قطعا بالقرآن وبالعقل .

وإما أن يقال : ما ثم استواء حقيقي أصلا، ولا على العرش إله ولا فوق السموات رب، فهذا مذهب الضالة الجهمية المعطلة وهو باطل قطعا بما علم بالاضطرار من دين الإسلام لمن أمعن النظر في العلوم النبوية، وبما فطر الله عليه خليقته من الإقرار بأنه فوق خلقه، كإقرارهم بأنه ربهم . قال ابن قتيبة : ما زالت الأمم **عربها** وعجمها في جاهليتها وإسلامها معترفة بأن الله في السماء أي على السماء .

أو يقال : بل استوى سبحانه على العرش على الوجه الذي يليق بجلاله ويناسب كبريائه، وأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، مع أنه سبحانه هو حامل للعرش ولحملة العرش، وأن الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، كما قالته أم سلمة وربيعة بن أبي عبد الرحمن، ومالك بن أنس، فهذا مذهب المسلمين .

وهو الظاهر من لفظ [استوى] عند عامة المسلمين الباقين على الفطر السليمة، التي لم تنحرف إلى تعطيل ولا إلى تمثيل . هذا هو الذي أراده يزيد بن هارون الواسطي المتفق على إمامته وجلالته وفضله، وهو من أتباع التابعين حيث قال :." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٥٨/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٥٩/

"ص –٢٧٠– في رؤيته شيء من ذلك، بل أهل الضلال يتخذونها أوثانا، كما كانت اليهود والنصاري يتخذون قبور الأنبياء والصالحين مساجد . فببركة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أظهر الله من ذكرهم ومعرفة أحوالهم ما يجب الإيمان به، وتنتفع به العباد . وأبطل ما يضر الخلق من الشرك بهم واتخاذ قبورهم مساجد، كما كانوا يتخذونها في زمن من قبلنا .

ولم يكن على عهد الصحابة قبر نبي ظاهر يزار، لا بسفر ولا بغير سفر، لا قبر الخليل، ولا غيره . ولما ظهر بتستر [قبر دانيالي وكانوا يستسقون به، كتب فيه أبو موسي الأشعري إلي عمر بن الخطاب، فكتب إليه يأمره أن يحفر بالنهار ثلاثة عشر قبرا، ويدفنه بالليل في واحد منها، ويعفي القبور كلها لئلا يفتتن به الناس . وهذا قد ذكره غير واحد .

وممن رواه يونس بن بكر في [زيادات مغازي بن إسحاق] عن أبي خلدة خالد بن دينار . حدثنا أبو العإلية، قال : لما فتحنا [تستر] وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرا عليه رجل ميت، عند رأسه مصحف له، فأخذنا المصحف فحملناه إلي عمر بن الخطاب ، فدعا له كعبا فنسخه **بالعربية**، فأنا أول رجل من **العرب** قرأه، قرأته مثلما أقرأ القرآن هذا . فقلت : لأبي العإلية : ما كان فيه ؟ قال : سيرتكم، وأموركم، ولحون كلامكم، وما هو كائن بعد .." (١)

"ص –١٨٣– طريق مطرد إلا الرؤية، وقد سلكوا طرقا كما سلك الأولون منهم من لم يضبطوا سيره إلا بالتعديل الذي يتفق الحساب على أنه غير مطرد، وإنما هو تقريب مثل أن يقال : إن رؤي صبيحة ثمان وعشرين فهو تام، وإن لم ير صبيحة ثمان فهو ناقص، وهذا بناء على أن الاستسرار لليلتين، وليس بصحيح، بل قد يستسر ليلة تارة، وثلاث ليال أخري .

وهذا الذي قالوه إنما هو بناء على أنه كل ليلة لا يمكث في المنزلة إلا ستة أسباع ساعة، لا أقل ولا أكثر، فيغيب ليلة السابع نصف الليل، ويطلع ليلة أربعة عشر من أول الليل إلى طلوع الشمس، وليلة الحادي والعشرين يطلع من نصف الليل، وليلة الثامن والعشرين إن استسر فيها نقص وإلا كمل، وهذا غالب سيره، وإلا فقد يسرع ويبطئ .

وأما العقل، فاعلم أن المحققين من أهل الحساب كلهم متفقون على أنه لا يمكن ضبط الرؤية بحساب بحيث يحكم بأنه يري لا محالة، أو لا يري البتة على وجه مطرد، وإنما قد يتفق ذلك، أو لا يمكن بعض الأوقات؛ ولهذا كان المعتنون بهذا الفن من الأمم الروم، والهند، والفرس، **والعرب**، وغيرهم مثل بطليموس

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٥٩/

الذي هو مقدم هؤلاء، ومن بعدهم قبل الإسلام وبعده لم ينسبوا إليه في الرؤية حرفا واحدا، ولا حدوه كما حدوا اجتماع القرصين، وإنما تكلم به قوم منهم في أبناء الإسلام،مثل." (١)

"ص -٥٨٤- أحدهما : أنها خاصة بمن يموت كافرا . وهذا منقول عن مقاتل، كما قال في قوله : ﴿قل يا أيها الكافرون ﴾ . وكذلك نقل عن الضحاك . قالا : نزلت في مشركى العرب، كأبي جهل، وأبي طالب، وأبي لهب، ممن لم يسلم . وقال الضحاك : ونزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته .

وطائفة من المفسرين لم يذكروا غير هذا القول، كالثعلبى والبغوى وابن الجوزى . قال البغوى : هذه الآية في أقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم الله .

وقال ابن الجوزي : قال شيخنا على بن عبيد الله : وهذه الآية وردت بلفظ العموم والمراد بها الخصوص؛ لأنها آذنت بأن الكفار حين إنذارهم لا يؤمنون، وقد آمن كثير من الكفار عند إنذارهم . ولو كانت على ظاهرها في العموم لكان خبر الله بخلاف مخبره، فلذلك وجب نقلها إلى الخصوص .

والقول الثاني : أن الآية على مقتضاها، والمراد بها أن الإنذار وعدمه سواء بالنسبة إلى الكافر ما دام كافرا ، لا ينفعه الإنذار ولا يؤثر فيه، كما قيل مثل ذلك في الآيات : إنها غير موجبة للإيمان . وقد جمع بينهما في قوله : ﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ [يونس : ١٠١] .." (٢)

"ص -٣١٨- من ذلك، أو يقصر عن ذلك فعل ذلك، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم أحيانا يزيد على ذلك، وأحيانا ينقص عن ذلك .

فصل

وأما الوضوء عند كل حدث، ففيه حديث بلال المعروف عن بريدة بن حصيب، قال : أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بلالا فقال : " يا بلال، بم سبقتني إلى الجنة ؟ فما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي، دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامي، فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب، فقلت : لمن هذا القصر ؟ فقالوا : لرجل عربي، فقلت : أنا عربي، لمن هذا القصر ؟ فقالوا : لرجل من قريش . قلت : أنا رجل من قريش، لمن هذا القصر ؟ فقالوا : لرجل من أمة محمد، فقلت : أنا محمد، لمن هذا القصر ؟ فقالوا : لعمر بن الخطاب فقال بلال : يا رسول الله ، ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، و ما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها، فرأيت أن صلى الله عليه وسلم على ركعتين، فقال رسول الله

---

(١) مجموع الفتاوى ، /٥٩

(٢) مجموع الفتاوى ، /٦١

صلى الله عليه وسلم : " عليك بهما " . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .
وهذا يقتضي استحباب الوضوء عند كل حدث، ولا يعارض ذلك." (١)

"ص -١٢٢- المحصنة هي العفيفة التي أحصن فرجها، قال الله تعالى : ﴿ ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها ﴾ [التحريم : ١٢] ، وقال تعالى : ﴿ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات ﴾ [النور : ٢٣] ، وهن العفائف، قال حسان بن ثابت :

حصان رزان ما تزن بريبة ** وتصبح غرثي من لحوم الغوافل

ثم عادة العرب أن الحرة عندهم لا تعرف بالزنا، وإنما تعرف بالزنا الإماء؛ ولهذا لما بايع النبي صلى الله عليه وسلم هند امرأة أبي سفيان على ألا تزني قالت : أو تزني الحرة ؟ ! فهذا لم يكن معروفا عندهم . والحرة خلاف الأمة صارت في عرف العامة أن الحرة هي العفيفة؛ لأن الحرة التي ليست أمة كانت معروفة عندهم بالعفة، وصار لفظ الإحصان يتناول الحرية مع العفة؛ لأن الإماء لم يكن عفائف، وكذلك الإسلام هو ينهي عن الفحشاء والمنكر وكذلك المرأة المتزوجة زوجها يحصنها؛ لأنها تستكفي به، ولأنه يغار عليها، فصار لفظ الإحصان يتناول : الإسلام، والحرية، والنكاح . وأصله إنما هو العفة؛ فإن العفيفة هي التي أحصن فرجها من غير صاحبها، كالمحصن الذي يمتنع من غير أهله، وإذا كان الله إنما أباح من المسلمين وأهل الكتاب نكاح المحصنات، والبغايا لسن محصنات فلم يبح الله نكاحهن .

ومما يدل على ذلك قوله : ﴿ آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ﴾ [المائدة : ٥] ، والمسافح الزاني الذي يسفح ماءه مع هذه وهذه." (٢)

"ص -٣٠١- يفعل المحلوف عليه أولا يفعله، ثم قد يأمره الشرع أو تضطره الحاجة إلي فعله أو تركه، فيلزمه الطلاق بغير اختيار لا له ولا لسببه .

وأيضا، فإن الذي بعث الله تعالي به محمدا صلى الله عليه وسلم في باب الأيمان تخفيفها بالكفارة؛ لا تثقيلها بالإيجاب أو التحريم، فإنهم كانوا في الجاهلية يرون الظهار طلاقا، واستمروا على ذلك في أول الإسلام حتى ظاهر أوس بن الصامت من امرأته .

وأيضا، فالاعتبار بنذر اللجاج والغضب، فإنه ليس بينهما من الفرق إلا ما ذكرناه، وسنبين إن شاء الله عدم تأثيره . والقياس بإلغاء الفارق أصح ما يكون من الاعتبار باتفاق العلماء المعتبرين، وذلك أن الرجل إذا قال

---

(١) مجموع الفتاوى ، /٦١

(٢) مجموع الفتاوى ، /٦٢

: إن أكلت أو شربت فعلى أن أعتق عبدي، أو فعلى أن أطلق امرأتي، أو فعلى الحج، أو فأنا محرم بالحج، أو فمالي صدقة، أو فعلى صدقة، فإنه تجزئه كفارة يمين عند الجمهور، كما قدمناه، بدلالة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، فكذلك إذا قال : إن أكلت هذا أو شربت هذا فعلى الطلاق . أو فالطلاق لي لازم . أو فامرأتي طالق . أو فعبيدي أحرار؛ فإن قوله على الطلاق لا أفعل كذا، أو الطلاق يلزمني لا أفعل كذا، فهو بمنزلة قوله : على الحج لا أفعل كذا، أو الحج لي لازم لا أفعل كذا . وكلاهما يمينان محدثان ليستا مأثورتين عن **العرب** ، ولا معروفتين عن الصحابة ، وإنما." (١)

"ص –٣٠٢– المتأخرون صاغوا من هذه المعاني أيمانا، وربطوا إحدي الجملتين بالأخري، كالأيمان التي كان المسلمون من الصحابة يحلفون بها وكانت **العرب** تحلف بها، لا فرق بين هذا وهذا إلا أن قوله : إن فعلت فمالي صدقة، يقتضي وجوب الصدقة عند الفعل، وقوله : فامرأتي طالق، يقتضي وجود الطلاق، فالكلام يقتضي وقوع الطلاق بنفس الشرط وإن لم يحدث بعد هذا طلاقا، ولا يقتضي وقوع الصدقة حتى يحدث صدقة .

وجواب هذا الفرق الذي اعتمده الفقهاء المفرقون من وجهين :

أحدهما : منع الوصف الفارق في بعض الأصول المقيس عليها وفي بعض صور الفروع المقيس عليها .

والثاني : بيان عدم التأثير .

أما الأول : فإنه إذا قال : إن فعلت كذا فمالي صدقة، أو فأنا محرم أو فبعيري هدي، فالمعلق بالصفة وجود الصدقة والإحرام والهدي لا وجوبهما كما أن المعلق في قوله : فعبدي حر، وامرأتي طالق . وجود الطلاق والعتق لا وجوبهما؛ ولهذا اختلف الفقهاء من أصحابنا وغيرهم فيما إذا قال : هذا هدي، وهذا صدقة لله : هل يخرج عن ملكه، أو لا يخرج ؟ فمن قال : يخرج عن ملكه فهو كخروج زوجته وعبده عن ملكه، وأكثر ما في الباب أن الصدقة." (٢)

"ص –٢٧٥– بذلك . قال في أولها : ﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ [البقرة : ١ – ٥]

والصحيح في قوله : ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ﴾ أنه والذي قبله صفة لموصوف

---

(١) مجموع الفتاوى ، /٦٢

(٢) مجموع الفتاوى ، /٦٣

واحد؛ فإنه لابد من الإيمان بما أنزل إليه وما أنزل من قبله، والعطف لتغاير الصفات، كقوله : ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ [الحديد : ٣] ، وقوله : ﴿الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى﴾ [الأعلى : ٢ – ٤] ، وقوله : ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون﴾ إلي قوله : ﴿أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ [المؤمنون : ١ – ١١] ، ومن قال : ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ أراد به مشركي **العرب**، وقوله : ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ ، أن المراد به أهل الكتاب : فقد غلط؛ فإن مشركي **العرب** لم يؤمنوا بما أنزل إليه وما أنزل من قبله، فلم يكونوا مفلحين . وأهل الكتاب إن لم يؤمنوا بالغيب ويقيموا الصلاة ومما رزقناهم ينفقون لم يكونوا مفلحين؛ ولهذا قال تعالى : ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ ، فدل على أنهم صنف واحد." (١)

"ص -٣٥٧- فصل

وأما العبادات فإن أصل الدين أنه لا حرام إلا ما حرمه الله، ولا دين إلا ما شرعه الله، فإن الله سبحانه في سورة الأنعام والأعراف عاب على المشركين أنهم حرموا ما لم يحرمه الله، وأنهم شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، كما قال ابن عباس : إذا أردت أن تعرف جهل **العرب** فاقرأ من قوله : ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام﴾ [الأنعام ١٣٦] . الآية ؛ وذلك أن الله ذم المشركين على ما ابتدعوه من تحريم الحرث والأنعام، وما ابتدعوه من الشرك، وذمهم على احتجاجهم على بدعهم بالقدر، قال تعالى : ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا﴾ [الأنعام ١٤٨] . الآية . وفي الصحيح عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يقول الله تعالى : إني خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين، وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا " وذكر في سورة الأعراف ما حرموه وما شرعوه، وقال تعالى : ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش﴾ [الأعراف ٣٣] . الآية وقال :." (٢)

"ص -١٨٥- والسمع، والبصر فهذا النوع من الألفاظ لا يمكن أن يوجد له معنى مفرد بحسب بعض موارده؛ لوجهين .

أحدهما : أنه لم يستعمل مفردا قط .

الثاني : أن ذلك يلزم منه الاشتراك، أو المجاز، بل يجعل حقيقة في القدر المشترك بين موارده .

---

(١) مجموع الفتاوى ، /٦٤

(٢) مجموع الفتاوى ، /٦٥

وما نحن فيه من هذا الباب، فإن لفظ [استوى] لم تستعمله **العرب** في خصوص جلوس الآدمي مثلا على سريره حقيقة حتى يصير في غيره مجازا، كما أن لفظ العلم لم تستعمله **العرب** في خصوص العرف القائم بقلب البشر المنقسم إلى ضروري ونظري حقيقية، واستعملته في غيره مجازا، بل المعنى تارة يستعمل بلا تعدية، كما في قوله : ﴿ولما بلغ أشده واستوى ﴾ [القصص : ٤١] . وتارة : يعدي بحرف الغاية، كما في قوله : ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ [فصلت : ١١] ، وتارة : يعدي بحرف الاستعلاء . ثم هذا تارة : يكون صفة لله . وتارة : يكون صفة لخلقه، فلا يجب أن يجعل في أحد الموضعين حقيقة وفي الآخر مجازا .

ولا يجوز أن يفهم من استواء الله الخاصية التي تثبت للمخلوق دون الخالق، كما في قوله تعالى : ﴿والسماء بنيناها بأيد ﴾ [الذاريات : ٤٧] ، وقوله تعالى : ﴿مما عملت أيدينا ﴾ [يس : ٧١] ، وقوله." (١)

"ص -١٦٢- [الباري،العلام] ويحلفون به، وهم من الإسماعيلية القائلين بأن محمد بن إسماعيل نسخ شريعة محمد بن عبد الله، وهم أعظم كفرا من الغالية، يقولون بقدم العالم، وإنكار المعاد، وإنكار واجبات الإسلام ومحرماته، وهم من القرامطة الباطنية الذين هم أكفر من اليهود والنصاري ومشركي **العرب**، وغايتهم أن يكونوا [فلاسفة] علي مذهب أرسطو وأمثاله، أو [مجوسا] . وقولهم مركب من قول الفلاسفة والمجوس، ويظهرون التشيع نفاقا . والله أعلم .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله ردا علي نبذ لطوائف من [الدروز]

كفر هؤلاء مما لا يختلف فيه المسلمون، بل من شك في كفرهم فهو كافر مثلهم، لا هم بمنزلة أهل الكتاب ولا المشركين، بل هم الكفرة الضالون فلا يباح أكل طعامهم، وتسبي نساؤهم، وتؤخذ أموالهم . فإنهم زنادقة مرتدون لا تقبل توبتهم، بل يقتلون أينما ثقفوا، ويلعنون كما وصفوا، ولا يجوز استخدامهم للحراسة والبوابة والحفاظ ويجب قتل علمائهم وصلحائهم لئلا يضلوا غيرهم، ويحرم النوم معهم في بيوتهم، ورفقتهم، والمشي معهم، وتشييع جنائزهم إذا علم موتها . ويحرم علي ولاة أمور المسلمين إضاعة ما أمر الله من إقامة الحدود عليهم بأي شيء يراه المقيم لا المقام عليه . والله المستعان وعليه التكلان .." (٢)

"ص -٣٥٩- ذلك وهذا هو الصواب . ولأصحاب أحمد وجهان ؛ وذلك أن هذه بدعة لم يفعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه، بل كان يفتتح الصلاة بالتكبير، ولا يقول قبل التكبير شيئا من

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٦٦/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٦٦/

هذه الألفاظ، كذلك في تعليمه للصحابة إنما علمهم الافتتاح بالتكبير، فهذه بدعة في الشرع، وهي أيضا غلط في القصد، فإن القصد إلى الفعل أمر ضروري في النفس، فالتلفظ به من باب العبث، كتلفظ الآكل بنية الأكل ؛ والشارب بنية الشرب ؛ والناكح بنية النكاح؛ والمسافر بنية السفر ؛ وأمثال ذلك .

ومن ذلك صفات العبادات فإن مالكا وأهل المدينة لا يجوزون تغيير صفة العبادة المشروعة فلا يفتتح الصلاة بغير التكبير المشروع، وهو قول الله أكبر كما أن هذا التكبير هو المشروع في الأذان والأعياد، ولا يجوزون أن يقرأ القرآن بغير العربية، ولا يجوزون أن يعدل عن المقصود المنصوص في الزكاة إلى ما يختار المالك من الأموال بالقيمة، وهم في مواقيت الصلاة أتبع للسنة من أهل الكوفة، حيث يستحبون تقديم الفجر والعصر، ويجعلون وقت العصر إذا صار ظل كل شيء مثله، وهو آخر وقت الظهر، ويجعلون وقت صلاة العشاء وصلاة المغرب مشتركا للمعذور، كالحائض إذا طهرت، والمجنون، إذا أفاق." (١)

"ص -٥٩١- والآية لابد أن تتناول كفار أهل الكتاب، كما قال ابن إسحاق . فإن السورة مدنية، وإن تناولت مع ذلك المشركين . فهي تعم كل كافر . ومقاتل، والضحاك يخصاها ببعض مشركى العرب . وابن السائب يقول : هي إنما نزلت في اليهود، منهم حيى بن أخطب . وكذلك ما ذكره ابن إسحاق، عن ابن عباس، أنها في اليهود، وأبو العالية يقول : إنها نزلت في قادة الأحزاب .

والآية تعم هؤلاء كلهم وغيرهم، كما أن آيات المؤمنين والمنافقين كان سبب نزولها المؤمنين والمنافقين الموجودين وقت النزول، وهي تعمهم وغيرهم من المؤمنين والمنافقين إلى قيام الساعة .

والمقصود أن قوله : ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ [البقرة : ٦] ، كقوله : ﴿فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم﴾ [الروم : ٥٢، ٥٣] ، وقوله : ﴿أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون﴾ [يونس : ٤٢، ٤٣] .

وكل هذا فيه بيان أن مجرد دعائك وتبليغك وحرصك على هداهم ليس موجب ذلك، وإنما يحصل ذلك إذا شاء الله هداهم فشرح صدورهم للإسلام، كما قال تعالى : ﴿إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل﴾ [النحل : ٣٧] ،." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، /٦٧

(٢) مجموع الفتاوى ، /٦٨

"ص -٤٦٦- ثم أنه سبحانه كمل ذلك بقوله : ﴿من الرحمة ﴾ [الإسراء : ٢٤] فهو جناح ذل من الرحمة لا جناح ذل من العجز والضعف : إذ الأول محمود والثاني مذموم .

قال : وقوله : ﴿أشهر معلومات ﴾ [البقرة : ١٩٧] والاشهر ليست هي الحج ؟

فيقال : معلوم أن أوقات الحج أشهر معلومات، ليس المراد أن نفس الأفعال هي الزمان، ولا يفهم هذا أحد من اللفظ، ولكن قد يقال : في الكلام محذوف تقديره : وقت الحج أشهر معلومات، ومن عادة العرب الحسنة في خطابها أنهم يحذفون من الكلام ما يكون المذكور دليلا عليه اختصارا، كما أنهم يوردون الكلام بزيادة تكون مبالغة في تحقيق المعنى . فالأول كقوله : ﴿اضرب بعصاك البحر فانفلق ﴾ [الشعراء : ٦٣] فمعلوم أن المراد فضرب فانفلق، لكن لم يحتج إلى ذكر ذلك في اللفظ إذ كان قوله : قلنا : اضرب؛فانفلق : دليلا على أنه ضرب فانفلق . وكذلك قوله : ﴿من آمن ﴾ [البقرة : ٦٢] تقديره بر من آمن أو صاحب من آمن . وكذلك قوله : ﴿الحج أشهر ﴾ [البقرة : ١٩٧] أي : أوقات الحج أشهر، فالمعنى متفق عليه، لكن الكلام في تسمية هذا مجازا، وقول القائل : نفس الحج ليس بأشهر؛ إنما يتوجه لو كان هذا مدلول الكلام؛ وليس كذلك، بل مدلوله عند من تكلم به أو سمعه : أن أوقات الحج أشهر معلومات .." (١)

"ص -١٩٣- ولا في العقل، وما يعلم بالعقل ما يعلم به نفي ذلك، وإنما نفي ذلك جزما بغير مثل نفي بعض الجهال أن تكون الأفلاك مستديرة، فمنهم من ينفي ذلك جزما،ومنهم من ينفي الجزم به على كل أحد،وكلاهما جهل، فمن أين له نفي ذلك، أو نفي العلم به عن جميع الخلق، ولا دليل له على ذلك إلا ما قد يفهمه بفهمه الناقص ؟ !

هذا وقد ثبت بالكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة أن الأفلاك مستديرة، قال الله تعالى : ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ﴾ [فصلت : ٣٧] ، وقال : ﴿ وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون ﴾ [الأنبياء : ٣٣] ، وقال تعالى : ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ [يس : ٤٠] قال ابن عباس : في فلكة مثل فلكة المغزل، وهكذا هو في لسان العرب : الفلك : الشيء المستدير، ومنه يقال : تفلك ثدي الجارية إذا استدار، قال تعالى : ﴿ يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ﴾ [الزمر : ٥] ، والتكوير هو التدوير، ومنه قيل : كار العمامة وكورها، إذا أدارها، ومنه قيل : للكرة : كرة، وهي الجسم المستدير؛ ولهذا يقال للأفلاك

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٦٨/

: كروية الشكل؛ لأن أصل الكرة كورة، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقبلت ألفا، وكورت الكارة، إذا دورتها، ومنه الحديث : " إن الشمس والقمر يكوران يوم القيامة." (١)

"ص -١٣٣- أفضل ممن خفيت عليه النصوص، وهؤلاء لهم أجران، وأولئك لهم أجر، كما قال تعالى : ﴿ وداوود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ﴾ [الأنبياء : ٧٨، ٧٩]

ومن تدبر نصوص الكتاب والسنة وجدها مفسرة لأمر النكاح، لا تشترط فيه ما يشترطه طائفة من الفقهاء، كما اشترط بعضهم : ألا يكون إلا بلفظ الإنكاح والتزويج . واشترط بعضهم أن يكون **بالعربية**، واشترط هؤلاء وطائفة ألا يكون إلا بحضرة شاهدين . ثم إنهم مع هذا صححوا النكاح مع نفي المهر . ثم صاروا طائفتين : طائفة تصحح نكاح الشغار؛ لأنه لا مفسد له إلا نفي المهر، وذلك ليس بمفسد عندهم . وطائفة تبطله، وتعلل ذلك بعلل فاسدة؛ كما قد بسطناه في مواضع . وصححوا نكاح المحلل الذي يقصد التحليل، فكان قول أهل الحديث وأهل المدينة الذين لم يشترطوا لفظا معينا في النكاح ولا إشهاد شاهدين مع إعلانه وإظهاره، وأبطلوا نكاح الشغار، وكل نكاح نفي فيه المهر، وأبطلوا نكاح المحلل . . . أشبه بالكتاب والسنة وآثار الصحابة .

ثم إن كثيرا من أهل الرأي الحجازي والعراقي وسعوا باب الطلاق فأوقعوا طلاق السكران، والطلاق المحلوف به، وأوقع هؤلاء طلاق." (٢)

"ص -٧٩- بينهم، وأيضا فلا يجوز قتالهم إذا كان الذين مع علي ناكلين عن القتال، فإنهم كانوا كثيري الخلاف عليه ضعيفي الطاعة له . والمقصود أن هذا الحديث لا يبيح لعن أحد من الصحابة، ولا يوجب فسقه . وأما [أهل البيت] فلم يسبوا قط . ولله الحمد .

ولم يقتل الحجاج أحدا من بني هاشم، وإنما قتل رجالا من أشراف **العرب**، وكان قد تزوج بنت عبد الله بن جعفر، فلم يرض بذلك بنو عبد مناف ولا بنو هاشم ولا بنو أمية، حتي فرقوا بينه وبينها، حيث لم يروه كفئا . والله أعلم .

وسئل رحمه الله عن الفتن التي تقع من أهل البر وأمثالها، فيقتل بعضهم بعضا، ويستبيح بعضهم حرمة بعض : فما حكم الله تعالي فيهم ؟

---

(١) مجموع الفتاوى ، /٦٩

(٢) مجموع الفتاوى ، /٧٣

فأجاب :

الحمد لله، هذه الفتن وأمثالها من أعظم المحرمات، وأكبر المنكرات، قال الله تعالى :." [1]

"ص -٤٧٧- وقوله : ﴿ذلك عيسى ﴾ [مريم : ٣٤] يرجع إلى الاسم : فإنهم إذا حملوه على هذا كان مجازا؛ لأن القول الذي هو الاسم ليس بمضاف إليه؛ ولذا نقول : ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه ﴾ [مريم : ٣٥] والاسم الذي هو القول ليس بابن مريم، وإنما ابن مريم نفس الجسم والروح الذي يقع عليهما الاسم، الذي ظهرت على يديه الآيات الخارقة، التي جعلوه لأجل ظهورها إلها .

وقولهم : المراد نفس ذات العجل لما نسفه : فإذا نسف خرج عن أن يكون عجلا : بل العجل حقيقة الصورة المخصوصة التي خارت، وإلا برادة الذهب لا تصل إلا القلوب، وغاية ما تصل إلى الأجواف : فإما أن يسبقها الطبع فيحيلها إلى أن تصل إلى القلب فليس كذلك بل سحالة الذهب إذا حصلت في المعدة رسبت، بحيث لا ترتقي إلى غير محلها فضلا عن أن تصل إلى القلب؛ ولأن قول **العرب** : إشربوا : لا يرجع إلى الشرب إنما يرجع إلى الأسباب، وهو : الايساغ وذلك يرجع إلى الحب لا إلى الذوات التي هي الأجسام؛ ولهذا لا يقال : إشربوا في قلوبهم الماء إذ هو مشروب، فكيف يقال في العجل على أن إضافته نفسه إلى القلب إضافة له إلى محل الحب ؟ وقد ورد في الخبر أنهم كانوا يقولون في سحالته إذا تناولوها : هذا أحب إلينا من موسى ومن إله موسى؛ لما نالهم من محبته في قلوبهم .." [2]

"ص -١٥١- مخدعها، أفضل من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في حجرتها أفضل من صلاتها في دارها، وصلاتها في دارها أفضل من صلاتها في مسجد قومها، وصلاتها في مسجد قومها أفضل من صلاتها معي " . وهذا كله لما في ذلك من الاستتار والاحتجاب .

ومعلوم أن المساكن من جنس الملابس، كلاهما جعل في الأصل للوقاية، ودفع الضرر . كما جعل الأكل والشرب لجلب المنفعة، فاللباس يتقي الإنسان به الحر والبرد، ويتقي به سلاح العدو، وكذلك المساكن يتقي بها الحر والبرد، ويتقي بها العدو . وقال تعالي : ﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾ [النحل : ٨١] ، فذكر في هذا الموضع ما يحتاجون إليه لدفع ما قد يؤذيهم .

وذكر في أول السورة ما يضطرون إليه لدفع ما يضرهم، فقال : ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٧٦/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٧٩/

ومنها تأكلون ﴾ [النحل : ٥] ، فذكر ما يستدفئون به، ويدفعون به البرد؛ لأن البرد يهلكهم، والحر يؤذيهم؛ ولهذا قال بعض العرب : البرد بؤس، والحر أذي؛ ولهذا السبب لم يذكر في الآية الأخري وقاية البرد، فإن ذلك تقدم في أول السورة، وهو ذكر في أثناء السورة ما أتم به النعمة، وذكر." (١)

"ص -٤٨١- نحاة الكوفة وغيرهم إضافة الموصوف إلى صفته بلا حذف، وعند كثير من نحاة البصرة أن المضاف إليه محذوف تقديره : صلاة الساعة الأولى، والأول أصح، ليس في اللفظ ما يدل على المحذوف ولا يخطر بالبال، وقد جاء في غير موضع كقوله : ﴿الدار الآخرة ﴾ [البقرة : ٩٤] وقال : ﴿قوله الحق ﴾ [الأنعام : ٧٣] .

وبالجملة فنظائر هذا في القرآن وكلام العرب كثير، وليس في هذا حجة لمن سمى ذلك مجازا إلا كحجته في نظائره، فيرجع في ذلك إلى الأصل .

قال ابن عقيل : ومن أدلتنا قوله تعالى : ﴿بلسان عربي مبين ﴾ [الشعراء : ١٩٥] وإذا ثبت أنه عربي فلغة العرب مشتملة على الاستعارة والمجاز، وهي بعض طرق البيان والفصاحة، فلو أخل بذلك لما تمت أقسام الكلام وفصاحته على التمام والكمال، وإنما يبين تعجيز القوم إذا طال وجمع من استعارتهم وأمثالهم وصفاتهم، ولا نص بجواز الألفاظ إلا إذا طالت؛ ولهذا لا يحصل التحدي بمثل بيت، ولا بالآية والآيتين ! ولهذا جعل حكم القليل منه غير محترم احترام الطويل، فسوغ الشرع للجنب والحائض تلاوته، كل ذلك لأنه لا إعجاز فيه، فإذا أتى بالمجاز والحقيقة وسائر ضروب الكلام وأقسامه ففاق كلامه الجامع المشتمل على تلك الاقسام : كان الإعجاز؛ وظهر التعجيز لهم، فهذا يوجب أن يكون في القرآن مجاز .." (٢)

"ص -٤٨٢- قلت : ما ذكره من أن السورة القصيرة لا إعجاز فيها مما ينازعه أكثر العلماء، ويقولون : بل السورة معجزة، بل ونازعه بعض الاصحاب في الآية والآيتين، قال أبو بكر ابن العماد - شيخ جدي أبي البركات - : قوله إنما جاز للجنب قراءة اليسير من القرآن لأنه لا إعجاز فيه : ما أراه صحيحا؛ لأن الكل محترم، وإنما ساغ للجنب قراءة بعض الآية توسعة على المكلف، ونظرا في تحصيل المثوبة والحرج مع قيام الحرمة، كما سوغ له الصلاة مع يسير الدم مع نجاسته .

قلت : وأما قوله : أن القرآن نزل بلغة العرب : فحق، بل بلسان قريش كما قال تعالى : ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ [إبراهيم : ٤] وقال عمر وعثمان : إن هذا القرآن نزل بلغة هذا الحي من قريش،

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٨٠/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٨٣/

وحينئذ فمن قال : إن الألفاظ التي فيه ليست مجازا ونظيرها من كلام **العرب** مجاز فقد تناقض، لكن الأصحاب الذين قالوا : ليس في القرآن مجاز لم يعرف عنهم أنهم اعترفوا بأن في لغة **العرب** مجازا؛ فلا يلزمهم التناقض .

وأيضا فقول القائل : إن في لغة **العرب** مجازا غير ما يوجد نظيره في القرآن؛ فإن كلام المخلوقين فيه من المبالغة والمجازفة من المدح والهجو والمراثي وغير ذلك ما يصأن عنه كلام الحكيم؛ فضلا عن كلام الله : فإذا كان المسمى لا يسمي مجازا إلا ما كان كذلك لم يلزمه أن يسمي." (١)

"ص -٨٧- مثل أن يعاقب بعضهم، أو يحبس، أو يقتل من وجب قتله منهم، ونحو ذلك، عمل ذلك، ولا حاجة إلي القتال .

وأما قول القائل : إن الله أوجب علينا، طلب الثأر، فهو كذب علي الله ورسوله؛ فإن الله لم يوجب علي من له عند أخيه المسلم المؤمن مظلمة من دم أو مال أو عرض أن يستوفي ذلك، بل لم يذكر حقوق الآدميين في القرآن إلا ندب فيها إلي العفو، فقال تعالي : ﴿ والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ﴾ [المائدة : ٤٥] ، وقال تعالي : ﴿ فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح ﴾ [البقرة : ٢٣٧] .

وأما قوله تعالي : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ [المائدة : ٤٥] ، فهذا مع أنه مكتوب علي بني إسرائيل، وإن كان حكمنا كحكمهم مما لم ينسخ من الشرائع، فالمراد بذلك التسوية في الدماء بين المؤمنين، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد علي من سواهم " . " فالنفس بالنفس " وإن كان القاتل رئيسا مطاعا من قبيلة شريفة والمقتول سوقي طارف، وكذلك إن كان كبيرا وهذا صغيرا، أو هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا **عربيا** وهذا عجميا، أو هذا هاشميا وهذا قرشيا . وهذا رد لما كان عليه." (٢)

"ص -٤٨٤- في أن الله إله حق، وإنما كانوا يجعلون معه إلهة أخرى، فكان النزاع بين الرسول وبينهم في نفي الألهية عما سوى الله حقيقة، إذ لم يستعمل في غير ما وضع له، وأن الموضوع الأصل هو النفي وهو نفي الإله مطلقا، فهذا المعنى لم يعتقده أحد من **العرب**، بل ولا لهم قصد في التعبير عنه، ولا

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٨٤/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٨٥/

وضعوا له لفظا بالقصد الأول، إذ كان التعبير هو عما يتصور من المعاني، وهذا المعنى لم يتصوروه إلا نافين له، يتصوروه مثبتين له ونفي النفي إثبات .

فمن قال : أن هذا اللفظ قصدوا به في لغتهم كان أن يبعث الرسول لنفي كل إله، وأن هذا هو موضوع اللفظ الذي قصدوه به أولا، وقولهم : لا إله إلا الله : استعمال لذلك اللفظ في غير المعنى الذي كان موضوع اللفظ عندهم : فكذبه ظاهر عليهم في حال الشرك، فكيف في حال الإيمان ؟ .

ولا ريب أن جميع التخصيصات المتصلة كالصفة؛ والشرط؛ والغاية؛ والبدل؛ والاستثناء : هو بهذه المنزلة لكن أكثر الألفاظ قد استعملوها تارة مجردة عن هذه التخصيصات وتارة مقرونة بها، بخلاف قول : لا إله إلا الله؛ فإنهم لم يعرفوا قط عنهم أنهم استعملوها مجردة عن الاستثناء، إذ كان هذا المعنى باطلا عندهم، فمن جعل هذا حقيقة في لغتهم ظهر كذبه عليهم، وإن فرق بين استثناء واستثناء تناقض وخالف الإجماع؛ وذلك." (١)

"ص -٤٨٦- نحن نسمي تلك الإمور مجازا بخلاف ما استعمل في القرآن ونحوه من كلام العرب : فهذا اصطلاح هم فيه أقرب إلى الصواب ممن جعل أكثر كلام العرب مجازا، كما يحكى عن ابن جني أنه قال : قول القائل : خرج زيد : مجاز؛ لأن الفعل يدل على المصدر والمصدر المعرف باللام يستوعب جميع أفراد الخروج، فيقتضي ذلك أن زيدا حصل منه جميع أنواع الخروج؛ هذا حقيقة اللفظ : فإن أريد فرد من أفراد الخروج فهو مجاز .

فهذا الكلام لا يقوله من يتصور ما يقول، وابن جني له فضيلة وذكاء؛ وغوص على المعاني الدقيقة في سر الصناعة والخصائص وإعراب القرآن وغير ذلك؛ فهذا الكلام أن كان لم يقله فهو أشبه بفضيلته وإذا قإله فالفاضل قد يقول ما لا يقوله إلا من هو من أجهل الناس؛ وذلك أن الفعل إنما يدل على مسمى المصدر، وهو الحقيقة المطلقة من غير أن يكون مقيدا بقيد العموم، بل ولا بقيد آخر .

فإذا قيل : خرج زيد؛ وقام بكر؛ ونحو ذلك : فالفعل دل على أنه وجد منه مسمى خروج؛ ومسمى قيام؛ من غير أن يدل اللفظ على نوع ذلك الخروج والقيام، ولا على قدره، بل هو صالح لذلك على سبيل البدل لا على سبيل الجمع، كقوله : ﴿فتحرير رقبة﴾ [النساء : ٩٢] ؛ فإنه أوجب رقبة واحدة؛لم يوجب كل رقبة؛ وهي تتناول جميع." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، /٨٦

(٢) مجموع الفتاوى ، /٨٨

"ص -٤٨٧- الرقاب على سبيل البدل، فأي رقبة أعتقها أجزأته . كذلك إذا قيل خرج دل على وجود خروج، ثم قد يكون قليلا؛ وقد يكون كثيرا . وقد يكون راكبا؛ وقد يكون ماشيا؛ ومع هذا فلا يتناول على سبيل البدل إلا خروجا يمكن من زيد .

وأما أن هذا اللفظ يقتضي عموم كل ما يسمى خروجا في الوجود لا على سبيل الجمع فهذا لا يقوله القائل إلا إذا فسد تصوره، وكان إلى الحيوان أقرب ، والظن بابن جني أنه لا يقول هذا .

ثم هذا المعنى موجود في سائر اللغات فهل يقول عاقل : إن أهل اللغات جميعهم الذين يتكلمون بالجمل الفعلية التي لا بد منها في كل أمة إنما وضعوا تلك الجملة الفعلية على جميع أنواع ذلك الفعل الموجود في العالم، وأن استعمال ذلك في بعض الأفراد عدول باللفظ عما وضع له ؟ ولكن هذا مما يدل على فساد أصل القول بالمجاز إذا أفضى إلى أن يقال : في الوجود مثل هذا الهذيان، ويجعل ذلك مسألة نزاع توضع في أصول الفقه .

فمن قال من نفاة المجاز في القرآن : أنا لا نسمي ما كان في القرآن ونحوه من كلام **العرب** مجازا، وإنما نسمي مجازا ما خرج عن ميزان العدل، مثل ما يوجد في كلام الشعراء من المبالغة في المدح والهجو." (١)

"ص -٩١- وإنفاقه في المعاصي، فهؤلاء فساق مستحقون للوعيد، وإن كان مقصودهم أن تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين لله، فهؤلاء مجاهدون، لكن إذا كانت لهم كبائر كان لهم حسنات وسيئات، وأما إن كانوا يغيرون علي المسلمين الذين هناك، فهؤلاء مفسدون في الأرض، محاربون لله ورسوله مستحقون للعقوبة البليغة في الدنيا والآخرة، والله أعلم .

وسئل رحمه الله تعالي عن جندي مع أمير، وطلع السلطان إلي الصيد، ورسم السلطان بنهب ناس من **العرب** وقتلهم، فطلع إلي الجبل فوجد ثلاثين نفرا فهربوا، فقال الأمير : سوقوا خلفهم، فردوا عليهم ليحاربوا، فوقع من الجندي ضربة في واحد فمات : فهل عليه شيء أم لا ؟

فأجاب :

الحمد لله رب العالمين، إذا كان هذا المطلوب من الطائفة المفسدة الظلمة الذين خرجوا عن الطاعة وفارقوا الجماعة وعدوا علي المسلمين في دمائهم وأموالهم بغير حق، وقد طلبوا ليقام فيهم أمر الله ورسوله ، فهذا الذي عاد منهم قاتلا يجوز قتاله، ولا شيء علي من قتله علي الوجه المذكور، بل المحاربون يستوي فيهم

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٨٩/

المعاون والمباشر عند جمهور الأئمة؛ كأبي حنيفة، ومالك، وأحمد . فمن كان معاونا كان حكمه حكمهم .." (١)

"ص -٣٢٩- فذكر الله اسم الأيمان في أربعة مواضع في قوله : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ ، وقوله : ﴿ بما عقدتم الأيمان ﴾ ، وقوله : ﴿ ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم ﴾ ، وقوله : ﴿ واحفظوا أيمانكم ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم ﴾ [التحريم : ١، ٢] ، وهذا الاستفهام استفهام إنكار يتضمن النهي؛ فإن الله لا يستفهم لطلب الفهم والعلم فإنه بكل شيء عليم، ولكن مثل هذا يسميه أهل العربية استفهام إنكار، واستفهام الإنكار يكون بتضمن الإنكار مضمون الجملة : إما إنكار نفى إن كان مضمونها خبرا، وإما إنكار نهى إن كان مضمونها إنشاء . والكلام إما خبر وإما إنشاء . وهذا كقوله : ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم ﴾ [التوبة : ٤٣] ، وقوله : ﴿ لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ [الصف : ٢] ، ونحو ذلك .

فالله تعالى نهى نبيه عن تحريم الحلال كما نهى المؤمنين، وأخبر أنه فرض لهم تحلة أيمانهم، كما ذكر كفارة اليمين بعد النهي عن تحريم الحلال في سورة المائدة، وقوله : ﴿ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ﴾ [التحريم : ٢] هو ما ذكره." (٢)

"ص -٤٨٩- وقوله : ﴿ومن قتل مؤمنا خطئا فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله ﴾ [النساء : ٩٢] وقوله : ﴿فاعبد الله مخلصا له الدين ﴾ [الزمر : ٢] وقوله : ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ﴾ [الإسراء : ٣٣] وقوله : ﴿إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ﴾ [المائدة : ٣٤] وقوله : ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴾ [النساء : ١٩] وقوله : ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا ﴾ [المجادلة : ٣] وقوله : ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ﴾ [النساء : ١٢٤] وقوله : ﴿فشربوا منه إلا قليلا منهم ﴾ [البقرة : ٢٤٩] وقوله : ﴿ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم ﴾ [النور : ٦] وقوله : ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ﴾ [الفتح : ٢٧] وأمثال هذا مما لا يعد إلا بكلفة .

فمن جعل هذا كله مجازا وأن العرب تستعمل هذا كله وما أشبهه في غير ما وضع اللفظ له أولا : فقوله

---

(١) مجموع الفتاوى ، /٨٩

(٢) مجموع الفتاوى ، /٩٠

معلوم الفساد بالضرورة، ولزمه أن يكون أكثر الكلام مجازا؛ إذ كان هذا يلزمه في كل لفظ مطلق قيد بقيد، والكلام جملتان : إسمية وفعلية والإسمية أصلها المبتدأ والخبر؛ فيلزم إذا وصف المبتدأ والخبر أو استثني منه أو قيد بحال كان مجازا .

ويلزمه إذا دخل عليه كان وأخواتها وإن وأخواتها وظننت وأخواتها فغيرت معناه وإعرابه : أن يصير مجازا؛ فإن دخول القيد عليه تارة يكون في أول الكلام؛ وتارة في وسطه؛ وتارة في آخره." (١)

"ص -١٤٥- وأما قوله عن داود عليه السلام : ﴿وخر راكعا وأناب﴾ [ص : ٢٤] ، لا ريب أنه سجد . كما ثبت بالسنة، وإجماع المسلمين أنه سجد لله، والله سبحانه مدحه بكونه خر راكعا، وهذا أول السجود، وهو خروره . فذكر سبحانه أول فعله وهو خروره راكعا، ليبين أن هذا عبادة مقصودة، وإن كان هذا الخرور كان ليسجد . كما أثني على النبيين بأنهم كانوا : ﴿إذا تتلي عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا﴾ [مريم : ٥٨] ، ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾ أنهم : ﴿إذا يتلي عليهم يخرون للأذقان سجدا﴾ ، ﴿ويخرون للأذقان يبكون﴾ [الإسراء : ١٠٧ ١٠٩] ، وذلك لأن الخرور هو أول الخضوع المنافي للكبر . فإن المتكبر يكره أن يخر، ويحب ألا يزال منتصبا مرتفعا، إذا كان الخرور فيه ذل وتواضع، وخشوع؛ ولهذا يأنف منه أهل الكبر من **العرب**، وغير **العرب** . فكان أحدهم إذا سقط منه الشيء لا يتناوله، لئلا يخر وينحني .

فإن الخرور انخفاض الوجه والرأس، وهو أعلى ما في الإنسان وأفضله . وهو قد خلق رفيعا منتصبا، فإذا خفضه، لاسيما بالسجود، كان ذلك غاية ذله؛ ولهذا لم يصلح السجود إلا لله، فمن سجد لغيره، فهو مشرك، ومن لم يسجد له فهو مستكبر عن عبادته، وكلاهما كافر من أهل النار . قال تعالى : ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ [غافر : ٦٠] ، وقال." (٢)

"ص -٤٩٢- قديم؛ والقديم لا يسبق بعضه بعضا؛ فإن السابق والمسبوق من صفات بعضه الحادث من الزمان .

قلت : فقد جعل هذا اللفظ متواطئا دالا على القدر المشترك كسائر الأسماء المتواطئة، ولكنه يختص في كل موضع بقدر متميز لما امتاز به من القرينة، كما في ما مثله به من السواد، وهذا بعينه يرد عليه فيما

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٩٢/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٩٤/

احتج به المجاز .

قال : ومن أدلة المجاز ما زعم المستدلون له من أجود الاستدلال على النفاة، وهو قوله تعالى : ﴿لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ﴾ [الحج : ٤٠] وقوله تعالى : ﴿فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه ﴾ [الكهف : ٧٧] ، والصلوات في لغة **العرب** : إما الأدعية وإما الأفعال المخصوصة، وكلاهما لا يوصف بالتهدم، والجماد لا يتصف بالإرادة .

فإن قيل : كان من لغة **العرب** تسمية المصلى صلاة، وقد ورد في التفسير : ﴿وأن المساجد لله ﴾ [الجن : ١٨] أعضاء السجود . والجدار وإن لم يكن له إرادة لكنه لا يستحيل من الله فعل الإرادة فيه من غير إحداث أبنية مخصوصة .

فيقال : هذا دعوى عن الوضع؛ إذ لا يعلم أن الصلاة في الأصل." (١)

"ص -٤٩٣- إلا الدعاء، وزيد في الشرع أو نقل إلى الأفعال المخصوصة، فأما الأبنية فلا يعلم ذلك من نقل عن **العرب**، وأن سميت صلوات فإنما هو استعارة؛ لأنها مواضع الصلوات . ولو خلق الله في الجدار إرادة لم يكن بها مريدا، كما لو خلق فيه كلاما لم يكن به متكلما .

وأما قوله : إن كلمة الله المراد بها عيسى نفسه، فلا ريب أن المصدر يعبر به عن المفعول به في لغة **العرب**، كقولهم هذا درهم ضرب الأمير ومنه قوله : ﴿هذا خلق الله ﴾ [لقمان : ١١] ، ومنه تسمية المامور به أمرا، والمقدور قدرة، والمرحوم به رحمة، والمخلوق بالكلمة كلمة، لكن هذا اللفظ إنما يستعمل مع ما يقترن به مما يبين المراد، كقوله : ﴿يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ﴾ [آل عمران : ٤٥] فبين أن الكلمة هو المسيح .

ومعلوم أن المسيح نفسه ليس هو الكلام " قالت أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى امرا فإنما يقول له كن فيكون " ، فبين لما تعجبت من الولد أنه سبحانه يخلق ما يشاء؛ إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون، فدل ذلك على أن هذا الولد مما يخلقه الله بقوله : ﴿كن فيكون ﴾ [البقرة : ١١٧] ولهذا قال أحمد بن حنبل : عيسى مخلوق بالكن؛ ليس هو نفس الكن." (٢)

"ص -١٤٨- وقوله : ﴿كتاب فصلت آياته قرآنا **عربيا** لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ﴾ [فصلت : ٣،٤] ، ونظائره كثيرة .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٩٥/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٩٦/

وقال فيمن لم يفهمها ويتدبرها : ﴿ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ﴾ [الأنفال : ٢٣] ، فذمهم على أنهم لا يفهمون، ولو فهموا لم يعملوا بعلمهم . وقال تعالى : ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ﴾ [الأنفال : ٢١،٢٣] ، وقال : ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ﴾ [الفرقان : ٧٣] .

قال ابن قتيبة : لم يتغافلوا عنها، فكأنهم صم لم يسمعوها عمي لم يروها . وقال غيره من أهل اللغة : لم يبقوا على حالهم الأولى، كأنهم لم يسمعوا، ولم يروا، وإن لم يكونوا خروا حقيقة . تقول **العرب** : شتمت فلانا فقام يبكي، وقعد يندب، وأقبل يتعذر، وظل يفتخر، وإن لم يكن قام، ولا قعد .

قلت : في ذكره سبحانه لفظ الخرور دون غيره، حكمة . فإنهم لو خروا وكانوا صما وعميانا، لم يكن ذلك ممدوحا، بل معيبا . فكيف إذا كانوا صما وعميانا بلا خرور . فلابد من شيئين : من الخرور، والسجود . ولابد من السمع والبصر لما في آياته من النور والهدي." (١)

"ص -١٩٤- وغيره من العلماء، وحكى ذلك عن **العرب** . وعند آخرين هو من جنس الكاهن وأسوء حالا منه، فلحق به من جهة المعني .

وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ثمن الكلب خبيث، ومهر البغي خبيث، وحلوان الكاهن خبيث " حلوانه الذي تسميه العامة [حلاوته] ويدخل في هذا المعنى ما يعطيه المنجم وصاحب الأزلام التي يستقسم بها مثل الخشبة المكتوب عليها . أ ،ب ،ج ، د ، والضارب بالحصى ونحوهم فما يعطى هؤلاء حرام . وقد حكى الإجماع على تحريمه غير واحد من العلماء : كالبغوي، والقاضي عياض، وغيرهما .

وفي الصحيحين عن زيد بن خالد قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل، فقال : " أتدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟ " قلنا : الله ورسوله أعلم، قال : " أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فمن قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب " وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين، ينزل الله الغيث ويقولون بكوكب كذا، وكذا " . وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم، أنه قال : " أربع في أمتي من أمر الجاهلية : الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب،

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٩٧/

والنياحة، والاستسقاء بالأنواء " ، وفيه عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ [الواقعة : ٨٢] قال : " هو الاستسقاء بالأنواء " ، أو كما قال .." (١)

"ص -١٠٥- الشرعية، ولا هو جري في فهم هذا الخطاب على الطبيعة **العربية**، والفطرة السليمة النقية، فارتفع عن شأن العامة بحيث لم يدخل في زمرتهم فيما يفهمونه في عرف خطابهم، وانحط عن أوج الخاصة، فلم يهتد للتمييز بين المشتبهات في الكلام، حتى تقر الفطر على ما فطرها عليه الذي أحسن كل شيء خلقه، والحمق أدي به إلى الخلاص من كناسة بترا، ومن أحكم العلوم حتى أحاط بغاياتها رده ذلك إلى تقرير الفطر على بداياتها، وإنما بعثت الرسل لتكميل الفطرة؛ لا لتغييرها ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ [الروم : ٣٠] .

ومعلوم أن كل من سمع هذا الكلام من أهل اللسان **العربي** خاصتهم وعامتهم لم يفهموا منه إلا إعطاء أهل طبقة المتوفي بشرط ألا يكون للمتوفي ولد، ويعقلون أن هذا الكلام واحد متصل بعضه ببعض، وإنما نشأ غلط الغالط من حيث توهم أن الكلام الأول فيه عموم، والكلام الثاني قد خص أحد النوعين بالذكر، فيكون من باب تعارض العموم والمفهوم .

ثم قد يكون ممن نظر في كتب بعض المتكلمين أو بعض الفقهاء الذين لا يقولون بدلالة المفهوم، وإذا قالوا بها رأوا دلالة العموم راجحة عليها؛ لكون الخلافات فيها أضعف منه في دلالة المفهوم، فإنه لم يخالف في العموم إلا شرذمة لا يعتد بهم، وقد خالف في المفهوم طائفة من الفقهاء." (٢)

"ص -٥٨١- ثابتا،فيجيء من بعدهم فيوجبها .

ومتى قام المقتضي للتحريم أو الوجوب ولم يذكروا وجوبا ولا تحريما، كان إجماعا منهم على عدم اعتقاد الوجوب والتحريم وهو المطلوب وهذه الطريقة معتمدة في كثير من الأحكام، وهي أصل عظيم ينبغي للفقيه أن يتأملها، ولا يغفل عن غورها، لكن لا يسلم إلا بعدم ظهور الخلاف في الصدر الأول، فإن كان فيه خلاف محقق بطلت هذه الطريقة والحق أحق أن يتبع .

الوجه العاشر وهو الثالث عشر في الحقيقة : أنا نعلم يقينا أن الحبوب من الشعير والبيضاء والذرة ونحوها، كانت تزرع في مزارع المدينة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته، ونعلم أن الدواب إذا داست، فلابد أن تروث وتبول، ولو كان ذلك ينجس الحبوب، لحرمت مطلقا، أو لوجب تنجيسها .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٠٠/

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٠٢/

وقد أسلمت الحجاز واليمن ونجد وسائر جزائر **العرب** على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبعث إليهم سعاته وعماله يأخذون عشور حبوبهم من الحنطة وغيرها، وكانت سمراء الشام تجلب إلى المدينة، فيأكل منها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون على عهده، وعامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر وزرع . وكان يعطي المرأة من نسائه ثمانين وسق شعير من غلة خيبر، وكل هذه." (١)

"ص -١١٧- وسياق هذا القول يوجب أن كل اسم أو فعل وصل بوصف، أو عطف بيان، أو بدل، أو أحد المفعولات المقيدة، أو الحال، أو التمييز، أو نحو ذلك، كان استعماله مجازا . وفساد هذا معلوم بالاضطرار، والفرق بين القرينة اللفظية المتصلة باللفظ الدالة بالوضع وبينما ليس كذلك من القرائن الحالية والقرائن اللفظية التي لا تدل على المقصود بالوضع كقوله : رأيت أسدا يكتب، وبحرا راكبا في البحر وبين الألفاظ المنفصلة معلوم يقينا من لغة **العرب** والعجم، ومع هذا فلا ريب عند أحد من العقلاء أن الكلام إنما يتم بآخره؛وأن دلالته إنما تستفاد بعد تمامه وكماله، وأنه لا يجوز أن يكون أوله دالا دون آخره، سواء سمي أوله [حقيقة، أو مجازا] ولا أن يقال : إن أوله يعارض آخره، فإن التعارض إنما يكون بين دليلين مستقلين، والكلام المتصل كله دليل واحد، فالمعارضة بين أبعاضه كالمعارضة بين أبعاض الأسماء المركبة .

وهذا كلام بين، خصوصا في باب [الوقوف] فإن الواقف يريد أن يشرط شروطا كثيرة في الموقوف والموقوف عليه، من الجمع، والترتيب، والتسوية، والتفضيل، والإطلاق، والتقيد، يحتمل سجلا كبيرا، ثم إنه لم يخالف مسلم في أنه لا يجوز اعتبار أول كلامه إطلاقا وعموما وإلغاء آخره، أو يجعل ما قيده وفصله وخصصه في آخر كلامه مناقضا أو معارضا لما صدر." (٢)

"ص -٣٥٦- ومن سواهم، فقد اختلف الفقهاء في أخذ الجزية منهم، إلا أن عامتهم لا يأخذونها من **العرب**، وأيما طائفة انتسبت إلى الإسلام، وامتنعت من بعض شرائعه الظاهرة المتواترة، فإنه يجب جهادها باتفاق المسلمين، حتى يكون الدين كله لله، كما قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه وسائر الصحابة رضي الله عنهم مانعي الزكاة، وكان قد توقف في قتالهم بعض الصحابة، ثم اتفقوا، حتى قال عمر بن الخطاب لأبي بكر رضي الله عنهما : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإذا قالوها، فقد عصموا مني

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٠٩/

(٢) مجموع الفتاوى ، ١١٤/

دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله " ؟ فقال له أبو بكر : فإن الزكاة من حقها . والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها . قال عمر : فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعلمت أنه الحق .

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة، أنه أمر بقتال الخوارج، ففي الصحيحين عن على ابن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " سيخرج قوم في آخر الزمان حداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم." (١)

"ص -١٨٨- مشروعا . وقد قال تعالى : ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ [الملك : ٢] . قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه : أخلصه وأصوبه . قالوا : يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا . والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة .

وهذا الذي قاله الفضيل متفق عليه بين المسلمين، فإنه لابد له في العمل أن يكون مشروعا مأمورا به، وهو العمل الصالح . ولابد أن يقصد به وجه الله . كما قال تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ [الكهف : ١١٠] . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : اللهم اجعل عملي كله صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لأحد فيه شيئا . ومنه قوله تعالى : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ١١٢] ، وقال تعالى : ﴿ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾ [النساء : ١٢٥] .

وفى صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يقول الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك . من عمل عملا أشرك فيه غيري، فإني منه بريء، وهو كله للذي أشرك به " . وفي السنن عن العرباض بن سارية قال : وعظنا رسول الله." (٢)

"ص -٤٣١- " من سأل الله لي الوسيلة " الحديث، وهذا الذي ذكره ذكر سائر المفسرين نحوه إلا أنه برز به على غيره فقال : و ﴿أيهم ﴾ ابتداء، وخبره ﴿أقرب ﴾ و ﴿أولئك ﴾ يراد بهم المعبودون، وهو

---

(١) مجموع الفتاوى ، /١١٦

(٢) مجموع الفتاوى ، /١١٧

ابتداء، وخبره ﴿يبتغون﴾ . والضمير في ﴿يدعون﴾ للكفار وفي يبتغون للمعبودين . والتقدير نظرهم وذكرهم أيهم أقرب . وهذا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث الراية بخيبر : فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، أي يتبارون في طلب القرب . قال رحمه الله : وطفف الزجاج في هذا الموضع فتأمله .

ولقد صدق في ذلك، فإن الزجاج ذكر في قوله : ﴿أيهم أقرب﴾ وجهين كلاهما في غاية الفساد . وقد ذكر ذلك عنه ابن الجوزي وغيره وتابعه المهدوي والبغوي وغيرهما . ولكن ابن عطية كان أقعد **بالعربية** والمعاني من هؤلاء، وأخبر بمذهب سيبويه والبصريين، فعرف تطفيف الزجاج مع علمه رحمه الله **بالعربية** وسبقه ومعرفته بما يعرفه من المعاني والبيان . وأولئك لهم براعة وفضيلة في أمور يبرزون فيها على ابن عطية . لكن دلالة الألفاظ من جهة **العربية** هو بها أخبر، وإن كانوا هم أخبر بشيء آخر من المنقولات أو غيرها .

وقد بين سبحانه وتعالى أن المسيح وإن كان رسولا كريما، فإنه عبد الله، فمن عبده فقد عبد ما لا ينفعه ولا يضره، قال تعالى :." (١)

"ص -١٢٤- **العربي** في مثل هذا : على أنه من توفى منهم وإن كان له ولد انتقل نصيبه إلى من في درجته . أو يقول : على أنه من توفى منهم وإن لم يكن له ولد، فيأتي بحرف العطف . أما إذا قال : على أنه من توفى منهم عن غير ولد . فهذا نص في التقييد لا يقبل غيره . ومن توهم غير هذا أو جوزه ولو على بعد أو جوز لعاقل أن يجوزه فلا ريب أنه خارج عن نعمة الله التي أنعم بها على الإنسان حيث علمه البيان . وما ظني أنه لو ترك وفطرته توهم هذا، ولكن قد يعرض للفطر آفات تصدها عن سلامتها، كما نطقت به الأحاديث .

ومنها : أن العاقل لا ينفي احتمالا بعيدا بإثبات احتمال أظهر منه، ومعلوم أنه لو سكت عن هذا الشرط لكان احتمال الانقطاع في غاية البعد، فإنه إما خلاف الإجماع، أو معدود من الوجوه السود، وإذا ذكر الشرط صار احتمال التقييد وترتيب التوزيع احتمالا قويا، إما ظاهرا عند المنازع، أو قاطعا عند غيره، فكيف يجوز أن يحمل كلام الواقف على المنهج الذميم دون الطريق الحميد مع إمكانه ؟ !

ومنها : أن هذا الاحتمال لا يتفطن له إلا بعض الفقهاء، ولعله لم يخلق في الإسلام إلا من زمن قريب،

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١١٩/

واحتمال التقييد أمر لغوي موجود قبل الإسلام، فكيف يحمل كلام واقف متقدم على الاحتراز من احتمال لا." (١)

"ص -١٣٧- إنه كان يقول اليوم أسافر، غدا أسافر . بل فتح مكة وأهلها وما حولها كفار محاربون له، وهي أعظم مدينة فتحها، وبفتحها ذلت الأعداء، وأسلمت **العرب**، وسري السرايا إلى النواحي ينتظر قدومهم . ومثل هذه الأمور مما يعلم أنها لا تنقضي في أربعة أيام، فعلم أنه أقام لأمور يعلم أنها لا تنقضي في أربعة، وكذلك في تبوك .

وأيضا، فمن جعل للمقام حدا من الأيام : إما ثلاثة، وإما أربعة، وإما عشرة، وإما اثني عشر، وإما خمسة عشر، فإنه قال قولا لا دليل عليه من جهة الشرع، وهي تقديرات متقابلة . فقد تضمنت هذه الأقوال تقسيم الناس إلى ثلاثة أقسام : إلى مسافر، وإلى مقيم مستوطن، وهو الذي ينوي المقام في المكان، وهذا هو الذي تنعقد به الجمعة وتجب عليه، وهذا يجب عليه إتمام الصلاة بلا نزاع، فإنه المقيم المقابل للمسافر . والثالث مقيم غير مستوطن أوجبوا عليه إتمام الصلاة والصيام وأوجبوا عليه الجمعة، وقالوا : لا تنعقد به الجمعة، وقالوا : إنما تنعقد الجمعة بمستوطن .

وهذا التقسيم وهو تقسيم المقيم إلى مستوطن وغير مستوطن تقسيم لا دليل عليه من جهة الشرع، ولا دليل على أنها تجب على من لا تنعقد به، بل من وجبت عليه انعقدت به، وهذا إنما قالوه لما أثبتوا مقيما يجب عليه الإتمام والصيام ووجدوه غير مستوطن، فلم يمكن." (٢)

"ص -١٣٧- تبين لكل ذي نظر أن دلالة المفهوم من جنس دلالة العموم والإطلاق والتقييد، وهو دلالة من دلالات اللفظ، وهذا ظاهر في كلام العلماء، والقياس ليس من دلالات الألفاظ المعلومة من جهة اللغة، وإنما يصير دليلا بنص الشارع، بخلاف المفهوم، فإنه دليل في اللغة، والشارع بين الأحكام بلغة **العرب** .

الثاني : أن هذا المفهوم من باب مفهوم الصفة الخاصة المذكورة بعد الاسم العام، وهذا قد وافق عليه كثير ممن خالف في الصفة المبتدأة حتى إن هذا المفهوم يكون حجة في الاسم غير المشتق، كما احتج به الشافعي وأحمد في قول النبي صلى الله عليه وسلم : " جعلت لي الأرض مسجدا " ، " وجعلت تربتها طهورا " ، وذلك أنه إذا قال : الناس رجلان مسلم وكافر، فأما المسلم فيجب عليك أن تحسن إليه؛ علم

---

(١) مجموع الفتاوى ، /١٢١

(٢) مجموع الفتاوى ، /١٣٤

بالاضطرار أن المتكلم قصد تخصيص المسلم بهذا الحكم، بخلاف ما لو قال ابتداء : يجب عليك أن تحسن إلى المسلم، فإنه قد يظن أنه إنما ذكره على العادة؛ لأنه هو المحتاج إلى بيان حكمه غالبا، كما في قوله : "كل المسلم على المسلم حرام دمه، وماله، وعرضه " وكذلك : " في الإبل السائمة الزكاة " أقوى من قوله : " في السائمة الزكاة " ؛ لأنه إذا قال : " في الإبل السائمة " فلو كان حكمها مع السوم وعدمه سواء؛ لكان قد طول اللفظ ونقص المعنى،." (١)

"ص -٣٧٥- كثيرا من أصحاب القاتل كسيد القبيلة ومقدم الطائفة، فيكون القاتل قد اعتدي في الابتداء، وتعدي هؤلاء في الاستيفاء، كما كان يفعله أهل الجاهلية الخارجون عن الشريعة في هذه الأوقات، من الأعراب والحاضرة وغيرهم . وقد يستعظمون قتل القاتل لكونه عظيما أشرف من المقتول، فيفضي ذلك إلى أن أولياء المقتول يقتلون من قدروا عليه من أولياء القاتل، وربما حالف هؤلاء قوما واستعانوا بهم، وهؤلاء قوما، فيفضي إلى الفتن والعداوات العظيمة . وسبب ذلك خروجهم عن سنن العدل الذي هو القصاص في القتلي، فكتب الله علينا القصاص وهو المساواة والمعادلة في القتلي وأخبر أن فيه حياة؛ فإنه يحقن دم غير القاتل من أولياء الرجلين .

وأيضا، فإذا علم من يريد القتل أنه يقتل ،كف عن القتل . وقد روي عن على بن أبي طالب رضي الله عنه وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " المؤمنون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، ويسعي بذمتهم أدناهم . ألا لا يقتل مسلم بكافر، ولا ذو عهد في عهده " . رواه أحمد وأبو داود وغيرهما من أهل السنن . فقضي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المسلمين تتكافأ دماؤهم، أي : تتساوي وتتعادل، فلا يفضل عربي على عجمي، ولا قرشي أو هاشمي على غيره من." (٢)

"ص -٢١٨- المسلمين في جميع العبادات : الصلاة والطهارة والزكاة والحج والصيام والعتق والجهاد، وغير ذلك . ولو تكلم بلسانه بخلاف ما نوى في قلبه كان الاعتبار بما نوى بقلبه، لا باللفظ، ولو تكلم بلسانه ولم تحصل النية في قلبه لم يجزئ ذلك باتفاق أئمة المسلمين .

فإن النية هي من جنس القصد؛ ولهذا تقول العرب : نواك الله بخير، أي : قصدك بخير . وقول النبي صلى الله عليه وسلم : " إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله،

---

(١) مجموع الفتاوى ، /١٣٤

(٢) مجموع الفتاوى ، /١٣٥

فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه " مراده صلى الله عليه وسلم بالنية : النية التي في القلب؛ دون اللسان باتفاق أئمة المسلمين : الأئمة الأربعة، وغيرهم .

وسبب الحديث يدل على ذلك، فإن سببه أن رجلا هاجر من مكة إلى المدينة؛ ليتزوج امرأة يقال لها : أم قيس، فسمى مهاجر أم قيس . فخطب النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر، وذكر هذا الحديث . وهذا كان نيته في قلبه .

والجهر بالنية لا يجب ولا يستحب باتفاق المسلمين، بل الجاهر بالنية مبتدع مخالف للشريعة، إذا فعل ذلك معتقدا أنه من الشرع فهو جاهل ضال، يستحق التعزير، وإلا العقوبة على ذلك، إذا أصر." (١)

"ص -٢٢٤- أن ما رغب فيه أفضل مما رغب عنه فليس مني؛ لأن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يخطب بذلك يوم الجمعة .

فمن قال : إن هدي غير محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من هدي محمد، فهو مفتون، بل ضال . قال الله تعالى إجلالا له وتثبيت حجته على الناس كافة : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور : ٦٣] أي : وجيع .

وهو صلى الله عليه وسلم قد أمر المسلمين باتباعه، وأن يعتقدوا وجوب ما أوجبه، واستحباب ما أحبه . وأنه لا أفضل من ذلك . فمن لم يعتقد هذا، فقد عصى أمره، وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " هلك المتنطعون " ، قالها ثلاثا . أي المشددون في غير موضع التشديد، وقال أبى بن كعب، وابن مسعود : اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة .

ولا يحتج محتج بجمع التراويح، ويقول : " نعمت البدعة هذه " فإنها بدعة في اللغة؛ لكونهم فعلوا ما لم يكونوا يفعلونه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه، وهي سنة من الشريعة . وهكذا إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، ومصر الأمصار كالكوفة." (٢)

"ص -١٥٩- مشتركة حيث تكون الواو مشتركة، ومعلوم أن هذا مخالف لما عليه أهل اللغة، بل هو خلاف المعلوم من لغة العرب . والأحكام اللغوية التي هي دلالات الألفاظ تستفاد من استعمال أهل اللغة

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٤٧/

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٥٣/

والنقل عنهم، فإذا كان النقل والاستعمال قد اقتضيا أنهما للاشتراك في المعنى؛ كان دعوى انفراد أحدهما بالتشريك دون الآخر خروجا عن لغة **العرب** وعن المنقول عنهم .

وأما العرف، فقد أسلفنا أن الناس لا يفهمون من مثل هذا الكلام إلا عود الشرط إلى الجميع، والعلم بهذا من عرف الناس ضروري . وأما كلام العلماء من الفقهاء والأصوليين، فإنهم تكلموا في الاستثناء المتعقب جملا، فقال قوم : إنه يعود إلى جميعها . وقال قوم : يعود إلى الأخيرة منها . وقال قوم : إن كان بين الجملتين تعلق عاد الاستثناء إلى جميعها، وإن كانتا أجنبيتين عاد إلى الأخيرة . ثم فصلوا الجمل المتعلق بعضها ببعض من الأجنبية، وذكروا عدة أنواع من التفصيل . وقال قوم : العطف مشترك بين الجميع . وقال قوم : بالوقف في جميع هذه المذاهب . ثم ليس أحد من هؤلاء فرق بين العطف بالواو والفاء أو ثم، بل قولهم المعطوف بعضها على بعض يعم الجميع .

وكذلك الفقهاء ذكروا هذا في باب [الإيمان] ، وباب [الوقف] ثم بنوه على أصلهم، فقالوا : الاستثناء أو الوصف إذا تعقب جملا عاد." (١)

"ثم التقديم والتأخير في لغة **العرب**، والفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بجملة معترضة وبين غيرهما، لا ينكره إلا من لم يعرف اللغة، وقد قال سبحانه : ﴿وقالت طآئفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴾ [آل عمران : ٧٢، ٧٣] ،." (٢)

"ص -٢٣٥- بدعة في اللغة؛ لكونهم فعلوا ما لم يكونوا يفعلونه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني من الاجتماع على مثل هذه، وهي سنة من الشريعة .

وهكذا إخراج اليهود والنصارى من جزيرة **العرب**، وهي الحجاز واليمن واليمامة، وكل البلاد الذي لم يبلغه ملك فارس والروم من جزيرة **العرب**، ومصر الأمصار : كالكوفة والبصرة، وجمع القرآن في مصحف واحد، وفرض الديوان، والأذان الأول يوم الجمعة، واستنابة من يصلي بالناس يوم العيد خارج المصر، ونحو ذلك مما سنه الخلفاء الراشدون؛ لأنهم سنوه بأمر الله ورسوله، فهو سنة . وإن كان في اللغة يسمي بدعة .

وأما الجهر بالنية، وتكريرها، فبدعة سيئة ليست مستحبة باتفاق المسلمين؛ لأنها لم يكن يفعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه الراشدون .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٥٦/

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٦٠/

وسئل عن رجل إذا صلى يشوش على الصفوف التي حواليه بالجهر بالنية وأنكروا عليه مرة ولم يرجع، وقال له إنسان : هذا الذي تفعله ما هو." (١)

"ص -١٦٧- المركب من اسمين أو اسم فعل أو اسم وحرف، وقد ثبت بما روي عن الصحابة أن قوله : ﴿إلا الذين تابوا ﴾ [المائدة : ٣٤] ، في آية القذف عائد إلى الجملتين، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه، ولا يجلس على تكرمته إلا بإذنه،" وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أبيض، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى " . وهذا كثير في الكتاب والسنة، بل من تأمل غالب الاستثناءات الموجودة في الكتاب والسنة التي تعقبت جملا وجدها عائدة إلى الجميع هذا في الاستثناء فأما في الشروط والصفات فلا يكاد يحصيها إلا الله .

وإذا كان الغالب على الكتاب والسنة وكلام العرب عود الاستثناء إلى جميع الجمل، فالأصل إلحاق الفرد بالأعم الأغلب؛ لأن الاستثناء إما أن يكون موضوعا لهما حقيقة، فالأصل عدم الاشتراك، أو يكون موضوعا للأقل فقط، فيلزم أن يكون استعماله في الباقي مجازا، والمجاز على خلاف الأصل، فكثرته على خلاف الأصل، فإذا جعل حقيقة فيما غلب على استعماله فيه مجازا فيما قل فيه؛ كنا قد عملنا بالأصل النافي للاشتراك، وبالأصل النافي للمجاز في صور التفاوت، وهو أولى من تركه مطلقا .." (٢)

"ص -٢٠٧- أن يكون صداقا جاز أن يكون ثمنا، وأجرة . وما كان ثمنا كان مثمنا . فهذا باب ينبغي تأمله .

يبقي إذا أخذه المسلم : هل يكره لما فيه من الصغار، أو لما فيه من الاشتغال عن الجهاد بالحراثة . فهذه مواضع أخر غير كونه وقفا تختلف باختلاف المصالح والأوقات كما أن النبي صلى الله عليه وسلم عامل اليهود على خيبر لقلة المسلمين، فلما كثر المسلمون أجلاهم عمر بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وصار المسلمون يعمرونها، فكذلك الأرض الخراجية إذا كثر المسلمون كان استيلاؤهم عليها بالخراج أنفع لهم من أن يبقوا فقراء محاويج، والكفار يستغلون الأرض بالخراج اليسير؛ فإنهم كانوا زمن عمر قليلا، وأهل الذمة كثيرا . وقد يعكس الأمر، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم عاملهم على خيبر، ثم عمرها المسلمون لما كثر المسلمون، وتضرروا ببقاء أهل الذمة، في أرض العرب، فكان المعني ضرر المسلمين بأهل الذمة،

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٦٤/

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٦٥/

واكتفاء المسلمين بالمسلمين .

فكيف إذا احتاج المسلمون إلى الأرض الخراجية؛ وتضرروا ببقائها في أيدي أهل الذمة، فرأي من احتاج من المسلمين أن يعاوض الذمي عنها، ويقوم مقامه فيها . فإن كان المؤدي أجرة فهو أحق باستئجار أرض المسلمين، وعمارتها،وإن كان ثمنا فهو أحق باشترائها." (١)

"ص -٤٦٥- آل محمد، لكان إنما يصلي عليه في العموم . فقيل : على محمد وعلي آل محمد، فإنه يحصل بذلك الصلاة عليه بخصوصه، وبالصلاة على آله .

ثم إن قيل : إنه داخل في آله مع الاقتران، كما هو داخل مع الإطلاق، فقد صلى عليه مرتين خصوصا وعموما، وهذا ينشأ على قول من يقول : العام المعطوف على الخاص يتناول الخاص .

ولو قيل : إنه لم يدخل ولم يضر؛ فإن الصلاة عليه خصوصا تغني .

وأيضا، ففي ذلك بيان أن الصلاة على سائر الآل إنما طلبت تبعا له، وأنه هو الأصل الذي بسببه طلبت الصلاة على آله، وهذا يتم بجواب السؤال المشهور، وهو أن قوله : "كما صليت على إبراهيم " ، يشعر بفضيلة إبراهيم، لأن المشبه دون المشبه به، وقد أجاب الناس عن ذلك بأجوبة ضعيفة .

فقيل : التشبيه عائد إلى الصلاة على الأول فقط، فقوله : " صل على محمد " ، كلام منقطع، وقوله : " وعلي آل محمد كما صليت على إبراهيم " ، كلام مبتدأ، وهذا نقله العمراني عن الشافعي، وهذا باطل عن الشافعي قطعا لا يليق بعلمه وفصاحته . فإن هذا كلام ركيك في غاية البعد، وفيه من جهة العربية بحوث لا تليق بهذا الموضع .." (٢)

"ص -٤٧٧- فالدعاء بمصالح الدنيا جائز، فإنه مشروع . والدعاء ببعض أمور الدين قد يكون من العدوان، كما ذكر عن الصحابة، وكما لو سأل منازل الأنبياء . فالأجود أن يقال : إلا بالدعاء المشروع المسنون، وهو ما وردت به الأخبار، وما كان في معناه؛ لأن ذلك لم يوجب علينا التعبد بلفظه، كالقرآن . ونحن منعنا من ترجمة القرآن؛ لأن لفظه مقصود . وكذلك التكبير ونحوه . فأما الدعاء، فلم يوقت فيه لفظ، لكن كرهه أحمد بغير العربية . فالمراتب ثلاثة :

القراءة، والذكر، والدعاء باللفظ المنصوص، ثم باللفظ العربي في معنى المنصوص، ثم باللفظ العجمي . فهذا كرهه أحمد في الصلاة . وفي البطلان به خلاف، وهو من باب البدل . وأهل الرأي يجوزون مع

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٠٨/

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٠٩/

تشددهم في المنع من الكلام في الصلاة . حتى كرهوا الدعاء الذي ليس في القرآن، أو ليس في الخبر، وأبطلوا به الصلاة يجوزون الترجمة بالعجمية، فلم يجعل بالعربية عبادة، وجوزوا التكبير بكل لفظ يدل على التعظيم .

فهم توسعوا في إبدال القرآن بالعجمية، وفي إبدال الذكر بغيره من الأذكار، ولم يتوسعوا مثله في الدعاء . وأحمد وغيره من الأئمة." (١)

"ص -٤٨٨- وسئل عن امرأة سمعت في الحديث " اللهم إني عبدك، وابن عبدك، ناصيتي بيدك " إلى آخره فداومت على هذا اللفظ، فقيل لها : قولي : اللهم إني أمتك، بنت أمتك، إلى آخره، فأبت إلا المداومة على اللفظ، فهل هي مصيبة أم لا ؟

فأجاب :

بل ينبغي لها أن تقول : اللهم إني أمتك، بنت عبدك، ابن امتك، فهو أولي وأحسن . وإن كان قولها : عبدك ابن عبدك له مخرج في العربية، كلفظ الزوج، والله أعلم .

وسئل عن رجل دعا دعاء ملحونا، فقال له رجل : ما يقبل الله دعاء ملحونا ؟

فأجاب :

من قال هذا القول فهو آثم مخالف للكتاب والسنة، ولما كان عليه السلف، وأما من دعا الله مخلصا له الدين بدعاء جائز سمعه." (٢)

"ص -٤٨٩- الله، وأجاب دعاءه سواء كان معربا أو ملحونا، والكلام المذكور لا أصل له، بل ينبغي للداعي إذا لم تكن عادته الإعراب ألا يتكلف الإعراب، قال بعض السلف : إذا جاء الإعراب، ذهب الخشوع، وهذا كما يكره تكلف السجع في الدعاء، فإذا وقع بغير تكلف فلا بأس به، فإن أصل الدعاء من القلب، واللسان تابع للقلب .

ومن جعل همته في الدعاء تقويم لسانه، أضعف توجه قلبه، ولهذا يدعو المضطر بقلبه دعاء يفتح عليه، لا يحضره قبل ذلك، وهذا أمر يجده كل مؤمن في قلبه . والدعاء يجوز بالعربية، وبغير العربية، والله سبحانه يعلم قصد الداعي، ومراده، وإن لم يقوم لسانه، فإنه يعلم ضجيج الأصوات، باختلاف اللغات، على تنوع الحاجات .

---

(١) مجموع الفتاوى ، /٢٢١

(٢) مجموع الفتاوى ، /٢٣٢

وقال رحمه الله :

فصل

وأما السلام من الصلاة، فالمختار عند مالك ومن تبعه من أهل المدينة تسليمة واحدة في جميع الصلاة، فرضها ونفلها، المشتملة على الأركان الفعلية، أو على ركن واحد .." (١)

"مجموع فتاوى ابن تيمية - الإصدار الثاني

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة **العربية** السعودية - ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)

(للبحث داخل صفحة معينة اضغط Ctrl+f)." (٢)

"مجموع فتاوى ابن تيمية - الجزء الأول

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة **العربية** السعودية - ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (٣)

"ص -٤- واستنار بنور الله أهل البوادي والبلدان، وقامت حجة الله على الإنس والجان، لما قام المستجيب من معد بن عدنان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، صلاة يرضى بها الملك الديان، وسلم تسليما مقرونا بالرضوان .

أما بعد :

فإنه لا سعادة للعباد، ولا نجاة فى المعاد إلا باتباع رسوله : ﴿تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٣٣/

(٢) مجموع الفتاوى ، ١/١

(٣) مجموع الفتاوى ، ١/٢

جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين﴾ [النساء : ١٣، ١٤] فطاعة الله ورسوله قطب السعادة التى عليه تدور، ومستقر النجاة الذى عنه لا تحور .

فإن الله خلق الخلق لعبادته كما قال تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات ٥٦] . وإنما تعبدهم بطاعته وطاعة رسوله، فلا عبادة إلا ما هو واجب أو مستحب فى دين الله، وما سوى ذلك فضلال عن سبيله . ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد " أخرجاه فى الصحيحين، وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث العرباض ابن سارية الذى رواه أهل السنن وصححه الترمذى : " إنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة " . وفى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم وغيره أنه كان يقول فى خطبته : " خير الكلام كلام الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة " .." (١)

"ص -٤٣- وقال : ﴿اجعلني مقيم الصلاة﴾ [إبراهيم : ٤٠] ، وقال : ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ [السجدة : ٢٤] ، فسأل ربه أن يجعله مسلما وأن يجعله مقيم الصلاة، وقال : ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾ الآية [الحجرات : ٧] ، قال فى آخرها : ﴿فضلا من الله ونعمة﴾ [الحجرات : ٨] .

وفى صحيح أبى داود وابن حبان : " اهدنا سبل السلام، ونجنا من الظلمات إلى النور، واجعلنا شاكرين لنعمتك، مثنين بها عليك، قابليها، وأتممها علينا " ، وفى الفاتحة : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة : ٦] وفى الدعاء الذى رواه الطبراني عن ابن عباس قال : مما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة : " اللهم إنك تسمع كلامى، وترى مكاني، وتعلم سرى وعلانيتى، ولا يخفى عليك شيء من أمرى، أنا البائس الفقير، المستغيث المستجير، الوجل [أى : الخائف . انظر : لسان العرب، مادة " وجل "] المشفق، المقر بذنبه، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، من خضعت لك رقبته، وذل لك جسده، ورغم لك أنفسه، اللهم لا تجعلنى بدعائك رب شقيا، وكن بى رؤوفا رحيما، يا خير المسؤولين، ويا خير المعطين " .." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٥/٣

(٢) مجموع الفتاوى ، ٨/٦

"ص –٥٦– إلا بالتوحيد؛ فإنه لابد له منه، وإذا لم يحصل له لم يزل فقيرا محتاجا معذبا فى طلب ما لم يحصل له، والله تعالى لا يغفر أن يشرك به، وإذا حصل مع التوحيد الاستغفار، حصل له غناه وسعادته، وزال عنه ما يعذبه، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

والعبد مفتقر دائما إلى التوكل على الله والاستعانة به، كما هو مفتقر إلى عبادته، فلابد أن يشهد دائما فقره إلى الله، وحاجته فى أن يكون معبودا له، وأن يكون معينا له، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ولا ملجأ من الله إلا إليه، قال تعالى : ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه﴾ [آل عمران : ١٧٥] أى يخوفكم بأوليائه . هذا هو الصواب الذى عليه الجمهور، كابن عباس وغيره وأهل اللغة كالفراء وغيره . قال ابن الأنبارى : والذى نختاره فى الآية : يخوفكم أولياءه . تقول العرب : أعطيت الأموال : أى أعطيت القوم الأموال، فيحذفون المفعول الأول .

قلت : وهذا لأن الشيطان يخوف الناس أولياءه تخويفا مطلقا، ليس له فى تخويف ناس بناس ضرورة، فحذف الأول لأنه ليس مقصودا .

وقال بعض المفسرين : يخوف أولياءه المنافقين، والأول أظهر؛ لأنها نزلت بسبب تخويفهم من الكفار، فهى إنما نزلت فيمن خوف المؤمنين من الناس، وقد قال : ﴿يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون﴾ [آل عمران : ١٧٥] الضمير عائد إلى أولياء الشيطان، الذين قال فيهم : ﴿فاخشوهم﴾ [آل عمران : ١٧٣] قبلها، والذى قال الثانى فسرها من جهة المعنى، وهو أن الشيطان إنما يخوف أولياءه؛ لأن سلطانه عليهم، فهو يدخل عليهم المخاوف دائما، وإن كانوا ذوى عدد وعدد، وأما المؤمنون فهم متوكلون على الله لا يخوفهم الكفار، أو أنهم أرادوا المفعول الأول، أى يخوف." (١)

"ص –٦٠– خلق كثير وهم لا يهنون، فيكون ذكر الكثرة مناسبا؛ لأن من قتل مع الأنبياء كثير، وقتل الكثير من الجنس يقتضى الوهن، فما وهنوا وإن كانوا كثيرين، ولو وهنوا دل على ضعف إيمانهم، ولم يقل هنا : ولم ينقلبوا على أعقابهم، فلو كان المراد أن نبيهم قتل لقال : فانقلبوا على أعقابهم؛ لأنه هو الذى أنكره إذا مات النبى أو قتل، فأنكر سبحانه شيئين : الارتداد إذا مات أو قتل، والوهن والضعف والاستكانة لما أصابهم فى سبيل الله من استيلاء العدو؛ ولهذا قال : ﴿فما وهنوا لما أصابهم﴾ [آل عمران : ١٤٦] . . . إلخ . ولم يقل : فما وهنوا لقتل النبى، ولو قتل وهم أحياء لذكر ما يناسب ذلك، ولم يقل : ﴿فما وهنوا لما أصابهم﴾ ، ومعلوم أن ما يصيب فى سبيل الله فى عامة الغزوات لا يكون قتل نبى .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٧/٧

وأيضا : فكون النبى قاتل معه أو قتل معه ربيون كثير، لا يستلزم أن يكون النبى معهم فى الغزاة، بل كل من اتبع النبى وقاتل على دينه فقد قاتل معه، وكذلك كل من قتل على دينه فقد قتل معه، وهذا الذى فهم الصحابة، فإن أعظم قتالهم كان بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، حتى فتحوا البلاد شاما، ومصرا، وعراقا، ويمنا **وعربا**، وعجما، وروما، ومغربا، ومشرقا، وحينئذ فظهر كثرة من قتل معه، فإن الذين قاتلوا وأصيبوا وهم على دين الأنبياء كثيرون، ويكون فى هذه الآية عبرة لكل المؤمنين إلى يوم القيامة، فإنهم كلهم يقاتلون مع النبى صلى الله عليه وسلم على دينه، وإن كان قد مات، والصحابة الذين يغزون فى السرايا، والنبى ليس معهم، كانوا معه يقاتلون، وهم داخلون فى قوله : ﴿محمد رسول الله والذين معه﴾ الآية [الفتح : ٢٩] ، وفى قوله : ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم﴾." (١)

"ص -٦٣- ويربونهم عليها " ، وعن ابن عباس قال : [هم الفقهاء المعلمون]

قلت : أهل الأمر والنهى هم الفقهاء المعلمون . وقال قتادة وعطاء : هم الفقهاء العلماء الحكماء . قال ابن قتيبة : واحدهم ربانى، وهم العلماء المعلمون . قال أبو عبيد : أحسب الكلمة عبرانية أو سريانية، وذلك أن أبا عبيد زعم أن **العرب** لا تعرف الربانيين .

قلت : اللفظة **عربية** منسوبة إلى ربان السفينة الذى ينزلها ويقوم لمصلحتها، ولكن **العرب** فى جاهليتهم لم يكن لهم ربانيون؛ لأنهم لم يكونوا على شريعة منزلة من الله عز وجل .." (٢)

"ص -٨٠- فصل: العبادات مبناها على الشرع والاتباع، لا على الهوى والابتداع

فإن الإسلام مبنى على أصلين :

أحدهما : أن نعبد الله وحده لا شريك له .

والثانى : أن نعبده بما شرعه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، لا نعبده بالأهواء والبدع.

قال الله تعالى : ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ الآية [الجاثية : ١٨، ١٩] ،وقال تعالى : ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ [الشورى : ٢١] .

فليس لأحد أن يعبد الله إلا بما شرعه رسوله صلى الله عليه وسلم، من واجب ومستحب، لا نعبده بالأمور المبتدعة، كما ثبت فى السنن من حديث **العرباض** بن سارية . قال الترمذى : حديث حسن صحيح . وفى

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٧/ ١١

(٢) مجموع الفتاوى ، ٧/ ١٤

مسلم أنه كان يقول فى خطبته : " خير الكلام كلام الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة " .

وليس لأحد أن يعبد إلا الله وحده، فلا يصلى إلا لله، ولا يصوم إلا لله،." (١)

"ص -٨٢- هل فيه بدل، أو كفارة يمين، أم لا ؟ لما رواه البخارى فى صحيحه، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه " .

فمن ظن أن النذر للمخلوقين يجلب له منفعة، أو يدفع عنه مضرة، فهو من الضالين كالذين يظنون أن عبادة المخلوقين تجلب لهم منفعة، أو تدفع عنهم مضرة .

وهؤلاء المشركون قد تتمثل لهم الشياطين، وقد تخاطبهم بكلام، وقد تحمل أحدهم فى الهواء، وقد تخبره ببعض الأمور الغائبة، وقد تأتيه بنفقة أو طعام، أو كسوة، أو غير ذلك، كما جرى مثل ذلك لعباد الأصنام من العرب وغير العرب، وهذا كثير، موجود فى هذا الزمان، وغير هذا الزمان، للضالين المبتدعين المخالفين للكتاب والسنة، إما بعبادة غير الله، وإما بعبادة لم يشرعها الله .

وهؤلاء إذا أظهر أحدهم شيئا خارقا للعادة لم يخرج عن أن يكون حالا شيطانيا، أو محالا بهتانيا فخواصهم تقترن بهم الشياطين، كما يقع لبعض العقلاء منهم، وقد يحصل ذلك لغير هؤلاء، لكن لا تقترن بهم الشياطين إلا مع نوع من البدعة، إما كفر، وإما فسق، وإما جهل بالشرع . فإن الشيطان قصده إغواء بحسب قدرته، فإن قدر على أن يجعلهم كفارا جعلهم كفارا وإن لم يقدر إلا على جعلهم فساقا، أو عصاة، وإن لم يقدر إلا على نقص عملهم ودينهم، ببدعة يرتكبونها يخالفون بها الشريعة التى بعث الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم فينتفع منهم بذلك ! !." (٢)

"ص -٨٦- فصل: جماع الحسنات العدل، وجماع السيئات الظلم

قد كتبت فيما تقدم فى مواضع قبل بعض القواعد، وآخر مسودة الفقه : أن جماع الحسنات العدل، وجماع السيئات الظلم، وهذا أصل جامع عظيم .

وتفصيل ذلك : أن الله خلق الخلق لعبادته، فهذا هو المقصود المطلوب لجميع الحسنات، وهو إخلاص الدين كله لله، وما لم يحصل فيه هذا المقصود، فليس حسنة مطلقة مستوجبة لثواب الله فى الآخرة، وإن كان حسنة من بعض الوجوه له ثواب فى الدنيا، وكل ما نهى عنه فهو زيغ وانحراف عن الاستقامة، ووضع

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٩/٢

(٢) مجموع الفتاوى ، ٩/٤

للشيء فى غير موضعه فهو ظلم .

ولهذا؛ جمع بينهما سبحانه فى قوله : ﴿قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين﴾ [الأعراف : ٢٩] فهذه الآية فى سورة الأعراف المشتملة على أصول الدين، والاعتصام بالكتاب، وذم الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، كالشرك وتحريم الطيبات، أو خالفوا ما شرعه الله من أمور دينهم؛ كإبليس، ومخالفى الرسل من قوم نوح إلى قوم فرعون، والذين بدلوا الكتاب من أهل الكتاب، فاشتملت السورة على ذم من أتى بدين باطل ككفار **العرب**، ومن خالف الدين الحق كله كالكفار بالأنبياء، أو بعضه ككفار أهل الكتاب .

وقد جمع سبحانه فى هذه السورة وفى الأنعام وفى غيرهما ذنوب المشركين فى نوعين:." (١)

"ص -٩١- مراده منهم، ففنوا بمرادهم عن مراد الحق عز وجل منهم؛ لأن الحق يغنى بمراده ومحبوبه، ولو عبدوا الله على مراده منهم لم ينلهم شيء من ذلك؛لأن العبد إذا شهد عبوديته ولم يكن مستيقظا لأمر سيده، لا يغيب بعبادته عن معبوده، ولا بمعبوده عن عبادته، بل يكون له عينان ينظر بأحدهما إلى المعبود كأنه يراه ؛كما قال صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الإحسان : " أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ، والأخرى ينظر بها إلى أمر سيده، ليوقعه على الأمر الشرعى الذى يحبه مولاه ويرضاه .

فإذا تقرر هذا، فالشرك إن كان شركا يكفر به صاحبه، وهو نوعان :

شرك فى الإلهية، وشرك فى الربوبية .

فأما الشرك فى الإلهية فهو : أن يجعل لله ندا، أى : مثلا فى عبادته، أو محبته، أو خوفه، أو رجائه، أو إنابته، فهذا هو الشرك الذى لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، قال تعالى : ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ [الأنفال : ٣٨] وهذا هو الذى قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مشركى **العرب**؛ لأنهم أشركوا فى الإلهية، قال الله تعالى : ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ الآية [البقرة : ١٦٥] ، وقالوا : ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ الآية [الزمر : ٣] ، وقالوا : ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب﴾ ! [ص : ٥] ، وقال تعالى : ﴿ألقيا في جهنم كل كفار عنيد﴾ إلى قوله : ﴿الذي جعل مع الله إلها آخر فألقياه في العذاب الشديد﴾ [ق : ٢٤ : ٢٦] .." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٨/٩

(٢) مجموع الفتاوى ، ٥/١٠

"ص –١٠١– سئل الشيخ رحمه الله عمن قال : يجوز الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم في كل ما يستغاث الله تعالى فيه : على معنى أنه وسيلة من وسائل الله تعالى في طلب الغوث، وكذلك يستغاث بسائر الأنبياء والصالحين في كل ما يستغاث الله تعالى فيه .

وأما من توسل إلى الله تعالى بنبيه في تفريج كربة فقد استغاث به، سواء كان ذلك بلفظ الاستغاثة، أو التوسل، أو غيرهما مما هو في معناهما، وقول القائل : أتوسل إليك يا إلهي برسولك ! أو أستغيث برسولك عندك، أن تغفر لى، استغاثة بالرسول حقيقة في لغة **العرب** وجميع الأمم .

قال : ولم يزل الناس يفهمون معنى الاستغاثة بالشخص، قديما وحديثا، وأنه يصح إسنادها للمخلوقين، وأنه يستغاث بهم على سبيل التوسل، وأنها مطلقة على كل من سأل تفريج الكربة بواسطة التوسل به، وأن ذلك صحيح في أمر الأنبياء والصالحين .

قال : وفيما رواه الطبراني عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال : استغيثوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " إنه لا يستغاث بى، وإنما يستغاث بالله " .." (١)

"ص –١٠٤– منها، كما قال تعالى : ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾ [الأنفال : ٧٢] ، وكما قال : ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾ [القصص : ١٥] ، وكما قال تعالى : ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ [المائدة : ٢] . وأما ما لا يقدر عليه إلا الله، فلا يطلب إلا من الله؛ ولهذا كان المسلمون لا يستغيثون بالنبي صلى الله عليه وسلم ويستسقون به، ويتوسلون به، كما في صحيح البخارى : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس وقال : اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون .

وفي سنن أبى داود : أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا نستشفع بالله عليك، ونستشفع بك على الله، فقال : " شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع به على أحد من خلقه " .

فأقره على قوله : نستشفع بك على الله، وأنكر عليه قوله : نستشفع بالله عليك .

وقد اتفق المسلمون على أن نبينا شفيع يوم القيامة، وأن الخلق يطلبون منه الشفاعة، لكن عند أهل السنة أنه يشفع في أهل الكبائر، وأما عند الوعيدية فإنما يشفع في زيادة الثواب .

وقول القائل : إن من توسل إلى الله بنبي، فقال : أتوسل إليك برسولك، فقد استغاث برسوله حقيقة، في

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢/١١

لغة العرب وجميع الأمم، قد كذب عليهم، فما يعرف هذا في لغة أحد من بنى آدم، بل الجميع يعلمون أن المستغاث مسؤول به مدعو، ويفرقون بين المسؤول والمسؤول به، سواء استغاث بالخالق." (١)

"ص -١٥٧- والمشركون الذين وصفهم الله ورسوله بالشرك أصلهم نصفان :

قوم نوح، وقوم إبراهيم . فقوم نوح كان أصل شركهم العكوف على قبور الصالحين، ثم صوروا تماثيلهم، ثم عبدوهم .

وقوم إبراهيم كان أصل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر . وكل من هؤلاء يعبدون الجن، فإن الشياطين قد تخاطبهم وتعينهم على أشياء، وقد يعتقدون أنهم يعبدون الملائكة وإن كانوا فى الحقيقة إنما يعبدون الجن، فإن الجن هم الذين يعينونهم ويرضون بشركهم، قال تعالى : ﴿ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ [سبأ : ٤٠- ٤١] .

والملائكة لا تعينهم على الشرك لا فى المحيا ولا فى الممات ولا يرضون بذلك، ولكن الشياطين قد تعينهم وتتصور لهم فى صور الآدميين فيرونهم بأعينهم ويقول أحدهم : أنا إبراهيم، أنا المسيح، أنا محمد، أنا الخضر، أنا أبو بكر، أنا عمر، أنا عثمان، أنا على، أنا الشيخ فلان . وقد يقول بعضهم عن بعض : هذا هو النبى فلان أو هذا هو الخضر ويكون أولئك كلهم جنا يشهد بعضهم لبعض . والجن كالإنس فمنهم الكافر ومنهم الفاسق ومنهم العاصى وفيهم العابد الجاهل، فمنهم من يحب شيخا فيتزيا [فيتزيا : يظهر فى هيئته . انظر : القاموس المحيط، مادة " زبى "] . فى صورته ويقول : أنا فلان . ويكون ذلك فى برية ومكان قفر [مكان قفر : الخلاء من الأرض، لا نبات فيه ولا ماء . انظر : لسان العرب، مادة [قفر]] ، فيطعم ذلك الشخص طعاما ويسقيه شرابا أو يدله على الطريق أو يخبره ببعض الأمور الواقعة الغائبة، فيظن ذلك." (٢)

"ص -١٦٧- يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإنى أنهاكم عن ذلك " .

فإذا كان هذا محرما، وهو سبب لسخط الرب ولعنته، فكيف بمن يقصد دعاء الميت والدعاء عنده وبه، واعتقد أن ذلك من أسباب إجابة الدعوات، ونيل الطلبات وقضاء الحاجات ؟ ! وهذا كان أول أسباب الشرك فى قوم نوح وعبادة الأوثان فى الناس، قال ابن عباس : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٥/١١

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٥/١٤

الإسلام، ثم ظهر الشرك بسبب تعظيم قبور صالحيهم .

وقد استفاض عن ابن عباس وغيره فى صحيح البخارى وفى كتب التفسير وقصص الأنبياء فى قوله تعالى : ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ [نوح : ٢٣] أن هؤلاء كانوا قوما صالحين فى قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم فعبدوهم، قال ابن عباس : ثم صارت هذه الأوثان فى قبائل العرب . وقد أحدث قوم من ملاحدة الفلاسفة الدهرية للشرك شيئا آخر ذكروه فى زيارة القبور كما ذكر ذلك ابن سينا ومن أخذ عنه كصاحب الكتب المضنون بها وغيره، ذكروا معنى الشفاعة على أصلهم، فإنهم لا يقرون بأن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام، ولا أنه يعلم الجزئيات، ويسمع أصوات عباده، ويجيب دعاءهم .

فشفاعة الأنبياء والصالحين على أصلهم ليست كما يعرفه أهل الإيمان من أنها دعاء يدعو به الرجل الصالح فيستجيب الله دعاءه، كما أن ما يكون من إنزال المطر باستسقائهم ليس سببه عندهم إجابة دعائهم .

بل هم يزعمون أن المؤثر فى حوادث العالم هو قوى النفس أو الحركات." (١)

"ص -٢٤٢- ولكن هذا اللفظ الذى فى الحكاية يشبه لفظ كثير من العامة الذين يستعملون لفظ الشفاعة فى معنى التوسل، فيقول أحدهم : اللهم إنا نستشفع إليك بفلان وفلان أى نتوسل به . ويقولون لمن توسل فى دعائه بنبى أو غيره : [قد تشفع به] من غير أن يكون المستشفع به شفع له ولا دعا له، بل وقد يكون غائبا لم يسمع كلامه ولا شفع له، وهذا ليس هو لغة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعلماء الأمة، بل ولا هو لغة العرب، فإن الاستشفاع طلب الشفاعة . والشافع هو الذى يشفع السائل فيطلب له ما يطلب من المسؤول المدعو المشفوع إليه .

وأما الاستشفاع بمن لم يشفع للسائل ولا طلب له حاجة بل وقد لا يعلم بسؤاله، فليس هذا استشفاعا لا فى اللغة ولا فى كلام من يدرى ما يقول : نعم هذا سؤال به ودعاؤه ليس هو استشفاعا به . ولكن هؤلاء لما غيروا اللغة كما غيروا الشريعة وسموا هذا استشفاعا أى سؤالا بالشافع صارو ا يقولون : [استشفع به فيشفعك] أى يجيب سؤالك به، وهذا مما يبين أن هذه الحكاية وضعها جاهل بالشرع واللغة وليس لفظها من ألفاظ مالك .

نعم، قد يكون أصلها صحيحا، ويكون مالك قد نهى عن رفع الصوت فى مسجد الرسول اتباعا للسنة، كما

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٥/١٤

كان عمر ينهى عن رفع الصوت فى مسجده، ويكون مالك أمر بما أمر الله به من تعزيره وتوقيره ونحو ذلك مما يليق بمالك أن يأمر به .." (١)

"ص -٢٤٥- والمقصود هنا : أن كثيرا من كلام الله ورسوله يتكلم به من يسلك مسلكهم، ويريد مرادهم لا مراد الله ورسوله، كما يوجد فى كلام صاحب [الكتب المضنون بها] وغيره، مثل ما ذكره فى [اللوح المحفوظ] حيث جعله النفس الفلكية، ولفظ [القلم] حيث جعله العقل الأول، ولفظ [الملكوت] و [الجبروت] و [الملك] حيث جعل ذلك عبارة عن النفس والعقل، ولفظ [الشفاعة] حيث جعل ذلك فيضا يفيض من الشفيع على المستشفع وإن كان الشفيع قد لا يدرى، وسلك فى هذه الأمور ونحوها مسالك ابن سينا، كما قد بسط فى موضع آخر .

والمقصود هنا ذكر من يقع ذلك منه من غير تدبر منه للغة الرسول صلى الله عليه وسلم كلفظ القديم، فإنه فى لغة الرسول التى جاء بها القرآن خلاف الحديث وإن كان مسبوقا بغيره، كقوله تعالى : ﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾ [يس : ٣٩] ، وقال تعالى عن إخوة يوسف : ﴿تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾ [يوسف : ٩٥] ، وقوله تعالى : ﴿قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون﴾ [الشعراء : ٧٥، ٧٦] وهو عند أهل الكلام عبارة عما لم يزل أو عما لم يسبقه وجود غيره إن لم يكن مسبوقا بعدم نفسه، ويجعلونه إذا أريد به هذا من باب المجاز، ولفظ [المحدث] فى لغة القرآن يقابل للفظ [القديم] فى القرآن .

وكذلك لفظ [الكلمة] فى القرآن والحديث وسائر لغة **العرب**، إنما يراد به الجملة التامة، كقوله صلى الله عليه وسلم : "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن،." (٢)

"ص -٢٤٦- خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان : سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم " ، وقوله : " إن أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل " ، ومنه قوله تعالى : ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا﴾ [الكهف : ٥] ، وقوله تعالى : ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ الآية [آل عمران : ٦٤] ، وقوله تعالى : ﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا﴾ [التوبة : ٤٠] ، وأمثال ذلك، ولا يوجد لفظ الكلام فى لغة **العرب** إلا بهذا المعنى .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١١٤/١٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ١١٧/١٤

والنحاة اصطلحوا على أن يسموا [الاسم] وحده، و [الفعل] و [الحرف] كلمة، ثم يقول بعضهم : وقد يراد بالكلمة الكلام، فيظن من اعتاد هذا أن هذا هو لغة **العرب**، وكذلك لفظ [ذوى الأرحام] فى الكتاب والسنة يراد به الأقارب من جهة الأبوين فيدخل فيهم العصبة وذوو الفروض، وإن شمل ذلك من لا يرث بفرض ولا تعصيب، ثم صار ذلك فى اصطلاح الفقهاء اسما لهؤلاء دون غيرهم، فيظن من لا يعرف إلا ذلك أن هذا هو المراد بهذا اللفظ فى كلام الله ورسوله وكلام الصحابة، ونظائر هذا كثيرة .

ولفظ [التوسل] و [الاستشفاع] ونحوهما دخل فيها من تغيير لغة الرسول وأصحابه، ما أوجب غلط من غلط عليهم فى دينهم ولغتهم .

والعلم يحتاج إلى نقل مصدق ونظر محقوق .

والمنقول عن السلف والعلماء يحتاج إلى معرفة بثبوت لفظه ومعرفة دلالته، كما يحتاج إلى ذلك المنقول عن الله ورسوله . فهذا ما يتعلق بهذه الحكاية .." (١)

"ص -٢٩٧- الكبير] ، وكتب السير، ودلائل النبوة، والتفسير مشحونة بذلك . قال أبو العالية وغيره : كان اليهود إذا استنصروا بمحمد صلى الله عليه وسلم على مشركى **العرب** يقولون . اللهم ابعث هذا النبى الذى نجده مكتوبا عندنا حتى نغلب المشركين ونقتلهم . فلما بعث الله محمدا ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسدا **للعرب**، وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآيات . ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ [البقرة . ٨٩] .

وروى محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى عن رجال من قومه قالوا . مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله وهداه ما كنا نسمع من رجال يهود، وكنا أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس عندنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا . قد تقارب زمان نبى يبعث الآن فنقتلكم معه قتل عاد وإرم كثيرا ما كنا نسمع ذلك منهم فلما بعث الله محمدا رسولا من عند الله أجبناه حين دعانا إلى الله وعرفنا ما كانوا يتوعدونا به، فبادرناهم إليه فآمنا به وكفروا به، ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات التى فى البقرة . ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ [البقرة . ٨٩]

ولم يذكر ابن أبى حاتم وغيره ممن جمع كلام مفسرى السلف إلا هذا، وهذا لم يذكر فيه السؤال به عن

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١١٨/١٤

أحد من السلف، بل ذكروا الإخبار به، أو سؤال الله أن يبعثه . فروى ابن أبى حاتم، عن أبى رزين، عن الضحاك، عن." (١)

"ص -٢٩٨- ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾ قال . يستظهرون، ويقولون . نحن نعين محمدا عليهم وليسوا كذلك، يكذبون .

وروى عن معمر عن قتادة فى قوله تعالى . ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾ قال . كانوا يقولون . إنه سيأتى نبى ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾ .

وروى بإسناده عن ابن إسحاق . حدثنا محمد بن أبى محمد قال . أخبرنى عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس، أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه، فلما بعثه الله من **العرب** كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود بن سلمة . يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل شرك، وتخبرونا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته، فقال سلام بن مشكم أخو بنى النضير . ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذى كنا نذكر لكم، فأنزل الله تعالى فى ذلك : ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ .

وروى بإسناده عن الربيع بن أنس، عن أبى العالية قال . كانت اليهود تستنصر بمحمد صلى الله عليه وسلم على مشركى **العرب**، يقولون . اللهم ابعث هذا النبى الذى نجده مكتوبا عندنا، حتى نعذب المشركين ونقتلهم . فلما بعث الله محمدا." (٢)

"ص -٢٩٩- ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسدا **للعرب**، وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الله : ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ .

وأما الحديث الذى يروى عن عبد الملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال . كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فكلما التقوا هزمت يهود فعاذت بهذا الدعاء . اللهم إنا نسألك بحق محمد النبى الأمى الذى وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم، فكانوا إذا دعوا بهذا الدعاء هزموا غطفان . فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم كفروا به، فأنزل الله تعالى . ﴿وكانوا من قبل يستفتحون

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٤/١٧١

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٤/١٧٢

على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ وهذا الحديث رواه الحاكم فى مستدركه وقال . أدت الضرورة إلى إخراجه . وهذا مما أنكره عليه العلماء، فإن عبد الملك بن هارون من أضعف الناس، وهو عند أهل العلم بالرجال متروك، بل كذاب . وقد تقدم ما ذكره يحى بن معين وغيره من الأئمة فى حقه .

قلت . وهذا الحديث من جملتها، وكذلك الحديث الآخر يرويه عن أبى بكر، كما تقدم .

ومما يبين ذلك أن قوله تعالى : ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾ إنما نزلت باتفاق أهل التفسير والسير فى اليهود المجاورين للمدينة أولا كبنى قينقاع وقريظة والنضير، وهم الذين كانوا يحالفون الأوس والخزرج، وهم الذين عاهدهم النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة، ثم لما نقضوا العهد حاربهم،." (١)

"ص -٣٠١- فلو لم ترد الآثار التى تدل على أن هذا معنى الآية لم يجز لأحد أن يحمل الآية على ذلك المعنى المتنازع فيه بلا دليل؛ لأنه لا دلالة فيها عليه، فكيف وقد جاءت الآثار بذلك ؟

وأما ما تقدم ذكره عن اليهود من أنهم كانوا ينصرون، فقد بينا أنه شاذ، وليس هو من الآثار المعروفة فى هذا الباب، فإن اليهود لم يعرف أنها غلبت **العرب** بل كانوا مغلوبين معهم، وكانوا يحالفون **العرب** فيحالف كل فريق فريقا، كما كانت قريظة حلفاء الأوس، وكانت النضير حلفاء الخزرج .

وأما كون اليهود كانوا ينتصرون على **العرب** فهذا لا يعرف بل المعروف خلافه، والله تعالى قد أخبر بما يدل على ذلك، فقال تعالى . ﴿ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وبآؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ [آل عمران . ١١٢] .

فاليهود من حين ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس لم يكونوا بمجردهم ينتصرون لا على **العرب** ولا غيرهم، وإنما كانوا يقاتلون مع حلفائهم قبل الإسلام، والذلة ضربت عليهم من حين بعث المسيح عليه السلام فكذبوه . قال تعالى . ﴿الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾ [آل عمران . ٥٥] ، وقال تعالى .:" (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٧٣/١٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٧٥/١٤

"ص –٣١١– بين المخلوق والخالق فى شىء من ذلك فقد عدل بالله، وهو من الذين بربهم يعدلون، وقد جعل مع الله إلها آخر، وإن كان مع ذلك يعتقد أن الله وحده خلق السموات والأرض .

فإن مشركى العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خلق السموات والأرض، كما قال تعالى : ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ [لقمان : ٢٥، الزمر : ٣٨] ، وكانوا مع ذلك مشركين يجعلون مع الله آلهة أخرى، قال تعالى : ﴿أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد﴾ [الأنعام : ١٩] ، وقال تعالى : ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ [البقرة : ١٦٥] . فصاروا مشركين لأنهم أحبوهم كحبه، لا أنهم قالوا : إن آلهتهم خلقوا كخلقه، كما قال تعالى : ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم﴾ [الرعد : ١٦] .

وهذا استفهام إنكار بمعنى النفى، أى ما جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه، فإنهم مقرون أن آلهتهم لم يخلقوا كخلقه، وإنما كانوا يجعلونهم شفعاء، ووسائط . قال تعالى : ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ [يونس : ١٨] ، وقال صاحب يس : ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون إني إذا لفي ضلال مبين إني آمنت بربكم فاسمعون﴾ [يس : ٢٢ ٢٥] .." (١)

"ص –٣١٥– ولهذا قال العلماء : يستحب أن يستسقى بأهل الدين والصلاح، وإذا كانوا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أحسن .

وهذا الاستشفاع والتوسل حقيقته التوسل بدعائه؛ فإنه كان يدعو للمتوسل به المستشفع به والناس يدعون معه، كما أن المسلمين لما أجدبوا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليه أعرابى فقال : يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغثنا . فرفع النبى صلى الله عليه وسلم يديه وقال : " اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا " وما فى السماء قزعة؛ فنشأت سحابة من جهة البحر فمطروا أسبوعا لا يرون فيه الشمس؛ حتى دخل عليهم الأعرابى أو غيره فقال : يا رسول الله، انقطعت السبل، وتهدم البنيان، فادع الله يكشفها عنا . فرفع يديه وقال : " اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام [الآكام : الروابى وهى الأماكن المرتفعة، والظراب : الجبال الصغار . انظر : النهاية فى غريب الحديث ٦٥١/٣ . ولسان العرب، مادة " أكم "] والظراب ومنابت الشجر وبطون الأودية " فانجابت عن المدينة كما ينجاب

(١) مجموع الفتاوى ، ١٨٧/١٤

الثوب . والحديث مشهور فى الصحيحين وغيرهما .

وفى حديث آخر فى سنن أبى داود وغيره أن رجلا قال له : إنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك . فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رؤى ذلك فى وجوه أصحابه وقال : " ويحك، أتدرى ما الله ؟ إن الله لا يستشفع به على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك " .

وهذا يبين أن معنى الاستشفاع بالشخص فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو استشفاع بدعائه وشفاعته، ليس هو السؤال بذاته؛ فإنه لو كان هذا." (١)

"ص -٣٢١- وقد استفاضت الأحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن اتخاذ القبور مساجد، ولعن من يفعل ذلك، ونهى عن اتخاذ قبره عيدا، وذلك لأن أول ما حدث الشرك فى بنى آدم كان فى قوم نوح .

قال ابن عباس : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام . وثبت ذلك فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أن نوحا أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، وقد قال الله تعالى عن قومه أنهم قالوا : ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا﴾ [نوح : ٢٣، ٢٤] قال غير واحد من السلف : هؤلاء كانوا قوما صالحين فى قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، فلما طال عليهم الأمد عبدوهم؛ وقد ذكر البخارى فى صحيحه هذا عن ابن عباس، وذكر أن هذه الآلهة صارت إلى **العرب**، وسمى قبائل **العرب** الذين كانت فيهم هذه الأصنام . فلما علمت الصحابة رضوان الله عليهم أن النبى صلى الله عليه وسلم حسم مادة الشرك بالنهى عن اتخاذ القبور مساجد وإن كان المصلى يصلى لله عز وجل، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس لئلا يشابه المصلين للشمس، وإن كان المصلى إنما يصلى لله تعالى، وكان الذى يقصد الدعاء بالميت أو عند قبره أقرب إلى الشرك من الذى لا يقصد إلا الصلاة لله عز وجل لم يكونوا يفعلون ذلك .

وكذلك علم الصحابة أن التوسل به إنما هو التوسل بالإيمان به وطاعته." (٢)

"ص -٣٦٠- وقد تقضى الشياطين بعض حاجاتهم، وتدفع عنهم بعض ما يكرهونه، فيظن أحدهم أن الشيخ هو الذى جاء من الغيب حتى فعل ذلك، أو يظن أن الله تعالى صور ملكا على صورته فعل ذلك، ويقول أحدهم : هذا سر الشيخ وحاله ! وإنما هو الشيطان تمثل على صورته ليضل المشرك به

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٩٢/١٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٩٨/١٤

المستغيث به، كما تدخل الشياطين فى الأصنام وتكلم عابديها وتقضى بعض حوائجهم، كما كان ذلك فى أصنام مشركى العرب، وهو اليوم موجود فى المشركين من الترك والهند وغيرهم، وأعرف من ذلك وقائع كثيرة فى أقوام استغاثوا بى، وبغيرى فى حال غيبتنا عنهم، فرأونى أو ذاك الآخر الذى استغاثوا به قد جئنا فى الهواء ودفعنا عنهم، ولما حدثونى بذلك بينت لهم أن ذلك إنما هو شيطان تصور بصورتى وصورة غيرى من الشيوخ الذين استغاثوا بهم ليظنوا أن ذلك كرامات للشيخ، فتقوى عزائمهم فى الاستغاثة بالشيوخ الغائبين والميتين، وهذا من أكبر الأسباب التى بها أشرك المشركون وعبدة الأوثان .

وكذلك المستغيثون من النصارى بشيوخهم الذين يسمونهم [العلامس] ، يرون أيضا من يأتى على صورة ذلك الشيخ النصرانى الذى استغاثوا به فيقضى بعض حوائجهم .

وهؤلاء الذين يستغيثون بالأموات من الأنبياء، والصالحين، والشيوخ، وأهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم، غاية أحدهم أن يجرى له بعض هذه الأمور، أو يحكى لهم بعض هذه الأمور، فيظن أن ذلك كرامة، وخرق عادة بسبب هذا العمل . ومن هؤلاء من يأتى إلى قبر الشيخ." (١)

"مجموع فتاوى ابن تيمية - الجزء الثاني

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية - ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (٢)

"ص -١٧- فتبين بذلك أن ذكر الله أصل لدفع الوسواس الذي هو مبدأ كل كفر وجهل، وفسق وظلم . وقال الله تعالى ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ [الحجر : ٤٢] ،وقال : ﴿ إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ [النحل : ٩٩] ، وقال : ﴿ ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ﴾ [آل عمران : ١٠١] ونحو ذلك من النصوص .

وفي الدعاء الذي علمه الإمام أحمد لبعض أصحابه : يا دليل الحيارى، دلني على طريق الصادقين، واجعلني من عبادك الصالحين . ولهذا كان عامة أهل السنة من أصحابنا وغيرهم على أن الله يسمى دليلا، ومنع ابن

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٣٨/١٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ١/١٥

عقيل، وكثير من أصحاب الأشعري أن يسمي دليلا؛ لاعتقادهم أن الدليل هو ما يستدل به، وأن الله هو الدال، وهذا الذي قالوه بحسب ما غلب في عرف استعمالهم من الفرق بين الدال، والدليل . وجوابه من وجهين :

أحدهما : أن الدليل معدول عن الدال، وهو ما يؤكد فيه صفة الدلالة، فكل دليل دال، وليس كل دال دليلا، وليس هو من أسماء الآلات التي يفعل بها، فإن فعيل ليس من أبنية الآلات كمفعل، ومفعال .

وإنما سمي ما يستدل به من الأقوال والأفعال والأجسام أدلة باعتبار أنها تدل من يستدل بها، كما يخبر عنها بأنها تهدي، وترشد، وتعرف، وتعلم، وتقول، وتجيب، وتحكم، وتفتي، و تقص، وتشهد، وإن لم يكن لها في ذلك قصد وإرادة، ولا حس وإدراك كما هو مشهور في الكلام العربي وغيره . فما ذكروه من الفرق والتخصيص لا أصل له في كلام العرب .." (١)

"ص -٨٤- وفي آخر علم ما بعد الطبيعة حرف اللام كأنه هو العلة الغائية، الذي إليه الحركة، كما أثبت المعلم الأول وجوده بطريق الاستدلال بالحركة الذي تكلم فيه المعلم الأول على واجب الوجود لذاته، بكلام مختصر ذكر فيه قدرا يسيرا من أحكامه وهو الذي كان يقول فيه ابن سينا فهذا ما عند المعلم الأول من معرفة الله .

وأما النبوات والرسل، فليس لهؤلاء فيها كلام معروف، لا نفيا ولا إثباتا . وأما المتأخرون فهم لما ظهرت الملة الحنيفية الإبراهيمية، التوحيدية تارة بنبوة عيسى لما ظهرت النصارى على مملكة الصابئين بأرض الشام، ومصر، والروم، وغيرها ثم بنبوة خاتم المرسلين، وأظهر الله من نور النبوة شمسا طمست ضوء الكواكب، وعاش السلف فيها برهة طويلة ثم خفى بعض نور النبوة، فعرب بعض كتب الأعاجم الفلاسفة، من الروم، والفرس والهند، في أثناء الدولة العباسية .

ثم طلبت كتبهم في دولة المأمون من بلاد الروم، فعربت، ودرسها الناس، وظهر بسبب ذلك من البدع ما ظهر، وكان أكثر ما ظهر من علومهم الرياضية كالحساب والهيئة، أو الطبيعية كالطب، أو المنطقية، فأما

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤/١٧

الإلهية،فكلامهم فيها نزر وهو مع نزارته ليس غالبه عندهم يقينا، وعند المسلمين من العلوم الإلهية الموروثة عن خاتم المرسلين ما ملأ العالم نورا وهدى." (١)

"ص -١٤٩- منه، ومحمد صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم فهو أعظم الذرية قدرا وأرفعهم ذكرا .
فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه كتب نبيا حينئذ، وكتابة نبوته هو معنى كون نبوته، فإنه كون في التقدير الكتابي، ليس كونا في الوجود العيني؛ إذ نبوته لم يكن وجودها حتى نبأه الله تعالى على رأس أربعين سنة من عمره صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى له : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ﴾ الآية [الشورى : ٥٢] ، وقال : ﴿ ألم يجدك يتيما فآوى ﴾ الآية [الضحى : ٦] . وقال : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ الآية [يوسف : ٣] .
ولذلك جاء هذا المعنى مفسرا في حديث **العرباض** بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إني عبد الله مكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم بأول أمري : دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور أضاءت لها منه قصور الشام " ، هذا لفظ الحديث من رواية ابن وهب .
حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن **العرباض**، رواه البغوي في شرح السنة هكذا، ورواه الليث بن سعد عنه نحوه، ورواه الإمام أحمد في المسند عن ابن مهدي : حدثنا معاوية بن صالح بالإسناد عن **العرباض** قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إني عبد الله خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك : دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين يرين " ، وقوله :." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٢/٢٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٧/٢٤

"ص -٢٣٨- في التوراة والإنجيل وقبل ذلك، كما روى الإمام أحمد في مسنده، عن العرباض بن سارية، عن النبي صلىالله عليه وسلم قال : " إني لعبد الله، مكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك : دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورؤيا أمي، رأت حين ولدتني كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام " .

وحديث ميسرة الفجر : قلت يا رسول الله، متى كنت نبيا ؟ وفي لفظ : متي كتبت نبيا ؟ قال : " وآدم بين الروح والجسد " وهذا لفظ الحديث .

وأما قوله : "كنت نبيا وآدم بين الماء والطين " فلا أصل له، لم يروه أحد من أهل العلم بالحديث بهذا اللفظ، وهو باطل، فإنه لم يكن بين الماء والطين، إذ الطين؛ ماء وتراب، ولكن لما خلق الله جسد آدم قبل نفخ الروح فيه، كتب نبوة محمد صلىالله عليه وسلم وقدرها، كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود، قال : حدثنا رسول الله صلىالله عليه وسلم، وهو الصادق المصدوق : " إن خلق أحدكم يجعل في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات، فيقال : اكتب رزقه، وعمله، وأجله، وشقيا أو سعيدا، ثم ينفخ فيه الروح " ، وروى أنه كتب اسمه على ساق العرش، ومصاريع الجنة . فأين الكتاب والتقدير من وجود الحقيقة ؟

وما يروى في هذا الباب من الأحاديث، هو من هذا الجنس، مثل كونه كان نورا يسبح حول العرش، أو كوكبا يطلع في السماء ونحو ذلك، كما ذكره." (١)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٠٦/٢٤

"ص -٢٥٠- ويصوم ويجوع، ويقوم وينام، وتصيبه الأمراض والأسقام، وتبتليه الأعداء ويصيبه البلاء، وتشتد به اللأواء، وقد صرحوا بذلك، وصرحوا بأن كل كرب يصيب النفوس فإنه هو الذي يصيبه الكرب، وأنه إذا نفس الكرب، فإنما يتنفس عنه؛ ولهذا كره بعض هؤلاء الذين هم من أكفر خلق الله وأعظمهم نفاقا وإلحادا وعتوا على الله وعنادا أن يصبر الإنسان على البلاء؛ لأن عندهم أنه هو المصاب المبتلى .

وقد صرحوا بأنه موصوف بكل نقص وعيب، فإنه ما ثم من يتصف بالنقائص والعيوب غيره، فكل عيب ونقص، وكفر وفسوق في العالم، فإنه هو المتصف به، لا متصف به غيره، كلهم متفقون على هذا في الوجود .

ثم صاحب الفصوص يقول : إن ذلك ثابت في العدم، وغيره يقول : ما ثم سوى وجود الحق، الذي هو متصف بهذه المعايب والمثالب .

الخامس : أن عندهم أن الذين عبدوا اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، والذين عبدوا ودا، وسواعا، ويغوث، ويعوق، ونسرا، والذين عبدوا الشعرى، والنجم، والشمس، والقمر . والذين عبدوا المسيح، وعزيرا، والملائكة، وسائر من عبد الأوثان والأصنام : من قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم فرعون، وبني إسرائيل، وسائر المشركين من **العرب**، ما عبدوا إلا الله، ولا يتصور أن يعبدوا غير الله، وقد صرحوا بذلك في مواضع كثيرة، مثل قول صاحب الفصوص في فص الكلمة النوحية :." (١)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١١٨/٢٤

"ص -٣٢٧- والمؤمن إن قدر عدل وأحسن،وإن قهر وغلب صبر واحتسب،كما قال كعب بن زهير في قصيدته التي أنشدها للنبي صلى الله عليه وسلم التي أولها : بانت سعاد . . . إلخ في صفة المؤمنين :

ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم يوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا

وسئل بعض العرب عن شيء من أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال : رأيته يغلب فلا يبطر، ويغلب فلا يضجر .

وقد قال تعالى : ﴿ أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ [يوسف : ٩٠] ، وقال تعالى : ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ﴾ [آل عمران : ١٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملآئكة مسومين ﴾ [آل عمران : ١٢٥] ، وقال تعالى : ﴿ وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ [آل عمران : ١٦٨] ،فذكر الصبر والتقوى في ہذه المواضع الأربعة، فالصبر يدخل فيه الصبر على المقدور، والتقوى يدخل فيها فعل المأمور وترك المحظور .

فمن رزق هذا وهذا فقد جمع له الخير، بخلاف من عكس فلا يتقى الله بل يترك طاعته متبعا لهواه ويحتج بالقدر،ولا يصبر إذا ابتلى ولا ينظر حينئذ إلى القدر، فإن هذا حال الأشقياء، كما قال بعض العلماء : أنت عند الطاعة قدري، وعند المعصية جبري، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به .." (١)

"ص -٤٤٠- وقد أخبر أن هذا مضاهاة لقول الذين كفروا من قبل .

وقد قيل : إنهم قدماؤهم . وقيل : مشركو العرب، وفيهما نظر . فإن مشركي العرب الذين قالوا هذا ليسوا

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٣/٢٥

قبل اليهود والنصارى وقدمائهم منهم، فلعله الصابئون المشركون، الذين كانوا قبل موسى والمسيح بأرض الشام ومصر وغيرها، الذين يجعلون الملائكة أولادا له، كما سنبينه .

وقال تعالى : ﴿ ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى ﴾ [النحل : ٦٢] ، وهو قول من قال من **العرب** : إن الملائكة بنات الله .

وقال تعالى : ﴿ ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم ﴾ [النحل : ٥٦ : ٦٠] ، وقال تعالى : ﴿ وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون ﴾ [الزخرف : ١٥ : ١٩] .." (١)

"ص -٤٤١- وهذا القدر الذي عابه الله على من جعل الملائكة بناته من **العرب**، مع كراهتهم أن يكون لهم بنات، فنظيره في النصارى، فإنهم يجعلون لله ولدا، وينزهون أكابر أهل دينهم عن أن يكون لأحدهم صاحبة أو ولدا، فيجعلون لله ما يكرهونه لأكابر دينهم .

وقال تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾ [مريم : ٨٨ : ٩٥] .

وقال تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملآئكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا فأما

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٨٢/٢٦

الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا ﴾ [النساء : ١٧١ : ١٧٣] .." (١)

"ص -٤٤٣- وقال : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾ [الأنبياء : ٢٦ : ٢٨] .

ومعلوم أن الذين خرقوا له بنين وبنات بغيرعلم، والذين قالوا : ولد الله، وإنهم لكاذبون، والذين قالوا : المسيح ابن الله، وعزير ابن الله، لم يرد عقلاؤهم ولادة حسية، من جنس ولادة الحيوان بانفصال جزء من ذكره في أنثاه، يكون منه الولد، فإن النصارى والصابئين متفقون على نفي ذلك وكذلك مشركو **العرب**، ما أظن عقلاءهم كانوا يعتقدون ذلك، وإنما وصفوا الولادة العقلية الروحانية، مثل ما يقوله النصارى : إن الجوهر الذي هو الله من وجه، وهو الكلمة من وجه، تدرعت بإنسان مخلوق من مريم، فيقولون : تدرع اللاهوت بالناسوت، فظاهره وهو الدرع والقميص بشر، وباطنه وهو المتدرع لاهوت، هو الابن الذي هو الكلمة لتولد هذا من الأب الذي هو جوهر الوجود .

فهذه البنوة مركبة عندهم من أصلين :

أحدهما : أن الجوهر الذي هو الكلمة تولد من الجوهر الذي هو الأب، كتولد العلم والقول من العالم القائل .." (٢)

"ص -٤٤٤- والثاني : أن هذا الجوهر اتحد بالمسيح وتدرع به، وذلك الجوهر هو الأب من وجه، وهو الابن من وجه، فلهذا حكى الله عنهم، تارة أنهم يقولون : المسيح ابن الله، وتارة أنهم يقولون : إن الله هو المسيح ابن مريم .

وأما حكايته عنهم أنهم قالوا : ﴿ إن الله ثالث ثلاثة ﴾ [المائدة : ٧٣] ، فالمفسرون يقولون : الله والمسيح وأمه، كما قال : ﴿ يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ﴾ [المائدة : ١١٦] ، ولهذا قال في سياق الكلام : ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة ﴾ [المائدة : ٧٥] أي غاية المسيح : الرسالة، وغاية أمه : الصديقية، لا يبلغان إلى اللاهوتية، فهذا حجة هذا، وهو ظاهر .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٨٣/٢٦

(٢) مجموع الفتاوى ، ٨٧/٢٦

ومن الناس من يزعم أن المراد بذلك الأقانيم الثلاثة، وهي الآب والابن وروح القدس، وهذا فيه نظر .

فأما قوله : ﴿ وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السماوات والأرض إني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ﴾ [الأنعام : ١٠٠، ١٠١] فإن قوله : ﴿ بديع السماوات والأرض ﴾ أي مبدعهما، كما ذكر مثل ذلك في البقرة، وليس المراد أنهما بديعة سمواته وأرضه، كما تحتمله **العربية** لولا السياق؛ لأن المقصود نفى ما زعموه من خرق البنين والبنات له، ومن كونه اتخذ ولدا .." (١)

"مجموع فتاوى ابن تيمية - الجزء الثالث

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة **العربية** السعودية - ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (٢)

"ص -٢١- أو لا موجودا ولا معدوما، ويمتنع أن يكون يوصف ذلك باجتماع الوجود والعدم، أو الحياة والموت، أو العلم والجهل أو يوصف بنفي الوجود والعدم، ونفي الحياة والموت ونفي العلم والجهل، فإن قلت إنما يمتنع نفي النقيضين عما يكون قابلا لهما، وهذان يتقابلان تقابل العدم والملكة، لا تقابل السلب والإيجاب، فإن الجدار لا يقال له أعمى ولا بصير ولا حي ولا ميت، إذ ليس بقابل لهما، قيل لك : أولا هذا لا يصح في الوجود والعدم، فإنهما متقابلان تقابل السلب والإيجاب باتفاق العقلاء، فيلزم من رفع أحدهما ثبوت الآخر، وأما ما ذكرته من الحياة والموت والعلم والجهل : فهذا اصطلاح اصطلحت عليه

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٦/٨٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣١/١

المتفلسفة المشاءون، والاصطلاحات اللفظية ليست دليلا على نفي الحقائق العقلية، وقد قال الله تعالى : ﴿والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون . أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ [النحل : ٢٠، ٢١] .

فسمى الجماد ميتا، وهذا مشهور في لغة **العرب** وغيرهم

وقيل لك ثانيا : فما لا يقبل الاتصاف بالحياة والموت والعمى والبصر، ونحو ذلك من المتقابلات، أنقص مما يقبل ذلك -، فالأعمى الذي يقبل الاتصاف بالبصر، أكمل من الجماد الذي لا يقبل واحدا منهما، فأنت فررت من تشبيهه بالحيوانات القابلة لصفات الكمال، ووصفته بصفات الجامدات التي لا تقبل ذلك .." (١)

"ص -٥٥- وروي عن ابن عباس أنه قال : التفسير على أربعة أوجه تفسير تعرفه **العرب** من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله، من ادعى علمه فهو كاذب . وقد روي عن مجاهد وطائفة : أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله . وقد قال مجاهد : عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية، وأسأله عن تفسيرها، ولا منافاة بين القولين عند التحقيق، فإن لفظ [التأويل] قد صار بتعدد الاصطلاحات مستعملا في ثلاثة معان : -

أحدها : وهو اصطلاح كثير من المتأخرين من المتكلمين في الفقه وأصوله، أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، لدليل يقترن به، وهذا هو الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات، وترك تأويلها، وهل ذلك محمود أو مذموم أو حق أو باطل ؟ . .

الثاني : أن التأويل بمعنى التفسير، وهذا ه و الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن، كما يقول ابن جرير وأمثاله من المصنفين في التفسير، واختلف علماء التأويل، ومجاهد إمام المفسرين، قال الثوري : [إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به] وعلى تفسيره يعتمد الشافعي وأحمد والبخاري وغيرهما، فإذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه، فالمراد به معرفة تفسيره .." (٢)

"ص -٧١- فهؤلاء إذا أطلقوا على الصفاتية اسم التشبيه والتمثيل، كان هذا بحسب اعتقادهم الذي ينازعهم فيه أولئك، ثم تقول لهم أولئك : هب أن هذا المعنى قد يسمى في اصطلاح بعض الناس تشبيها، فهذا المعنى لم ينفه عقل ولا سمع، وإنما الواجب نفي ما نفته الأدلة الشرعية والعقلية .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٦/٣٢

(٢) مجموع الفتاوى ، ٦٠/٣٢

والقرآن قد نفي مسمى المثل والكفء والند ونحو ذلك .

ولكن يقولون : الصفة في لغة العرب ليست مثل الموصوف، ولا كفؤه ولا نده، فلا يدخل في النص .

وأما العقل، فلم ينف مسمى التشبيه في اصطلاح المعتزلة .

وكذلك أيضا يقولون : إن الصفات لا تقوم إلا بجسم متحيز، والأجسام متماثلة، فلو قامت به الصفات للزم أن يكون مماثلا لسائر الأجسام، وهذا هو التشبيه .

وكذلك يقول هذا كثير من الصفاتية، الذين يثبتون الصفات وينفون علوه على العرش، وقيام الأفعال الاختيارية به ونحو ذلك، ويقولون : الصفات قد تقوم بما ليس بجسم، وأما العلو على العالم فلا يصح إلا إذا كان جسما، فلو أثبتنا علوه للزم أن يكون جسما، وحينئذ فالأجسام متماثلة فيلزم التشبيه .

فلهذا تجد هؤلاء يسمون من أثبت العلو ونحوه مشبها، ولا يسمون من أثبت السمع والبصر والكلام ونحوه مشبها، كما يقول صاحب الإرشاد وأمثاله .." (١)

"ص -٩٦- إلى قوله ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ [آل عمران : ٨٠] فبيين أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر ومعلوم أن أحدا من الخلق لم يزعم أن الأنبياء والأحبار والرهبان والمسيح بن مريم شاركوا الله في خلق السموات والأرض بل ولا زعم أحد من الناس أن العالم له صانعان متكافئان في الصفات والأفعال بل ولا أثبت أحد من بني آدم إلها مساويا لله في جميع صفاته بل عامة المشركين بالله مقرون بأنه ليس شريكه مثله بل عامتهم يقرون ان الشريك مملوك له سواء كان ملكا أو نبيا أو كوكبا أو صنما كما كان مشركوا العرب يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك فأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوحيد وقال لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وقد ذكر أرباب المقالات ما جمعوا من مقالات الأولين والأخرين في الملل والنحل والآراء والديانات فلم ينقلوا عن أحد إثبات شريك مشارك له في خلق جميع المخلوقات ولا مماثل له في جميع الصفات بل من أعظم." (٢)

"ص -٩٨- المتكلمين الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظر غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع فيقولون هو واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا شبيه له وواحد في أفعاله لا شريك له وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث وهو توحيد الافعال وهو أن خالق العالم واحد وهم يحتجون على ذلك بما

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٧٦/٣٢

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٠٤/٣٢

يذكرونه من دلالة التمانع وغيرها ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب وأن هذا هو معنى قولنا لا اله الا الله حتى يجعلوا معنى الإلهية القدرة على الاختراع ومعلوم أن المشركين من **العرب** الذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم أولا لم يكونوا يخالفونه في هذا بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء حتى أنهم كانوا يقرون بالقدر أيضا وهم مع هذا مشركون فقد تبين أن ليس في العالم من ينازع في أصل هذا الشرك ولكن غاية ما يقال : إن من الناس من جعل بعض الموجودات خلقا لغير الله كالقدرية وغيرهم لكن هؤلاء يقرون بأن الله خالق العباد وخالق قدرتهم وإن قالوا أنهم خلقوا أفعالهم وكذلك أهل الفلسفة والطبع والنجوم الذين يجعلون أن بعض المخلوقات مبدعة لبعض الأمور هم مع الإقرار بالصانع يجعلون هذه الفاعلات مصنوعة." (١)

"ص -١٠٨- وليس المراد أن الله والمؤمنين حسبك، كما يظنه بعض الغالطين؛ إذ هو وحده كاف نبيه، وهو حسبه، ليس معه من يكون هو وإياه حسبا للرسول، وهذا في اللغة كقول الشاعر :

فحسبك والضحاك سيف مهند

وتقول **العرب** : حسبك وزيدا درهم، أي يكفيك وزيدا جميعا درهم .

وقال في الخوف والخشية والتقوى : ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ [النور : ٥٢] . فأثبت الطاعة لله والرسول، وأثبت الخشية والتقوى لله وحده، كما قال نوح عليه السلام : ﴿إني لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ﴾ [نوح : ٢، ٣] . ، فجعل العبادة والتقوى لله وحده، وجعل الطاعة للرسول، فإنه من يطع الرسول فقد أطاع الله .

وقد قال تعالى : ﴿فلا تخشوا الناس واخشون ﴾ [المائدة : ٤٤] . ، وقال تعالى : ﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ [آل عمران : ١٧٥] . ، وقال الخليل عليه السلام : ﴿وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ [الأنعام : ٨١، ٨٢] .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود أنه قال : لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا : وأينا لم يظلم نفسه ؟." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٠٦/٣٢

(٢) مجموع الفتاوى ، ١١٨/٣٢

"﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ [التوبة : ٦] ، ﴿وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾ [البقرة : ٧٥] ، ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل ﴾ [الفتح : ١٥] ، ﴿واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ﴾ [الكهف : ٢٧] ، ﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾ [النمل : ٧] . هذا كتاب أنزلناه مبارك ﴾ [الأنعام : ٥٥١] ، ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ﴾ [الحشر : ٢١] ، ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ [النحل : ١٠١-١٠] . وقوله : ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ [القيامة : ٢٢، ٢٣] ، ﴿على الأرائك ينظرون ﴾ [المطففين : ٣٥] ، ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ [يونس : ٢٦] ، ﴿لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد ﴾ [ق : ٣٥] .

وهذا الباب في كتاب الله تعالى كثير، من تدبر القرآن طالبا للهدى منه تبين له طريق الحق .." [١]

"ص -١٧٨- بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر أينما كان، وغير المسافر، وهو سبحانه فوق العرش، رقيب على خلقه، مهيمن عليهم، مطلع إليهم، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته . وكل هذا الكلام الذي ذكره الله تعالى من أنه فوق العرش، وأنه معنا حق على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان على الظنون الكاذبة .

السؤال الثاني : قال بعضهم : نقر باللفظ الوارد، مثل حديث العباس، حديث الأوعال، والله فوق العرش،ولا نقول : فوق السموات،ولا نقول : على العرش . وقالوا أيضا : نقول : ﴿الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] ولا نقول : الله على العرش استوى، ولا نقول : مستو، وأعادوا هذا المعنى مرارا، أي أن اللفظ الذي ورد، يقال اللفظ بعينه، ولا يبدل بلفظ يرادفه، ولا يفهم له معنى أصلا . ولا يقال : إنه يدل على صفة الله أصلا، ونبسط الكلام في هذا في المجلس الثاني، كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

السؤال الثالث : قالوا : التشبيه بالقمر فيه تشبيه كون الله في السماء، بكون القمر في السماء .

السؤال الرابع : قالوا : قولك حق على حقيقته، الحقيقة هي المعنى اللغوي، ولا يفهم من الحقيقة اللغوية

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٥/٣٣

إلا استواء الأجسام وفوقيتها،ولم تضع **العرب** ذلك إلا لها، فإثبات الحقيقة هو محض التجسيم، ونفي التجسيم مع هذا تناقض أو مصانعة .." (١)

"ص –٣٠١– وفي هذا الموضع وغيره من القرآن من الأسرار، وبيان الأدلة القطعية على المطالب الدينية ما ليس هذاموضعه، وإنما الغرض التنبيه .

وكذلك ما استعمله سبحانه في تنزيهه وتقديسه عما أضافوه إليه من الولادة سواء سموها حسية أو عقلية كما تزعمه النصارى من تولد الكلمة التي جعلوها جوهر الابن منه، وكما تزعمه الفلاسفة الصابئون من تولد العقول العشرة، والنفوس الفلكية التسعة : التي هم مضطربون فيها هل هي جواهر أو أعراض ؟ وقد يجعلون العقول بمنزلة الذكور، والنفوس بمنزلة الإناث، ويجعلون ذلك آباءهم، وأمهاتهم، وآلهتهم وأربابهم القريبة، وعلمهم بالنفوس أظهر لوجود الحركة الدورية الدالة على الحركة الإرادية الدالة على النفس المحركة؛ لكن أكثرهم يجعلون النفس الفلكية عرضا لا جوهرا قائما بنفسه، وذلك شبيه بقول مشركي **العرب** وغيرهم : الذين جعلوا له بنين وبنات . قال تعالى : ﴿وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون ﴾ [الأنعام : ١٠٠] وقال تعالى : ﴿ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون ﴾ [الصافات : ١٥١، ١٥٢] وكانوا يقولون الملائكة بنات الله كما يزعم هؤلاء أن العقول، أو العقول والنفوس [هي الملائكة] وهي متولدة عن الله فقال الله تعالى : ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم ﴾ [النحل : ٥٧ : ٦٠]." (٢)

"ص –٣٠٦– الرسول . وأما من شرع دينا لم يأذن به الله فمعلوم أن أصوله المستلزمة له لا يجوز أن تكون منقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم إذ هو باطل، وملزوم الباطل باطل كما أن لازم الحق حق .

وهذا التقسيم ينبه أيضا على مراد السلف، والأئمة بذم الكلام وأهله؛ إذ ذلك يتناول لمن استدل بالأدلة الفاسدة، أو استدل على المقالات الباطلة . فأما من قال الحق الذي أذن الله فيه حكما ودليلا فهو من أهل العلم والإيمان والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

وأما مخاطبة أهل اصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه إذا احتيج إلى ذلك وكانت المعاني صحيحة

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٠/٣٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ١١/٤٠

كمخاطبة العجم : من الروم، والفرس، والترك بلغتهم وعرفهم . فإن هذا جائز حسن للحاجة .
وإنما كرهه الأئمة إذا لم يحتج إليه، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لأم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص وكانت صغيرة ولدت بأرض الحبشة، لأن أباها كان من المهاجرين إليها فقال لها " يا أم خالد هذا سنا " والسنا بلسان الحبشة الحسن . لأنها كانت من أهل هذه اللغة . وكذلك يترجم القرآن، والحديث لمن يحتاج إلى تفهيمه إياه بالترجمة، وكذلك يقرأ المسلم ما يحتاج إليه من كتب الأمم، وكلامهم بلغتهم، ويترجمها **بالعربية** . كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود ليقرأ له، ويكتب له ذلك حيث لم يأمن من اليهود عليه .." (١)

"ص -٣٤٢- وبرضا الله ورسوله، كقوله : ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه ﴾ [التوبة : ٦٢] وتحكيم الله ورسوله، كقوله : ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ﴾ [النور : ٤٨] ، وقوله : ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ﴾ [النساء : ٦١] ، وأمر عند التنازع بالرد إلى الله والرسول، فقال : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ﴾ [النساء : ٥٩] ، وجعل المغانم لله والرسول،فقال : ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول ﴾ [الأنفال : ١] ونظائر هذا متعددة .
فتعليق الأمور من المحبة والبغضة، والموالاة والمعاداة، والنصرة والخذلان، والموافقة والمخالفة، والرضا والغضب، والعطاء والمنع، بما يخالف هذه الأصول المنزلة من عند الله مما هو [أخص منها] أو [أعم منها] أو [أعم من وجه وأخص من وجه] .
فالأعم : ما عليه المتفلسفة، ومن اتبعهم من ضلال المتكلمة والمتصوفة والممالك المؤسسة على ذلك، كملك الترك وغيرهم، في تسويغ التدين بغير ما جاء به محمد رسول الله . وإن عظم محمدا وجعل دينه أفضل الأديان، وكذلك من سوغ النجاة والسعادة بعد مبعثه بغير شريعته .
والأعم من وجه الأخص من وجه : مثل الأنساب، والقبائل، والأجناس **العربية**، والفارسية، والرومية، والتركية أو الأمصار والبلاد .." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٧/٤٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣/٤٢

"ص -٤٠٤- وأما من زاد على ذلك من الجهال الذين يقولون : إن الورق، والجلد، والوتد، وقطعة من الحائط كلام الله، فهو بمنزلة من يقول : ما تكلم الله بالقرآن ولا هو كلامه . هذا الغلو من جانب الإثبات يقابل التكذيب من جانب النفي، وكلاهما خارج عن السنة والجماعة .

وكذلك إفراد الكلام في النقطة والشكلة بدعة نفيا وإثباتا، وإنما حدثت هذه البدعة من مائة سنة أو أكثر بقليل؛ فإن من قال : إن المداد الذي تنقط به الحروف ويشكل به قديم، فهو ضال جاهل، ومن قال : إن إعراب حروف القرآن ليس من القرآن، فهو ضال مبتدع .

بل الواجب أن يقال : هذا القرآن العربي هو كلام الله، وقد دخل في ذلك حروفه بإعرابها كما دخلت معانيه، ويقال : ما بين اللوحين جميعه كلام الله . فإن كان المصحف منقوطا مشكولا أطلق على ما بين اللوحين جميعه أنه كلام الله . وإن كان غير منقوط ولا مشكول كالمصاحف القديمة التي كتبها الصحابة كان أيضا ما بين اللوحين هو كلام الله . فلا يجوز أن تلقي الفتنة بين المسلمين بأمر محدث ونزاع لفظي لا حقيقة له، ولا يجوز أن يحدث في الدين ما ليس منه .." (١)

"مجموع فتاوى ابن تيمية - الجزء الرابع

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية - ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (٢)

"ص -١٨- وأبي حامد؛ ونحوهما ممن خالفوا أصوله في مواضع فلا تجدهم يعظمون إلا بما وافقوا فيه السنة والحديث وأكثر ذلك تقلدوه من مذهب الشافعي في الفقه الموافق للسنة والحديث ومما ذكروه في الأصول مما يوافق السنة والحديث وما ردوه مما يخالف السنة والحديث . وبهذا القدر ينتحلون السنة وينحلونها وإلا لم يصح ذلك . وكانت الرافضة والقرامطة - علماؤها وأمراؤها - قد استظهرت في أوائل الدولة السلجوقية حتى غلبت على الشام والعراق وأخرجت الخليفة القائم ببغداد إلى تكريت وحبسوه بها في فتنة البساسيري المشهورة فجاءت بعد ذلك السلجوقية حتى هزموهم وفتحوا الشام والعراق وقهروهم

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٥/٤٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤٦/١

بخراسان وحجروهم بمصر . وكان في وقتهم من الوزراء مثل : [نظام الملك] ومن العلماء مثل : [أبي المعالي الجويني] فصاروا بما يقيمونه من السنة ويردونه من بدعة هؤلاء ونحوهم لهم من المكانة عند الأمة بحسب ذلك . وكذلك المتأخرون من أصحاب مالك الذين وافقوه : [كأبي الوليد الباجي] والقاضي [أبي بكر بن **العربي**] ونحوهما لا يعظمون إلا بموافقة." (١)

"ص -٢٠- والتعظيم لدعائم الإسلام ولجانب الرسالة ما لا يجتمع مثله لغيره . فالمسألة التي يكون فيها حديث يكون جانبه فيها ظاهر الترجيح . وله من التمييز بين الصحيح والضعيف والمعرفة بأقوال السلف ما لا يكاد يقع مثله لغيره من الفقهاء . وتعظيم أئمة الأمة وعوامها للسنة والحديث وأهله في الأصول والفروع من الأقوال والأعمال : أكثر من أن يذكر هنا . وتجد الإسلام والإيمان كلما ظهر وقوي كانت السنة وأهلها أظهر وأقوى وإن ظهر شيء من الكفر والنفاق ظهرت البدع بحسب ذلك مثل : دولة المهدي والرشيد ونحوهما ممن كان يعظم الإسلام والإيمان ويغزو أعداءه من الكفار والمنافقين . كان أهل السنة في تلك الأيام أقوى وأكثر وأهل البدع أذل وأقل . فإن المهدي قتل من المنافقين الزنادقة من لا يحصي عدده إلا الله ، والرشيد كان كثير الغزو والحج . وذلك أنه لما انتشرت الدولة العباسية وكان في أنصارها من أهل المشرق والأعاجم طوائف من الذين نعتهم النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال : (الفتنة هاهنا) ؛ ظهر حينئذ كثير من البدع **وعربت** أيضا إذ ذاك طائفة من كتب الأعاجم - من المجوس الفرس والصابئين الروم والمشركين الهند - وكان المهدي من خيار خلفاء بني العباس وأحسنهم إيمانا وعدلا وجودا فصار يتتبع المنافقين الزنادقة كذلك . وكان خلفاء بني العباس أحسن تعاهدا للصلوات في أوقاتها من بني أمية." (٢)

"ص -٢١- فإن أولئك كانوا كثير الإضاعة لمواقيت الصلاة كما جاءت فيهم الأحاديث : (سيكون بعدي أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها فصلوا الصلاة لوقتها واجعلوا صلاتكم معهم نافلة) . لكن كانت البدع في القرون الثلاثة الفاضلة مقموعة وكانت الشريعة أعز وأظهر وكان القيام بجهاد أعداء الدين من الكافرين والمنافقين أعظم . وفي دولة [أبي العباس المأمون] ظهر [الخرمية] ونحوهم من المنافقين **وعرب** من كتب الأوائل المجلوبة من بلاد الروم ما انتشر بسببه مقالات الصابئين وراسل ملوك المشركين من الهند ونحوهم حتى صار بينه وبينهم مودة .

فلما ظهر ما ظهر من الكفر والنفاق في المسلمين وقوي ما قوي من حال المشركين وأهل الكتاب؛ كان

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٩/٤٧

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢١/٤٧

من أثر ذلك : ما ظهر من استيلاء الجهمية؛ والرافضة؛ وغيرهم من أهل الضلال وتقريب الصابئة ونحوهم من المتفلسفة . وذلك بنوع رأي يحسبه صاحبه عقلا وعدلا وإنما هو جهل وظلم إذ التسوية بين المؤمن والمنافق؛ والمسلم والكافر أعظم الظلم وطلب الهدى عند أهل الضلال أعظم الجهل فتولد من ذلك محنة الجهمية حتى امتحنت الأمة بنفي الصفات والتكذيب بكلام الله ورؤيته وجرى من محنة الإمام أحمد وغيره ما جرى مما يطول وصفه . وكان في أيام [المتوكل] قد عز الإسلام حتى ألزم أهل الذمة بالشروط." (١)

"ص -٦٦- ومقصوده أنه لا يذكر بسوء؛ لأن عفو الله عن الناسى والمخطئ وتوبة المذنب تأتي على كل ذنب، وذلك من أقرب الأشياء إلى هذا وأمثاله، ولأن مغفرة الله بالحسنات منه ومن غيره، وتكفيره الذنوب بالمصائب تأتي على محقق الذنوب، فلا يقدم الإنسان على انتفاء ذلك في حق معين إلا ببصيرة، لاسيما مع كثرة الإحسان والعلم الصحيح، والعمل الصالح والقصد الحسن، وهو يميل إلى الفلسفة، لكنه أظهرها في قالب التصوف والعبارات الإسلامية .

ولهذا، فقد رد عليه علماء المسلمين،حتى أخص أصحابه أبو بكر بن **العربي**، فإنه قال : شيخنا أبو حامد دخل في بطن الفلاسفة، ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر .

وقد حكى عنه من القول بمذاهب الباطنية ما يوجد تصديق ذلك في كتبه . ورد عليه أبو عبد الله المازري في كتاب أفرده، ورد عليه أبو بكر الطرطوشي، ورد عليه أبو الحسن المرغيناني رفيقه، رد عليه كلامه في مشكاة الأنوار ونحوه، ورد عليه الشيخ أبو البيان، والشيخ أبو عمرو بن الصلاح، وحذر من كلامه في ذلك هو وأبو زكريا النواوي وغيرهما،ورد عليه ابن عقيل، وابن الجوزي،وأبو محمد المقدسي وغيرهم .

وهذا باب واسع، فإن الخارجين عن طريقة السابقين الأولين من." (٢)

"ص -٩٩- بذلك، وينالون السعادة بحسب إمكانهم واستعدادهم؛ إذ هذا الذي فعلته الرسل هو غاية الإمكان في كشف الحقائق لعموم النوع البشرى، ومقصود الرسل حفظ النوع البشري، وإقامة مصلحة معاشه ومعاده .

فمعلوم أن هذا قول حذاق الفلاسفة، مثل : الفارابي، وابن سينا وغيرهما، وهو قول كل حاذق وفاضل من

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٢/٤٧

(٢) مجموع الفتاوى ، ٦٧/٤٧

المتكلمين في القدر الذي يخالف فيه أهل الحديث .

فالفارابي يقول : إن خاصة النبوة جودة تخييل الأمور المعقولة في الصور المحسوسة أو نحو هذه العبارة .

وابن سينا يذكر هذا المعنى في مواضع، ويقول : ما كان يمكن موسى بن عمران مع أولئك العبرانيين، ولا يمكن محمد مع أولئك العرب الجفاة، أن يبينا لهم الحقائق على ما هي عليه، فإنهم كانوا يعجزون عن فهم ذلك، وإن فهموه على ما هو عليه انحلت عزماتهم عن اتباعه؛ لأنهم لايرون فيه من العلم ما يقتضي العمل .

وهذا المعنى يوجد في كلام أبي حامد الغزالي وأمثاله، ومن بعده طائفة منه في الإحياء وغير الإحياء، وكذلك في كلام الرازي .

وأما الاتحادية ونحوهم من المتكلمين، فعليه مدارهم، ومبنى كلام الباطنية والقرامطة عليه، لكن هؤلاء ينكرون ظواهر الأمور العملية." (١)

"ص -١٠٧- ولا ريب أن الألفاظ في المخاطبات تكون بحسب الحاجات، كالسلاح في المحاربات . فإذا كان عدو المسلمين في تحصنهم وتسلحهم على صفة غير الصفة التي كانت عليها فارس والروم، كان جهادهم بحسب ما توجبه الشريعة التي مبناها على تحري ما هو لله أطوع وللعبد أنفع، وهو الأصلح في الدنيا والآخرة .

وقد يكون الخبير بحروبهم أقدر على حربهم ممن ليس كذلك، لا لفضل قوته وشجاعته، ولكن لمجانسته لهم، كما يكون الأعجمي المتشبه بالعرب وهم خيار العجم أعلم بمخاطبة قومه الأعاجم من العربي، وكما يكون العربي المتشبه بالعجم وهم أدنى العرب أعلم بمخاطبة العرب من العجمي .

فقد جاء في الحديث : (خيار عجمكم المتشبهون بعربكم، وشرار عربكم المتشبهون بعجمكم) .

ولهذا لما حاصر النبي صلى الله عليه وسلم [الطائف] رماهم بالمنجنيق، وقاتلهم قتالا لم يقاتل غيرهم مثله في المزاحفة كيوم بدر وغيره، وكذلك لما حوصر المسلمون عام [الخندق] اتخذوا من الخندق ما لم يحتاجوا إليه في غير الحصار . وقيل : إن سلمان أشار عليهم بذلك، فسلموا ذلك له ؛ لأنه طريق إلى فعل ما أمر الله به ورسوله .

وقد قررنا في قاعدة [السنة والبدعة] : أن البدعة في الدين هي ما لم يشرعه." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٠١/٤٧

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٠٩/٤٧

"ص –١٠٨– الله ورسوله، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب، فأما ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب، وعلم الأمر به بالأدلة الشرعية فهو من الدين الذي شرعه الله، وإن تنازع أولو الأمر في بعض ذلك . وسواء كان هذا مفعولا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أو لم يكن، فما فعل بعده بأمره من قتال المرتدين، والخوارج المارقين، وفارس والروم والترك، وإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب وغير ذلك هو من سنته .

ولهذا كان عمر بن عبد العزيز يقول : سن رسول الله صلى الله عليه وسلم سننا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله . ليس لأحد تغييرها ولا النظر في رأي من خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا .

فسنة خلفائه الراشدين هي : مما أمر الله به ورسوله، وعليه أدلة شرعية مفصلة ليس هذا موضعها .

فكما أن الله بين في كتابه مخاطبة أهل الكتاب، وإقامة الحجة عليهم بما بينه من أعلام رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وبما في كتبهم من ذلك، وما حرفوه وبدلوه من دينهم، وصدق بما جاءت به الرسل قبله، حتى إذا سمع ذلك الكتابي العالم المنصف وجد ذلك كله من أبين الحجة وأقوم البرهان .." (١)

"ص –١٠٩– والمناظرة والمحاجة لا تنفع إلا مع العدل والإنصاف، وإلا فالظالم يجحد الحق الذي يعلمه، وهو المسفسط والمقرمط، أو يمتنع عن الاستماع والنظر في طريق العلم، وهو المعرض عن النظر والاستدلال . فكما أن الإحساس الظاهر لا يحصل للمعرض ولا يقوم للجاحد، فكذلك الشهود الباطن لا يحصل للمعرض عن النظر والبحث، بل طالب العلم يجتهد في طلبه من طرقه؛ ولهذا سمى مجتهدا، كما يسمى المجتهد في العبادة وغيرها مجتهدا، كما قال بعض السلف : ما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيهم، وقال أبي ابن كعب وابن مسعود : اقتصاد في سنة، خير من اجتهاد في بدعة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر) ، وقال معاذ بن جبل، ويروى مرفوعا، وهو محفوظ عن معاذ : عليكم بالعلم، فإن تعليمه حسنة، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة . فجعل الباحث عن العلم مجاهدا في سبيل الله .

ولما كانت المحاجة لا تنفع إلا مع العدل، قال تعالى : ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٧/١١٠

﴾ [العنكبوت : ٤٦] ، فالظالم ليس علينا أن نجادله بالتي هي أحسن .

وإذا حصل من مسلمة أهل الكتاب، الذين علموا ما عندهم بلغتهم، وترجموا لنا بالعربية، انتفع بذلك في مناظرتهم ومخاطبتهم، كما كان عبد الله بن سلام،." (١)

"ص -١١٠- وسلمان الفارسي، وكعب الأحبار، وغيرهم، يحدثون بما عندهم من العلم، وحينئذ يستشهد بما عندهم على موافقة ما جاء به الرسول، ويكون حجة عليهم من وجه، وعلى غيرهم من وجه آخر، كما بيناه في موضعه .

والألفاظ العبرية تقارب العربية بعض المقاربة، كما تتقارب الأسماء في الاشتقاق الأكبر . وقد سمعت ألفاظ التوراة بالعبرية من مسلمة أهل الكتاب، فوجدت اللغتين متقاربتين غاية التقارب، حتى صرت أفهم كثيرا من كلامهم العبري بمجرد المعرفة بالعربية .

والمعاني الصحيحة، إما مقاربة لمعاني القرآن، أو مثلها، أو بعينها، وإن كان في القرآن من الألفاظ والمعاني خصائص عظيمة .

فإذا أراد المجادل منهم أن يذكر ما يطعن في القرآن بنقل أوعقل، مثل أن ينقل عما في كتبهم عن الأنبياء ما يخالف ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، أو خلاف ما ذكره الله في كتبهم، كزعمهم للنبي صلى الله عليه وسلم أن الله أمرهم بتحميم [أي : جعل وجهه أسود . يقال : حممت وجهه تحميما : إذا سودته بالفحم] الزاني دون رجمه، أمكن للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أن يطلبوا التوراة ومن يقرؤها بالعربية ويترجمها من ثقات التراجمة، كعبد الله ابن سلام ونحوه، لما قال لحبرهم : ارفع يدك عن آية الرجم، فإذا هي تلوح، ورجم النبي صلى الله عليه وسلم الزانيين منهما، بعد أن قام عليهم الحجة من كتابهم، وذلك أنه موافق لما أنزل الله عليه من الرجم، وقال : (اللهم إني." (٢)

"ص -١١١- أول من أحيا أمرك إذ أماتوه) ، ولهذا قال ابن عباس في قوله : ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا ﴾ [المائدة : ٤٤] ، قال : محمد صلى الله عليه وسلم، من النبيين الذين أسلموا، وهو لم يحكم إلا بما أنزل الله عليه، كما قال : ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ﴾ [المائدة : ٤٩] .

وكذلك يمكن أن يقرأ من نسخة مترجمة بالعربية، قد ترجمها الثقات بالخط واللفظ العربيين يعلم بهما ما

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١١١/٤٧

(٢) مجموع الفتاوى ، ١١٢/٤٧

عندهم بواسطة المترجمين الثقات من المسلمين، أو ممن يعلم خطهم منا، كزيد بن ثابت، ونحوه، لما أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتعلم ذلك، والحديث معروف في السنن، وقد احتج به البخاري في [باب ترجمة الحاكم، وهل يجوز ترجمان ؟ [، قال : وقال خارجة بن زيد بن ثابت عن زيد بن ثابت : أن النبي أمره أن يتعلم كتاب اليهود، حتى كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم كتبه، وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه .

والمكاتبة بخطهم والمخاطبة بلغتهم من جنس واحد، وإن كانا قد يجتمعان وقد ينفرد أحدهما عن الآخر، مثل كتابة اللفظ **العربي** بالخط العبري وغيره من خطوط الأعاجم، وكتابة اللفظ العجمي بالخط **العربي**، وقيل : يكتفي بذلك؛ ولهذا قال سبحانه : ﴿كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ [آل عمران : ٩٣]

فأمرنا أن نطلب منهم إحضار التوراة وتلاوتها، إن كانوا صادقين في نقل." (١)

"ص -١١٣- قال البراء بن عازب كما في الصحيحين : هم اليهود ؛ فقال سبحانه : ﴿قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ [البقرة : ١٤٢] .

فذكر ما في النسخ من تعليق الأمر بالمشيئة الإلهية، ومن كون الأمر الثاني قد يكون أصلح وأنفع، فقوله : ﴿يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ بيان للأصلح الأنفع، وقوله : ﴿من يشاء ﴾ رد للأمر إلى المشيئة .

وعلى بعض ما في الآية اعتماد جميع المتكلمين حيث قالوا : التكليف إما تابع لمحض المشيئة، كما يقوله قوم، أو تابع للمصلحة، كما يقوله قوم، وعلى التقديرين فهو جائز .

ثم إنه سبحانه بين وقوع النسخ بتحريم الحلال في التوراة، بأنه أحل لإسرائيل أشياء ثم حرمها في التوراة، وأن هذا كان تحليلا شرعيا بخطاب، لم يكونوا استباحوه بمجرد البقاء على الأصل، حتى لا يكون رفعه نسخا، كما يدعيه قوم منهم، وأمر بطلب التوراة في ذلك . وهكذا وجدناه فيها، كما حدثنا بذلك مسلمة أهل الكتاب في غير موضع .

وهكذا مناظرة الصابئة الفلاسفة، والمشركين، ونحوهم، فإن الصابئ الفيلسوف إذا ذكر ما عند قدماء الصابئة الفلاسفة من الكلام الذي **عرب** وترجم **بالعربية** وذكره إما صرفا، وإما على الوجه الذي تصرف فيه متأخروهم بزيادة أو نقصان، وبسط واختصار، ورد بعضه وإتيان بمعان." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١١٣/٤٧

(٢) مجموع الفتاوى ، ١١٥/٤٧

"ص -١١٦- والثاني : ترجمة المعنى وبيانه، بأن يصور المعنى للمخاطب، فتصوير المعنى له وتفهيمه إياه قدر زائد على ترجمة اللفظ، كما يشرح للعربي كتابا عربيا قد سمع ألفاظه العربية، لكنه لم يتصور معانيه ولا فهمها، وتصوير المعني يكون بذكر عينه أو نظيره؛ إذ هو تركيب صفات من مفردات يفهمها المخاطب يكون ذلك المركب صور ذلك المعنى، إما تحديدا وإما تقريبا .

الدرجة الثالثة : بيان صحة ذلك وتحقيقه، بذكر الدليل والقياس الذي يحقق ذلك المعنى، إما بدليل مجرد وإما بدليل يبين علة وجوده .

وهنا قد يحتاج إلى ضرب أمثلة ومقاييس تفيده التصديق بذلك المعنى، كما يحتاج في [الدرجة الثانية] إلى أمثلة تصور له ذلك المعنى . وقد يكون نفس تصوره مفيدا للعلم بصدقه، وإذا كفى تصور معناه في التصديق به لم يحتج إلى قياس، ومثل، ودليل آخر .

فإذا عرف القرآن هذه المعرفة، فالكلام الذي يوافقه أو يخالفه من كلام أهل الكتاب والصابئين والمشركين لابد فيه من الترجمة للفظ والمعنى أيضا، وحينئذ فالقرآن فيه تفصيل كل شيء كما قال تعالى : ﴿ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء ﴾ [يوسف : ١١١] ، وقال : ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ﴾ [النحل : ٨٩] .

ومعلوم أن الأمة مأمورة بتبليغ القرآن ؛ لفظه ومعناه، كما أمر بذلك." (١)

"ص -١١٨- قيل : قولكم : [عقل، ونفس] لغة لكم، فلابد من ترجمتها، وإن كان اللفظ عربيا فلابد من ترجمة المعنى .

فيقولون : [العقل] هو الروح المجردة عن المادة وهي الجسد وعلائقها سموه عقلا ويسمونه مفارقا، ويسمون تلك المفارقات للمواد؛ لأنها مفارقة للأجساد، كما أن روح الإنسان إذا فارقت جسده كانت مفارقة للمادة التي هي الجسد و[النفس] : هي الروح المدبرة للجسم، مثل نفس الإنسان إذا كانت في جسمه، فمتى كانت في الجسم كانت محركة له، فإذا فارقته صارت عقلا محضا، أي : يعقل العلوم من غير تحريك بشيء من الأجسام، فهذه العقول والنفوس .

وهذا الذي ذكرناه من أحسن الترجمة عن معنى العقل والنفس، وأكثرهم لا يحصلون ذلك .

قالوا : وأثبتنا لكل فلك نفسا؛ لأن الحركة اختيارية، فلا تكون إلا لنفس، ولكل نفس عقلا؛ لأن العقل كامل لا يحتاج إلى حركة، والمتحرك يطلب الكمال فلابد أن يكون فوقه ما يشبه به. وما يكون علة له،

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١١٨/٤٧

ولهذا كانت حركة أنفسنا للتشبه بما فوقنا من العقول، وكل ذلك تشبه بواجب الوجود بحسب الإمكان .
والأول لا يصدر عنه إلا عقل ؛ لأن النفس تقتضي جسما، والجسم فيه." (١)

"ص -١٣٢- وبهذا وصف بعض السلف الصابئة بأنهم يعبدون الملائكة، وكذلك في الكتب المعربة عن قدمائهم، أنهم كانوا يسمونها الآلهة والأرباب الصغرى، كما كانوا يعبدون الكواكب أيضا .

والقرآن ينفي أن تكون أربابا، أو أن تكون آلهة، ويكون لها غير ما للرسول الذي لا يفعل إلا بعد أمر مرسله، و لا يشفع إلا بعد أن يؤذن له في الشفاعة، وقد رد الله ذلك على من زعمه من العرب والروم وغيرهم من الأمم، فقال تعالى : ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ ؟ [آل عمران : ٨٠] وقال تعالى : ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ [الأنبياء : ٦٢، ٧٢] ، وقال تعالى : ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ﴾ [سبأ : ٢٢، ٣٢] .

وقد تقدم بعض الأحاديث في صعق الملائكة إذا قضى الله بالأمر الكوني أو بالوحي الديني .

وقال تعالى : ﴿وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾ [النجم : ٦٢] ، وقال تعالى : ﴿بل عباد مكرمون ﴾ الآية [الأنبياء : ٢٦] ،." (٢)

"ص -١٣٥- [بهامش الأصل هنا متروك محل خمسة أسطر . قال في المسودة : يتلوه الوريقة، ولم نجدها]

فإن هؤلاء جعلوا لله شركاء الجن وخلقهم، وخرقوا له بنين وبنات بغير علم، و [الجن] قد قيل : إنه يعم الملائكة، كما قيل في قوله : ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ﴾ [الصافات : ١٥٨] ، وإن كان قد قيل في سبب ذلك : زعم بعض مشركي العرب أن الله صاهر إلى الجن فولدت الملائكة، فقد كانوا يعبدون الملائكة أيضا، كما عبدتها الصابئة الفلاسفة، كما قال تعالى : ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون ﴾ [الزخرف : ١٩] ، وقال تعالى : ﴿ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون

(١) مجموع الفتاوى ، ١٢٠/٤٧

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٣٧/٤٧

الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ [سبأ : ٤١،٤٠] ، يعني : أن الملائكة لم تأمرهم بذلك؛ وإنما أمرتهم بذلك الجن؛ ليكونوا عابدين للشياطين التي تتمثل لهم، كما يكون للأصنام شياطين .

وكما تنزل الشياطين على بعض من يعبد الكواكب ويرصدها، حتى تنزل عليه صورة فتخاطبه، وهو شيطان من الشياطين .

ولهذا قال تعالى : ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون ﴾ [يس : ٦٠-٦٢] ،." (١)

"ص -١٦٤- كانوا يقولون هذا في الرسول نفسه فكيف قولهم في أتباعه من سلف الأمة من الصحابة والتابعين .

ومن كان هذا أصل قوله في الرسول والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، كان مخالفا لهم لا موافقا، لا سيما إذا أظهر النفي الذي كان الرسول وخواص أصحابه عنده يبطنونه ولا يظهرونه، فإنه يكون مخالفا لهم أيضا .

وهذا المسلك يراه عامة النفاة، كابن رشد الحفيد وغيره . وفي كلام أبي حامد الغزالي من هذا قطعة كبيرة . وابن عقيل وأمثاله قد يقولون أحيانا هذا، لكن ابن عقيل الغالب عليه إذا خرج عن السنة أن يميل إلى التجهم والاعتزال في أول أمره، بخلاف آخر ما كان عليه، فقد خرج إلى السنة المحضة .

وأبو حامد يميل إلى الفلسفة، لكنه أظهرها في قالب التصوف والعبارات الإسلامية؛ ولهذا رد عليه علماء المسلمين، حتى أخص أصحابه أبى بكر بن **العربي**، فإنه قال : شيخنا أبو حامد دخل في بطن الفلاسفة، ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر . وقد حكي عنه من القول بمذاهب الباطنية ما يوجد تصديق ذلك في كتبه، ورد عليه العلماء المذكورون قبل .." (٢)

"ص -٢٠٣- فما هم عليه من الهدى ودين الحق، أعظم مما عند اليهود والنصارى، وذلك إنما تلقوه من نبيهم .

وهذا القدر يعترف به كل عاقل من اليهود والنصارى يعترفون بأن دين المسلمين حق، وأن محمدا رسول

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٤٠/٤٧

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٧٠/٤٧

الله صلى الله عليه وسلم، وأن من أطاعه منهم دخل الجنة، بل يعترفون بأن دين الإسلام خير من دينهم، كما أطبقت على ذلك الفلاسفة، كما قال ابن سينا وغيره : أجمع فلاسفة العالم على أنه لا يقرع العالم ناموس أعظم من هذا الناموس، لكن من لم يتبعه يعلل نفسه بأنه لا يجب عليه اتباعه؛ لأنه رسول إلى **العرب** الأميين دون أهل الكتاب؛ لأنه إن كان دينه حقا فديننا أيضا حق، والطريق إلى الله تعالى متنوعة، ويشبهون ذلك بمذاهب الأئمة، فإنه وإن كان أحد المذاهب يرجح على الآخر، فأهل المذاهب الأخرى ليسوا كفارا ولا من أهل الكتاب .

هذه الشبهة التي يضل بها المتكايسون[المتظرفون، يقال : تكيس الرجل : إذا تظرف] من أهل الكتاب، والمتفلسفة ونحوهم، وبطلانها ظاهر، فإنه كما علم علما ضروريا متواترا أنه دعا المشركين إلى الإيمان، فقد علم بمثل ذلك أنه دعا أهل الكتاب إلى الإيمان به، وأنه جاهد أهل الكتاب كما جاهد المشركين، فجاهد بني قينقاع، وبني النضير، وقريظة، وأهل خيبر، وهؤلاء كلهم يهود، وسبى ذريتهم ونساءهم وغنم أموالهم، وأنه غزا النصارى عام تبوك بنفسه وبسراياه، حتى قتل في محاربتهم زيد بن محمد." (١)

"ص -٣٠٠- قال شيخ الإسلام قدس الله روحه :

سأل سائل : بماذا يخاطب الناس يوم البعث ؟ وهل يخاطبهم الله تعالى بلسان **العرب** ؟ وهل صح أن لسان أهل النار الفارسية ، وأن لسان أهل الجنة **العربية** ؟

فأجبته بعد [الحمد لله رب العالمين] .

لا يعلم بأي لغة يتكلم الناس يومئذ ، ولا بأي لغة يسمعون خطاب الرب جل وعلا؛ لأن الله تعالى لم يخبرنا بشيء من ذلك ، ولا رسوله عليه الصلاة والسلام ولم يصح أن الفارسية لغة الجهنميين ولا أن **العربية** لغة أهل النعيم الأبدي ، ولا نعلم نزاعا في ذلك بين الصحابة رضي الله عنهم بل كلهم يكفون عن ذلك؛ لأن الكلام في مثل هذا من فضول القول ، ولا قال الله تعالى لأصحاب الثرى ، ولكن حدث في ذلك خلاف بين المتأخرين .

فقال ناس : يتخاطبون **بالعربية** .

وقال آخرون : إلا أهل النار ، فإنهم يجيبون بالفارسية ، وهي لغتهم في النار .." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٨/٤٩

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢/٦٠

"ص –٣٠١– وقال آخرون : يتخاطبون بالسريانية؛ لأنها لغة آدم ، وعنها تفرعت اللغات .

وقال آخرون : إلا أهل الجنة ، فإنهم يتكلمون **بالعربية** .

وكل هذه الأقوال لا حجة لأربابها ، لا من طريق عقل ولا نقل ، بل هي دعاوي عارية عن الأدلة ، والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم .." (١)

"ص –٣١٣– وسئل رحمه الله عن رجل قيل له : إنه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم : (أن أهل الجنة يأكلون ويشربون، ويتمتعون، ولا يبولون ولا يتغوطون) . فقال : من أكل وشرب بال وتغوط . ثم قيل له : إن في الجنة طيورا، إذا اشتهى صار قدامه على أي صورة أراد من الأطعمة وغيرها، فقال : هذا فشار [الفشار : الذي تستعمله العامة، ليس من كلام **العرب**] . هل بجحده هذا يكفر ويجب قتله أم لا ؟

فأجاب :

الأكل والشرب في الجنة ثابت بكتاب الله، وسنة رسوله، وإجماع المسلمين . وهو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وكذلك الطيور والقصور في الجنة بلا ريب، كما وصف ذلك في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك أن أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يبصقون، لم يخالف من المؤمنين بالله ورسوله أحد، وإنما المخالف في ذلك أحد رجلين : إما كافر، وإما منافق .

أما الكافر، فإن اليهود والنصارى ينكرون الأكل والشرب والنكاح في." (٢)

"ص –٣٦٢– سجدوا لآدم ملائكة في الأرض فقط، لا ملائكة السموات . ومنهم من يقول : ملائكة السموات دون الكروبيين، وانتحى ذلك بعض المتأخرين، واستنكر سجود الأعلين من الملائكة لآدم مع عدم التفاتهم إلى ما سوى الله، ورووا في ذلك : (إن من خلق الله خلقا لا يدرون : أخلق آدم أم لا ؟)

.

ونزع بقوله : ﴿أستكبرت أم كنت من العالين﴾ [ص : ٧٥] والعالون هم ملائكة السماء، وملائكة السماء لم يؤمروا بالسجود لآدم، فاعلم أن هذه المقالة أولا ليس معها ما يوجب قبولها، لا مسموع ولا معقول، إلا خواطر وسوانح [جمع السانح، وهو ما يعرض على الإنسان، وأصله : من سنح لي الشيء إذا عرض، فإذا كان هذا الشيء طائرا وخلافه – يعرض من جهة اليمين سمى السانح وكان **العرب** يتيمنون به، وعكسه البارح]، ووساوس مادتها من عرش إبليس، يستفزهم بصوته ليرد عنهم النعمة التي حرص على ردها عن

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣/٦٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٥/٦٠

أبيهم قديما، أو مقالة قد قالها من يقول الحق والباطل، لكن معنا ما يوجب ردها من وجوه :

أحدها : أنه خلاف ما عليه العامة من أهل العلم بالكتاب والسنة، وإذا كان لابد من التقليد فتقليدهم أولى .

وثانيها : أنه خلاف ظاهر الكتاب العزيز، وخلاف نصه، فإن الاسم المجموع المعرف بالألف واللام يوجب استيعاب الجنس، قال تعالى : ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ [البقرة : ٣٤] ، فسجود الملائكة يقتضي جميع الملائكة، هذا مقتضى اللسان الذي نزل به القرآن، فالعدول عن موجب القول العام إلى الخصوص لابد له من دليل يصلح له، وهو معدوم .." (١)

"ص -٣٩١- منه بالنصب، وصلة الضمير الذكر . وهذا من أوضح الكلام لمن له فقه **بالعربية** ونعوذ بالله من التنطع .

وثانيهما : أنه محمول على ملأ خير منه ليس فيهم نبي، فإن الحديث عام عموما مقصودا شاملا، كيف لا، والأنبياء والأولياء هم أهل الذكر، ومجالسهم مجالس الرحمة ؟ فكيف يجيء استثناؤهم ؟

لكن هنا أوجه متوجهة :

أحدها : أن الملأ الأعلى الذين يذكر الله من ذكره فيهم هم صفوة الملائكة وأفضلهم، والذاكر فيهم للعبد هو الله . يقال : ينبغي أن يفرض على موازنة أفضل بني آدم يجتمعون في مجلس نبيه صلى الله عليه وسلم، وإن كان أفضل البشر، لكن الذين حوله ليس أفضل من بقى من البشر الفضلاء، فإن الرسل والأنبياء، أفضل منهم .

وثانيها : أن مجلس أهل الأرض إن كان فيه جماعة من الأنبياء يذكر العبد فيهم ربه، فالله تعالى يذكر العبد في جماعات من الملائكة أكثر من أولئك، فيقع الخير للكثرة التي لا يقوم لها شيء، فإن الجماعة كلما كثروا كانوا خيرا من القليل .

وثالثها : أنه لعله في الملأ الأعلى جماعة من الأنبياء يذكر الله العبد فيهم؛ فإن أرواحهم هناك .." (٢)

"ص -٤١٧- المنزلة، فلم يكن هذا من خصائصه، ولو كان هذا الاستخلاف أفضل من غيره لم يخف على علي ولحقه يبكي .

ومما بين ذلك : أنه بعد هذا أمر عليه أبا بكر سنة تسع، وكونه بعثه لنبذ العهود ليس من خصائصه؛ لأن

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٤/٦٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤٣/٦٤

العادة لما جرت أنه لا ينبذ العهود ولا يعقدها إلا رجل من أهل بيته، فأي شخص من عترته نبذها حصل المقصود، ولكنه أفضل بني هاشم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أحق الناس بالتقدم من سائرهم، فلما أمر أبا بكر بعد قوله : (أما ترضى . . . إلخ) ، علمنا أنه لا دلالة فيه على أنه بمنزلة هارون من كل وجه، وإنما شبهه به في الاستخلاف خاصة، وذلك ليس من خصائصه .

وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر بإبراهيم وعيسى، وشبه عمر بنوح وموسى ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لما أشارا في الأسرى، وهذا أعظم من تشبيه على بهارون، ولم يوجب ذلك أن يكونا بمنزلة أولئك الرسل، وتشبيه الشيء بالشيء ـ لمشابهته في بعض الوجوه ـ كثير في الكتاب والسنة وكلام العرب .

وأما قوله : (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه . . . إلخ) فهذا ليس في شيء من الأمهات؛ إلا في الترمذي، وليس فيه إلا : (من كنت مولاه فعلى مولاه) ، وأما الزيادة فليست في الحديث . وسئل عنها الإمام أحمد فقال : زيادة كوفية، ولا ريب أنها كذب لوجوه :." (١)

"مجموع فتاوى ابن تيمية - الجزء الخامس

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية - ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (٢)

"ص -١٥- يقول يا رب يا رب) . إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله مما هو من أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية التي تورث علما يقينا من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول صلى الله عليه وسلم المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين - أن الله سبحانه على العرش وأنه فوق السماء كما فطر الله على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم في الجاهلية والإسلام؛ إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته . ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مائين أو ألوفا . ثم ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من سلف الأمة - لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف - حرف واحد يخالف ذلك لا نصا ولا ظاهرا . ولم يقل أحد منهم قط إن الله

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٥/٦٦

(٢) مجموع الفتاوى ، ١/٧٠

ليس في السماء ولا إنه ليس على العرش ولا إنه بذاته في كل مكان ولا إن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء ولا إنه لا داخل العالم ولا خارجه و لا إنه لا متصل ولا منفصل ولا إنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها؛ بل قد ثبت في الصحيح عن جابر بن عبد الله أن (النبي صلى الله عليه وسلم لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مجمع حضره الرسول صلى الله عليه وسلم جعل يقول : ألا هل بلغت ؟ فيقولون : نعم . فيرفع إصبعه إلى السماء ثم ينكبها إليهم ويقول : اللهم اشهد غير مرة) وأمثال ذلك كثيرة . فلئن كان الحق ما يقوله هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في." (١)

"ص -١٩- لما في الصدور ولا نورا ولا مردا عند التنازع لأنا نعلم بالاضطرار أن ما يقوله هؤلاء المتكلفون : إنه الحق الذي يجب اعتقاده : لم يدل عليه الكتاب والسنة لا نصا ولا ظاهرا . وإنما غاية المتحذلق أن يستنتج هذا من قوله : ﴿ ولم يكن له كفوا أحد﴾ [الإخلاص : ٤] ﴿ هل تعلم له سميا﴾ [مريم : من الآية٦٥] . وبالاضطرار يعلم كل عاقل أن من دل الخلق على أن الله ليس على العرش ولا فوق السموات ونحو ذلك بقوله : ﴿ هل تعلم له سميا﴾ [مريم : من الآية٦٥] لقد أبعد النجعة وهو إما ملغز وإما مدلس لم يخاطبهم بلسان عربي مبين . ولازم هذه المقالة : أن يكون ترك الناس بلا رسالة : خيرا لهم في أصل دينهم . لأن مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد؛ وإنما الرسالة زادتهم عمى وضلالة . يا سبحان الله كيف لم يقل الرسول يوما من الدهر ولا أحد من سلف الأمة : هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه . ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم أو اعتقدوا كذا وكذا . فإنه الحق وما خالف ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره أو انظروا فيها فما وافق قياس عقولكم فاقبلوه وما لا فتوقفوا فيه أو انفوه ؟ . ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن أمته ستفترق على ثلاث." (٢)

"ص -٢٢- ومذهب النفاة من هؤلاء في الرب : أنه ليس له إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منهما وهم الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم؛ فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة الفلاسفة . وكذلك أبو نصر الفارابي دخل حران وأخذ عن فلاسفة الصابئين تمام فلسفته وأخذها الجهم أيضا - فيما ذكره الإمام أحمد وغيره - لما ناظر [السمنية] بعض فلاسفة الهند - وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات - فهذه أسانيد جهم ترجع إلى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة الضالون هم إما من الصابئين وإما من المشركين . ثم لما عربت الكتب الرومية واليونانية في حدود المائة الثانية :

(١) مجموع الفتاوى ، ١٣/٧١

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٧/٧١

زاد البلاء؛ مع ما ألقى الشيطان في قلوب الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم . ولما كان في حدود المائة الثالثة : انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية؛ بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته وكلام الأئمة مثل مالك وسفيان بن عيينة وابن المبارك وأبي يوسف والشافعي وأحمد وإسحاق والفضيل بن عياض وبشر الحافي وغيرهم : كثير في ذمهم وتضليلهم .." (١)

"ص – نصوص المعاد – نظير ما ادعوه في نصوص الصفات . فقالوا لهم : نحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بمعاد الأبدان وقد علمنا فساد الشبه المانعة منه . وأهل السنة يقولون لهم : ونحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بإثبات الصفات . ونصوص الصفات في الكتب الإلهية : أكثر وأعظم من نصوص المعاد . ويقولون لهم : معلوم أن مشركي العرب وغيرهم كانوا ينكرون المعاد وقد أنكروه على الرسول وناظروه عليه؛ بخلاف الصفات فإنه لم ينكر شيئا منها أحد من العرب . فعلم أن إقرار العقول بالصفات : أعظم من إقرارها بالمعاد وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات فكيف يجوز مع هذا أن يكون ما أخبر به من الصفات ليس كما أخبر به وما أخبر به من المعاد هو على ما أخبر به." (٢)

"ص –٣٧– التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم، وأما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله ـ تعالى .

وقد روى عن ابن عباس ـ ما ذكره عبد الرزاق وغيره في تفسيرهم عنه ـ أنه قال : تفسير القرآن على أربعة أوجه : تفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله ـ عز وجل ـ فمن ادعى علمه فهو كاذب .

وهذا كما قال تعالى : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ [السجدة : ١٧] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر] .

وكذلك علم وقت الساعة ونحو ذلك، فهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله ـ تعالى .

وإن كنا نفهم معاني ما خوطبنا به، ونفهم من الكلام ما قصد إفهامنا إياه، كما قال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ [محمد : ٢٤] ، وقال : ﴿ أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين﴾ [المؤمنون : ٦٨] فأمر بتدبر القرآن كله لا بتدبر بعضه .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٠/٧١

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣٢/٧١

وقال أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن ـ عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما ـ أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا .." (١)

"ص -٤٤- عرف أنه إذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين، وكان له جاحدا .

وقال المسلمون : يارسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟] قالوا : لا . قال : (فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟] قالوا : لا . قال : (فإنكم ترون ربكم يومئذ كذلك) .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تمتلئ النار حتى يضع الجبار فيها قدمه، فتقول : قط قط، وينزوي بعضها إلى بعض) ، وقال لثابت بن قيس : (لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة) ، وقال فيما بلغنا : (إن الله ـ تعالى ـ ليضحك من أزلكم [الأزل : الشدة والضيق] ـ وقنوطكم وسرعة إجابتكم) . فقال له رجل من العرب : إن ربنا ليضحك ؟ قال : (نعم) . قال : لا نعدم من رب يضحك خيرا) . إلى أشباه هذا مما لا نحصيه .
وقال تعالى : ﴿ وهو السميع البصير﴾ [الشورى : ١١] ، ﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾ [الطور : ٤٨] ، وقال تعالى : ﴿ ولتصنع على عيني﴾ [طه : ٣٩] ، وقال تعالى : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ [ص : ٧٥] ، وقال تعالى : ﴿ والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ [الزمر : ٦٧] .
فوالله ما دلهم على عظم ما وصفه من نفسه، وما تحيط به قبضته : إلا صغر نظيرها منهم عندهم، إن ذلك الذي ألقى في روعهم، وخلق على معرفة قلوبهم،." (٢)

"ص -٩٨- وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل : عملت كذا بيدي، ويريد بها النعمة، وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها، وما يجري مفهوما في كلامها، ومعقولا في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل البيان أن يقول القائل : فعلت كذا بيدي ـ ويعني بها النعمة ـ بطل أن يكون معنى قوله تعالى : بيدي : النعمة .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٦/٧١

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤٣/٧١

وذكر كلاما طويلا في تقرير هذا ونحوه .

وقال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم . وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري، ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده . قال في [كتاب الإبانة] تصنيفه : فإن قال قائل : فما الدليل على أن لله وجها ويدا ؟ قيل له : قوله : ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن : ٧٢] ، وقوله تعالى : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ [ص : ٧٥] فأثبت لنفسه وجها ويدا .

فإن قال : فلم أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة إن كنتم لا تعقلون وجها ويدا إلا جارحة ؟

قلنا : لا يجب هذا، كما لا يجب إذا لم نعقل حيا عالما قادرا إلا جسما أن نقضي نحن وأنتم بذلك على الله . سبحانه وتعالى . وكما لا يجب في كل شيء كان قائما بذاته أن يكون جوهرا؛ لأنا وإياكم لم نجد قائما بنفسه في شاهدنا إلا كذلك." (١)

"ص –١٠٦– الربوبية مثلا . وأن الاستواء على الشيء ليس إلا للعرش، وأن الله يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية، ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط، لا حقيقة ولا مجازا، علم أن القرآن على ما هو عليه من غير تحريف .

ثم من توهم أن كون الله في السماء، بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه، فهو كاذب . إن نقله عن غيره . وضال . إن اعتقده في ربه . وما سمعنا أحدا يفهم هذا من اللفظ، ولا رأينا أحدا نقله عن واحد، ولو سئل سائر المسلمين : هل تفهمون من قول الله ورسوله : (إن الله في السماء) : أن السماء تحويه، لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول : هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا .

وإذا كان الأمر هكذا، فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئا محالا لا يفهمه الناس منه، ثم يريد أن يتأوله، بل عند الناس [أن الله في السماء] ، [وهو على العرش] واحد؛ إذ السماء إنما يراد به العلو، فالمعنى : أن الله في العلو لا في السفل، وقد علم المسلمون أن كرسيه . سبحانه وتعالى . وسع السموات والأرض، وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وأن العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته، فكيف يتوهم بعد هذا أن خلقا يحصره ويحويه ؟ وقد قال سبحانه : ﴿ ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ [طه : ٧١] ، وقال : ﴿ فسيروا في الأرض﴾ [آل عمران : ١٣٧] بمعنى [على

(١) مجموع الفتاوى ، ١٠٢/٧١

] ونحو ذلك، وهو كلام عربي حقيقة لا مجازا، وهذا يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف، وإنها متواطئة في الغالب لا مشتركة .." (١)

"ص -١٢٨- عليه اللفظ في أصل اللغة بالمطابقة والالتزام؛ فليس اللفظ مستعملا في اللازم فقط بل أريد به مدلوله الملزوم، وذلك حقيقة .

وأما القرب فذكره تارة بصيغة المفرد، كقوله : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب﴾ [البقرة : ١٨٦] ، وفي الحديث : (اربعوا على أنفسكم) إلى أن قال : (إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته) .

وتارة بصيغة الجمع كقوله : ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ [ق : ١٦] ، وهذا مثل قوله : ﴿ نتلوا عليك﴾ [القصص : ٣] ، و ﴿ نحن نقص عليك﴾ [يوسف : ٣] ، و ﴿ إن علينا جمعه وقرآنه﴾ [القيامة : ١٧] ، و ﴿ ثم إن علينا بيانه﴾ [القيامة : ١٩] ، فالقراءة هنا حين يسمعه من جبريل، والبيان هنا بيانه لمن يبلغه القرآن .

ومذهب سلف الأمة وأئمتها وخلفها : أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع القرآن من جبريل، وجبريل سمعه من الله ـ عز وجل . وأما قوله : ﴿ نتلوا﴾ ، و ﴿ نقص﴾ ونحوه، فهذه الصيغة في كلام العرب للواحد العظيم، الذي له أعوان يطيعونه، فإذا فعل أعوانه فعلا بأمره قال : نحن فعلنا . كما يقول الملك : نحن فتحنا هذا البلد . وهو منا هذا الجيش ونحو ذلك .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس﴾ [الزمر : ٤٢] ، فإنه سبحانه يتوفاها برسله الذين مقدمهم ملك الموت، كما قال : ﴿ توفته رسلنا﴾ [الأنعام : ٦١] ، ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت﴾ [السجدة : ١١] ، وكذلك ذوات الملائكة تقرب من المحتضر، وقوله : ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ [ق : ١٦] .." (٢)

"ص -١٤٦- قبل وبعد، فامتنع أن يكون الاستيلاء العام هذا الاستيلاء الخاص بزمان كما كان مختصا بالعرش .

السابع : أنه لم يثبت أن لفظ استوى في اللغة بمعنى : استولى؛ إذ الذين قالوا ذلك عمدتهم البيت المشهور .

(١) مجموع الفتاوى ، ١١٠/٧١

(٢) مجموع الفتاوى ، ٩/٧٢

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق

ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه، وقالوا : إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة، وقد علم أنه لو احتج بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحتاج إلى صحته، فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده ؟ ! وقد طعن فيه أئمة اللغة، وذكر عن الخليل كما ذكره أبو المظفر في كتابه [الإفصاح] قال : سئل الخليل : هل وجدت في اللغة استوى بمعنى : استولى ؟ فقال : هذا ما لا تعرفه العرب، ولا هو جائز في لغتها . وهو إمام في اللغة على ما عرف من حاله . فحينئذ حمله على ما لا يعرف حمل باطل .

الثامن : أنه روى عن جماعة من أهل اللغة أنهم قالوا : لا يجوز استوى بمعنى : استولى، إلا في حق من كان عاجزا ثم ظهر، والله ـ سبحانه ـ لا يعجزه شيء، والعرش لا يغالبه في حال، فامتنع أن يكون بمعنى : استولى . فإذا تبين هذا فقول الشاعر :

ثم استوى بشر على العراق." (١)

"ص -١٤٧- لفظ [مجازي] لا يجوز حمل الكلام عليه إلا مع قرينة تدل على إرادته، واللفظ المشترك بطريق الأولى، ومعلوم أنه ليس في الخطاب قرينة أنه أراد بالآية الاستيلاء .

وأيضا، فأهل اللغة قالوا : لا يكون استوى بمعنى : استولى، إلا فيما كان منازعا مغالبا، فإذا غلب أحدهما صاحبه قيل : استولى، والله لم ينازعه أحد في العرش، فلو ثبت استعماله في هذا المعنى الأخص مع النزاع في إرادة المعنى الأعم، لم يجب حمله عليه بمجرد قول بعض أهل اللغة مع تنازعهم فيه، وهؤلاء ادعوا أنه بمعنى : استولى في اللغة مطلقا، والاستواء في القرآن في غير موضع، مثل قوله : ﴿ فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين﴾ [المؤمنون : ٢٨] ، ﴿ واستوت على الجودي﴾ [هود : ٤٤] ، ﴿ لتستووا على ظهوره﴾ [الزخرف : ١٣] ، وفي حديث عدي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بدابته فلما وضع رجله في الغرز قال : (بسم الله) . فلما استوى على ظهرها قال : (الحمد لله) [والغرز : ركاب كور الجمل إذا كان من جلد أو خشب . والمراد بوضع الرجل في الغرز : السفر] .

التاسع : أنه لو ثبت أنه من اللغة العربية لم يجب أن يكون من لغة العرب العرباء، ولو كان من لفظ بعض العرب العرباء، لم يجب أن يكون من لغة رسول صلى الله عليه وسلم وقوله، ولو كان من لغته لكان بالمعنى

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٢/٧٣

المعروف في الكتاب والسنة وهو الذي يراد به، ولا يجوز أن يراد معنى آخر .

العاشر : أنه لو حمل على هذا المعنى لأدى إلى محذور يجب تنزيه بعض الأئمة." (١)

"ص -١٤٨- عنه، فضلا عن الصحابة، فضلا عن الله ورسوله . فلو كان الكلام في الكتاب والسنة كلاما نفهم منه معنى، ويريدون به آخر، لكان في ذلك تدليس وتلبيس، ومعاذ الله أن يكون ذلك ! فيجب أن يكون استعمال هذا الشاعر في هذا اللفظ في هذا المعنى ليس حقيقة بالاتفاق؛ بل حقيقة في غيره، ولوكان حقيقة فيه للزم الاشتراك المجازي فيه، وإذا كان مجازا عن بعض **العرب** أو مجازا اخترعه من بعده، أفتترك اللغة التي يخاطب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته ؟ !

الحادي عشر : أن هذا اللفظ ـ الذي تكرر في الكتاب والسنة والدواعي متوفرة على فهم معناه من الخاصة والعامة عادة ودينا ـ إن جعل الطريق إلى فهمه ببيت شعر أحدث فيؤدي إلى محذور، فلو حمل على معنى هذا البيت للزم تخطئة الأئمة الذين لهم مصنفات في الرد على من تأول ذلك، ولكان يؤدي إلى الكذب على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والصحابة والأئمة، وللزم أن الله امتحن عباده بفهم هذا دون هذا، مع ما تقرر في نفوسهم وما ورد به نص الكتاب والسنة، والله ـ سبحانه ـ لا يكلف نفسا إلا وسعها، وهذا مستحيل على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والصحابة والأئمة .

الثانى عشر : أن معنى الاستواء معلوم علما ظاهرا بين الصحابة والتابعين وتابعيهم، فيكون التفسير المحدث بعده باطلا قطعا، وهذا قول يزيد بن هارون الواسطي؛ فإنه قال : إن من قال : ﴿ الرحمن على العرش استوى﴾ [طه : ٥]." (٢)

"ص -١٥٨- الكفار والمنافقين فهمها ومعرفتها، فكيف لا يكون ذلك ممكنا للمؤمنين، وهذا يبين أن معانيه كانت معروفة بينة لهم .

الوجه الثالث : أنه قال تعالى : ﴿ إنا أنزلناه قرآنا **عربيا** لعلكم تعقلون﴾ [يوسف : ٢] ، وقال تعالى : ﴿ إنا جعلناه قرآنا **عربيا** لعلكم تعقلون﴾ [الزخرف : ٣] ، فبين أنه أنزله **عربيا** لأن يعقلوا، والعقل لا يكون إلا مع العلم بمعانيه .

الوجه الرابع : إنه ذم من لا يفهمه فقال تعالى : ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٣/٧٣

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٤/٧٣

ولوا على أدبارهم نفورا﴾ [الإسراء : ٤٥، ٤٦] . وقال تعالى : ﴿ فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا﴾ [النساء : ٨٧] ، فلو كان المؤمنون لا يفقهونه أيضا لكانوا مشاركين للكفار والمنافقين فيما ذمهم الله ـ تعالى ـ به .." (١)

"ص -٢٠٣- وأما [اللغات] فإن جميع أهل اللغات ـ من العرب والروم، والفرس، والترك، والبربر، وغيرهم ـ يقع مثل هذا في لغاتهم، وهو حقيقة في لغات جميع الأمم، بل يعلمون أن الله أحق بأن يكون قادرا فاعلا من العبد، وأن استحقاق اسم الرب القادر له حقيقة أعظم من استحقاق العبد لذلك، وكذلك غيره من الأسماء الحسنى .

وقول الناس : إن بين المسميين قدرا مشتركا، لا يريدون بأن يكون في الخارج عن الأذهان أمر مشترك بين الخالق والمخلوق؛ فإنه ليس بين مخلوق ومخلوق في الخارج شيء مشترك بينهما، فكيف بين الخالق والمخلوق، وإنما توهم هذا من توهمه من أهل [المنطق اليوناني] ومن اتبعهم، حتى ظنوا أن في الخارج ماهيات مطلقة مشتركة بين الأعيان المحسوسة، ثم منهم من يجردها عن الأعيان كأفلاطون، ومنهم من يقول : لا تنفك عن الأعيان كأرسطو، وابن سينا، وأشباههما .

وقد بسطنا الكلام على ذلك في غير هذا الموضع، وبينا ما دخل على من اتبعهم من الضلال في هذا الموضع في [المنطق والإلهيات] ، حتى إن طوائف من النظار قالوا : إنا إذا قلنا : إن وجود الرب عين ماهيته ـ كما هو قول أهل الإثبات، ومتكلمة أهل الصفات : كابن كلاب، والأشعري وغيرهما ـ يلزم من ذلك أن يكون لفظ [الوجود] مقولا عليهما بالإشتراك اللفظي، كما ذكره أبو عبد الله الرازي عن الأشعري، وأبي الحسين البصري وغيرهم؛ وليس هذا مذهبهم،." (٢)

"ص -٢٠٨- فتلك الحقائق التي في الآخرة ليست مماثلة لهذه الحقائق التي في الدنيا، وإن كانت مشابهة لها من بعض الوجوه، والاسم يتناولها حقيقة، ومعلوم أن الخالق أبعد عن مشابهة المخلوق، فكيف يجوز أن يظن أن فيما أثبته الله ـ تعالى ـ من أسمائه وصفاته مماثلا لمخلوقاته ؟ وأن يقال : ليس ذلك بحقيقة، وهل يكون أحق بهذه الأسماء الحسنى والصفات العليا من رب السموات والأرض ؟ ! مع أن مباينته للمخلوقات أعظم من مباينة كل مخلوق .

والجاهل يضل بقول المتكلمين : إن العرب وضعوا لفظ الاستواء لاستواء الإنسان على المنزل أو الفلك،

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٨/٧٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٢/٧٥

أو استواء السفينة على الجودي، ونحو ذلك من استواء بعض المخلوقات، فهذا كما يقول القائل : إنما وضعوا لفظ السمع والبصر والكلام لما يكون محله حدقة وأجفانا وأصمخة وأذنا وشفتين، وهذا ضلال في الشرع وكذب، وإنما وضعوا لفظ الرحمة والعلم والإرادة لما يكون محله مضغة لحم وفؤاد، وهذا كله جهل منه .

فإن العرب إنما وضعت للإنسان ما أضافته إليه، فإذا قالت : سمع العبد، وبصره، وكلامه، وعلمه، وإرادته، ورحمته، فما يخص به يتناول ذلك خصائص العبد . وإذا قيل : سمع الله وبصره، وكلامه وعلمه، وإرادته ورحمته، كان هذا متناولا لما يخص به الرب، لا يدخل في ذلك شيء من خصائص المخلوقين، فمن ظن أن هذا الاستواء إذا كان حقيقة يتناول شيئا من صفات المخلوقين مع كون النص قد خصه بالله، كان جاهلا جدا بدلالات اللغات، ومعرفة الحقيقة والمجاز .." (١)

"ص -٢١٤- الجسد . قيل لك : لا يلزم من إثبات الاستواء على العرش أن يكون جسدا، وهو الجسم اللغوي . فإنا نعلم بالضرورة أن الهواء يعلو على الأرض وليس هو بجسد، والجسد هو الجسم اللغوي .

فقول القائل : لو كان مستويا على العرش لكان جسما، والجسم هوالجسد، والجسد منتف بالشرع .كلام ملبس .

فإنه إن عنى بالجسم الجسد، كانت المقدمة الأولى ممنوعة؛ فإن عاقلا لا يقول : إنه لو كان فوق العرش لكان جسدا، ولا يقول عاقل : إنه لو كان له علم وقدرة، لكان جسدا . ولا يقول عاقل : إنه لو كان يرى ويتكلم لكان جسدا وبدنا .

فإن الملائكة لهم علم وقدرة وترى وتتكلم، وكذلك الجن، وكذلك الهواء يعلو على غيره وليس بجسد .

وإن عنى بالجسم ما يعنيه أهل الكلام؛ من أنه الذي يشار إليه، وجعلوا كل ما يشار إليه جسما، وكل ما يرى جسما أو كل ما يمكن أنه يرى أو يوصف بالصفات فهو جسم، أو كل ما يعلو على غيره ويكون فوقه فهو جسم فيقال له : فالجسد والجسم بهذا التفسير الكلامي ليس هو جسدا في لغة العرب، بل هو منقسم إلى غليظ ورقيق، إلى ما هو جسد وإلى ما ليس بجسد .." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٧/٧٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٣/٧٥

"ص -٢١٨- ﴿ واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار﴾ [الأعراف : ١٤٨] استدل بحجة ضعيفة؛ فإن [الجسد] وإن كان قد قال الجوهري وغيره : إن الجسد هو البدن، يقال : منه تجسد، كما يقال : من الجسم تجسم، والجسد ـ أيضا ـ الزعفران ونحوه من الصبغ، وهو الدم أيضا؛ كما قال النابغة :

وما أريق على الأصنام من جسد فليس المراد بالجسد في القرآن لا هذا ولا هذا، فليس المراد من العجل أن له بدنا مثل بدن الآدميين، ولا بدنا كأبدان البقر، فإن العجل لم يكن كذلك، **والعرب** تقول : جسد به الدم يجسد جسدا : إذا لصق به، فهو جاسد وجسد .

قال الشاعر :

ساعد به جسد مورس من الدماء مائع ويبس

والجسد الأحمر والمجسد ما أشبع صبغه من الثياب؛ لكمال ما لصق به من الصبغ، فاللفظ فيه معنى التكاثف والتلاصق؛ولهذا يقول الفقهاء : نجاسة متجسدة وغير متجسدة، وهو في القرآن يراد به الجسد المصمت المتلاصق المتكاثف، أو الذي لا حياة فيه .

وقد ذكر الله ـ تعالى ـ لفظة الجسد في أربعة مواضع، فقال تعالى : ﴿ وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام﴾ [الأنبياء : ٨] ، وقال تعالى :." (١)

"ص -٢٥٩- إن أراد بذلك : من لا يعتقد أن الله في جوف السماء، بحيث تحصره وتحيط به، فقد أخطأ .

وإن أراد بذلك : من لم يعتقد ما جاء به الكتاب والسنة، واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، من أن الله فوق سمواته على عرشه، بائن من خلقه، فقد أصاب؛ فإنه من لم يعتقد ذلك يكون مكذبا للرسول صلى الله عليه وسلم، متبعا لغير سبيل المؤمنين، بل يكون في الحقيقة معطلا لربه نافيا له؛ فلا يكون له في الحقيقة إله يعبده، ولا رب يسأله، ويقصده . وهذا قول الجهمية ونحوهم من أتباع فرعون المعطل . والله قد فطر العباد ـ **عربهم** وعجمهم ـ على أنهم إذا دعوا الله توجهت قلوبهم إلى العلو، ولا يقصدونه تحت أرجلهم . ولهذا قال بعض العارفين : ما قال عارف قط : يا الله، إلا وجد في قلبه ـ قبل أن يتحرك لسانه ـ معنى يطلب

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٧/٧٥

العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة .

وذكر ـ من بعد كلام طويل ـ الحديث : (كل مولود يولد على الفطرة . . .) .

ولأهل الحلول والتعطيل في هذا الباب شبهات، يعارضون بها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وما أجمع سلف الأمة وأئمتها، وما فطر الله عليه عباده، وما دلت عليه الدلائل العقلية الصحيحة؛ فإن هذه الأدلة كلها متفقة." (١)

"ص -٣١٤- مماس له ولا مباين ؟ فلم يحسن الجواب . فقال : بلا كيف . فخدع الجهال بهذه الكلمة وموه عليهم .

وكذلك قال عبد العزيز المكي ـ صاحب الشافعي ـ صاحب [الحيدة] المشهورة في [كتاب الرد على الزنادقة والجهمية] ، قال :

باب قول الجهمية في قول الله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى﴾ [طه : ٥] .

زعمت الجهمية أن قول الله : ﴿ الرحمن على العرش استوى﴾ إنما المعنى : استولى، كقول **العرب** : استوى فلان على مصر، استوى على الشام، يريد : استولى عليها .

باب البيان لذلك

يقال له : أيكون خلق من خلق الله أتت عليه مدة ليس الله بمستول عليه ؟ ! فإذا قال : لا . قيل : فمن زعم ذلك ؟ قال : من زعم ذلك فهو كافر . يقال له : يلزمك أن تقول : إن العرش قد أتت عليه مدة ليس الله بمستول عليه، وذلك أن الله أخبر أنه خلق العرش قبل خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على عرشه بعد خلقه السموات والأرض، قال الله عز وجل : ﴿ الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا﴾ [الفرقان : ٥٩] ، وقوله : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم﴾ [غافر : ٧] ،." (٢)

"ص -٣١٦- فيقال : أما قولك : كيف استوى ؟ فإن الله ـ تعالى ـ لا يجري عليه كيف، وقد أخبرنا أنه ﴿ ثم استوى على العرش﴾ [الفرقان : ٥٩] ولم يخبرنا كيف استوى .

لأنه لم يخبرهم كيف ذلك ولم تره العيون في الدنيا فتصفه بما رأت، وحرم عليهم أن يقولوا عليه ما لا يعلمون فآمنوا بخبره عن الاستواء ، ثم ردوا علم كيف استوى إلى الله تعالى .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٥/٧٧

(٢) مجموع الفتاوى ، ٥٠/٧٩

ولكن يلزمك أيها الجهمي أن تقول : إن الله ـ تعالى ـ محدود وقد حوته الأماكن، إذ زعمت في دعواك أنه في الأماكن؛ لأنه لا يعقل شيء في مكان إلا والمكان قد حواه، كما تقول **العرب** : فلان في البيت والماء في الجب، فالبيت قد حوى فلانا، والجب قد حوى الماء .

ويلزمك أشنع من ذلك؛ لأنك قلت أفظع مما قالت به النصارى، وذلك أنهم قالوا : إن الله ـ عز وجل ـ في عيسى، وعيسى بدن إنسان واحد ، فكفروا بذلك، وقيل لهم : ما عظمتم الله إذ جعلتموه في بطن مريم . وأنتم تقولون : إنه في كل مكان وفي بطون النساء كلهن، وبدن عيسى وأبدان الناس كلهم .

ويلزمك ـ أيضا ـ أن تقول : إنه في أجواف الكلاب والخنازير، لأنها أماكن، وعندك أنه في كل مكان ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

قال : فلما شنعت مقالته قال : أقول : إن الله في كل مكان لا كالشيء." (١)

"ص –٣٢٠– من هذه الأمور، لكان فيه ما يكفي، وقد غرس في تبينه في الفطرة ومعارف الآدميين من ذلك ما لا شيء أبين منه ولا أوكد؛ لأنك لا تسأل أحدا من الناس عنه، **عربيا** ولا عجميا ولا مؤمنا ولا كافرا، فتقول : أين ربك ؟ إلا قال : في السماء، إن أفصح، أو أومأ بيده، أو أشار بطرفه، إن كان لا يفصح، ولا يشير إلى غير ذلك من أرض ولا سهل ولا جبل .

ولا رأينا أحدا إذا دعاه إلا رافعا يده إلى السماء، ولا وجدنا أحدا غير الجهمية يسأل عن ربه فيقول : في كل مكان كما يقولون، وهم يدعون أنهم أفضل الناس كلهم، فتاهت العقول وسقطت الأخبار، واهتدى جهم ورجلان معه، نعوذ بالله من مضلات الفتن .

فهذا وأمثاله كلام ابن كلاب وأبي الحسن الأشعري وأتباعه، وعنه أخذ الحارث المحاسبي هذا، وقد ذكر الحارث المحاسبي في كتاب [فهم القرآن] هو وغيره من ذلك ما هو مذكور في غير هذا الموضع؛ فإن كلام السلف والأئمة في ذلك كثير، والله أعلم .." (٢)

"ص –٣٤٩– فإن مباينة الله لخلقه وعظمته، وكبريائه وفضله، أعظم وأكبر مما بين مخلوق ومخلوق .

فإذا كانت صفات ذلك المخلوق مع مشابهتها لصفات هذا المخلوق، بينهما من التفاضل والتباين ما لا نعلمه في الدنيا ولا يمكن أن نعلمه، بل هو من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى فصفات الخالق

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٥٢/٧٩

(٢) مجموع الفتاوى ، ٥٦/٧٩

عز وجل أولى أن يكون بينها وبين صفات المخلوق من التباين والتفاضل ما لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى وأن يكون هذا من التأويل الذي لا يعلمه كل أحد؛ بل منه ما يعلمه الراسخون، ومنه ما يعلمه الأنبياء والملائكة، ومنه ما لا يعلمه إلا الله .

كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : إن التفسير على أربعة أوجه : تفسير تعرفه **العرب** من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله، من ادعى علمه فهو كاذب .

ولفظ [التأويل] في كلام السلف لا يراد به إلا التفسير، أو الحقيقة الموجودة في الخارج التي يئول إليها : كما في قوله تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله﴾ الآية [الأعراف : ٥٣] .

وأما استعمال التأويل بمعنى : أنه صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به أو متأخر أو لمطلق الدليل، فهذا اصطلاح." (١)

"ص -٤٠٣- أحدهما : أن المراد به إثبات أمره ومجيء أمره .

والثاني : أن المراد بذلك عمده وقصده . وهكذا تأول هؤلاء قوله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ [فصلت : ١١] قالوا : قصد وعمد .

وهذا تأويل طائفة من أهل **العربية**، منهم أبو محمد عبد الله بن قتيبة، ذكر في كتاب [مختلف الحديث] له، الذي رد فيه على أهل الكلام، الذين يطعنون في الحديث، فقال : قالوا : حديث في التشبيه يكذبه القرآن والإجماع . قالوا : رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر، فيقول : هل من داع فأستجيب له ؟ أو مستغفر فأغفر له ؟ " ، و " ينزل عشية عرفة إلى أهل عرفة " . و " ينزل ليلة النصف من شعبان " . وهذا خلاف لقوله تعالى : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا﴾ [المجادلة : ٧] ، وقوله : ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ [الزخرف : ٨٤] . فقد أجمع الناس أنه يكون بكل مكان، ولا يشغله شأن عن شأن .

ونحن نقول في قوله : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ [المجادلة : ٧] أنه معهم بالعلم بما هم عليه، كما تقول لرجل وجهته إلى بلد شاسع، ووكلته بأمر من أمرك : /." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣١/٨٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ٨٦/٨٠

"ص –٤٠٥– وهناك الكرسي والعرش، والحجب والملائكة . يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ [الأنبياء : ١٩، ٢٠] . وقال في الشهداء : ﴿ أحياء عند ربهم يرزقون﴾ [آل عمران : ١٦٩] قيل لهم : شهداء؛ لأنهم يشهدون ملكوت الله، واحدهم شهيد، كما يقال : علم وعلماء، وكفيل وكفلاء .

وقال عز وجل : ﴿ لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا﴾ [الأنبياء : ١٧] أي : لاتخذنا ذلك عندنا لا عندكم؛ لأن زوجة الرجل وولده يكونان عنده بحضرته لا عند غيره .

والأمم كلها عجمها وعربها تقول : إن الله عز وجل في السماء، ما تركت على فطرتها، ولم تنقل عن ذلك بالتعليم .

وفي الحديث : أن رجلا أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأمة أعجمية للعتق، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أين الله ؟ " قالت : في السماء . قال : " من أنا ؟ " قالت : أنت رسول الله، فقال : " هي مؤمنة " وأمره بعتقها .

وقال أمية بن أبي الصلت :

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيرا

بالبناء الأعلى الذي سبق النا س وسوى فوق السماء سريرا

شرجعا ما يناله بصر العي ن ترى دونه الملائك صورا." (١)

"ص –٤٢١– له جسم، وهذا ليس له جسم أي : له غلظ وضخامة بخلاف هذا، وقد يراد بالجسم نفس الغلظ والضخم .

وقد ادعى طوائف من أهل الكلام النفاة أن الجسم في اللغة هو المؤلف المركب، وأن استعمالهم لفظ الجسم في كل ما يشار إليه موافق للغة، قالوا : لأن كل ما يشار إليه، فإنه يتميز منه شيء عن شيء، وكل ما كان كذلك؛ فهو مركب من الجواهر المنفردة التى كل واحد منها جزء لا يتجزأ ولا يتميز منه جانب عن جانب، أو من المادة والصورة اللذين هما جوهران عقليان، كما يقول ذلك بعض الفلاسفة .

قالوا : وإذا كان هذا مركبا مؤلفا، فالجسم في لغة العرب هو المؤلف المركب، بدليل أنهم يقولون : رجل جسيم، وزيد أجسم من عمرو، إذا كثر ذهابه في الجهات، وليس يقصدون بالمبالغة في قولهم : أجسم وجسيم إلا كثرة الأجزاء المنضمة والتأليف؛ لأنهم لا يقولون : أجسم فيمن كثرت علومه وقدره وسائر تصرفاته

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٨٨/٨٠

وصفاته غير الاجتماع، حتى إذا كثر الاجتماع فيه بتزايد أجزائه قيل : أجسم، ورجل جسيم، فدل ذلك على أن قولهم : جسم مفيد للتأليف .

فهذا أصل قول هؤلاء النفاة، وهومبني على أصلين : سمعي لغوي، ونظري عقلي فطري .

أما السمعي اللغوي فقولهم : إن أهل اللغة يطلقون لفظ الجسم على المركب." (١)

"ص –٤٢٢– واستدلوا عليه بقوله : هو أجسم إذا كان أغلظ وأكثر ذهابا في الجهات، وأن هذا يقتضى أنهم اعتبروا كثرة الأجزاء .

فيقال : أما المقدمة الأولى وهو : إن أهل اللغة يسمون كل ما كان له مقدار بحيث يكون أكبر من غيره أو أصغر جسما، فهذا لا يوجد في لغة العرب البتة، ولا يمكن أحد أن ينقل عنهم أنهم يسمون الهواء الذي بين السماء والأرض جسما، ولا يسمون روح الإنسان جسما، بل من المشهور أنهم يفرقون بين الجسم والروح؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾ [المنافقون : ٤] يعني أبدانهم دون أرواحهم الباطنة .

وقد ذكر نقلة اللغة : أن الجسم عندهم هو الجسد . ومن المعروف في اللغة أن هذا اللفظ يتضمن الغلظ والكثافة، فلا يسمون الأشياء القائمة بنفسها إذا كانت لطيفة كالهواء وروح الإنسان، وإن كان لذلك مقدار يكون به بعضه أكبر من بعض، لكن لا يسمى في اللغة ذلك جسما، ولا يقولون في زيادة أحدهما على الآخر : هذا أجسم من هذا، ولا يقولون : هذا المكان الواسع أجسم من هذا المكان الضيق، وإن كان أكبر منه، وإن كانت أجزاؤه زائدة على أجزائه عند من يقول بأنه مركب من الأجزاء .

فليس كل ما هو مركب عندهم من الأجزاء يسمى جسما ولا يوجد في الكلام قبض جسمه، ولا صعد بجسمه إلى السماء، ولا أن الله يقبض." (٢)

"ص –٤٣٠– ونبه أحمد على أن هذا اللفظ لا يدرى ما يريدون به . وإذا لم يعرف مراد المتكلم به لم يوافقه، لا على إثباته، ولا على نفيه . فإن ذكر معنى أثبته الله ورسوله أثبتناه، وإن ذكر معنى نفاه الله ورسوله نفيناه باللسان العربي المبين، ولم نحتج إلى ألفاظ مبتدعة في الشرع، محرفة في اللغة، ومعانيها متناقضة في العقل، فيفسد الشرع واللغة والعقل؛ كما فعل أهل البدع من أهل الكلام الباطل المخالف للكتاب والسنة .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٠٤/٨٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٠٥/٨٠

وكذلك أيضا لفظ [الجبر] كره السلف أن يقال : جبر، وأن يقال : ما جبر؛ فروى الخلال في كتاب [السنة] عن أبي إسحاق الفزاري الإمام قال : قال الأوزاعي : أتاني رجلان، فسألاني عن القدر، فأحببت أن آتيك بهما تسمع كلامهما وتجيبهما . قلت : رحمك الله، أنت أولى بالجواب . قال : فأتاني الأوزاعي ومعه الرجلان، فقال : تكلما، فقالا : قدم علينا ناس من أهل القدر فنازعونا في القدر، ونازعناهم حتى بلغ بنا وبهم الجواب، إلى أن قلنا : إن الله قد جبرنا على ما نهانا عنه، وحال بيننا وبين ما أمرنا به، ورزقنا ما حرم علينا، فقال : أجبهما يا أبا إسحاق، قلت : رحمك الله، أنت أولى بالجواب، فقال : أجبهما، فكرهت أن أخالفه، فقلت : يا هؤلاء، إن الذين أتوكم بما أتوكم به قد ابتدعوا بدعة وأحدثوا حدثا، وإني أراكم قد خرجتم من البدعة إلى مثل ما خرجوا إليه، فقال : أجبت وأحسنت يا أبا إسحاق .

وروي أيضا عن بقية بن الوليد قال : سألت الزبيدي والأوزاعي عن الجبر، فقال الزبيدي : أمر الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل، ولكن." (١)

"ص -٤٦٨- نزول أجسام الناس من السطح إلى الأرض، وهو يشبه قول من قال : يخلو العرش منه بحيث يصير بعض المخلوقات فوقه وبعضها تحته !

فإذا قدر النزول هكذا كان ممتنعا؛ لما ذكروه من أنه لا يزال تحت العرش في غالب الأوقات أو جميعها، فإن بين طرفي العمارة نحو ليلة؛ فإنه يقال : بين ابتداء العمارة من المشرق ومنتهاها من المغرب مقدار مائة وثمانين درجة فلكية، وكل خمس عشرة فهي ساعة معتدلة، والساعة المعتدلة هي ساعة من اثنتي عشرة ساعة بالليل أو النهار، إذا كان الليل والنهار متساويين كما يستويان في أول الربيع الذي تسميه العرب الصيف، وأول الخريف الذي تسميه الربيع بخلاف ما إذا كان أحدهما أطول من الآخر، وكل واحد اثنتا عشرة ساعة، فهذه الساعات مختلفة في الطول والقصر، فتغرب الشمس عن أهل المشرق قبل غروبها عن أهل المغرب، كما تطلع على هؤلاء قبل هؤلاء بنحو اثنتي عشرة ساعة أو أكثر .

فإن الشمس على أي موضع كانت مرتفعة من الأرض الارتفاع التام كما يكون عند نصف النهار فإنها تضيء على ما أمامها و خلفها من المشرق والمغرب تسعين درجة شرقية وتسعين غربية، والمجموع مقدار حركتها : اثنتا عشرة ساعة، ستة شرقية، وستة غربية، وهو النهار المعتدل .

ولا يزال لها هذا النهار، لكن يخفي ضوؤها بسبب ميلها إلى جانب الشمال." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٨٠/١١٣

(٢) مجموع الفتاوى ، ٨٠/١٥٢

"ص -٤٩١- كان الرائي هو المرئي فما رآه عندهم موسى، بل رأى نفسه بنفسه، وهذا يدعونه لأنفسهم .

والاتحاد والحلول باطل . وعلى قول من يقول به إنما هذا في الباطن والقلب، لا في الظاهر؛ فإن غاية ذلك ما تقوله النصارى في المسيح، ولم يقولوا : إن أحدا رأى اللاهوت الباطن المتدرع [أي : المتلبس، وفيها معنى الدخول في الشيء] . بالناسوت .

وهذا الغلط يقع كثيرا في السالكين . يقع لهم أشياء في بواطنهم فيظنونها في الخارج في ذلك بمنزلة الغالطين من نظار المتفلسفة ونحوهم؛ حيث يتصورون أشياء بعقولهم كالكليات والمجردات ونحو ذلك، فيظنونها ثابتة في الخارج، وإنما هى في نفوسهم؛ ولهذا يقول أبو القاسم السهيلي وغيره : نعوذ بالله من قياس فلسفي، وخيال صوفي .

ولهذا يوجد التناقض الكثير في كلام هؤلاء وهؤلاء . وأما الذين جمعوا الآراء الفلسفية الفاسدة والخيالات الصوفية الكاسدة كابن عربى وأمثاله، فهم من أضل أهل الأرض؛ ولهذا كان الجنيد رضي الله عنه سيد الطائفة إمام هدى، فكان قد عرف ما يعرض لبعض السالكين، فلما سئل عن التوحيد قال : التوحيد إفراد الحدوث عن القدم .

فبين أنه يميز المحدث عن القديم تحذيرا عن الحلول والاتحاد . فجاءت." (١)

"ص -٤٩٢- الملاحدة كابن عربى ونحوه فأنكروا هذا الكلام على الجنيد؛ لأنه يبطل مذهبهم الفاسد . والجنيد وأمثاله أئمة هدى، ومن خالفه في ذلك فهو ضال، وكذلك غير الجنيد من الشيوخ تكلموا فيما يعرض للسالكين، وفيما يرونه في قلوبهم من الأنوار وغير ذلك، وحذروهم أن يظنوا أن ذلك هو ذات الله تعالى .

وقد خطب عروة بن الزبير من عبد الله بن عمر ابنته، وهو في الطواف، فقال : أتحدثنى في النساء، ونحن نتراءى الله في طوافنا ؟ ! فهذا كله وما أشبهه لم يريدوا به أن القلب ترفع جميع الحجب بينه وبين الله حتى تكافح الروح ذات الله كما يرى هو نفسه؛ فإن هذا لا يمكن لأحد في الدنيا، ومن جوز ذلك إنما جوزه للنبى صلى الله عليه وسلم؛ كقول ابن عباس : رأي محمد ربه بفؤاده مرتين، ولكن هذا التجلي يحصل بوسائط بحسب إيمان العبد ومعرفته وحبه؛ ولهذا تتنوع أحوال الناس في ذلك كما تتنوع رؤيتهم لله تعالى في المنام، فيراه كل إنسان بحسب إيمانه، ويرى في صور متنوعة .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٧٥/٨٠

فهذا الذي قاله أبوطالب وهؤلاء، إذا قيل مثله فيما يحصل في القلوب، كان مقاربا، مع أن في بعض ذلك نظرا . وإما أن يقال : إن الرب تعالى في نفسه هوكذلك، فليس الأمر كذلك .
أما قوله : أقرب إلى الروح من حياته، وأقرب إلى البصر من نظره وإلى." (١)

"ص -٤٩٧- ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ [النحل : ١٢٨] وقوله : ﴿ قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾ [طه : ٤٦] وقوله : ﴿ لا تحزن إن الله معنا﴾ [التوبة : ٤٠] . فلو كان المراد أنه بذاته مع كل شيء لكان التعميم يناقض التخصيص؛ فإنه قد علم أن قوله : ﴿ لا تحزن إن الله معنا﴾ أراد به تخصيصه وأبا بكر دون عدوهم من الكفار، وكذلك قوله : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ خصهم بذلك دون الظالمين والفجار .

وأيضا، فلفظ [المعية] ليست في لغة العرب ولا شيء من القرآن يراد بها اختلاط إحدى الذاتين بالأخرى؛ كما في قوله : ﴿ محمد رسول الله والذين معه﴾ [الفتح : ٢٩] ، وقوله : ﴿ فأولئك مع المؤمنين﴾ [النساء : ١٤٦] ، وقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [التوبة : ١١٩] ، وقوله : ﴿ وجاهدوا معكم﴾ [الأنفال : ٧٥] . ومثل هذا كثير؛ فامتنع أن يكون قوله : ﴿ وهو معكم﴾ يدل على أن ذاته مختلطة بذوات الخلق . وأيضا، فإنه افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم، فكان السياق يدل على أنه أراد أنه عالم بهم .

وقد بسط الكلام عليه في موضع آخر، وبين أن لفظ المعية في اللغة وإن اقتضى المجامعة والمصاحبة والمقارنة فهو إذا كان مع العباد لم يناف ذلك علوه على عرشه، ويكون حكم معيته في كل موطن بحسبه . فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان ويخص بعضهم بالإعانة والنصر والتأييد .

وقد قال ابن أبي حاتم : قرأت على محمد بن الفضل : حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق، ثنا محمد بن مزاحم، ثنا بكير بن معروف، عن مقاتل بن سليمان." (٢)

"ص -٥٢٠- بو عبيدة معمر بن المثنى : استوى بمعنى : علا، وتقول العرب : استويت على ظهر الفرس، بمعنى : علوت عليه، واستويت على سقف البيت، بمعنى علوت عليه، ويقال : استويت على السطح بمعناه، وقال الله تعالى : ﴿ فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك﴾ ، وقال : ﴿ لتستووا على ظهوره﴾ ، وقال : ﴿ واستوت على الجودي﴾ ، وقال : ﴿ استوى على العرش﴾ بمعنى علا على العرش .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٧٦/٨٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٨٢/٨٠

وقول الحسن : وقول مالك من أنبل جواب وقع في هذه المسألة وأشده استيعابا؛ لأن فيه نبذ التكييف وإثبات الاستواء المعقول، وقد ائتم أهل العلم بقوله واستجودوه واستحسنوه .

ثم تكلم على فساد قول من تأول ﴿ استوى﴾ بمعنى : استولى .

وقال الثعلبي : وقال الكلبي ومقاتل : ﴿ استوى على العرش﴾ يعني : استقر، قال : وقال أبو عبيدة : صعد . وقيل : استولى . وقيل : ملك . واختار هو ما حكاه عن الفراء وجماعة أن معناه : أقبل على خلق العرش وعمد إلى خرقه، قال : ويدل عليه قوله : ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ [فصلت : ١١] أي : عمد إلى خلق السماء .

وهذا الوجه من أضعف الوجوه، فإنه قد أخبر أن العرش كان على الماء قبل خلق السموات والأرض، وكذلك ثبت في صحيح البخاري عن عمران بن حصين، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السموات والأرض " .." (١)

"ص -٥٥٨- والأشعري وغيرهم من مثبتة الصفات، فيبينون فساد قولهم : بأن القرآن مخلوق وغير ذلك، وكان في هذا من كسر سورة المعتزلة والجهمية ما فيه ظهور شعار السنة، وهو القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله يرى في الآخرة، وإثبات الصفات والقدر، وغير ذلك من أصول السنة .

لكن الأصل العقلي الذي بنى عليه ابن كلاب قوله في كلام الله وصفاته، هو أصل الجهمية والمعتزلة بعينه، وصاروا إذا تكلموا في خلق الله السموات والأرض وغير ذلك من المخلوقات، إنما يتكلمون بالأصل الذي ابتدعه الجهمية ومن اتبعهم؛ فيقولون قول أهل الملة، كما نقله أولئك، ويقررونه بحجة أولئك .

وكانت محنة الإمام أحمد سنة عشرين ومائتين، وفيها شرعت القرامطة الباطنية يظهرون قولهم، فإن كتب الفلاسفة قد عربت وعرف الناس أقوالهم . فلما رأت الفلاسفة أن القول المنسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته، هو هذا القول الذي يقوله المتكلمون الجهمية ومن اتبعهم، ورأوا أن هذا القول الذي يقولونه فاسد من جهة العقل . طمعوا في تغيير الملة . فمنهم من أظهر إنكار الصانع، وأظهر الكفر الصريح، وقاتلوا المسلمين، وأخذوا الحجر الأسود، كما فعلته قرامطة البحرين . وكان قبلهم قد فعل بابك الخرمي مع

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٠٩/٨٠

المسلمين ما هو مشهور .

وقد ذكر القاضي أبو بكر بن الباقلاني وغيره من كشف أسرار." (١)

"ص -٥٦٥- وإذا كان مدلول الدليل العقلي أنه لا بد أنه قديم تقوم به الأفعال شيئا بعد شيء، فهذا إنما يناقض قول المبتدعة من أهل الملل الذين ابتدعوا الكلام المحدث الذي ذمه السلف والأئمة الذين قالوا : إن الرب لم يزل معطلا عن الفعل والكلام . فصار ما علمته العقلاء من أصناف الأمم من الفلاسفة وغيرهم بصريح المعقول، هو عاضد وناصر لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم على من ابتدع في ملته ما يخالف أقواله .

وكان ما علم بالشرع مع صريح العقل أيضا راد لما يقوله الفلاسفة الدهرية من قدم شيء من العالم مع الله، بل القول بقدم العالم قول اتفق جماهير العقلاء على بطلانه، فليس أهل الملة وحدهم تبطله، بل أهل الملل كلهم، وجمهور من سواهم من المجوس وأصناف المشركين، مشركي **العرب**، ومشركي الهند وغيرهم من الأمم . وجماهير أساطين الفلاسفة كلهم معترفون بأن هذا العالم محدث كائن بعد أن لم يكن، بل وعامتهم معترفون بأن الله خالق كل شيء، **والعرب** المشركون كلهم كانوا يعترفون بأن الله خالق كل شيء وأن هذا العالم كله مخلوق، والله خالقه وربه، وهذه الأمور مبسوطة في موضعها .

والمقصود هنا الكلام على ما يحتاج إليه من معرفة [حديث النزول] وأمثاله، وهما [الأصلان المتقدمان] . ومن تمام الأصل الثاني لفظ [الحركة] : هل يوصف الله بها أم يجب نفيه عنه ؟

اختلف فيه المسلمون، وغيرهم من أهل الملل،." (٢)

"ص -٥٧٢- كلها فيها تحول النفس من حال إلى حال وعمل للنفس، وذلك حركة لها بحسبها؛ ولهذا يعبر عن هذه المعاني بألفاظ الحركة، فيقال : فلان يهفو إلى فلان كما قيل :

يهفو إلى البان من قلبي نوازعه وما بي البان بل من دارة البان

وهذا اللفظ يستعمل في حركة الشيء الخفيف بسرعة، كما يقال : هفا الطائر بجناحه، أي : خفق وطار، وهفا الشيء في الهواء، إذا ذهب كالصوفة ونحوها، ومر الظبي يهفو، أي : يطفو، ومنه قيل للزلة : هفوة، كما سميت زلة، والزلة حركة خفيفة، وكذلك الهفوة .

وكذلك يسمى المحب المشتاق الذي صار حبه أقوى من العلاقة [صبا] وحاله صبابة، وهو رقة الشوق

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٤٨/٨٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٥٥/٨٠

وحرارته، والصب المحب المشتاق؛ وذلك لانصباب قلبه إلى المحبوب كما ينصب الماء الجاري، والماء ينصب من الجبل، أي : ينحدر . فلما كان في انحداره يتحرك حركة لا يرده شيء سميت حركة الصب [صبابة] ، وهذا يستعمل في المحبة المحمودة والمذمومة .

ومنه الحديث : إن أبا عبيدة رضي الله عنه لما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم في سرية بكى صبابة وشوقا إلى النبي صلى الله عليه وسلم . والصبابة والصب متفقان في الاشتقاق الأكبر . والعرب تعاقب بين الحرف المعتل." (١)

"ص -٥٧٣- والحرف المضعف كما يقولون : تقضى البازي وتقضض، وصبا يصبو : معناه : مال، وسمي الصبي صبيا؛ لسرعة ميله . قال الجوهري : والصبي أيضا من الشوق، يقال منه : تصابي، وصبا يصبو صبوة وصبوا، أي : مال إلى الجهل والفتوة، وأصبته الجارية .

وقد يستعمل هذا في الميل المحمود على قراءة من قرأ : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابين﴾ بلا همزة في قراءة نافع، فإنه لا يهمز ﴿ الصابئين﴾ في جميع القرآن . وبعضهم قد حمده الله تعالى وكذلك يقال : حن إليه حنينا، ومنه : حنه في الاشتقاق الأكبر يحنو عليه حنوا . قال الجوهري : حنوت عليه عطفت عليه، ويحني عليه، أي : يعطف، مثل تحنن، كما قال الشاعر :

تحنى عليك النفس من لاعج الهوى فكيف تحنيها وأنت تهينها ؟

وقال : الحنين : الشوق وتوقان النفس، ويقال : حن إليه يحن حنينا، فهو حان والحنان الرحمة . يقال : حن عليه يحن حنانا، ومنه قوله تعالى : ﴿ وحنانا من لدنا﴾ [مريم : ١٣] . والحنان بالتشديد : ذو الرحمة، وتحنن عليه : ترحم، والعرب تقول : حنانيك يا رب، وحنانك، بمعنى واحد، أي : رحمتك، وهذا كلام الجوهري .

وفي الأثر في تفسير [الحنان، المنان] : أن الحنان هو الذي يقبل على من أعرض عنه، والمنان الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال، وهذا باب واسع .." (٢)

"مجموع فتاوى ابن تيمية – الجزء السادس

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية –

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٦٢/٨٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٦٣/٨٠

١٤١٦هـ/١٩٩٥م

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (١)

"ص -١٦- في قوله تعالى : ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ قال : نعم . قلت : المراد بها قبلة الله فقال : قد تأولها مجاهد والشافعي وهما من السلف . ولم يكن هذا السؤال يرد علي؛ فإنه لم يكن شيء مما ناظروني فيه صفة الوجه ولا أثبتها لكن طلبوها من حيث الجملة وكلامي كان مقيدا كما في الأجوبة فلم أر إحقاقهم في هذا المقام بل قلت هذه الآية ليست من آيات الصفات أصلا ولا تندرج في عموم قول من يقول : لا تؤول آيات الصفات . قال : أليس فيها ذكر الوجه فلما قلت : المراد بها قبلة الله . قال : أليست هذه من آيات الصفات ؟ قلت : لا . ليست من موارد النزاع فإني إنما أسلم أن المراد بالوجه – هنا – القبلة فإن [الوجه] هو الجهة في لغة العرب يقال : قصدت هذا الوجه وسافرت إلى هذا [الوجه] أي : إلى هذه الجهة وهذا كثير مشهور فالوجه هو الجهة . وهو الوجه : كما في قوله تعالى : ﴿ ولكل وجهة هو موليها ﴾ [البقرة : ١٤٨] أي متوليها فقوله تعالى : ﴿ ولكل وجهة هو موليها ﴾ كقوله : ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ كلتا الآيتين في اللفظ والمعنى متقاربتان وكلاهما في شأن القبلة والوجه والجهة هو الذي ذكر في الآيتين : أنا نوليه : نستقبله . قلت : والسياق يدل عليه لأنه قال : ﴿ فأينما تولوا ﴾ وأين من الظروف وتولوا أي تستقبلوا . فالمعنى : أي موضع استقبلتموه فهنالك وجه الله فقد جعل وجه الله في المكان الذي يستقبله هذا بعد قوله : ﴿ ولله المشرق والمغرب ﴾ وهي الجهات كلها كما في الآية الأخرى : ﴿ قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ [البقرة : ١٤٢].." (٢)

"ص -٥٦- وأما السالمية، فهم والحنبلية كالشيء الواحد إلا في مواضع مخصوصة، تجري مجرى اختلاف الحنابلة فيما بينهم، وفيهم تصوف، ومن بدع من أصحابنا هؤلاء يبدع أيضا التسمي في الأصول بالحنبلية وغير ذلك، ولا يرى أن يتسمى أحد في الأصول إلا بالكتاب والسنة، وهذه طريقة جيدة لكن هذا مما يسوغ فيه الاجتهاد، فإن مسائل الدق [أي : الدقيقة . انظر : لسان العرب، مادة دقق] في الأصول لا يكاد يتفق عليها طائفة؛ إذ لو كان كذلك لما تنازع في بعضها السلف من الصحابة والتابعين، وقد ينكر

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١/٨١

(٢) مجموع الفتاوى ، ٦/٨٣

الشيء في حال دون حال، وعلى شخص دون شخص .

وأصل هذا ما قد ذكرته في غير هذا الموضع، أن المسائل الخبرية قد تكون بمنزلة المسائل العملية، وإن سميت تلك مسائل أصول، وهذه مسائل فروع، فإن هذه تسمية محدثة، قسمها طائفة من الفقهاء والمتكلمين، وهو على المتكلمين والأصوليين أغلب، لاسيما إذا تكلموا في مسائل التصويب والتخطئة .

وأما جمهور الفقهاء المحققين والصوفية، فعندهم أن الأعمال أهم وآكد من مسائل الأقوال المتنازع فيها، فإن الفقهاء كلامهم إنما هو فيها، وكثيرا ما يكرهون الكلام في كل مسألة ليس فيها عمل، كما يقوله مالك وغيره من أهل المدينة . . . [سقط في الأصل نصف سطر] ، بل الحق أن الجليل من كل واحد من الصنفين مسائل أصول، والدقيق مسائل فروع .." (١)

"ص -٦٢- فصل

قد عرف أن الأشياء لها وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان، ووجود في اللسان، ووجود في البنان، وهو : العيني، والعلمي، واللفظي، والرسمي .

ثم قال : من قال : إن الوجود العيني والعلمي لا يختلف باختلاف الأعصار والأمصار، والأمم، بخلاف اللفظي والرسمي فإن اللغات تختلف باختلاف الأمم **كالعربية** والفارسية، والرومية والتركية .

وهذا قد يذكره بعضهم في كلام الله تعالى إنه هو المعنى الذي لا يختلف باختلاف الأمم، دون الحروف التي تختلف كما هو قول الكلابية والأشعرية، ويضمون إلى ذلك، إلى أن كتبه إنما اختلفت لاختلاف لفظها فقط؛ فكلامه بالعبرية هو التوراة، **وبالعربية** هو القرآن، كما يقولون : إن المعنى القديم، يكون أمرا ونهيا وخبرا، فهذه صفات عارضة له؛ لا أنواع له .

ويذكر بعضهم هذا القول مطلقا في أصول الفقه في مسائل اللغات، ويذكره بعضهم في مسألة الاسم والمسمى، وأسماء الله الحسنى، كأبي حامد .." (٢)

"ص -٦٣- قلت : وهذا القول فيه نظر، وبعضه باطل، وذلك أن ألفاظ اللغات منها : متفق عليه، كالتنور، وكما يوجد من الأسماء المتحدة في اللغات .

ومنها : متنوع كأكثر اللغات . واختلافها اختلاف تنوع لا تضاد؛ كاختلاف الاسمين للمسمى الواحد . وكذلك معاني اللغات، فإن المعنى الواحد الذي تعلمه الأمم، وتعبر عنه كل أمة بلسانها، قد يكون ذلك

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٧/٨٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢/٨٦

المعنى واحدا بالنوع في الأمم، بحيث لا يختلف كما يختلف اللفظ الواحد بالعربية .

وقد يكون تصور ذلك المعنى متنوعا في الأمم مثل : أن يعلمه أحدهم بنعت، ويعبر عنه باعتبار ذلك النعت، وتعلمه الأمة الأخرى بنعت آخر، وتعبر عنه باعتبار ذلك النعت، كما هو الواقع في أسماء الله وأسماء رسوله، وكتابه، وكثير من الأسماء المعبر بها عن الأشياء المتفق على علمها في الجملة : " فتكرى، وخداي، ونست شك " ، ونحو ذلك، وإن كانت أسماء لله تعالى فليس معناها مطابقا من كل وجه لمعنى اسم الله، وكذلك " بيغنير وبهشم " و نحو ذلك .

ولهذا إذا تأملت الألفاظ التي يترجم بها القرآن من الألفاظ الفارسية والتركية وغيرها تجد بين المعاني نوع فرق، وإن كانت متفقة في الأصل، كما أن اللغتين متفقة في الصوت، وإن اختلفت في تأليفه، وقد تجد التفاوت بينها أكثر من التفاوت بين الألفاظ المتكافئة الواقعة بين المترادفة والمتباينة كالصارم والمهند، وكالريب والشك، والمور والحركة، والصراط والطريق .." (١)

"ص -٦٤- تختلف اللغتان أيضا في قدر ذلك المعنى، وعمومه وخصوصه، كما تختلف في حقيقته ونوعه، و تختلف أيضا في كيفيته وصفته وغير ذلك .

بل الناطقان بالاسم الواحد باللغة الواحدة، يتصور أحدهما منه ما لم يتصور الآخر حقيقته وكميته وكيفيته وغير ذلك؛ فإذا كان المعنى المدلول عليه بالاسم الواحد لا يتحد من كل وجه في قلب الناطقين، بل ولا في قلب الناطق الواحد في الوقتين، فكيف يقال : إنه يجب اتحاده في اللغات المتعددة ؟

يوضح ذلك : أن ما تعلمه الملائكة منه ليس على حد ما يعلمه البشر، وما يعلمه الله فيه ليس على حد ما تعلمه الملائكة؛ لكن الاختلاف اختلاف تنوع لا تضاد .

وأما قول من قال : إن معاني الكتب المنزلة سواء، ففساده معلوم بالاضطرار، فإنا لو عبرنا عن معاني القرآن بالعبرية، وعن معاني التوراة بالعربية، لكان أحد المعنيين ليس هو الآخر، بل يعلم بالاضطرار تنوع معاني الكتب واختلافها اختلاف تنوع أعظم من اختلاف حروفها، لما بين العربية والعبرية من التفاوت، وكذلك معاني البقرة ليست هي معاني آل عمران .

وأبعد من ذلك جعل الأمر هو الخبر، ولا ينكر أن هذه المختلفات قد تشترك في حقيقة ما، كما أن اللغات تشترك في حقيقة ما، فإن جاز أن يقال : إنها واحدة مع تنوعها، فكذلك اللغات سواء، بل اختلاف

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣/٨٦

المعاني أشد .

أما دعوى كون أحدهما صفة حقيقية، والأخرى وضعية، فليس كذلك." (١)

"ص -٩١- وقال : [لعن الله من أحدث حدثا أو آوى محدثا] ، وقال : [إذا أحدث أحدكم فلا يصلى حتى يتوضأ] .

ويقول الفقهاء : الطهارة نوعان : طهارة الحدث، وطهارة الخبث .

ويقول أهل الكلام : اختلف الناس في [أهل الإحداث] من أهل القبلة، كالربا والسرقة وشرب الخمر .

ويقال : فلان به عارض من الجن، وفلان حدث له مرض، فهذه من النقائص التي ينزه الله عنها .

وإن أريد بالأعراض والحوادث اصطلاح خاص، فإنما أحدث ذلك الاصطلاح من أحدثه من أهل الكلام، وليست هذه لغة **العرب**، ولا لغة أحد من الأمم، لا لغة القرآن ولا غيره، ولا العرف العام، ولا اصطلاح أكثر الخائضين في العلم، بل مبتدعو هذا الاصطلاح هم من أهل البدع المحدثين في الأمة، الداخلين في ذم النبي صلى الله عليه وسلم وبكل حال، فمجرد هذا الاصطلاح، وتسمية هذه أعراضا وحوادث، لا يخرجها عن أنها من الكمال الذي يكون المتصف به أكمل ممن لا يمكنه الاتصاف بها، أو يمكنه ذلك ولا يتصف به .

وأيضا، فإذا قدر اثنان؛ أحدهما : موصوف بصفات الكمال التي هي أعراض وحوادث علي اصطلاحهم، كالعلم والقدرة، والفعل والبطش، والآخر : يمتنع أن يتصف بهذه الصفات التي هي أعراض وحوادث كان الأول أكمل، كما أن الحي المتصف بهذه الصفات أكمل من الجمادات .." (٢)

"ص -٩٨- فصل

وأما قول القائل : لو قامت به صفات وجودية لكان مفتقرا إليها وهي مفتقرة إليه، فيكون الرب مفتقرا إلى غيره، فهو من جنس السؤال الأول .

فيقال : أولا : قول القائل : [لو قامت به صفات وجودية لكان مفتقرا إليها] يقتضي إمكان جوهر تقوم به الصفات، وإمكان ذات لا تقوم بها الصفات، فلو كان أحدهما ممتنعا لبطل هذا الكلام، فكيف إذا كان كلاهما ممتنعا ؟ فإن تقدير ذات مجردة عن جميع الصفات، إنما يمكن في الذهن لا في الخارج . كتقدير وجود مطلق لا يتعين في الخارج .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤/٨٦

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٦/٨٨

ولفظ [ذات] تأنيث ذو، وذلك لا يستعمل إلا فيما كان مضافا إلى غيره، فهم يقولون : فلان ذو علم وقدرة، ونفس ذات علم وقدرة . وحيث جاء في القرآن أو لغة **العرب** لفظ [ذو] ولفظ [ذات] لم يجئ إلا مقرونا بالإضافة كقوله : ﴿ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ﴾ [الأنفال : ١] ، وقوله : ﴿ عليم بذات الصدور ﴾ [آل عمران : ١١٩] .

وقول خبيب رضي الله عنه :

وذلك في ذات الإله . . . .." (١)

"ص -٩٩- ونحو ذلك .

لكن لما صار النظار يتكلمون في هذا الباب، قالوا : إنه يقال : إنها ذات علم وقدرة، ثم إنهم قطعوا هذا اللفظ عن الإضافة وعرفوه، فقالو : [الذات] . وهي لفظ مولد ليس من لفظ **العرب العرباء**؛ ولهذا أنكره طائفة من أهل العلم، كأبي الفتح بن برهان، وابن الدهان وغيرهما، وقالوا : ليست هذه اللفظة **عربية** ورد عليهم آخرون، كالقاضي وابن عقيل وغيرهما .

وفصل الخطاب : أنها ليست من **العربية العرباء**، بل من المولدة، كلفظ الموجود ولفظ الماهية والكيفية ونحو ذلك، فهذا اللفظ يقتضي وجود صفات تضاف الذات إليها، فيقال : ذات علم وذات قدرة وذات كلام والمعنى كذلك، فإنه لا يمكن وجود شيء قائم بنفسه في الخارج لا يتصف بصفة ثبوتية أصلا، بل فرض هذا في الخارج كفرض عرض يقوم بنفسه لا بغيره .

ففرض عرض قائم بنفسه لا صفة له، كفرض صفة لا تقوم بغيرها، وكلاهما ممتنع، فما هو قائم بنفسه فلا بد له من صفة، وما كان صفة فلابد له من قائم بنفسه متصف به .

ولهذا سلم المنازعون أنهم لا يعلمون قائما بنفسه لا صفة له، سواء سموه جوهرا أو جسما أو غير ذلك، ويقولون : وجود جوهر معرى عن جميع." (٢)

"ص -١١٢- هذا بكلام سيبويه وبقراط، لفسد ما ذكروه من النحو والطب، ولو فعل هذا بكلام آحاد العلماء، كمالك والشافعي، وأحمد وأبي حنيفة، لفسد العلم بذلك ولكان ملبوسا عليهم، فكيف إذا فعل هذا بكلام رب العالمين ؟

وهذه طريقة الملاحدة الذين ألحدوا في أسماء الله وآياته، ومن شاركهم في بعض ذلك، مثل قول من يقول

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٣/٨٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣٤/٨٨

: الواحد الذي لا ينقسم، ومعنى قوله : لا ينقسم، أي : لا يتميز منه شيء عن شيء، ويقول : لا تقوم به صفة . ثم زعموا أن الأحد والواحد في القرآن يراد به هذا .

ومعلوم أن كل ما في القرآن من اسم الواحد والأحد، كقوله : تعالى : ﴿ وإن كانت واحدة فلها النصف ﴾ [النساء : ١١] ، وقوله : ﴿ قالت إحداهما يا أبت استأجره ﴾ [القصص : ٢٦] ، وقوله : ﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾ [الإخلاص : ٤] ، وقوله : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك ﴾ [التوبة : ٦] ، وقوله : ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا ﴾ [المدثر : ١١] وأمثال ذلك، يناقض ما ذكروه، فإن هذه الأسماء أطلقت على قائم بنفسه مشار إليه، يتميز منه شيء عن شيء . و هذا الذي يسمونه في اصطلاحهم جسما .

وكذلك إذا قالوا : الموصوفات تتماثل، والأجسام تتماثل، والجواهر تتماثل، وأرادوا أن يستدلوا بقوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ [الشورى : ١١] على نفي مسمى هذه الأمور التي سموها بهذه الأسماء في اصطلاحهم الحادث، كان هذا افتراء على القرآن؛ فإن هذا ليس هو المثل في لغة **العرب**، ولا لغة القرآن ولا غيرهما، قال تعالى : ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ [محمد : ٣٨] .." (١)

"ص -١١٣- فنفي مماثلة هؤلاء مع اتفاقهم في الإنسانية، فكيف يقال : إن لغة **العرب** توجب أن كل ما يشار إليه مثل كل ما يشار إليه .

وقال تعالى : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾ [الفجر : ٦ ٨] فأخبر أنه لم يخلق مثلها في البلاد، وكلاهما بلد؛ فكيف يقال : إن كل جسم فهو مثل لكل جسم في لغة **العرب**، حتى يحمل علي ذلك قوله : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ .

وقد قال الشاعر :

*ليس كمثل الفتى زهير *

وقال :

*ما إن كمثلهم في الناس من بشر *

ولم يقصد هذا أن ينفي وجود جسم من الأجسام .

وكذلك لفظ [التشابه] ليس هو التماثل في اللغة، قال تعالى : ﴿ وأتوا به متشابها ﴾ [البقرة : ٢٥] ،

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٧/٨٨

وقال تعالى : ﴿ مشتبها وغير متشابه ﴾ [الأنعام : ٩٩] ، ولم يرد به شيئا هو مماثل في اللغة، وليس المراد هنا كون الجواهر متماثلة في العقل أو ليست متماثلة؛ فإن هذا مبسوط في موضعه، بل المراد أن أهل اللغة التي بها نزل القرآن لا يجعلون مجرد هذا موجبا لإطلاق اسم المثل، ولا يجعلون نفي المثل نفيا لهذا، فحمل القرآن على ذلك كذب على القرآن .." (١)

"ص -١٦٦- فصل

ومما يجب التصديق به، والرضا : مجيئه إلى الحشر يوم القيامة بمثابة نزوله إلى سمائه، وذلك بقوله : ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾ [الفجر : ٢٢] ، وقال تعالى : ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء ﴾ [الزمر : ٦٩] . قال : وهذا دليل على أنه إذا جاءهم وجلس على كرسيه أشرقت الأرض كلها بأنواره .

وعبد العزيز بن يحيى الكناني صاحب [الحيدة] و [الرد على الجهمية والقدرية] كلامه في الحيدة والرد على الجهمية يحتمل ذلك؛ فإن مضمون الحيدة أنه أبطل احتجاج بشر المريسي بقوله : ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ [الرعد : ١٦، الزمر : ٦٢] ، وقوله : ﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا ﴾ [الزخرف : ٣] . ثم إنه احتج على المريسي بثلاث حجج :

الأولى : أنه قال : إذا كان مخلوقا فإما أن تقول : خلقه في نفسه، أو خلقه في غيره، أو خلقه قائما بنفسه وذاته .

قال : فإن قال : خلق كلامه في نفسه فهذا محال، ولا تجد السبيل إلى القول به من قياس ولا نظر، ولا معقول ؛ لأن الله لا يكون مكانا للحوادث،." (٢)

"ص -٢٠١- إنما يقولون : سبحان الله، وسبحان ربنا . وكان معنى ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ [الأعلى : ١] ، سبح ربك .

قلت : قد تقدم الكلام على هذا، والذي : يقول : سبحان الله،وسبحان ربنا، إنما نطق بالاسم الذي هو الله، والذي هو ربنا فتسبيحه إنما وقع على الاسم، لكن مراده هو المسمى، فهذا يبين أنه ينطق باسم المسمى والمراد المسمى، وهذا لا ريب فيه، لكن هذا لا يدل على أن لفظ اسم الذي هو [ألف سين ميم] المراد به المسمى .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٨/٨٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٥/٩٠

لكن يدل على أن [أسماء الله] مثل : الله، وربنا، وربي الأعلى ونحو ذلك، يراد بها المسمى، مع أنها هي في نفسها ليست هي المسمى، لكن يراد بها المسمى، فأما اسم هذه الأسماء [ألف سين ميم] فلا هو المسمى الذي هو الذات، ولا يراد به المسمى الذي هو الذات، ولكن يراد به مسماه الذي هو الأسماء، كأسماء الله الحسنى، في قوله : ﴿ ولله الأسماء الحسنى ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، فلها هذه الأسماء الحسنى التي جعلها هؤلاء هي التسميات، وجعلوا التعبير عنها بالأسماء توسعا، فخالفوا إجماع الأمم كلهم من **العرب** وغيرهم، وخالفوا صريح المعقول وصحيح المنقول .

والذين شاركوهم في هذا الأصل وقالوا : الأسماء ثلاثة، قد تكون هي المسمى، وقد تكون غيره، وقد تكون لا هي هو ولا غيره، وجعلوا الخالق والرازق ونحوهما غير المسمى، وجعلوا العليم والحكيم ونحوهما للمسمى غلطوا من وجه آخر؛ فإنه إذا سلم لهم أن المراد بالاسم الذي هو [ألف سين ميم] هو مسمى الأسماء، فاسمه الخالق هو الرب الخالق نفسه، ليس هو المخلوقات المنفصلة عنه، واسمه العليم هو الرب العليم الذي العلم صفة له، فليس العلم هو المسمى، بل المسمى هو العليم، فكان الواجب أن يقال على أصلهم : الاسم هنا هو المسمى وصفته،." (١)

"ص -٢٠٢- وفي الخالق الاسم هو المسمى وفعله .

ثم قولهم إن الخلق هو المخلوق، وليس الخلق فعلا قائما بذاته، قول ضعيف، مخالف لقول جمهور المسلمين، كما قد بسط في موضعه .

فتبين أن هؤلاء الذين قالوا : [الاسم هو المسمى] ، إنما يسلم لهم أن أسماء الأشياء إذا ذكرت في الكلام أريد به المسمى، وهذا ما لا ينازع فيه أحد من العقلاء، لا أن لفظ اسم [ألف، سين، ميم] يراد به الشخص . وما ذكروه من قول لبيد :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما

فمراده : ثم النطق بهذا الاسم وذكره وهو التسليم المقصود، كأنه قال : ثم سلام عليكم، ليس مراده أن السلام يحصل عليهما بدون أن ينطق به، ويذكر اسمه . فإن نفس السلام قول، فإن لم ينطق به ناطق ويذكره لم يحصل .

وقد احتج بعضهم بقول سيبويه : إن الفعل أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنى لما مضى ولما لم يكن بعد، وهذا لا حجة فيه؛ لأن سيبويه مقصوده بذكر الاسم والفعل ونحو ذلك الألفاظ . وهذا اصطلاح

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٨/٩١

النحويين، سموا الألفاظ بأسماء معانيها؛ فسموا قام ويقوم وقم فعلا؛ والفعل هو نفس الحركة؛ فسموا اللفظ الدال عليها باسمها .

وكذلك إذا قالوا : اسم **معرب** ومبني، فمقصودهم اللفظ، ليس مقصودهم المسمى، وإذا قالوا : هذا الاسم فاعل فمرادهم أنه فاعل في اللفظ، أي أسند إليه الفعل، ولم يرد سيبويه بلفظ الأسماء المسميات كما زعموا، ولو أراد ذلك فسدت صناعته .." (١)

"ص -٢٥٤- والأفول باتفاق أهل اللغة، والتفسير : هو الغيب والاحتجاب، بل هذا معلوم بالاضطرار من لغة **العرب** التي نزل بها القرآن، وهو المراد باتفاق العلماء .

فلم يقل إبراهيم : ﴿ لا أحب الآفلين ﴾ إلا حين أفل وغاب عن الأبصار، فلم يبق مرئيا ولا مشهودا، فحينئذ قال : ﴿ لا أحب الآفلين ﴾ ، وهذا يقتضى أن كونه متحركا منتقلا تقوم به الحوادث، بل كونه جسما متحيزا تقوم به الحوادث لم يكن دليلا عند إبراهيم على نفي محبته .

فإن كان إبراهيم إنما استدل بالأفول على أنه ليس رب العالمين كما زعموا لزم من ذلك أن يكون ما يقوم به الأفول من كونه متحركا منتقلا تحله الحوادث، بل ومن كونه جسما متحيزا، لم يكن دليلا عند إبراهيم على أنه ليس برب العالمين، وحينئذ فيلزم أن تكون قصة إبراهيم حجة على نقيض مطلوبهم، لا على تعيين مطلوبهم . وهكذا أهل البدع لا يكادون يحتجون بحجة سمعية، ولا عقلية، إلا وهي عند التأمل حجة عليهم، لا لهم .

ولكن إبراهيم عليه السلام لم يقصد بقوله : ﴿ هذا ربي ﴾ أنه رب العالمين، ولا كان أحد من قومه يقولون : إنه رب العالمين، من تجويز ذلك عليهم، بل كانوا مشركين، مقرين بالصانع، وكانوا يتخذون الكواكب والشمس والقمر أربابا يدعونها من دون الله ويبنون لها الهياكل، وقد صنفت في مثل مذهبهم كتب : مثل كتاب السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم وغيره من الكتب .." (٢)

"ص -٣٤٢- وذاك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

[قوله : شلو ممزع، الشلو : العضو، أي عضو متقطع . انظر : القاموس، مادة شلو]

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، كلهن في ذات الله " وعن أبي ذر : كلنا أحمق في ذات الله . وفي قول بعضهم : أصبنا في ذات الله . والمعنى : في

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٩/٩١

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣٩/٩٣

جهة الله وناحيته، أي : لأجل الله ولابتغاء وجهه، ليس المراد بذلك النفس ونحوه في القرآن : ﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ﴾ [الأنفال : ١] ، وقوله : ﴿ عليم بذات الصدور ﴾ [آل عمران : ١١٩] ، أي : الخصلة والجهة التي هي صاحبة بينكم، وعليم بالخواطر ونحوها، التي هي صاحبة الصدور .

فاسم الذات في كلام النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة، والعربية المحضة : بهذا المعنى . ثم أطلقه المتكلمون وغيرهم على " النفس " بالاعتبار الذي تقدم، فإنها صاحبة الصفات . فإذا قالوا : الذات، فقد قالوا : التي لها الصفات .

وقد روى في حديث مرفوع وغير مرفوع : " تفكروا في آلاء الله، ولا تتفكروا في ذات الله " فإن كان هذا اللفظ أو نظيره ثابتا عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقد وجد في كلامهم إطلاق اسم الذات على النفس، كما يطلقه المتأخرون . وإذا تقرر هذا الأصل يبقى كالحركة، وقد اختلف في بقائها، كالطعم واللون والريح، وأكثر العقلاء على أنه قد يبقى .

وهؤلاء لا يصح عندهم الاستدلال بهذه الأعراض على حدوث الجسم،." (١)

"ص -٣٥٩- والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر . وينفون ما عداها،وفيهم من يضم إلى ذلك اليد فقط، ومنهم من يتوقف في نفي ما سواها، وغلاتهم يقطعون بنفي ما سواها .

وأما المعتزلة، فإنهم ينفون الصفات مطلقا ويثبتون أحكامها، وهي ترجع عند أكثرهم إلى أنه عليم قدير، وأما كونه مريدا متكلما فعندهم أنها صفات حادثة، أو إضافية أو عدمية . وهم أقرب الناس إلى الصابئين الفلاسفة من الروم، ومن سلك سبيلهم من العرب والفرس، حيث زعموا أن الصفات كلها ترجع إلى سلب أو إضافة، أو مركب من سلب وإضافة، فهؤلاء كلهم ضلال مكذبون للرسل .

ومن رزقه الله معرفة ما جاءت به الرسل وبصرا نافذا وعرف حقيقة مأخذ هؤلاء، علم قطعا أنهم يلحدون في أسمائه وآياته، وأنهم كذبوا بالرسل وبالكتاب وبما أرسل به رسله؛ ولهذا كانوا يقولون : إن البدع مشتقة من الكفر وآيلة إليه، ويقولون : إن المعتزلة مخانيث الفلاسفة، والأشعرية مخانيث المعتزلة .

وكان يحيى بن عمار يقول : المعتزلة الجهمية الذكور،والأشعرية الجهمية الإناث، ومرادهم الأشعرية الذين ينفون الصفات الخبرية،وأما من قال منهم بكتاب [الإبانة] الذي صنفه الأشعري في آخر عمره، ولم يظهر مقالة تناقض ذلك، فهذا يعد من أهل السنة، لكن مجرد الانتساب إلى الأشعرى بدعة،." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٥/٩٧

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٠/٩٨

"ص -٣٦٠- لا سيما وأنه بذلك يوهم حسنا بكل من انتسب هذه النسبة، وينفتح بذلك أبواب شر، والكلام مع هؤلاء الذين ينفون ظاهرها بهذا التفسير .

قلت له : إذا وصف الله نفسه بصفة، أو وصفه بها رسوله، أو وصفه بها المؤمنون الذين اتفق المسلمون على هدايتهم ودرايتهم فصرفها عن ظاهرها اللائق بجلال الله سبحانه وحقيقتها المفهومة منها إلى باطن يخالف الظاهر، ومجاز ينافي الحقيقة، لابد فيه من أربعة أشياء :

أحدها : أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازي؛ لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاء باللسان العربي، ولا يجوز أن يراد بشيء منه خلاف لسان العرب، أو خلاف الألسنة كلها، فلابد أن يكون ذلك المعنى المجازي ما يراد به اللفظ، وإلا فيمكن كل مبطل أن يفسر أي لفظ بأي معنى سنح له، وإن لم يكن له أصل في اللغة .

الثاني : أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه، وإلا فإذا كان يستعمل في معنى بطريق الحقيقة، وفي معنى بطريق المجاز، لم يجز حمله على المجازى بغير دليل يوجب الصرف بإجماع العقلاء، ثم إن ادعى وجوب صرفه عن الحقيقة، فلابد له من دليل قاطع عقلي أو سمعي يوجب الصرف . وإن ادعى ظهور صرفه عن الحقيقة فلابد من دليل مرجح للحمل على المجاز .

الثالث : أنه لابد من أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارض، وإلا فإذا قام دليل قرآني أو إيماني يبين أن الحقيقة مرادة امتنع." (١)

"ص -٣٦١- تركها، ثم إن كان هذا الدليل نصا قاطعا لم يلتفت إلى نقيضه، وإن كان ظاهرا فلابد من الترجيح .

الرابع : أن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره وضد حقيقته،فلابد أن يبين للأمة أنه لم يرد حقيقته، وأنه أراد مجازه، سواء عينه أو لم يعينه، لا سيما في الخطاب العلمي الذي أريد منهم فيه الاعتقاد والعلم، دون عمل الجوارح، فإنه سبحانه وتعالى جعل القرآن نورا وهدى، وبيانا للناس، وشفاء لما في الصدور، وأرسل الرسل ليبين للناس ما نزل إليهم، وليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

ثم هذا الرسول الأمي العربي بعث بأفصح اللغات وأبين الألسنة والعبارات، ثم الأمة الذين أخذوا عنه كانوا أعمق الناس علما، وأنصحهم للأمة، وأبينهم للسنة، فلا يجوز أن يتكلم هو وهؤلاء بكلام يريدون به خلاف

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١١/٩٨

ظاهره إلا وقد نصب دليلا يمنع من حمله على ظاهره، إما أن يكون عقليا ظاهرا، مثل قوله : ﴿ وأوتيت من كل شيء ﴾ [النمل : ٢٣] ، فإن كل أحد يعلم بعقله أن المراد : أوتيت من جنس ما يؤتاه مثلها، وكذلك : ﴿ خالق كل شيء ﴾ [الأنعام : ١٠٢] يعلم المستمع : أن الخالق لا يدخل في هذا العموم، أو سمعيا ظاهرا، مثل الدلالات في الكتاب والسنة التي تصرف بعض الظواهر .

ولا يجوز أن يحيلهم على دليل خفي، لا يستنبطه إلا أفراد الناس، سواء كان سمعيا أو عقليا؛ لأنه إذا تكلم بالكلام الذي يفهم منه معنى وأعاده مرات." (١)

"ص -٣٦٤- وقول عروة بن مسعود لأبي بكر يوم الحديبية : لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك .

وقد تكون اليد بمعنى القدرة، تسمية للشيء باسم مسببه؛ لأن القدرة هي تحرك اليد، يقولون : فلان له يد في كذا وكذا، ومنه قول زياد لمعاوية : إني قد أمسكت العراق بإحدى يدي، ويدي الأخرى فارغة، يريد نصف قدرتي ضبط أمر العراق . ومنه قوله : ﴿ بيده عقدة النكاح ﴾ [البقرة : ٢٣٧] ، والنكاح كلام يقال، وإنما معناه أنه مقتدر عليه .

وقد يجعلون إضافة الفعل إليها إضافة الفعل إلى الشخص نفسه؛ لأن غالب الأفعال لما كانت باليد جعل ذكر اليد إشارة إلى أنه فعل بنفسه، قال الله تعالى : ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ إلى قوله : ﴿ ذلك بما قدمت أيديكم ﴾ [آل عمران : ١٨١، ١٨٢] أي : بما قدمتم، فإن بعض ما قدموه كلام تكلموا به . وكذلك قوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملآئكة يضربون وجوههم وأدبارهم ﴾ إلى قوله : ﴿ ذلك بما قدمت أيديكم ﴾ [الأنفال : ٥٠، ٥١] ، **والعرب** تقول : يداك أوكتا، وفوك نفخ؛ توبيخا لكل من جر على نفسه جريرة؛ لأن أول ما قيل هذا لمن فعل بيديه وفمه .

قلت له : ونحن لا ننكر لغة **العرب** التي نزل بها القرآن في هذا كله، والمتأولون للصفات الذين حرفوا الكلم عن مواضعه، وألحدوا في أسمائه وآياته تأولوا قوله : ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾ [المائدة : ٦٤] ، وقوله : ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ [ص : ٧٥] على هذا." (٢)

"ص -٣٦٦- ولا يجوز أن يكون لما خلقت أنا؛لأنهم إذا أرادوا ذلك أضافوا الفعل إلى اليد، فتكون إضافته إلى اليد إضافة له إلى الفعل كقوله : ﴿ بما قدمت يداك ﴾ [الحج : ١٠] و ﴿ قدمت أيديكم

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٢/٩٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٥/٩٨

﴾ [آل عمران : ١٨٢،الأنفال : ٥١] ، ومنه قوله : ﴿ مما عملت أيدينا أنعاما ﴾ [يس : ٧١] .

أما إذا أضاف الفعل إلى الفاعل، وعدى الفعل إلى اليد بحرف الباء، كقوله : ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ فإنه نص في أنه فعل الفعل بيديه؛ ولهذا لا يجوز لمن تكلم أو مشى أن يقال : فعلت هذا بيديك ويقال : هذا فعلته يداك؛ لأن مجرد قوله : فعلت، كاف في الإضافة إلى الفاعل، فلو لم يرد أنه فعله باليد حقيقة كان ذلك زيادة محضة من غير فائدة، ولست تجد في كلام **العرب** ولا العجم إن شاء الله تعالى أن فصيحا يقول : فعلت هذا بيدي، أو فلان فعل هذا بيديه، إلا ويكون فعله بيديه حقيقة، ولا يجوز أن يكون لا يد له، أو أن يكون له يد والفعل وقع بغيرها .

وبهذا الفرق المحقق تتبين مواضع المجاز ومواضع الحقيقة، ويتبين أن الآيات لا تقبل المجاز البتة من جهة نفس اللغة .

قال لي : فقد أوقعوا الاثنين موقع الواحد في قوله : ﴿ ألقيا في جهنم ﴾ [ق : ٢٤] ، وإنما هو خطاب للواحد .

قلت له : هذا ممنوع، بل قوله : ﴿ ألقيا ﴾ قد قيل : تثنية الفاعل لتثنية الفعل، والمعنى : ألق ألق . وقد قيل : إنه خطاب للسائق والشهيد . ومن قال : إنه خطاب للواحد، قال : إن الإنسان يكون معه اثنان : أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله،." (١)

"ص -٣٦٩- شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به " ، " تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك " ، ثم يترك الكتاب المنزل عليه، وسنته الغراء مملوءة مما يزعم الخصم أن ظاهره تشبيه وتجسيم، وأن اعتقاد ظاهره ضلال، وهو لا يبين ذلك ولا يوضحه ؟ !

وكيف يجوز للسلف أن يقولوا : أمروها كما جاءت مع أن معناها المجازي هو المراد وهو شيء لا يفهمه **العرب**، حتى يكون أبناء الفرس والروم أعلم بلغة **العرب** من أبناء المهاجرين والأنصار !

المقام الرابع : قلت له : أنا أذكر لك من الأدلة الجلية القاطعة والظاهرة، ما يبين لك أن لله يدين حقيقة .

فمن ذلك تفضيله لآدم يستوجب سجود الملائكة، وامتناعهم عن التكبر عليه، فلو كان المراد أنه خلقه بقدرته أو بنعمته، أو مجرد إضافة خلقه إليه؛ لشاركه في ذلك إبليس وجميع المخلوقات .

قال لي : فقد يضاف الشيء إلى الله على سبيل التشريف، كقوله : ﴿ ناقة الله ﴾ [الشمس : ١٣] ، وبيت الله .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٧/٩٨

قلت له : لا تكون الإضافة تشريفا حتى يكون في المضاف معنى أفرده به عن غيره، فلو لم يكن في الناقة والبيت من الآيات البينات ما تمتاز به على جميع النوق والبيوت لما استحقا هذه الإضافة، والأمر هنا كذلك، فإضافة خلق." (١)

"ص –٣٧٠– آدم إليه أنه خلقه بيديه، يوجب أن يكون خلقه بيديه أنه قد فعله بيديه، وخلق هؤلاء بقوله : كن فيكون، كما جاءت به الآثار .

ومن ذلك أنهم إذا قالوا : بيده الملك، أو عملته يداك، فهما شيئان : أحدهما : إثبات اليد . والثاني : إضافة الملك والعمل إليها، والثاني يقع فيه التجوز كثيرا، أما الأول فإنهم لا يطلقون هذا الكلام إلا لجنس له يد حقيقة، ولا يقولون : يد الهوى ولا يد الماء، فهب أن قوله : بيده الملك، قد علم منه أن المراد بقدرته، لكن لا يتجوز بذلك إلا لمن له يد حقيقة .

والفرق بين قوله تعالى : ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ [ص : ٧٥] وقوله : ﴿ مما عملت أيدينا ﴾ [يس : ٧١] من وجهين :

أحدهما : أنه هنا أضاف الفعل إليه، وبين أنه خلقه بيديه، وهناك أضاف الفعل إلى الأيدي .

الثاني : أن من لغة **العرب** أنهم يضعون اسم الجمع موضع التثنية إذا أمن اللبس، كقوله تعالى : ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾ [المائدة : ٣٨] أي : يديهما، وقوله : ﴿ فقد صغت قلوبكما ﴾ [التحريم : ٤] أي : قلباكما، فكذلك قوله : ﴿ مما عملت أيدينا أنعاما ﴾ .

وأما السنة فكثيرة جدا، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : " المقسطون عند." (٢)

"ص –٣٨٢– الاختصاص بالحكم،فإن العدول عن وجوب التعميم إلى التخصيص إن لم يكن للاختصاص بالحكم،وإلا كان تركا للمقتضى بلا معارض وذلك ممتنع .

فقوله : " إن لله تسعة وتسعين " قد يكون للتحصيل بهذا العدد فوائد غير الحصر . ومنها ذكر أن إحصاءها يورث الجنة؛ فإنه لو ذكر هذه الجملة منفردة وأتبعها بهذه منفردة لكان حسنا، فكيف والأصل في الكلام الاتصال وعدم الانفصال ؟ ! فتكون الجملة الشرطية صفة، لا ابتدائية . فهذا هو الراجح في **العربية** مع ما ذكر من الدليل .

ولهذا قال : " إنه وتر يحب الوتر " ، ومحبته لذلك تدل على أنه متعلق بالإحصاء، أي : يحب أن يحصى

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٠/٩٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢١/٩٨

من أسمائه هذا العدد، وإذا كانت أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين أمكن أن يكون إحصاء تسعة وتسعين اسما يورث الجنة مطلقا على سبيل البدل، فهذا يوجه قول هؤلاء، وإن كان كثير من الناس يجعلها أسماء معينة،ثم من هؤلاء من يقول : ليس إلا تسعة وتسعون اسما فقط، وهو قول ابن حزم وطائفة، والأكثرون منهم يقولون : وإن كانت أسماء الله أكثر، لكن الموعود بالجنة لمن أحصاها هي معينة، وبكل حال، فتعيينها ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم باتفاق أهل المعرفة بحديثه، ولكن روى في ذلك عن السلف أنواع، من ذلك ما ذكره الترمذي، ومنها غير ذلك .

فإذا عرف هذا، فقوله في أسمائه الحسنى : [النور الهادي] لو نازعه منازع." (١)

"ص -٤٢٢- اللغة العربية إذا قيل : هذا رجل صالح فأكرمه، فهم من ذلك أن الصلاح سبب للأمر بإكرامه، حتى لو رأينا بعد ذلك رجلا صالحا لقيل كذلك الأمر، وهذا أيضا رجل صالح أفلا تكرمه ؟ فإن لم يفعل فلابد أن يخلف الحكم لمعارض وإلا عد تناقضا . وكذلك لما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه حاجب ولا ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا شيئا قدمه، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا شيئا قدمه، وينظر أمامه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتقى النار ولو بشق تمرة فليفعل، فإن لم يستطع فبكلمة طيبة " ،فهم منه أن تحضيضه على اتقاء النار هنا لأجل كونهم يستقبلونها وقت ملاقاة الرب، وإن كان لها سبب آخر .

وكذلك لما قال ابن مسعود : سارعوا إلى الجمعة، فإن الله يبرز لأهل الجنة في كل جمعة في كثيب من كثب الكافور، فيكونون في القرب منه على قدر تسارعهم في الدنيا إلى الجمعة، فهم الناس من هذا أن طلب هذا الثواب سبب للأمر بالمسارعة إلى الجنة .

وكذلك لو قيل : إن الأمير غدا يحكم بين الناس أو يقسم بينهم،فمن أحب فليحضر،فهم منه أن الأمر بالحضور غدا لأخذ النصيب من حكمه أو قسمه،وهذا ظاهر .

ثم إن هذا الوصف المقتضى للحكم تارة يكون سببا متقدما على الحكم." (٢)

"ص -٤٢٧- الرؤية لما ذكرته من القاعدة في النساء آنفا، ثم قد يتخلف المقتضى عن المقتضى لمانع لا يقدح في اقتضائه، كسائر أحاديث الوعد، فإنه لما قال : " من صلى البردين دخل الجنة " [البردان : الغداة والعشي صلاة الفجر وصلاة العشاء] ، من فعل كذا دخل الجنة، دل على أن ذلك العمل

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٠/٩٩

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٣/١٠١

سبب لدخول الجنة وإن تخلف عنه مقتضاه لكفر أو فسق .

فمن ترك صلاة الظهر أو زنا أو سرق ونحو ذلك كان فاسقا، والفاسق غير مستحق للوعد بدخول الجنة كالكافر، وكذلك أحاديث الوعيد إذا قيل : من فعل كذا دخل النار، فإن المقتضى يتخلف عن التائب وعمن أتى بحسنات تمحو السيئات وعن غيرهم، ويجوز أن يكون للرؤية سبب آخر، فكونه سببا لا يمنع تخلف الحكم عنه لمانع ولا يمنع أن ينتصب سبب آخر للرؤية . ثم أقول : فعل بقية الفرائض سواء كانت من جملة السبب، أو كانت شرطا في هذا السبب، فالأمر في ذلك قريب، وهو نزاع لفظي، فإن الكلام إنما هو في حق من أتى ببقية شروط الوعد، و انتفت عنه موانعه .

ولا يجوز أن يقال : فالأنوثة مانع من لحوق الوعد، أو الذكورة شرط؛ لأن هذا إن دل عليه دليل شرعي، كما دل على أن فعل بقية الفرائض شرط قلنا به،فأما بمجرد الإمكان فلا يجوز ترك مقتضى اللفظ وموجبه بالإمكان، بل متى ثبت عموم اللفظ وعموم العلة وجب ترتيب مقتضى ذلك عليه ما لم يدل دليل بخلافه، ولم يثبت أن الذكورة شرط، ولا أن الأنوثة مانع، كما لم يقتض أن العربية والعجمية والسواد والبياض لها تأثير في ذلك .." (١)

"ص -٤٣٧- وكذلك ما دل من الكتاب على الرؤية كقوله : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة ﴾ [القيامة : ٢٢٢٥] هو تقسيم لجنس الإنسان المذكور في قوله : ﴿ ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر بل الإنسان على نفسه بصيرة ﴾ [القيامة : ١٣، ١٤] ، وظاهر انقسام الوجوه إلى هذين النوعين . كما أن قوله : ﴿ وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة ﴾ [عبس : ٣٨٤١] أيضا إلى هذين النوعين، فمن لم يكن من الوجوه الباسرة كان من الوجوه الناضرة الناظرة، كيف وقد ثبت في الحديث أن النساء يزددن حسنا وجمالا،كما يزداد الرجال في مواقيت النظر ؟ ! وكذلك قوله : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ [السجدة : ١٧] قد فسر بالرؤية، وقوله : ﴿ إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون ﴾ [المطففين : ٢٢، ٢٣] ، فإن هذا كله يعم الرجال والنساء .

واعلم أن الناس قد اختلفوا في صيغ جمع المذكر، مظهره ومضمره، مثل : المؤمنين، والأبرار، وهو هل يدخل النساء في مطلق اللفظ أو لا يدخلون إلا بدليل ؟ على قولين :

أشهرهما عند أصحابنا ومن وافقهم : أنهم يدخلون؛ بناء علي أن من لغة العرب إذا اجتمع المذكر والمؤنث

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٨/١٠١

غلبوا المذكر، وقد عهدنا من الشارع في خطابه أنه يعم القسمين ويدخل النساء بطريق التغليب، وحاصله أن هذه الجموع تستعملها **العرب** تارة في الذكور المجردين، وتارة في الذكور والإناث،." (١)

"ص -٤٤٢- فهو مذهب منكري العموم من الواقفة والمخصصة، وهو مذهب سخيف لم ينتسب إليه . وإن لم يكن مانعا من الاستدلال فهذا كلام ضائع غايته أن يقال : دلالة العموم أضعف من غيره من الظواهر وهذا لا يقر، فإنه ما لم يقم الدليل المخصص وجب العمل بالعام .

ثم يقال له ثانيا : من الذي سلم لكم أن العموم المجرد الذي لم يظهر له مخصص دليل ضعيف ؟ أم من الذي سلم أن أكثر العمومات مخصوصة ؟ أم من الذي يقول : ما من عموم إلا قد خص إلا قوله : ﴿ وهو بكل شيء عليم ﴾ ؟ [الأنعام : ١٠١] ، فإن هذا الكلام،وإن كان قد يطلقه بعض السادات من المتفققهة وقد يوجد في كلام بعض المتكلمين في أصول الفقه،فإنه من أكذب الكلام وأفسده .

والظن بمن قاله أولا : إنه إنما عنى أن العموم من لفظ [كل شيء] مخصوص إلا في مواضع قليلة، كما في قوله : ﴿ تدمر كل شيء ﴾ [الأحقاف : ٢٥] ، ﴿ وأوتيت من كل شيء ﴾ [النمل : ٢٣] ، ﴿ فتحنا عليهم أبواب كل شيء ﴾ [الأنعام : ٤٤] ، وإلا فأي عاقل يدعى هذا في جميع صيغ العموم في الكتاب والسنة، وفي سائر كتب الله وكلام أنبيائه، وسائر كلام الأمم **عربهم** وعجمهم .

وأنت إذا قرأت القرآن من أوله إلى آخره، وجدت غالب عموماته محفوظة، لا مخصوصة، سواء عنيت عموم الجمع لأفراده،أو عموم الكل لأجزائه أو عموم الكل لجزئياته، فإذا اعتبرت قوله : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢] ، فهل تجد أحدا من العالمين ليس الله ربه ؟ ﴿ مالك يوم الدين ﴾ [الفاتحة : ٤] ، فهل في يوم الدين شيء لا يملكه." (٢)

"ص -٤٤٥- بهذا؛ لكنه أساء في التعبير أيضا، فإن الكلمة العامة ليس معناها أنها تعم كل شيء، وإنما المقصود أن تعم ما دلت عليه،أي : ما وضع اللفظ له، وما من لفظ في الغالب إلا وهو أخص مما هو فوقه في العموم وأعم مما هو دونه في العموم والجميع يكون عاما . ثم عامة كلام **العرب** وسائر الأمم إنما هو أسماء عامة، والعموم اللفظي على وزان العموم العقلي وهو خاصية العقل، الذي هو أول درجات التمييز بين الإنسان وبين البهائم .

فإن قيل : سلمنا أن ظاهر الكتاب والسنة يشمل النساء، لكن هذا العموم مخصوص؛ وذلك أن في حديث

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٨/١٠١

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤٣/١٠١

رؤية الله للرجال يوم الجمعة : " إن الرجال يرجعون إلى منازلهم فتتلقاهم نساؤهم فيقلن للرجل : لقد جئت وإن بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه ! فيقول : إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار، ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا به " . وهذا دليل على أن النساء لم يشاركوهم في الرؤية، وإذا كان هذا في رؤية الجمعة،ففي رؤية الغداة والعشي أولى؛لأن هذا أعلى من تلك ومن لم يصلح للرؤية في الأسبوع، فكيف يصلح للرؤية في كل يوم مرتين ؟ وإذا انتفت رؤيتهن في هذين الموطنين، ولم يثبت أن الناس يرونه في غير هذين الموطنين، فقد ثبت أن العموم مخصوص منه النساء في هذين الموطنين، وما سواهما لم يثبت لا للرجال ولا للنساء، فلم يبق ما يدل على حصول الرؤية للنساء في موطن آخر، فإما أن يبقى مطلقا عملا بالأصل النافي، وإما أن ينفى عن هذين الموطنين ويتوقف فيما عداهما ولا يحتج على ثبوتها فيه بتلك العمومات." (١)

"ص -٤٥٩- الثالث : أنه خروج إلى الصحراء لذكر الله، فهو شبيه بالحج من بعض الوجوه؛ ولهذا كان العيد الأكبر في موسم الحج موقفة للحجيج، ومعلوم أن الصحابيات إذا علمن أن صلاتهن في بيوتهن أفضل لم يتفق أكثرهن على ترك الأفضل، فإن ذلك يلزم أن يكون أفضل القرون على المفضول من الأعمال .

فإن قيل : هذا التفضيل إنما وقع في حق من بعد الصحابيات لما أحدث النساء ما أحدثن، ولأن من بعد الرسول من الأئمة لا يساويه، فأما الصحابيات فصلاتهن خلف النبي صلى الله عليه وسلم كانت أفضل، ويكون هذا الخطاب عاما خرج منه القرن الأول، فإن تخصيص العموم جائز .

قلنا : هذا خلاف ما علم بالاضطرار من لغة العرب والعجم،وخلاف ما علم بالاضطرار من دين المسلمين،وخلاف ما فطر الله عليه العقلاء،وخلاف ما أجمع المسلمون عليه؛ وذلك لأن قوله : " لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وبيوتهن خير لهن " قد أجمع المسلمون على أن الحاضرين تحقق دخولهم فيه، واختلفوا في القرن الثاني والثالث : هل يدخلون بمطلق الخطاب أم بدليل منفصل ؟ فيه قولان، فأما دخول الغائب دون الحاضر فممتنع باتفاق .

ثم اللغة تحيله، فإن قوله : " لا تمنعوا إماء الله " لا ريب أنه خطاب للصحابة رضي الله عنهم – ابتداء، فكيف تحيل اللغة ألا يدخلوا فيه، ويدخل فيه من بعدهم ؟ أهل اللغة لا يشكون أن هذا ممتنع .." (٢)

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٦/١٠١

(٢) مجموع الفتاوى ، ٦٠/١٠١

"ص -٤٦٤- لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم،وهو في مسلم عن حذيفة أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيه وهو جنب، فذكر معناه .

وفي صحيح مسلم عن بريدة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أمر أميرا على جيش أو سرية، أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال : " اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال " الحديث .

وفي حديث عتبة بن عبيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " القتلى ثلاثة : رجل مؤمن جاهد بماله ونفسه في سبيل الله، حتى إذا لقى عدوا قاتلهم حتى يقتل، فذلك الشهيد المفتخر في خيمة الله تحت ظل عرشه، لا يفضله إلا النبيون بدرجة النبوة، ورجل قرف على نفسه من الذنوب والخطايا جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقى العدو قاتل حتى قتل، فمصمصة تحت ذنوبه وخطاياه، إن السيف محاء للخطايا، وأدخل من أي أبواب الجنة شاء، فإن لها ثمانية أبواب، ولجهنم سبعة أبواب، وبعضها أفضل من بعض، ورجل منافق جاهد بنفسه وماله حتى إذا لقى العدو قاتل في سبيل الله حتى قتل، فإن ذلك في النار، إن السيف لا يمحو النفاق " رواه أحمد وأبو حاتم في صحيحه، ومثل هذا كثير في كلام العرب كقول الشاعر :

متى ما تلقى فرد من ترجو وأبو السنل." (١)

"ص -٤٧١- فإن ضمير المفعول في ﴿ رأوه ﴾ عائد إلى الوعد، والمراد به الموعود،أي : فلما رأوا ما وعدوا سيئت وجوه الذين كفروا .

ومن قال : إن الضمير عائد هنا إلى الله، فقوله ضعيف، وفساد قول الذين يجعلون المراد لقاء الجزاء دون لقاء الله معلوم بالاضطرار، بعد تدبر الكتاب والسنة، يظهر فساده من وجوه :

أحدها : أنه خلاف التفاسير المأثورة عن الصحابة والتابعين .

الثاني : أن حذف المضاف إليه يقارنه قرائن،فلابد أن يكون مع الكلام قرينة تبين ذلك، كما قيل في قوله : ﴿ واسأل القرية التي كنا فيها ﴾ [يوسف : ٨٢] ولو قال قائل : رأيت زيدا، أو لقيته مطلقا، وأراد بذلك لقاء أبيه أو غلامه لم يجز ذلك في لغة العرب بلا نزاع، ولقاء الله قد ذكر في كتاب الله وسنة رسوله في مواضع كثيرة، مطلقا غير مقترن بما يدل على أنه أريد بلقاء الله لقاء بعض مخلوقاته من جزاء أو غيره .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٥/١٠٢

الثالث : أن اللفظ إذا تكرر ذكره في الكتاب، ودار مرة بعد مرة على وجه واحد، وكان المراد به غير مفهومه ومقتضاه عند الإطلاق، ولم يبين ذلك، كان تدليسا وتلبيسا، يجب أن يصان كلام الله عنه، الذي أخبر أنه شفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين، وأنه بيان للناس، وأخبر أن الرسول قد بلغه البلاغ المبين، وأنه بين للناس ما نزل إليهم، وأخبر أن عليه بيانه، ولا." (١)

"ص -٥٢٢- والزهد،والكلام في الحقائق ما هو مشهور،وحكى عنه أبو بكر الكلاباذي صاحب مقالات الصوفية : أنه كان يقول : إن الله يتكلم بصوت،وهذا يوافق قول من يقول : إنه رجع عن قول ابن كلاب . قال أبو بكر الكلاباذي : وقالت طائفة من الصوفية : كلام الله حرف وصوت وأنه لا يعرف كلام إلا كذلك،مع إقرارهم أنه صفة لله في ذاته، وأنه غير مخلوق، قال : وهذا قول الحارث المحاسبي ومن المتأخرين ابن سالم .

وبقى هذا الأصل يدور بين الناس حتى وقع بين أبي بكر بن خزيمة الملقب بإمام الأئمة، وبعض أصحابه بسبب ذلك، فإنه بلغه أنهم وافقوا ابن كلاب فنهاهم وعابهم، وطعن على مذهب ابن كلاب بما كان مشهورا عند أئمة الحديث والسنة .

ومن ذلك الزمان تنازع المنتسبون إلى السنة : من أن الله يتكلم بصوت، أو لا يتكلم بصوت ؟ فإن أتباع ابن كلاب نفوا ذلك، قالوا : لأن المتكلم بصوت يستلزم قيام فعل بالمتكلم متعلق بإرادته، والله عندهم لا يجوز أن يقوم به أمر يتعلق بمشيئته وقدرته : لا فعل ولا غير فعل، فقالوا : إن الله لا يتكلم بصوت، وإنما كلامه معنى و احد هو الأمر والنهي، والخبر إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا .

فقال جمهور العقلاء من أهل السنة وغير أهل السنة : هذا القول معلوم." (٢)

"ص -٥٢٣- الفساد بضرورة العقل، كما هو مخالف للكتاب والسنة، فإنا نعلم أن التوراة إذا عربت لم تكن هي القرآن بل معانيها ليست هي معاني القرآن، ونعلم أن القرآن إذا ترجم بالعبرية لم يصر هو التوراة المنزلة على موسى، ونعلم أن معنى آية الدين ليس هو معنى آية الكرسي، ولا معنى ﴿ تبت يدا أبي لهب

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٣/١٠٢

(٢) مجموع الفتاوى ، ١١/١٠٥

وتب ﴾ [المسد : ١] هو معنى ﴿ قل هو الله أحد ﴾ [الإخلاص : ١] .
قالوا : ومن جعل الأمر والنهي صفات للكلام، لا أنواع له، فقوله معلوم الفساد بالضرورة، وهذا من جنس قول القائلين بوحدة الوجود، فإن من جعل الوجود واحدا بالعين وهو الواجب، والممكن، كان كلامه معلوم الفساد بالضرورة، كمن جعل معاني الكلام معنى واحدا : هي الأمر، والنهي والخبر، لكن الكلام ينقسم إلى الإنشاء والخبر، والإنشاء ينقسم إلى طلب الفعل، وطلب الترك، والخبر ينقسم إلى خبر عن النفي، وخبر عن الإثبات، كما أن الموجود ينقسم إلى واجب وممكن، والممكن ينقسم إلى حي قائم بنفسه وقائم بغيره، والقائم بغيره ينقسم إلى ما تشترط له الحياة وما لا تشترط له الحياة، فلفظ الواحد ينقسم إلى واحد بالنوع، وواحد بالعين .
فقول القائل : الكلام معنى واحد، كقوله : الوجود واحد، فإن أراد به أنه نوع واحد، أو جنس واحد، أو صنف واحد، ونحو ذلك، لم يكن ذلك مثل أن يريد أنه عين واحدة، وذات واحدة، وشخص واحد، فإن هذا مكابرة." (١)

"ص -٥٢٥- لكن قالوا : لا يجوز أن تتعاقب عليه الحوادث،فإن ما تعاقبت عليه الحوادث فهو محدث، ووافقوا المعتزلة في الاستدلال بذلك على حدوث العالم . فكما أن ابن كلاب فرق بين الأعراض والحوادث،فرق هؤلاء في الحوادث بين تجددها،وبين لزومها،فقالوا بنفي لزومها له دون نفي حدوثها،كما قالوا في المخلوقات المنفصلة : إنها تحدث بعد أن لم تكن بمشيئته وقدرته .
والفلاسفة الدهرية يطالبون هؤلاء كلهم بسبب حدوث الحوادث بعد أن لم تكن، وإن ذلك يستلزم الترجيح بلا مرجح، و الحوادث بلا سبب حادث، قالوا : وهو ممتنع في صريح العقل، وهذا أعظم شبههم في قدم العالم وهي المعضلة الزباء [أي : العظيمة . انظر : لسان العرب، مادة : زبى] ، والداهية الدهياء وقد ضاق هؤلاء عن جوابهم، حتى خرجوا إلى الالتزام، وقد بسطنا الكلام على ذلك في غير هذا الموضع .
وبينا الأجوبة القاطعة عن كلام الفلاسفة على طريقة السلف و الأئمة، وأنه من قال بموجب نصوص القرآن والسنة أمكنه أن يناظر الفلاسفة مناظرة عقلية يقطعهم بها، ويتبين له أن العقل الصريح مطابق للسمع الصحيح .
وبينا أيضا كيف تجيبهم كل طائفة من طوائف أهل القبلة؛ لأنهم أقرب إلى الحق من الفلاسفة، فيمكنهم

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٢/١٠٥

أن يجيبوهم بالإلزام جوابا لا محيص للفلاسفة عنه، ويمكنهم أن يقولوا للفلاسفة : قولكم أظهر فسادا في الشرع والعقل من قول كل طائفة من طوائف المسلمين،فتقول لهم كل طائفة من طوائف المسلمين :." [1]

"ص -٥٣١- ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾ [القصص : ٦٢] وقوله : ﴿ وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ﴾ [الأعراف : ٢٢] ، والنداء في لغة العرب هو صوت رفيع، لا يطلق النداء على ما ليس بصوت لا حقيقة ولا مجازا، وإذا كان النداء نوعا من الصوت فالدال على النوع دال على الجنس بالضرورة، كما لو دل دليل على أن هنا إنسانا فإنه يعلم أن هنا حيوانا .

وهذا كما أنه إذا أخبر أن له علما وقدرة، دل على أن له صفة؛ لأن العلم والقدرة نوع من الصفات، و إذا كان لفظ القرآن لم يذكر فيه أن العلم صفة ولا القدرة صفة . وكذلك إذا أخبر في القرآن أنه يخلق ويرزق ويحيي ويميت دل على أنه فاعل، فإن هذه أنواع تحت جنس الفعل،وإن كان ثبوت هذه الصفة بما قد دل عليه القرآن في غير موضع كان ما جاء من الأحاديث موافقا لدلالة القرآن، ولم تكن هذه الصفة ثابتة بمجرد هذا الخبر .

الوجه الثالث : إن ما أخبر الله به في كتابه من تكليم موسى وسمع موسى لكلام الله، يدل على أنه كلمه بصوت، فإنه لا يسمع إلا الصوت، وذلك أن الله قال في كتابه عن موسى : ﴿ فاستمع لما يوحى ﴾ [طه : ١٣] ،وقال في كتابه : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما ﴾ [النساء : ١٦٣، ١٦٤] .." [2]

"ص -٥٣٤- الوجه السادس : أن القرآن كلام الله باتفاق المسلمين، فإذا كان كلامه هو المعنى فقط، والنظم العربي الذي يدل على المعاني ليس كلام الله كان مخلوقا خلقه الله في غيره، فيكون كلاما لذلك الغير؛لأن الكلام إذا خلق في محل كان كلاما لذلك الغير كما تقدم، فيكون الكلام العربي ليس كلام الله،بل كلام غيره،ومن المعلوم بالاضطرار من دين المسلمين أن الكلام العربي الذي بلغه محمد صلى الله عليه وسلم عن الله أعلم أمته أنه كلام الله لا كلام غيره،فإن كان النظم العربي مخلوقا لم يكن كلام الله فيكون ما تلقته الأمة عن نبيها باطلا .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٠٥/١٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٠٥/٢٠

وهذا من أعظم حجج السنية على الجهمية من أن القرآن غير مخلوق، فإنهم قالوا : لو خلقه في غيره لكان صفة لذلك الغير، كسائر الصفات المخلوقة إذا خلقها الله في محل كانت صفة لذلك المحل، وهذا بعينه يدل على أن القرآن **العربي** كلام الله لا كلام غيره، إذ لو كان مخلوقا في محل لكان الكلام **العربي** كلاما لذلك المحل الذي خلق فيه، وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن الكلام **العربي** كلام الله لا كلام غيره .

وهذا يبطل قول من قال من المتأخرين : إن الكلام يقال بالاشتراك على اللفظ والمعنى، فإنه يقال لهم : إذا كان كل منهما يسمى كلاما حقيقة، امتنع أن يكون واحد منهما مخلوقا، إذ لو كان مخلوقا لكان كلاما للمحل الذي خلق فيه .." (١)

"ص -٥٣٥- ولهذا لم يكن قدماء الكلابية يقولون : إن لفظ الكلام مشترك بين اللفظ والمعنى؛ لأن ذلك يبطل حجتهم على المعتزلة، ويوجب عليهم القول بأن كلام الله مخلوق، لكن كانوا يقولون : إن إطلاق الكلام على اللفظ بطريق المجاز، وعلى المعنى بطريق الحقيقة، فعلم متأخروهم أن هذا فاسد بالضرورة وأن اسم الكلام يتناول اللفظ حقيقة فجعلوه مشتركا، فلزمهم أن يكون كلام الله مخلوقا، فهم بين محذورين : إما القول بأن كلام الله مخلوق، وإما القول بأن القرآن **العربى** ليس كلام الله، وكلا الأمرين معلوم الفساد، وليس الكلام في نفس أصوات العباد وحركاتهم، بل الكلام في نفس القرآن **العربى** المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

ويظهر ذلك بأن نقدر الكلام في القرآن قبل أن ينزل إليه ويبلغه إلى الخلق . فإن قيل : إنه كله كلام الله تكلم به وبلغه عنه جبريل إلى محمد كما هو المعلوم من دين المرسلين كان هذا صريحا بأنه لا فرق بين الحروف والمعاني وأن هذا من كلام الله، كما أن هذا من كلام الله، وإن قيل : إنه خلق في غيره حروفا منظمة دلت على معنى قائم بذاته، فقد صرح بأن تلك الحروف المؤلفة ليست كلامه، وأنه لم يتكلم بها بحال . وإذا قيل : إن تلك تسمى كلاما حقيقة وقد خلقت في غيره، لزم أن تكون كلاما لذلك الغير فلا يكون كلام الله، وهو خلاف المعلوم من دين الإسلام، وإن قيل : لا يسمى كلاما حقيقة كان خلاف المعلوم من اللغة والشريعة ضرورة .

ونحن لا نمنع أن المعنى وحده قد يسمى كلاما، كما قد يسمى اللفظ وحده." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٣/١٠٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٤/١٠٥

"ص –٥٣٦– كلاما، لكن الكلام في القرآن الذي هو لفظ، ومعنى هل جميعه كلام الله ؟ أم لفظه كلام الله، دون معناه ؟ أم معناه كلام الله دون لفظه ؟ ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن الجميع كلام الله، وقد قال تعالى : ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾ إلى قوله : ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ [النحل : ١٠١ ١٠٣] ، كان بعض المشركين يقولون : إن محمدا إنما يتعلم القرآن من عبد لبني الحضرمي، فقال الله تعالى : لسان الذي يضيفون إليه القرآن لسان أعجمي وهذا لسان عربي مبين .

وهذا يبين أن محمدا بلغ القرآن لفظه ومعناه، لم ينزل عليه معان مجردة، إذ لو كان كذلك لأمكن أن يقال : تلقى من هذا الأعجمي معان صاغها بلسانه، فلما ذكر قوله : ﴿ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ [النحل : ١٠٣] بعد قوله : ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾ [النحل : ١٠٢] دل ذلك على أن روح القدس نزل بهذا اللسان العربي المبين .

الوجه السابع : أن كلام الله وسائر الكلام، يسمع من المتكلم، كما سمع موسى كلام الله من الله، وسمع الصحابة كلام النبي صلى الله عليه وسلم منه، وتارة يسمع من المبلغ عنه، كما سمع المسلمون القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم، والمبلغين عنه،." (١)

"ص –٥٣٧– ومنه قوله تعالى : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ [التوبة : ٦] ،وكما يسمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة، ثم من المعلوم أن المحدث إذا حدث بقوله : " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى "كان الكلام كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظه ومعناه،تكلم به بصوته والمحدث بلغه بحركاته وأصواته .

ثم من المعلوم أن المبلغ عن النبي صلى الله عليه وسلم وأمثاله من الناطقين تكلم به بحروفه ومعانيه، مع إمكان الرواية عنه بالمعنى، وإمكان قيام ألفاظ مكان ألفاظ، كما حكى الله في القرآن أقوال أمم تكلمت بغير الكلام العربي،ولو قدر أن المبلغ عنه لم يتكلم إلا بمعنى الكلام وعبر عنه لكان كالأخرس الذي تقوم بذاته المعاني من غير تعبير عنها حتى يعبر عنها غيره بعبارة لذلك الغير،ومن المعلوم أن الكلام صفة كمال تنافى الخرس،فإذا كان من قال : إن الله لا يقوم به كلام،فقد شبهه بالجامدات ووصفه بالنقص وسلبه الكمال،فمن قال أيضا : إنه لا يعبر عما في نفسه من المعاني إلا بعبارة تقوم بغيره،فقد شبهه بالأخرس

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٥/١٠٥

الذي لا يعبر عن نفسه إلا بعبارة تقوم بغيره،وهذا قول يسلبه صفة الكمال ويجعل غيره من مخلوقاته أكمل منه .

وقد قرر في غير هذا الموضع أن كل كمال يثبت لمخلوق فالخالق أولى به، وكل نقص تنزه عنه مخلوق، فالخالق أولى بالتنزه عنه، وكان هذا من الأدلة الدالة على إثبات صفات الكمال له كالحياة والعلم والقدرة، فإن هذه صفات كمال." (١)

"ص -٥٤٢- يكون الآخر الذي أنشأ ذلك، فلما أضافه إلى هذا تارة، وإلى هذا تارة، علم أنه أضافه إليه لأنه بلغه وأداه لا لأنه أنشأه وابتداه، لا لفظه ولا معناه؛ ولهذا قال : ﴿ لقول رسول كريم ﴾ ولم يقل : لقول ملك ولا نبي . فذكر ذلك بلفظ الرسول ليبين أنه يبلغ عن غيره، كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ [المائدة : ٦٧] ، وفي السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض نفسه على الناس في الموسم ويقول : " ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي " .

وأيضا، فإن قوله : ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ عائد إلى القرآن فتناوله للفظ كتناوله للمعنى، والقرآن اسم لهما جميعا، ولهذا إذا فسره المفسر، وترجمه المترجم، لم يقل لتفسيره وترجمته إنه قرآن، بل اتفق المسلمون على جواز مس المحدث لكتب التفسير، واتفقوا على أنه لا تجوز الصلاة بتفسيره وكذلك ترجمته بغير العربية عند عامة أهل العلم، والقول المروي عن أبي حنيفة قيل : إنه رجع عنه، وقيل : إنه مشروط بتسمية الترجمة قرآنا . وبكل حال فتجويز إقامة الترجمة مقامه في بعض الأحكام لا يقتضي تناول اسمه لها، كما أن القيمة إذا أخرجت من الزكاة عن الإبل والبقر والغنم لم تسم إبلا، ولا بقرا، ولا غنما، بل تسمى باسمها كائنة ما كانت .

وكذلك لفظ التكبير في الصلاة،إذا عدل عنه إلى لفظ التسبيح ونحوه،وقيل : إن الصلاة تنعقد بذلك كما يقوله أبو حنيفة لم يقل : إن ذلك لفظ تكبير،." (٢)

"ص -٥٤٤- مخلوقا في الهواء أو غيره جعله كلاما لذلك الهواء . وكفر من قال : إنه قول الملك، أو قول الهواء، أو الشجر، بل كفر من قال : إنه قول البشر، فدل ذلك على أنه ليس شيء من القرآن لا لفظه، ولا معناه من قول أحد من المخلوقين ولا من كلامه، بل هو كلام الله تعالى، وأيضا فالإشارة في قوله

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٠٥/٢٦

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٠٥/٣١

: ﴿ إن هذا إلا قول البشر ﴾ لا تعود إلى المعنى دون اللفظ، بل إليهما .

الوجه العاشر : وهو أن الله أخبر أن القرآن منزل من الله، كما قال : ﴿ والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ﴾ [الأنعام : ١١٤] ، وقال : ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾ [النحل : ١٠٢] ، وقال : ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾ [الزمر : ١] ، الضمير يتناول اللفظ والمعنى جميعا لا سيما ما في قوله : ﴿ تنزيل الكتاب ﴾ فإن الكتاب عند من يقول : إن كلام الله هو المعنى دون الحروف اسم للنظم **العربي**، والكلام عنده اسم للمعنى، والقرآن مشترك بينهما، فلفظ الكتاب يتناول اللفظ **العربي** باتفاق الناس .

فإذا أخبر أن ﴿ تنزيل الكتاب من الله ﴾ علم أن النظم **العربي** منزل من الله وذلك يدل على ما قال السلف : إنه منه بدأ،أي هو الذي تكلم به، وهذا جواب مختصر عن سؤال السائل بحسب ما احتملته هذه الورقة؛ إذ الكلام على ذلك مبسوط في مواضع أخر، والله أعلم . والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، وحسبنا الله ونعم الوكيل .." (١)

"ص -٥٦٣- إياهم : ﴿ في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ [القمر : ٥٥] ، وقد قضى أنهم لا يموتون، فهم بالنظر إليه ينضرون .

إلى أن قال : وإنما جحد رؤية الله يوم القيامة إقامة للحجة الضالة المضلة؛ لأنه قد عرف أنه إذا تجلى لهم يوم القيامة، رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين، وكان له جاحدا . وقال المسلمون : يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟ " قالوا : لا . قال : " فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ " قالوا : لا . قال : " فإنكم ترون ربكم كذلك " .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تمتلئ النار حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول : قط، قط، وينزوي بعضها إلى بعض " ، وقال لثابت بن قيس : " قد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة " ، وقال فيما بلغنا عنه : " إن الله يضحك من أزلكم وقنوطكم وسرعة إجابتكم " ، وقال له رجل من **العرب** : إن ربنا ليضحك ؟ قال : " نعم " قال : لن نعدم من رب يضحك خيرا . في أشباه لهذا مما لم نحصه .

وقال تعالى : ﴿ وهو السميع البصير ﴾ [الشورى : ١١] ، ﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ﴾ [الطور : ٤٨] ، وقال : ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ [طه : ٣٩] ، وقال : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٣/١٠٥

بيدي ﴾ [ص : ٧٥] ، وقال : ﴿ والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ [الزمر : ٦٧] .." (١)

"ص -٥٨٠- ثم إنه من المعلوم أن من جعله الله هاديا مبلغا بلسان عربي مبين، إذا كان لا يتكلم قط إلا بما يخالف الحق الباطن الحقيقي، فهو إلى الضلال والتدليس أقرب منه إلى الهدى والبيان، وبسط الرد عليهم له موضع غير هذا . والمقصود أن ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب وغيره كله حق يصدق بعضه بعضا، وهو موافق لفطرة الخلائق، وما جعل فيهم من العقول الصريحة، والقصود الصحيحة، لا يخالف العقل الصريح، ولا القصد الصحيح، ولا الفطرة المستقيمة، ولا النقل الصحيح الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وإنما يظن تعارضها : من صدق بباطل من النقول، أو فهم منه ما لم يدل عليه، أو اعتقد شيئا ظنه من العقليات وهو من الجهليات، أو من الكشوفات وهو من الكسوفات إن كان ذلك معارضا لمنقول صحيح وإلا عارض بالعقل الصريح، أو الكشف الصحيح، ما يظنه منقولا عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويكون كذبا عليه، أو ما يظنه لفظا دالا على شيء ولا يكون دالا عليه، كما ذكروه في قوله صلى الله عليه وسلم : " الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه " ؛ حيث ظنوا أن هذا وأمثاله يحتاج إلى التأويل، وهذا غلط منهم لو كان هذا اللفظ ثابتا عن النبي صلى الله عليه وسلم فإن هذا اللفظ صريح في أن الحجر ليس هو من صفات الله، إذ قال : " هو يمين الله في الأرض " ، فتقييده بالأرض يدل على أنه ليس هو يده على." (٢)

"ص -٥٨٧- والتأثير، خلطوا الكلام معهم بالمناظرة في الحساب، وقالوا على سبيل التجويز يجوز أن تكون مربعة أو مسدسة أو غير ذلك، ولم ينفوا أن تكون مستديرة لكن جوزوا ضد ذلك، وما علمت من قال أنها غير مستديرة وجزم بذلك إلا من لا يؤبه له من الجهال .

ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى : ﴿ وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون ﴾ [الأنبياء : ٣٣] ، وقال تعالى : ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ [يس : ٤٠] .

قال ابن عباس وغيره من السلف : في فلكة مثل فلكة المغزل، وهذا صريح بالاستدارة والدوران، وأصل ذلك

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٠/١٠٦

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣٧/١٠٦

: أن الفلك في اللغة : هو الشيء المستدير، يقال : تفلك ثدي الجارية إذا استدار، ويقال لفلكة المغزل المستديرة : فلكة، لاستدارتها .

فقد اتفق أهل التفسير واللغة على أن الفلك : هو المستدير، والمعرفة لمعاني كتاب الله إنما تؤخذ من هذين الطريقين : من أهل التفسير الموثوق بهم من السلف، ومن اللغة : التي نزل القرآن بها، وهي لغة **العرب** .

وقال تعالى : ﴿ يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ﴾ [الزمر : ٥] ، قالوا : والتكوير : التدوير، يقال : كورت العمامة، وكورتها : إذا دورتها، ويقال : للمستدير كارة، وأصله كورة، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا،." (١)

"ص -٥٩٠- وقت الاستهلال، فإن هذه دعوى باطلة اتفق علماء الشريعة الأعلام على تحريم العمل بذلك في الهلال .

واتفق أهل الحساب العقلاء على أن معرفة ظهور الهلال لا يضبط بالحساب ضبطا تاما قط، ولذلك لم يتكلم فيه حذاق الحساب، بل أنكروه، وإنما تكلم فيه قوم من متأخريهم تقريبا، وذلك ضلال عن دين الله وتغيير له، شبيه بضلال اليهود والنصارى عما أمروا به من الهلال، إلى غاية الشمس، وقت اجتماع القرصين، الذي هو الاستسرار، وليس بالشهور الهلالية، ونحو ذلك .

والنسيء الذي كان في **العرب** : الذي هو زيادة في الكفر الذي يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ما ذكر ذلك علماء الحديث والسير والتفسير وغيرهم .

وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إنا أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب، صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤية " .

فمن أخذ علم الهلال الذي جعله الله مواقيت للناس والحج بالكتاب والحساب، فهو فاسد العقل والدين .

والحساب إذا صح حسابه أكثر ما يمكنه ضبط المسافة التي بين الشمس والقمر، وقت الغروب مثلا، وهو الذي يسمى بعد القمر عن الشمس، لكن كونه يرى لا محالة، أو لا يرى بحال لا يعلم بذلك .." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣/١٠٧

(٢) مجموع الفتاوى ، ٦/١٠٧

"ص –٥٩٥– والشمس والقمر في الفلك، كما أخبر الله تعالى لا تنتقل من سماء إلى سماء .
وليست السموات متصلة بالأرض، لا على جبل قاف ولا غيره، بل الأفلاك مستديرة، كما أخبر الله ورسوله، وكما ذكر ذلك علماء المسلمين وغيرهم ، فذكر أبو الحسين ابن المنادي، وأبو محمد بن حزم، وأبو الفرج بن الجوزي، وغيرهم إجماع المسلمين على أن الأفلاك مستديرة، وقال ابن عباس في قوله : ﴿كل في فلك يسبحون﴾ قال : في فلكة مثل فلكة المغزل، والفلك في لغة **العرب** الشيء المستدير، يقال : تفلك ثدي الجارية إذا استدار .
وقد خلق الله سبع أرضين، بعضهن فوق بعض، كما ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من ظلم شبرا من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة " وقد ذكر أبو بكر الأنباري الإجماع على ذلك، وأراد به إجماع أهل الحديث والسنة .
وتحت العرش بحر، كما جاء في الأحاديث، وكما ذكر في تفسير القرآن، وكما أخبر الله أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء .
والعرش فوق جميع المخلوقات، وهو سقف جنة عدن التي هي أعلا الجنة، كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أعلا الجنة، وسقفه عرش الرحمن " .." (١)

"مجموع فتاوى ابن تيمية – الجزء السابع
دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة **العربية** السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م
إعداد موقع روح الإسلام
(www.islamspirit.com)." (٢)

"ص –١٨– مؤمنا، وأخبر هنا أن متوليهم هو منهم، فالقرآن يصدق بعضه بعضا، قال الله تعالى : ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ الآية [الزمر : ٢٣] ، وكذلك قوله : ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٥/١٠٨
(٢) مجموع الفتاوى ، ١/١١٠

يستأذنوه﴾ [النور : ٦٢] : دليل على أن الذهاب المذكور بدون استئذانه لا يجوز، وأنه يجب ألا يذهب حتى يستأذن، فمن ذهب ولم يستأذن كان قد ترك بعض ما يجب عليه من الإيمان؛فلهذا نفى عنه الإيمان، فإن حرف [إنما] تدل على إثبات المذكور ونفي غيره .

ومن الأصوليين من يقول : إن [إن] للإثبات، و [ما] للنفي، فإذا جمع بينهما دلت على النفي والإثبات، وليس كذلك عند أهل **العربية**، ومن يتكلم في ذلك بعلم، فإن [ما] هذه هي الكافة التي تدخل على [إن] وأخواتها فتكفها عن العمل؛ لأنها إنما تعمل إذا اختصت بالجمل الإسمية، فلما كفت بطل عملها واختصاصها، فصار يليها الجمل الفعلية والإسمية، فتغير معناها وعملها جميعا بانضمام [ما] إليها، وكذلك كأنما وغيرها .." (١)

"ص -٥٥- وقوله : ﴿ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ﴾ [البينة : ٦] ، وقوله تعالى : ﴿ وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ﴾ [آل عمران : ٢٠] . وليس أحد بعد مبعث محمد صلىالله عليه وسلم إلا من الذين أوتوا الكتاب أو الأميين، وكل أمة لم تكن من الذين أوتوا الكتاب فهم من الأميين؛ كالأميين من **العرب** ومن الخزر والصقالبة والهند والسودان وغيرهم من الأمم الذين لا كتاب لهم، فهؤلاء كلهم أميون، والرسول مبعوث إليهم كما بعث إلى الأميين من **العرب** .

وقوله : ﴿ وقل للذين أوتوا الكتاب ﴾ وهو إنما يخاطب الموجودين في زمانه بعد النسخ والتبديل يدل على أن من دان بدين اليهود والنصارى، فهو من الذين أوتوا الكتاب، لا يختص هذا اللفظ بمن كانوا متمسكين به قبل النسخ والتبديل، ولا فرق بين أولادهم وأولاد غيرهم، فإن أولادهم إذا كانوا بعد النسخ والتبديل ممن أوتوا الكتاب، فكذلك غيرهم إذا كانوا كلهم كفارا، وقد جعلهم الذين أوتوا الكتاب بقوله : ﴿ وقل للذين أوتوا الكتاب ﴾ [آل عمران : ٢٠] ، وهو لا يخاطب بذلك إلا من بلغته رسالته، لا من مات؛ فدل ذلك على أن قوله : ﴿ وطعام الذين أوتوا الكتاب ﴾ [المائدة : ٥] يتناول هؤلاء كلهم، كما هو مذهب الجمهور من السلف والخلف، وهو مذهب مالك، وأبي حنيفة، وهو المنصوص عن أحمد في عامة أجوبته، لم يختلف كلامه إلا في نصارى بني تغلب، وآخر الروايتين عنه : أنهم تباح نساؤهم وذبائحهم، كما هو قول جمهور الصحابة .." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٧/١١١

(٢) مجموع الفتاوى ، ٥٩/١١١

"ص -٧٥- ﴿ فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا إلا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين ﴾ [الشعراء : ٩٤ : ١٠٢] .

وقوله : ﴿ إذ نسويكم ﴾ لم يريدوا به أنهم جعلوهم مساوين لله من كل وجه، فإن هذا لم يقله أحد من بني آدم، ولا نقل عن قوم قط من الكفار أنهم قالوا : إن هذا العالم له خالقان متماثلان، حتى المجوس القائلين [بالأصلين : النور والظلمة] متفقون على أن النور خير يستحق أن يعبد ويحمد، وأن الظلمة شريرة تستحق أن تذم وتلعن، واختلفوا : هل الظلمة محدثة أو قديمة ؟ على قولين، وبكل حال لم يجعلوها مثل النور من كل وجه .

وكذلك مشركو **العرب**، كانوا متفقين على أن أربابهم لم تشارك الله في خلق السموات والأرض، بل كانوا مقرين بأن الله وحده خلق السموات والأرض وما بينهما، كما أخبر الله عنهم بذلك في غير آية، كقوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون ﴾ [العنكبوت : ٦١ : ٦٣] ، وقال تعالى :." (١)

"ص -٨٨- أن الحقيقة والمجاز من عوارض الألفاظ وبكل حال فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم كمالك والثوري والأوزاعي وأبي حنيفة والشافعي بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل وسيبويه وأبي عمرو بن العلاء ونحوهم . وأول من عرف أنه تكلم بلفظ [المجاز] أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه . ولكن لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة . وإنما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية، ولهذا قال من قال من الأصوليين - كأبي الحسين البصري وأمثاله - إنما تعرف الحقيقة من المجاز بطرق منها : نص أهل اللغة على ذلك بأن يقولوا : هذا حقيقة وهذا مجاز ، فقد تكلم بلا علم ، فإنه ظن أن أهل اللغة قالوا : هذا ولم يقل ذلك أحد من أهل اللغة ولا من سلف الأمة وعلمائها .

وإنما هذا اصطلاح حادث والغالب أنه كان من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين فإنه لم يوجد هذا في كلام أحد من أهل الفقه والأصول والتفسير والحديث ونحوهم من السلف . وهذا الشافعي هو أول من

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٨٣/١١١

جرد الكلام في [أصول الفقه] لم يقسم هذا التقسيم ولا تكلم بلفظ [الحقيقة والمجاز] .

وكذلك محمد بن الحسن له في المسائل المبنية على العربية كلام معروف في [الجامع الكبير] وغيره، ولم يتكلم بلفظ الحقيقة والمجاز . وكذلك سائر الأئمة لم يوجد." (١)

"ص -٩٠- إسحاق الإسفراييني . وقال المنازعون له : النزاع معه لفظي فإنه إذا سلم أن في اللغة لفظا مستعملا في غير ما وضع له لا يدل على معناه إلا بقرينة، فهذا هو المجاز وإن لم يسمه مجازا . فيقول من ينصره : إن الذين قسموا اللفظ : حقيقة و مجازا قالوا : [الحقيقة] هو اللفظ المستعمل فيما وضع له . [والمجاز] هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له كلفظ الأسد والحمار إذا أريد بهما البهيمة أو أريد بهما الشجاع والبليد .

وهذا التقسيم والتحديد يستلزم أن يكون اللفظ قد وضع أولا لمعنى ثم بعد ذلك قد يستعمل في موضوعه وقد يستعمل في غير موضوعه، ولهذا كان المشهور عند أهل التقسيم أن كل مجاز فلا بد له من حقيقة وليس لكل حقيقة مجاز ؟ فاعترض عليهم بعض متأخريهم وقال : اللفظ الموضوع قبل الاستعمال لا حقيقة ولا مجاز فإذا استعمل في غير موضوعه فهو مجاز لا حقيقة له .

وهذا كله إنما يصح لو علم أن الألفاظ العربية وضعت أولا لمعان ثم بعد ذلك استعملت فيها، فيكون لها وضع متقدم على الاستعمال . وهذا إنما صح على قول من يجعل اللغات اصطلاحية فيدعي أن قوما من العقلاء اجتمعوا واصطلحوا على أن يسموا هذا بكذا وهذا بكذا ويجعل هذا عاما في جميع اللغات .

وهذا القول لا نعرف أحدا من المسلمين قاله قبل أبي هاشم بن الجبائي، فإنه وأبا الحسن الأشعري كلاهما قرأ على أبي علي الجبائي لكن الأشعري رجع عن مذهب المعتزلة وخالفهم في القدر والوعيد وفي الأسماء والأحكام وفي." (٢)

"ص -٩١- صفات الله تعالى وبين من تناقضهم وفساد قولهم ما هو معروف عنه . فتنازع الأشعري وأبو هاشم في مبدأ اللغات، فقال أبو هاشم : هي اصطلاحية وقال الأشعري : هي توقيفية . ثم خاض الناس بعدهما في هذه المسألة، فقال آخرون : بعضها توقيفي وبعضها اصطلاحي وقال فريق رابع بالوقف . المقصود هنا أنه لا يمكن أحدا أن ينقل عن العرب بل ولا عن أمة من الأمم أنه اجتمع جماعة فوضعوا جميع هذه الأسماء الموجودة في اللغة ثم استعملوها بعد الوضع وإنما المعروف المنقول بالتواتر استعمال

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١١١/١٠٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ١١١/١٠٢

هذه الألفاظ فيما عنوه بها من المعاني فإن ادعى مدع أنه يعلم وضعا يتقدم ذلك فهو مبطل فإن هذا لم ينقله أحد من الناس .

ولا يقال : نحن نعلم ذلك بالدليل، فإنه إن لم يكن اصطلاح متقدم لم يمكن الاستعمال . قيل : ليس الأمر كذلك، بل نحن نجد أن الله يلهم الحيوان من الأصوات ما به يعرف بعضها مراد بعض وقد سمي ذلك منطقا وقولا في قول سليمان : ﴿ علمنا منطق الطير ﴾ [النمل : ١٦] . وفي قوله : ﴿ قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ﴾ [النمل : ١٨] وفي قوله : ﴿ يا جبال أوبي معه والطير ﴾ [سبأ : ١٠] .

وكذلك الآدميون، فالمولود إذا ظهر منه التمييز سمع أبويه أو من يربيه ينطق باللفظ ويشير إلى المعنى فصار يفهم أن ذلك اللفظ يستعمل في ذلك المعنى أي : أراد المتكلم به ذلك المعنى ثم هذا يسمع لفظا بعد لفظ حتى يعرف لغة القوم الذين نشأ بينهم من غير أن يكونوا قد اصطلحوا معه على وضع متقدم، بل ولا أوقفوه على معاني الأسماء." (١)

"ص -٩٢- وإن كان أحيانا قد يسأل عن مسمى بعض الأشياء فيوقف عليها كما يترجم للرجل اللغة التي لا يعرفها فيوقف على معاني ألفاظها وإن باشر أهلها مدة علم ذلك بدون توقيف من أحدهم .

نعم قد يضع الناس الاسم لما يحدث مما لم يكن من قبلهم يعرفه فيسميه كما يولد لأحدهم ولد فيسميه اسما إما منقولا وإما مرتجلا وقد يكون المسمى واحدا لم يصطلح مع غيره وقد يستوون فيما يسمونه .

وكذلك قد يحدث للرجل آلة من صناعة أو يصنف كتابا أو يبني مدينة ونحو ذلك فيسمي ذلك باسم لأنه ليس من الأجناس المعروفة حتى يكون له اسم في اللغة العامة . وقد قال الله : ﴿ الرحمن ﴾ [الرحمن : ١] ﴿ علم القرآن ﴾ [الرحمن : ٢] ﴿ خلق الإنسان ﴾ [الرحمن : ٣] ﴿ علمه البيان ﴾ [الرحمن : ٤] . و ﴿ قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ﴾ [فصلت : ٢١] . وقال : ﴿ الذي خلق فسوى ﴾ [الأعلى : ٢] ﴿ والذي قدر فهدى ﴾ [الأعلى : 3] . فهو سبحانه يلهم الإنسان المنطق كما يلهم غيره .

وهو سبحانه إذا كان قد علم آدم الأسماء كلها وعرض المسميات على الملائكة كما أخبر بذلك في كتابه فنحن نعلم أنه لم يعلم آدم جميع اللغات التي يتكلم بها جميع الناس إلى يوم القيامة وأن تلك اللغات اتصلت إلى أولاده فلا يتكلمون إلا بها فإن دعوى هذا كذب ظاهر فإن آدم عليه السلام إنما ينقل عنه بنوه

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٠٣/١١١

وقد أغرق الله عام الطوفان جميع ذريته إلا من في السفينة وأهل السفينة انقطعت ذريتهم إلا أولاد نوح ولم يكونوا يتكلمون بجميع ما تكلمت به الأمم بعدهم .

فإن [اللغة الواحدة] كالفارسية والعربية والرومية والتركية فيها من الاختلاف والأنواع ما لا يحصيه إلا الله ، والعرب أنفسهم." (١)

"ص -٩٥- ومما يدل على أن هذه اللغات ليست متلقاة عن آدم، أن أكثر اللغات ناقصة عن اللغة العربية ليس عندهم أسماء خاصة للأولاد والبيوت والأصوات وغير ذلك مما يضاف إلى الحيوان، بل إنما ستعملون في ذلك الإضافة .

فلو كان آدم عليه السلام علمها الجميع لعلمها متناسبة ، وأيضا فكل أمة ليس لها كتاب ليس في لغتها أيام الأسبوع ، وإنما يوجد في لغتها اسم اليوم والشهر والسنة؛ لأن ذلك عرف بالحس والعقل، فوضعت له الأمم الأسماء، لأن التعبير يتبع التصور .

وأما الأسبوع فلم يعرف إلا بالسمع ، لم يعرف أن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش إلا بأخبار الأنبياء الذين شرع لهم أن يجتمعوا في الأسبوع يوما يعبدون الله فيه ويحفظون به الأسبوع الأول الذي بدأ الله فيه خلق هذا العالم، ففي لغة العرب والعبرانيين ، ومن تلقى عنهم ، أيام الأسبوع، بخلاف الترك ونحوهم، فإنه ليس في لغتهم أيام الأسبوع لأنهم لم يعرفوا ذلك فلم يعبروا عنه .

فعلم أن الله ألهم النوع الإنساني أن يعبر عما يريده ويتصوره بلفظه وأن أول من علم ذلك أبوهم آدم وهم علموا كما علم وإن اختلفت اللغات .

وقد أوحى الله إلى موسى بالعبرانية وإلى محمد بالعربية، والجميع كلام الله ، وقد بين الله بذلك ما أراد من خلقه وأمره ، وإن كانت هذه اللغة ليست الأخرى ، مع أن العبرانية من أقرب اللغات إلى العربية حتى إنها أقرب إليها من لغة بعض العجم إلى بعض .

فبالجملة نحن ليس غرضنا إقامة الدليل على عدم ذلك، بل يكفينا أن يقال :." (٢)

"ص -٩٧- يستعمل في عرف بعض الناس في ذوات الأربع وفي عرف بعض الناس في الفرس وفي عرف بعضهم في الحمار .

والثالث مثل لفظ الغائط و الظعينة والراوية و المزادة فان الغائط في اللغة هو المكان المنخفض من الأرض

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٠٤/١١١

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٠٧/١١١

فلما كانوا ينتابونه لقضاء حوائجهم سموا ما يخرج من الإنسان باسم محله والظعينة اسم الدابة ثم سموا المرأة التي تركبها باسمها ونظائر ذلك و المقصود أن هذه الحقيقة العرفية لم تصر حقيقة لجماعة تواطئوا على نقلها ولكن تكلم بها بعض الناس وأراد بها ذلك المعنى العرفي ثم شاع الاستعمال فصارت حقيقة عرفية بهذا الاستعمال؛ ولهذا زاد من زاد منهم في حد الحقيقة في اللغة التي بها التخاطب ثم هم يعلمون ويقولون : إنه قد يغلب الاستعمال على بعض الألفاظ، فيصير المعنى العرفي أشهر فيه ولا يدل عند الإطلاق إلا عليه، فتصير الحقيقة العرفية ناسخة للحقيقة اللغوية واللفظ مستعمل في هذا الاستعمال الحادث للعرفي وهو حقيقة من غير أن يكون لما استعمل فيه ذلك تقدم وضع فعلم أن تفسير الحقيقة بهذا لا يصح وإن قالوا نعني بما وضع له ما استعملت فيه أولا، فيقال : من أين يعلم أن هذه الألفاظ التي كانت العرب تتخاطب بها عند نزول القرآن وقبله لم تستعمل قبل ذلك في معنى شيء آخر وإذا لم يعلموا هذا النفي فلا يعلم أنها حقيقة وهذا خلاف ما اتفقوا عليه وأيضا فيلزم من هذا أن لا يقطع بشيء من الألفاظ أنه حقيقة وهذا لا يقوله عاقل .." (١)

"ص –١٠١– قيد فليس في الكلام الذي يتكلم به جميع الناس لفظ مطلق عن كل قيد سواء كانت الجملة اسمية أو فعلية . ولهذا كان لفظ [الكلام] و [الكلمة] في لغة العرب بل وفي لغة غيرهم لا تستعمل الا في المقيد وهو الجملة التامة اسمية كانت أو فعلية، أو ندائية ان قيل انها قسم ثالث .

فأما مجرد الاسم أو الفعل أو الحرف الذي جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل فهذا لا يسمى في كلام العرب قط كلمة وانما تسمية هذا كلمة اصطلاح نحوى كما سموا بعض الألفاظ فعلا وقسموه إلى فعل ماض ومضارع وأمر والعرب لم تسم قط اللفظ فعلا بل النحاة اصطلحوا على هذا فسموا اللفظ باسم مدلوله فاللفظ الدال على حدوث فعل في زمن ماض سموه فعلا ماضيا وكذلك سائرها .

وكذلك حيث وجد في الكتاب والسنة بل وفي كلام العرب نظمه ونثره لفظ كلمة فانما يراد به المفيد التى تسميها النحاة جملة تامة كقوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا وقوله تعالى : ﴿ وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا ﴾ [التوبة : ٤٠] ، وقوله تعالى : ﴿ تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴾ [آل عمران : ٦٤] ، وقوله : ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾ [الزخرف : ٢٨] ، وقوله : ﴿ وألزمهم كلمة التقوى وكانوا

(١) مجموع الفتاوى ، ١٠٩/١١١

أحق بها وأهلها ﴾ [الفتح : ٢٦] ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : [أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل] .." (١)

"ص -١٠٥- الظاهر الذي لم يرد به ما يدل عليه ظاهره قد يؤخر بيانه احتجوا بقوله : ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ [البقرة : ٦٧] . وادعوا أنها كانت معينة وأخر بيان التعيين . وهذا خلاف ما استفاض عن السلف من الصحابة والتابعين لهم باحسان من أنهم أمروا ببقرة مطلقة فلو أخذوا بقرة من البقر فذبحوها، أجزأ

عنهم، ولكن شددوا فشدد الله عليهم . والآية نكرة في سياق الاثبات، فهي مطلقة والقرآن يدل سياقه على أن الله ذمهم على السؤال بما هى ولو كان المأمور به معينا لما كانوا ملومين ثم إن مثل هذا لم يقع قط في أمر الله ورسوله أن يأمر عباده بشيء معين ويبهمه عليهم مرة بعد مرة ولا يذكره بصفات تختص به ابتداء . واحتجوا بأن الله أخر بيان لفظ الصلاة والزكاة والحج وان هذه الالفاظ لها معان في اللغة بخلاف الشرع وهذا غلط فان الله انما أمرهم بالصلاة بعد أن عرفوا المأمور به وكذلك الصيام ، وكذلك الحج، ولم يؤخر الله قط بيان شيء من هذه المأمورات ولبسط هذه المسألة موضع آخر .

وأما قول من يقول ان الحقيقة ما يسبق إلى الذهن عند الاطلاق فمن أفسد الأقوال فانه يقال إذا كان اللفظ لم ينطق به الا مقيدا فانه يسبق إلى الذهن في كل موضع منه ما دل عليه ذلك الموضع واما إذا اطلق فهو لا يستعمل في الكلام مطلقا قط فلم يبق له حال اطلاق محض حتى يقال ان الذهن يسبق اليه أم لا .

و [أيضا] فأى ذهن فإن **العربى** الذي يفهم كلام **العرب** يسبق إلى." (٢)

"ص -١٠٩- الكلي كان أهل اللغة لا يحتاجون إلى التعبير عنه لأنهم إنما يحتاجون إلى ما يوجد في الخارج وإلى ما يوجد في القلوب في العادة وما لا يكون في الخارج إلا مضافا إلى غيره لا يوجد في الذهن مجردا بخلاف لفظ الإنسان والفرس فانه لما كان يوجد في الخارج غير مضاف تعودت الأذهان تصور مسمى الإنسان ومسمى الفرس بخلاف تصور مسمى الإرادة ومسمى العلم ومسمى القدرة ومسمى الوجود المطلق العام فان هذا لا يوجد له في اللغة لفظ مطلق يدل عليه بل لا يوجد لفظ الارادة الا مقيدا بالمريد ولا لفظ العلم الا مقيدا بالعالم ولا لفظ القدرة الا مقيدا بالقادر بل وهكذا سائر الأعراض لما لم توجد الا في محالها مقيدة بها لم يكن لها في اللغة لفظ الا كذلك .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١١٣/١١١

(٢) مجموع الفتاوى ، ١١٧/١١١

فلا يوجد في اللغة لفظ السواد والبياض والطول والقصر إلا مقيدا بالأسود والأبيض والطويل والقصير ونحو ذلك؛ لا مجردا عن كل قيد وإنما يوجد مجردا في كلام ا لمصنفين في اللغة، لأنهم فهموا من كلام أهل اللغة ما يريدون به من القدر المشترك، ومنه قوله تعالى : ﴿ فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ﴾ [النحل : ١١٢] ، فإن من الناس من يقول : الذوق حقيقة في

الذوق بالفم واللباس بما يلبس على البدن، وانما استعير هذا وهذا وليس

كذلك بل قال الخليل الذوق في لغة **العرب** هو وجود طعم الشيء والاستعمال يدل على ذلك قال تعالى : ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر﴾ [السجدة : ٢١] ، وقال : ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ [الدخان : ٤٩] ، وقال : ﴿ فذاقت وبال أمرها ﴾ [الطلاق : ٩] ، وقال :." (١)

"ص -١١٦- فإذا قال : " الجار أحق بسقبه " فالجار هو الجار ليس هو الشريك فان هذا لا يعرف في لغتهم لكن ليس في اللفظ ما يقتضى انه يستحق الشفعة لكن يدل على ان البيع له اولى .

وأما [الخمر] فقد ثبت بالنصوص الكثيرة والنقول الصحيحة انها كانت اسما لكل مسكر لم يسم النبيذ خمرا بالقياس وكذلك النباش كانوا يسمونه سارقا؛ كما قالت عائشة سارق : موتانا كسارق احيانا واللائط عندهم كان أغلظ من الزانى بالمرأة .

ولابد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يفهم كلامة فمعرفة **العربية** التى خوطبنا بها مما يعين على أن نفقة مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الالفاظ على المعانى؛ فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه ولا يكون الأمر كذلك ويجعلون هذة الدلالة حقيقة، وهذه مجازا كم ا أخطأ المرجئة في اسم الإيمان جعلوا لفظ [الإيمان] حقيقة في مجرد التصديق وتناولة للأعمال مجازا .

فيقال : إن لم يصح التقسيم إلى حقيقة ومجازا فلا حاجة إلى هذا وإن صح فهذا لا ينفعكم بل هو عليكم لا لكم لأن الحقيقة هى اللفظ الذي يدل باطلاقه بلا قرينة والمجاز انما يدل بقرينة وقد تبين ان لفظ الايمان حيث اطلق في الكتاب والسنة دخلت فيه الأعمال، وإنما يدعى خروجها منه." (٢)

"ص -١٢١- يقولون : الشافعي لم يكن فيلسوفا ولا مرجئا وهؤلاء فلاسفة أشعرية مرجئة وغرضهم ذم الإرجاء ونحن نذكر عمدتهم لكونه مشهورا عند كثير من المتأخرين المنتسبين إلى السنة . قال القاضي

(١) مجموع الفتاوى ، ١٢١/١١١

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٢٩/١١١

أبو بكر في [التمهيد] : فإن قالوا : فخبرونا ما الإيمان عندكم ؟ قيل : الإيمان هو التصديق بالله وهو العلم ، والتصديق يوجد بالقلب فإن قال : فما الدليل على ما قلتم ؟ قيل : إجماع أهل اللغة قاطبة على أن الإيمان قبل نزول القرآن وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم هو التصديق لا يعرفون في اللغة إيمانا غير ذلك ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ﴾ [يوسف : ١٧] أي بمصدق لنا . ومنه قولهم : فلان يؤمن بالشفاعة وفلان لا يؤمن بعذاب القبر أي : لا يصدق بذلك . فوجب أن الإيمان في الشريعة هو الإيمان المعروف في اللغة ؛ لأن الله ما غير اللسان العربي ولا قلبه ولو فعل ذلك لتواترت الأخبار بفعله وتوفرت دواعي الأمة على نقله ولغلب إظهاره على كتمانه ، وفي علمنا بأنه لم يفعل ذلك بل إقرار أسماء الأشياء والتخاطب بأسره على ما كان دليل على أن الإيمان في الشريعة هو الإيمان اللغوي ومما يبين ذلك قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ [إبراهيم : ٤] وقوله : ﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا ﴾ [الزخرف : ٣] . فأخبر أنه أنزل القرآن بلغة العرب وسمى الأسماء بمسمياتهم ولا وجه للعدول بهذه الآيات عن ظواهرها بغير حجة لا سيما مع القول بالعموم وحصول التوقيف على أن القرآن نزل بلغتهم ؛ فدل على ما قلناه من أن الإيمان ما وصفناه دون ما سواه من سائر الطاعات من النوافل والمفروضات ، هذا لفظه .." (١)

"ص -١٢٣- السابع : قول من يقول : إنه منقول .

فهذه سبعة أقوال :

الأول : قول من ينازع في أن معناه في اللغة التصديق، ويقول : ليس هو التصديق، بل بمعنى الإقرار وغيره .

قوله : إجماع أهل اللغة قاطبة على أن الإيمان قبل نزول القرآن هو التصديق . فيقال له : من نقل هذا الإجماع ؟ ومن أين يعلم هذا الإجماع ؟ وفي أي كتاب ذكر هذا الإجماع ؟

الثاني : أن يقال : أتعني بأهل اللغة : نقلتها، كأبي عمرو، والأصمعي، والخليل، ونحوهم، أو المتكلمين بها ؟ فإن عنيت الأول؛ فهؤلاء لا ينقلون كل ما كان قبل الإسلام بإسناد، وإنما ينقلون ما سمعوه من العرب في زمانهم، وما سمعوه في دواوين الشعر وكلام العرب وغير ذلك بالإسناد . ولا نعلم فيما نقلوه لفظ الإيمان، فضلا عن أن يكونوا أجمعوا عليه، وإن عنيت المتكلمين بهذا اللفظ قبل الإسلام، فهؤلاء لم نشهدهم، ولا نقل لنا أحد عنهم ذلك .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٣٤/١١١

الثالث : أنه لا يعرف عن هؤلاء جميعهم أنهم قالوا : الإيمان في اللغة هو التصديق، بل ولا عن بعضهم، وإن قدر أنه قاله واحد أو اثنان؛ فليس هذا إجماعا .

الرابع : أن يقال : هؤلاء لا ينقلون عن العرب أنهم قالوا : معنى هذا اللفظ كذا وكذا، وإنما ينقلون الكلام المسموع من العرب، وأنه يفهم منه كذا وكذا، وحينئذ فلو قدر أنهم نقلوا كلاما عن العرب يفهم منه أن الإيمان هو." (١)

"ص -١٢٤- التصديق، لم يكن ذلك أبلغ من نقل المسلمين كافة للقرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم . وإذا كان مع ذلك قد يظن بعضهم أنه أريد به معنى ولم يرده؛ فظن هؤلاء ذلك فيما ينقلونه عن العرب أولى .

الخامس : أنه لو قدر أنهم قالوا هذا، فهم آحاد لا يثبت بنقلهم التواتر، و التواتر من شرطه استواء الطرفين والواسطة، وأين التواتر الموجود عن العرب قاطبة قبل نزول القرآن ؟ إنهم كانوا لا يعرفون للإيمان معنى غير التصديق .

فإن قيل : هذا يقدح في العلم باللغة قبل نزول القرآن، قيل : فليكن، ونحن لا حاجة بنا مع بيان الرسول لما بعثه الله به من القرآن أن نعرف اللغة قبل نزول القرآن، والقرآن نزل بلغة قريش، والذين خوطبوا به كانوا عربا، وقد فهموا ما أريد به وهم الصحابة، ثم الصحابة بلغوا لفظ القرآن ومعناه إلى التابعين حتى انتهى إلينا، فلم يبق بنا حاجة إلى أن تتواتر عندنا تلك اللغة من غير طريق تواتر القرآن، لكن لما تواتر القرآن لفظا ومعنى، وعرفنا أنه نزل بلغتهم، عرفنا أنه كان في لغتهم لفظ السماء والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر، ونحو ذلك على ما هو معناها في القرآن . وإلا فلو كلفنا نقلا متواترا لآحاد هذه الألفاظ من غير القرآن، لتعذر علينا ذلك في جميع الألفاظ، لا سيما إذا كان المطلوب أن جميع العرب كانت تريد باللفظ هذا المعنى، فإن هذا يتعذر العلم به والعلم بمعاني القرآن ليس موقوفا على شيء من ذلك، بل الصحابة بلغوا معاني." (٢)

"ص -١٢٥- القرآن، كما بلغوا لفظه . ولو قدرنا أن قوما سمعوا كلاما أعجميا، وترجموه لنا بلغتهم، لم نحتج إلى معرفة اللغة التي خوطبوا بها أولا .

السادس : أنه لم يذكر شاهدا من كلام العرب على ما ادعاه عليهم، وإنما استدل من غير القرآن بقول

(١) مجموع الفتاوى ، ١٣٦/١١

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٣٧/١١

الناس : فلان يؤمن بالشفاعة، وفلان يؤمن بالجنة والنار، وفلان يؤمن بعذاب القبر . وفلان لا يؤمن بذلك، ومعلوم أن هذا ليس من ألفاظ **العرب** قبل نزول القرآن، بل هو مما تكلم الناس به بعد عصر الصحابة، لما صار من الناس أهل البدع يكذبون بالشفاعة وعذاب القبر ومرادهم بذلك هو مرادهم بقوله : فلان يؤمن بالجنة والنار، وفلان لا يؤمن بذلك . والقائل لذلك وإن كان تصديق القلب داخلا في مراده، فليس مراده ذلك وحده، بل مراده التصديق بالقلب واللسان، فإن مجرد تصديق القلب بدون اللسان لا يعلم حتى يخبر به عنه .

السابع : أن يقال : من قال ذلك، فليس مراده التصديق بما يرجى ويخاف بدون خوف ولا رجاء، بل يصدق بعذاب القبر ويخافه، ويصدق بالشفاعة ويرجوها . وإلا فلو صدق بأنه يعذب في قبره، ولم يكن في قلبه خوف من ذلك أصلا . لم يسموه مؤمنا به، كما أنهم لا يسمون مؤمنا بالجنة والنار إلا من رجا الجنة وخاف النار، دون المعرض عن ذلك بالكلية مع علمه بأنه حق . كما لا يسمون إبليس مؤمنا بالله، وإن كان مصدقا بوجوده وربوبيته، ولا يسمون فرعون مؤمنا، وإن كان عالما بأن الله بعث موسى، وأنه هو الذي أنزل." (١)

"ص -١٢٦- الآيات، وقد استيقنت بها أنفسهم مع جحدهم لها بألسنتهم . ولا يسمون اليهود مؤمنين بالقرآن والرسول، وإن كانوا يعرفون أنه حق، كما يعرفون أبناءهم . فلا يوجد قط في كلام **العرب** أن من علم وجود شيء مما يخاف ويرجى، ويجب حبه وتعظيمه، وهو مع ذلك لا يحبه ولا يعظمه، ولا يخافه ولا يرجوه، بل يجحد به ويكذب به بلسانه، أنهم يقولون : هو مؤمن، بل ولو عرفه بقلبه وكذب به بلسانه، لم يقولوا : هو مصدق به . ولو صدق به مع العمل بخلاف مقتضاه، لم يقولوا : هو مؤمن به . فلا يوجد في كلام **العرب** شاهد واحد يدل على ما ادعوه .

وقوله : ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ﴾ [يوسف : ١٧] قد تكلمنا عليها في غير هذا الموضع، فإن هذا استدلال بالقرآن، وليس في الآية ما يدل على أن المصدق مرادف للمؤمن، فإن صحة هذا المعنى بأحد اللفظين لا يدل على أنه مرادف للآخر، كما بسطناه في موضعه .

الوجه الثامن : قوله : لا يعرفون في اللغة إيمانا غير ذلك . من أين له هذا النفي الذي لا تمكن الإحاطه به ؟ بل هو قول بلا علم .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٣٨/١١١

التاسع : قول من يقول : أصل الإيمان مأخوذ من الأمن، كما ستأتي أقوالهم إن شاء الله . وقد نقلوا في اللغة الإيمان بغير هذا المعنى . كما قاله الشيخ أبو البيان في قول .." (١)

"ص -١٢٨- القرآن أن الإيمان لابد فيه من عمل مع التصديق، كما ذكر مثل ذلك في اسم الصلاة والزكاة والصيام والحج .

فإن قيل : تلك الأسماء باقية، ولكن ضم إلى المسمى إعمالا في الحكم لا في الاسم، كما يقوله القاضي أبو يعلي وغيره، قيل : إن كان هذا صحيحا قيل مثله في الإيمان . وقد أورد هذا السؤال لبعضهم، ثم لم يجب عنه بجواب صحيح، بل زعم أن القرآن لم يذكر فيه ذلك . وليس كذلك، بل القرآن والسنة مملوآن بما يدل على أن الرجل لا يثبت له حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق . وهذا في القرآن أكثر بكثير من معنى الصلاة والزكاة، فإن تلك إنما فسرتها السنة، والإيمان بين معناه الكتاب والسنة، وإجماع السلف .

الثاني عشر : أنه إذا قيل : إن الشارع خاطب الناس بلغة العرب، فإنما خاطبهم بلغتهم المعروفة، وقد جرى عرفهم أن الاسم يكون مطلقا وعاما، ثم يدخل فيه قيد أخص من معناه، كما يقولون : ذهب إلى القاضي والوالي والأمير، ويريدون شخصا معينا يعرفونه دلت عليه اللام مع معرفتهم به . وهذا الاسم في اللغة اسم جنس لا يدل على خصوص شخص، وأمثال ذلك . فكذلك الإيمان والصلاة والزكاة، إنما خاطبهم بهذه الأسماء بلام التعريف، وقد عرفهم قبل ذلك أن المراد الإيمان الذي صفته كذا وكذا، والدعاء الذي صفته كذا وكذا . فبتقدير أن يكون في لغتهم التصديق، فإنه قد يبين أني لا أكتفي بتصديق القلب واللسان، فضلا عن تصديق القلب وحده، بل لابد أن يعمل بموجب ذلك التصديق، كما في قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ [الحجرات : ١٥]." (٢)

"ص -١٣٠- إن المؤمن يدخلها، ولا قال : إن الفساق مؤمنون . لكن أدخلهم في مسمى الإيمان في مواضع، كما أدخل المنافقين في اسم الإيمان في مواضع مع القيود . وأما الاسم المطلق الذي وعد أهله بالجنة، فلم يدخل فيه لا هؤلاء ولا هؤلاء .

الوجه الرابع عشر : قوله : ولا وجه للعدول بالآيات التي تدل على أنه عربي عن ظاهرها، فيقال له : الآيات التي فسرت المؤمن، وسلبت الإيمان عمن لم يعمل؛ أصرح وأبين وأكثر من هذه الآيات . ثم إذا دلت على أنه عربي، فما ذكر لا يخرجه عن كونه عربيا؛ ولهذا لما خاطبهم بلفظ الصلاة والحج وغير ذلك، لم يقولوا

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٣٩/١١١

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٤١/١١١

: هذا ليس **بعربي** . بل خاطبهم باسم المنافقين، وقد ذكر أهل اللغة أن هذا الاسم لم يكن يعرف في الجاهلية، ولم يقولوا : إنه ليس **بعربي**، لأن المنافق مشتق من نفق إذا خرج، فإذا كان اللفظ مشتقا من لغتهم وقد تصرف فيه المتكلم به كما جرت عادتهم في لغتهم، لم يخرج ذلك عن كونه **عربيا** .

الوجه الخامس عشر : أنه لو فرض أن هذه الألفاظ ليست **عربية**، فليس تخصيص عموم هذه الألفاظ بأعظم من إخراج لفظ الإيمان عما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف، فإن النصوص التي تنفي الإيمان عمن لا يحب الله ورسوله، ولا يخاف الله ولا يتقيه ولا يعمل شيئا من الواجب، ولا يترك شيئا من المحرم، كثيرة صريحة، فإذا قدر أنها عارضها آية، كان تخصيص اللفظ القليل العام أولي من رد النصوص الكثيرة الصريحة .." (١)

"ص -١٣١- السادس عشر : أن هؤلاء واقفة في ألفاظ العموم لا يقولون بعمومها والسلف يقولون : الرسول وقفنا على معاني الإيمان وبينه لنا . وعلمنا مراده منه بالاضطرار، وعلمنا من مراده علما ضروريا أن من قيل : إنه صدق . ولم يتكلم بلسانه بالإيمان مع قدرته على ذلك، ولا صلى ولا صام، ولا أحب الله ورسوله ولا خاف الله، بل كان مبغضا للرسول، معاديا له يقاتله، أن هذا ليس بمؤمن . كما قد علمنا أن الكفار من المشركين وأهل الكتاب الذين كانوا يعلمون أنه رسول الله وفعلوا ذلك معه، كانوا عنده كفارا لا مؤمنين، فهذا معلوم عندنا بالاضطرار أكثر من علمنا بأن القرآن كله ليس فيه لفظ غير **عربي** . فلو قدر التعارض، لكان تقديم ذلك العلم الضروري أولى .

فإن قالوا : من علم أن الرسول كفره، علم انتفاء التصديق من قلبه .

قيل لهم : هذه مكابرة، إن أرادوا أنهم كانوا شاكين مرتابين . وأما إن عني التصديق الذي لم يحصل معه عمل، فهو ناقص كالمعدوم، فهذا صحيح . ثم إنما يثبت، إذا ثبت أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه، وذاك إنما يثبت بعد تسليم هذه المقدمات التي منها هذا، فلا تثبت الدعوى بالدعوي مع كفر صاحبها .

ثم يقال : قد علمنا بالاضطرار أن اليهود وغيرهم كانوا يعرفون أن محمدا رسول الله، وكان يحكم بكفرهم . فقد علمنا من دينه ضرورة أنه يكفر الشخص مع ثبوت التصديق بنبوته في القلب، إذا لم يعمل بهذا التصديق، بحيث يحبه ويعظمه، ويسلم لما جاء به .." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١١١/١٤٣

(٢) مجموع الفتاوى ، ١١١/١٤٤

"ص -١٣٢- ومما يعارضون به أن يقال : هذا الذي ذكرتموه، إن كان صحيحا، فهو أدل على قول المرجئة، بل على قول الكرامية منه على قولكم، وذلك أن الإيمان إذا كان هو التصديق كما ذكرتم، فالتصديق نوع من أنواع الكلام، فاستعمال لفظ الكلام والقول ونحو ذلك في المعنى واللفظ، بل في اللفظ الدال على المعنى أكثر في اللغة من استعماله في المعنى المجرد عن اللفظ، بل لا يوجد قط إطلاق اسم الكلام ولا أنواعه : كالخبر أو التصديق والتكذيب والأمر والنهي على مجرد المعنى من غير شيء يقترن به من عبارة ولا إشارة ولا غيرهما، وإنما يستعمل مقيدا .

وإذا كان الله إنما أنزل القرآن بلغة **العرب**، فهي لا تعرف التصديق والتكذيب وغيرهما من الأقوال إلا ما كان معنى ولفظا، أو لفظا يدل على معنى؛ ولهذا لم يجعل الله أحدا مصدقا للرسل بمجرد العلم والتصديق الذي في قلوبهم حتى يصدقوهم بألسنتهم، ولا يوجد في كلام **العرب** أن يقال : فلان صدق فلانا أو كذبه، إذا كان يعلم بقلبه أنه صادق أو كاذب ولم يتكلم بذلك، كما لا يقال : أمره أو نهاه، إذا قام بقلبه طلب مجرد عما يقترن به من لفظ أو إشارة أو نحوهما . ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس " . وقال : " إن الله يحدث من أمره ما شاء، وإن مما أحدث ألا تكلموا في الصلاة " اتفق العلماء على أنه إذا تكلم في الصلاة عامدا لغير مصلحتها، بطلت صلاته . واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب من تصديق." (١)

"ص -١٣٣- بأمور دنيوية وطلب لا يبطل الصلاة، وإنما يبطلها التكلم بذلك، فعلم اتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام .

وأيضا، ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به " فقد أخبر أن الله عفا عن حديث النفس إلا أن تتكلم، ففرق بين حديث النفس وبين الكلام، وأخبر أنه لا يؤاخذ به حتى يتكلم به، والمراد حتى ينطق به اللسان باتفاق العلماء، فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة؛ لأن الشارع كما قرر إنما خاطبنا بلغة **العرب** .

وأيضا، ففي السنن أن معاذا قال له : يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : " وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال : على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم " فبين أن الكلام إنما هو ما يكون باللسان . وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل " .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٤٥/١١١

وفي الصحيحين عنه أنه قال : "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم " وقد قال الله تعالى : ﴿ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ﴾ [الكهف : ٤، ٥] ، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أفضل الكلام بعد القرآن أربع كلمات، وهن في." (١)

"ص -١٣٤- القرآن : سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر " . رواه مسلم . وقال تعالى : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ [فاطر : ١٠] ومثل هذا كثير .

وفي الجملة، حيث ذكر الله في كتابه عن أحد من الخلق من الأنبياء، أو أتباعهم أو مكذبيهم أنهم قالوا ويقولون، وذلك قولهم وأمثال ذلك، فإنما يعني به المعنى مع اللفظ، فهذا اللفظ وما تصرف منه من فعل ماض ومضارع وأمر، ومصدر واسم فاعل من لفظ القول والكلام ونحوهما، إنما يعرف في القرآن والسنة وسائر كلام العرب إذا كان لفظا ومعنى، وكذلك أنواعه، كالتصديق والتكذيب والأمر والنهي وغير ذلك، وهذا مما لا يمكن أحدا جحده، فإنه أكثر من أن يحصى .

ولم يكن في مسمى الكلام نزاع بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وتابعيهم، لا من أهل السنة، ولا من أهل البدعة، بل أول من عرف في الإسلام أنه جعل مسمى الكلام المعنى فقط، هو عبد الله بن سعيد بن كلاب، وهو متأخر في زمن محنة أحمد بن حنبل وقد أنكر ذلك عليه علماء السنة، وعلماء البدعة، فيمتنع أن يكون الكلام الذي هو أظهر صفات بني آدم كما قال تعالى : ﴿ فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾ [الذاريات : ٢٣] . ولفظه لا تحصى وجوهه كثرة - لم يعرفه أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم حتى جاء من قال فيه قولا لم يسبقه إليه أحد من المسلمين، ولا غيرهم .

فإن قالوا : فقد قال الله تعالى : ﴿ ويقولون في أنفسهم ﴾ [المجادلة : ٨] ، وقال : ﴿ واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ﴾ [الأعراف : ٢٠٥] ونحو ذلك .." (٢)

"ص -١٣٨- حسنات إلى سبعمائة، وعوقب عليه إذا قال أو فعل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل " .

وأما البيت الذي يحكى عن الأخطل أنه قال :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٤٦/١١١

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٤٧/١١١

فمن الناس من أنكر أن يكون هذا من شعره، وقالوا : إنهم فتشوا دواوينه فلم يجدوه، وهذا يروى عن محمد بن الخشاب، وقال بعضهم : لفظه : إن البيان لفي الفؤاد .

ولو احتج محتج في مسألة بحديث أخرجاه في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم لقالوا : هذا خبر واحد، ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول، وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بإسناد صحيح لا واحد ولا أكثر من واحد، ولا تلقاه أهل **العربية** بالقبول، فكيف يثبت به أدنى شيء من اللغة، فضلا عن مسمى الكلام . ثم يقال : مسمى الكلام والقول ونحوهما ليس هو مما يحتاج فيه إلى قول شاعر، فإن هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة، وعرفوا معناه في لغتهم، كما عرفوا مسمى الرأس واليد والرجل .

وأيضا، فالناطقون باللغة يحتج باستعمالهم للألفاظ في معانيها، لا بما يذكرونه." (١)

"ص -١٣٩- من الحدود، فإن أهل اللغة الناطقين لا يقول أحد منهم : إن الرأس كذا، واليد كذا، والكلام كذا، واللون كذا، بل ينطقون بهذه الألفاظ دالة على معانيها، فتعرف لغتهم من استعمالهم .

فعلم أن الأخطل لم يرد بهذا أن يذكر مسمى الكلام ولا أحد من الشعراء يقصد ذلك البتة، وإنما أراد : إن كان قال ذلك ما فسره به المفسرون للشعر، أي : أصل الكلام من الفؤاد، وهو المعنى، فإذا قال الإنسان بلسانه ما ليس في قلبه فلا تثق به، وهذا كالأقوال التي ذكرها الله عن المنافقين، ذكر أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم؛ ولهذا قال :

لا يعجبنك من أثير لفظه حتى يكون مع الكلام أصيلا

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

نهاه أن يعجب بقوله الظاهر حتى يعلم ما في قلبه من الأصل؛ ولهذا قال : حتى يكون مع الكلام أصيلا . وقوله : مع الكلام : دليل على أن اللفظ الظاهر قد سماه كلاما، وإن لم يعلم قيام معناه بقلب صاحبه، وهذا حجة عليهم، فقد اشتمل شعره على هذا وهذا، بل قوله : [مع الكلام] مطلق . وقوله : إن الكلام لفي الفؤاد . أراد به أصله ومعناه المقصود به، واللسان دليل على ذلك .

و بالجملة، فمن احتاج إلى أن يعرف مسمى الكلام في لغة **العرب**، والفرس، والروم، والترك، وسائر أجناس

(١) مجموع الفتاوى ، ١٥١/١١١

بني آدم بقول شاعر، فإنه من أبعد الناس عن معرفة طرق العلم . ثم هو من المولدين، وليس من الشعراء القدماء، وهو نصراني." (١)

"ص -١٩٢- كما طلب المشركون من النبي صلىالله عليه وسلم إبعاد الضعفاء، كسعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وخباب بن الأرت، وعمار بن ياسر، وبلال ونحوهم، وكان ذلك بمكة قبل أن يكون في الصحابة أهل الصفة، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾ [الأنعام : ٥٢، ٥٣] .

ومثل قول فرعون : ﴿ أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ﴾ [المؤمنون : ٤٧] ، وقول فرعون : ﴿ ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين ﴾ [الشعراء : ١٨، ١٩] ، ومثل قول مشركي العرب : ﴿ إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا ﴾ قال الله تعالى : ﴿ أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ﴾ [القصص : ٥٧] ، ومثل قول قوم شعيب له : ﴿ أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ [هود : ٨٧] ومثل قول عامة المشركين : ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ [الزخرف : ٢٣] .." (٢)

"ص -٢٤٧- صلى الله عليه وسلم يقولون : أتيناك بالأثقال والعيال، فنزلت فيهم هذه الآية . وقد قال قتادة في قوله : ﴿ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ [الحجرات : ١٧] قال : منوا على النبي صلى الله عليه وسلم حين جاؤوا فقالوا : إنا أسلمنا بغير قتال، لم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، فقال الله لنبيه : ﴿ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان ﴾ .

وقال مقاتل بن حيان : هم أعراب بني أسد بن خزيمة، قالوا : يا رسول الله، أتيناك بغير قتال، وتركنا العشائر والأموال، وكل قبيلة من العرب قاتلتك حتى دخلوا كرها في الإسلام، فلنا بذلك عليك حق، فأنزل الله تعالى : ﴿ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن

(١) مجموع الفتاوى ، ١٥٢/١١١

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢١٩/١١١

كنتم صادقين ﴾ فله بذلك المن عليكم، وفيهم أنزل الله : ﴿ ولا تبطلوا أعمالكم ﴾ [محمد : ٣٣] ، ويقال : من الكبائر التي ختمت بنار، كل موجبة من ركبها ومات عليها لم يتب منها .

وهذا كله يبين أنهم لم يكونوا كفارا في الباطن، ولا كانوا قد دخلوا فيما يجب من الإيمان، وسورة الحجرات قد ذكرت هذه الأصناف، فقال : ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ [الحجرات : ٤] ، ولم يصفهم بكفر ولا نفاق، لكن هؤلاء يخشى عليهم الكفر والنفاق؛ ولهذا ارتد بعضهم لأنهم لم يخالط الإيمان بشاشة قلوبهم، وقال بعد ذلك :." (١)

"ص -٢٨٦- فصل

ومما ينبغي أن يعلم : أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث، إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم؛ ولهذا قال الفقهاء : [الأسماء ثلاثة أنواع] نوع يعرف حده بالشرع؛ كالصلاة والزكاة . ونوع يعرف حده باللغة؛ كالشمس والقمر . ونوع يعرف حده بالعرف كلفظ القبض، ولفظ المعروف في قوله : ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ [النساء : ١٩] ، ونحو ذلك . وروي عن ابن عباس أنه قال : تفسير القرآن على أربعة أوجه : تفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله، من ادعي علمه فهو كاذب . فاسم الصلاة والزكاة والصيام والحج ونحو ذلك، قد بين الرسول صلى الله عليه وسلم ما يراد بها في كلام الله ورسوله، وكذلك لفظ الخمر وغيرها، ومن هناك يعرف معناها، فلو أراد أحد أن يفسرها بغير ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل منه، وأما الكلام في اشتقاقها ووجه دلالتها، فذاك من جنس علم البيان . وتعليل الأحكام، هو زيادة في العلم، وبيان حكمة ألفاظ القرآن؛ لكن معرفة المراد بها لا يتوقف على هذا .

واسم الإيمان والإسلام والنفاق والكفر، هي أعظم من هذا كله،." (٢)

"ص -٢٨٧- فالنبي صلى الله عليه وسلم قد بين المراد بهذه الألفاظ بيانا لا يحتاج معه إلى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق وشواهد استعمال العرب ونحو ذلك؛ فلهذا يجب الرجوع في مسميات هذه الأسماء إلى بيان الله ورسوله، فإنه شاف كاف، بل معاني هذه الأسماء معلومة من حيث الجملة للخاصة والعامة، بل كل من تأمل ما تقوله الخوارج والمرجئة في معنى الإيمان، علم بالاضطرار أنه مخالف

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٨١/١١١

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣٢٧/١١١

للرسول، ويعلم بالاضطرار أن طاعة الله ورسوله من تمام الإيمان، وأنه لم يكن يجعل كل من أذنب ذنبا كافرا، ويعلم أنه لو قدر أن قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : نحن نؤمن بما جئتنا به بقلوبنا من غير شك، ونقر بألسنتنا بالشهادتين، إلا أنا لا نطيعك في شيء مما أمرت به ونهيت عنه، فلا نصلي ولا نصوم ولا نحج، ولا نصدق الحديث، ولا نؤدي الأمانة، ولا نفي بالعهد، ولا نصل الرحم، ولا نفعل شيئا من الخير الذي أمرت به، ونشرب الخمر؛ وننكح ذوات المحارم بالزنا الظاهر، ونقتل من قدرنا عليه من أصحابك وأمتك، ونأخذ أموالهم، بل نقتلك أيضا ونقاتلك مع أعدائك، هل كان يتوهم عاقل أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم : أنتم مؤمنون كاملو الإيمان، وأنتم من أهل شفاعتي يوم القيامة، ويرجى لكم ألا يدخل أحد منكم النار، بل كل مسلم يعلم بالاضطرار أنه يقول لهم : أنتم أكفر الناس بما جئت به، ويضرب رقابهم إن لم يتوبوا من ذلك .

وكذلك كل مسلم يعلم أن شارب الخمر والزاني والقاذف والسارق، لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يجعلهم مرتدين يجب قتلهم، بل القرآن والنقل المتواتر عنه يبين أن هؤلاء لهم عقوبات غير عقوبة المرتد عن الإسلام،." (١)

"ص -٢٨٩- يقولوا : الإيمان في اللغة : هو التصديق . والرسول إنما خاطب الناس بلغة **العرب** لم يغيرها، فيكون مراده بالإيمان التصديق؛ ثم قالوا : والتصديق إنما يكون بالقلب واللسان، أو بالقلب، فالأعمال ليست من الإيمان، ثم عمدتهم في أن الإيمان هو التصديق قوله : ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ﴾ [يوسف : ١٧] أي : بمصدق لنا .

فيقال لهم : اسم الإيمان قد تكرر ذكره في القرآن والحديث أكثر من ذكر سائر الألفاظ، وهو أصل الدين، وبه يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويفرق بين السعداء والأشقياء، ومن يوالي ومن يعادي، والدين كله تابع لهذا، وكل مسلم محتاج إلى معرفة ذلك، أفيجوز أن يكون الرسول قد أهمل بيان هذا كله، ووكله إلى هاتين المقدمتين ؟ ومعلوم أن الشاهد الذي استشهدوا به على أن الإيمان هو التصديق أنه من القرآن . ونقل معنى الإيمان متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أعظم من تواتر لفظ الكلمة، فإن الإيمان يحتاج إلى معرفة جميع الأمة فينقلونه، بخلاف كلمة من سورة . فأكثر المؤمنين لم يكونوا يحفظون هذه السورة، فلا يجوز أن يجعل بيان أصل الدين مبنيا على مثل هذه المقدمات؛ ولهذا كثر النزاع والاضطراب بين الذين عدلوا عن صراط الله المستقيم، وسلكوا السبل، وصاروا من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا، ومن الذين تفرقوا

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٢٨/١١١

واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات، فهذا كلام عام مطلق .

ثم يقال : هاتان المقدمتان كلاهما ممنوعة، فمن الذي قال : إن لفظ الإيمان مرادف للفظ التصديق ؟ وهب أن المعنى يصح إذا استعمل في هذا الموضع، فلم." (١)

"ص -٣٠٠- هو لغة الشارع، بل الشارع فرق بين تيمم الصعيد وبين المسح الذي يكون بعده، ولفظ [الإيمان] أمر به مقيدا بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وكذلك لفظ [الإسلام] بالاستسلام لله رب العالمين، وكذلك لفظ [الكفر] مقيدا، ولكن لفظ [النفاق] قد قيل : إنه لم تكن **العرب** تكلمت به، لكنه مأخوذ من كلامهم، فإن نفق يشبه خرج، ومنه : نفقت الدابة إذا ماتت، ومنه : نافقاء اليربوع، والنفق في الأرض قال تعالى : ﴿ فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض ﴾ [الأنعام : ٣٥] ، فالمنافق هو الذي خرج من الإيمان باطنا بعد دخوله فيه ظاهرا، وقيد النفاق بأنه نفاق من الإيمان . ومن الناس من يسمى من خرج عن طاعة الملك منافقا عليه، لكن النفاق الذي في القرآن هو النفاق على الرسول . فخطاب الله ورسوله للناس بهذه الأسماء كخطاب الناس بغيرها، وهو خطاب مقيد خاص لا مطلق يحتمل أنواعا .

وقد بين الرسول تلك الخصائص، والاسم دل عليها، فلا يقال : إنها منقولة، ولا أنه زيد في الحكم دون الاسم، بل الاسم إنما استعمل على وجه يختص بمراد الشارع، لم يستعمل مطلقا، وهو إنما قال : ﴿ وأقيموا الصلاة ﴾ [البقرة : ١١٠] ، بعد أن عرفهم الصلاة المأمور بها، فكان التعريف منصرفا إلى الصلاة التي يعرفونها لم يرد لفظ الصلاة وهم لا يعرفون معناه؛ ولهذا كل من قال في لفظ الصلاة : إنه عام للمعنى اللغوي، أو إنه مجمل لتردده بين المعنى اللغوي والشرعي ونحو ذلك؛ فأقوالهم ضعيفة، فإن هذا اللفظ إنما ورد خبرا أو أمرا، فالخبر كقوله : ﴿ أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى ﴾ [العلق : ٩، ١٠] وسورة [اقرأ] من أول ما نزل من القرآن، وكانض." (٢)

"ص -٣١٢- وإذا كان من قول السلف : إن الإنسان يكون فيه إيمان ونفاق، فكذلك في قولهم : إنه يكون فيه إيمان وكفر، ليس هو الكفر الذي ينقل عن الملة، كما قال ابن عباس وأصحابه في قوله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ [المائدة : ٤٤] قالوا : كفروا كفرا لا ينقل عن الملة، وقد اتبعهم على ذلك أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١١١/٣٣٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ١١١/٣٤١

قال الإمام محمد بن نصر المروزي في كتاب [الصلاة] : اختلف الناس في تفسير حديث جبرائيل هذا، فقال طائفة من أصحابنا : قول النبي صلى الله عليه وسلم : " الإيمان أن تؤمن بالله " وما ذكر معه كلام جامع مختصر له غور وقد وهمت المرجئة في تفسيره فتأولوه على غير تأويله قلة معرفة منهم بلسان **العرب**، وغور كلام النبي صلى الله عليه وسلم الذي قد أعطى جوامع الكلم وفواتحه، واختصر له الحديث اختصارا . أما قوله : " الإيمان أن تؤمن بالله " فأن توحده وتصدق به بالقلب واللسان وتخضع له ولأمره بإعطاء العزم للأداء لما أمر، مجانبا للاستنكاف والاستكبار والمعاندة، فإذا فعلت ذلك لزمت محابه واجتنبت مساخطه، وأما قوله : [وملائكته] فأن تؤمن بمن سمى الله لك منهم في كتابه، وتؤمن بأن لله ملائكة سواهم، لا يعرف أسماءهم وعددهم إلا الذي خلقهم . وأما قوله : [وكتبه] فأن تؤمن بما سمى الله من كتبه في كتابه من التوراة والإنجيل والزبور خاصة، وتؤمن بأن لله سوى ذلك كتبا أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها إلا الذي أنزلها . وتؤمن بالفرقان، وإيمانك به غير إيمانك بسائر الكتب." (١)

"ص -٤١٩- /كلام **العرب** وسائر الأمم؛ لأن المعنى مفهوم . مثال ذلك : المنافقون قد يجعلون من المؤمنين في موضع، وفي موضع آخر يقال : ما هم منهم، قال الله تعالى : ﴿ قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ [الأحزاب : ١٨، ١٩] ، فهنالك جعل هؤلاء المنافقين الخائفين من العدو، الناكلين عن الجهاد، الناهين لغيرهم، الذامين للمؤمنين منهم، وقال في آية أخرى : ﴿ ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون ﴾ [التوبة : ٥٦، ٥٧] ، وهؤلاء ذنبهم أخف، فإنهم لم يؤذوا المؤمنين لا بنهي ولا سلق بألسنة حداد، ولكن حلفوا بالله أنهم من المؤمنين في الباطن بقلوبهم، وإلا فقد علم المؤمنون أنهم منهم في الظاهر، فكذبهم الله وقال : ﴿ وما هم منكم ﴾ وهناك قال : ﴿ قد يعلم الله المعوقين منكم ﴾ . فالخطاب لمن كان في الظاهر مسلما مؤمنا وليس مؤمنا، بأن منكم من هو بهذه الصفة، وليس مؤمنا بل أحبط الله عمله، فهو منكم في الظاهر لا الباطن .." (٢)

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٥٣/١١١

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤٦٧/١١١

"ص -٤٥٤- وإن جزم بوجوده؛ لأنه لا يكون مستقبل إلا بمشيئة الله .

فقولنا : يكون هذا إن شاء الله، حق، فإنه لا يكون إلا إن شاء الله والشك واللفظ ليس فيه إلا التعليق، وليس من ضرورة التعليق الشك بل هذا بحسب علم المتكلم، فتارة يكون شاكا وتارة لا يكون شاكا، فلما كان الشك يصحبها كثيرا لعدم علم الإنسان بالعواقب، ظن الظان أن الشك داخل في معناها، وليس كذلك، فقوله : ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله ﴾ [الفتح : ٢٧] لا يتصور فيه شك من الله، بل ولا من رسوله المخاطب والمؤمنين؛ ولهذا قال ثعلب : هذا استثناء من الله وقد علمه، والخلق يستثنون فيما لا يعلمون . وقال أبو عبيدة وابن قتيبة : إن إن بمعنى إذ، أي : إذ شاء الله، ومقصوده بهذا تحقيق الفعل ب [إن] كما يتحقق مع إذ . وإلا ف [إذا] ظرف توقيت، و [إن] حرف تعليق .

فإن قيل : فالعرب تقول : إذا احمر البسر فأتني، ولا تقول : إن ا حمر البسر .

قيل : لأن المقصود هنا توقيت الإتيان بحين احمراره، فأتوا بالظرف المحقق، ولفظ [إن] لا يدل على توقيت، بل هي تعليق محض تقتضي ارتباط الفعل الثاني بالأول، ونظير ما نحن فيه أن يقولوا : البسر يحمر ويطيب إن شاء الله، وهذا حق، فهذا نظير ذلك .

فإن قيل : فطائفة من الناس فروا من هذا المعنى وجعلوا الاستثناء لأمر مشكوك فيه، فقال الزجاج : ﴿ لتدخلن المسجد الحرام ﴾ أي : أمركم." (١)

"ص -٥٠٤- وتلا هذه الآية . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لما توفى عثمان بن مظعون : " أما عثمان بن مظعون فقد أتاه اليقين من ربه " . وهؤلاء قد يشهدون القدر أولا، وهي الحقيقة الكونية، ويظنون أن غاية العارف أن يشهد القدر، ويفنى عن هذا الشهود، وذلك المشهد لا تمييز فيه بين المأمور والمحظور، ومحبوبات الله ومكروهاته وأوليائه وأعدائه .

وقد يقول أحدهم : العارف شهد أولا الطاعة والمعصية، ثم شهد طاعة بلا معصية يريد بذلك طاعة القدر كقول بعض شيوخهم : أنا كافر برب يعصى، وقيل له عن بعض الظالمين : هذا ماله حرام فقال : إن كان عصى الأمر، فقد أطاع الإرادة . ثم ينتقلون إلى المشهد الثالث : لا طاعة ولا معصية، و هو مشهد أهل الوحدة القائلين بوحدة الوجود، وهذا غاية إلحاد المبتدعة جهمية الصوفية، كما أن القرمطة آخر إلحاد الشيعة، وكلا الإلحادين يتقاربان . وفيها من الكفر ما ليس في دين اليهود والنصارى ومشركي **العرب**، والله أعلم .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣/١١٢

فصل

ثم بعد ذلك تنازع الناس في اسم المؤمن والإيمان نزاعا كثيرا، منه لفظي،." (١)

"ص -٥٧٦- الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت " ، فلما أفرده عن اسم الإسلام ذكر ما يخصه الاسم في ذاك الحديث مجردا عن الاقتران . وفي هذا الحديث مقرون باسم الإسلام، وقوله تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ [آل عمران : ٨٥] دخل فيه الباطن، فلو أتى بالعمل الظاهر دون الباطن لم يكن ممن أتى بالدين الذي هو عند الله الإسلام .

وأما إذا قرن الإسلام بالإيمان، كما في قوله تعالى : ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾ [الحجرات : ١٤] ، وقوله : ﴿ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾ [الذاريات : ٣٥، ٣٦] ، وقوله تعالى : ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ﴾ [الأحزاب : ٣٥] فقد يراد بالإسلام الأعمال الظاهرة كما في حديث أنس الذي في [المسند] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الإسلام علانية، والإيمان في القلب " ، ومن علم أن دلالة اللفظ تختلف بالإفراد والاقتران، كما في اسم الفقير والمسكين، والمعروف والمنكر والبغي وغير ذلك من الأسماء، وكما في لغات سائر الأمم عربها وعجمها زاحت عنه الشبهة في هذا الباب والله أعلم .

فإن قال قائل : اسم الإيمان إنما يتناول الأعمال مجازا . قيل أولا : ليس هذا بأولى ممن قال : إنما تخرج عنه الأعمال مجازا، بل هذا أقوى، لأن خروج العمل عنه إنما هو إذا كان مقرونا باسم الإسلام والعمل، وأما دخول العمل فيه فإذا أفرد كما في قوله صلى الله عليه وسلم : " الإيمان بضع وسبعون شعبة." (٢)

"ص -٥٩٨- وحديث وفد عبد القيس من أشهر الأحاديث وأصحها . وفي بعض طرق البخاري لم يذكر الصيام، لكن هو مذكور في كثير من طرقه وفي مسلم، وهو أيضا مذكور في حديث أبي سعيد الذي ذكر فيه قصة وفد عبد القيس رواه مسلم، في صحيحه عنه، واتفقا على حديث ابن عباس وفيه أنه أمرهم بإيتاء الخمس من المغنم ؛ والخمس إنما فرض في غزوة بدر ، وشهر رمضان فرض قبل ذلك .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٥١/١١٣

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٢٤/١١٣

ووفد عبد القيس من خيار الوفد الذين وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم، وقدومهم على النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل فرض الحج، وقد قيل قدموا سنة الوفود : سنة تسع والصواب أنهم قدموا قبل ذلك، فإنهم قالوا : إن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر - يعنون أهل نجد - وإنا لا نصل إليك إلا في شهر حرام، وسنة تسع كانت **العرب** قد ذلت وتركت الحرب، وكانوا بين مسلم أو معاهد خائف لما فتح الله مكة ثم هزموا هوازن يوم حنين، وإنما كانوا ينتظرون بإسلامهم فتح مكة، وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه أميرا على الحج سنة تسع وأردفه بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ لتنفيذ العهود التي كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين **العرب**، إلا أنه أجلهم أربعة أشهر من حين حجة أبي بكر، وكانت في ذي القعدة . وقد قال تعالى : ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين ﴾ الآية [التوبة : ٥] ، وهذه الأربعة التي أجلوها الأربعة الحرم .." (١)

"ص -٥٩٩- ولهذا غزا النبي صلى الله عليه وسلم النصارى بأرض الروم عام تبوك سنة تسع قبل إرسال أبي بكر أميرا على الموسم، وإنما أمكنه غزو النصارى لما اطمأن من جهة مشركي **العرب**، وعلم أنه لا خوف على الإسلام منهم ؛ ولهذا لم يأذن لأحد ممن يصلح للقتال في التخلف فلم يتخلف إلا منافق، أو الثلاثة الذين تيب عليهم أو معذور؛ ولهذا لما استخلف عليا على المدينة عام تبوك طعن المنافقون فيه لضعف هذا الاستخلاف وقالوا : إنما خلفه لأنه يبغضه . فاتبعه علي وهو يبكي فقال : أتخلفني مع النساء والصبيان ؟ فقال : " أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي " . وكان قبل ذلك يستخلف على المدينة من يستخلفه وفيها رجال من أهل القتال، وذلك لأنه لم يكن حينئذ بأرض **العرب** لا بمكة ولا بنجد ونحوهما من يقاتل أهل دار الإسلام - مكة والمدينة وغيرهما - ولا يخيفهم، ثم لما رجع من تبوك أقر أبا بكر على الموسم يقيم الحج والصلاة، ويأمر ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، وأتبعه بعلي لأجل نقض العهود ؛ إذ كانت عادة **العرب** أن لا يقبلوا إلا من المطاع الكبير أو من رجل من أهل بيته .

والمقصود : أن هذا يبين أن قدوم وفد عبد القيس كان قبل ذلك؛ وأما

[حديث ضمام] فرواه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك : " نهينا أن نسأل رسول الله عن شيء،

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٤٦/١١٣

فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل يسأله، ونحن نسمع فجاء رجل من أهل البادية فقال : يا محمد أتانا رسولك، فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك قال : صدق." (١)

"ص -٦٥٧- يقول : إن صوت الرب حل في العبد ومنهم من يقول ظهر فيه - ولم يحل فيه ومنهم من يقول لا أقول ظهر ولا حل ومنهم من قال الصوت المسموع غير مخلوق أو قديم ومنهم من يقول يسمع منه صوتان : مخلوق وغير مخلوق . ومن القائلين بأنه مسموع من الله من يقول : بأنه يسمع المعنى القديم القائم بذات الرب مع سماع الصوت المحدث؛ قال هؤلاء يسمع القديم والمحدث كما قال أولئك يسمع صوتين قديما ومحدثا؛ وطائفة أخرى قالت : لم يسمع الناس كلام الله؛ لا من الله ولا من غيره؛ قالوا : لأن الكلام لا يسمع إلا من المتكلم؛ ثم من هؤلاء من قال : تسمع حكايته ومنهم من قال : تسمع عبارته لا حكايته؛ ومن القائلين بأنه مخلوق من قال : يسمع شيئان : الكلام المخلوق؛ والذي خلقه؛ والصوت الذي للعبد . وهذه الأقوال كلها مبتدعة مخترعة لم يقل السلف شيئا منها؛ وكلها باطلة شرعا وعقلا ولكن ألجأ أصحابها إليها اشتراك في الألفاظ؛ واشتباه في المعاني؛ فإنه إذا قيل سمعت كلام زيد أو قيل هذا كلام زيد فإن هذا يقال : على كلامه الذي تكلم به بلفظه ومعناه سواء كان مسموعا منه أو من المبلغ عنه مع العلم بالفرق بين الحالين وأنه إذا سمع منه سمع بصوته وإذا سمع من غيره سمع بصوت ذلك المبلغ لا بصوت المتكلم وإن كان اللفظ لفظ المتكلم وقد يقال مع القرينة هذا كلام فلان وإن ترجم عنه بلفظ آخر كما يحكي الله كلام من يحكي قوله من الأمم باللسان العربي وإن كانوا إنما قالوه بلفظ عبري أو سرياني." (٢)

"ص -٦٨٦- ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [الحجرات : ١٣] وفي الصحيح " أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل : أي الناس أكرم ؟ قال أتقاهم " . وفي السنن عنه أنه قال : " لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى الناس من آدم ، وآدم من تراب " .
آخر المجلد السابع." (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٤٧/١١٣

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٨/١١٤

(٣) مجموع الفتاوى ، ٨/١١٨

"مجموع فتاوى ابن تيمية – الجزء الثامن

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (١)

"ص -٢٨- من البشر، والرسول يتضمن المرسل، فبين أن كلا من الرسولين بلغه، لم يحدث هو منه شيئا، وأخبر أنه جعله قرآنا عربيا، وقال عما ينزل منه جديدا بعد نزول غيره قديما : ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ [الأنبياء : ٢] ، وأخبر أن للكلام المعين وقتا معينا، كما قال تعالى : ﴿فلما أتاها نودي ياموسى ﴾ [طه : ١١] ، وقال : ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ [الأعراف : ١١] .

والذين قالوا : إنه مخلوق، ليس معهم حجة إلا ما يدل على أنه تكلم بمشيئته وقدرته، وهذا حق، لكن ضموا إلى ذلك أن ما كان بمشيئته لا يقوم بذاته، فغلطوا ولبسوا الحق بالباطل، فضموا ما نطق به القرآن الموافق للشرع والعقل إلى ما أحدثوه من البدع والشبهات .

وكذلك الذين قالوا : إنه قديم، ليس معهم إلا ما يدل على أنه قائم بذاته، لكن ضموا إلى ذلك أن ما يقوم بذاته لا يكون بمشيئته وقدرته، فأخطؤوا في ذلك ولبسوا الحق بالباطل، وأولئك فسروا قوله : ﴿جعلناه قرآنا عربيا ﴾ [الزخرف : ٣] ، بأنه جعله بائنا عنه مخلوقا، وقالوا : جعل بمعنى : خلق، وهؤلاء قالوا : جعلناه : سميناه، كما في قوله : ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمان إناثا ﴾ [الزخرف : ١٩] ، وهذا إنما يقال فيمن اعتقد في الشيء صفة حقا أو باطلا إذا كانت الصفة خفية، فيقال : أخبرعنه بكذا، وكون القرآن عربيا أمر ظاهر لا يحتاج إلى الإخبار، ثم كل من أخبر بأنه عربي فقد جعله عربيا بهذا الاعتبار، والرب تعالى اختص بجعله عربيا، فإنه." (٢)

"ص -٢٩- هو الذي تكلم به وأنزله، فجعله قرآنا عربيا بفعل قام بنفسه وهو تكلم به، واختاره لأن يتكلم به عربيا عن غير ذلك من الألسنة باللسان العربي وأنزله به .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١/١١٩

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٤/١٢٠

ولهذا قال أحمد : الجعل من الله قد يكون خلقا وقد يكون غير خلق، فالجعل فعل، والفعل قد يكون متعديا إلى مفعول مباين له؛ كالخلق، وقد يكون الفعل لازما وإن كان له مفعول في اللغة كان مفعوله قائما بالفعل؛ مثل التكلم، فإن التكلم فعل يقوم بالمتكلم والكلام نفسه قائم بالمتكلم، فهو سبحانه جعله قرآنا عربيا، فالجعل قائم به والقرآن العربي قائم به، فإن الكلام يتضمن شيئين : يتضمن فعلا؛ هو التكلم، والحروف المنظومة والأصوات الحاصلة بذلك الفعل؛ ولهذا يجعل القول تارة نوعا من الفعل، وتارة قسيما للفعل، كما قد بسطت هذه الأمور في غير هذا الموضع، والله أعلم.

وقد ذكرت في غير هذا الموضع : أنه ما احتج أحد بدليل سمعي أو عقلي على باطل، إلا وذلك الدليل إذا أعطى حقه وميز ما يدل عليه مما لا يدل؛ تبين أنه يدل على فساد قول المبطل المحتج به، وأنه دليل لأهل الحق، وأن الأدلة الصحيحة لا يكون مدلولها إلا حقا، والحق لا يتناقض، بل يصدق بعضه بعضا، والله أعلم.

المسألة السادسة : دوام كونه قادرا في الأزل والأبد، فإنه قادر ولا." (١)

"ص -٦٧- وفي المسند عن العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إني عند الله مكتوب بخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورؤيا أمي، رأت حين ولدتني أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام) ، وفي حديث ميسرة الفجر : قلت : يا رسول الله، متى كتبت نبيا ؟ وفي لفظ : متى كنت نبيا ؟ قال : (وآدم بين الروح والجسد) .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق : (إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال : اكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح " قال : " فوالذي نفسي بيده أو قال : فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار، فيدخل النار) .

وفي الصحيحين عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقيع الغرقد في جنازة، فقال : (ما منكم أحد إلا قد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة) . فقالوا : يا

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٥/١٢٠

رسول الله، أفلا نتكل على الكتاب وندع العمل ؟ قال : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة." (١)

"ص -١٠٠- فأولئك القدرية وإن كانوا يشبهون المجوس من حيث إنهم أثبتوا فاعلا لما اعتقدوه شرا غير الله سبحانه فهؤلاء شابهوا المشركين الذين قالوا : ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ﴾ ، فالمشركون شر من المجوس، فإن المجوس يقرون بالجزية باتفاق المسلمين، وقد ذهب بعض العلماء إلى حل نسائهم وطعامهم، وأما المشركون فاتفقت الأمة على تحريم نكاح نسائهم وطعامهم، ومذهب الشافعي وأحمد في المشهور عنه وغيرهما أنهم لا يقرون بالجزية، وجمهور العلماء على أن مشركي العرب لا يقرون الجزية وإن أقرت المجوس، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل الجزية من أحد من المشركين؛ بل قال : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول لله، فإذا قالوها؛ عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله عز وجل) .

والمقصود هنا أن من أثبت القدر واحتج به على إبطال الأمر والنهي فهو شر ممن أثبت الأمر والنهي ولم يثبت القدر، وهذا متفق عليه بين المسلمين وغيرهم من أهل الملل بل بين جميع الخلق، فإن من احتج بالقدر وشهود الربوبية العامة لجميع المخلوقات، ولم يفرق بين المأمور والمحظور، والمؤمنين والكفار، وأهل الطاعة وأهل المعصية، لم يؤمن بأحد من الرسل ولا بشيء من الكتب، وكان عنده آدم وإبليس سواء، ونوح وقومه سواء، وموسى وفرعون سواء، والسابقون الأولون وكفار مكة سواء .

وهذا الضلال قد كثر في كثير من أهل التصوف والزهد والعبادة، لا سيما." (٢)

"ص -١٠٣- فإن هؤلاء المشركين كانوا مقرين بأن الله خالق السموات والأرض وخالقهم، وبيده ملكوت كل شيء، بل كانوا مقرين بالقدر أيضا فإن العرب كانوا يثبتون القدر في الجاهلية، وهو معروف عنهم في النظم والنثر، ومع هذا فلما لم يكونوا يعبدون الله وحده لا شريك له، بل عبدوا غيره كانوا مشركين شرا من اليهود والنصارى . فمن كان غاية توحيده وتحقيقه هو هذا التوحيد كان غاية توحيده توحيد المشركين .

وهذا المقام مقام وأي مقام ! زلت فيه أقدام، وضلت فيه أفهام، وبدل فيه دين المسلمين، والتبس فيه أهل التوحيد بعباد الأصنام، على كثير ممن يدعون نهاية التوحيد والتحقيق والمعرفة والكلام .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤/١٢٣

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٢/١٢٤

ومعلوم عند كل من يؤمن بالله ورسوله أن المعتزلة والشيعة القدرية المثبتين للأمر والنهي، والوعد والوعيد خير ممن يسوى بين المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والنبي الصادق، والمتنبئ الكاذب، وأولياء الله وأعدائه . ويجعل هذا غاية التحقيق، ونهاية التوحيد، وهؤلاء يدخلون في مسمى [القدرية] الذين ذمهم السلف، بل هم أحق بالذم من المعتزلة ونحوهم، كما قال أبو بكر الخلال في [كتاب السنة] : الرد على القدرية، وقولهم إن الله أجبر العباد على المعاصي، وذكر عن المروذي قال : قلت لأبي عبد الله : رجل يقول إن الله أجبر العباد، فقال : هكذا لا تقول، وأنكر ذلك، وقال : ﴿يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ [المدثر : ٣١] . وذكر عن المروذي رجلا قال : إن الله لم يجبر العباد على المعاصي .." (١)

"ص -٢٥٧- العقوبات وإن كان ذلك لا يستتب لهم وإنما يفعلونه عند موافقة أهوائهم كفعل المشركين من العرب ثم إذا خولف هوى أحد منهم قام في دفع ذلك متعديا للحدود غير واقف عند حد كما كانت تفعل المشركون أيضا . إذ هذه الطريقة تتناقض عند تعارض إرادات البشر . فهذا يريد أمرا والآخر يريد ضده، وكل من الإرادتين مقدرة فلا بد من ترجيح إحداهما أو غيرهما أو كل منهما من وجه وإلا لزم الفساد . وقد يغلو أصحاب هذا الطريق حتى يجعلوا عين الموجودات هي الله كما قد ذكر في غير هذا الموضع . ويتمسكون بموافقة الإرادة القدرية في السيئات الواقعة منهم ومن غيرهم كقول الحريري : أنا كافر برب يعصى، وقول بعض أصحابه لما دعاه مكاس فقيل له هو مكاس فقال : إن كان قد عصى الأمر فقد أطاع الإرادة وقول ابن إسرائيل :

أصبحت منفعلا لما يختاره مني ففعلي كله طاعات

وقد يسمون هذا حقيقة باعتبار أنه حقيقة الربوبية، والحقيقة الموجودة الكائنة أو الحقيقة الخبرية ولما كان في هؤلاء شوب من النصارى والنصارى فيهم شوب من الشرك تابعوا المشركين في ما كانوا عليه من التمسك بالقدر المخالف للشرع . هذا مع أنهم يعبدون غير الله الذي قدر الكائنات كما أن هؤلاء فيهم شوب من ذلك." (٢)

"ص -٢٨٣- ومن قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان نبيا قبل أن يوحى إليه، فهو كافر باتفاق المسلمين، وإنما المعنى أن الله كتب نبوته فأظهرها وأعلنها بعد خلق جسد آدم، وقبل نفخ الروح فيه، كما أخبر أنه يكتب رزق المولود وأجله وعمله وشقاوته وسعادته بعد خلق جسده، وقبل نفخ الروح فيه، كما في

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٧/١٢٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣/١٣٠

حديث العرباض بن سارية الذي رواه أحمد وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إني عبد الله وخاتم النبيين " ، وفي رواية : " إني عبد الله لمكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمجندل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك : دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورؤيا أمي رأت حين ولدتني أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام " .

وكثير من الجهال المصنفين وغيرهم يرويه : "كنت نبيا وآدم بين الماء والطين " ، " وآدم لا ماء ولا طين " ويجعلون ذلك وجوده بعينه، وآدم لم يكن بين الماء والطين، بل الماء بعض الطين لا مقابله .

وإذا كان كذلك، فإن قال : السابق نفس السعادة والشقاوة، فقد كذب، فإن السعادة إنما تكون بعد وجود الشخص الذي هو السعيد، وكذلك الشقاوة لا تكون إلا بعد وجود الشقي، كما أن العمل والرزق لا يكون إلا بعد وجود العامل ولا يصير رزقا إلا بعد وجود المرتزق، وإنما السابق هو العلم بذلك وتقديره لا نفسه وعينه، وإذا كان كذلك فالعمل أيضا سابق كسبق السعادة والشقاوة، وكلاهما معلوم مقدر، وهما." (١)

"ص -٣٥٣- العرب وغيرهم، وإن هؤلاء القدرية الجبرية الجهمية أهل الفناء في توحيد الربوبية، حقيقة قولهم من جنس قول المشركين الذين قالوا : ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ﴾ [الأنعام : ١٤٨] قال الله تعالى : ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون . قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾ [الأنعام : ١٤٨، ١٤٩] .

فإن هؤلاء المشركين لما أنكروا ما بعثت به الرسل من الأمر والنهي، وأنكروا التوحيد الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له، وهم يقرون بتوحيد الربوبية، وأن الله خالق كل شيء، ما بقى عندهم من فرق من جهة الله تعالى بين مأمور ومحظور، فقالوا : ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ﴾ [الأنعام : ١٤٨] ، وهذا حق، فإن الله لو شاء ألا يكون هذا لم يكن، لكن أي فائدة لهم في هذا، هذا غايته أن هذا الشرك والتحريم بقدر، ولا يلزم إذا كان مقدورا أن يكون محبوبا مرضيا لله، ولا علم عندهم بأن الله أمر به ولا أحبه ولا رضيه بل ليسوا في ذلك إلا على ظن وخرص .

فإن احتجوا بالقدر، فالقدر عام لا يختص بحالهم .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٥/١٣٢

وإن قالوا : نحن نحب هذا، ونسخط هذا، فنحن نفرق الفرق الطبيعي؛ لانتفاء الفرق من جهة الحق، قال تعالى : لا علم عندكم بانتفاء الفرق من جهة الله تعالى، والجهمية المثبتة للشرع تقول : بأن الفرق الثابت هو أن التوحيد." (١)

"ص -٣٦٦- من يهواه، هذا ما دام فيه محبة لله، وقد ينسلخ منها حتي يصير إلى التعطيل، كفرعون وأمثاله الذي هو أسوء حالا من مشركي **العرب** ونحوهم .

ولهذا هؤلاء يحبون بلا علم، ويبغضون بلا علم، والعلم ما جاء به الرسول، كما قال : ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم﴾ [آل عمران : ٦١] ، وهوالشرع المنزل؛ ولهذا كان الشيوخ العارفون كثيرا ما يوصون المريدين باتباع العلم والشرع، كما قد ذكرنا قطعة من كلامهم في غير هذا الموضع، لأن الإرادة والمحبة إذا كانت بغير علم وشرع، كانت من جنس محبة الكفار وإرادتهم، فهؤلاء السالكون المريدون الصوفية والفقراء الزاهدون العابدون، الذين سلكوا طريق المحبة والإرادة إن لم يتبعوا الشرع المنزل، والعلم الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيحبون ما أحب الله ورسوله، ويبغضون ما أبغض الله ورسوله، وإلا أفضى بهم الأمر إلى شعب من شعب الكفر والنفاق .

ولا يتم الإيمان والمحبة لله، إلا بتصديق الرسول فيما أخبر وطاعته فيما أمر .

ومن الإيمان بما أخبر، الإيمان بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله، فمن نفى الصفات فقد كذب خبره .

ومن الإيمان بما أمر فعل ما أمر وترك ما حظر، ومحبة الحسنات وبغض/." (٢)

"ص -٤٠٣- كله . . . مظهر أمر وحكم يمضيه، فالإرادة والأمر كل منهما منقسم . . . عام الوقوع جامع للقسمين، وإلى شرع وبما بعد وربما وقف . . . القدر له والخير كل الخير في نفوذه، وهو خاص الوقوع بفرق إلى القسمين، واضع الأشياء في مراتبها .

وإذا صح نسبة الطاعة والمعصية إلى من خلقت فيه، ولو أنه بخلق الصفات . أفيحسن بالإنسان أن يقول : أسود وأحمر وطويل، وقصير، وذكي، وبليد، **وعربي**، وعجمي، فيضيف إليه جميع الصفات التي ليس للإنسان فيها إرادة أصلا البتة لقيامها به . وتأثيرها فيه، تارة بما يلائمه وتارة بما ينافره، ثم يستبعد أن يضاف إليه ما خلق فيه من الفعل بواسطة قصده وإرادته المخلوقين أيضا ؟ ثم يقول : ليس للعبد في السيئ شيء،

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٥٢/١٣٣

(٢) مجموع الفتاوى ، ٦٥/١٣٣

فهل الجميع إلا له ؟ بل ليست لأحد غيره، لكن الله سبحانه وتعالى خلقها له، وإضافة الفعل إلى خالقه ومبدعه لا تنافي إضافته إلى صاحبه، ومحله الذي هو فاعله وكاسب. وقد بينا الجبر المذموم ما هو .
ونختم الكلام بكلام وجيز في سبب الفرق بين الخلق والكسب . فنقول :
الخلق يجمع معنيين : أحدهما : الإبداع والبرء، والثاني : التقدير والتصوير .." (١)

"ص -٤٢٤- وأن كلام الله إنما هو معني قائم بذاته هو الأمر والنهي والخبر، وهذا الكلام فاسد بالعقل الصريح، والنقل الصحيح، فإن المعني الواحد لا يكون هو الأمر بكل مأمور، والخبر عن كل مخبر، ولا يكون معنى التوراة والإنجيل والقرآن واحدا، وهم يقولون : إذا عبر عن ذلك الكلام بالعربية صار قرآنا، وإذا عبر عنه بالعبرية صار توراة، وهذا غلط، فإن التوراة يعبر عنها بالعربية ومعانيها ليست هي معاني القرآن، والقرآن يعبر عنه بالعبرية وليست معانيه هي معاني التوراة .
وهذا القول أول من أحدثه ابن كلاب، ولكنه هو ومن اتبعه عليه، كالأشعري وغيره يقولون مع ذلك : إن القرآن محفوظ بالقلوب حقيقة، متلو بالألسن حقيقة، مكتوب في المصاحف حقيقة .
ومنهم من يمثل ذلك بأنه محفوظ بالقلوب كما أن الله معلوم بالقلوب، ومتلو بالألسن كما أن الله مذكور بالألسن، ومكتوب في المصاحف، كما أن الله مكتوب في المصاحف، وهذا غلط في تحقيق مذهب ابن كلاب والأشعري فإن القرآن عندهم معنى عبارة عنه، والحقائق لها أربع مراتب : وجود عيني، وعلمي، ولفظي، ورسمي . فليس العلم بالمعنى له المرتبة الثانية، وليس ثبوته في الكتاب كثبوت الأعيان في الكتاب . فزاد هؤلاء قول ابن كلاب والأشعري قبحا .." (٢)

"ص -٤٥٧- وقال تعالى : ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا ﴾ [الفرقان : ٣١] ، وقال تعالى : ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ﴾ [الأنعام : ٨٣] ، فحجة المشركين في شركهم بالله وجعلهم له ولدا، وفي دفع أمره ونهيه بالقدر داحضة . وقد بسط الكلام على هذه الأمور وما يناسبها في غير هذا الموضع .
وبين أن قول الفلاسفة القائلين بقدم العالم، وأنه صادر عن موجب بالذات متولد عن العقول والنفوس الذين يعبدون الكواكب العلوية ويصنعون لها التماثيل السفلية، كأرسطو وأتباعه أعظم كفرا وضلالا من مشركي العرب الذين كانوا يقرون بأن الله خلق السموات والأرض، وما بينهما في ستة أيام، بمشيئته وقدرته، ولكن

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٩/١٣٦

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٠/١٣٧

خرقوا له بنين وبنات بغير علم وأشركوا به ما لم ينزل به سلطانا .

وكذلك المباحية الذين يسقطون الأمر والنهي مطلقا، ويحتجون بالقضاء. والقدر أسوأ حالا من اليهود والنصارى ومشركي العرب، فإن هؤلاء مع كفرهم يقرون بنوع من الأمر والنهي والوعد والوعيد، ولكن كان لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله، بخلاف المباحية المسقطة للشرائع مطلقا، فإنما يرضون بما تهواه أنفسهم، ويغضبون لما تهواه أنفسهم، لا يرضون لله، ولا يغضبون لله، ولا يحبون لله، ولا يبغضون لله، ولا يأمرون بما أمر الله به، ولا." (١)

"ص -٥٠٢- سببا لرغبته أو رهبته، فإذا أكرهه فعل به من العقاب أو الوعيد ما يكون سببا لرهبته وخوفه، فيفعل ما لا يختار فعله، ولا يفعله راضيا بفعله، ويكون مراده دفع الشر عنه، فهو مريد للفعل، لكن المقصود دفع الشر عنه، لا نفس الفعل، ولهذا قد يسمى مختارا، ويسمى غير مختار باعتبار، ويسمى مريدا، ويسمى غير مريد باعتبار .

ولكن اللغة العربية لا يسمى فيها مختارا بل مكرها، وهي لغة الفقهاء . كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا دعا أحدكم فلا يقل : اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ولكن ليعزم المسألة، فإن الله لا مكره له " . فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن من يفعل بمشيئته لا يكون مكرها، والمكره يفعل بمشيئة غيره، وهو المكره له، فإنه وإن كان قاصدا لما يفعله ليس هو بمنزلة المفعول به الذي لا قدرة له، ولا إرادة له في الفعل بحال، فإن مقصوده بالقص‍د الأول دفع الشيء لا نفس الفعل، فالمراتب ثلاثة :

أحدها : من يفعل به الفعل من غير قدرة له على الامتناع، كالذي يحمل بغير اختياره ويدخل إلى مكان أو يضرب به غيره، أو تضجع المرأة وتفعل بها الفاحشة بغير اختيارها، من غير قدرة على الامتناع، فهذا ليس له فعل اختياري، ولا قدرة ولا إرادة . ومثل هذا الفعل ليس فيه أمر ولا نهي، ولا عقاب باتفاق العقلاء، وإنما يعاقب إذا أمكنه الامتناع فتركه؛ لأنه إذا لم." (٢)

"مجموع فتاوى ابن تيمية - الجزء التاسع

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية -

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٢/١٤٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ٥٨/١٤٠

١٤١٦هـ/١٩٩٥م

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (١)

"ص -٩- بالموازين الصناعية في المنطق، لكن قد يقولون : هو حكيم بالطبع .

والقياس ينعقد في نفسه بدون تعلم هذه الصناعة، كما ينطق العربي بالعربية بدون النحو، وكما يقرض الشاعر الشعر بدون معرفة العروض . لكن استغناء بعض الناس عن هذه الموازين لا يوجب استغناء الآخرين، فاستغناء كثير من النفوس عن هذه الصناعة لا ينازع فيه أحد منهم .

والكلام هنا : هل تستغني النفوس في علومها بالكلية عن نفس القياس المذكور، ومواده المعينة ؟ فالاستغناء عن جنس هذا القياس شيء، وعن الصناعة القانونية التي يوزن بها القياس شيء آخر، فإنهم يزعمون أنه آلة قانونية تمنع مراعاتها الذهن أن يزل في فكره، وفساد هذا مبسوط مذكور في موضع غير هذا .

ونحن بعد أن تبينا عدم فائدته، وإن كان قد يتضمن من العلم ما يحصل بدونه، ثم تبينا أنا لو قدرنا أنه قد يفيد بعض الناس من العلم ما يفيده هو، فلا يجوز أن يقال : ليس إلى ذلك العلم لذلك الشخص، ولسائر بني آدم طريق إلا بمثل القياس المنطقي؛ فإن هذا قول بلا علم، وهو كذب محقق؛ ولهذا مازال متكلمو المسلمين وإن كان فيهم نوع من البدعة لهم من الرد عليه وعلى أهله وبيان الاستغناء عنه، وحصول الضرر والجهل به والكفر، ما." (٢)

"ص -٢٣- ككما سد على كثير منهم طريق العلم، وأوقعهم في أودية الضلال والجهل . فما الظن بغير علومهم من العلوم التي لا تحد للأولين والآخرين .

وأيضا، لا تجد أحدا من أهل الأرض حقق علما من العلوم وصار إماما فيه مستعينا بصناعة المنطق، لا من العلوم الدينية ولا غيرها، فالأطباء والحساب والكتاب ونحوهم يحققون ما يحققون من علومهم وصناعاتهم بغير صناعة المنطق .

وقد صنف في الإسلام علوم النحو واللغة والعروض والفقه وأصوله والكلام وغير ذلك، وليس في أئمة هذه الفنون من كان يلتفت إلى المنطق، بل عامتهم كانوا قبل أن يعرب هذا المنطق اليوناني .

وأما العلوم الموروثة عن الأنبياء صرفا، وإن كان الفقه وأصوله متصلا بذلك، فهي أجل وأعظم من أن يظن

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١/١٤٦

(٢) مجموع الفتاوى ، ٦/١٤٧

أن لأهلها التفاتا إلى المنطق؛ إذ ليس في القرون الثلاثة من هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس وأفضلها القرون الثلاثة، من كان يلتفت إلى المنطق أو يعرج عليه، مع أنهم في تحقيق العلوم وكمالها بالغاية التي لا يدرك أحد شأوها، كانوا أعمق الناس علما، وأقلهم تكلفا، وأبرهم قلوبا . ولا يوجد لغيرهم كلام فيما تكلموا فيه إلا وجدت بين الكلامين من الفرق أعظم مما بين القدم والفرق، بل الذي وجدناه بالاستقراء أن من المعلوم أن من الخائضين في العلوم من أهل هذه." (١)

"ص -٢٦- وأما منفعته في علم الإسلام خصوصا فهذا أبين من أن يحتاج إلى بيان؛ ولهذا تجد الذين اتصلت إليهم علوم الأوائل، فصاغوها بالصيغة **العربية** بعقول المسلمين، جاء فيها من الكمال والتحقيق والإحاطة والاختصار ما لا يوجد في كلام الأوائل، وإن كان في هؤلاء المتأخرين من فيه نفاق وضلال، لكن عادت عليهم في الجملة بركة ما بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوامع الكلم وما أوتيته أمته من العلم والبيان الذي لم يشركها فيه أحد .

وأيضا، فإن صناعة المنطق وضعها معلمهم الأول أرسطو، صاحب التعاليم التي لمبتدعة الصابئة، يزن بها ما كان هو وأمثاله يتكلمون فيه من حكمتهم وفلسفتهم، التي هي غاية كمالهم . وهي قسمان : نظرية وعملية .

فأصح النظرية وهي المدخل إلى الحق هي الأمور الحسابية الرياضية .

وأما العملية : فإصلاح الخلق والمنزل والمدينة . ولا ريب أن في ذلك من نوع العلوم والأعمال الذي يتميزون بها عن جهال بني آدم، الذين ليس لهم كتاب منزل ولا نبي مرسل ما يستحقون به التقدم على ذلك . وفيه من منفعة صلاح الدنيا وعمارتها ما هو داخل في ضمن ما جاءت به الرسل .

وفيها أيضا من قول الحق واتباعه والأمر بالعدل والنهي عن الفساد، ما هو داخل في ضمن ما جاءت به الرسل .." (٢)

"ص -٤٦- هذه الحدود من عادتهم، فإنهم لم يبتدعوها، ولم تكن الكتب الأعجمية الرومية **عربت** لهم، وإنما حدثت بعدهم من مبتدعة المتكلمين والفلاسفة، ومن حين حدثت صار بينهم من الاختلاف والجهل مالا يعلمه إلا الله .

وكذلك علم [الطب] و [الحساب] وغير ذلك، لا تجد أئمة هذه العلوم يتكلفون هذه الحدود المركبة

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٠/١٤٧

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٣/١٤٧

من الجنس والفصل إلا من خلط ذلك بصناعتهم من أهل المنطق .

وكذلك النحاة مثل سيبويه الذي ليس في العالم مثل كتابه، وفيه حكمة لسان **العرب**، لم يتكلف فيه حد الاسم والفاعل ونحو ذلك، كما فعل غيره . ولما تكلف النحاة حد الاسم ذكروا حدودا كثيرة كلها مطعون فيها عندهم . وكذلك ما تكلف متأخروهم من حد الفاعل والمبتدأ والخبر ونحو ذلك، لم يدخل فيها عندهم من هو إمام في الصناعة ولا حاذق فيها .

وكذلك الحدود التي يتكلفها بعض الفقهاء للطهارة والنجاسة، وغير ذلك من معاني الأسماء المتداولة بينهم، وكذلك الحدود التي يتكلفها الناظرون في أصول الفقه لمثل الخبر والقياس والعلم وغير ذلك، لم يدخل فيها إلا من ليس بإمام في الفن، وإلى الساعة لم يسلم لهم حد، وكذلك حدود أهل الكلام .." (١)

"ص -٦٢- فحيوانية الإنسان ونطقه، كل منهما فيه ما يشترك مع الحيوان فيه، وفيه ما يختص به عن سائر الحيوان، وكذلك بناء بنيته، فإن نموه واغتذاءه وإن كان بينه وبين النبات فيه قدر مشترك، فليس مثله هو؛ إذ هذا يغتذي بما يلذ به وييسر نفسه، وينمو بنمو حسه وحركته وهمه وحرثه، وليس النبات كذلك .

وكذلك أصناف النوع وأفراده . فنطق **العرب** بتمييز قلوبهم وبيان ألسنتهم أكمل من نطق غيرهم، حتى ليكون في بني آدم من هو دون البهائم في النطق والتمييز، ومنهم من لا تدرك نهايته .

وهذا كله يبين أن اشتراك أفراد الصنف، وأصناف النوع، وأنواع الجنس والأجناس السافلة في مسمى الجنس الأعلى، لا يقتضي أن يكون المعنى المشترك فيها بالسواء، كما أنه ليس بين الحقائق الخارجة شيء مشترك، ولكن الذهن فهم معنى يوجد في هذا ويوجد نظيره في هذا . وقد تبين أنه ليس نظيرا له على وجه المماثلة، لكن على وجه المشابهة، وأن ذلك المعنى المشترك هو في أحدهما على حقيقة تخالف حقيقة ما في الآخر .

ومن هنا يغلط القياسيون الذين يلحظون المعنى المشترك الجامع دون الفارق المميز .

والعرب من أصناف الناس، والمسلمون من أهل الأديان، أعظم الناس." (٢)

"ص -٦٣- إدراكا للفروق، وتمييزا للمشتركات . وذلك يوجد في عقولهم ولغاتهم وعلومهم وأحكامهم؛ ولهذا لما ناظر متكلمو الإسلام **العرب** هؤلاء المتكلمة الصابئة عجم الروم، وذكروا فضل

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٦/١٤٧

(٢) مجموع الفتاوى ، ٦٢/١٤٧

منطقهم وكلامهم على منطق أولئك وكلامهم ظهر رجحان كلام الإسلاميين، كما فعله القاضي أبو بكر بن الباقلاني في كتاب [الدقائق] الذي رد فيه على الفلاسفة كثيرا من مذاهبهم الفاسدة في الأفلاك والنجوم، والعقول والنفوس، وواجب الوجود وغير ذلك . وتكلم على منطقهم وتقسيمهم الموجودات، كتقسيمهم الموجود إلى الجوهر والعرض، ثم تقسيم الأعراض إلى المقولات التسعة، وذكر تقسيم متكلمة المسلمين الذي فيه من التمييز والجمع والفرق ما ليس في كلام أولئك .

وذلك أن الله علم الإنسان البيان، كما قال تعالى : ﴿ الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان ﴾ [الرحمن : ١-٤] ، وقال تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ [البقرة : ٣١] ، وقال : ﴿ علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ [العلق : ٥] ، والبيان : بيان القلب واللسان، كما أن العمى والبكم يكون في القلب واللسان، كما قال تعالى : ﴿ صم بكم عمي فهم لا يرجعون ﴾ [البقرة : ١٨] ، وقال : ﴿ صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾ [البقرة : ١٧١] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " هلا سألوا إذا لم يعلموا ؛ إنما شفاء العي السؤال " ، وفي الأثر : العي عي القلب لا عي اللسان . أو قال : شر العي عي القلب، وكان ابن مسعود يقول : إنكم في زمان كثير فقهاؤه، قليل خطباؤه، وسيأتي عليكم زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه .." (١)

"ص -١٠٤- وقد ذكر المناطقة أن القضايا المعلومة بالتواتر والتجربة والحواس يختص بها من علمها، ولا تكون حجة على غيره، بخلاف غيرها، فإنها مشتركة يحتج بها على المنازع، وهذا تفريق فاسد، وهو أصل من أصول الإلحاد والكفر . فإن المنقول عن الأنبياء بالتواتر من المعجزات وغيرها . يقول أحد هؤلاء بناء على هذا الفرق : هذا لم يتواتر عندي فلا تقوم به الحجة علي، وليس ذلك بشرط، ومن هذا الباب إنكار كثير من أهل البدع والكلام والفلسفة لما يعلمه أهل الحديث من الآثار النبوية؛ فإن هؤلاء يقولون : إنها غير معلومة لنا كما يقول من يقول من الكفار : إن معجزات الأنبياء غير معلومة له؛ وهذا لكونهم لم يعلموا السبب الموجب للعلم بذلك، والحجة قائمة عليهم تواتر عندهم أم لا .

وقد ذهب الفلاسفة أهل المنطق إلى جهالات قولهم : إن الملائكة هي العقول العشرة، وإنها قديمة أزلية، وإن العقل رب ما سواه، وهذا شيء لم يقل مثله أحد من اليهود والنصارى ومشركي **العرب**،ولم يقل أحد : إن ملكا من الملائكة رب العالم كله، ويقولون : إن العقل الفعال مبدع كل ما تحت فلك القمر، وهذا أيضا كفر لم يصل إليه أحد من كفار أهل الكتاب ومشركي **العرب**، ويقولون : إن الرب لا يفعل بمشيئته وقدرته،

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٦٣/١٤٧

وليس عالما بالجزئيات، ولا يقدر أن يغير العالم، بل العالم فيض فاض عنه بغير مشيئته وقدرته وعلمه،." (١)

"ص -١٠٥- وأنه إذا توجه المستشفع إلى من يعظمه من الجواهر العالية؛ كالعقول والنفوس والكواكب والشمس والقمر، فإنه يتصل بذلك المعظم المستشفع به، فإذا فاض على ذلك ما يفيض من جهة الرب فاض على هذا من جهة شفيعه، ويمثلونه بالشمس إذا طلعت على مرآة، فانعكس الشعاع الذي على المرآة على موضع آخر فأشرق بذلك الشعاع، فذلك الشعاع حصل له من مقابلة المرآة وحصل للمرآة بمقابلة الشمس .

ويقولون : إن الملائكة هي العقول العشرة، أو القوى الصالحة في النفس، وإن الشياطين هي القوى الخبيثة، وغير ذلك مما عرف فساده بالدلائل العقلية، بل بالضرورة من دين الرسول . فإذا كان شرك هؤلاء وكفرهم أعظم من شرك مشركي العرب وكفرهم، فأي كمال للنفس في هذه الجهالات ؟ ! . وهذا وأمثاله مفتقر إلى بسط كثير . والمقصود ذكر ما ادعوا في البرهان المنطقي .

وأيضا، فإذا قالوا : إن العلوم لا تحصل إلا بالبرهان الذي هو عندهم قياس شمولي، وعندهم لابد فيه من قضية كلية موجبة؛ ولهذا قالوا : إنه لا نتاج عن قضيتين سالبتين ولا جزئيتين في شيء من أنواع القياس، لا بحسب صورته -كالحملى والشرطي المتصل والمنفصل- ولا بحسب مادته لا البرهاني ولا الخطابي ولا الجدلي، بل ولا الشعري .." (٢)

"ص -١٣٤- المسلمين، وإن كان إنما أخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين كالإسماعيلية . وكان هو وأهل بيته وأتباعهم معروفين عند المسلمين بالإلحاد، وأحسن ما يظهرون دين الرفض وهم في الباطن يبطنون الكفر المحض . وقد صنف المسلمون في كشف أسرارهم وهتك أستارهم كتبا كبارا وصغارا، وجاهدوهم باللسان واليد؛ إذ كانوا بذلك أحق من اليهود والنصارى . ولو لم يكن إلا كتاب [كشف الأسرار وهتك الأستار] للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب، وكتاب عبد الجبار بن أحمد، وكتاب أبي حامد الغزالي، وكلام أبي إسحاق، وكلام ابن فورك، والقاضي أبي يعلي، والشهرستاني، وغير هذا مما يطول وصفه .

والمقصود هنا أن ابن سينا أخبر عن نفسه أن أهل بيته وأباه وأخاه كانوا من هؤلاء الملاحدة، وأنه إنما

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٤/١٤٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٥/١٤٨

اشتغل بالفلسفة بسبب ذلك، فإنه كان يسمعهم يذكرون العقل والنفس، وهؤلاء المسلمون الذين ينتسب إليهم، هم مع الإلحاد الظاهر وال كفر الباطن، أعلم بالله من سلفه الفلاسفة؛ كأرسطو وأتباعه؛ فإن أولئك ليس عندهم من العلم بالله إلا ما عند عباد مشركي **العرب** ما هو خير منه .

وقد ذكرت كلام أرسطو نفسه الذي ذكره في [علم ما بعد الطبيعة] في [مقالة اللام] وغيرها، وهو آخر منتهى فلسفته وبينت بعض ما فيه من الجهل، فإنه ليس في الطوائف المعروفين الذين يتكلمون في العلم الإلهي مع الخطأ والضلال مثل علماء اليهود والنصارى وأهل البدع من المسلمين وغيرهم أجهل." (١)

"ص -١٣٨- والقوم لولا الأنبياء لكانوا أعقل من غيرهم، لكن الأنبياء جاؤوا بالحق وبقاياه في الأمم وإن كفروا ببعضه، حتى مشركي **العرب** كان عندهم بقايا من دين إبراهيم، فكانوا خيرا من الفلاسفة المشركين الذين يوافقون أرسطو وأمثاله على أصولهم .

الوجه الخامس : أنه إن كان المطلوب بقياسهم البرهاني معرفة الموجودات الممكنة، فتلك ليس فيها ما هو واجب البقاء على حال واحدة أزلا وأبدا، بل هي قابلة للتغير والاستحالة وما قدر أنه من اللازم لموصوفه، فنفس الموصوف ليس واجب البقاء، فلا يكون العلم به علما بموجود واجب الوجود، وليس لهم على أزلية شيء من العالم دليل صحيح، كما بسط في موضعه، وإنما غاية أدلتهم تستلزم دوام نوع الفاعلية ونوع المادة والمدة . وذلك ممكن بوجود عين بعد عين من ذلك النوع أبدا، مع القول بأن كل مفعول محدث مسبوق بالعدم، كما هو مقتضى العقل الصريح والنقل الصحيح، فإن القول ب أن المفعول المعين مقارن لفاعله أزلا وأبدا مما يقضي صريح العقل بامتناعه، أي شيء قدر فاعله، لاسيما إذا كان فاعلا باختياره، كما دلت عليه الدلائل اليقينية ليست التي يذكرها المقصرون في معرفة أصول العلم والدين؛ كالرازي وأمثاله كما بسط في موضعه .

وما يذكرون من اقتران المعلول بعلته، فإذا أريد بالعلة، ما يكون مبدعا للمعلول، فهذا باطل بصريح العقل؛ولهذا تقر بذلك جميع الفطر السليمة التي." (٢)

"ص -١٥٥- والاستدلال على المواقيت والأمكنة بالأمكنة أمر اتفق عليه **العرب** والعجم وأهل الملل والفلاسفة، فإذا استدل بظهور الثريا على ظهور ما قرب منها مشرقا ومغربا ويمينا وشمالا من الكواكب، كان استدلالا بجزئي على جزئي لتلازمهما، وليس ذلك من قياس التمثيل . فإن قضى به قضاء كليا كان

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٥٤/١٤٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٥٨/١٤٨

استدلالا بكلي علي كلي، وليس استدلالا بكلي على جزئي، بل بأحد الكليين المتلازمين على الآخر، ومن عرف مقدار أبعاد الكواكب بعضها عن بعض، وعلم ما يقارن منها طلوع الفجر، استدل بما رآه منها على ما مضى من الليل، وما بقى منه، وهو استدلال بأحد المتلازمين على الآخر . ومن علم الجبال والأنهار والرياح، استدل بها على ما يلازمها من الأمكنة .

ثم اللزوم إن كان دائما لا يعرف له ابتداء، بل هو منذ خلق الله الأرض، كوجود الجبال والأنهار العظيمة : النيل، والفرات، وسيحان، وجيحان، والبحر، كان الاستدلال مطردا .

وإن كان اللزوم أقل من ذلك مدة مثل الكعبة، شرفها الله تعالى، فإن الخليل بناها، ولم تزل معظمة لم يعل عليها جبار قط، استدل بها بحسب ذلك، فيستدل بها وعليها؛ فإن أركان الكعبة مقابلة لجهات الأرض الأربع : الحجر الأسود يقابل المشرق، والغربي الذي يقابله ويقال له : الشامي يقابل المغرب، واليماني يقابل الجنوب، وما يقابله يقال له : العراقي إذا قيل." (١)

"ص -١٧١- لحظوا صفات ثابتة في العلة والدليل، وهو وصف التمام أو مجرد الاقتضاء، فكان ما اعتبره أولئك أولى بالحق والعقل مما اعتبره هؤلاء، الذين لم يرجعوا إلا إلى مجرد التحكم .

ولهذا كان العقلاء العارفون يصفون منطقهم بأنه أمر اصطلاحي، وضعه رجل من اليونان، لا يحتاج إليه العقلاء، ولا طلب العقلاء للعلم موقوفا عليه كما ليس موقوفا على التعبير بلغاتهم، مثل : فيلاسوفيا، وسوفسطيقا، وأنولوطيقا وآثولوجيا، وقاطيغورياس، ونحو ذلك من لغاتهم التي يعبرون بها عن معانيهم فلا يقول أحد : إن سائر العقلاء محتاجون إلى هذه اللغة . لا سيما من كرمه الله بأشرف اللغات الجامعة لأكمل مراتب البيان المبينة لما تتصوره الأذهان بأوجز لفظ وأكمل تعريف .

وهذا مما احتج به أبو سعيد السيرافي في مناظرته المشهورة ل [متى] الفيلسوف؛ لما أخذ [متى] يمدح المنطق، ويزعم احتياج العقلاء إليه، ورد عليه أبو سعيد بعدم الحاجة إليه، وأن الحاجة إنما تدعو إلى تعلم **العربية**؛ لأن المعاني فطرية عقلية لا تحتاج إلى اصطلاح خاص بخلاف اللغة المتقدمة التي يحتاج إليها في معرفة ما يجب معرفته من المعاني، فإنه لابد فيها من التعلم، ولهذا كان تعلم **العربية** التي يتوقف فهم القرآن والحديث عليها فرضا على الكفاية بخلاف المنطق .." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٤٨/٧٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٤٨/٩١

"ص -١٧٤- الكلام على دعواهم الرابعة التي هي أمثل من غيرها، وهي دعواهم أن برهانهم يفيد العلم التصديقي .

وإن قالوا : إن العلم التصديقي أو التصوري أيضا لا ينال بدونه، فهم ادعوا أن طرق العلم على عقلاء بني آدم مسدودة إلا من الطريقتين اللتين ذكروهما من الحد، وما ذكروه من القياس . . وادعوا أن ما ذكروه من الطريقتين توصلان إلى العلوم التي ينالها بنو آدم بعقولهم، بمعنى أن ما يوصل لابد أن يكون على الطريق الذي ذكروه لا على غيره، فما ذكروه آلة قانونية بها توزن الطرق العلمية، ويميز بها بين الطريق الصحيحة والفاسدة، فمراعاة هذا القانون تعصم الذهن أن يزل في الفكر الذي ينال به تصور أو تصديق .

هذا ملخص ما قالوه .

وكل هذه الدعاوى كذب في النفي والإثبات، فلا ما نفوه من طرق غيرهم كلها باطل، ولا ما أثبتوه من طرقهم كلها حق على الوجه الذي ادعوا فيه، وإن كان في طرقهم ما هو حق، كما أن في طرق غيرهم ما هو باطل، فما من أحد منهم ولا من غيرهم يصنف كلاما إلا ولابد أن يتضمن ما هو حق . فمع اليهود والنصاري من الحق بالنسبة إلى مجموع ما معهم أكثر مما مع هؤلاء من الحق، بل ومع المشركين عباد الأصنام من **العرب** ونحوهم من الحق أكثر مما مع." (١)

"ص -٢٣٠- وقال : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ [الحديد : ٢٥] ، وقال : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ﴾ الآية [النساء : ٥٩] .

وقد بين الله في كتابه من الأمثال المضروبة والمقاييس العقلية ما يعرف به الحق والباطل، وأمر الله بالجماعة والائتلاف، ونهى عن الفرقة والاختلاف، وأخبر أن أهل الرحمة لا يختلفون، فقال : ﴿ ولا يزالون مختلفين . إلا من رحم ربك ﴾ [هود : ١١٨، ١١٩] ؛ ولهذا يوجد أتبع الناس للرسل أقل اختلافا من جميع الطوائف المنتسبة للسنة، وكل من قرب للسنة كان أقل اختلافا ممن بعد عنها، كالمعتزلة والرافضة فنجدهم أكثر الطوائف اختلافا .

وأما اختلاف الفلاسفة فلا يحصره أحد، وقد ذكر الإمام أبو الحسن الأشعري في كتاب المقالات، [مقالات غير الإسلاميين] ، فأتى بالجم الغفير سوى ما ذكره الفارابي وابن سينا، وكذلك القاضي أبو بكر ابن الطيب في كتاب [الدقائق] الذي رد فيه على الفلاسفة والمنجمين، ورجح فيه منطق المتكلمين من

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٩٤/١٤٨

العرب على منطق اليونان . وكذلك متكلمة المعتزلة والشيعة وغيرهم في ردهم على الفلاسفة، وصنف الغزالي كتاب [التهافت] في الرد عليهم .

ومازال نظار المسلمين يصنفون في الرد عليهم في المنطق،ويبينون خطأهم." (١)

"ص -٢٤١- الثاني : أن أمتنا – أهل الإسلام – ما زالوا يزنون بالموازين العقلية، ولم يسمع سلفا بذكر هذا المنطق اليوناني، وإنما ظهر في الإسلام لما عربت الكتب الرومية في عهد دولة المأمون أو قريبا منها .

الثالث : أنه ما زال نظار المسلمين بعد أن عرب وعرفوه، يعيبونه ويذمونه ولا يلتفتون إليه ولا إلى أهله في موازينهم العقلية والشرعية، ولا يقول القائل ليس فيه مما انفردوا به إلا اصطلاحات لفظية، وإلا فالمعاني العقلية مشتركة بين الأمم، فإنه ليس الأمر كذلك، بل فيه معاني كثيرة فاسدة .

ثم هذا جعلوه ميزان الموازين العقلية التي هي الأقيسة العقلية، وزعموا أنه آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن أن يزل في فكره، وليس الأمر كذلك، فإنه لو احتاج الميزان إلى ميزان، لزم التسلسل .

وأيضا، فالفطرة إن كانت صحيحة وزنت بالميزان العقلي، وإن كانت بليدة أو فاسدة لم يزدها المنطق إلا بلادة وفسادا، ولهذا يوجد عامة من يزن به علومه، لابد أن يتخبط ولا يأتي بالأدلة العقلية على الوجه المحمود ومتى أتى بها على الوجه المحمود أعرض عن اعتبارها بالمنطق؛ لما فيه من العجز والتطويل، وتبعيد الطريق، وجعل الواضحات خفيات وكثرة الغلط والتغليط . فإنهم إذا عدلوا عن المعرفة الفطرية العقلية للمعينات إلى أقيسة كلية، وضعوا." (٢)

"ص -٢٤٨- غيره؛ ولهذا لما ظهرت التتار، وأراد بعضهم الدخول في الإسلام قيل : إن [هولاكو] أشار عليه بعض من كان معه من الفلاسفة بألا يفعل، قال : ذاك لسانه عربي ولا تحتاجون إلى شريعته .

ومن تبع النبي منهم في الشرائع العملية لا يتبعه في أصول الدين والاعتقاد، بل النبي عدهم بمنزلة أحد الأئمة الأربعة عند المتكلمين، فإن أئمة الكلام إذا قلدوا مذهبا من المذاهب الأربعة، اقتصروا في تقليده على القضايا الفقهية، ولا يلتزمون موافقته في الأصول ومسائل التوحيد . بل قد يجعلون شيوخهم المتكلمين أفضل منهم في ذلك .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٤٨/١٥٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٤٨/١٦١

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الله بأسمائه وصفاته المعينة، وعن الملائكة والعرش والكرسي والجنة والنار، وليس في ذلك شيء يمكن معرفته بقياسهم، وكذا أخبر عن أمور معينة مما كان وسيكون، وليس شيء من ذلك يمكن معرفته بقياسهم، لا البرهاني ولا غيره، فإن أقيستهم لا تفيد إلا أمورا كلية، وهذه أمور خاصة، وقد أخبر صلى الله عليه وسلم بما يكون من الحوادث المعينة حتى أخبر عن التتر الذين جاؤوا بعد ستمائة سنة من إخباره، وكذلك عن النار التي خرجت قبل مجيء التتر سنة خمس وخمسين وستمائة هـ، فهل يتصور أن قياسهم وبرهانهم يدل على آدمي معين أو أمة معينة، فضلا عن موصوف بالصفات التي ذكرها ؟." (١)

"ص -٢٦٥- وقال شيخ الإسلام قدس الله روحه :

فصل ملخص المنطق اليوناني

قد كتبت فيما تقدم ملخص [المنطق] **المعرب** الذي بلغته **العرب** عن اليونانيين، **وعربته** لفظا ومعنى، فإنها أحسنت ألفاظه وحررت معانيه، وهو المنسوب إلى أرسطو اليوناني الذي يسميه أتباعه من الصابئين الفلاسفة المبتدعين [المعلم الأول] ؛ لأنه وضع التعاليم التي يتعلمونها من المنطق والطبيعي وما بعد الطبيعة .

فإن هذه التعاليم لما اتصلت بالمسلمين **وعربت** كتبها مع ما **عرب** من كتب الطب والحساب والهيئة وغير ذلك، وكان انتشار تعريبها في دولة الخليفة أبى العباس الملقب بالمأمون، أخذها المسلمون فحرروها لفظا ومعنى، لكن فيها من الباطل والضلال شيء كثير .." (٢)

"ص -٢٨٣- والمقصود هنا أن هذا هو أصل من قال : القرآن محدث، ومن قال : إن الرب لم يقم به كلام ولا إرادة، بل ولا علم، بل ولا حياة، ولا قدرة ولا شيء من الصفات، فلما ظهر فساد هذا القول شرعا وعقلا، قالت طائفة ممن وافقتهم على أصل مذهبهم : هو لا يتكلم بمشيئته وقدرته، بل كلامه أمر لازم لذاته كما تلزم ذاته الحياة،ثم منهم من قال : هو معنى واحد؛ لامتناع اجتماع معاني لا نهاية لها في آن واحد، وامتناع تخصيصه بعدد دون عدد . وقالوا : ذلك المعنى هو الأمر بكل مأمور، والخبر عن كل مخبر عنه، إن عبر عنه **بالعربية** كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا، وقالوا : إن الأمر والنهي صفات للكلام لا أنواع له، فإن معنى [آية الكرسي] و [آية الدين] و

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٦٨/١٤٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢/١٥٠

﴿ قل هو الله أحد ﴾ [سورة الإخلاص] و ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ [سورة المسد] معنى واحد .
فقال جمهور العقلاء لهم : تصور هذا القول يوجب العلم بفساده، وقالوا لهم : موسى سمع كلام الله كله أو بعضه، إن قلتم : كله لزم أن يكون قد علم علم الله . وإن قلتم : بعضه، فقد تبعض، وقالوا لهم : إذا جوزتم أن تكون حقيقة الخبر هي حقيقة الأمر، وحقيقة النهي عن كل منهى عنه، والأمر بكل مأمور به هو حقيقة الخبر عن كل مخبر عنه، فجوزوا أن تكون، حقيقة العلم هي حقيقة القدرة، وحقيقة القدرة هي حقيقة الإرادة، فاعترف حذاقهم بأن هذا لازم لهم لا محيد لهم عنه، ولزمهم إمكان أن تكون حقيقة الذات هي حقيقة الصفات . وحقيقة الوجود الواجب هي حقيقة الوجوب الممكن، والتزم ذلك طائفة منهم فقالوا .:" (١)

"ص -٣١٩- أو سكرجة فتركها، ثم أقبل يطلب طعاما، فقيل له : هات إناء نعطيك طعاما ،فأما إذا أتيت وقد وضعت زبديتك مثلا في البيت وليس معك إناء نعطيك فلا نأخذ شيئا فرجعت بخفي حنين .
وإذا تأمل من له بصيرة بأساليب البيان وتصاريف اللسان وجد موقع هذا الكلام من العربية والحكمة كليهما موقعا حسنا بليغا؛ فإن نقيض هذه الحال المذكورة أن يكون القلب مقبلا على الحق والعلم والذكر معرضا عن غير ذلك . وتلك هي الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام فإن الحنف هو إقبال القدم وميلها إلى أختها ،فالحنف الميل عن الشيء بالإقبال على آخر، فالدين الحنيف هو الإقبال على الله وحده والإعراض عما سواه، وهو الإخلاص الذي ترجمته كلمة الحق، والكلمة الطيبة : [لا إله إلا الله] . اللهم ثبتنا عليها في الدنيا والآخرة ولا حول ولا قوة إلا بالله .
وهذا آخر ما حضر في هذا الوقت . والله أعلم . وصلى الله على محمد .." (٢)

"مجموع فتاوى ابن تيمية - الجزء العاشر
دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية - ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٤/١٥١

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٥/١٥٣

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (١)

"ص -٢٧- قضى لي بولد وجد وإلا لم يوجد ولا حاجة إلى وطء، كان أحمق بخلاف ما إذا وطئ وعزل الماء فإن عزل الماء لا يمنع انعقاد الولد إذا شاء الله، إذ قد يسبق الماء بغير اختياره .

ومن هذا ما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق، فأصبنا سبيا من **العرب**، فاشتهينا النساء، واشتدت علينا العزبة، وأحببنا العزل، فسألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فقال ما علكم ألا تفعلوا، فإن الله قد كتب ما هو خالق إلى يوم القيامة " ، وفي صحيح مسلم عن جابر : أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن لي جارية هي خادمتنا وسانيتنا في النخل، وأنا أطوف عليها، وأكره أن تحمل، فقال : "اعزل عنها إن شئت، فإنه سيأتيها ما قدر لها " .

وهذا مع أن الله سبحانه قادر على ما قد فعله من خلق الإنسان من غير أبوين كما خلق آدم، ومن خلقه من أب فقط كما خلق حواء من ضلع آدم القصير، ومن خلقه من أم فقط كما خلق المسيح ابن مريم عليه السلام، لكن خلق ذلك بأسباب أخرى غير معتادة .

وهذا الموضع، وإن كان إنما يجحده الزنادقة المعطلون للشرائع، فقد وقع في كثير من دقه كثير من المشائخ المعظمين يسترسل أحدهم مع القدر." (٢)

"ص -١٠٣- فضرب لهم مثلا كالذي أوقد النار كلما أضاءت أطفأها الله، والمثل المائي كالمثل النازل من السماء، وفيه ظلمات ورعد وبرق يرى . ولبسط الكلام في هذه الأمثال موضع آخر .

وإنما المقصود هنا ذكر حياة القلوب وإنارتها، وفي الدعاء المأثور : "اجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا " ، والربيع : هو المطر الذي ينزل من السماء فينبت به النبات، قال النبي صلى الله عليه وسلم : "إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم " . والفصل الذي ينزل فيه أول المطر تسميه **العرب** الربيع، لنزول المطر الذي ينبت الربيع فيه، وغيرهم يسمى الربيع الفصل الذي يلي الشتاء، فإن فيه تخرج الأزهار التي تخلق منها الثمار، وتنبت الأوراق على الأشجار .

والقلب الحي المنور؛ فإنه لما فيه من النور يسمع ويبصر ويعقل، والقلب الميت فإنه لا يسمع ولا يبصر .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١/١٥٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٩/١٥٥

قال تعالى : ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾ [البقرة : ١٧١] ، وقال تعالى : ﴿ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون . ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ﴾ [يونس : ٤٢، ٤٣] ، وقال تعالى : ﴿ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ الآيات [الأنعام : ٢٥] .." (١)

"ص -١٠٥- فطائفة من المفسرين تقول في هذه الآيات وما أشبهها كقوله : ﴿وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه ﴾ [يونس : ١٢] ، وأمثالها مما ذكر الله في عيوب الإنسان وذمها، فيقول هؤلاء : هذه الآية في الكفار، والمراد بالإنسان هنا الكافر، فيبقى من يسمع ذلك يظن أنه ليس لمن يظهر الإسلام في هذا الذم والوعيد نصيب، بل يذهب وهمه إلى من كان مظهرا للشرك من العرب، أو إلى من يعرفهم من مظهري الكفر، كاليهود والنصارى ومشركي الترك والهند، ونحو ذلك، فلا ينتفع بهذه الآيات التي أنزلها الله ليهتدي بها عباده .

فيقال : أولا : المظهرون للإسلام فيهم مؤمن ومنافق، والمنافقون كثيرون في كل زمان، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار .

ويقال : ثانيا : الإنسان قد يكون عنده شعبة من نفاق وكفر، وإن كان معه إيمان، كما قال النبي صلى الله علىيه وسلم في الحديث المتفق عليه : "أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب، وإذا أؤتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر " . فأخبر أنه من كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق .." (٢)

"ص -١٠٧- فائدة في طلب الهدى ؟ ! ثم يجيب بعضهم بأن المراد ثبتنا على الهدى كما تقول العرب للنائم : نم حتى آتيك، أو يقول بعضهم : ألزم قلوبنا الهدى، فحذف الملزوم، ويقول بعضهم : زدني هدى، وإنما يوردون هذا السؤال؛ لعدم تصورهم الصراط المستقيم الذي يطلب العبد الهداية إليه، فإن المراد به العمل بما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه في جميع الأمور .

والإنسان وإن كان أقر بأن محمدا رسول الله، وأن القرآن حق على سبيل الإجمال، فأكثر ما يحتاج إليه

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٥/١٥٦

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٧/١٥٦

من العلم بما ينفعه ويضره، وما أمر به، وما نهى عنه في تفاصيل الأمور وجزئياتها لم يعرفه، وما عرفه فكثير منه لم يعمل بعلمه، ولو قدر أنه بلغه كل أمر ونهي في القرآن والسنة، فالقرآن والسنة إنما تذكر فيهما الأمور العامة الكلية، لا يمكن غير ذلك لا تذكر ما يخص به كل عبد؛ ولهذا أمر الإنسان في مثل ذلك بسؤال الهدى إلى الصراط المستقيم .

والهدى إلى الصراط المستقيم يتناول هذا كله، يتناول التعريف بما جاء به الرسول مفصلا، ويتناول التعريف بما يدخل في أوامره الكليات، ويتناول إلهام العمل بعلمه، فإن مجرد العلم بالحق لا يحصل به الاهتداء إن لم يعمل بعلمه، ولهذا قال لنبيه بعد صلح الحديبية : ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ﴾ [الفتح : ١، ٢] ،." (١)

"ص -٢٢٨- العقلاء على أنه من أبين الباطل،فقد يظن ذلك من يظنه من هؤلاء، حتى قلت مرة لبعض من قال شيئا من ذلك لو كان هذا كما قلته لكتبت : [وما يعلم تأويل هو] منفصلة .

ثم كثيرا ما يذكر بعض الشيوخ أنه يحتج على قول القائل : [الله] بقوله : ﴿قل الله ثم ذرهم ﴾ ويظن أن الله أمر نبيه بأن يقول : الاسم المفرد، وهذا غلط باتفاق أهل العلم، فإن قوله : ﴿قل بله ﴾ معناه : الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى، وهو جواب لقوله : ﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ﴾ [الأنعام : ٩١] ، أي : الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى، رد بذلك قول من قال : ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال : ﴿من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ﴾ ثم قال : ﴿قل الله ﴾ أنزله ﴿ثم ذرهم ﴾ هؤلاء المكذبين ﴿في خوضهم يلعبون ﴾ .

ومما يبين ما تقدم : ما ذكره سيبويه وغيره من أئمة النحو أن **العرب** يحكون بالقول ما كان كلاما، لا يحكون به ما كان قولا، فالقول لا يحكى به إلا كلام تام، أو جملة اسمية أو فعلة؛ ولهذا يكسرون أن إذا جاءت بعد القول، فالقول لا يحكى به اسم، والله تعالى لا يأمر أحدا بذكر اسم مفرد، ولا شرع للمسلمين اسما مفردا مجردا، والاسم المجرد لا يفيد الإيمان." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٩/١٥٦

(٢) مجموع الفتاوى ، ٨٧/١٥٨

"ص -٢٣٢- أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، وقول المصلي : الله أكبر، سبحان ربي العظيم، سبحان ربي الأعلى، سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، التحيات لله، وقول الملبي : لبيك اللهم لبيك، وأمثال ذلك، فجميع ما شرعه الله من الذكر إنما هو كلام تام، لا اسم مفرد لا مظهر ولا مضمر، وهذا هو الذي يسمى في اللغة كلمة، كقوله : "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم " ، وقوله : "أفضل كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ماخلا الله باطل " ، ومنه قوله تعالى : ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم ﴾ الآية [الكهف : ٥] ، وقوله : ﴿وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا ﴾ [الأنعام : ١١٥] ، وأمثال ذلك مما استعمل فيه لفظ الكلمة في الكتاب والسنة،بل وسائر كلام العرب فإنما يراد به الجملة التامة، كما كانوا يستعملون الحرف في الاسم، فيقولون : هذا حرف غريب . أي : لفظ الاسم غريب . وقسم سيبويه الكلام إلى اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى، ليس باسم وفعل، وكل من هذه الأقسام يسمى حرفا، لكن خاصة الثالث أنه حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، وسمى حروف الهجاء باسم الحرف وهي أسماء، ولفظ الحرف يتناول هذه الأسماء وغيرها، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : "من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف." (١)

"ص -٢٣٣- عشر حسنات : أما أني لا أقول : ﴿الم ﴾ حرف، ولكن ألف حرف،ولام حرف، وميم حرف " ، وقد سأل الخليل أصحابه عن النطق بحرف الزاي من زيد فقالوا : زاي، فقال : جئتم بالاسم، وإنما الحرف [ز] .

ثم إن النحاة اصطلحوا على أن هذا المسمى في اللغة بالحرف يسمى كلمة، وأن لفظ الحرف يخص لما جاء لمعنى، ليس باسم ولا فعل، كحروف الجر ونحوها، وأما ألفاظ حروف الهجاء فيعبر تارة بالحرف عن نفس الحرف من اللفظ، وتارة باسم ذلك الحرف، ولما غلب هذا الاصطلاح صار يتوهم من اعتاده أنه هكذا في لغة العرب، ومنهم من يجعل لفظ الكلمة في اللغة لفظا مشتركا بين الاسم مثلا وبين الجملة، ولا يعرف في صريح اللغة من لفظ الكلمة إلا الجملة التامة . والمقصود هنا أن المشروع في ذكر الله سبحانه هو ذكره بجملة تامة وهو المسمى بالكلام، والواحد منه بالكلمة، وهو الذي ينفع القلوب، ويحصل به الثواب والأجر، والقرب إلى الله ومعرفته ومحبته وخشيته، وغير ذلك من المطالب العالية والمقاصد السامية، وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهرا أو مضمرا فلا أصل له . فضلا عن أن يكون من ذكر الخاصة

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٩١/١٥٨

والعارفين، بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات وذريعة إلى تصورات أحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد، وأهل الاتحاد، كما قد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضع .." (١)

"ص -٢٦٤- وأحوال يكون فيها أفضل من الفاضل، لكن أول الدين وآخره وظاهره وباطنه هو التوحيد، وإخلاص الدين كله لله هو تحقيق قول لا إله إلا الله .

فإن المسلمين وإن اشتركوا في الإقرار بها، فهم متفاضلون في تحقيقها تفاضلا لا نقدر أن نضبطه، حتى إن كثيرا منهم يظنون أن التوحيد المفروض : هو الإقرار والتصديق بأن الله خالق كل شيء وربه، ولا يميزون بين الإقرار بتوحيد الربوبية، الذي أقر به مشركو **العرب**، وبين توحيد الإلهية، الذي دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يجمعون بين التوحيد القولي والعملي .

فإن المشركين ما كانوا يقولون : إن العالم خلقه اثنان، ولا أن مع الله ربا ينفرد دونه بخلق شيء، بل كانوا كما قال الله عنهم : ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله ﴾ [لقمان : ٢٥] ، وقال تعالى : ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ [يوسف : ١٠٦] ، وقال تعالى : ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل فأنا تسحرون ﴾ [المؤمنون : ٨٤ ٨٩] .

وكانوا مع إقرارهم بأن الله هو الخالق وحده يجعلون معه آلهة." (٢)

"ص -٣٦٩- والنسبة في الصوفية، إلى الصوف؛ لأنه غالب لباس الزهاد، وقد قيل هو نسبة إلى صوفة بن مراد بن أد بن طابخة قبيلة من **العرب** كانوا يجاورون حول البيت . وأما من قال : هم نسبة إلى الصفة، فقد قيل : كان حقه أن يقال : صفية، وكذلك من قال : نسبة إلى الصفا، قيل له : كان حقه أن يقال : صفائية، ولو كان مقصورا لقيل صفوية، وإن نسب إلى الصفوة قيل : صفوية . ومن قال : نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله . قيل له : كان حقه أن يقال : صفية، ولا ريب أن هذا يوجب النسبة والإضافة، إذا أعطى الاسم حقه من جهة **العربية** .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٩٢/١٥٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٩/١٥٩

لكن التحقيق، أن هذه النسب إنما أطلقت على طريق الاشتقاق الأكبر والأوسط، دون الاشتقاق الأصغر، كما قال أبو جعفر : العامة اسم مشتق من العمى،فراعوا الاشتراك في الحروف دون الترتيب، وهو الاشتقاق الأوسط، أو الاشتراك في جنس الحروف دون أعيانها وهو الأكبر .

وعلى الأوسط قول نحاة الكوفيين الاسم، مشتق من السمة .

وكذلك إذا قيل الصوفي من الصفا، وأما إذا قيل هو من الصفة أو الصف، فهو على الأكبر .

وقد تكلم بهذا الاسم قوم من الأئمة، كأحمد بن حنبل، وغيره." (١)

"ص -٤٣٠- وقال الشيخ :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد :

اعلم أنه يجب على كل بالغ عاقل من الإنس والجن، أن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا . أرسله إلى جميع الخلق، إنسهم وجنهم، وعربهم وعجمهم، وفرسهم وهندهم، وبربرهم وررومهم، وسائر أصناف العجم أسودهم، وأبيضهم، والمراد بالعجم من ليس بعربي على اختلاف ألسنتهم .

فمحمد صلى الله عليه وسلم أرسل إلى كل أحد، من الإنس والجن كتابيهم وغير كتابيهم، في كل ما يتعلق بدينه من الأمور الباطنة والظاهرة، في عقائده وحقائقه، وطرائقه وشرائعه، فلا عقيدة إلا عقيدته، ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا طريقة إلا طريقته، ولا شريعة إلا شريعته، ولا يصل أحد من الخلق إلى الله، وإلى رضوانه وجنته وكرامته." (٢)

"ص -٤٣٦- له لا يصح شيء من عبادته لا فرائضه ولا نوافله، ومن لا فريضة له ولا نافلة، ليس من أولياء الله؛ ولهذا قال تعالى : ﴿إن في ذلك لآيات لأولي النهى ﴾ [طه : ٥٤] أي العقول، وقال تعالى : ﴿هل في ذلك قسم لذي حجر ﴾ [الفجر : ٥] أي لذي عقل . وقال تعالى : ﴿واتقوني ياأولي

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٧/١٦١

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢/١٦٤

الألباب ﴾ [البقرة : ١٩٧] وقال : ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾ [الأنفال : ٢٢] ، وقال تعالى : ﴿إنا أنزلناه قرآنا **عربيا** لعلكم تعقلون ﴾ [يوسف : ٢] .

فإنما مدح الله وأثنى على من كان له عقل . فأما من لا يعقل فإن الله لم يحمده ولم يثن عليه ولم يذكره بخير قط، بل قال تعالى عن أهل النار : ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾ [الملك : ١٠] ، وقال تعالى : ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون به ا أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ [الأعراف : ١٧٩] وقال : ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴾ [الفرقان : ٤٤] .

فمن لا عقل له لا يصح إيمانه ولا فرضه ولا نفله، ومن كان يهوديا أو نصرانيا ثم جن وأسلم بعد جنونه لم يصح إسلامه لا باطنا ولا ظاهرا . ومن كان قد آمن ثم كفر وجن بعد ذلك فحكمه حكم الكفار . ومن كان مؤمنا ثم جن بعد ذلك أثيب على إيمانه الذي كان في." (١)

"ص -٤٤٣- تكلموا بما كان في قلوبهم من الإيمان، لا بالكفر والبهتان، بخلاف غيرهم ممن يتكلم إذا حصل له نوع إفاقه بالكفر والشرك، ويهذي في زوال عقله بالكفر، فهذا إنما يكون كافرا لا مسلما، ومن كان يهذي بكلام لا يعقل بالفارسية أو التركية أو البربرية، وغير ذلك مما يحصل لبعض من يحضر السماع، ويحصل له وجد يغيب عقله حتى يهذي بكلام لا يعقل أو بغير **العربية** فهؤلاء إنما يتكلم على ألسنتهم الشيطان كما يتكلم على لسان المصروع .

ومن قال : إن هؤلاء أعطاهم الله عقولا وأحوالا فأبقى أحوالهم وأذهب عقولهم وأسقط ما فرض عليهم بما سلب .

قيل : قولك وهب الله لهم أحوالا، كلام مجمل، فإن الأحوال تنقسم إلى : حال رحماني، وحال شيطاني، وما يكون لهؤلاء من خرق عادة بمكاشفة وتصرف عجيب، [فتارة] يكون من جنس ما يكون للسحرة والكهان، وتارة يكون من الرحمن من جنس ما يكون من أهل التقوى والإيمان؛ فإن كان هـؤلاء في حال عقولهم كانت لهم مواهب إيمانية، وكانوا من المؤمنين المتقين، فلا ريب أنه إذا زالت عقولهم سقطت عنهم الفرائض بما سلب من العقول، وإن كان ما أعطوه من الأحوال الشيطانية كما يعطاه المشركون وأهل الكتاب

(١) مجموع الفتاوى ، ٨/١٦٤

والمنافقون فهؤلاء إذا زالت عقولهم لم يخرجوا بذلك مما كانوا عليه من الكفر والفسوق، كما لم يخرج الأولون عما كانوا عليه من الإيمان." (١)

"ص -٥٥٩- ويتوهمون أن المراد قول هذا الاسم فخطأ واضح؛ ولو تدبروا ما قبل هذا تبين مراد الآية، فإنه سبحانه قال : ﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله﴾ [الأنعام : ٩١] أي : قل : الله أنزل الكتاب الذي جاء به موسى . فهذا كلام تام، وجملة إسمية مركبة من مبتدأ وخبر، حذف الخبر منها لدلالة السؤال على الجواب .

وهذا قياس مطرد في مثل هذا في كلام **العرب** كقوله : ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم﴾ الآية [الزمر : ٣٨] ، وقوله : ﴿أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أئله مع الله﴾ [النمل : ٦٠] ، وكذلك ما بعدها وقوله : [قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون الله] على قراءة أبي عمرو، وتقول في الكلام : من جاء ؟ فتقول : زيد . ومن أكرمت ؟ فتقول : زيدا . وبمن مررت ؟ فتقول : بزيد . فيذكرون الاسم الذي هو جواب من، ويحذفون المتصل به، لأنه قد ذكر في السؤال مرة، فيكرهون تكريره من غير فائدة بيان، لما في ذلك من التطويل والتكرير .." (٢)

"ص -٥٧٠- يسمى عاقبة الشر شرا، وعاقبة الخير خيرا، وعاقبة الحسنات حسنات، وعاقبة السيئات سيئات .

فالحسنات والسيئات، في كتاب الله يراد بها أعمال الخير وأعمال الشر، كما يراد بها النعم والمصائب والجزاء من جنس العمل، فمن عمل خيرا وحسنات لقي خيرا وحسنات، ومن عمل شرا وسيئات لقي شرا وسيئات . كذلك من عمل غيا لقى غيا، وترك الصلاة واتباع الشهوات غي يلقي صاحبه غيا . فلهذا قال الزمخشري : كل شر عند **العرب** غي، وكل خير رشاد . كما قيل :

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٥/١٦٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ٨/١٦٦

وقال الزجاج : جزاؤه غي، لقوله : ﴿يلق أثاما ﴾ [الفرقان : ٦٨] ، أي مجازات آثام . وفي الحديث المأثور : إن غيا واد في جهنم تستعيذ منه أوديتها، وهذا تعبير عن ملاقات الشر، وقال سبحانه : ﴿أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ﴾ [مريم : ٥٩] ، فإن الصلاة فيها إرادة وجه الله . كما قال تعالى : ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ [الأنعام : ٥٢] ، أي يصلون صلاة الفجر والعصر . والداعي يقصد ربه ويريده، فتكون القلوب في هذه الأشياء مريدة لربها محبة له .." (١)

"ص -٥٩٠- والشح يكون في الرجل مع الحرص، وقوة الرغبة في المال، وبغض للغير وظلم له، كما قال تعالى : ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا . أشحة عليكم ﴾ الآيات إلى قوله : ﴿أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم ﴾ [الأحزاب : ١٨، ١٩] ، فشحهم على المؤمنين، وعلى الخير يتضمن كراهيته وبغضه، وبغض الخير يأمر بالشر، وبغض الإنسان يأمر بظلمه، وقطيعته كالحسد، فإن الحاسد يأمر حاسده بظلم المحسود وقطيعته، كابني آدم وإخوة يوسف .

فالحسد والشح، يتضمنان بغضا وكراهية، فيأمران بمنع الواجب وبظلم ذلك الشخص، فإن الفعل صدر فيه عن بغض، بخلاف الهوى فإن الفعل صدر فيه عن حب أحب شيئا فاتبعه ففعله، وذلك مقصوده أمر عدمي والعدم لا ينفع . ولكن ذاك القصد أمر بأمر وجودي، فأطيع أمره .

وابن مسعود جعل البخل خارجا عن الشح والنبي صلى الله عليه وسلم جعل الشح يأمر بالبخل .

ومن الناس من يقول : الشح، والبخل سواء . كما قال ابن جرير : الشح في كلام العرب هو البخل، ومنع الفضل من المال . وليس." (٢)

"ص -٦٢٧- والواحد والعدد، فالضمير عائد على معناها المؤنث، وتأنيثها غير حقيقي؛ ولهذا قيل : ﴿قد أفلح ﴾ ولم يقل : قد أفلحت، قيل لهم : هذا مع أنه خروج من اللغة الفصيحة، فإنما يصح إذا دل الكلام على ذلك في مثل ومن . . . على أن المراد لنا، وكذا قوله : ﴿ومنهم من يستمعون إليك ﴾ [يونس : ٤٢] ، ونحو ذلك .

وأما هنا فليس في لفظ ﴿من ﴾ ، وما بعدها ما يدل على أن المراد به النفس المؤنثة، فلا يجوز أن يراد بالكلام ما ليس فيه دليل على إرادته، فإن مثل هذا مما يصان كلام الله عز وجل عنه، فلو قدر احتمال عود

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤/١٦٧

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٤/١٦٧

ضمير ﴿زكاها﴾ إلى نفس وإلى ﴿من﴾ ، مع أن لفظ ﴿من﴾ لا دليل يوجب عوده عليه ؛لكان إعادته إلى المؤنث أولى من إعادته إلى ما يحتمل التذكير والتأنيث، وهو في التذكير أظهر، لعدم دلالته على التأنيث، فإن الكلام إذا احتمل معنيين وجب حمله على أظهرهما، ومن تكلف غير ذلك، فقد خرج عن كلام العرب المعروف، والقرآن منزه عن ذلك، والعدول عما يدل عليه ظاهر الكلام إلى مالا يدل عليه بلا دليل لا يجوز البتة فكيف إذا كان نصا من جهة المعني ؟ ! فقد أخبر الله أنه يلهم التقوى والفجور . ولبسط هذا موضع آخر .." (١)

"ص -٦٢٩- المال إذا نما . ولن ينمو الخير إلا بترك الشر، والزرع لا يزكو حتى يزال عنه الدغل، فكذلك النفس والأعمال لا تزكوا حتي يزال عنها ما يناقضها ولا يكون الرجل متزكيا إلا مع ترك الشر، فإنه يدنس النفس ويدسيها . قال الزجاج : ﴿دساها﴾ جعلها ذليلة حقيرة خسيسة، وقال الفراء : دساها؛ لأن البخيل يخفي نفسه ومنزله وماله، قال ابن قتيبة : أي أخفاها بالفجور والمعصية، فالفاجر دس نفسه، أي قمعها وخباها، وصانع المعروف شهر نفسه ورفعها، وكانت أجواد العرب تنزل الربى لتشهر أنفسها، واللئام تنزل الأطراف والوديان .

فالبر والتقوى يبسط النفس، ويشرح الصدر، بحيث يجد الإنسان في نفسه اتساعا وبسطا عما كان عليه قبل ذلك، فإنه لما اتسع بالبر والتقوى والإحسان بسطه الله وشرح صدره، والفجور، والبخل يقمع النفس ويضعها ويهينها، بحيث يجد البخيل في نفسه أنه ضيق . وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في الحديث الصحيح، فقال : "مثل البخيل والمتصدق، كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد، قد اضطرت أيديهما إلى تراقيهما . فجعل المتصدق كلما هم بصدقة اتسعت وانبسطت عنه، حتى تغشى أنامله، وتعفو أثره، وجعل البخيل كلما هم بصدقة، قلصت، وأخذت كل حلقة بمكانها، وأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بأصبعه في جيبه، فلو رأيتها يوسعها فلا تتسع " أخرجاه .." (٢)

"ص -٧٢٨- ولا فخر " ، وهو شفيع الأولين والآخرين في الحساب بينهم ؛ وهو أول من يستفتح باب الجنة، وذلك أن جميع الخلائق أخذ الله عليهم ميثاق الإيمان به كما أخذ على كل نبي أن يؤمن بمن قبله من الأنبياء ؛ ويصدق بمن بعده، قال تعالى : ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه﴾ الآية [آل عمران : ٨١] . فافتتح الكلام باللام

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤/١٦٩

(٢) مجموع الفتاوى ، ٦/١٦٩

الموطئة للقسم التي يؤتي بها إذا اشتمل الكلام على قسم وشرط؛ وأدخل اللام على ما الشرطية ليبين العموم، ويكون المعنى : مهما آتيكم من كتاب وحكمة فعليكم إذا جاءكم ذلك النبي المصدق الإيمان به ونصره . كما قال ابن عباس : ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه .

والله تعالى قد نوه بذكره وأعلنه في الملأ الأعلى، ما بين خلق جسد آدم ونفخ الروح فيه، كما في حديث ميسرة الفجر قال : ، قلت : يا رسول الله ! متى كنت نبيا ؟ وفي رواية متى كتبت نبيا ؟ فقال : "وآدم بين الروح والجسد " رواه أحمد . وكذلك في حديث العرباض بن سارية الذي رواه أحمد وهو حديث حسن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته " الحديث .." (١)

"مجموع فتاوى ابن تيمية - الجزء الحادي عشر

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية - ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (٢)

"ص -٦- أضيف إليه الصوفي، فإنه من أسماء النسب؛ كالقرشي، والمدني، وأمثال ذلك .

فقيل : إنه نسبة إلى " أهل الصفة " وهو غلط؛ لأنه لو كان كذلك لقيل : صفي . وقيل : نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله، وهو أيضا غلط؛ فإنه لو كان كذلك لقيل : صفي . وقيل : نسبة إلى الصفوة من خلق الله وهو غلط؛ لأنه لو كان كذلك لقيل : صفوي . وقيل : نسبة إلى صوفة بن بشر بن أد بن طابخة، قبيلة من العرب كانوا يجاورون بمكة من الزمن القديم، ينسب إليهم النساك، وهذا وإن كان موافقا للنسب من جهة اللفظ، فإنه ضعيف أيضا؛ لأن هؤلاء غير مشهورين، ولا معروفين عند أكثر النساك، ولأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى، ولأن غالب من تكلم باسم " الصوفى " لا يعرف هذه القبيلة، ولا يرضى أن يكون مضافا إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٠/١٧٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ١/١٧٥

.

وقيل وهو المعروف : إنه نسبة إلى لبس الصوف؛ فإنه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة، وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد [عبد الواحد بن زيد أبو عبيدة البصرى شيخ الصوفية وواعظهم، لحق الحسن البصرى وغيره . قال البخارى : تركوه . وقال النسائى : متروك الحديث . وقال الجوزجانى : سيئ المذهب، ليس من معادن الصدق . توفى بعد الخمسين ومائة من الهجرة . [سير أعلام النبلاء ٧١٧٨ ١٨٠، ميزان الاعتدال ٢٣٧٢، ٣٧٦] .

وعبد الواحد من أصحاب الحسن، وكان فى البصرة من المبالغة فى الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك،." (١)

"ص -٧٨- وبين أبي بكر، فكذب مختلق، نعم ! كان أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،وأولاهم به، وأعلمهم بمراده لما يسألونه عنه، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلم بالكلام العربي الذي يفهمه الصحابة رضي الله عنهم .

ويزداد الصديق بفهم آخر يوافق ما فهموه، ويزيد عليهم ولا يخالفه؛ مثل ما في الصحيحين عن أبي سعيد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس فقال : " إن عبدا خيره الله بين الدنيا والآخرة، فاختار ذلك العبد ما عند الله " . فبكى أبو بكر . وقال : بل نفديك بأنفسنا وأموالنا . فجعل بعض الناس يعجب ويقول : عجبا لهذا الشيخ يبكي أن ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا خيره الله بين الدنيا والآخرة . قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا به .

فالنبي صلى الله عليه وسلم ذكر عبدا مطلقا، وهذا كلام عربي لا لغز فيه، ففهم الصديق لقوة معرفته بمقاصد النبي صلى الله عليه وسلم أنه هو العبد المخير، ومعرفة أن المطلق هذا المعين خارج عن دلالة اللفظ، لكن يوافقه ولا يخالفه؛ ولهذا قال أبو سعيد : كان أبو بكر أعلمنا به .

ومن هذا أن الصديق – رضي الله عنه – لما عزم على قتال." (٢)

"ص -١٥٤- قال ابن المرحل : رجعت عن هذا السؤال؛ لكن أقول : هو عموم مراد في كل ما يسمى بيعا في الشرع . فإن البيع من الأسماء المنقولة إلى كل بيع صحيح شرعي .

قال الشيخ تقي الدين : البيع ليس من الأسماء المنقولة؛ فإن مسماه في الشرع والعرف هو المسمى اللغوي،

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣/١٧٦

(٢) مجموع الفتاوى ، ٨/١٧٩

لكن الشارع اشترط لحله وصحته شروطا . كما قد كان أهل الجاهلية لهم شروط أيضا بحسب اصطلاحهم . وهكذا سائر أسماء العقود، مثل الإجارة والرهن، والهبة والقرض والنكاح، إذا أريد به العقد وغير ذلك، هي باقية على مسمياتها . والنقل إنما يحتاج إليه إذا أحدث الشارع معاني لم تكن العرب تعرفها، مثل الصلاة والزكاة، والتيمم . فحينئذ يحتاج إلى النقل . ومعاني هذه العقود ما زالت معروفة .

قال ابن المرحل : أصحابي قد قالوا : إنها منقولة .

قال الشيخ تقي الدين : لو كان لفظ البيع في الآية المراد به البيع الصحيح الشرعي لكان التقدير : أحل الله البيع الصحيح الشرعي . أو أحل الله البيع الذي هو عنده حلال . وهذا مع أنه مكرر فإنه يمنع الاستدلال بالآية . فإنا لا نعلم دخول بيع من البيوع في الآية حتى نعلم أنه بيع صحيح شرعي . ومتى علمنا ذلك استغنينا عن الاستدلال بالآية .." (١)

"ص -١٦٣- وفضائله صلى الله عليه وسلم وفضائل أمته كثيرة، ومن حين بعثه الله جعله الله الفارق بين أوليائه وبين أعدائه، فلا يكون وليا لله إلا من آمن به وبما جاء به، واتبعه باطنا وظاهرا . ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه فليس من أولياء الله، بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان، قال تعالى : ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [آل عمران : ٣١] ، قال الحسن البصرى رحمه الله : ادعى قوم أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية محنة لهم، وقد بين الله فيها أن من اتبع الرسول فإن الله يحبه، ومن ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم فليس من أولياء الله، وإن كان كثير من الناس يظنون في أنفسهم أو في غيرهم أنهم من أولياء الله ولا يكونون من أولياء الله، فاليهود والنصارى يدعون أنهم أولياء الله وأحباؤه . قال تعالى : ﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق ﴾ الآية [المائدة : ١٨] وقال تعالى : ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم ﴾ إلى قوله : ﴿ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ١١١، ١١٢] .

وكان مشركو العرب يدعون أنهم أهل الله لسكناهم مكة، ومجاورتهم البيت، وكانوا يستكبرون به على غيرهم، كما قال تعالى : ﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون ﴾ [المؤمنون : ٦٦، ٦٧] ، وقال تعالى : ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك ﴾." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢١/١٨٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ١١/١٨٥

"ص -١٧١- وأما خلق الله تعالى للخلق، ورزقه إياهم، وإجابته لدعائهم وهدايته لقلوبهم، ونصرهم على أعدائهم، وغير ذلك من جلب المنافع ودفع المضار، فهذا لله وحده يفعله بما يشاء من الأسباب، لا يدخل في مثل هذا وساطة الرسل .

ثم لو بلغ الرجل في [الزهد والعبادة والعلم] ما بلغ، ولم يؤمن بجميع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فليس بمؤمن، ولا ولي لله تعالى، كالأحبار والرهبان من علماء اليهود والنصارى وعبادهم، وكذلك المنتسبين إلى العلم والعبادة من المشركين مشركى العرب والترك والهند وغيرهم ممن كان من حكماء الهند والترك وله علم أو زهد وعبادة في دينه وليس مؤمنا بجميع ما جاء به فهو كافر عدو لله، وإن ظن طائفة أنه ولى لله، كما كان حكماء الفرس من المجوس كفارا مجوسا .

وكذلك حكماء [اليونان] مثل أرسطو وأمثاله كانوا مشركين يعبدون الأصنام والكواكب، وكان أرسطو قبل المسيح عليه السلام بثلاثمائة سنة، وكان وزيرا للإسكندر بن فيلبس المقدونى، وهو الذى تؤرخ به تواريخ الروم واليونان، وتؤرخ به اليهود والنصارى، وليس هذا هو ذو القرنين الذى ذكره الله في كتابه، كما يظن بعض الناس أن أرسطو كان وزيرا لذى القرنين لما رأوا أن ذاك اسمه الإسكندر، وهذا قد يسمى بالإسكندر، ظنوا أن هذا ذاك كما يظنه ابن سينا وطائفة معه." (١)

"ص -١٧٢- وليس الأمر كذلك، بل هذا الإسكندر المشرك الذى قد كان أرسطو وزيره متأخر عن ذاك، ولم يبن هذا السد، ولا وصل إلى بلاد يأجوج ومأجوج، وهذا الإسكندر الذى كان أرسطو من وزرائه يؤرخ له تاريخ الروم المعرف .

وفي أصناف المشركين من مشركى العرب ومشركى الهند والترك واليونان وغيرهم من له اجتهاد في العلم والزهد والعبادة، ولكن ليس بمتبع للرسل ولا يؤمن بما جاؤوا به ولا يصدقهم بما أخبروا به ولا يطيعهم فيما أمروا، فهؤلاء ليسوا بمؤمنين ولا أولياء لله، وهؤلاء تقترن بهم الشياطين وتنزل عليهم فيكاشفون الناس ببعض الأمور، ولهم تصرفات خارقة من جنس السحر، وهم من جنس الكهان والسحرة الذين تنزل عليهم الشياطين، قال تعالى : ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾ [الشعراء : ٢٢١ ٢٢٣] .

وهؤلاء جميعهم ينتسبون إلى المكاشفات وخوارق العادات إذا لم يكونوا متبعين للرسل فلا بد أن يكذبوا، وتكذبهم شياطينهم . ولا بد أن يكون في أعمالهم ما هو إثم وفجور مثل نوع من الشرك أو الظلم أو

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٠/١٨٥

الفواحش أو الغلو أو البدع في العبادة؛ ولهذا تنزلت عليهم الشياطين واقترنت بهم فصاروا من أولياء الشيطان لا من أولياء الر حمن . قال الله تعالى : ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ﴾ [الزخرف : ٣٦]." (١)

"ص -١٩٥- وكان السلف يسمون أهل الدين والعلم [القراء] فيدخل فيهم العلماء والنساك، ثم حدث بعد ذلك اسم [الصوفية والفقراء] . واسم [الصوفية] هو نسبة إلى لباس الصوف؛ هذا هو الصحيح . وقد قيل : إنه نسبة إلى صفوة الفقهاء . وقيل : إلى صوفة بن أد بن طابخة قبيلة من العرب كانوا يعرفون بالنسك . وقيل : إلى أهل الصفة . وقيل : إلى الصفا . وقيل : إلى الصفوة . وقيل : إلى الصف المقدم بين يدى الله تعالى . وهذه أقوال ضعيفة؛ فإنه لوكان كذلك لقيل : صفي أو صفائي أو صفوى أو صفي، ولم يقل : صوفي .

وصار أيضا اسم [الفقراء] يعنى به : أهل السلوك . وهذا عرف حادث . وقد تنازع الناس : أيما أفضل : مسمى [الصوفي] أو مسمى [الفقير] ؟ ويتنازعون أيضا : أيما أفضل : الغنى الشاكر أو الفقير الصابر ؟

وهذه المسألة فيها نزاع قديم بين الجنيد وبين أبي العباس بن عطاء . وقد روى عن أحمد بن حنبل فيها روايتان، والصواب في هذا كله ما قاله الله تبارك وتعالى حيث قال : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي." (٢)

"ص -١٩٦- صلى الله عليه وسلم أنه سئل : أي الناس أفضل ؟ قال : " أتقاهم " . قيل له : ليس عن هذا نسألك . فقال : " يوسف نبى الله ابن يعقوب نبى الله ابن إسحاق نبى الله ابن إبراهيم خليل الله " . فقيل له : ليس عن هذا نسألك . فقال : " عن معادن العرب تسألوني ؟ الناس معادن كمعادن الذهب والفضة . خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا " .

فدل الكتاب والسنة أن أكرم الناس عند الله أتقاهم .

وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأسود على أبيض ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى . كلكم لآدم وآدم من تراب " .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢١/١٨٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤٥/١٨٥

وعنه أيضا صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الله تعالى أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، الناس رجلان : مؤمن تقي، وفاجر شقي " .

فمن كان من هذه الأصناف أتقى لله فهو أكرم عند الله، وإذا استويا في التقى استويا في الدرجة

ولفظ [الفقر] في الشرع يراد به الفقر من المال، ويراد به فقر المخلوق إلى خالقه كما قال تعالى : ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾ [التوبة : ٦٠] ،." (١)

"ص -٢١٢- المسند وصححه الترمذى عن عدى بن حاتم في تفسيره هذه الآية لما سأل النبي صلى الله علية وسلم عنها فقال : ما عبدوهم؛ فقال النبي صلى الله علية وسلم : " أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم، وكانت هذه عبادتهم إياهم " ، ولهذا قيل في مثل هؤلاء : إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول، فإن أصل الأصول تحقيق الإيمان بما جاء به الرسول صلى الله علية وسلم فلا بد من الإيمان بالله ورسوله وبما جاء به الرسول صلى الله علية وسلم، فلا بد من الإيمان بأن محمدا رسول صلى الله علية وسلم إلى جميع الخلق إنسهم وجنهم، وعربهم وعجمهم، علمائهم وعبادهم ملوكهم وسوقتهم، وإنه لا طريق إلى الله عز وجل لأحد من الخلق إلا بمتابعته باطنا وظاهرا، حتى لو أدركه موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء لوجب عليهم اتباعه كما قال تعالى : ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ [آل عمران : ٨١، ٨٢]

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمتى الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه، وقد قال." (٢)

"ص -٢٢٣- أهل السنة النبوية، في نقض كلام أهل الشيعة والقدرية] .

وبالجملة، اتفقت طوائف السنة والشيعة على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها واحد من الخلفاء، ولا يكون من بعد الصحابة أفضل من الصحابة، وأفضل أولياء الله تعالى أعظمهم معرفة بما جاء به الرسول صلى الله علية وسلم واتباعا له كالصحابة الذين هم أكمل الأمة في معرفة دينه واتباعه، وأبو بكر الصديق أكمل معرفة

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٦/١٨٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ٦٤/١٨٥

بما جاء به وعملا به، فهو أفضل أولياء الله إذ كانت أمة محمد صلى الله علية وسلم أفضل الأمم، وأفضلها أصحاب محمد صلى الله علية وسلم، وأفضلهم أبو بكر رضي الله عنه .

وقد ظن طائفة غالطة أن [خاتم الأولياء] أفضل الأولياء قياسا على خاتم الأنبياء، ولم يتكلم أحد من المشايخ المتقدمين بخاتم الأولياء إلا محمد بن على الحكيم الترمذى، فإنه صنف مصنفا غلط فيه في مواضع، ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد منهم أنه خاتم الأولياء، ومنهم من يدعى أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله، وأن الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهته كما يزعم ذلك ابن عربى صاحب [كتاب الفتوحات المكية] و [كتاب الفصوص] فخالف الشرع والعقل مع مخالفة جميع أنبياء الله تعالى وأوليائه، كما يقال لمن قال : فخر عليهم السقف من تحتهم لا عقل ولا قرآن .." (١)

"ص -٢٧٣- وقال تعالى : ﴿فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فإني معكم من المتربصين أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ [الطور : ٢٩ : ٣٤] .

فنزه سبحانه وتعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عمن تقترن به الشياطين، من الكهان والشعراء والمجانين؛ وبين أن الذي جاءه بالقرآن ملك كريم اصطفاه . قال الله تعالى : ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾ [الحج : ٧٥] ، وقال تعالى : ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وإنه لفي زبر الأولين ﴾ [الشعراء : ١٩٢ : ١٩٥] ، وقال تعالى : ﴿قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾ [البقرة : ٩٧] ، وقال تعالى : ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ إلى قوله : ﴿وبشرى للمسلمين ﴾ [النحل : ٩٨ : ١٠٢] فسماه الروح الأمين،وسماه روح القدس .

وقال تعالى : ﴿فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ﴾ [التكوير : ١٥، ١٦] يعني : الكواكب التي تكون في السماء خانسة أي : مختفية قبل طلوعها، فإذا ظهرت رآها الناس جارية في السماء، فإذا غربت ذهبت

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٨٥/٧٥

إلى كناسها الذي يحجبها ﴿والليل إذا عسعس ﴾ [التكوير : ١٧] أي : إذا أدبر، وأقبل الصبح ﴿والصبح إذا تنفس ﴾ [التكوير : ١٨]." (١)

"ص -٤٠٢- ومتفلسفهم كانوا شرا من منافقي هذه الأمة، حيث كانوا مظهرين للكفر ومبطنين للنفاق، فهم شر ممن يظهر إيمانا ويبطن نفاقا .

والمقصود أن المتمسكين بجملة منسوخة فيها تبديل خير من هؤلاء الذين يزعمون سقوط الأمر والنهي عنهم بالكلية، فإن هؤلاء خارجون في هذه الحال عن جميع الكتب والشرائع والملل، لا يلتزمون لله أمرا ولا نهيا بحال، بل هؤلاء شر من المشركين المستمسكين ببقايا من الملل : كمشركي العرب الذين كانوا مستمسكين ببقايا من دين إبراهيم عليه السلام، فإن أولئك معهم نوع من الحق يلتزمونه، وإن كانوا مع ذلك مشركين، وهؤلاء خارجون عن التزام شيء من الحق، بحيث يظنون أنهم قد صاروا سدى لا أمر عليهم ولا نهي .

فمن كان من قوله هو أنه أو طائفة غيره قد خرجت عن كل أمر ونهي، بحيث لا يجب عليها شيء، ولا يحرم عليها شيء، فهؤلاء أكفر أهل الأرض، وهم من جنس فرعون وذويه،وهم مع هذا لا بد أن يلتزموا بشيء يعيشون به، إذ لا يمكن النوع الإنساني أن يعيش إلا بنوع أمر ونهي، فيخرجون عن طاعة الرحمن وعبادته إلى طاعة الشيطان وعبادته، ففرعون هو الذي قال لموسى : ﴿وما رب العالمين ﴾ [الشعراء : ٢٣] ثم كانت له آلهة يعبدها . كما قال له قومه : ﴿ويذرك وآلهتك ﴾ [الأعراف : ١٢٧] .." (٢)

"ص -٤٢٣- الله صلى الله عليه وسلم لجميع الناس : عربهم وعجمهم، وملوكهم وزهادهم وعلمائهم وعامتهم، وإنها باقية دائمة إلى يوم القيامة، بل عامة الثقلين الجن والإنس، وإنه ليس لأحد من الخلائق الخروج عن متابعته وطاعته وملازمة ما يشرعه لأمته من الدين . وما سنه لهم من فعل المأمورات وترك المحظورات، بل لو كان الأنبياء المتقدمون قبله أحياء لوجب عليهم متابعته ومطاوعته .

وقال الله تعالى : ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٣٢/١٨٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣/١٩١

معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٨١] ، قال ابن عباس : ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره بأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه .

وفي سنن النسائي عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى بيد عمر بن الخطاب ورقة من التوراة فقال : " أمتهوكون [التهوك : كالتهور، وهو الوقوع في الأمر بغير روية . النهاية ٥

٢٨٢] يا بن الخطاب ؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي " هذا أو نحوه ورواه أحمد في المسند ولفظه : " ولو كان موسي حيا ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم " . وفي مراسيل أبي داود قال : "كفى بقوم ضلالة أن يبتغوا كتابا غير كتابكم . أنزل على." (١)

"ص –٤٧١– هذا الكلام، وأخذ بعضهم يقول : فاليهود والنصارى يقرون ولا نقر نحن ؟ فقلت : اليهود والنصارى يقرون بالجزية على دينهم المكتوم في دورهم، والمبتدع لا يقر على بدعته . فأفحموا لذلك .

و [حقيقة الأمر] أن من أظهر منكرا في دار الإسلام لم يقر على ذلك، فمن دعا إلى بدعة وأظهرها لم يقر، ولا يقر من أظهر الفجور، وكذلك أهل الذمة لا يقرون على إظهار منكرات دينهم، ومن سواهم فإن كان مسلما أخذ بواجبات الإسلام وترك محرماته، وإن لم يكن مسلما ولا ذميا فهو إما مرتد وإما مشرك وإما زنديق ظاهر الزندقة .

وذكرت ذم [المبتدعة] فقلت : روى مسلم في صحيحه عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه أبي جعفر الباقر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته : " إن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة " .

وفي السنن عن العرباض بن سارية، قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : " أوصيكم

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٦/١٩١

بالسمع والطاعة فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين." (١)

"ص -٥١٢- الأولين بإحسان، فكما أن المرأ له من يعلمه القرآن ونحوه، فكذلك له من يعلمه الدين الباطن والظاهر، ولا يتعين ذلك في شخص معين، ولا يحتاج الإنسان في ذلك أن ينتسب إلى شيخ معين، كل من أفاد غيره إفادة دينية هو شيخه فيها، وكل ميت وصل إلى الإنسان من أقواله وأعماله وآثاره ما انتفع به في دينه فهو شيخه من هذه الجهة، فسلف الأمة شيوخ الخلفاء قرنا بعد قرن، وليس لأحد أن ينتسب إلى شيخ يوالي على متابعته، ويعادي على ذلك، بل عليه أن يوالي كل من كان من أهل الإيمان، ومن عرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم، ولا يخص أحدا بمزيد موالاة، إلا إذا ظهر له مزيد إيمانه وتقواه، فيقدم من قدم الله تعالى ورسوله عليه، ويفضل من فضله الله ورسوله، قال الله تعالى : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لافضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أسود على أبيض، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى " .." (٢)

"ص -٥٤٤- تزنيان وزناهما النظر، والأذن تزنى وزناها السمع، واليد تزنى وزناها البطش، والرجل تزنى وزناها المشى، والقلب يتمنى ويشتهى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه " .

فإذا كان المستحل لما حرم الله كافرا، فكيف بمن يجعله قربة وطريقا إلى الله تعالى ؟ ! قال الله تعالى : ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ [الأعراف : ٢٨] ، وسبب نزول الآية أن غير الحمس من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة، فجعل الله كشف عوراتهم فاحشة، وبين أن الله لا يأمر بالفحشاء، ولها لما حج أبو بكر الصديق قبل حجة الوداع، نادى بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يحج المسلم والمشرك لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان . فكيف بمن يستحل إتيان الفاحشة الكبرى ؟ أو ما دونها ؟ ويجعل ذلك عبادة وطريقا .

وإن كان طائفة من المتفلسفة ومن وافقهم من ضلال المتنسكة جعلوا عشق الصور الجميلة من جملة الطريق

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٨/١٩٣

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢١/١٩٥

التى تزكى بها النفوس،فليس هذا من دين المسلمين،ولا اليهود ولا النصارى، وإنما هو دين أهل الشرك الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله .." (١)

"ص -٥٧٤- للقلوب منفعة، ولا مصلحة إلا وفي ضمن ذلك من الضرر والمفسدة ما هو أعظم منه،فهو للروح كالخمر للجسد، يفعل في النفوس فعل حميا الكؤوس .

ولهذا يورث أصحابه سكرا أعظم من سكر الخمر، فيجدون لذة بلا تمييز . كما يجد شارب الخمر، بل يحصل لهم أكثر وأكبر مما يحصل لشارب الخمر، ويصدهم ذلك عن ذكر الله وعن الصلاة، أعظم مما يصدهم الخمر، ويوقع بينهم العداوة والبغضاء، أعظم من الخمر، حتى يقتل بعضهم بعضا من غير مس بيد، بل بما يقترن بهم من الشياطين، فإنه يحصل لهم أحوال شيطانية، بحيث تتنزل عليهم الشياطين في تلك الحال . ويتكلمون على ألسنتهم، كما يتكلم الجني على لسان المصروع : إما بكلام من جنس كلام الأعاجم، الذين لا يفقه كلامهم، كلسان الترك، أو الفرس، أو غيرهم، ويكون الإنسان الذي لبسه الشيطان عربيا لا يحسن أن يتكلم بذلك، بل يكون الكلام من جنس كلام من تكون تلك الشياطين من إخوانهم .

وإما بكلام لا يعقل ولا يفهم له معنى . وهذا يعرفه أهل المكاشفة شهودا وعيانا .

وهؤلاء الذين يدخلون النار مع خروجهم عن الشريعة، هم من هذا النمط . فإن الشياطين تلابس أحدهم، بحيث يسقط إحساس بدنه، حتى إن المصروع يضرب ضربا عظيما، وهو لا يحس بذلك، ولا." (٢)

"ص -٦٢٢- كما قال تعالى : ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبآئث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ [الأعراف : ١٥٦، ١٥٧] .

وقد أمر الله الرسول صلى الله عليه وسلم بكل معروف ونهى عن كل منكر . وأحل كل طيب، وحرم كل خبيث . وثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال : " ما بعث الله نبيا إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم " ، وثبت عن العرباض بن سارية قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون . قال : فقلنا : يا

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤/١٩٧

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٢/١٩٨

رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : " أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا . فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور . فإن كل بدعة ضلالة " . وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما تركت من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به " . وقال : " تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك " .." (١)

"مجموع فتاوى ابن تيمية – الجزء الثاني عشر

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (٢)

"ص –١٠– ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا ﴾ إلى قوله : ﴿قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصآئر ﴾ الآية [الإسراء : ١٠١، ١٠٢] .

والكفار بالرسل من قوم نوح وعاد، وثمود وقوم لوط، وشعيب وقوم إبراهيم، وموسى ومشركي العرب، والهند والروم والبربر، والترك واليونان والكشدانيين، وسائر الأمم المتقدمين والمستأخرين، يتبعون ظنونهم وأهواءهم، ويعرضون عن ذكر الله، الذي آتاهم من عنده، كما قال لهم لما أهبط آدم من الجنة : ﴿قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة : ٣٨، ٣٩] وفي موضع آخر : ﴿قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ﴾ الآية [طه : ١٢٣، ١٢٤] . وفي أخرى : ﴿يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي ﴾ [الأعراف : ٣٥] .

ثم إنهم مع أنهم ما نزل الله بما هم عليه من سلطان، إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس، يزعمون أن

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٨/١٩٩

(٢) مجموع الفتاوى ، ١/٢٠٣

لهم العقل والرأي والقياس العقلي والأمثال المضروبة، ويسمون أنفسهم الحكماء والفلاسفة، ويدعون الجدل والكلام، والقوة والسلطان والمال، ويصفون أتباع المرسلين بأنهم سفهاء، وأراذل وضلال، ويسخرون منهم، قال الله تعالى :." (١)

"ص -٢١- ﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم ﴾ [البينة : ٦] .

وكذلك لما ذكر الملل الست في الحج فقال : ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا ﴾ الآية [الحج : ١٧] ، وقال تعالى : ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ الآية [التوبة : ٣١] ، وهذا بعد قوله : ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴾ إلى قوله : ﴿ولو كره الكافرون ﴾ [التوبة : ٣٠ ٣٢] ، وقال : ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ [المائدة : ٧٢] ، فإذا كان اليهود والنصارى قد يكونون مشركين فالصابئون أولى، وذلك بعد تبديلهم، فحيث وصفوا بالشرك فبعد التبديل، وحيث جعلوا غير مشركين فلأن أصل دينهم الصحيح ليس فيه شرك، فالشرك مبتدع عندهم، فينبغي التفطن لهذه المعاني .

وكان الوحيد من ذوي الرأي والقياس والتدبير من **العرب**، وهو معدود من حكمائهم وفلاسفتهم .

ولهذا أخبر الله عنه بمثل حال المتفلسفة في قوله : ﴿إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر ﴾ [المدثر : ١٨-٢٥] .." (٢)

"ص -٣٥- وأورد على هؤلاء : أن الأمر والنهي والخبر صفات للكلام إضافية ليست أنواعا له وأقساما، وأن كلام الله معنى واحد؛ إن عبر عنه **بالعربية** فهو قرآن، وبالعبرية فهو توراة، وبالسريانية فهو إنجيل، وقال لهم أكثر الناس : هذا معلوم الفساد بالضرورة، كما قال الأولون : إنه خلق الكلام في الهواء فصار متكلما به، وإن المتكلم من أحدث الكلام ولو في ذات غير ذاته؛ وقال لهم أكثر الناس : إن هذا معلوم الفساد بالضرورة .

وقال الجمهور من جميع الطوائف : إن الكلام اسم للفظ والمعنى جميعا، كما أن الإنسان المتكلم اسم

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٠٤/٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٠٤/٢١

للروح والجسم جميعا، وأنه إذا أطلق على أحدهما فبقرينة، وأن معاني الكلام متنوعة ليست منحصرة في العلم والإرادة، كتنوع ألفاظه، وإن كانت المعاني أقرب إلى الاتحاد والاجتماع، والألفاظ أقرب إلى التعدد والتفرق .

والتزم هؤلاء أن حروف القرآن مخلوقة، وإن لم يكن عندهم الذي هو كلام الله مخلوقا، وفرقوا بين كتاب الله وكلامه، فقالوا : كتاب الله هو الحروف وهو مخلوق، وكلام الله هو معناها غير مخلوق . وهؤلاء والأولون متفقون على خلق القرآن الذي قال الأولون : إنه مخلوق، واختلف هؤلاء أين خلقت هذه الحروف ؟ هل خلقت في الهواء ؟ أو في نفس جبرائيل ؟ أو أن جبرائيل هو الذي أحدثها أو محمد ؟." (١)

"ص -٣٨- مخلوقا منفصلا عنه، وهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته، فكلامه قائم بذاته، ليس مخلوقا بائنا عنه، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته، لم يقل أحد من سلف الأمة : إن كلام الله مخلوق بائن عنه، ولا قال أحد منهم : إن القرآن أو التوراة أو الإنجيل لازمة لذاته أزلا وأبدا، وهو لا يقدر أن يتكلم بمشيئته وقدرته، ولا قالوا : إن نفس ندائه لموسى أو نفس الكلمة المعينة قديمة أزلية، بل قالوا : لم يزل الله متكلما إذا شاء، فكلامه قديم، بمعنى أنه لم يزل متكلما إذا شاء .

وكلمات الله لا نهاية لها، كما قال تعالى : ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ﴾

[الكهف : ١٠٩] ، والله سبحانه تكلم بالقرآن العربي، وبالتوراة العبرية، فالقرآن العربي كلام الله، كما قال تعالى : ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ إلى قوله : ﴿لسان عربي مبين ﴾ [النحل : ٩٨ ١٠٣] فقد بين سبحانه أن القرآن الذي يبدل منه آية مكان آية نزله روح القدس وهو جبريل وهو الروح الأمين كما ذكر ذلك في موضع آخر من الله بالحق، وبين بعد ذلك أن من الكفار من قال : ﴿إنما يعلمه بشر ﴾ كما قال بعض المشركين : يعلمه رجل بمكة أعجمي، فقال تعالى : ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ﴾ أي الذي يضيفون إليه هذا التعليم أعجمي ﴿وهذا لسان عربي مبين ﴾ [النحل : ١٠٣].." (٢)

"ص -٣٩- ففي هذا ما يدل على أن الآيات التي هي لسان عربي مبين، نزلها روح القدس من الله بالحق، كما قال في الآية الأخرى : ﴿أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٥/٢٠٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣/٢٠٥

آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ﴾ [الأنعام : ١١٤] ، والكتاب الذي أنزل مفصلا هو القرآن العربي باتفاق الناس، وقد أخبر أن الذين أتاهم الكتاب يعلمون أنه منزل من الله بالحق، والعلم لا يكون إلا حقا فقال : ﴿يعلمون ﴾ ولم يقل : يقولون، فإن العلم لا يكون إلا حقا بخلاف القول، وذكر علمهم ذكر مستشهد به .

وقد فرق سبحانه بين إيحائه إلى غير موسى وبين تكليمه لموسى في قوله تعالى : ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح ﴾ إلى قوله : ﴿حجة بعد الرسل ﴾ [النساء : ١٣٦ ١٦٥] فرق سبحانه بين تكليمه لموسى وبين إيحائه لغيره، ووكد تكليمه لموسى بالمصدر، وقال تعالى : ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾ إلى قوله : ﴿بروح القدس ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ، وقال تعالى : ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا ﴾ [الشورى : ١٥] إلى آخر السورة . فقد بين سبحانه أنه لم يكن لبشر أن يكلمه الله إلا على أحد الأوجه الثلاثة؛ إما وحيا، وإما من وراء حجاب، وإما أن يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء، فجعل الوحي غير التكليم، والتكليم من وراء حجاب كان لموسى .." (١)

"ص -٤٠- وقد أخبر في غير موضع أنه ناداه كما قال : ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن ﴾ الآية [مريم : ٢٥] ، وقال : ﴿فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن ﴾ الآية [القصص : ٣٠] . و [النداء] باتفاق أهل اللغة لا يكون إلا صوتا مسموعا، فهذا مما اتفق عليه سلف المسلمين وجمهورهم .

وأهل الكتاب يقولون : إن موسى ناداه ربه نداء سمعه بأذنه، وناداه بصوت سمعه موسى، والصوت لا يكون إلا كلاما، والكلام لا يكون إلا حروفا منظومة، وقد قال تعالى : ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾ [الجاثية : ٢] ، وقال : ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ [فصلت : ١، ٢] ، وقال : ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾ [الجاثية : ١، ٢]

فقد بين في غير موضع أن الكتاب والقرآن العربي منزل من الله .

وهذا معنى قول السلف : منه بدأ، قال أحمد بن حنبل رحمه الله : منه بدأ : أي هو المتكلم به؛ فإن الذين قالو ا : إنه مخلوق، قالوا : خلقه في غيره، فبدا من ذلك المخلوق، فقال السلف : منه بدا، أي هو المتكلم به لم يخلقه في غيره فيكون كلاما لذلك المحل الذي خلقه فيه؛ فإن الله تعالى إذا خلق صفة من الصفات في محل كانت الصفة صفة لذلك المحل ولم تكن صفة لرب العالمين؛ فإذا خلق طعما أو لونا في محل

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤/٢٠٥

كان ذلك المحل هو المتحرك المتلون به، وكذلك إذا خلق حياة أو إرادة أو قدرة أو علما أو كلاما في محل كان ذلك المحل هو المريد،." (١)

"ص -٤١- القادر، العالم، المتكلم بذلك الكلام، ولم يكن ذلك المعنى المخلوق في ذلك المحل صفة لرب العالمين، وإنما يتصف الرب تعالى بما يقوم به من الصفات، لا بما يخلقه في غيره من المخلوقات، فهو الحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحيم، المتكلم بالقرآن وغيره من الكلام، بحياته وعلمه وقدرته وكلامه القائم به، لا بما يخلقه في غيره من هذه المعاني .

ومن جعل كلامه مخلوقا لزمه أن يقول المخلوق هو القائل لموسى : ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾ [طه : ١٤] ، وهذا ممتنع، لا يجوز أن يكون هذا كلاما إلا لرب العالمين، وإذا كان الله قد تكلم بالقرآن والتوراة وغير ذلك من الكتب بمعانيها وألفاظها المنتظمة من حروفها لم يكن شيء من ذلك مخلوقا، بل كان ذلك كلاما لرب العالمين .

وقد قيل للإمام أحمد بن حنبل : إن فلانا يقول : [لما خلق الله الأحرف سجدت له إلا الألف. فقالت : لا أسجد حتى أومر] ، فقال : هذا كفر . فأنكر على من قال : إن الحروف مخلوقة؛ لأنه إذا كان جنس الحروف مخلوقا لزم أن يكون القرآن **العربي** والتوراة العبرية وغير ذلك مخلوقا، وهذا باطل مخالف لقول السلف والأئمة، مخالف للأدلة العقلية والسمعية، كما قد بسط في غير هذا الموضع .." (٢)

"ص -٤٩- الموضع، وهؤلاء زعموا أنهم يقيمون الدليل على حدوث العالم بتلك الحجج، وهم لا للإسلام نصروا، ولا لأعدائه كسروا . والقول الثالث : قول من يقول : إنه يتكلم بغير مشيئته وقدرته بكلام قائم بذاته أزلا وأبدا، وهؤلاء موافقون لمن قبلهم في أصل قولهم، لكن قالوا : الرب تقوم به الصفات، ولا يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الصفات الاختيارية .

وأول من اشتهر عنه أنه قال هذا القول في الإسلام عبد الله بن سعيد بن كلاب، ثم افترق موافقوه، فمنهم من قال : ذلك الكلام معنى واحد هو الأمر بكل مأمور، والنهي عن كل محظور، والخبر عن كل مخبر عنه، إن عبر عنه **بالعربية** كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة . وقالوا : معنى القرآن والتوراة والإنجيل واحد، ومعنى آية الكرسي هو معنى آية الدين . وقالوا : الأمر والنهي والخبر صفات للكلام لا أنواع له، ومن محققيهم من جعل المعنى يعود إلى الخبر، والخبر يعود إلى العلم .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٥/٢٠٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ٦/٢٠٥

وجمهور العقلاء يقولون : قول هؤلاء معلوم الفساد بالضرورة، وهؤلاء يقولون : تكليمه لموسى ليس إلا خلق إدراك يفهم به موسى ذلك المعنى . فقيل لهم : أفهم كل الكلام أم بعضه ؟ إن كان فهمه كله." (١)

"ص -٥٠- فقد علم علم الله، وإن كان فهم بعضه فقد تبعض، وعندهم كلام الله لا يتبعض ولا يتعدد .

وقيل لهم : قد فرق الله بين تكليمه لموسى وإيحائه لغيره، وعلى أصلكم : لا فرق .

وقيل لهم : قد كفر الله من جعل القرآن العربي قول البشر، وقد جعله تارة قول رسول من البشر، وتارة قول رسول من الملائكة، فقال في موضع : ﴿إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ﴾ [الحاقة : ٤٠-٤٢] ، فهذا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وقال في الآية الأخرى : ﴿إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ﴾ [التكوير : ١٩-٢١] ، فهذا جبريل، فأضافه تارة إلى الرسول الملكي، وتارة إلى الرسول البشري، والله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس .

وكان بعض هؤلاء ادعى أن القرآن العربي أحدثه جبريل أو محمد، فقيل لهم : لو أحدثه أحدهما لم يجز إضافته إلى الآخر . وهو سبحانه أضافه إلى كل منهما باسم الرسول الدال على مرسله لا باسم الملك والنبي، فدل ذلك على أنه قول رسول بلغه عن مرسله، لا قول ملك أو نبي أحدثه من تلقاء نفسه، بل قد كفر من قال : إنه قول البشر .." (٢)

"ص -٥٢- فسادا مما قبله، فإنه يعلم بالضرورة حدوث أصوات العباد .

وطائفة خامسة قالت : بل الله يتكلم بمشيئته وقدرته بالقرآن العربي وغيره، لكن لم يكن يمكنه أن يتكلم بمشيئته في الأزل؛ لامتناع حوادث لا أول لها، وهؤلاء جعلوا الرب في الأزل غير قادر على الكلام بمشيئته، ولا على الفعل كما فعله أولئك، ثم جعلوا الفعل والكلام ممكنا مقدورا من غير تجدد شيء أوجب القدرة والإمكان، كما قال أولئك في المفعولات المنفصلة .

وأما السلف فقالوا : لم يزل الله متكلما إذا شاء، وأن الكلام صفة كمال، ومن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم، كما أن من يعلم ويقدر أكمل ممن لا يعلم ولا يقدر، ومن يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن يكون الكلام لازما لذاته، ليس له عليه قدرة ولا له فيه مشيئة، والكمال إنما يكون بالصفات القائمة بالموصوف لا بالأمور

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٤/٢٠٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٥/٢٠٥

المباينة له، ولا يكون الموصوف متكلما عالما قادرا إلا بما يقوم به من الكلام والعلم والقدرة .

وإذا كان كذلك فمن لم يزل موصوفا بصفات الكمال أكمل ممن حدثت له بعد أن لم يكن متصفا بها لو كان حدوثها ممكنا، فكيف إذا كان ممتنعا ؟ فتبين أن الرب لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال، منعوتا بنعوت الجلال؛ ومن أجلها الكلام . فلم يزل متكلما إذا شاء ولا يزال كذلك، وهو يتكلم إذا شاء **بالعربية** كما تكلم بالقرآن." (١)

"ص -٥٣- **العربي**، وما تكلم الله به فهو قائم به ليس مخلوقا منفصلا عنه، فلا تكون الحروف التي هي مباني أسماء الله الحسنى وكتبه المنزلة مخلوقة؛ لأن الله تكلم بها .

فصل

ثم تنازع بعض المتأخرين في الحروف الموجودة في كلام الآدميين . وسبب نزاعهم أمران :

أحدهما : أنهم لم يفرقوا بين الكلام الذي يتكلم الله به فيسمع منه، و بين ما إذا بلغه عنه مبلغ فسمع من ذلك المبلغ؛ فإن القرآن كلام الله، تكلم به بلفظه ومعناه بصوت نفسه، فإذا قرأه القراء قرؤوه بأصوات أنفسهم، فإذا قال القارئ : ﴿الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ﴾

[الفاتحة ٢، ٣] كان هذا الكلام المسموع منه كلام الله لا كلام نفسه، وكان هو قرأه بصوت نفسه لا بصوت الله، فالكلام كلام الباري، والصوت صوت القارئ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " زينوا القرآن بأصواتكم " ، وكان يقول : " ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي ؟ فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي " ، وكلا الحديثين ثابت، فبين أن الكلام الذي يبلغه كلام ربه، وبين أن القارئ." (٢)

"ص -٥٥- طوائف المسلمين، بل الأئمة الأربعة وجمهور أصحابهم بريئون من ذلك . ومن قال : إن الحرف المعين أو الكلمة المعينة قديمة العين، فقد ابتدع قولا باطلا في الشرع والعقل .

ومن قال : إن جنس الحروف التي تكلم الله بها بالقرآن وغيره ليست مخلوقة، وأن الكلام **العربي** الذي تكلم به ليس مخلوقا، والحروف المنتظمة منه جزء منه ولازمة له، وقد تكلم الله بها فلا تكون مخلوقة فقد أصاب .

وإذا قال : إن الله هدى عباده وعلمهم البيان، فأنطقهم بها باللغات المختلفة، وأنعم عليهم بأن جعلهم ينطقون بالحروف التي هي مباني كتبه وكلامه وأسمائه فهذا قد أصاب، فالإنسان وجميع ما يقوم به من

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٧/٢٠٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٨/٢٠٥

الأصوات والحركات وغيرها مخلوق كائن بعد أن لم يكن، والرب تعالى بما يقوم به من صفاته وكلماته وأفعاله غير مخلوق، والعباد إذا قرؤوا كلامه فإن كلامه الذي يقرءونه هو كلامه لا كلام غيره، وكلامه الذي تكلم به لا يكون مخلوقا، وكان ما يقرءون به كلامه من حركاتهم وأصواتهم مخلوقا، وكذلك ما يكتب في المصاحف من كلامه فهو كلامه مكتوبا في المصاحف وكلامه غير مخلوق، والمداد الذي يكتب به كلامه وغير كلامه مخلوق .." (١)

"ص -٦٢- لا يحتج به، فهو فرات بن أبي الفرات، ومحمد بن زياد الجزري ضعيف أيضا .

وقد تنازع الناس في [أبجد، هوز، حطي] ، فقال طائفة : هي أسماء قوم، قيل : أسماء ملوك مدين، أو أسماء قوم كانوا ملوكا جبابرة . وقيل : هي أسماء الستة الأيام التي خلق الله فيها الدنيا . والأول اختيار الطبري . وزعم هؤلاء أن أصلها أبو جاد مثل أبي عاد . وهواز مثل رواد وجواب، وأنها لم **تعرب** لعدم العقد والتركيب .

والصواب : أن هذه ليست أسماء لمسميات، وإنما ألفت ليعرف تأليف الأسماء من حروف المعجم بعد معرفة حروف المعجم . ولفظها : [أبجد، هوز، حطي] ، ليس لفظها أبو جاد، هواز . ثم كثير من أهل الحساب صاروا يجعلونها علامات على مراتب العدد، فيجعلون الألف واحدا . والباء اثنين، والجيم ثلاثة، إلى الياء، ثم يقولون : الكاف عشرون . . . وآخرون من أهل الهندسة والمنطق يجعلونها علامات على الخطوط المكتوبة، أو على ألفاظ الأقيسة المؤلفة كما يقولون : كل ألف ب، وكل ب ج، فكل ألف ج . ومثلوا بهذه لكونها ألفاظا تدل على صورة الشكل، والقياس لا يختص بمادة دون مادة .

كما جعل أهل التصريف لفظ [فعل] تقابل الحروف الأصلية." (٢)

"ص -٦٤- الثاني : أن يقال : هذه الحروف الموجودة في القرآن **العربي** قد تكلم الله بها بأسماء حروف، مثل قوله : ﴿الم ﴾ وقوله : ﴿المص ﴾ وقوله : ﴿الم طس حم كهيعص حم عسق ن ق ﴾ فهذا كله كلام الله غير مخلوق .

الثالث : أن هذه الحروف إذا وجدت في كلام العباد، وكذلك الأسماء الموجودة في القرآن إذا وجدت في كلام العباد مثل آدم، ونوح، ومحمد، وإبراهيم وغير ذلك، فيقال : هذه الأسماء وهذه الحروف قد تكلم الله بها، لكن لم يتكلم بها مفردة؛ فإن الاسم وحده ليس بكلام، ولكن تكلم بها في كلامه الذي أنزله في

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٠/٢٠٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٧/٢٠٥

مثل قوله : ﴿محمد رسول الله﴾ [الفتح : ٢٩] ، وقوله : ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ إلى قوله : ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي﴾ [إبراهيم : ٣٥ ، ٤٠] ، وقوله : ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾ [آل عمران : ٣٣] ونحو ذلك، ونحن إذا تكلمنا بكلام ذكرنا فيه هذه الأسماء، فكلامنا مخلوق وحروف كلامنا مخلوقة، كما قال أحمد بن حنبل لرجل : ألست مخلوقا ؟ قال : بلى، قال : أليس كلامك منك ؟ قال : بلى، قال : أليس كلامك مخلوقا ؟ قال : بلى، قال : فالله تعالى غير مخلوق، وكلامه منه ليس بمخلوق .

فقد نص أحمد وغيره على أن كلام العباد مخلوق، وهم إنما." (١)

"ص -٦٨- كان مع القرينة قد يراد به هذا تارة وهذا تارة، فتنازعهم في مسمى النطق كتنازعهم في مسمى الناطق . فمن سمى شخصا محمدا وإبراهيم، وقال : جاء محمد وجاء إبراهيم، لم يكن هذا محمدا وإبراهيم المذكورين في القرآن . ولو قال : محمد رسول الله، وإبراهيم خليل الله، يعني به خاتم الرسل وخليل الرحمن، لكان قد تكلم بمحمد وإبراهيم الذي في القرآن، لكن قد تكلم بالاسم وألفه كلاما، فهو كلامه لم يتكلم به في القرآن العربي الذي تكلم الله به .

ومما يوضح ذلك أن الفقهاء قالوا في [آداب الخلاء] : إنه لا يستصحب ما فيه ذكر الله، واحتجوا بالحديث الذي في السنن : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل الخلاء نزع خاتمه . وكان خاتمه مكتوبا عليه : [محمد رسول الله] محمد سطر، رسول سطر، الله سطر . ولم يمنع أحد من العلماء أن يستصحب ما يكون فيه كلام العباد وحروف الهجاء مثل ورق الحساب الذي يكتب فيه أهل الديوان الحساب، ومثل الأوراق التي يكتب فيها الباعة ما يبيعونه ونحو ذلك .

وفي السيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صالح غطفان على نصف تمر المدينة، أتاه سعد فقال له : أهذا شيء أمر الله به فسمعا وطاعة، أم شيء تفعله لمصلحتنا ؟ فبين له النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يفعل ذلك بوحي، بل فعله باجتهاده، فقال : لقد كنا في الجاهلية." (٢)

"ص -٧٠- الحروف التي تكلم الله بها . فإذا كتبت بالمداد لم تكن مخلوقة وكان المداد مخلوقا، وأشكال الحروف المكتوبة مما يختلف فيها اصطلاح الأمم .

والخط العربي قد قيل : إن مبدأه كان من الأنبار، ومنها انتقل إلى مكة وغيرها، والخط العربي تختلف

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٠٥/٢٩

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٠٥/٣٣

صورته؛ العربي القديم فيه تكوف، وقد اصطلح المتأخرون على تغيير بعض صوره، وأهل المغرب لهم اصطلاح ثالث حتى في نقط الحروف وترتيبها، وكلام الله المكتوب بهذه الخطوط كالقرآن العربي هو في نفسه لا يختلف باختلاف الخطوط التي يكتب بها .

فإن قيل : فالحرف من حيث هو مخلوق أو غير مخلوق مع قطع النظر عن كونه في كلام الخالق أو كلام المخلوق ؟ فإن قلتم : هو من حيث هو غير مخلوق، لزم أن يكون غير مخلوق في كلام العباد، وإن قلتم : مخلوق لزم أن يكون مخلوقا في كلام الله ؟ قيل : قول القائل الحرف من حيث هو هو كقوله الكلام من حيث هو هو، والعلم من حيث هو هو، والقدرة من حيث هي هي، والوجود من حيث هو هو، ونحو ذلك .

والجواب عن ذلك : أن هذه الأمور وغيرها إذا أخذت مجردة مطلقة غير مقيدة ولا مشخصة لم يكن لها حقيقة في الخارج عن الأذهان." (١)

"ص -٧١- إلا شيء معين، فليس ثم وجود إلا وجود الخالق أو وجود المخلوق، ووجود كل مخلوق مختص به وإن كان اسم الوجود عاما يتناول ذلك كله، وكذلك العلم والقدرة اسم عام يتناول أفراد ذلك، وليس في الخارج إلا علم الخالق وعلم المخلوق، وعلم كل مخلوق مختص به قائم به، واسم الكلام والحروف يعم كل ما يتناوله لفظ الكلام والحروف وليس في الخارج إلا كلام الخالق وكلام المخلوقين . وكلام كل مخلوق مختص به واسم الكلام يعم كل ما يتناوله هذا اللفظ، وليس في الخارج إلا الحروف التي تكلم الله بها الموجودة في كلام الخالق، والحروف الموجودة في كلام المخلوقين . فإذا قيل : إن علم الرب وقدرته وكلامه غير مخلوق، وحروف كلامه غير مخلوقة، لم يلزم من ذلك أن يكون علم العبد وقدرته وكلامه غير مخلوق، وحروف كلامه غير مخلوقة .

وأيضا، فلفظ [الحرف] يتناول الحرف المنطوق والحرف المكتوب، وإذا قيل : إن الله تكلم بالحروف المنطوقة كما تكلم بالقرآن العربي وبقوله : ﴿الم وحم وطسم وطس ويس وق ون ﴾ ونحو ذلك، فهذا كلامه وكلامه غير مخلوق، وإذا كتب في المصاحف كان ما كتب من كلام الرب غير مخلوق وإن كان المداد وشكله مخلوقا .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٥/٢٠٥

وأيضا، فإذا قرأ الناس كلام الله، فالكلام في نفسه غير مخلوق إذا كان الله قد تكلم به، وإذا قرأه المبلغ لم يخرج عن أن يكون." (١)

"ص -٨٣- يناد موسى بنفسه نداء يسمعه منه موسى، ولا تكلم بالقرآن **العربي** ولا التوراة العبرية، وخرج هؤلاء إلى أن ما يقوم بالعباد ويتصفون به يكون قديما أزليا، وأن ما يقوم بهم ويتصفون به لا يكون قائما بهم حالا فيهم، بل يكون ظاهرا عنهم من غير قيام بهم .

ولما تكلموا في [حروف المعجم] صاروا بين قولين : طائفة فرقت بين المتماثلين، فقالت : الحرف حرفان، هذا قديم وهذا مخلوق، كما قال ابن حامد والقاضي أبو يعلى وابن عقيل وغيرهم، فأنكر ذلك عليهم الأكثرون وقالوا : هذا مخالفة للحس والعقل؛ فإن حقيقة هذا الحرف هي حقيقة هذا الحرف، وقالوا : الحرف حرف واحد . وصنف في ذلك القاضي يعقوب البرزبيني [وهو يعقوب بن إبراهيم البرزبيني، من فقهاء الحنابلة، من أهل [برزبين] من قرى بغداد، تفقه ببغداد، وولى بها قضاء باب الأزج، له كتب في الأصول والفروع منها [التعليقة] في الفقه والخلاف، ولد سنة ٤٠٩هـ، وتوفى سنة ٤٨٦هـ] . مصنفا خالف به شيخه القاضي أبا يعلى مع قوله في مصنفه : وينبغي أن يعلم أن ما سطرته في هذه المسألة أن ذلك مما استفدته وتفرع عندي من شيخنا وإمامنا القاضي أبي يعلى ابن الفراء، وإن كان قد نصر خلاف ما ذكرته في هذا الباب، فهو العالم المقتدى به في علمه ودينه، فإني ما رأيت أحسن سمتا منه، ولا أكثر اجتهادا منه، ولا تشاغلا بالعلم، مع كثرة العلم والصيانة والانقطاع عن الناس والزهادة فيما بأيديهم، والقناعة في الدنيا باليسير، مع حسن التجمل، وعظم حشمته عند الخاص والعام، ولم يعدل بهذه الأخلاق شيئا من نفر من الدنيا .." (٢)

"ص -٨٥- لأحمد بن الحسن الترمذي : ألست مخلوقا ؟ قال : بلى، قال : أليس كل شيء منك مخلوقا ؟ قال : بلى، قال : فكلامك منك وهو مخلوق .

قلت : الذي قاله أحمد في هذا الباب صواب يصدق بعضه بعضا، وليس في كلامه تناقض، وهو أنكره على من قال : إن الله خلق الحروف؛ فإن من قال : إن الحروف مخلوقة كان مضمون قوله : إن الله لم يتكلم بقرآن **عربي**، وأن القرآن **العربي** مخلوق، ونص أحمد أيضا على أن كلام الآدميين مخلوق، ولم يجعل شيئا منه غير مخلوق، وكل هذا صحيح، والسري رحمه الله إنما ذكر ذلك عن بكر بن خنيس العابد، فكان

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٦/٢٠٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤٨/٢٠٥

مقصودهما بذلك أن الذي لا يعبد الله إلا بأمره، هو أكمل ممن يعبده برأيه من غير أمر من الله، واستشهدا على ذلك بما بلغهما : " أنه لما خلق الله الحروف سجدت له إلا الألف، فقالت : لا أسجد حتى أومر " ، وهذا الأثر لا يقوم بمثله حجة في شيء، ولكن مقصودهما ضرب المثل أن الألف منتصبة في الخط، ليست هي مضطجعة كالباء والتاء، فمن لم يفعل حتى يؤمر أكمل ممن فعل بغير أمر .

وأحمد أنكر قول القائل : [إن الله لما خلق الحروف] ، وروي عنه أنه قال : من قال : إن حرفا من حروف المعجم مخلوق فهو جهمي؛ لأنه سلك طريقا إلى البدعة، ومن قال : إن ذلك مخلوق فقد قال : إن القرآن مخلوق . وأحمد قد صرح هو وغيره من الأئمة أن الله لم يزل متكلما إذا." (١)

"ص -٨٧- وعباس بن عبد العظيم العنبري، وحرب بن إسماعيل الكرماني، ومن لا يحصى عدده من أكابر أهل العلم والدين، وأصحاب أصحابه ممن جمع كلامه وأخباره؛ كعبد الرحمن ابن أبي حاتم وأبي بكر الخلال، وأبي الحسن البناني الأصبهاني، وأمثال هؤلاء، ومن كان أيضا يأتم به وبأمثاله من الأئمة في الأصول والفروع، كأبي عيسى الترمذي صاحب الجامع وأبي عبد الرحمن النسائي وأمثالهما، ومثل أبي محمد بن قتيبة وأمثاله، وبسط هذا له موضع آخر .

وقد ذكرنا في [المسائل الطبرستانية] و [الكيلانية] بسط مذاهب الناس، وكيف تشعبت وتفرعت في هذا الأصل .

والمقصود هنا أن كثيرا من الناس المتأخرين لم يعرفوا حقيقة كلام السلف والأئمة، فمنهم من يعظمهم ويقول : إنه متبع لهم، مع أنه مخالف لهم من حيث لا يشعر، ومنهم من يظن أنهم كانوا لا يعرفون أصول الدين ولا تقريرها بالدلائل البرهانية، وذلك لجهله بعلمهم، بل لجهله بما جاء به الرسول من الحق الذي تدل عليه الدلائل العقلية مع السمعية، فلهذا يوجد كثير من المتأخرين يشتركون في أصل فاسد، ثم يفرع كل قوم عليه فروعا فاسدة يلتزمونها، كما صرحوا في تكلم الله تعالى بالقرآن **العربي**، وبالتوراة العبرية، وما فيهما من حروف الهجاء مؤلفا أو مفردا، لما رأوا أن ذلك بلغ بصفات المخلوقين اشتبه بصفات المخلوقين، فلم يهتدوا لموضع." (٢)

"ص -٩٧- ناطق وغير ناطق، وقسمة الإنسان إلى مسلم وكافر، وقسمة الاسم إلى **معرب** ومبني، وقسمة الكل إلى أجزائه؛ كقسمة العقار بين الشركاء، وقسمة الكلام إلى اسم وفعل وحرف، ففي الأول إنما

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٥٠/٢٠٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ٥٢/٢٠٥

اشتركت الأقسام في أمر كلي، فضلا عن أن يكون الخالق والمخلوقون مشتركين في شيء موجود في الخارج، وليس في الخارج صفة لله يماثل بها صفة المخلوق، بل كل ما يوصف به الرب تعالى فهو مخالف بالحد والحقيقة، لما يوصف به المخلوق أعظم مما يخالف المخلوق المخلوق، وإذا كان المخلوق مخالفا بذاته وصفاته لبعض المخلوقات في الحد والحقيقة، فمخالفة الخالق لكل مخلوق في الحقيقة أعظم من مخالفة أي مخلوق فرض لأي مخلوق فرض، ولكن علمه ثبت له حقيقة العلم، ولقدرته حقيقة القدرة، ولكلامه حقيقة الكلام، كما ثبت لذاته حقيقة الذاتية، ولوجوده حقيقة الوجود، وهو أحق بأن تثبت له صفات الكمال على الحقيقة من كل ما سواه .

فهذا هو المراد بقولنا : علمه يشارك علم المخلوق في الحقيقة، فليس ما يسمع من العباد من أصواتهم مشابها ولا مماثلا لما سمعه موسى من صوته، إلا كما يشبه ويماثل غير ذلك من صفاته لصفات المخلوقين، فهذا في نفس تكلمه سبحانه وتعالى بالقرآن، والقرآن عند الإمام أحمد وسائر أئمة السنة كلامه تكلم به، وتكلم بالقرآن **العربي** بصوت نفسه، وكلم موسى بصوت نفسه الذي لا يماثل شيئا من أصوات العباد .." (١)

"ص -١٠١- وأنزله منجما مفرقا ليحفظ فلا يحتاج إلى كتاب، كما قال تعالى : ﴿لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ الآية [الفرقان : ٣٢] ، وقال تعالى : ﴿وقرآنا فرقناه﴾ الآية [الإسراء : ١٠٦] ، وقال تعالى : ﴿ولا تعجل بالقرآن﴾ الآية [طه : ١١٤] ، وقال تعالى : ﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾ الآية [القيامة : ١٧] .

وفي الصحيح عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة، وكان يحرك شفتيه، فقال ابن عباس : أنا أحركهما لك كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحركهما، فحرك شفتيه، فأنزل الله تعالى : ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه﴾ قال : جمعه في صدرك ثم تقرأه ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ قال : فاستمع له وأنصت ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ [القيامة : ١٦ ١٩] أي : نبينه بلسانك، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما أقرأه؛ فلهذا لم تكن الصحابة ينقطون المصاحف ويشكلونها، وأيضا كانوا **عربا** لا يلحنون؛ فلم يحتاجوا إلى تقييدها بالنقط، وكان في اللفظ الواحد قراءتان يقرأ بالياء والتاء مثل : يعملون وتعملون . فلم يقيدوه بأحدهما ليمنعوه من الأخرى .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٦٢/٢٠٥

ثم إنه في زمن التابعين لما حدث اللحن صار بعض التابعين يشكل المصاحف وينقطها، وكانوا يعملون ذلك بالحمرة، ويعملون الفتح بنقطة حمراء فوق الحرف، والكسرة بنقطة حمراء تحته، والضمة بنقطة حمراء." (١)

"ص -١٠٢- أمامه، ثم مدوا النقطة وصاروا يعملون الشدة بقولك : [شد] ، ويعملون المدة بقولك : [مد] ، وجعلوا علامة الهمزة تشبه العين؛ لأن الهمزة أخت العين، ثم خففوا ذلك حتى صارت علامة الشدة مثل رأس السين، وعلامة المدة مختصرة كما يختصر أهل الديوان ألفاظ العدد وغير ذلك، وكما يختصر المحدثون [أخبرنا وحدثنا] ، فيكتبون أول اللفظ وآخره على شكل [أنا] وعلى شكل [ثنا] .
وتنازع العلماء، هل يكره تشكيل المصاحف وتنقيطها ؟ على قولين معروفين، وهما روايتان عن الإمام أحمد، لكن لا نزاع بينهم أن المصحف إذا شكل ونقط وجب احترام الشكل والنقط، كما يجب احترام الحرف، ولا تنازع بينهم أن مداد النقطة والشكل مخلوق، كما أن مداد الحرف مخلوق، ولا نزاع بينهم أن الشكل يدل على الإعراب، والنقط يدل على الحروف، وأن الإعراب من تمام الكلام العربي .
ويروى عن أبي بكر وعمر أنهما قالا : حفظ إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه، ولا ريب أن النقطة والشكلة بمجردهما لا حكم لهما ولا حرمة ولا ينبغي أن يجرد الكلام فيهما، ولا ريب أن إعراب القرآن العربي من تمامه، ويجب الاعتناء بإعرابه، والشكل يبين إعرابه كما تبين الحروف المكتوبة للحرف المنطوق، كذلك يبين الشكل المكتوب للإعراب المنطوق .." (٢)

"ص -١٠٣- فهذه المسائل إذا تصورها الناس على وجهها تصورا تاما ظهر لهم الصواب، وقلت الأهواء والعصبيات، وعرفوا موارد النزاع، فمن تبين له الحق في شيء من ذلك اتبعه، ومن خفي عليه توقف حتى يبينه الله له، وينبغي له أن يستعين على ذلك بدعاء الله، ومن أحسن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يصلي يقول : " اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم " .
وقول القائل الآخر : [كلامه كتب بها] : يقتضي أنه أراد بالحروف ما يتناول المنطوق والمكتوب، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول : الم

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٦٦/٢٠٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ٦٧/٢٠٥

حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف " ، قال الترمذي : حديث صحيح . فهنا لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم بالحرف نفس المداد وشكل المداد، وإنما أراد الحرف المنطوق، وفي مراده بالحرف قولان : قيل : هذا اللفظ المفرد . وقيل : أراد صلى الله عليه وسلم بالحرف الاسم، كما قال : ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف .

ولفظ [الحرف] و [الكلمة] له في لغة **العرب** التي كان النبي." (١)

"ص -١٠٤- صلى الله عليه وسلم يتكلم بها معنى، وله في اصطلاح النحاة معنى . فالكلمة في لغتهم هي الجملة التامة، الجملة الاسمية أو الفعلية، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته : "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم " ، وقال صلى الله عليه وسلم : " إن أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل " ، وقال : " إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب له بها سخطه إلى يوم القيامة " ، وقال لأم المؤمنين : " لقد قلت بعدك أربع كلمات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته " ، ومنه قوله تعالى : ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ﴾ [الكهف : ٥] ، وقوله : ﴿وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ﴾ [الفتح : ٢٦] ، وقوله تعالى : ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ﴾ [آل عمران : ٦٤] ، وقوله : ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾ [الزخرف : ٢٨] ، وقوله : ﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم ﴾ [التوبة : ٤٠] ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " ونظائره كثيرة .

ولا يوجد قط في الكتاب والسنة وكلام **العرب** لفظ [الكلمة] إلا." (٢)

"ص -١٠٥- والمراد به الجملة التامة . فكثير من النحاة أو أكثرهم لا يعرفون ذلك، بل يظنون أن اصطلاحهم في مسمى الكلمة ينقسم إلى اسم وفعل وحرف هو لغة **العرب**، والفاضل منهم يقول :

وكلمة بها كلام قد يؤم

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٦٨/٢٠٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ٦٩/٢٠٥

ويقولون : العرب قد تستعمل الكلمة في الجملة التامة وتستعملها في المفرد، وهذا غلط لا يوجد قط في كلام العرب لفظ الكلمة إلا للجملة التامة .

ومثل هذا اصطلاح المتكلمين على أن القديم هو ما لا أول لوجوده أو ما لم يسبقه عدم، ثم يقول بعضهم : وقد يستعمل القديم في المتقدم على غيره، سواء كان أزليا أو لم يكن، كما قال تعالى : ﴿حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ [يس : ٣٩] ، وقال : ﴿وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ﴾ [الأحقاف : ١١] ، وقوله تعالى : ﴿قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم ﴾ [يوسف : ٩٥] ، وقال : ﴿قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون ﴾ [الشعراء : ٧٥،٧٦] ، وتخصيص القديم بالأول عرف اصطلاحي، ولا ريب أنه أولى بالقدم في لغة العرب؛ ولهذا كان لفظ المحدث في لغة العرب بإزاء القديم، قال تعالى : ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ [الأنبياء : ٢] ، وهذا يقتضى أن الذي نزل قبله ليس بمحدث بل متقدم . وهذا موافق للغة العرب التي نزل بها القرآن،." (١)

"ص -١٠٧- على اصطلاح حادث، فيريد أن يفسر كلام الله بذلك الاصطلاح ويحمله على تلك اللغة التي اعتادها .

وما ذكر في مسمى [الكلام] ما ذكره سيبويه في كتابه عن العرب، فقال : واعلم [أن] في كلام العرب إنما وقعت على أن تحكى وإنما يحكى بعد القول ما كان كلاما قولا؛ وإلا فلا يوجد قط لفظ الكلام والكلمة إلا للجملة التامة في كلام العرب، ولفظ الحرف يراد به الاسم والفعل وحروف المعاني واسم حروف الهجاء؛ ولهذا سأل الخليل أصحابه : كيف تنطقون بالزاي من زيد ؟ فقالوا : زاي، فقال نطقتم بالاسم، وإنما الحرف زه؛ فبين الخليل أن هذه التي تسمى حروف الهجاء هي أسماء .

وكثيرا ما يوجد في كلام المتقدمين هذا [حرف من الغريب] يعبرون بذلك عن الاسم التام، فقوله صلى الله عليه وسلم : " فله بكل حرف " مثله بقوله : " ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف " . وعلى نهج ذلك؛ وذلك حرف، والكتاب حرف، ونحو ذلك . وقد قيل : إن ذلك أحرف والكتاب أحرف، وروى ذلك مفسرا في بعض الطرق .

والنحاة اصطلحوا اصطلاحا خاصا، فجعلوا لفظ [الكلمة] يراد." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٧٠/٢٠٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ٧٢/٢٠٥

"ص -١٠٨- به الاسم أو الفعل أو الحرف الذي هو من حروف المعاني؛ لأن سيبويه قال في أول كتابه : الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل . فجعل هذا حرفا خاصا، وهو الحرف الذي جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل؛ لأن سيبويه كان حديث العهد بلغة **العرب**، وقد عرف أنهم يسمون الاسم أو الفعل حرفا، فقيد كلامه بأن قال : وقسموا الكلام إلى اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، وأراد سيبويه أن الكلام ينقسم إلى ذلك قسمة الكل إلى أجزائه لا قسمة الكلى إلى جزئياته كما يقول الفقهاء بأن القسمة كما يقسم العقار والمنقول بين الورثة، فيعطى هؤلاء قسم غير قسم هؤلاء، كذلك الكلام هو مؤلف من الأسماء والأفعال وحروف المعاني فهو مقسوم إليها وهذا التقسيم غير تقسيم الجنس إلى أنواعه، كما يقال : الاسم ينقسم إلى **معرب** ومبني .

وجاء الجزولي [هو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يللبخت الجزولي المراكشي، من علماء **العربية**، ولي خطابة مراكش، من كتبه : [الجزولية] رسالة في النحو، و [شرح قصيدة : بانت سعاد] ، ولد سنة ٥٠٤هـ، وتوفي بمراكش سنة ٦٠٧. وغيره، فاعترضوا على النحاة في هذا ولم يفهموا كلامهم، فقالوا : كل جنس قسم إلى أنواعه أو أشخاص أنواعه، فاسم المقسوم صادق على الأنواع والأشخاص وإلا فليست أقساما له، وأرادوا بذلك الاعتراض على قول الزجاج : الكلام اسم وفعل وحرف . والذي ذكره الزجاج هو الذي ذكره سيبويه وسائر أئمة النحاة، وأرادوا بذلك القسمة الأولى المعروفة، وهي قسمة الأمور الموجودة إلى أجزائها كما يقسم العقار والمال، ولم يريدوا بذلك قسمة الكليات التي لا توجد كليات." (١)

"ص -١٠٩- إلا في الذهن كقسمة الحيوان إلى ناطق وبهيم، وقسمة الاسم إلى **المعرب** والمبنى؛ فإن المقسم هنا هو معنى عقلى كلي لا يكون كليا إلا في الذهن .

فصل

ولفظ [الحرف] يراد به حروف المعاني التي هي قسيمة الأسماء والأفعال، مثل حروف الجر والجزم، وحرفي التنفيس، والحروف المشبهة للأفعال مثل : [إن وأخواتها] ، وهذه الحروف لها أقسام معروفة في كتب **العربية**، كما يقسمونها بحسب الإعراب إلى ما يختص بالأسماء وإلى ما يختص بالأفعال، ويقولون : ما اختص بأحد النوعين ولم يكن كالجزء منه كان عاملا كما تعمل حروف الجر، وإن وأخواتها في الأسماء، وكما تعمل النواصب والجوازم في الأفعال، بخلاف حرف التعريف وحرفي التنفيس؛ كالسين وسوف فإنهما لا يعملان لأنهما كالجزء من الكلمة، ويقولون : كان القياس في [ما] أنها لا تعمل؛ لأنها

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٧٣/٢٠٥

تدخل على الجمل الاسمية والفعلية، ولكن أهل الحجاز أعملوها لمشابهتها ل [ليس] ، وبلغتهم جاء القرآن في قوله : ﴿ما هذا بشرا ﴾ [يوسف : ٣١] ﴿ما هن أمهاتهم ﴾ [المجادلة : ٢] .." (١)

"ص -١١٧- وقال رحمه الله :

فصل

في بيان أن القرآن العظيم كلام الله العزيز العليم، ليس شيء منه كلاما لغيره لا جبريل ولا محمد ولا غيرهما، قال الله تعالى : ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ [النحل : ٩٨ ١٠٣] .

فأمره أن يقول : ﴿نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾ ، فإن الضمير في قوله : ﴿قل نزله ﴾ عائد على مافي قوله : ﴿بما ينزل ﴾ والمراد به القرآن، كما يدل عليه سياق الكلام وقوله :." (٢)

"ص -١١٨- ﴿والله أعلم بما ينزل ﴾ فيه إخبار الله بأنه أنزله، لكن ليس في هذه اللفظة بيان أن روح القدس نزل به، ولا أنه منزل منه .

ولفظ [الإنزال] في القرآن قد يرد مقيدا بالإنزال منه؛ كنزول القرآن، وقد يرد مقيدا بالإنزال من السماء ويراد به العلو؛ فيتناول نزول المطر من السحاب، ونزول الملائكة من عند الله وغير ذلك، وقد يرد مطلقا فلا يختص بنوع من الإنزال، بل ربما يتناول الإنزال من رؤوس الجبال، كقوله : ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ﴾ [الحديد : ٢٥] ، والإنزال من ظهور الحيوان كإنزال الفحل الماء وغير ذلك . فقوله : ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾ [النحل : ١٠٢] ، بيان لنزول جبريل به من الله؛ فإن روح القدس هنا هو جبريل؛ بدليل قوله : ﴿قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾ [البقرة : ٩٧] وهو الروح الأمين كما في قوله : ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾ [الشعراء : ١٩٢ ١٩٥] ، وفي قوله : ﴿الأمين ﴾ دلالة على أنه مؤتمن على ما أرسل به، لا يزيد فيه ولا ينقص منه؛ فإن الرسول الخائن قد يغير الرسالة ، كما قال في صفته في الآية

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٧٤/٢٠٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢/٢٠٦

الأخرى : ﴿إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ﴾ [التكوير : ١٩ ٢١] .
وفي قوله : ﴿منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ﴾ [الأنعام : ١١٤] دلالة على أمور :
منها : بطلان قول من يقول : إنه كلام مخلوق خلقه في جسم." (١)

"ص -١٢٠- والمقصود أن قوله : ﴿منزل من ربك ﴾ فيه بيان أنه منزل من الله لا من مخلوق من المخلوقات؛ ولهذا قال السلف : منه بدأ، أي : هو الذي تكلم به لم يبتدأ من غيره، كما قالت الخلقية .
ومنها : أن قوله : ﴿منزل من ربك ﴾ فيه بطلان قول من يجعله فاض على نفس النبي صلى الله عليه وسلم من العقل الفعال أو غيره، كما يقول ذلك طوائف من الفلاسفة والصابئة، وهذا القول أعظم كفرا وضلالا من الذي قبله .
ومنها : أن هذه الآية أيضا تبطل قول من يقول : إن القرآن **العربي** ليس منزلا من الله بل مخلوق؛ إما في جبريل أو محمد أو جسم آخر غيرهما، كما يقول ذلك الكلابية والأشعرية، الذين يقولون : إن القرآن **العربي** ليس هو كلام الله، وإنما كلامه المعنى القائم بذاته، والقرآن **العربي** خلق ليدل على ذلك المعنى، ثم إما أن يكون خلق في بعض
الأجسام الهواء أو غيره أو ألهمه جبريل فعبر عنه بالقرآن **العربي**، أو ألهمه محمد فعبر عنه بالقرآن **العربي**، أو يكون أخذه جبريل من اللوح المحفوظ أو غيره، فهذه الأقوال التي تقدمت هي تفريع على هذا القول؛ فإن هذا القرآن **العربي** لابد له من متكلم تكلم به أولا قبل أن يصل إلينا .." (٢)

"ص -١٢١- وهذا القول يوافق قول المعتزلة ونحوهم في إثبات خلق القرآن **العربي**، وكذلك التوراة العبرية، ويفارقه من وجهين :
أحدهما : أن أولئك يقولون : إن المخلوق كلام الله، وهؤلاء يقولون : إنه ليس كلام الله، لكن يسمى كلام الله مجازا، وهذا قول أئمتهم وجمهورهم . وقالت طائفة من متأخريهم : بل لفظ الكلام يقال على هذا وهذا بالاشتراك اللفظي، لكن هذا ينقض أصلهم في إبطال قيام الكلام بغير المتكلم به، وهم مع هذا لا يقولون : إن المخلوق كلام الله حقيقة، كما تقوله المعتزلة مع قولهم : إنه كلامه حقيقة، بل يجعلون القرآن **العربي** كلاما لغير الله وهو كلام حقيقة، وهذا شر من قول المعتزلة، وهذا حقيقة قول الجهمية . ومن هذا الوجه، فقول المعتزلة أقرب وقول الآخرين هو قول الجهمية المحضة، لكن المعتزلة في المعنى موافقون لهؤلاء،

---
(١) مجموع الفتاوى ، ٣/٢٠٦
(٢) مجموع الفتاوى ، ٥/٢٠٦

وإنما ينازعونهم في اللفظ .

الثاني : أن هؤلاء يقولون : لله كلام هو معنى قديم قائم بذاته، والخلقية يقولون : لا يقوم بذاته كلام . ومن هذا الوجه، فالكلابية خير من الخلقية في الظاهر، لكن جمهور الناس يقولون : إن أصحاب هذا القول عند التحقيق لم يثبتوا له كلاما حقيقة غير المخلوق؛ فإنهم يقولون : إنه معنى واحد هو الأمر والنهي والخبر؛ فإن عبر عنه **بالعربية** كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان." (١)

"ص -١٢٢- إنجيلا . ومنهم من قال : هو خمس معان .

وجمهور العقلاء يقولون : إن فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام، والعقلاء الكثيرون لا يتفقون على الكذب وجحد الضرورات من غير تواطؤ واتفاق؛ كما في الأخبار المتواترة . وأما مع التواطؤ فقد يتفقون على الكذب عمدا، وقد يتفقون على جحد الضرورات وإن لم يعلم كل منهم أنه جاحد للضرورة، ولو لم يفهم حقيقة القول الذي يعتقده لحسن ظنه فيمن يقلد قوله، ولمحبته لنصر ذلك القول، كما اتفقت النصارى والرافضة وغيرهم من الطوائف على مقالات يعلم فسادها بالضرورة .

وقال جمهور العقلاء : نحن إذا **عربنا** التوراة والإنجيل لم يكن معنى ذلك معنى القرآن، بل معاني هذا ليست معاني هذا، ومعاني هذا ليست معاني هذا، وكذلك معنى : ﴿قل هو الله أحد ﴾ [الإخلاص : ١] ليس هو معنى ﴿تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ [المسد : ١] ولا معنى آية الكرسي هو معنى آية الدين . وقالوا : إذا جوزتم أن تكون الحقائق المتنوعة شيئا واحدا، فجوزوا أن يكون العلم والقدرة والكلام والسمع والبصر صفة واحدة، فاعترف أئمة هذا القول بأن هذا الإلزام ليس لهم عنه جواب عقلي .." (٢)

"ص -١٢٣- ثم منهم من قال : الناس في الصفات إما مثبت لها وقائل بالتعدد، وإما ناف لها، وأما إثباتها واتحادها فخلاف الإجماع . وهذه طريقة القاضي أبي بكر وأبي المعالي وغيرهما . ومنهم من اعترف بأنه ليس له عنه جواب، كأبي الحسن الآمدي وغيره .

والمقصود هنا أن هذه الآية تبين بطلان هذا القول، كما تبين بطلان غيره، فإن قوله : ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾ [النحل : ١٠٢] يقتضى نزول القرآن من ربه، والقرآن اسم للقرآن **العربي** لفظه ومعناه، بدليل قوله : ﴿فإذا قرأت القرآن ﴾ [النحل : ٩٨] وإنما يقرأ القرآن **العربي** لا يقرأ معانيه المجردة . وأيضا، فضمير المفعول في قوله : ﴿نزله ﴾ عائد على مافي قوله : ﴿والله أعلم بما ينزل ﴾ [النحل :

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٦/٢٠٦

(٢) مجموع الفتاوى ، ٧/٢٠٦

١٠١] فالذي أنزله الله هو الذي نزله روح القدس، فإذا كان روح القدس نزل بالقرآن العربي لزم أن يكون نزله من الله، فلا يكون شيء منه نزله من عين من الأعيان المخلوقة، ولا نزله من نفسه .

وأيضا، فإنه قال عقيب هذه الآية : ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ [النحل : ١٠٣] وهم كانوا يقولون : إنما يعلمه هذا القرآن العربي بشر، لم يكونوا يقولون : إنما يعلمه بشر معانيه فقط، بدليل قوله : ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ ، فإنه تعالى أبطل قول الكفار بأن." (١)

"ص -١٢٤- لسان الذي ألحدوا إليه، بأن أضافوا إليه هذا القرآن، فجعلوه هو الذي يعلم محمدا القرآن لسان أعجمي، والقرآن لسان عربي مبين، وعبر عن هذا المعنى بلفظ ﴿يلحدون ﴾ لما تضمن من معني ميلهم عن الحق وميلهم إلى هذا الذي أضافوا إليه هذا القرآن، فإن لفظ [الإلحاد] يقتضى ميلا عن شيء إلى شيء بباطل، فلو كان الكفار قالوا : يعلمه معانيه فقط لم يكن هذا ردا لقولهم؛ فإن الإنسان قد يتعلم من الأعجمي شيئا بلغة ذلك الأعجمي، ويعبر عنه هو بعبارته .

وقد اشتهر في التفسير أن بعض الكفار كانوا يقولون : هو تعلمه من شخص كان بمكة أعجمي . قيل : إنه كان مولى لابن الحضرمي، وإذا كان الكفار جعلوا الذي يعلمه ما نزل به روح القدس بشرا، والله أبطل ذلك بأن لسان ذلك أعجمي وهذا لسان عربي مبين، علم أن روح القدس نزل باللسان العربي المبين، وأن محمدا لم يؤلف نظم القرآن بل سمعه من روح القدس، وإذا كان روح القدس نزل به من الله، علم أنه سمعه منه ولم يؤلفه هو، وهذا بيان من الله أن القرآن الذي هو اللسان العربي المبين، سمعه روح القدس من الله ونزل به منه .

ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن ﴾ إلى قوله : ﴿فذرهم وما يفترون ﴾ [الأنعام : ١١٢] ، وكذلك قوله : ﴿أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ﴾ [الأنعام : ١١٤]،." (٢)

"ص -١٢٥- و [الكتاب] اسم للقرآن العربي بالضرورة والاتفاق؛ فإن الكلابية أو بعضهم يفرق بين كلام الله وكتاب الله، فيقول : كلامه هو المعنى القائم بالذات وهو غير مخلوق، وكتابه هو المنظوم

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٨/٢٠٦

(٢) مجموع الفتاوى ، ٩/٢٠٦

المؤلف العربي، وهو مخلوق .

و [القرآن] يراد به هذا تارة وهذا تارة، والله تعالى قد سمى نفس مجموع اللفظ والمعنى قرآنا وكتابا وكلاما، فقال تعالى : ﴿الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾ [الحجر : ١] ، وقال : ﴿طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين ﴾ [النمل : ١] ، وقال : ﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه ﴾ [الأحقاف : ٢٩، ٣٠] فبين أن الذي سمعوه هو القرآن وهو الكتاب، وقال : ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾ [البروج : ٢١، ٢٢] ، وقال : ﴿إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون ﴾ [الواقعة : ٧٧، ٨٧] وقال : ﴿يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة ﴾ [البينة : ٢، ٣] ، وقال : ﴿والطور وكتاب مسطور في رق منشور ﴾ [الطور : ١ ٣] وقال : ﴿ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم ﴾ [الأنعام : ٧] .

ولكن لفظ الكتاب قد يراد به المكتوب فيكون هو الكلام، وقد يراد به ما يكتب فيه، كما قال تعالى : ﴿وكل إنسان ألزمناه طآئره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ﴾ [الإسراء : ١٣] .." (١)

"ص -١٢٦- و المقصود هنا أن قوله : ﴿وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا ﴾ يتناول نزول القرآن العربي على كل قول . وقد أخبر : ﴿والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ﴾ [الأنعام : ١١٤] إخبار مستشهد بهم لا مكذب لهم، وقال : إنهم يعلمون ذلك ولم يقل : إنهم يظنونه أو يقولونه، والعلم لا يكون إلا حقا مطابقا للمعلوم، بخلاف القول والظن الذي ينقسم إلى حق وباطل، فعلم أن القرآن العربي منزل من الله لا من الهواء، ولا من اللوح، ولا من جسم آخر، ولا من جبريل، ولا من محمد ولا غيرهما، وإذا كان أهل الكتاب يعلمون ذلك فمن لم يقر بذلك من هذه الأمة كان أهل الكتاب المقرون بذلك خيرا منه من هذا الوجه .

وهذا لا ينافي ما جاء عن ابن عباس وغيره من السلف في تفسير قوله : ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ [القدر : ١] أنه أنزله إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم أنزله بعد ذلك منجما مفرقا بحسب الحوادث، ولا ينافي أنه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله، كما قال تعالى : ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾ [البروج : ٢١،٢٢] وقال تعالى : ﴿إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون ﴾ [الواقعة : ٧٧، ٨٧] ، وقال تعالى : ﴿كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٠/٢٠٦

بأيدي سفرة كرام بررة ﴾ [عبس : ١١ ١٦] وقال تعالى : ﴿وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ﴾ [الزخرف : ٤] فإن كونه." (١)

"ص -١٣٥- وسائر صفاته، وافقوا السلف والأئمة من وجه، وخالفوهم من وجه، وليس قول أحدهما هو قول السلف دون الآخر، لكن الأشعرية في جنس مسائل الصفات، بل وسائر الصفات والقدر، أقرب إلى قول السلف والأئمة من المعتزلة .

فإن قيل : فقد قال تعالى : ﴿إنه لقول رسول كريم ﴾ [الحاقة : ٤٠، التكوير : ١٩] وهذا يدل على أن الرسول أحدث الكلام **العربي** . قيل : هذا باطل؛ وذلك لأن الله ذكر هذا في القرآن في موضعين، والرسول في أحد الموضعين محمد، والرسول في الآية الأخرى جبريل . قال تعالى في سورة الحاقة : ﴿إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ﴾ [الحاقة : ٤٠ ٤٣] فالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقال في سورة التكوير : ﴿إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ﴾ [التكوير : ١٩ ٢١] فالرسول هنا جبريل، فلو كان أضافه إلى الرسول لكونه أحدث حروفه أو أحدث منه شيئا لكان الخبران متناقضين، فإنه إن كان أحدهما هو الذي أحدثها امتنع أن يكون الآخر هو الذي أحدثها .

وأيضا، فإنه قال : ﴿لقول رسول كريم ﴾ ولم يقل : لقول ملك ولا نبي، ولفظ [الرسول] يستلزم مرسلا له، فدل ذلك على أن." (٢)

"ص -١٥٩- فإن هذا مكابرة للحس . والمتكلم يعلم أن حروف المعجم كانت موجودة قبل وجوده بنوعها . وأما نفس الصوت المعين الذي قام به التقطيع أو التأليف المعين لذلك الصوت، فيعلم أن عينه لم تكن موجودة قبله، والمنقول عن الإمام أحمد وغيره من أئمة السنة مطابق لهذا القول؛ ولهذا أنكروا على من زعم أن حرفا من حروف المعجم مخلوق، وأنكروا على من قال : [لما خلق الله الحروف سجدت له إلا الألف، فقالت : لا أسجد حتى أومر] ، مع أن هذه الحكاية نقلت لأحمد عن سري السقطي . وهو نقلها عن بكر بن خنيس العابد، ولم يكن قصد أولئك الشيوخ بها إلا بيان أن العبد الذي يتوقف فعله على

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١١/٢٠٦

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٠/٢٠٦

الأمر والشرع هو أكمل من العبد الذي يعبد الله بغير شرع، فإن كثيرا من العباد يعبدون الله بما تحبه قلوبهم، وإن لم يكونوا مأمورين به، فقصد أولئك الشيوخ أن من عبد الله بالأمر ولم يفعل شيئا حتى يؤمر به،فهو أفضل ممن عبده بما لم يؤمر به، وذكروا هذه الحكاية الإسرائيلية شاهدا لذلك، مع أن هذه لا إسناد لها، ولا يثبت بها حكم، ولكن الإسرائيليات إذا ذكرت على طريق الاستشهاد بها لما عرف صحته لم يكن بذكرها بأس، وقصدوا بذلك الحروف المكتوبة؛ لأن الألف منتصبة وغيرها ليس كذلك، مع أن هذا أمر اصطلاحي، وخط غير **العربي** لا يماثل خط **العربي**، ولم يكن قصد أولئك الأشياخ أن نفس الحروف المنطوقة التي هي مباني أسماء الله الحسنى، وكتبه المنزلة، مخلوقة بائنة عن الله،." (١)

"ص -١٦٠- بل هذا شيء لعله لم يخطر بقلوبهم، والحروف المنطوقة لا يقال فيها : إنها منتصبة ولا ساجدة، فمن احتج بهذا من قولهم على أنهم يقولون : إن الله لم يتكلم بالقرآن **العربي** ولا بالتوراة العبرية، فقد قال عنهم ما لم يقولوه .

وأما الإمام أحمد، فإنه أنكر إطلاق هذا القول، وما يفهم منه عند الإطلاق، وهو أن نفس حروف المعجم مخلوقة، كما نقل عنه أنه قال : ومن زعم أن حرفا من حروف المعجم مخلوق، فهذا جهمي يسلك طريقا إلى البدعة، فإنه إذا قال : إن ذلك مخلوق، فقد قال : إن القرآن مخلوق أو كما قال . ولا ريب أن من جعل نوع الحروف مخلوقا بائنا عن الله كائنا بعد أن لم يكن، لزم عنده أن يكون كلام الله **العربي** والعبري ونحوهما مخلوقا، وامتنع أن يكون الله متكلما بكلامه، الذي أنزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ، فلا يكون شيء من ذلك كلامه، فطريقة الإمام أحمد وغيره من السلف مطابقة للقول الثالث، الموافق لصريح المعقول وصحيح المنقول .

وقال الشيخ الإمام أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخي الشافعي . في كتابه الذي سماه : [الفصول في الأصول] : سمعت الإمام أبا منصور محمد بن أحمد يقول : سمعت الإمام أبا بكر عبد الله بن أحمد يقول : سمعت الشيخ أبا حامد الإسفرائيني يقول : مذهبي ومذهب الشافعي." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٤/٢٠٦

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤٥/٢٠٦

"ص -١٨١- الكلام لا يكون إلا بقدرة المتكلم ومشيئته، وإن كلاما لازما لذات المتكلم لا يعقل؛ فإنه إن جعل معنى واحدا كان مكابرة للعقل، وكذلك إن جعل أصواتا أزلية، ثم ظنوا أن ما كان بقدرة الرب ومشيئته لا يكون إلا منفصلا عنه، وما انفصل عنه فهو مخلوق، ولهذا أنكروا أن يجيء، أو يأتي، أو ينزل، وغير ذلك مما جاء به الكتاب والسنة .

وآخرون وافقوهم على هذا الأصل الذي أحدثه أولئك، وهو أنه لا يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته، لكن رأوا أن كلاما لا يقوم بالمتكلم لا يكون كلاما له، فقالوا : إن كلامه قائم به .

ثم رأى فريق أن قدم الأصوات ممتنع، فجعلوا القديم هو المعنى،ثم رأوا أن تعدد المعانى القديمة ممتنع، وأنه يفضي إلى وجود معاني لا نهاية لها، فقالوا : هو معنى واحد .

ورأى فريق آخر أن كون المعاني المتنوعة معنى واحدا ممتنع، وكون الرب لم يتكلم بحروف القرآن، بل خلقها في غيره موافقة لمن جعل الكلام لا يقوم بالمتكلم؛ فإن تلك الحروف المنظومة كالقرآن **العربي** إن قالوا : هو كلام الله لزم ألا يكون كلامه قائما به بل بغيره، وإن قالوا : ليس كلاما لله لزم أن يكون كلاما لمن خلقت فيه، فلا يكون الكلام **العربي** كلاما لله، بل كلاما لمن خلق فيه . وهذا." (١)

"ص -١٩٦- ثم يدل غيره عليه بالعبارة، والناس في القرآن على ضد هذه الحال، فيمتنع أن يكونوا هم المعبرين به .

الرابع : أن كل واحد منهم يعلم أنه تعلم القرآن **العربي** من غيره، وأنه ليس له فيه إلا الحفظ، والتبليغ، والأداء، بل يعلم أنه إذا حفظ خطب الخطباء، وشعر الشعراء، لم يكن هو المعبر عما في أنفسهم بذلك الكلام، بل يكون الكلام كلامهم، وهو قد حفظه، وأداه، وبلغه . فكيف بكلام رب العالمين ؟ !

الخامس : أن كل واحد يعلم بالاضطرار أن نفس القرآن **العربي** كان موجودا قبل وجود كل القراء . وأن الناس إنما تلقوه عن محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

و بالجملة، فالدلالة على فساد هذا القول أكثر من أن تحصر .

وإن قلت : بل الحروف والأصوات المعبر بها عن المعاني التي أرادها الله من حروف وأصوات كانت موجودة قبل وجود القراء، ولكن كل من القراء حفظ ذلك النظم **العربي**، الذي كان موجودا قبله، قيل لك :

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢١/٢٠٧

فحينئذ قد كان ثم حروف وأصوات غير هذه الأصوات المسموعة من القراء، وغير المداد المكتوب في المصاحف، وهذا هو." (١)

"ص -٢٤٣- إن كلام الله هل هو حرف وصوت أم لا ؟ فإن إطلاق الجواب في هذه المسألة نفيا وإثباتا خطأ، وهي من البدع المولدة، الحادثة بعد المائة الثالثة . لما قال قوم من متكلمة الصفاتية : إن كلام الله الذي أنزل على أنبيائه، كالتوراة، والإنجيل، والقرآن، والذي لم ينزله، والكلمات التي كون بها الكائنات، والكلمات المشتملة على أمره ونهيه وخبره، ليست إلا مجرد معنى واحد، هو صفة واحدة قامت بالله، إن عبر عنها بالعبرانية كانت التوراة، وإن عبر عنها **بالعربية** كانت القرآن، وأن الأمر والنهي والخبر صفات لها، لا أقسام لها، وأن حروف القرآن مخلوقة، خلقها الله ولم يتكلم بها، وليست من كلامه؛ إذ كلامه لا يكون بحرف وصوت .

عارضهم آخرون من المثبتة فقالوا : بل القرآن هو الحروف والأصوات، وتوهم قوم أنهم يعنون بالحروف المداد، وبالأصوات أصوات العباد، وهذا لم يقله عالم .

والصواب الذي عليه سلف الأمة كالإمام أحمد والبخاري صاحب الصحيح، في [كتاب خلق أفعال العباد] وغيره، وسائر الأئمة قبلهم وبعدهم اتباع النصوص الثابتة، وإجماع سلف الأمة، وهو." (٢)

"ص -٢٥٥- منزلا، وأما على قراءة الرفع فلا، وكلاهما حق . وقد قيل فيه : خلقناه، وقيل : أنزلنا أسبابه . وقيل : ألهمناهم كيفية صنعته، وهذه الأقوال ضعيفة؛ فإن النبات الذي ذكروا لم يجئ فيه لفظ [أنزلنا] ، ولم يستعمل في كل ما يصنع أنزلنا، فلم يقل : أنزلنا الدور، وأنزلنا الطبخ ونحو ذلك، وهو لم يقل : إنا أنزلنا كل لباس ورياش، وقد قيل : إن الريش والرياش المراد به اللباس الفاخر كلاهما بمعنى واحد، مثل اللبس واللباس، وقد قيل : هما المال والخصب والمعاش، وارتاش فلان : حسنت حالته .

والصحيح أن [الريش] هو الأثاث والمتاع، قال أبو عمر : **والعرب** تقول : أعطاني فلان ريشه، أي كسوته وجهازه . وقال غيره : الرياش في كلام **العرب** : الأثاث وما ظهر من المتاع والثياب والفرش ونحوها . وبعض المفسرين أطلق عليه لفظ المال، والمراد به مال مخصوص، قال ابن زيد : جمالا؛ وهذا لأنه مأخوذ من ريش الطائر وهو ما يروش به ويدفع عنه الحر والبرد وجمال الطائر ريشه، وكذلك ما يبيت فيه الإنسان من الفرش وما يبسطه تحته ونحو ذلك، والقرآن مقصوده جنس اللباس الذي يلبس على البدن وفي البيوت،

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٦/٢٠٧

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٠/٢٠٨

كما قال تعالى : ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ﴾ الآية [النحل : ٨٠] ، فامتن سبحانه عليهم بما ينتفعون به من الأنعام في اللباس والأثاث، وهذا والله أعلم معنى إنزاله؛ فإنه ينزله." (١)

"ص -٢٥٧- النهار لا يتأذون به تأذيا كثيرا، بل لا يحتاجون إليه أحيانا حاجة قوية، فجمع بينهما في قوله : ﴿سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ﴾ [النحل : ٨١] . ولا حذف في اللفظ ولا قصور في المعنى، كما يظنه من لم يحسن حقائق معاني القرآن، بل لفظه أتم لفظ، ومعناه أكمل المعاني، فإذا كان اللباس والرياش ينزل من ظهور الأنعام، وكسوة الأنعام منزلة من الأصلاب والبطون كما تقدم فهو منزل من الجهتين؛ فإنه على ظهور الأنعام لا ينتفع به بنو آدم حتى ينزل .

فقد تبين أنه ليس في القرآن ولا في السنة لفظ نزول إلا وفيه معنى النزول المعروف، وهذا هو اللائق بالقرآن؛ فإنه نزل بلغة العرب، ولا تعرف العرب نزولا إلا بهذا المعنى، ولو أريد غير هذا المعنى لكان خطابا بغير لغتها، ثم هو استعمال اللفظ المعروف له معنى في معنى آخر بلا بيان، وهذا لا يجوز بما ذكرنا؛ وبهذا يحصل مقصود القرآن واللغة الذي أخبر الله تعالي أنه بينه وجعله هدى للناس، وليكن هذا آخره، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا .." (٢)

"ص -٢٦١- إلى قوله : ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ [النحل : ٩٨ ١٠٣] .

كان بعض المشركين يزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم تعلمه من بعض الأعاجم الذين بمكة، إما عبد ابن الحضرمي وإما غيره، كما ذكر ذلك المفسرون، فقال تعالى : ﴿لسان الذي يلحدون إليه ﴾ أي : يضيفون إليه التعليم لسان ﴿أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ فكيف يتصور أن يعمله أعجمي وهذا الكلام عربي ؟ وقد أخبر أنه نزله روح القدس من ربك بالحق، فهذا بيان أن هذا القرآن العربي الذي تعلمه من غيره لم يكن هو المحدث لحروفه ونظمه؛ إذ يمكن لو كان كذلك أن يكون تلقى من الأعجمي معانيه وألف هو حروفه، وبيان أن هذا الذي تعلمه من غيره نزل به روح القدس من ربك بالحق يدل على أن القرآن جميعه منزل من الرب سبحانه وتعالى لم ينزل معناه دون حروفه .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١١/٢٠٩

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٣/٢٠٩

ومن المعلوم أن من بلغ كلام غيره كمن بلغ كلام النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره من الناس، أو أنشد شعر غيره كما لو أنشد منشد قول لبيد :." (١)

"ص -٢٦٦- عن غيره لا منشئ له من عنده ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ [النور : ٥٤، العنكبوت : ١٨] ، فكان قوله : ﴿إنه لقول رسول كريم ﴾ بمنزلة قوله : لتبليغ رسول، أو مبلغ من رسول كريم، أو جاء به رسول كريم، أو مسموع عن رسول كريم؛ وليس معناه : أنه أنشأه، أو أحدثه، أو أنشأ شيئا منه، أو أحدثه رسول كريم؛ إذ لو كان منشئا لم يكن رسولا فيما أنشأه وابتدأه، وإنما يكون رسولا فيما بلغه وأداه، ومعلوم أن الضمير عائد إلى القرآن مطلقا .

وأيضا، فلو كان أحد الرسولين أنشأ حروفه ونظمه، امتنع أن يكون الرسول الآخر هو المنشئ المؤلف لها، فبطل أن تكون إضافته إلى الرسول لأجل إحداث لفظه ونظمه، ولو جاز أن تكون الإضافة هنا لأجل إحداث الرسول له أو لشيء منه، لجاز أن نقول : إنه قول البشر، وهذا قول [الوحيد] الذي أصلاه الله سقر .

فإن قال قائل : فالوحيد جعل الجميع قول البشر، ونحن نقول : إن الكلام العربي قول البشر، وأما معناه فهو كلام الله .

فيقال لهم : هذا نصف قول الوحيد، ثم هذا باطل من وجوه أخرى :

وهو أن معاني هذا النظم معان متعددة متنوعة، وأنتم تجعلون ذلك." (٢)

"ص -٢٦٧- المعنى معنى واحدا هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وتجعلون ذلك المعنى إذا عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإذا عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وإذا عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا، وهذا مما يعلم بطلانه بالضرورة من العقل والدين؛ فإن التوراة إذا عربناها لم يكن معناها معنى القرآن، والقرآن إذا ترجمناه بالعبرانية لم يكن معناه معنى التوراة .

وأيضا، فإن معنى آية الكرسي ليس هو معنى آية الدين، وإنما يشتركان في مسمى الكلام، ومسمى كلام الله، كما تشترك الأعيان في مسمى النوع، فهذا الكلام وهذا الكلام وهذا الكلام، كله يشترك في أنه كلام الله، اشتراك الأشخاص في أنواعها، كما أن الإنسان وهذا الإنسان وهذا الإنسان يشتركون في مسمى الإنسان، وليس في الخارج شخص بعينه هو هذا وهذا وهذا، وكذلك ليس في الخارج كلام واحد هو معنى

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٦/٢١٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ١١/٢١٠

التوراة والإنجيل والقرآن، وهو معنى آية الدين وآية الكرسي .

ومن خالف هذا كان في مخالفته لصريح المعقول من جنس من قال : إن أصوات العباد وأفعالهم قديمة أزلية . فاضرب بكلام البدعتين رأس قائلهما، والزم الصراط المستقيم؛ صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .." (١)

"ص –٢٧٢– عنه إذ جعلت هذه العبارة هي بعينها عبارة جبريل، فحينئذ هذا يبطل أصل قولك .

واعلم أن أصل القول بالعبارة : أن أبا محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب هو أول من قال في الإسلام : إن معنى القرآن كلام الله، وحروفه ليست كلام الله . فأخذ بنصف قول المعتزلة ونصف قول أهل السنة والجماعة، وكان قد ذهب إلى إثبات الصفات لله تعالى وخالف المعتزلة في ذلك، وأثبت العلو لله على العرش ومباينته المخلوقات، وقرر ذلك تقريرا هو أكمل من تقرير أتباعه بعده . وكان الناس قد تكلموا فيمن بلغ كلام غيره، هل يقال له حكاية عنه أم لا ؟ وأكثر المعتزلة قالوا : هو حكاية عنه، فقال ابن كلاب : القرآن **العربي** حكاية عن كلام الله، ليس بكلام الله .

فجاء بعده أبو الحسن الأشعري، فسلك مسلكه في إثبات أكثر الصفات، وفي مسألة القرآن أيضا، واستدرك عليه قوله : إن هذا حكاية، وقال : الحكاية إنما تكون مثل المحكي فهذا يناسب قول المعتزلة، وإنما يناسب قولنا أن نقول : هو عبارة عن كلام الله؛ لأن الكلام ليس من جنس العبارة، فأنكر أهل السنة والجماعة عليهم عدة أمور :." (٢)

"ص –٢٧٣– أحدها : قولهم : إن المعنى كلام الله، وإن القرآن **العربي** ليس كلام الله، وكانت المعتزلة تقول : هو كلام الله وهو مخلوق، فقال هؤلاء : هو مخلوق وليس بكلام الله؛ لأن من أصول أهل السنة أن الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل، فإذا قام الكلام بمحل كان هو المتكلم به، كما أن العلم والقدرة إذا قاما بمحل كان هو العالم القادر، وكذلك الحركة . وهذا مما احتجوا به على المعتزلة وغيرهم من الجهمية في قولهم : إن كلام الله مخلوق، خلقه في بعض الأجسام، قالوا لهم : لو كان كذلك لكان الكلام كلام ذلك الجسم الذي خلقه فيه، فكانت الشجرة هي القائلة : ﴿إني أنا الله رب العالمين﴾ [القصص : ٣٠] ، فقال أئمة الكلابية : إذا كان القرآن **العربي** مخلوقا لم يكن كلام الله، فقال طائفة من متأخريهم : بل نقول : الكلام مقول بالاشتراك بين المعنى المجرد وبين الحروف

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٢/٢١٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٧/٢١٠

المنظومة، فقال لهم المحققون : فهذا يبطل أصل حجتكم على المعتزلة، فإنكم إذا سلمتم أن ما هو كلام الله حقيقة لا يمكن قيامه به بل بغيره، أمكن المعتزلة أن يقولوا : ليس كلامه إلا ما خلقه في غيره .

الثاني : قولهم : إن ذلك المعنى هو الأمر والنهي والخبر، وهو معنى التوراة، والإنجيل والقرآن، وقال أكثر العقلاء : هذا الذي قالوه معلوم الفساد بضرورة العقل .." (١)

"ص -٢٩٤- أبي يعلى وأمثاله وقالوا : ظهر كلام الله في ذلك ولا نقول : حل؛ لأن حلول صفة الخالق في المخلوق، أو حلول القديم في المحدث ممتنع . وطائفة أطلقت القول بأن كلام الله حال في المصحف كأبي إسماعيل الأنصاري الهروي الملقب بشيخ الإسلام وغيره، وقالوا : ليس هذا هو الحلول المحذور الذي نفيناه، بل نطلق القول بأن الكلام فى الصحيفة ولا يقال بأن الله في الصحيفة أو في صدر الإنسان، كذلك نطلق القول بأن كلامه حال في ذلك دون حلول ذاته، وطائفة ثالثة كأبي علي بن أبي موسى وغيره قالوا : لا نطلق الحلول نفيا ولا إثباتا لأن إثبات ذلك يوهم انتقال صفة الرب إلى المخلوقات ونفى ذلك يوهم نفي نزول القرآن إلى الخلق فنطلق ما أطلقته النصوص ونمسك عما في إطلاقه محذور لما في ذلك من الإجمال .

وأما قول القائل : إن قلتم : إن هذا نفس كلام الله فقد قلتم بالحلول، وإن قلتم غير ذلك، قلتم بمقالتنا، فجوا ب ذلك : أن المقالة المنكرة هنا تتضمن ثلاثة أمور، فإذا زالت لم يبق منكرا :

أحدها : من يقول : إن القرآن **العربي** لم يتكلم الله به وإنما أحدثه غير الله كجبريل ومحمد، والله خلقه في غيره .

الثاني : قول من يقول : إن كلام الله ليس إلا معنى واحدا هو." (٢)

"ص -٢٩٥- الأمر والنهي والخبر، وأن الكتب الإلهية تختلف باختلاف العبارات لا باختلاف المعاني فيجعل معنى التوراة والإنجيل والقرآن واحدا، وكذلك معنى آية الدين وآية الكرسي، كمن يقول : إن معاني أسماء الله الحسنى بمعنى واحد، فمعنى العليم والقدير والرحيم والحكيم معنى واحد، فهذا إلحاد في أسمائه وصفاته وآياته .

الثالث : قول من يقول : إن ما بلغته الرسل عن الله من المعنى والألفاظ ليس هو كلام الله، وإن القرآن كلام التالين لا كلام رب العالمين . فهذه الأقوال الثلاثة باطلة بأي عبارة عبر عنها .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٨/٢١٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣٩/٢١٠

وأما قول من قال : إن القرآن العربي كلام الله، بلغه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه تارة يسمع من الله، وتارة من رسله مبلغين عنه، وهو كلام الله حيث تصرف، وكلام الله تكلم به لم يخلقه في غيره، ولا يكون كلام الله مخلوقا، ولو قرأه الناس وكتبوه وسمعوه . وقال مع ذلك : إن أفعال العباد و أصواتهم وسائر صفاتهم مخلوقة فهذا لا ينكر عليه، وإذا نفى الحلول وأراد به أن صفة الموصوف لا تفارقه وتنتقل إلى غيره فقد أصاب في هذا المعنى، لكن عليه مع ذلك أن يؤمن أن القرآن العربي كلام الله تعالى وليس هو ولا شيء منه كلاما لغيره، ولكن بلغته عنه رسله، وإذا كان كلام المخلوق يبلغ عنه مع العلم بأنه كلامه حروفه ومعانيه، ومع العلم بأن شيئا من صفاته لم تفارق ذاته فالعلم بمثل هذا في كلام الخالق أولى وأظهر . والله أعلم .." (١)

"ص -٢٩٨- ولم يقل السلف : إن النبي سمعه من الله تعالى كما يقول ذلك بعض المتأخرين، قال الله تعالى : ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ﴾ [آل عمران : ١٦٤] وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : [اقرأ علي القرآن] . قلت : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : [إني أحب أن أسمعه من غيري] . فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت إلى هذه الآية ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ [النساء : ٤١] . قال : [حسبك] ، فنظرت فإذا عيناه تذرفان من البكاء [[تذرفان] : أي تدمعان] . والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل، وهو الذي نزل عليه به، وجبريل سمعه من الله تعالى كما نص على ذلك أحمد وغيره من الأئمة، قال تعالى : ﴿قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾ [البقرة : ٩٧] ، وقال تعالى : ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾ [الشعراء : ١٩٣ ١٩٥] ، وقال تعالى : ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾ [النحل : ١٠١، ١٠٢] فأخبر سبحانه أنه نزله روح القدس وهو الروح الأمين، وهو جبريل
من الله بالحق، ولم يقل أحد من السلف : إن النبي صلى الله عليه وسلم سمعه من الله، وإنما قال ذلك بعض المتأخرين .." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٠/٢١٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤٣/٢١٠

"ص -٣٠١- وفي السنن عن جابر قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالموسم فيقول : " ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي ؟ فإن قريشا منعوني أن أبلغ كلام ربي " .
وكما لم يقل أحد من السلف : إنه مخلوق، فلم يقل أحد منهم : إنه قديم، لم يقل واحدا من القولين أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا من بعدهم من [الأئمة الأربعة] ولا غيرهم، بل الآثار متواترة عنهم بأنهم كانوا يقولون : القرآن كلام الله . ولما ظهر من قال : إنه مخلوق، قالوا ردا لكلامه : إنه غير مخلوق، ولم يريدوا " بذلك أنه مفترى، كما ظنه بعض الناس، فإن أحدا من المسلمين لم يقل : إنه مفترى، بل هذا كفر ظاهر يعلمه كل مسلم، وإنما قالوا : إنه مخلوق، خلقه الله في غيره، فرد السلف هذا القول، كما تواترت الآثار عنهم بذلك، وصنف في ذلك مصنفات متعددة، وقالوا : منه بدأ وإليه يعود .
وأول من عرف أنه قال : مخلوق : الجعد بن درهم وصاحبه الجهم بن صفوان، وأول من عرف أنه قال : هو قديم : عبد الله بن سعيد بن كلاب، ثم افترق الذين شاركوه في هذا القول .
فمنهم من قال : الكلام معنى واحد قائم بذات الرب، ومعني القرآن كله والتوراة والإنجيل وسائر كتب الله وكلامه هو ذلك المعنى الواحد الذي لا يتعدد ولا يتبعض، والقرآن **العربي** لم يتكلم الله به،." (١)
"ص -٣٠٩- السلف وهو الذي يدل عليه النقل الصحيح والعقل الصريح، وإن كان عامة هؤلاء المختلفين في الكتاب لم يعرفوا القول السديد قول السلف، بل ولا سمعوه، ولا وحدوه في كتاب من الكتب التي يتداولونها؛ لأنهم لا يتداولون الآثار السلفية ولا معاني الكتاب والسنة إلا بتحريف بعض المحرفين لها؛ ولهذا إنما يذكر أحدهم أقوالا مبتدعة؛ إما قولين، وإما ثلاثة، وإما أربعة، وإما خمسة، والقول الذي كان عليه السلف ودل عليه الكتاب والسنة لا يذكره؛ لأنه لا يعرفه؛ ولهذا تجد الفاضل من هؤلاء حائرا مقرا بالحيرة على نفسه وعلى من سبقه من هؤلاء المختلفين؛ لأنه لم يجد فيما قالوه قولا صحيحا .
وكان أول من ابتدع الأقوال [الجهمية المحضة النفاة] الذين لا يثبتون الأسماء والصفات، فكانوا يقولون أولا : إن الله تعالى لا يتكلم، بل خلق كلاما في غيره، وجعل غيره يعبر عنه، وأن قوله تعالى : ﴿وإذ نادى ربك موسى ﴾ [الشعراء : ١٠] وقول النبي صلى الله عليه وسلم : " إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة إذا بقي ثلث الليل، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٦/٢١٠

؟ " معناه : أن ملكا يقول ذلك عنه، كما يقال : نادى السلطان، أي أمر مناديا ينادي عنه، فإذا تلا عليهم ما أخبر الله تعالى به عن نفسه من أنه يقول ويتكلم . قالوا : هذا مجاز؛ كقول العربي :." (١)

"ص -٣١٦- وقالت الكلابية : بل تقوم به الصفات ولا تقوم به الحوادث، ونحن لا نسمى الصفات أعراضا؛ لأن العرض عندنا لا يبقى زمانين، وصفات الله تعالى باقية . وقالوا : وأما الحوادث فلو قامت به لم يخل منها؛ لأن القابل للشيء لا يخلو منه ومن ضده، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث .

فقال الجمهور المنازعون للطائفتين : أما قول أولئك : أنه لا تقوم به الصفات؛ لأنها أعراض والعرض لا يقوم إلا بجسم وليس بجسم، فتسمية ما يقوم بغيره عرضا اصطلاح حادث، وكذلك تسمية ما يشار إليه جسما اصطلاح حادث أيضا، و [الجسم] في لغة العرب هو البدن وهو الجسد كما قال غير واحد من أهل اللغة، منهم الأصمعي وأبو عمرو، فلفظ الجسم يشبه لفظ الجسد وهو الغليظ الكثيف . والعرب تقول : هذا جسيم، وهذا أجسم من هذا،أي أغلظ منه، قال تعالى : ﴿وزاده بسطة في العلم والجسم ﴾ [البقرة : ٢٤٧] ، وقال تعالى : ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم ﴾ [المنافقون : ٤] ، ثم قد يراد بالجسم نفس الغلظ والكثافة، ويراد به الغليظ الكثيف .

وكذلك النظار يريدون بلفظ [الجسم] تارة المقدار، وقد يسمونه الجسم التعليمي، وتارة يريدون به الشيء المقدر، وهو الجسمي الطبيعي، والمقدار المجرد عن المقدر كالعدد المجرد عن المعدود، وذلك لا يوجد إلا." (٢)

"ص -٣١٧- في الأذهان دون الأعيان . وكذلك السطح والخط والنقطة المجردة عن المحل الذي تقوم به لا يوجد إلا في الذهن . قالوا : وإذا كان هذا معنى الجسم بلغة العرب، فهو أخص من المشار إليه؛ فإن الروح القائمة بنفسها لا يسمونها جسما، بل يقولون : خرجت روحه من جسمه، ويقولون : إنه جسم وروح، ولا يسمون الروح جسما، ولا النفس الخارج من الإنسان جسما، لكن أهل الكلام اصطلحوا على أن كل ما يشار إليه يسمى جسما، كما اصطلحوا على أن كل ما يقوم بنفسه يسمى جوهرا، ثم تنازعوا في أن كل ما يشار إليه هل هو مركب من الجواهر الفردة، أو من المادة والصورة، أو ليس مركبا لا من هذا ولا من هذا، على أقوال ثلاثة، قد بسطت في غير هذا الموضع؛ ولهذا كان كثير منهم يقولون : الجسم عندنا هو القائم بنفسه، أو هو الموجود لا المركب .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٥٥/٢١٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ٦٢/٢١٠

قال أهل العلم والسنة : فإذا قالت الجهمية وغيرهم من نفاة الصفات : إن الصفات لا تقوم إلا بجسم، والله تعالى ليس بجسم،قيل لهم : إن أردتم بالجسم ما هو مركب من جواهر فردة أو ما هو مركب من المادة والصورة لم نسلم لكم [المقدمة الأولى] ، وهي قولكم : إن الصفات لا تقوم إلا بما هو كذلك، قيل لكم : إن الرب تعالى قائم بنفسه، والعباد يرفعون أيديهم إليه في الدعاء، ويقصدونه بقلوبهم، وهو العلي الأعلى سبحانه ويراه المؤمنون بأبصارهم يوم القيامة عيانا،كما يرون القمر ليلة." (١)

"ص -٣٣٥- ومشركي **العرب**، وكل من لم يؤمن بأصل الرسالة من الهند والبراهمة وغيرهم، والترك والسودان، وغيرهم من الأمم الأميين الذين لا كتاب لهم سواء كانوا مكذبين للرسل أو معرضين عن اتباعهم ؛ فإن الكفر عدم الإيمان بالله ورسله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب بل شك وريب، أو إعراض عن هذا كله حسدا أو كبرا، أو اتباعا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة، وإن كان الكافر المكذب أعظم كفرا، وكذلك الجاحد المكذب حسدا مع استيقان صدق الرسل، والسور المكية كلها خطاب مع هؤلاء .

ولهذا يقول سبحانه : ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ [الشعراء : ١٠٥] ؛ لأنهم كذبوا جميع الرسل ولم يؤمنوا بأصل الرسالة، وقد قال تعالى لما أهبط أباهم آدم : ﴿قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾ [طه : ١٢٣ ١٢٧] .

فأخبر أنه إذا أتاهم هدي منه، وهو ما أنزله علي رسله من الذكر، فمن اتبعه اهتدي وسعد في الدنيا والآخرة، ومن أعرض عنه شقي وعمي؛." (٢)

"ص -٣٣٩- وقال تعالى : ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا﴾ [النساء : ٦٠، ٦١] ، وقال تعالى : ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٦٣/٢١٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٤/٢١١

هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ﴾ [النساء : ٥١، ٥٢] . فذم الذين أوتوا قسطا من الكتاب، لما آمنوا بما خرج عن الرسالة،
وفضلوا الخارجين عن الرسالة علي المؤمنين بها، كما يفضل ذلك بعض من يفضل الصابئة من الفلاسفة والدول الجاهلية جاهلية الترك والديلم والعرب والفرس وغيرهم علي المؤمنين بالله وكتابه ورسوله، وكما ذم المدعين الإيمان بالكتب كلها. وهم يتركون التحاكم إلي الكتاب والسنة، ويتحاكمون إلي بعض الطواغيت المعظمة من دون الله، كما يصيب ذلك كثيرا ممن يدعي الإسلام، وينتحله في تحاكمهم إلي مقالات الصابئة الفلاسفة أو غيرهم، أو إلي سياسة بعض الملوك الخارجين عن شريعة." (١)

"ص -٣٦٢- وقد رأيت بعض هؤلاء طعن في تلك النقول الثابتة عنه . ومنهم من حرفها لفظا، وأما تحريف معانيها فذهب إليه طوائف، فأما الذين ثبتوا النقل عنه ووافقوه على إنكاره الأمرين، وهم جمهور أهل السنة ومن انتسب إليهم من أهل الكلام كأبي الحسن الأشعري وأمثاله، فإنه ذكر في [مقالات أهل السنة والحديث] أنهم ينكرون على من قال : لفظي بالقرآن مخلوق، ومن قال : لفظي به غير مخلوق، وأنه يقول بذلك .

لكن من هؤلاء من تأول كلام أحمد وغيره في ذلك بأنه منع أن يقال : إن القرآن يلفظ به، وهذا قاله الأشعري وابن الباقلاني والقاضي أبو يعلى وأتباعه، كأبي الحسن بن الزاغوني وأمثاله .

ثم هؤلاء الذين تأولوا كلامه على ذلك منهم من قال : المعنى الذي أنكره أحمد على من قال : لفظي بالقرآن مخلوق كما فعل ذلك الأشعري وأتباعه . ومنهم من قال : بل المعنى الذي أنكره أحمد على من قال : لفظي به غير مخلوق كما فعل ذلك القاضي وابن الزاغوني وأمثالهما؛ فإن أحمد وسائر الأئمة ينكرون أن يكون شيء من كلام الله مخلوقا، حروفه أو معانيه، أو أن يكون معنى التوراة هو معنى القرآن، وأن كلام الله إذا عبر عنه بالعربية يكون قرآنا، وإذا عبر عنه بالعبرانية يكون هو التوراة، وينكرون أن يكون القرآن المنزل ليس هو كلام الله، أو أن يطلق." (٢)

"ص -٣٦٨- [السالمية] ، والقاضي أبو يعلى وأتباعه، كابن عقيل، وأبي الحسن بن الزاغوني، وهي طريقة أبي المعالي الجويني، وأبي الوليد الباجي، والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم، لكنهم افترقوا في القرآن، وفي بعض المسائل على قولين بعد اشتراكهم في الفرق الذي قرره ابن كلاب كما قد بسط كلام

(١) مجموع الفتاوى ، ١٩/٢١١

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤٤/٢١١

هؤلاء في مواضع أخر .

والإمام أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة كانوا يحذرون عن هذا الأصل الذي أحدثه ابن كلاب، ويحذرون عن أصحابه، وهذا هو سبب تحذير الإمام أحمد عن الحارث المحاسبي ونحوه من الكلابية . ولما ظهر هؤلاء ظهر حينئذ من المنتسبين إلى إثبات الصفات من يقول : إن الله لم يتكلم بصوت، فأنكر أحمد ذلك، وجهم من يقوله، وقال : هؤلاء الزنادقة إنما يدورون على التعطيل، وروى الآثار في أن الله يتكلم بصوت، وكذلك أنكر على من يقول : إن الحروف مخلوقة، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب [السنة] : قلت لأبي : إن هاهنا من يقول : إن الله لا يتكلم بصوت، فقال : يابني، هؤلاء جهمية زنادقة، إنما يدورون على التعطيل . وذكر الآثار في خلاف قولهم .." (١)

"ص -٣٧٠- أزلي كالعلم ؟ أو أن الله لم يزل موصوفا بأنه متكلم يتكلم إذا شاء ؟ على قولين . ذكرهما الحارث المحاسبي عن أهل السنة، وأبو بكر عبد العزيز في [كتاب الشافي] عن أصحاب الإمام أحمد، وذكرهما أبو عبد الله بن حامد في كتابه [أصول الدين] . والنزاع في ذلك بين سائر طوائف السنة والحديث، هذا مبنى على أصل [الصفات الفعلية الاختيارية] ، والنزاع فيه بين جميع الطوائف من أهل الحديث والسنة والفقه والتصوف ومن دخل معهم من أهل المذاهب الأربعة وبين سائر الفرق، حتى بين الفلاسفة أيضا، وقد حققت ذلك في غير هذا الموضع .

وهذا منشأ نزاع الذين وافقوا السلف على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، فإن هؤلاء تنازعوا في أن الرب هل يتكلم بمشيئته وقدرته ؟ على قولين . فالذين وافقوا ابن كلاب قالوا : إنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته، بل كلامه لازم لذاته كحياته، ثم من هؤلاء من عرف أن الحروف والأصو ا ت لا تكون قديمة العين فلم يمكنه أن يقول : القديم هو الحروف والأصوات؛ لأنها لا تكون إلا متعاقبة، والصوت لا يبقى زمانين، فضلا عن أن يكون قديما، فقال : القديم هو معنى واحد، لامتناع معاني لا نهاية لها، وامتناع التخصيص بعدد دون عدد . فقالوا : هو معنى واحد، وقالوا : إن الله لا يتكلم بالكلام العربي والعبري،وقالوا : إن معنى التوراة والإنجيل والقرآن وسائر كلام الله معنى واحد،." (٢)

"ص -٣٧١- ومعنى آية الكرسي وآية الدين معنى و احد . إلى غير ذلك من اللوازم التي يقول جمهور العقلاء : إنها معلومة الفساد بضرورة العقل . ومن هؤلاء من عرف أن الله تكلم بالقرآن العربي

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢١١/٥٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢١١/٥٢

والتوراة العبرية، وأنه نادى موسى بصوت وينادي عباده بصوت، وأن القرآن كلام الله حروفه ومعانيه؛ لكن اعتقدوا مع ذلك أنه قديم العين، وأن الله لم يتكلم بمشيئته وقدرته . فالتزموا أنه حروف وأصوات قديمة الأعيان لم تزل ولا تزال، وقالوا : إن الباء لم تسبق السين، والسين لم تسبق الميم، وإن جميع الحروف مقترنة بعضها ببعض اقترانا قديما أزليا لم يزل ولا يزال، وقالوا : هي مترتبة في حقيقتها وماهيتها غير مترتبة في وجودها . وقال كثير منهم : إنها مع ذلك شيء واحد، إلى غيرذلك من اللوازم التي يقول جمهور العقلاء : إنها معلومة الفساد بضرورة العقل .

ومن هؤلاء من يقول : هو قديم، ولا يفهم معنى القديم . فإذا سئل عن ذلك قال : هي قديمة في العلم، ولا يعلم أن المخلوقات كالسماء والأرض بهذه المثابة مع أنها مخلوقة، ومنهم من يقول : قديم بمعنى أنه متقدم على غيره، ولا يعرف أن الذين قالوا : إنه مخلوق لا ينازعون في أنه قديم بهذا المعنى، ومنهم من يقول : إن مرادنا بأنه قديم أنه غير مخلوق، ولا يفهم أنه مع ذلك يكون أزليا لم يزل، وهؤلاء سمعوا." (١)

"ص -٣٧٤- به غير مخلوق، وقد يراد بذلك مجموع الأمرين، فلا يجوز إطلاق الخلق على الجميع ولا نفي الخلق عن الجميع .

وصار ابن كلاب يريد بالتلاوة القرآن **العربي**، وبالمتلو المعنى القائم بالذات، وهؤلاء إذا قالوا : التلاوة غير المتلو، وهي مخلوقة، كان مرادهم أن الله لم يتكلم بالقرآن **العربي**، بل عندهم أن القرآن **العربي** مخلوق . وهذا لم يقله أحد من أئمة السنة والحديث . ويظن هؤلاء أنهم يوافقون البخاري أو غيره ممن قد يفرق بين التلاوة والمتلو، وليس الأمر كذلك .

ومن الآخرين من يقول : [التلاوة] هي المتلو، ويريد بذلك أن نفس ما تكلم الله به من الحروف والأصوات هو الأصوات المسموعة من القراء، حتى يجعل الصوت المسموع من العبد هو صوت الرب، و هؤلاء يقولون : نفس صوت المخلوق وصفته هي عين صفة الخالق، وهؤلاء [اتحادية، حلولية في الصفات] يشبهون النصارى من بعض الوجوه، وهذا لم يقله أحد من أئمة السنة .

ويظن هؤلاء أنهم يوافقون أحمد وإسحاق وغيرهما، ممن ينكر على [اللفظية] ، وليس الأمر كذلك ؛ فلهذا كان المنصوص عن الإمام أحمد وأئمة السنة والحديث أنه لا يقال : ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، ولا غير." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٥٣/٢١١

(٢) مجموع الفتاوى ، ٥٦/٢١١

"ص -٣٧٨- أنه واسطة فيه وسفير، والكلام كلام لمن اتصف به مبتدئا منشئا، لا لمن تكلم به مبلغا مؤديا، كما يقال مثل ذلك في جميع كلام الناس فكيف بكلام الله ؟ ! وهذا على القول المشهور في التفسير المطابق لظاهر القرآن : أن الرسول في أحد الموضعين محمد صلى الله عليه وسلم، وفي الآخر جبريل عليه السلام .

وأما على قول طائفة جعلته في الموضعين جبريل، فيكون الجواب هو الثاني، والإثبات في الحقيقة حجة لمن يقول : إنما يتكلم بكلام الله ويقول قوله؛ لأنه جعل الرسول يقول قول الله الذي أرسله به، والمعنى يراد من هذا قطعا، كما أريد منه اللفظ أيضا .

وأيضا، فإن هؤلاء جعلوا الكلام الذي يتصف الله به معنى واحدا، وهو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وأنه إن عبر عنه **بالعربية** كان هو القرآن، وإن عبر عنه بالعبرية كان هو التوراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان هو الإنجيل، وهذا مما أجمع جمهور العقلاء على أن فساده معلوم بالضرورة .

والمعنى الثاني الذي خالفوا فيه أهل السنة والجماعة قولهم : إن القرآن المنزل إلى الأرض ليس هو كلام الله لا حروفه ولا معانيه، بل هو مخلوق عندهم . ويقولون : هو عبارة عن المعنى القائم بالنفس؛ لأن." (١)

"ص -٣٧٩- العبارة لا تشبه المعبر عنه،بخلاف الحكاية والمحكي، وهذا فيه من زيادة البدع ما لم يكن في قول [اللفظية] من أهل الحديث، الذين أنكر عليهم أئمة السنة وقالوا : هم جهمية ؛ إذ جعلوا الحروف من إحداث الرسول، وليست مما تكلم الله به بحال، وقالوا : إنه ليس لله في الأرض كلام، ولم يكن أيضا في [اللفظية] القدماء، الذين يقولون : لفظنا بالقرآن غير مخلوق، من يقول : إن صوت العبد غير مخلوق،أو أن الصوت القديم يسمع من العبد، أو أن هذا الصوت صوت الله، أو يسمع معه صوت الله، وإنما أحدث هذا أيضا المتطرفون منهم، كما أحدث المتطرفون من أولئك أن حروف القرآن ليست كلام الله، فإن هاتين البدعتين الشنيعتين لم تكونا بعد ظهرتا في أولئك المنحرفين، الذين أنكر الإمام أحمد وغيره قولهم من الطائفتين، وأن القرآن ليس إلا مجرد معنى قائم بالنفس، وذلك المعنى إليه يعود كلام الله من التوراة والإنجيل والقرآن .

والأخرى قد رأت حروف القرآن من كلام الله، وأن القرآن كلام الله، حروفه ومعانيه، وأن المعنى الواحد يمتنع أن يكون هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وأنه يمتنع أن يكون مدلول التوراة والإنجيل والقرآن

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٦٠/٢١١

واحدا، وعلموا أنا إذا ترجمنا التوراة **بالعربية** لم يصر معناها معنى القرآن، وأن هذه الأقوال معلومة الفساد." (١)

"ص –٣٨١– وأن هذه الأصوات وهذا المداد قديمان، وهذا القول ما قاله أحد ممن يقول : إن القرآن ليس إلا الحروف والأصوات، بل أنكروا ذلك وردوه، وكذبوا من نقل عنهم أن المداد قديم، ولكن هذا القول قد يقوله الجهال المتطرفون، كما يحكى عن أعيانهم مثل سكان بعض الجبال أن الورق والجلد والوتد وما أحاط به من الحائط كلام الله، أو ما يشبه هذا اللغو من القول الذي لا يقوله مسلم ولا عاقل . وفروخ [اللفظية] المثبتة الذين يقولون : إن القرآن ليس إلا الحروف والصوت، تحكي عن منازعيها : أن القرآن ليس محفوظا في القلوب . ولا متلوا بالألسن، ولا مكتوبا في المصاحف، وهذا أيضا ليس قولا لأولئك، بل هم متفقون على أن القرآن محفوظ في القلوب متلو بالألسنة، مكتوب في المصاحف، لكن جهالهم وغاليتهم إذا تدبروا حقيقة قول مقتصديهم أن القرآن **العربي** لم يتكلم الله به، وأنه ليس إلا معنى واحد قائم بالذات، وأصوات العباد ومداد المصحف يدل على ذلك المعنى، وأنه ليس لله في الأرض كلام في الحقيقة، وليس في الأرض إلا ما هو دال على كلام الله، ولم يقل إلا ما هو دال على كلام الله، وكلام الله إن عبر عنه **بالعربية** كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا، وهو معنى واحد لا يتعدد، ولا يتبعض، ولا يتكلم الرب بمشيئته وقدرته، إلى." (٢)

"ص –٣٨٧– متى كنت نبيا وفي رواية : متى كتبت نبيا– ؟ قال : [وآدم بين الروح والجسد] رواه أحمد . فهذا الكون هو كتابته وتقديره وهو المرتبة الرابعة، كما تقدم .

فإن هذه المرتبة تتقدم وجود المخلوقات عند الله، وعند من شاء من خلقه، وإن كانت قد تتأخر –أيضا– فإن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا قال ابن عباس في قوله : ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ [الجاثية : ٢٩] : إن الله يأمر الملائكة بأن تنسخ من اللوح المحفوظ ما كتبه من القدر ويأمر الحفظة أن تكتب أعمال بني آدم، فتقابل بين النسختين فتكونان سواء . ثم يقول ابن عباس : ألستم قوما **عربا** ؟ وهل تكون النسخة إلا من أصل ؟

والتقدير والكتابة تكون تفصيلا بعد جملة . فالله تعالى لما قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٦١/٢١١

(٢) مجموع الفتاوى ، ٦٣/٢١١

والأرض بخمسين ألف سنة لم يظهر ذلك التقدير للملائكة . ولما خلق آدم قبل أن ينفخ فيه الروح أظهر لهم ما قدره، كما يظهر لهم ذلك من كل مولود، كما في الصحيح عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم." (١)

"ص -٣٨٨- يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد " وفي طريق آخر وفي رواية : " ثم يبعث إليه الملك، فيؤمر بأربع كلمات، فيقال : اكتب رزقه، وعمله، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح " .

فأخبر صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحيح- أن الملك يؤمر بكتابة رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، بعد خلق جسد ابن آدم وقبل نفخ الروح فيه . فكان ما كتبه الله من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو سيد ولد آدم- بعد خلق جسد آدم وقبل نفخ الروح فيه من هذا الجنس، كما في الحديث الآخر الذي في المسند وغيره عن **العرباض** بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إني عند الله مكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته " وهذا وأمثاله من وجود الأعيان في الصحف .

وأما وجود الكلام في الصحف فنوع آخر؛ ولهذا حكى ابن قتيبة من مذهب أهل الحديث والسنة : أن القرآن في المصحف حقيقة لا مجازا، كما يقوله بعض المتكلمة، وإحدى [الجهميات] التي أنكرها أحمد، وأعظمها قول من زعم أن القرآن ليس في الصدور ولا في المصاحف، وأن من قال ذلك فقد قال بقول النصارى، كما حكى له ذلك عن موسى." (٢)

"ص -٣٩٩- هؤلاء يزعم أن النبوة مكتسبة، أو أنه قد استغنى عن الرسول، أو أن غير الرسول قد يكون أفضل منه، وقد يزعمون : أن كلام الله لموسى كان من هذا النمط، وأنه إنما كلمه من سماء عقله، وأن الصوت الذي سمعه كان في نفسه، أو أنه سمع المعنى فائضا من العقل الفعال، أو أن أحدهم قد يصل إلى مقام موسى .

ومنهم من يزعم أنه يرتفع فوق موسى، ويقولون : إن موسى سمع الكلام بواسطة ما في نفسه من الأصوات، ونحن نسمعه مجردا عن ذلك . ومن هؤلاء من يزعم أن جبريل الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو الخيال النوراني، الذي يتمثل في نفسه، كما يتمثل في نفس النائم، ويزعمون أن القرآن أخذه محمد عن هذا الخيال المسمى بجبريل عندهم؛ ولهذا قال ابن **عربى** صاحب [الفصوص] و [الفتوحات المكية]

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٦٩/٢١١

(٢) مجموع الفتاوى ، ٧٠/٢١١

: إنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك، الذى يوحى به إلى الرسول . وزعم أن مقام النبوة دون الولاية، وفوق الرسالة، فإن محمدا بزعمهم الكاذب يأخذ عن هذا الخيال النفساني الذي سماه ملكا وهو يأخذ عن العقل المجرد الذي أخذ منه هذا الخيال .

ثم هؤلاء لا يثبتون لله كلاما اتصف به في الحقيقة، ولا يثبتون أنه قصد إفهام أحد بعينه، بل قد يقولون : لا يعلم أحدا بعينه، إذ علمه." (١)

"ص -٤٠٤- بينه وبين تكليمه لموسى عليه السلام حيث قال : ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ﴾ إلى قوله : ﴿وكلم الله موسى تكليما ﴾ [النساء : ١٦٣، ١٦٤] ، وفرق بين إيحائه وبين تكليمه من وراء حجاب حيث قال : ﴿إلا وحيا أو من وراء حجاب ﴾ [الشورى : ٥١] ، وحيث فرق بين الرسول المكلم وغيره بقوله تعالى : ﴿منهم من كلم الله ﴾ [البقرة : ٢٥٣] لكن هؤلاء يثبتون أن لله كلاما هو معنى قائم بنفسه هو متكلم به، وبهذا صاروا خيرا ممن لا يثبت له كلاما إلا ما أوحى في نفس النبي من المعنى، أو ما سمعه من الصوت المحدث، ولكن لفرط ردهم على هؤلاء زعموا أنه لا يكون كلاما لله بحال إلا ما قام به؛ فإنه لا يقوم إلا المعنى . فأنكروا أن تكون الحروف كلام الله، وأن يكون القرآن العربي كلام الله .

وجاءت الطائفة الرابعة فردوا على هؤلاء دعواهم : أن يكون الكلام مجرد المعنى، فزعم بعضهم أن الكلام ليس إلا الحرف أو الصوت فقط، وأن المعاني المجردة لا تسمى كلاما أصلا، وليس كذلك، بل الكلام المطلق اسم للمعاني والحروف جميعا، وقد يسمى أحدهما كلاما مع التقييد كما يقول النحاة : الكلام : اسم، وفعل، وحرف . فالمقسوم هنا اللفظ، وكما قال الحسن البصري : ما زال أهل العلم يعودون بالتكلم على التفكر، وبالتفكر على التدبر، ويناطقون القلوب حتى نطقت . وكما قال." (٢)

"ص -٤٤٦- الكتب المنزلة بهذه الحروف، كما كانت العرب تنطق بهذه الحروف والأسماء قبل نزول القرآن، والله تعالى أنزله بلسانهم الذي كانوا يتكلمون به قبل نزول القرآن .

المقام الثاني : أنه لو لم يكن أحد نطق بها إلا مستفيدا لها من كلام الله، لكن إذا أنشأ بها كلاما لنفسه ولم يقصد بها قراءة كلام الله لم تكن في هذه الحال من كلام الله، كما لو فعل ذلك في بعض الجمل المركبة وأولى . ويدل على ذلك الأحكام الشرعية .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٨١/٢١١

(٢) مجموع الفتاوى ، ٨٦/٢١١

قال الآخرون القائلون بأن حروف المعجم غير مخلوقة مطلقا : لنا في الأسماء الموجودة في غير القرآن قولان . منهم من يقول بأن جميع الأسماء غير مخلوقة، كما يقول ذلك في الحروف . ومنهم من لا يقول ذلك . وقد حكى القولين ابن حامد وغيره عمن ينتسب إلى مذهب الإمام أحمد وغيره من القائلين بأن حروف المعجم غير مخلوقة، فمن عمم ذلك استدل بقوله تعالى : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ [البقرة : ١3] . وهذه الحجة مبنية على مقدمتين :

إحداهما : أن مبدأ اللغات توقيفية، وأن المراد بالتوقيف خطاب الله بها،لا تعريفه بعلم ضروري، وهذا الموضع قد تنازع فيه الناس من أصحاب الإمام أحمد وسائر الفقهاء، وأهل الحديث والأصول .." (١)

"ص -٤٥٦- شر فيهم فهو في غيرهم أكثر؛ إذ قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لتتبعن سنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه] . قالوا : اليهود والنصارى ؟ قال : " فمن ؟ " " وقال : " لتأخذن مآخذ الأمم قبلكم : شبرا بشبر، وذراعا بذراع " ، قالوا : فارس والروم ؟ قال : " ومن الناس إلا هؤلاء ؟ ! "

وإزالة شبهة هؤلاء تحتاج إلى الكلام في الحروف والأسماء، هل هي مخلوقة أم غير مخلوقة ؟ وإن كنا قد أشرنا إلى ذلك، بل نتكلم على تقدير أنها غير مخلوقة، ونقول مع هذا : يجب القطع بأن كلام الآدميين مخلوق، ويطلق القول بذلك إطلاقا لا يحتاج إلى تفصيل، بأن يقال : نظمه وتأليفه مخلوق، وحروفه وأسماؤه غير مخلوقة أو تركيبه مخلوق ومفرداته غير مخلوقة، فإن هذا التفصيل لا يحتاج إليه .

وذلك لأن كلام المتكلم هوعبارة عن ألفاظه ومعانيه، كما قدمناه، ليس الكلام اسما لمجرد الألفاظ، ولا لمجرد المعاني . وعامة ما يوجد في الكتاب والسنة، وكلام السلف والأئمة، بل وسائر الأمم عربهم وعجمهم من لفظ الكلام، والقول، وهذا كلام فلان، أو كلام فلان،فإنه عند إطلاقه يتناول اللفظ والمعنى جميعا." (٢)

"ص -٤٥٨- وإذا كان كذلك، فالمتكلم بالكلام المبتدئ له، سواء كان نظما أو نثرا، لا ريب أنه هو الذي ألف معانيه وألف ألفاظه، وأما مفردات [الأسماء والحروف] فلا ريب أنه تعلمها من غيره، سواء كانت مخلوقة أو غير مخلوقة؛ فإن اللغات سابقة لكلام عامة المتكلمين، ونطق الناطقين من البشر، وهم تلقوا الأسماء، وحروف الأسماء الموجودة في لغاتهم عمن قبلهم إلى أن ينتهي الأمر إلى أول متكلم بتلك

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٢٩/٢١١

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٣٩/٢١١

الأسماء المفردة .

ثم إنه مما علم بالاضطرار واتفق عليه أهل الأرض جميعهم : أن الكلام هو كلام من ألف معانيه وألفاظه، وإن كان جميع ما فيه من الأسماء والحروف إنما تعلمها من غيره، فالناس مطبقون على أن هذه القصائد كلام منشئيها، مثل شعر امرئ القيس، والنابغة الذبياني، كقوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

فجميع الأمم يعلمون ويقولون : إن هذا شعر امرئ القيس وكلامه، وإن كانت الأسماء المفردة فيه إنما تعلمه ، من غيره؛ فإن **العرب** نطقت قبله بلفظ [قفا] وبلفظ [نبك] وبلفظ [من ذكرى] [حبيب] [ومنزل] .

وجميع المسلمين إذا سمعوا قوله صلى الله عليه وسلم : " إنما." (١)

"ص -٤٥٩- الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى " أو " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : من كان الله روسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار " ، وقوله : " من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " ، قالوا : هذا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا حديثه، وهذا قوله، مع علمهم أن جميع مفردات هذا الكلام قد كانت موجودة في كلام **العرب** قبله، مثل لفظ [إنما] ولفظ [الأعمال] ولفظ [النية] ، [النيات] ولفظ [كل امرئ] ولفظ [ما نوى] وغير ذلك .

وهكذا كلام الصحابة والتابعين وكلام مصنفي الكتب والرسائل والخطب، كلهم يقول : هذه الرسالة كلام فلان،وهذه الخطبة كلام فلان، وهذه المسألة من كلام فلان، مع علمهم بأنه مسبوق بمفردات الكلام،أسمائه، وحروف هجائه، وذلك لأن الكلام لم يكن كلاما باعتبار الألفاظ المفردة، ولا باعتبار أجزائها وهي حروف الهجاء ولا كان المقصود بوضع اللفظ للمعنى الدلالة على المعاني المفردة؛فإن المعاني المفردة لا يعلم وضع اللفظ لها إلا بعد العلم بها، فلو كان العلم بها لا يستفاد إلا من اللفظ لزم الدور .

ولهذا يقول أهل **العربية** وهم أخبر بمشبهات الألفاظ من." (٢)

"ص -٤٦٠- غيرهم : إن اسم الكلام لا يقال إلا على الجملة المفيدة كالمركبة من اسمين، أو اسم وفعل . وقد ذكر ذلك سيبويه حكيم لسان **العرب** في [باب الحكاية بالقول] ، حيث ذكر أن القول

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٤١/٢١١

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٤٢/٢١١

يحكى به ما كان كلاما، ولا يحكى به ما كان قولا، والقول إنما تحكى به الجمل المفيدة، فعلم أنها هي الكلام في لغة العرب .

وحيث أطلق الفقهاء اسم [الكلام] على حرفين فصاعدا في [باب الصلاة] ، فإنما غرضهم ما يبطل الصلاة، سواء كان مفيدا أو غير مفيد، وموضوعا، أو مهملا، حتى لو صوت تصويتا طويلا، ولحن لحون الغناء أبطل الصلاة، وإن لم يكن ذلك في اللغة كلاما . وهم فيما إذا حلف لا يتكلم أو ليتكلمن، لا يعلقون البر والحنث إلا بما هو في عرف الحالف كلام، وإن كان أخص من الكلام الذي يبطل الصلاة، ولهذا لو حلف لا يتكلم، وأطلق يمينه حنث بكلام المخلوقين، وهل يحنث بتكلمه بالقرآن ؟ من العلماء من قال : لا يحنث بحال . ومنهم من قال : لا يحنث بتلاوته في الصلاة . ومنهم من توقف؛ لأن اليمين مرجعها إلى عرف الحالف، فعموم اسم الكلام وخصوصه عندهم بحسب الأحكام المتعلقة به .

والسلف إذا ذموا أهل الكلام وقالوا : علماء الكلام زنادقة، وما ارتدى أحد بالكلام فأفلح فلم يريدوا به مطلق الكلام،." (١)

"ص -٤٦١- وإنما هو حقيقة عرفية فيمن يتكلم في الدين بغير طريقة المرسلين .

والخائضون في [أصول الفقه] وإن قالوا : إن الكلام : ما تألف من حرفين فصاعدا، أو ما انتظم من [الحروف] وهي الأصوات المقطعة المتواضع عليها، وتنازعوا في الحرف الواحد المؤلف مع غيره، هل يسمى كلاما ؟ على قولين؛ كما قال أكثر متكلميهم : إن الجسم هو المؤلف،وأقل التركيب من جوهرين وتنازعوا في الجوهر الواحد المؤلف، هل يسمى جسما ؟ على قولين؛ فهذا اصطلاح خاص لهم .

كما اصطلح [النحاة] على أن [المفرد] مثل الاسم وحرف المعنى يسمى كلمة، وإن كانت الكلمة في لغة العرب العرباء لا توجد إلا اسما للجملة التامة إلا أن يكون شيئا لا يحضرني الآن .

وإذا كان الناس متفقين على أن الكلام هو كلام من ألف ألفاظه ومعانيه، و إن كان قد تعلم أسماءه من غيره زالت كل شبهة في المسألة، ووجب إطلاق القول بأن كلام الآدميين مخلوق، كما يطلق القول بأن هذا الشعر من كلام فلان وهذا الكلام كلام فلان، لا كلام الذين تكلموا قبلهم بتلك الأسماء وحروفها؛ فإن كلام الآدميين هو كلام الذين أنشؤوه وابتدؤوه فألفوا ألفاظه ومعانيه، وإن كان بعضهم قد تعلم أسماءه وحروفه من بعض، ولو كانت أسماؤه قد سمعوها من الله تعالى .." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٤٣/٢١١

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٤٤/٢١١

"ص –٤٨٢– الأشعرية والشيعية، وإنما التزموا ذلك لئلا يدخل جميع المؤمنين في نصوص الوعيد .
وقالت المقتصدة : بل العموم صحيح، والصيغ صيغ عموم؛ لكن العام يقبل التخصيص، وهذا مذهب جميع الخلائق، من الأولين والآخرين، إلا هذه الشرذمة قالوا : فمن عفي عنه كان مستثنى من العموم . وقال قوم آخرون : بل إخلاف الوعيد ليس بكذب، وأن **العرب** لا تعد عارا أو شنارا أن يوعد الرجل شرا ثم لا ينجزه، كما تعد عارا أو شنارا أن يعد خيرا ثم لا ينجزه، وهذا قول طوائف من المتقدمين والمتأخرين، وقد احتجوا بقول كعب بن زهير يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم :

نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

قالوا : فهذا وعيد خاص، وقد رجا فيه العفو، مخاطبا للنبي صلى الله عليه وسلم؛ فعلم أن العفو عن المتوعد جائز، وإن لم يكن من باب تخصيص العام .

والتحقيق أن يقال : الكتاب والسنة مشتمل على نصوص الوعد." (١)

"ص –٥٢٢– هذه الآية حجة عليك، فإنه لما قال : ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ علم أن الذكر منه محدث ومنه ما ليس بمحدث؛ لأن النكرة إذا وصفت ميز بها بين الموصوف وغيره، كما لو قال : ما يأتيني من رجل مسلم إلا أكرمته، وما آكل إلا طعاما حلالا ونحو ذلك، ويعلم أن المحدث في الآية ليس هو المخلوق الذي يقوله الجهمي، ولكنه الذي أنزل جديدا؛ فإن الله كان ينزل القرآن شيئا بعد شيء، فالمنزل أولا هو قديم بالنسبة إلى المنزل آخرا، وكل ما تقدم على غيره فهو قديم في لغة **العرب**، كما قال : ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾ [يس : ٣٩] ، وقال : ﴿قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾ [يوسف : ٩٥] وقال : ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم﴾ [الأحقاف : ١١] وقال : ﴿قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون﴾ [الشعراء : ٧٥، ٧٦] ، وكذلك قوله : ﴿جعلناه قرآنا **عربيا**﴾ [الزخرف : ٣] لم يقل : جعلناه فقط، حتى يظن أنه بمعنى خلقناه، ولكن قال : ﴿جعلناه قرآنا **عربيا**﴾ أي : صيرناه **عربيا**؛ لأنه قد كان قادرا على أن ينزله عجميا، فلما أنزله **عربيا** كان قد جعله **عربيا** دون عجمي . وهذه المسألة

(١) مجم وع الفتاوى ، ١٦٧/٢١١

من أصول أهل الإيمان والسنة التي فارقوا بها الجهمية من المعتزلة والفلاسفة ونحوهم، والكلام عليها مبسوط في غير هذا الموضع، والله أعلم .." (١)

"ص -٥٤٤- فصل

إذا تبين ذلك، فيقال : هذا القرآن الذي نقرأه ونبلغه ونسمعه هو كلام الله الذي تكلم به، ونزل به منه روح القدس، كما قال تعالى : ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ [النحل : ٩٨ ١٠٣] ، فهذا الكلام في القرآن الذي قالوا : إنما يعلمه إياه بشر، وقد أبطل الله ذلك بقوله : ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ فدل على أن المراد به نفس القرآن العربي، الذي يمتنع أن يعلمه إياه ذلك الأعجمي الذي ألحدوا إليه . قد قيل : إنه رجل بمكة مولى لابن الحضرمي . والمعاني المجردة لا يمتنع تعلمها من الأعجمي، بخلاف هذا القرآن العربي، فدل أن هذا القرآن نزله روح القدس من الله تبارك وتعالى .." (٢)

"ص -٥٥٢- الباطل، فقد قيل : أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء . وكثير من نزاع الناس في هذا الباب هو من جهة الألفاظ المجملة، التي يفهم منها هذا معنى يثبته، ويفهم منها الآخر معنى ينفيه . ثم النفاة يجمعون بين حق وباطل، والمثبتة يجمعون بين حق وباطل .

وأما قوله : أم الذي يقوم بنا يكون عبارة عن كلام الله أو حكاية عنه، ويكون إطلاق كلام الله عليه مجازا ؟ فيقال : العبارة عن كلام الغيب يقال لمن في نفسه معنى ثم يعبر عنه غيره . كما يعبر عما في نفس الأخرس من فهم مراده، والذين قالوا : [القرآن عبارة عن كلام الله] قصدوا هذا، وهذا باطل، بل القرآن العربي تكلم الله به، وجبريل بلغه عنه .

وأما [الحكاية] فيراد بها ما يماثل الشيء، كما يقال : هذا يحاكي فلانا : إذا كان يأتي بمثل قوله أو عمله، وهذا ممتنع في القرآن، فإن الله تعالى يقول : ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾ الآية [الإسراء : ٨٨] . وقد يقال : فلان حكى فلان عنه، أي بلغه عنه،

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٣/٢١٢

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٢/٢١٤

ونقله عنه، ويجيء في الحديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما يحكي عن ربه، ويقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم روى عن ربه . وحكى عن ربه . فإذا قيل : إنه حكى عن الله، بمعنى أنه بلغ عن الله، فهذا صحيح .." (١)

"ص -٥٥٥- تعالى : ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾ [الشعراء : ١٩٣ ١٩٥] .

وأما قوله تعالى : ﴿نه لقول رسول كريم ﴾ فإنه أضافه إليه؛ لأنه بلغه وأداه لا لكونه أحدث منه شيئا وابتداه؛ فإنه سبحانه قال في إحدى الآيتين : ﴿إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ﴾ [الحاقة : ٤٠٤٣] ، فالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم . وقال في الآية الأخرى : ﴿إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ﴾ [التكوير : ١٩٢١] . فالرسول هنا جبريل، والله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس، فلو كانت إضافته إلى أحدهما لكونه ألف النظم العربي، وأحدث منه شيئا غير ذلك تناقض الكلام؛ فإنه إن كان نظم أحدهما لم يكن نظم الآخر .

وأيضا، فإنه قال : ﴿لقول رسول ﴾ ولم يقل : لقول ملك ولا نبي، ولفظ [الرسول] يشعر بأنه مبلغ له عن مرسله، لا أنه أنشأ من عنده شيئا .

وأيضا، فقوله : ﴿نه لقول رسول كريم ﴾ ضمير يعود إلى القرآن،." (٢)

"ص -٥٥٨- المعالي قال : مذهب الشافعي وأصحابه في الكلام ليس هو قول الأشعري، وعامة العقلاء يقولون : إن فساد هذا القول معلوم بالاضطرار، فإنا نعلم أن التوراة إذا عربت لم تكن هي القرآن، ونعلم أن آية الكرسي ليست هي معنى آية الدين .

والله تعالى قد فرق في كتابه بين تكليمه لموسى وإيحائه إلى غيره، بقوله تعالى : ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ﴾ إلى قوله : ﴿وكلم الله موسى تكليما ﴾ [النساء : ١٦٣، ١٦٤] ، وقال تعالى : ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٠/٢١٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣/٢١٥

يشاء إنه علي حكيم ﴾ [الشورى : ٥١] ، ففرق بين التكليم الذي حصل لموسى، وبين الإيحاء المشترك، وموسى سمع كلام الله من الله بلا واسطة، كما قال تعالى : ﴿وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾

[طه : ١٣، ١٤] . والرسول إذا بلغه إلى الناس وبلغه الناس عنه كان مسموعا سماعا مقيدا بواسطة المبلغ، كما قال تعالى : ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ﴾ [التوبة : ٦] ، فهو مسموع مبلغ عنه بواسطة المخلوق، بخلاف سماع موسى صلى الله عليه وسلم، وإن كان العبد يسمع كلام الرسول من المبلغين عنه، فليس ذلك كالسماع منه، فأمر الله تعالى أعظم .." (١)

"ص -٥٧٦- وسئل رحمه الله عمن يقول : إن الشكل، والنقط من كلام الله تبارك وتعالى، وهل ذلك حق أم باطل ؟ وما الحكم في الأحرف ؟ هل هي كلام الله أم لا ؟ بينوا لنا ذلك مثابين مأجورين ؟ فأجاب :

الحمد لله رب العالمين . المصاحف التي كتبها الصحابة لم يشكلوا حروفا، ولم ينقطوها؛ فإنهم كانوا **عربا** لا يلحنون، ثم بعد ذلك في أواخر عصر الصحابة لما نشأ اللحن صاروا ينقطون المصاحف ويشكلونها وذلك جائز عند أكثر العلماء، وهو إحدى الروايتين عن أحمد، وكرهه بعضهم، والصحيح أنه لا يكره؛ لأن الحاجة داعية إلى ذلك، ولا نزاع بين العلماء أن حكم الشكل والنقط حكم الحروف المكتوبة، فإن النقط تميز بين الحروف،والشكل يبين الإعراب؛ لأنه كلام من تمام الكلام،ويروي عن أبي بكر وعمر أنهما قالا : [إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه] فإذا قرأ القارئ ﴿الحمد لله رب العالمين ﴾ [الفاتحة : ٢] كانت الضمة والفتحة والكسرة من تمام لفظ القرآن .

وإذا كان كذلك فالمداد الذي يكتب به الشكل والنقط كالمداد الذي." (٢)

"ص -٥٧٨- والنبي صلى الله عليه وسلم بلغه إلي الأمة، والمسلمون يسمعه بعضهم من بعض، وليس ذلك كسماع موسي كلام الله، فإنه سمعه بلا واسطة والذي يقرؤه المسلمون ويكتبونه في مصاحفهم هو كلام الله لا كلام غيره وهم يقرؤونه بأصواتهم، ويكتبونه بمدادهم في ورقهم . وأفعالهم، وأصواتهم، ومدادهم، مخلوق .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٦/٢١٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢/٢١٨

والقرآن الذي يقرؤونه ويكتبونه هو كلام الله تعالي غير مخلوق، سواء قرؤوا قراءة يثابون عليها أو لايثابون عليها، وسواء كتبوه مشكولا منقوطا أو كتبوه غير مشكول ولا منقوط؛ فإن ذلك لا يخرجه عن أن يكون المكتوب هو القرآن، وهو كلام الله الذي أنزله علي محمد صلى الله عليه وسلم، وما بين اللوحين كلام الله، سواء كان مشكولا منقوطا، أو كان غير مشكول ولا منقوط، وكلام الله منزل غير مخلوق، وأصوات العباد والمداد مخلوقان، والقرآن **العربي** كلام الله تكلم به ليس بعضه كلام الله وبعضه ليس كلام الله، وليس لـجبريل ولا لمحمد منه إلا التبليغ، لم يحدث واحد منهما شيئا من حروفه، بل الجميع كلام الله تبارك وتعالى .

وهذه [المسائل] مبسوطة في غير هذا الجواب؛ ولكن هذا قدر ما وسعته هذه الورقة . والله أعلم .." (١)

"ص -٥٨٣- ومن قال : إن القرآن **العربي** لم يتكلم الله به وإنما هو كلام جبريل أو غيره عبر به عن المعنى القائم بذات الله، كما يقول ذلك ابن كلاب والأشعري ومن وافقهما فهو قول باطل من وجوه كثيرة .

فإن هؤلاء يقولون : إنه معنى واحد قائم بالذات، وأن معني التوراة والإنجيل والقرآن واحد، وأنه لا يتعدد ولا يتبعض، وأنه إن عبر عنه **بالعربية** كان قرآنا، وبالعبرانية كان توراة،وبالسريانية كان إنجيلا، فيجعلون معنى آية الكرسي وآية الدين و ﴿قل هو الله أحد ﴾ ، و ﴿تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ ، والتوراة والإنجيل وغيرهما معنى واحدا، وهذا قول فاسد بالعقل والشرع، وهو قول أحدثه ابن كلاب لم يسبقه إليه غيره من السلف .

وإن أراد القائل بالحرف والصوت أن الأصوات المسموعة من القراء، والمداد الذي في المصاحف قديم أزلي، أخطأ وابتدع، وقال ما يخالف العقل والشرع؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " زينوا الـقـرآن بأصواتكم " فبين أن الصوت صوت القارئ، والكلام كلام البارئ، كما قال تعالى ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ﴾ [التوبة : ٦] فالقرآن الذي يقرؤه المسلمون كلام الله لا كلام غيره كما ذكر الله ذلك، وفي السنن عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض نفسه على الناس بالموسم فيقول :." (٢)

"ص -٥٨٥- صوت القارئ والكلام كلام البارئ .

وكثير من الخائضين في هذه المسألة لا يميز بين صوت العبد وصوت الرب؛ بل يجعل هذا هو هذا فينفيهما

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤/٢١٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٦/٢١٩

جميعا أو يثبتهما جميعا، فإذا نفى الحرف والصوت نفي أن يكون القرآن **العربي** كلام الله، وأن يكون مناديا لعباده بصوته، وأن يكون القرآن الذي يقرؤه المسلمون هو كلام الله، كما نفى أن يكون صوت العبد صفة لله عز وجل ثم جعل كلام الله المتنوع شيئا واحدا لا فرق بين القديم والحادث، هو مصيب في هذا الفرق دون ذاك الثاني الذي فيه نوع من الإلحاد والتعطيل، حيث جعل الكلام المتنوع شيئا واحدا لا حقيقة له عند التحقيق .

وإذا أثبت جعل صوت الرب هو صوت العبد، أو سكت عن التمييز بينهما مع قوله : إن الحروف متعاقبة في الوجود مقترنة في الذات قديمة أزلية الأعيان، فجعل عين صفة الرب تحل في العبد أو تتحد بصفته، فقال بنوع من الحلول والاتحاد، يفضي إلى نوع من التعطيل .

وقد علم أن عدم الفرق والمباينة بين الخالق وصفاته والمخلوق وصفاته خطأ وضلال لم يذهب إليه أحد من سلف الأمة وأئمتها؛ بل هم متفقون على التمييز بين صوت الرب وصوت العبد، ومتفقون أن الله تكلم بالقرآن الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم حروفه ومعانيه." (١)

"ص -٥٨٦- وأنه ينادي عباده بصوته،ومتفقون على أن الأصوات المسموعة من القراء أصوات العباد، وعلى أنه ليس شيء من أصوات العباد ولامداد المصاحف قديما، بل القرآن مكتوب في مصاحف المسلمين مقروء بألسنتهم محفوظ بقلوبهم وهو كله كلام الله، والصحابة كتبوا المصاحف لما كتبوها بغير شكل ولا نقط؛ لأنهم كانوا **عربا** لا يلحنون، ثم لما حدث اللحن نقط الناس المصاحف وشكلوها، فإن كتبت بلا شكل ولا نقط جاز، وإن كتبت بنقط وشكل جاز، ولم يكره في أظهر قولي العلماء، وهو إحدى الروايتين عن أحمد .

وحكم [النقط والشكل] حكم الحروف، فإن الشكل يبين إعراب القرآن كما يبين النقط الحروف . والمداد الذي يكتب به الحروف ويكتب به الشكل والنقط مخلوق، وكلام الله **العربي** الذي أنزله وكتب في المصاحف بالشكل والنقط وبغير شكل ونقط ليس بمخلوق، وحكم الإعراب حكم الحروف، لكن الإعراب لا يستقل بنفسه بل هو تابع للحروف المرسومة؛ فلهذا لا يحتاج لتجريدهما وإفرادهما بالكلام، بل القرآن الذي يقرؤه المسلمون هو كلام الله : معانيه وحروفه، وإعرابه، والله تكلم بالقرآن **العربي** الذي أنزله على

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٨/٢١٩

محمد صلى الله عليه وسلم والناس يقرؤونه بأفعالهم وأصواتهم . والمكتوب في مصاحف المسلمين هو كلام الله، وهو القرآن **العربي** الذي أنزل على نبيه : سواء كتب." (١)

"ص -٥٨٩- ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما خرج إلى الصفا قرأ قوله تعالى : ﴿إن الصفا والمروة من شعآئر الله ﴾ [البقرة : ١٥٨] ، وقال : " نبدأ بما بدأ الله به " فأخبر أن الله بدأ بالصفا قبل المروة .

والسلف اتفقوا على أن كلام الله منزل غير مخلوق،منه بدأ وإليه يعود . فظن بعض الناس أن مرادهم : أنه قديم العين، ثم قالت طائفة : هو معنى واحد، هو الأمر بكل مأمور، والنهي عن كل منهي، والخبر بكل مخبر، إن عبر عنه **بالعربية** كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا . وهذا القول مخالف للشرع والعقل .

وقالت طائفة : هو حروف وأصوات قديمة الأعيان لازمة لذات الله لم تزل لازمة لذاته، وإن الباء والسين والميم موجودة مقترنة بعضها ببعض معا أزلا وأبدا، لم تزل ولا تزال لم يسبق منها شيء شيئا . وهذا أيضا مخالف للشرع والعقل .

وقالت طائفة : إن الله لا يتكلم بمشيئته وقدرته، وإنه في الأزل كان متكلما بالنداء الذي سمعه موسى، وإنما تجدد استماع موسى لا أنه ناداه حين أتى الوادي المقدس،بل ناداه قبل ذلك بما لا يتناهى، ولكن تلك الساعة سمع النداء . وهؤلاء وافقوا الذين قالوا : إن القرآن." (٢)

"ص -١٢- قتيبة أنهم قالوا : هو المخرج . ثم قال : والمعنى : يجعل لكم مخرجا في الدنيا من الضلال، وليس مرادهم، وإنما مرادهم المخرج المذكور في قوله : ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴾ [الطلاق : ٢] ، والفرقان المذكور في قوله : ﴿وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان ﴾ [الأنفال : ١٤] .

وقد ذكر عن ابن زيد أنه قال : هدى في قلوبهم يعرفون به الحق من الباطل، ونوعا الفرقان : فرقان الهدى والبيان، والنصر والنجاة هما نوعا الظهور في قوله تعالى : ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾ [التوبة : ٣٣،الفتح : ٢٨، الصف : ٩] ، يظهره بالبيان والحجة والبرهان،

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٩/٢١٩

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٣/٢١٩

ويظهر باليد والعز والسنان [أي : القوة، انظر : لسان العرب، مادة : سنن] .
وكذلك " السلطان " في قوله : ﴿واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ﴾ [الإسراء : ٨٠] ، فهذا النوع وهو الحجة والعلم، كما في قوله : ﴿أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ﴾ [الروم : ٣٥] ، وقوله : ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ﴾ [غافر : ٥٦] ، وقوله : ﴿إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ﴾ [النجم : ٢٣] ، وقد فسر [السلطان] بسلطان القدرة واليد، وفسر بالحجة والبيان .." (١)

"ص -٨٢- وتارة يخدم هؤلاء لهؤلاء في أغراضهم، وهؤلاء لهؤلاء في أغراضهم، فالجن تأتيه بما يريد من صورة أو مال أو قتل عدوه، والإنس تطيع الجن، فتارة تسجد له، وتارة تسجد لما يأمره بالسجود له، وتارة تمكنه من نفسه، فيفعل به الفاحشة، وكذلك الجنيات منهن من يريد من الإنس الذي يخدمنه ما يريد نساء الإنس من الرجال، وهذا كثير في رجال الجن ونسائهم، فكثير من رجالهم ينال من نساء الإنس ما يناله الإنسي، وقد يفعل ذلك بالذكران .

وصرع الجن للإنس هو لأسباب ثلاثة : تارة يكون الجني يحب المصروع فيصرعه ليتمتع به، وهذا الصرع يكون أرفق من غيره وأسهل .

وتارة يكون الإنسي آذاهم إذا بال عليهم، أو صب عليهم ماء حارا، أو يكون قتل بعضهم أو غير ذلك من أنواع الأذى، وهذا أشد الصرع، وكثيرا ما يقتلون المصروع .

وتارة يكون بطريق العبث به كما يعبث سفهاء الإنس بأبناء السبيل .

ومن استمتاع الإنس بالجن : استخدامهم في الإخبار بالأمور الغائبة، كما يخبر الكهان، فإن في الإنس من له غرض في هذا؛ لما يحصل به من الرياسة والمال وغير ذلك، فإن كان القوم كفارا- كما كانت العرب- لم تبال بأن يقال : إنه كاهن كما كان بعض العرب كهانا، وقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وفيها كهان، وكان المنافقون يطلبون التحاكم إلى." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٠/٢٢١

(٢) مجموع الفتاوى ، ٨٤/٢٢١

"ص -٢٩٢- يؤول إليه؛ ولهذا لا يستعمل إلا في عظيم، بحيث يكون المضاف إليه أعظم من المضاف يصلح أن يؤول إليه الآل، كآل إبراهيم وآل لوط وآل فرعون، بخلاف الأهل، والأول أفعل؛ لأنهم قالوا في تأنيثه أولى، كما قالوا جمادى الأولى، وفي القصص : ﴿له الحمد في الأولى والآخرة ﴾ [القصص : ٧٠] .

ومن الناس من يقول : فوعل، ويقول : أولة، إلا أن هذا يحتاج إلى شاهد من كلام العرب، بل عدم صرفه يدل على أنه أفعل لا فوعل؛ فإن فوعل مثل كوثر وجوهر مصروف، سمى المتقدم أول والله أعلم لأن ما بعده يؤول إليه ويبنى عليه، فهو أس لما بعده وقاعدة له . والصيغة صيغة تفضيل لا صفة . مثل أكبر وكبرى وأصغر وصغرى، لا من باب أحمر وحمراء؛ ولهذا يقولون : جئته من أول أمس، وقال : ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم ﴾ [التوبة : ١٠٨] ﴿وأنا أول المسلمين ﴾ [الأنعام : ١٦٣] ، ﴿ولا تكونوا أول كافر به ﴾ [البقرة : ٤١] فإذا قيل : هذا أول هؤلاء فهو الذي فضل عليهم في الأول؛ لأن كل واحد يرجع إلى ما قبله فيعتمد عليه، وهذا السابق كلهم يؤول إليه، فإن من تقدم في فعل فاستن به من بعده كان السابق الذي يؤول الكل إليه، فالأول له وصف السؤدد والاتباع .

ولفظ [الأول] مشعر بالرجوع والعود، و [الأول] مشعر بالابتداء والمبتدأ، خلاف العائد؛ لأنه إنما كان أولا لما بعده فإنه يقال :." (١)

"ص -٣٠٦- الوجه الثاني : أنه إذا قيل : هذه من المتشابه، أو كان فيها ما هو من المتشابه، كما نقل عن بعض الأئمة أنه سمى بعض ما استدل به الجهمية متشابها، فيقال : الذي في القرآن أنه لا يعلم تأويله إلا الله، إما المتشابه، وإما الكتاب كله كما تقدم ونفى علم تأويله ليس نفي علم معناه كما قدمناه في القيامة وأمور القيامة، وهذا الوجه قوي، إن ثبت حديث ابن إسحاق في وفد نجران، أنهم احتجوا على

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٤/٢٢٣

النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : [إنا] و [نحن] ونحو ذلك، ويؤيده أيضا أنه قد ثبت أن في القرآن متشابها وهو ما يحتمل معنيين، وفي مسائل الصفات ما هو من هذا الباب، كما أن ذلك في مسائل المعاد وأولى، فإن نفي المشابهة بين الله وبين خلقه أعظم من نفي المشابهة بين موعود الجنة وموجود الدنيا .

وإنما نكتة الجواب هو ما قدمناه أولا أن نفي علم التأويل ليس نفيا لعلم المعنى، ونزيده تقريرا أن الله سبحانه يقول : ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا **عربيا** غير ذي عوج ﴾ [الزمر : ٢٧، ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا **عربيا** لعلكم تعقلون ﴾ [يوسف : ١، ٢] فأخبر أنه أنزله ليعقلوه، وأنه طلب تذكرهم .

وقال أيضا : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ [الحشر : ٢١]." (١)

"ص -٣١٩- إذ كانت الأمم معترفة بالصافات، وكانت معرفته ظاهرة عندهم لا يحتاج إلى إقسام، بخلاف التوحيد، فإنه كما قال تعالى : ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ [يوسف : ١٠٦] . وكذلك الملائكة يقر بها عامة الأمم، كما ذكر الله عن قوم نوح، وعاد، وثمود، وفرعون، مع شركهم وتكذيبهم بالرسل، أنهم كانوا يعرفون الملائكة . قال قوم نوح : ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ﴾ [المؤمنون : ٢٤] ، وقال : ﴿أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة ﴾ [فصلت : ١٣، ١٤] ، وقال فرعون : ﴿أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين ﴾ [الزخرف : ٥٢، ٥٣] .

وكذلك مشركو **العرب**، قال تعالى : ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون ﴾ [الأنعام : ٨] ، وقال تعالى : ﴿وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا ﴾ [الفرقان : ٧] ، وقال تعالى عن الأمم مطلقا : ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الأرض ملآئكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ﴾ [الإسراء : ٩٤، ٩٥] .." (٢)

"ص -٣٣٢- وقال : ﴿أفلا يتدبرون القرآن ﴾ [النساء : ٨٢، محمد : ٢٤] ، وقال : ﴿أفلم يدبروا القول ﴾ [المؤمنون : ٦٨] ، وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن، وكذلك قال تعالى : ﴿إنا

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٨/٢٢٣

(٢) مجموع الفتاوى ، ٧/٢٢٤

أنزلناه قرآنا **عربيا** لعلكم تعقلون ﴾ [يوسف : ٢] وعقل الكلام متضمن لفهمه .

ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك . وأيضا، فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم، وقيام دينهم ودنياهم ؟ ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلا جدا، وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة، فهو قليل بالنسبة إلى من بعدهم، وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر . ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، كما قال مجاهد : عرضت المصحف على ابن عباس أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها؛ ولهذا قال الثوري : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به؛ ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم، وكذلك الإمام أحمد وغيره ممن صنف في التفسير يكرر الطرق عن مجاهد أكثر من غيره .

والمقصود أن التابعين تلقوا التفسير عن الصحابة، كما تلقوا عنهم علم." (١)

"ص -٣٤٢- وكذلك إذا قال : الوحي : الإعلام، أو قيل : ﴿أوحينا إليك ﴾ [النساء : ١٦٣] : أنزلنا إليك، أو قيل : ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل ﴾ [الإسراء : ٤] أي : أعلمنا، وأمثال ذلك، فهذا كله تقريب لا تحقيق؛ فإن الوحي هو إعلام سريع خفي، والقضاء إليهم أخص من الإعلام؛ فإن فيه إنزالا إليهم وإيحاء إليهم .

والعرب تضمن الفعل معنى الفعل وتعديه تعديته، ومن هنا غلط من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض، كما يقولون في قوله : ﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ﴾ [ص : ٢٤] أي : مع نعاجه و ﴿من أنصاري إلى الله ﴾ [الصف : ١٤] أي : مع الله ونحو ذلك . والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمين، فسؤال النعجة يتضمن جمعها وضمها إلى نعاجه، وكذلك قوله : ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك ﴾ [الإسراء : ٧٣] ضمن معنى يزيغونك ويصدونك، وكذلك قوله : ﴿ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ [الأنبياء : ٧٧] ، ضمن معنى نجيناه وخلصناه، وكذلك قوله : ﴿يشرب بها عباد الله ﴾ [الإنسان : ٦] ضمن يروى بها، ونظائره كثيرة .

ومن قال : ﴿لاريب ﴾ : لا شك، فهذا تقريب، وإلا فالريب فيه اضطراب وحركة، كما قال : " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك " ، وفي الحديث أنه مر بظبي حاقف [أي : نائم قد انحنى في نومه] فقال : " لا يريبه

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٦/٢٢٥

أحد " ، فكما أن اليقين ضمن السكون والطمأنينة فالريب ضده ضمن الاضطراب والحركة . ولفظ [الشك] وإن قيل : إنه يستلزم هذا المعنى، لكن لفظه لا يدل عليه .." (١)

"ص -٣٥٤- وكما أن على الحديث أدلة يعلم بها أنه صدق وقد يقطع بذلك، فعليه أدلة يعلم بها أنه كذب ويقطع بذلك، مثل ما يقطع بكذب ما يرويه الوضاعون من أهل البدع والغلو في الفضائل، مثل حديث يوم عاشوراء وأمثاله مما فيه أن من صلى ركعتين كان له كأجر كذا وكذا نبيا .

وفي التفسير من هذه الموضوعات قطعة كبيرة، مثل الحديث الذي يرويه الثعلبي والواحدي والزمخشري في فضائل سور القرآن سورة سورة، فإنه موضوع باتفاق أهل العلم .

والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليل، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع، والواحدي صاحبه كان أبصر منه **بالعربية**، لكن هو أبعد عن السلامة واتباع السلف، والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة .

والموضوعات في كتب التفسير كثيرة، مثل الأحاديث الكثيرة الصريحة في الجهر بالبسملة، وحديث علي الطويل في تصدقه بخاتمه في الصلاة، فإنه موضوع باتفاق أهل العلم، ومثل ما روى في قوله : ﴿ولكل قوم هاد ﴾ [الرعد : ٧] أنه علي ﴿وتعيها أذن واعية ﴾ [الحاقة : ١٢] أذنك يا علي .." (٢)

"ص -٣٥٥- فصل

وأما النوع الثاني من مستندي الاختلاف، وهو ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل، فهذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان؛ فإن التفاسير التي يذكر فيها كلام هؤلاء صرفا لا يكاد يوجد فيها شيء من هاتين الجهتين، مثل تفسير عبد الرزاق، ووكيع، وعبد بن حميد، وعبد الرحمن بن إبراهيم دحيم . ومثل تفسير الإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه، وبقي بن مخلد، وأبي بكر ابن المنذر، وسفيان بن عيينة، وسنيد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي سعيد الأشج، وأبي عبد الله بن ماجه، وابن مردويه :

إحداهما : قوم اعتقدوا معاني، ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها .

والثانية : قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة **العرب**، من غير نظر

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٦/٢٢٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٨/٢٢٥

إلى المتكلم بالقرآن، والمنزل عليه والمخاطب به .

فالأولون راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان .." (١)

"ص -٣٥٦- والآخرون راعوا مجرد اللفظ، وما يجوز عندهم أن يريد به **العربي**، من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به ولسياق الكلام . ثم هؤلاء كثيرا ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة، كما يغلط في ذلك الذين قبلهم، كما أن الأولين كثيرا ما يغلطون في صحة المعنى الذي فسروا به القرآن، كما يغلط في ذلك الآخرون، وإن كان نظر الأولين إلى المعنى أسبق، ونظر الآخرين إلى اللفظ أسبق .

والأولون صنفان : تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به، وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه ولم يرد به، وفي كلا الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيه أو إثباته من المعنى باطلا، فيكون خطؤهم في الدليل والمدلول، وقد يكون حقا فيكون خطؤهم في الدليل لا في المدلول .

وهذا كما أنه وقع في تفسير القرآن، فإنه وقع أيضا في تفسير الحديث، فالذين أخطؤوا في الدليل والمدلول مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذهبا يخالف الحق الذي عليه الأمة الوسط الذين لا يجتمعون على ضلالة، كسلف الأمة وأئمتها، وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على آرائهم . تارة يستدلون بآيات على مذهبهم ولا دلالة فيها، وتارة يتأولون ما يخالف مذهبهم بما يحرفون به الكلم عن." (٢)

"ص -٣٧٠- ينص على الشيء بعينه، والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن، فليتفطن اللبيب لذلك، والله الهادي .

وقال شعبة بن الحجاج وغيره : أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير ؟ يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة؛ فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن، أو السنة، أو عموم لغة **العرب**، أو أقوال الصحابة في ذلك .

فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام . حدثنا مؤمل، حدثنا سفيان، حدثنا عبد الأعلى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قال في القرآن بغير علم، فليتبوأ مقعده من النار " . حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن عبد الأعلى الثعلبي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قال في القرآن بغير علم، فليتبوأ مقعده من النار

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٩/٢٢٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣٠/٢٢٥

" . وبه إلى الترمذي قال : حدثنا عبد بن حميد، حدثني حبان بن هلال، قال : حدثنا سهيل أخو حزم القطعي قال : حدثنا أبو عمران الجوني، عن جندب، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ " ، قال الترمذي : هذا حديث غريب، وقد." (١)

"ص -٣٧٥- لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه؛ لقوله تعالى : ﴿لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ [آل عمران : ١٨٧] ، ولما جاء في الحديث المروي من طرق : " من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار " .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار، حدثنا مؤمل، حدثنا سفيان عن أبي الزناد، قال : قال ابن عباس : التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه **العرب** من كلامها . وتفسير لا يعذر أحد بجهالته . وتفسير يعلمه العلماء . وتفسير لا يعلمه إلا الله، والله سبحانه وتعالى أعلم .." (٢)

"ص -٣٨٤- هو فاعل الواجب وتارك المحرم . والسابق : هو فاعل الواجب والمستحب، وتارك المحرم والمكروه .

فيقول المجيب بحسب حاجة السائل : الظالم : الذي يفوت الصلاة والذي لا يسبغ الوضوء، أو الذي لا يتم الأركان ونحو ذلك . والمقتصد : الذي يصلي في الوقت كما أمر . والسابق بالخيرات : الذي يصلي الصلاة بواجباتها ومستحباتها، ويأتي بالنوافل المستحبة معها، وكذلك يقول مثل هذا في الزكاة، والصوم، والحج، وسائر الواجبات .

وقد روى عن ابن عباس – رضي الله عنهما أنه قال : التفسير على أربعة أوجه : تفسير تعرفه **العرب** من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله، فمن ادعى علمه فهو كاذب .

والصحابة أخذوا عن الرسول لفظ القرآن ومعناه، كما أخذوا عنه السنة، وإن كان من الناس من غير السنة فمن الناس من غير بعض معاني القرآن؛ إذ لم يتمكن من تغيير لفظه .

وأيضا، فقد يخفى على بعض العلماء بعض معاني القرآن، كما خفى عليه بعض السنة؛ فيقع خطأ المجتهدين من هذا الباب، والله أعلم .." (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٤/٢٢٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤٩/٢٢٥

(٣) مجموع الفتاوى ، ٥/٢٢٧

"ص -٣٨٦- وأما التفاسير الثلاثة المسؤول عنها، فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة [البغوي] لكنه مختصر من [تفسير الثعلبي] وحذف منه الأحاديث الموضوعة والبدع التي فيه، وحذف أشياء غير ذلك .

وأما الواحدي، فإنه تلميذ الثعلبي، وهو أخبر منه **بالعربية**، لكن الثعلبي فيه سلامة من البدع، وإن ذكرها تقليدا لغيره، وتفسيره وتفسير الواحدي [البسيط والوسيط والوجيز] فيها فوائد جليلة وفيها غث كثير من المنقولات الباطلة وغيرها .

وأما الزمخشري، فتفسيره محشو بالبدعة، وعلى طريقة المعتزلة من إنكار الصفات والرؤية والقول بخلق القرآن، وأنكر أن الله مريد للكائنات وخالق لأفعال العباد، وغير ذلك من أصول المعتزلة .

وأصولهم خمسة، يسمونها : التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . لكن معنى التوحيد عندهم : يتضمن نفي الصفات؛ ولهذا سمي ابن التومرت [هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت، الفقيه الأصولي الزاهد، كان لهجا بعلم الكلام، وألف عقيدة لقبها بالمرشدة، وكان فيه تشيع، أخذ عن أبي حامد الغزالي] أصحابه الموحدين، وهذا إنما هو إلحاد في أسماء الله وآياته .." (١)

"ص -٣٩٩- القطع بخطأ هؤلاء، وأن البسملة آية من كتاب الله، حيث كتبها الصحابة في المصحف؛ إذ لم يكتبوا فيه إلا القرآن وجردوه عما ليس منه، كالتخميس والتعشير وأسماء السور، ولكن مع ذلك لا يقال : هي من السورة التي بعدها، كما أنها ليست من السورة التي قبلها، بل هي كما كتبت آية أنزلها الله في أول كل سورة، وإن لم تكن من السورة، وهذا أعدل الأقوال الثلاثة في هذه المسألة .

وسواء قيل بالقطع في النفي أو الإثبات، فذلك لا يمنع كونها من موارد الاجتهاد التي لا تكفير ولا تفسيق فيها للنافي ولا للمثبت، بل قد يقال ما قاله طائفة من العلماء : إن كل واحد من القولين حق، وأنها آية من القرآن في بعض القراءات، وهي قراءة الذين يفصلون بها بين السورتين، وليست آية في بعض القراءات، وهي قراءة الذين يصلون ولا يفصلون بها بين السورتين .

وأما قول السائل : ما السبب الذي أوجب الاختلاف بين القراء فيما احتمله خط المصحف ؟ فهذا مرجعه إلى النقل واللغة **العربية**، لتسويغ الشارع لهم القراءة بذلك كله، إذ ليس لأحد أن يقرأ قراءة بمجرد رأيه، بل

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣/٢٢٨

القراءة سنة متبعة، وهم إذا اتفقوا على اتباع القرآن المكتوب في المصحف الإمامي، وقد قرأ بعضهم بالياء وبعضهم بالتاء، لم يكن واحد منهما خارجا عن المصحف .." (١)

"مجموع فتاوى ابن تيمية - الجزء الرابع عشر

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية - ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (٢)

"ص -٢- محكم، المفصل : ﴿ وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا ﴾ [الأنعام : ١١٤] ، البرهان : ﴿ قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا ﴾ [النساء : ١٧٤] ، على أحد القولين، الحق : ﴿ قد جاءكم الحق من ربكم ﴾ [يونس : ١٠٨] ، عربي مبين، أحسن الحديث، أحسن القصص على قول، كلام الله : ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ [التوبة : ٦] ، العلم : ﴿ فمن حآجك فيه من بعد ما جاءك من العلم ﴾ [آل عمران : ٦١] ، العلي الحكيم : ﴿ وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ﴾ [الزخرف : ٤] ، القيم : ﴿ يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة ﴾ [البينة : ٢، ٣] ، ﴿ أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما ﴾ [الكهف : ١، ٢] ، وحي في قوله : ﴿ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [النجم : ٤] ، حكمة فى قوله : ﴿ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة ﴾ [القمر : ٤، ٥] ، وحكما فى قوله : ﴿ أنزلناه حكما عربيا ﴾ [الرعد : ٣٧] ، ونبأ على قول فى قوله : ﴿ عن النبإ العظيم ﴾ [النبأ : ٢] ، ونذير على قول : ﴿ هذا نذير من النذر الأولى ﴾ [النجم : ٥٦] فى حديث أبى موسى شافعا مشفعا وشاهدا مصدقا، وسماه النبى صلى الله عليه وسلم : " حجة لك أو عليك " وفى حديث الحارث عن على : " عصمة لمن استمسك به " .." (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٢/٢٢٩

(٢) مجموع الفتاوى ، ١/٢٣١

(٣) مجموع الفتاوى ، ٣/٢٣٢

"ص -٥٧- هو من جنس قياس التمثيل، الذى يقال فيه : مثل الذى يقتل بكودتى القصار [كودتا القصار : هما خشبتا القصار . والقصار : هو المحور والمهذب للثياب؛ لأنه يدقها بالقصرة . انظر : لسان **العرب**، مادة : قصر] كمثل الذى يقتل بالسيف، ومثل الهرة تقع فى الزيت كمثل الفأرة تقع فى السمن ونحو ذلك، ومبناه على الجمع بينهما، والفرق فى الصفات المعتبرة فى الحكم المقصود إثباته أو نفيه، وقوله : مثله كمثل كذا، تشبيه للمثل العلمى بالمثل العلمى؛ لأنه هو الذى بتوسطه يحصل القياس، فإن المعتبر ينظر فى أحدهما فيتمثل فى علمه، وينظر فى الآخر فيتمثل فى علمه ثم يعتبر أحد المثلين بالآخر فيجدهما سواء، فيعلم أنهما سواء فى أنفسهما لاستوائهما فى العلم، ولا يمكن اعتبار أحدهما بالآخر فى نفسه حتى يتمثل كل منهما فى العلم، فإن الحكم على الشيء فرع على تصوره؛ ولهذا والله أعلم يقال : مثل هذا كمثل . . . [بياض بالأصل] .

وبعض المواضع يذكر سبحانه الأصل المعتبر به ليستفاد حكم الفرع منه من غير تصريح بذكر الفرع، كقوله : ﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر ﴾ إلى قوله : ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾ [البقرة : ٢٦٦] ، فإن هذا يحتاج إلى تفكر؛ ولهذا سأل عمر عنها من حضره من الصحابة فأجابه ابن عباس بالجواب الذى أرضاه . ونظير ذلك ذكر القصص، فإنها كلها أمثال هى أصول قياس." (١)

"ص -٧٢- سئل عن معنى قوله : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها ﴾ [البقرة : ١٠٦] والله سبحانه لا يدخل عليه النسيان .

فأجاب :

أما قوله : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها ﴾ [البقرة : ١٠٦] ، ففيها قراءتان، أشهرهما : ﴿ أو ننسها ﴾ أى : ننسيكم إياها، أى : نسخنا ما أنزلناه، أو اخترنا تنزيل ما نريد أن ننزله نأتكم بخير منه أو مثله، والثانية : " أو ننسأها " بالهمز، أى نؤخرها، ولم يقرأ أحد : " ننساها " ، فمن ظن أن معنى ننسأها بمعنى : ننساها، فهو جاهل **بالعربية** والتفسير، قال موسى عليه السلام : ﴿ علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ﴾ [طه : ٥٢] ، و النسيان مضاف إلى العبد كما فى قوله : ﴿ سنقرؤك فلا تنسى إلا ما شاء

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٨/٢٣٣

الله ﴾ [الأعلى : ٦، ٧] ؛ ولهذا قرأها بعض الصحابة : " أو تنساها " أى : تنساها يا محمد، وهذا واضح لا يخفى إلا على جاهل، لا يفرق بين ننسأها بالهمز وبين ننساها بلا همز، والله أعلم .." (١)

"ص -١٠٣- مكروه، قال : فخاطب العرب على حسب ما تعقل؛ فإن الرجل منهم يقول للرجل : ما أطيق النظر إليك، وهومطيق لذلك، لكنه ثقيل عليه النظر إليه قال : ومثله قوله : ﴿ ما كانوا يستطيعون السمع ﴾ [هود : ٢٠] .

قلت : ليست هذه لغة العرب وحدهم، بل هذا مما اتفق عليه العقلاء . والاستطاعة فى الشرع هى ما لا يحصل معه للمكلف ضرر راجح، كاستطاعة الصيام والقيام، فمتى كان يزيد فى المرض أو يؤخر البرء لم يكن مستطيعا؛ لأن فى ذلك مضرة راجحة، بخلاف هؤلاء فإنهم كانوا لا يستطيعون السمع لبغض الحق وثقله عليهم؛إما حسدا لقائله، وإما اتباعا للهوى ورين الكفر والمعاصى على القلوب، وليس هذا عذرا، فلو لم يأمر العباد إلا بما يهوونه لفسدت السموات والأرض ومن فيهن .

والمقصود أن السلف لم يكن فيهم من يقول : إن العبد لا يكون مستطيعا إلا فى حال فعله، وأنه قبل الفعل لم يكن مستطيعا، فهذا لم يأت الشرع به قط، ولا اللغة، ولا دل عليه عقل، بل العقل يدل على نقيضه، كما قد بسط فى غير هذا الموضع .

والرب تعالى يعلم أن العبد لا يفعل الفعل مع أنه مستطيع له، والمعلوم أنه لا يفعله، ولا يريده لا أنه لا يقدر عليه، والعلم يطابق." (٢)

"ص -١٦٥- عظموه، وهؤلاء يتفلسفون .

والواحد من هؤلاء يفرح إذا قيل له : لست بمسلم، ويحكى عن نفسه كما كان أحمد الماردينى وهو من أصحاب ابن عربى يحكى عن نفسه أنه دخل إلى بعض ديارات النصارى ليأخذ منهم ما يأكله هو ورفيقه، فأخذ بعضهم يتكلم فى المسلمين، ويقول : يقولون : كذا وكذا، فقال له آخر : لا تتكلم فى المسلمين فهذا واحد منهم، فقال ذلك المتكلم : هذا وجهه وجه مسلم ؟ أى ليس هذا بمسلم، فصار يحكيها الماردينى أن النصرانى قال عنه : ليس هذا بمسلم، ويفرح بقول النصرانى ويصدقه فيما يقول، أى ليس هو بمسلم .

والمتفلسفة يصرحون بهذا . يقولون : قلنا : كذا وكذا، وقال المسلمون : كذا وكذا، وربما قالوا : قلنا : كذا،

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٥/٢٣٣

(٢) مجموع الفتاوى ، ٦٦/٢٣٣

وقال المليون : كذا أى : أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى وكتبهم مشحونة بهذا، ولا بد لأحدهم عند أهل الملل أن يكون على دينهم .

لكن دخولهم فى هذا كدخولهم فى سياسة الملوك، كما كانوا مع الترك الكفار، وكانوا مع هولاكو ملك المغول الكفار، ومع القان الذى هو أكبر منه خليفة جنكزخان ببلاد الخطا، وانتساب الواحد منهم هناك إلى الإسلام انتساب إلى إسلام يرضاه ذلك." (١)

"ص -١٧٤- كما قال : ﴿ ينزل الملآئكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ [النحل : ٢] ، إلى غير ذلك من الآيات .

وقد علم بالتواتر والاضطرار أن جميع الرسل أخبروا عن الله أنه شهد ويشهد أن لا إله إلا هو بقوله وكلامه، وهذا معلوم من جهة كل من بلغ عنه كلامه؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي ﴾ [الأنبياء : ٢٤] .

وأما شهادته بفعله فهو ما نصبه من الأدلة الدالة على وحدانيته التى تعلم دلالتها بالعقل، وإن لم يكن هناك خبر عن الله، وهذا يستعمل فيه لفظ الشهادة والدلالة والإرشاد، فإن الدليل يبين المدلول عليه ويظهره، فهو بمنزلة المخبر به الشاهد به، كما قيل : سل الأرض : من فجر أنهارها، وغرس أشجارها، وأخرج ثمارها، وأحيا نباتها، وأغطش ليلها، وأوضح نهارها، فإن لم تجبك حوارا، أجابتك اعتبارا .

وهو ـ سبحانه ـ شهد بما جعلها دالة عليه فإن دلالتها إنما هي بخلقه لها . فإذا كانت المخلوقات دالة على أنه لا إله إلا هو، وهو ـ سبحانه ـ الذى جعلها دالة عليه، فإن دلالتها إنما هى بخلقه، وبين ذلك، فهو الشاهد المبين بها أنه لا إله إلا هو، وهذه الشهادة الفعلية ذكرها طائفة . قال ابن كيسان [هو أبو الحسن محمد بن إبراهيم، عالم بالعربية، نحوا ولغة ـ من أهل بغداد، له تصانيف فى القراءات والغريب والنحو، منها : " المهذب " فى النحو، و " غريب الحديث " وتوفى فى ذى القعدة سنة ٢٩٩ هـ] : ﴿ شهد الله ﴾ [آل عمران : ١٨] بتدبيره العجيب، وأموره." (٢)

"ص -١٧٦- ﴿كونوا قوامين بالقسط ﴾ [النساء : ١٣٥] ، فالقيام بالقسط يكون فى القول، وهو القول العدل، ويكون فى الفعل . فإذا قيل : شهد ﴿ قآئما بالقسط ﴾ أى : متكلما بالعدل مخبرا به آمرا به، كان هذا تحقيقا لكون الشهادة شهادة عدل وقسط، وهى أعدل من كل شهادة، كما أن الشرك

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٢٨/٢٣٣

(٢) مجموع الفتاوى ، ٨/٢٣٤

أظلم من كل ظلم، وهذه الشهادة أعظم الشهادات .

وقد ذكروا فى سبب نزول هذه الآية ما يوافق ذلك، فذكر ابن السائب [هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبى، نسابة، راوية، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب، له كتاب فى " تفسير القرآن " وهو ضعيف الحديث، ولد بالكوفة وتوفى بها سنة ١٤٦هـ] : أن حبرين من أحبار الشام قدما على النبى صلى الله عليه وسلم، فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه : ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبى الذى يخرج فى آخر الزمان ! فلما دخلا على النبى صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة، فقالا : أنت محمد ؟ قال : " نعم " . قالا : وأحمد ؟ قال : " نعم " . قالا : نسألك عن شهادة فإن أخبرتنا بها آمنا بك . فقال : " سلانى " . فقالا : أخبرنا عن أعظم شهادة فى كتاب الله فنزلت هذه الآية .

ولفظ " القيام بالقسط "كما يتناول القول، يتناول العمل، فيكون التقدير : يشهد وهو قائل بالقسط عامل به لا بالظلم؛ فإن هذه الشهادة تضمنت قولا وعملا، فإنها تضمنت أنه هو الذى يستحق العبادة وحده فيعبد، وأن غيره لا يستحق العبادة، وأن الذين عبدوه وحده هم المفلحون السعداء، وأن المشركين به في النار، فإذا شهد قائما بالعدل المتضمن جزاء المخلصين بالجنة وجزاء." (١)

"ص -١٨٠- ذكر أن الله شهد بها، فقال : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو ﴾ والتالى للقرآن إنما يذكر أن الله شهد بها هو والملائكة، وأولو العلم، وليس فى ذلك شهادة من التالى نفسه بها، فذكرها الله مجردة؛ ليقولها التالي فيكون التالي قد شهد بها أنه لا إله إلا هو . فالأولى خبر عن الله بالتوحيد لنفسه بشهادته لنفسه، وهذه خبر عن الله بالتوحيد .

وختمها بقوله : ﴿ العزيز الحكيم ﴾ ، والعزة تتضمن : القدرة والشدة والامتناع والغلبة . تقول العرب : عز يعز ـ بفتح العين ـ إذا صلب، وعز يعز ـ بكسرها ـ إذا امتنع، وعز يعز. بضمها إذا غلب . فهو ـ سبحانه ـ فى نفسه قوى متين، وهو منيع لا ينال، وهو غالب لا يغلب .

والحكيم يتضمن حكمه وعلمه وحكمته فيما يقوله ويفعله، فإذا أمر بأمر كان حسنا، وإذا أخبر بخبر كان صدقا، وإذا أراد خلق شيء كان صوابا، فهو حكيم فى إرادته وأفعاله وأقواله .

فصل

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٠/٢٣٤

وقد تضمنت هذه الآية ثلاثة أصول : شهادة أن لا إله إلا الله، وأنه قائم بالقسط، وأنه العزيز الحكيم؛ فتضمنت وحدانيته المنافية." (١)

"ص -٢٠٣- وللشيخ ـ رحمه الله :

فى قوله تعالى : ﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ [آل عمران : ١٧٥] : هذا هو الصواب الذى عليه جمهور المفسرين؛ كابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والنخعى . وأهل اللغة كالفراء، وابن قتيبة، والزجاج، وابن الأنبارى . وعبارة الفراء : يخوفكم بأوليائه، كما قال : ﴿ لينذر بأسا شديدا من لدنه ﴾ [الكهف : ٢] ، ببأس شديد، وقوله : ﴿ لينذر يوم التلاق ﴾ [غافر : ١٥] ، وعبارة الزجاج : يخوفكم من أوليائه .

قال ابن الأنبارى : والذى نختاره فى الآية : يخوفكم أولياءه . تقول العرب : أعطيت الأموال، أي : أعطيت القوم الأموال فيحذفون المفعول الأول ويقتصرون على ذكر الثانى؛ وهذا لأن الشيطان يخوف الناس أولياءه تخويفا مطلقا، ليس له فى تخويف ناس بناس ضرورة، فحذف الأول ليس مقصودا، وهذا يسمى حذف اختصار، كما يقال : فلان يعطى الأموال والدراهم .

وقد قال بعض المفسرين : يخوف أولياءه المنافقين، ونقل هذا." (٢)

"ص -٢٧٦- ﴿ كل من عند الله ﴾ كما تقدم؛ لأنها لا تضاف إلى الله مفردة، بل إما فى العموم، كقوله : ﴿ كل من عند الله ﴾ .

وكذلك الأسماء التى فيها ذكر الشر، لا تذكر إلا مقرونة، كقولنا : " الضار النافع، المعطى المانع، المعز المذل " أو مقيدة، كقوله : ﴿ إنا من المجرمين منتقمون ﴾ [السجدة : ٢٢] .

وكل ما خلقه ـ مما فيه شر جزئي إضافي ـ ففيه من الخير العام والحكمة والرحمة أضعاف ذلك، مثل إرسال موسى إلى فرعون، فإنه حصل به التكذيب والهلاك لفرعون وقومه، وذلك شر بالإضافة إليهم، لكن حصل به ـ من النفع العام للخلق إلى يوم القيامة، والاعتبار بقصة فرعون ـ ما هو خير عام، فانتفع بذلك أضعاف أضعاف من استضر به، كما قال تعالى : ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ﴾ [الزخرف : ٥٥] وقال تعالى ـ بعد ذكر قصته : ﴿ إن في ذلك لعبرة لمن يخشى ﴾ [النازعات : ٢6] .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٤/٢٣٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣٧/٢٣٤

وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم، شقى برسالته طائفة من مشركي **العرب** وكفار أهل الكتاب، وهم الذين كذبوه، وأهلكهم الله تعالى بسببه، ولكن سعد بها أضعاف أضعاف هؤلاء .

ولذلك من شقى به من أهل الكتاب كانوا مبدلين محرفين قبل أن." (١)

"ص -٣٠٣- ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ من جهة أنها آيات للرب، يحصل بها هدايتهم وإيمانهم الذى يسعدون به فى الدنيا والآخرة، فيدلهم عليه وعلى وحدانيته وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته . والآيات التى بعث بها الأنبياء وأيدهم بها ونصرهم، وإهلاك عدوهم .كما ذكره في سورة النجم : ﴿ وأنه أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى ﴾ [النجم : ٥٠ . ٥٤] ، تدلهم على صدق الأنبياء فيما أخبروا به من الأمر والنهي، والوعد والوعيد، ما بشروا به وأنذروا به .

ولهذا قال عقيب ذلك : ﴿ هذا نذير من النذر الأولى ﴾ [النجم : ٥٦] ، قيل : هو محمد . وقيل : هو القرآن؛ فإن الله سمى كلا منهما بشيرا ونذيرا، فقال فى رسول الله : ﴿ إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾ [الأعراف : ١٨٨] ، وقال تعالى : ﴿ إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ﴾ [الأحزاب : ٤٥] ، وقال . تعالى . فى القرآن : ﴿كتاب فصلت آياته قرآنا **عربيا** لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا ﴾ [فصلت : ٣، ٤] ، وهما متلازمان .

وكل من هذين المعنيين مراد، يقال : هذا نذير أنذر بما أنذرت به الرسل والكتب الأولى .

وقوله : ﴿ من النذر ﴾ أي : من جنسها، أي رسول من." (٢)

"ص -٣٩٨- وقد طلبت الشفاعة من أكابر الرسل، وأولى العزم، وكل يقول : " إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني فعلت كذا وكذا، نفسي، نفسي، نفسي " .

فإذا كان هؤلاء لا يتقدمون إلى مخاطبة الله تعالى . تعالى . بالشفاعة، فكيف بغيرهم ؟

وأيضا، فإن هذه الآية مذكورة بعد ذكر المتقين وأهل الجنة، وبعد أن ذكر الكافرين، فقال : ﴿ إن للمتقين

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١١٥/٢٣٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٤٢/٢٣٤

مفازا حدائق وأعنابا وكواعب أترابا وكأسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ﴾ [النبأ : ٣١ . ٣٨] ، فقد أخبر أن الروح والملائكة يقومون صفا، لا يتكلمون . وهذا هو تحقيق قوله : ﴿ لا يملكون منه خطابا ﴾ **والعرب** تقول : ما أملك من أمر فلان، أو من فلان شيئا، أي : لا أقدر من أمره على شيء، وغاية ما يقدر عليه الإنسان من أمر غيره خطابة، ولو بالسؤال .

فهم فى ذلك الموطن لا يملكون من الله تعالى شيئا، ولا الخطاب؛فإنه لا يتكلم أحد إلا بإذنه، ولا يتكلم إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا، قال تعالى : ﴿ إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ﴾ [الممتحنة : ٤] ،." (١)

"ص -٤٢٢- وممن ذكر ذلك: أبو بكر بن فورك. فإنه قال: معناه: أفمن نفسك؟ يدل عليه قول الشاعر:

ثم قالوا تحبها؟ قلت بهرا عدد الرمل والحصى والتراب

قلت: وإضمار اللاستفهام – إذا دل عليه الكلام – لا يقتضي جواز إضماره في الخبر المخصوص من غير دلالة. فإن هذا يناقض المقصود. ويستلزم أن كل من أراد أن ينفي ما أخبر الله به يقدر أن ينفيه، بأن يقدرفي خبره استفهاما. ويجعله استفهام إنكار.

وهذا من جهة **العربية** نظير ما زعمه بعضهم في قول إبراهيم عليه السلام "هذا ربي" أهذا ربي؟.

قال ابن الأنباري: هذا القول شاذ. لأن حرف الاستفهام لا يضمر إذا كان فارقا بين الإخبار والاستخبار.

وهؤلاء استشهدوا بقوله: ﴿أفإن مت فهم الخالدون﴾.

وهذا لا حجة فيه. لأنه قد تقدم الاستفهام في أول الجملة، في الجملة الشرطية ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ فلم يحتج إلى ذكره ثانية. بل بل ذكره يفسد الكلام. ومثله قوله: ﴿فإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾." (٢)

"ص -٤٤١- وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان " ، وفى حديث آخر : " على كل خلق يطبع المؤمن إلا

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٣٨/٢٣٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٦٢/٢٣٤

الخيانة والكذب " ، ومثل هذا كثير .

وإذا كان كذلك، فالإنسان كيف يخون نفسه، وهو لا يكتمها ما يقوله ويفعله سرا عنها، كما يخون من لا يشهده من الناس، كما يخون الله والرسول إذا لم يشاهده، فلا يكون ممن يخاف الله بالغيب ؟ ولم خصت هذه الأفعال بأنها خيانة للنفس دون غيرها ؟ فالأشبه والله أعلم أن يكون قوله : ﴿ تختانون أنفسكم ﴾ مثل قوله : ﴿ إلا من سفه نفسه ﴾ [البقرة : ١٣٠] .

والبصريون يقولون في مثل هذا : إنه منصوب على أنه مفعول له، ويخرجون قوله : ﴿ سفه ﴾ عن معناه في اللغة، فإنه فعل لازم، فيحتاجون أن ينقلوه من اللزوم إلى التعدية بلا حجة .

وأما الكوفيون كالفراء وغيره ومن تبعهم، فعندهم أن هذا منصوب على التمييز، وعندهم أن المميز قد يكون معرفة كما يكون نكرة، وذكروا لذلك شواهد كثيرة من كلام **العرب**، مثل قولهم : ألم فلان." (١)

"ص -٤٥٨- الحد وأسرفوا . وقيل : لا يحملنكم أكل الطيبات على الإسراف وتناول الحرام من أموال الناس، فإن آكل الطيبات والشهوات المعتدى فيها لابد أن يقع في الحرام؛ لأجل الإسراف في ذلك .

والمقصود بالزهد : ترك ما يضر العبد في الآخرة، وبالعبادة : فعل ما ينفع في الآخرة فإذا ترك الإنسان ما ينفعه في دينه وينفعه في آخرته وفعل من العبادة ما يضر فقد اعتدى وأسرف، وإن ظن ذلك زهدا نافعا وعبادة نافعة .

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والنخعي : ﴿ ولا تعتدوا ﴾ أي : لا تجبوا [أى : لاتقطعوا . نهى عن الاختصاء . انظر : لسان **العرب**، مادة : جبب] أنفسكم . وقال عكرمة : لا تسيروا بغير سيرة المسلمين؛ من ترك النساء، ودوام الصيام والقيام . وقال مقاتل : لا تحرموا الحلال، وعن الحسن لا تأتوا ما نهى الله عنه، وهذا ما أريد به لا تحرموا الحلال ولا تفعلوا الحرام، فيكون قد نهى عن النوعين، لكن سبب نزول الآية وسياقها يدل على قول الجمهور، وقد يقال : هذا مثل قوله : ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ [الأعراف : ٣١] ، وقوله في تمام الآية : ﴿ وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ﴾ الآية [المائدة : ٨٨] .

وكذلك الأحاديث الصحيحة، كقول أحدهم : لا أتزوج النساء." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٨١/٢٣٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٢/٢٣٥

"مجموع فتاوى ابن تيمية – الجزء السابع عشر
دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة **العربية** السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م
إعداد موقع روح الإسلام
(www.islamspirit.com)." (١)

"مجموع فتاوى ابن تيمية – الجزء السادس عشر
دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة **العربية** السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م
إعداد موقع روح الإسلام
(www.islamspirit.com)." (٢)

"مجموع فتاوى ابن تيمية – الجزء الخامس عشر
دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة **العربية** السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م
إعداد موقع روح الإسلام
(www.islamspirit.com)." (٣)

"وقوله : ﴿أن يفقهوه ﴾ يتناول من لم يفهم منه تفسير اللفظ كما يفهم بمجرد **العربية**، ومن فهم ذلك لكن لم يعلم نفس المراد في الخارج وهو : [الأعيان] ، و [الأفعال] ، و [الصفات] المقصودة بالأمر

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١/٢٣٧
(٢) مجموع الفتاوى ، ١/٢٣٧
(٣) مجموع الفتاوى ، ١/٢٣٧

والخبر؛ بحيث يراها ولا يعلم أنها مدلول الخطاب : مثل من يعلم وصفا مذموما ويكون هو متصفا به، أو بعضا من جنسه ولا يعلم أنه داخل فيه، وقال تعالى :." (١)

"ص -٢٠- بعض الناس ظنوا أن المراد : أحسن القصص بالكسر، وأن تلك القصة قصة يوسف، وذكر هذا طائفة من المفسرين .

ثم ذكروا : لم سميت أحسن القصص ؟ فقيل : لأنه ليس في القرآن قصة تتضمن من العبر والحكم والنكت ما تتضمن هذه القصة . وقيل : لامتداد الأوقات بين مبتداها ومنتهاها . وقيل : لحسن محاورة يوسف وإخوته، وصبره على أذاهم، وإغضائه عن ذكر ما تعاطوه عند اللقاء، وكرمه في العفو . وقيل : لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين، والملائكة والشياطين، والإنس والجن، والأنعام والطير، وسير الملوك والمماليك، والتجار، والعلماء والجهال، والرجال والنساء ومكرهن وحيلهن، وفيها أيضا ذكر التوحيد والفقه والسير، وتعبير الرؤيا والسياسة، والمعاشرة وتدبير المعاش، فصارت أحسن القصص؛ لما فيها من المعاني والفوائد التي تصلح للدين والدنيا . وقيل فيها : ذكر الحبيب والمحبوب . وقيل : [أحسن] بمعنى : أعجب .

و الذين يجعلون قصة يوسف أحسن القصص منهم من يعلم أن [القصص] بالفتح هو النبأ والخبر، ويقولون : هي أحسن الأخبار والأنباء، وكثير منهم يظن أن المراد : أحسن القصص بالكسر وهؤلاء جهال بالعربية، وكلا القولين خطأ، وليس المراد بقوله : ﴿أحسن القصص﴾ [يوسف : ٣] ، قصة يوسف وحدها، بل هي مما قصه الله، ومما يدخل في أحسن القصص؛." (٢)

"ص -٣٥- وفعله، وقد يراد بها الأمران جميعا، فمن قال : التلاوة هي المتلو، أراد بالتلاوة : نفس القرآن المسموع وذلك هو المتلو، ومن قال غيره أراد بالتلاوة : حركة العبد وفعله وتلك ليست هي القرآن، ومن نهي عن أن يقال : التلاوة هي المتلو أو غير المتلو؛ فلأن لفظ التلاوة يجمع الأمرين، كما نهى الإمام أحمد وغيره عن أن يقال : لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق؛ لأن اللفظ يراد به الملفوظ نفسه الذي هو كلام الله، ويراد به مصدر لفظ يلفظ لفظا وهو فعل العبد، وأطلق قوم من أهل الحديث : أن لفظي بالقرآن غير مخلوق، وأطلق ناس آخرون : أن لفظي به مخلوق . قال ابن قتيبة : لم يتنازع أهل الحديث في شيء من أقوالهم إلا في مسألة اللفظ، وهذا كان تنازع أهل الحديث والسنة الذين كانوا في زمن أحمد بن حنبل، وأصحابه الذين أدركوه .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٧/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٧/٢٣٨

ثم جاء بعد هؤلاء طائفة قالوا : التلاوة غير المتلو، وأرادوا بالتلاوة : نفس كلام الله **العربي** الذي هو القرآن، وأرادوا بالمتلو معنى واحدا قائما بذات الله . وقال آخرون : التلاوة هي المتلو، وأرادوا بالتلاوة : نفس الأصوات المسموعة من القراء، جعلوا ما سمع من الأصوات هو نفس الكلام الذي ليس بمخلوق، ولم يميزوا بين سماع الكلام من المتكلم وبين سماعه من المبلغ له عنه، فزاد كل من هؤلاء وهؤلاء من البدع ما لم يكن يقوله أحد من أهل السنة والعلم، فلم يكن من أهل." (١)

"ص -٣٦- السنة من يقول : إن القرآن **العربي** ليس هو كلام الله، ولا يجعل المتلو مجرد معنى، ولا كان فيهم من يقول : إن أصوات العباد وغيرها من خصائصهم غير مخلوق، بل هم كلهم متفقون على أن القرآن المتلو هو القرآن **العربي** الذي نزله روح القدس من الله بالحق، وهو كلام الله الذي تكلم به، ولكن تنازعوا في تلاوة العباد له : هل هي القرآن نفسه ؟ أم هي الفعل الذي يقرأ به القرآن ؟

والتحقيق أن لفظ [التلاوة] يراد به هذا وهذا، ولفظ [القرآن] يراد به المصدر ويراد به الكلام، قال الله تعالى : ﴿إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه ﴾ [القيامة١٧ : ١٩] ، وفي الصحيحين عن ابن عباس قال : إن علينا أن نجمعه في قلبك، وتقرأه بلسانك . وقال أهل **العربية** : يقال : قرأت الكتاب قراءة وقرآنا، ومنه قول حسان :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به ** يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

وقد قال تعارى : ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ [النحل : ٩٨] ، وقال تعالى : ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ [الإسراء : ٤٥] ، وقال تعالى : ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] ، وهم إنما يستمعون الكلام نفسه ولا يستمعون." (٢)

"ص -٦٩- عليكم، وإما في الآخرة لعظم ثوابه من أجل مشقة حمله . قال : والمراد ما ننسخ من حكم آية كقوله : ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴾ [البقرة : ٩٣] أي : حبه . قال : ودل على أن ذلك كذلك قوله : ﴿نأت بخير منها أو مثلها ﴾ [البقرة : ١٠٦] ، وغير جائز أن يكون من القرآن شيء خيرا من شيء؛ لأن جميعه كلام الله، ولا يجوز في صفات الله تعالى أن يقال : بعضها أفضل من بعض، أو بعضها خير من بعض، وطرد ذلك في أسماء الله، فمنع أن يكون بعض أسمائه أعظم أو أفضل أو أكبر من بعض . وقال : معنى الاسم الأعظم : العظيم، وكلها سواء في العظمة، وإنما يتفاضل حال الناس حين

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٢/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣٣/٢٣٨

الدعاء، فيكون الأعظم بحسب حال الدعاء؛ لا أنه في نفسه أعظم .

وهذا القول الذي قاله في أسماء الله نظير القول الثاني في تفضيل بعض كلام الله على بعض، فإن القول الثاني لمن منع تفضيله أن المراد يكون هذا أفضل أو خيرا كونه فاضلا في نفسه؛ لا أنه أفضل من غيره .

وهذا القول يحكي عن أبي الحسن الأشعري ومن وافقه، قالوا : إن معنى ذلك أنه عظيم فاضل، وقالوا : مقتضي الأفضل تقصير المفضول عنه وكلام الله لا يتبعض، وهذا يقولونه في الكلام؛ لأنه واحد بالعين عندهم يمتنع فيه تماثل أو تفاضل، وأما في الصفات بعضها على بعض فلامتناع التغاير، ولا يقولون هذا في القرآن **العربي**، فإن القرآن **العربي** عندهم مخلوق، وليس هو كلام الله على قول الجمهور منهم : قالوا : لأن الكلام." (١)

"ص -٧٠- يمتنع قيامه بغير المتكلم كسائر الصفات، والقرآن **العربي** يمتنع عندهم قيامه بذات الله تعالى، ولو جوزوا أن يكون كلام الله قائما بغيره، لبطل أصلهم الذي اتفقوا عليه هم وسائر أهل السنة وردوا به على المعتزلة في قولهم : إن القرآن مخلوق، وهؤلاء يسلمون أن القرآن **العربي** بعضه أفضل من بعض؛ لأنه مخلوق عندهم، ولكن ليس هو كلام الله عند جماهيرهم .

وبعض متأخريهم يقول : إن لفظ [كلام الله] يقع بالاشتراك على المعنى القائم بالنفس، وعلى الكلام **العربي** المخلوق الدال عليه، وأما كلام الله الذي ليس بمخلوق عندهم، فهو ذلك المعنى، وهو الذي يمتنع تفاضله عندهم . وأصل هؤلاء : أن كلام الله هو المعاني، بل هو المعنى الواحد فقط، وأن معاني كتاب الله هي شيء واحد لا يتعدد ولا يتبعض، فمعنى آية الكرسي، وآية الدين، والفاتحة، وقل هو الله أحد، وتبت، ومعنى التوراة والإنجيل، وكل حديث إلهي، وكل ما يكلم به الرب عباده يوم القيامة، وكل ما يكلم به الملائكة والأنبياء، إنما هي معنى واحد بالعين لا بالنوع، ولا يتعدد ولا يتبعض، وأن القرآن **العربي** ليس هو كلام الله، بل كلام غيره : جبريل أو محمد، أو مخلوق من مخلوقاته عبر به عن ذلك الواحد، وذلك الواحد هو الأمر بكل ما أمر به، والنهي عن كل ما نهي عنه، والإخبار بكل ما أخبر به، وأن الأمر والنهي والخبر ليست أنواعا للكلام وأقساما له، فإن الواحد بالعين لا يقبل." (٢)

"ص -٧٢- يكن هنا ما يميز بين النهي والخبر، ولا ما يجعل معاني آية الوضوء غير معاني آية الدين، فإن الحروف المخلوقة الدالة على ذلك المعنى إن لم تدل إلا عليه، فلا تعدد فيه ولا تنويع، وإن

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٦٨/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٦٩/٢٣٨

دلت على التعلقات التي هي عدمية، فالعدم ليس بشيء حتى يكون أمرا ونهيا وخبرا، وليس عند هؤلاء إلا ذلك المعنى وتعلقه بالحقائق المخبر عنها والمأمور بها، ونفس القرآن **العربي** المخلوق عندهم هو الدال على ذلك المعنى، فالمدلول إن كان هو ذلك المعنى، فلا يتميز فيه أمر عن خبر، ولا أمر بصلاة عن أمر بزكاة، ولا نهي عن الكفر عن إخبار بتوحيد . وإن كانت التعلقات عدمية، فالمعدوم ليس بشيء، ولا يكون العدم أمرا ونهيا وخبرا، ولا يكون مدلول التوراة والإنجيل والقرآن وسائر كتب الله أمورا عدمية لا وجود لها، ولا تكون الأمور العدمية هي التي بها وجبت الصلاة وحرم الظلم، ولا يكون المعنى الواحد بتلك الأمور العدمية إلا صفات إضافية، وهي من معنى السلبية، فإنها إن لم تكن سلب أمر موجود، فهي تعلق ليس بموجود . فحقيقة الأمر على قول هؤلاء أنه ليس لله كلام لا معان ولا حروف إلا بمعنى واحد لا حقيقة له موجودة ولا معلومة .

ومن حجة هؤلاء : أنه إذا قيل : بعضه أفضل من بعض؛ كان المفضول ناقصا عن الفاضل، وصفات الله كاملة لا نقص فيها، والقرآن." (١)

"ص -٧٤- بعض، لا في نفسه، ولا في لوازمه ومتعلقاته؛ فضلا عن أن يكون هذا إجماعا .

وليس هو لازما لابن كلاب ومن وافقه -كالأشعري وأتباعه- فإن هؤلاء يجوزون وقوع المفاضلة في القرآن **العربي**، وهو مخلوق عندهم . وهذا المخلوق يسمى [كتاب الله] ، والمعنى القديم يسمى [كلام الله] ، ولفظ [القرآن] يراد به عندهم ذلك المعنى القديم، والقرآن **العربي** المخلوق . وحينئذ فهم يتأولون ما ورد من تفضيل بعض القرآن على بعض على القرآن المخلوق عندهم .

وإنما القول المتواتر عن أئمة السلف أنهم قالوا : القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنهم أنكروا مقالة الجهمية الذين جعلوا القرآن مخلوقا منفصلا عن الله، بل كفروا من قال ذلك . والكتب الموجودة فيها ألفاظهم بأسانيدها وغير أسانيدها كثيرة، مثل كتاب [الرد على الجهمية] للإمام أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم، و [الرد على الجهمية] لعبد الله بن محمد الجعفي شيخ البخاري و [الرد على الجهمية] للحكم بن معبد الخزاعي، و [كتاب السنة] لعبد الله بن أحمد بن حنبل، و [السنة] لحنبل ابن عم الإمام أحمد، و [السنة] لأبي داود السجستاني، و [السنة] للأثرم، و [السنة] لأبي بكر الخلال، و [السنة والرد على أهل الأهواء] لخشيش بن أصرم،." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٧١/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٧٣/٢٣٨

"ص -٨١- أريد بها من آمن ببعضه وكفر ببعضه، أو أريد بها من عضهه فقال : هو سحر وشعر ونحو ذلك، بل من نفي فضل ﴿قل هو الله أحد ﴾ على ﴿تبت يدا أبي لهب ﴾ فهو أولى بأن يكون ممن جعله عضين؛ إن دلت الآية على هذه المسألة .

وذلك أن من آمن بما وصف الله به كلامه فأقر بأنه جميعه كلام الله، وأقر به كله، فلم يكفر بحرف منه، وعلم أن كلام الله أفضل من كل كلام، وأن خير الكلام كلام الله، وأنه لا أحسن من الله حديثا ولا أصدق منه قيلا، وأقر بما أخبر الله به ورسوله من فضل بعض كلامه، كفضل [فاتحة الكتاب] ، و [آية الكرسي] ، و ﴿قل هو الله أحد ﴾ ، ونحو ذلك، بل وتفضيل [يس] ، و [تبارك] ، والآيتين من آخر سورة البقرة، بل وتفضيل [البقرة] ، و [آل عمران] وغير ذلك من السور والآيات التي نطقت النصوص بفضلها، وأقر بأنه كلام الله ليس منه شيء كلاما لغيره لا معانيه ولا حروفه، فهو أبعد عن جعله عضين ممن لم يؤمن بما فضل الله به بعضه على بعض، بل آمن بفضله من جهة المتكلم، ولم يؤمن بفضله من جهة المتكلم فيه؛ فإن هذا في الحقيقة آمن به من وجه دون وجه .

وكذلك من قال : إنه معنى واحد، وأن القرآن العربي لم يتكلم الله به، بل هو مخلوق خلقه الله في الهواء أو أحدثه جبريل أو محمد، فهذا." (١)

"ص -٨٢- أولى بأن يكون داخلا فيمن عضه القرآن، ورماه بالإفك، وجعل القرآن العربي كلام مخلوق إما بشر وإما ملك وإما غيرهما فمن جعل القرآن كله كلام الله ليس بمخلوق ولا هو من إحداث مخلوق لا جبريل ولا محمد ولا شيء منه، بل جبريل رسول ملك، ومحمد رسول بشر، والله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس، فاصطفى لكلامه الرسول الملكي، فنزل به على الرسول البشري الذي اصطفاه، وقد أضافه إلى كل من الرسولين؛ لأنه بلغه وأداه، لا لأنه أنشأه وابتداه، قال تعالى : ﴿إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ﴾ [التكوير : ١٩ : ٢١] ، فهذا نعت جبريل الذي قال فيه : ﴿من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾ [البقرة : ٩٧] ، وقال : ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾ [الشعراء ١٩٣ : ١٩٥] ، وقال : ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾ [النحل ١٠١ : ١٠٢] ، وقال في الآية الأخرى : ﴿إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٣٨/٨٠

باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ [الحاقة ٤٠ : ٤٧] ، فهذه صفة محمد صلى الله عليه وسلم .

وأضاف القول إلى كل منهما باسم الرسول فقال : ﴿لقول رسول ﴾ ؛." (١)

"ص -٨٨- قد سبقه غيره والقديم لا يسبقه غيره، والصوت المعين لا يبقي زمانين، فكيف يكون قديما ؟ ! فقال بأن القديم هو المعنى، ثم جعل المعنى واحدا لا يتعدد ولا يتبعض؛ لامتناع اختصاصه بعدد معين، وامتناع معان لا نهاية لها في آن واحد، وجعل القرآن العربي ليس هو كلام الله .

فلما شاع قوله، وعرف جمهور المسلمين فساده شرعا وعقلا، قالت طائفة أخرى ممن وافقته على مذهب السلف : إن القرآن كلام الله غير مخلوق، وعلى الأصل الذي أحدثه من القول بقدم القرآن : إن القرآن قديم، وهو مع ذلك الحروف المتعاقبة والأصوات المؤلفة . فصار قول هؤلاء مركبا من قول المعتزلة وقول الكلابية، فإذا ناظروا المعتزلة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق؛ ناظروهم بطريقة ابن كلاب، وإذا ناظرهم الكلابية على أن القرآن العربي كلام الله وأن القرآن الذي يقرأه المسلمون كلام الله؛ ناظروهم بحجج المعتزلة، وليس شيء من هذه الأقوال قول أحد من السلف كما بسط في غير هذا الموضع، ولا قال شيئا من هذه الأقوال لا الأئمة الأربعة ولا أصحابهم الذين أدركوهم، وإنما قاله -ممن ينتسب إليهم- بعض المتأخرين الذين تلقوها عمن قالها من أهل الكلام، ولم يكن لهم خبرة لا بأقوال السلف التي دل عليها الكتاب والسنة والعقل الصريح،." (٢)

"ص -١٤٢- لم يلزم من نفي الجهل ثبوت علم بشيء من الأشياء، بل كان النفيان عدمين محضين فكيف يعقل التفاضل في الشيء الواحد من كل وجه ؟ فإنه لا يعقل في العدم المحض والنفي الصرف، فإن ذلك ليس بشيء أصلا، ولا حقيقة له في الوجود ولا فيه كمال ولا مدح، وإنما يكون التفاضل بصفات الكمال، والكمال لابد أن يكون وجودا قائما بنفسه أو صفة موجودة قائمة بغيرها، فأما العدم المحض فلا كمال فيه أصلا .

ولهذا إنما يصف الله نفسه بصفات التنزيه، لا السلبية العدمية؛ لتضمنها أمورا وجودية تكون كمالا يتمدح

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٨١/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٨٧/٢٣٨

سبحانه بها، كما قد بسط في غير هذا الموضع، كقوله تعالى : ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، فنفي ذلك يتضمن كمال الحياة والقيومية، وكذلك قوله : ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، يتضمن كمال الملك والربوبية وانفراده بذلك، ونفس انفراده بالملك والهداية والتعليم وسائر صفات الكمال هو من صفات الكمال؛ ولهذا كانت السورة فيها الاسمان الأحد الصمد، وكل منهما يدل على الكمال . فقوله : ﴿أحد﴾ يدل على نفي النظير، وقوله : ﴿الصمد﴾ بالتعريف يدل على اختصاصه بالصمدية .

ولهذا جاء التعريف في اسمه الصمد دون الأحد؛ لأن أحدا لا يوصف به في الإثبات غيره، بخلاف الصمد، فإن **العرب** تسمى السيد صمدا . قال يحيي بن أبي كثير : الملائكة تسمى صمدا والآدمي أجوف، فقوله .:" (١)

"ص -١٤٧- معان موجودة تقوم به، لم يكن هناك لا علم، ولا سمع، ولا بصر، ولا عزة، ولا قدرة، ليس إلا ذات مجردة عن صفات ومخلوقات، والذات المجردة ليس فيها ما يمكن أن يقع فيه تفاضل ولا تماثل، والمخلوقات لم يكن السؤال عن تفضيل بعضها على بعض، فإن ذلك مما يعلمه كل واحد ولا يشتبه على عاقل .

وكذلك من جعل بعض صفاته بعضا، أو جعل الصفة هي الموصوف، مثل من قال : العلم هو القدرة، والعلم والقدرة هما العالم القادر، كما يقول ذلك من يقوله من جهمية الفلاسفة ونحوهم .

أو قال : كلامه كله هو معنى واحد قائم بذاته، هو الأمر بكل مأمور والخبر عن كل مخبر به، إن عبر عنه **بالعربية** كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا، وإن معنى آية الكرسي وآية الدين واحد، وإن الأمر والنهي صفات نسبية للكلام ليست أنواعا، بل ذات الكلام الذي هو أمر هو ذات الكلام الذي هو نهى، وإنما تنوعت الإضافة . فهذا الكلام الذي تقوله الكلابية، وإن كان جمهور العقلاء يقولون : إن مجرد تصوره كاف في العلم بفساده، فلا يمكن على هذا القول الجواب بتفضيل كلام الله بعضه على بعض، ولا مماثلة بعضه لبعض؛ لأن الكلام على قولهم شيء واحد بالعين لا." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٤٢/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٤٧/٢٣٨

"ص -١٥٣- له : كلام الله هل بعضه أفضل من بعض ؟ امتنع الجواب على أصله بنعم أو لا؛ لامتناع تبعضه عنده، ولكون العبارة ليست كلاما لله، لكن إذا أريد بالكلام العبارة، أو قيل له : هل بعض القرآن أفضل من بعض وأريد بالقرآن : الكلام **العربي** الذي نزل به جبريل فهو عنده مخلوق لم يتكلم الله به، بل هو عنده إنشاء جبريل أو غيره، أو قيل : هل بعض كتب الله أفضل من بعض وكتاب الله عنده هو القرآن **العربي** المخلوق عنده فهذا السؤال يتوجه على قوله في الظاهر، وأما في نفس الأمر فكلاهما ممتنع على قوله؛ لأن العبارة تدل على المعاني، فإن المعاني القائمة في النفس تدل عليها العبارات، وقد علم أن العبارات تدل على معان متنوعة، وعلى أصله ليس المعنى إلا واحدا، فيمتنع بالضرورة العقلية أن يكون القرآن **العربي** كله والتوراة والإنجيل وسائر ما يضاف إلى الله من العبارات، إنما يدل على معنى واحد لا يتعدد ولا يتبعض، وحينئذ فتبعض العبارات الدالة على المعاني بدون تبعض تلك المعاني ممتنع .

ولهذا قيل لهم : موسي عليه السلام لما سمع كلام الله أسمعه كله، أم سمع بعضه ؟ إن قلتم : كله، فقد علم كل ما أخبر الله به وما أمر به . وقد ثبت في الصحيح أن الخضر قال له : " ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر " . وقد." (١)

"ص -١٧٨- فأخبر أنه يأمر بما هو معروف وينهى عما هو منكر، ويحل ما هو طيب ويحرم ما هو خبيث .

ولو كان المعروف لا معنى له إلا المأمور به، والمنكر لا معنى له إلا ما حرم، لكان هذا كقول القائل : يأمرهم بما يأمرهم وينهاهم عما ينهاهم، ويحل لهم ما أحل لهم ويحرم عليهم ما حرم عليهم . وهذا كلام لا فائدة فيه، فضلا عن أن يكون فيه تفضيل له على غيره . ومعلوم أن كل من أمر بأمر يوصف بذلك، وكل نبي بعث فهذه حاله . وقد قال تعالى : ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾ [النساء : ١٦٠] ، فعلم أن الطيب وصف للعين، وأن الله قد يحرمها مع ذلك عقوبة للعباد، كما قال تعالى لما ذكر ما حرمه على بني إسرائيل : ﴿ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون ﴾ [الأنعام : ١٤٦] ، وقال تعالى : ﴿يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات ﴾ [المائدة : ٤] فلو كان معنى الطيب هو ما أحل، كان الكلام لا فائدة فيه، فعلم أن الطيب والخبيث وصف قائم بالأعيان .

وليس المراد به مجرد التذاذ الأكل، فإن الإنسان قد يلتذ بما يضره من السموم وما يحميه الطبيب منه، ولا

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٥٣/٢٣٨

المراد به التذاذ طائفة من الأمم كالعرب، ولا كون العرب تعودته، فإن مجرد كون أمة من الأمم تعودت أكله وطاب لها، أو كرهته لكونه ليس في بلادها لا." (١)

"ص -١٧٩- يوجب أن يحرم الله على جميع المؤمنين ما لم تعتده طباع هؤلاء، ولا أن يحل لجميع المؤمنين ما تعودوه . كيف وقد كانت العرب قد اعتادت أكل الدم والميتة وغير ذلك وقد حرمه الله تعالى ؟ ! وقد قيل لبعض العرب : ما تأكلون ؟ قال : ما دب ودرج، إلا أم حبين . فقال : ليهن أم حبين العافية . ونفس قريش كانوا يأكلون خبائث حرمها الله، وكانوا يعافون مطاعم لم يحرمها الله . وفي الصحيحين، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قدم له لحم ضب فرفع يده ولم يأكل، فقيل : أحرام هو يارسول الله ؟ قال : " لا، ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه " . فعلم أن كراهة قريش وغيرها لطعام من الأطعمة لا يكون موجبا لتحريمه على المؤمنين من سائر العرب والعجم .

وأيضا، فإن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يحرم أحد منهم ما كرهته العرب، ولم يبح كل ما أكلته العرب، وقوله تعالى : ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبآئث ﴾ [الأعراف : ١٥٧] ، إخبار عنه أنه سيفعل ذلك، فأحل النبي صلى الله عليه وسلم الطيبات وحرم الخبائث مثل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير، فإنها عادية باغية، فإذا أكلها الناس والغاذي شبيه بالمغتذي صار في أخلاقهم شوب من أخلاق هذه البهائم وهو البغي والعدوان، كما حرم الدم المسفوح؛ لأنه مجمع قوى النفس الشهوية الغضبية، وزيادته توجب طغيان هذه القوى وهو." (٢)

"ص -١٨٣- ونحو ذلك إلا مقرين لذلك قائلين بموجبه .

والنبي صلى الله عليه وسلم سأل أبيا : " أي آية في كتاب الله أعظم ؟ " فأجابه أبي بأنها آية الكرسي، فضرب بيده في صدره وقال : " ليهنك العلم أبا المنذر " . ولم يستشكل أبي ولا غيره السؤال عن كون بعض القرآن أعظم من بعض، بل شهد النبي صلى الله عليه وسلم بالعلم لمن عرف فضل بعضه على بعض وعرف أفضل الآيات، وكذلك قوله تعالى : ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها ﴾ [البقرة : ١٠٦] .

وما رأيتهم تنازعوا في تفسير ﴿بخير منها ﴾ ، فإن هذه الآية فيها قراءتان مشهورتان : قراءة الأكثرين : ﴿أو ننسها ﴾ من أنساه ينسيه، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو : [أو ننسأها] بالهمز من نسأه ينسأه . فالأول من النسيان، والثاني من نسأ إذا أخر . قال أهل اللغة : نسأتة نسأ : إذا أخرته . وكذلك أنسأته، يقال : نسأته

(١) مجموع الفتاوى ، ١٧٩/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٨٠/٢٣٨

البيع وأنسأته . قال الأصمعي : أنسأ الله في أجله ونسأ في أجرله بمعنى . ومن هذه المادة بيع النسيئة .
ومن كلام العرب : من أراد النساء ولا نساء، فليبكر الغداء، وليخفف الرداء، وليقلل من غشيان النساء .
فأما القراءة الأولى فمعناها ظاهر عند أكثر المفسرين، قالوا : المراد به ما أنساه الله من القرآن كما جاءت الآثار بذلك، فإن ما يرفع." (١)

"ص -٢١٧- وقال الزجاج : هو الذي ينتهي إليه السؤدد، فقد صمد له كل شيء، أي : قصد قصده، وقد أنشدوا في هذا بيتين مشهورين .

أحدهما :

ألا بكر الناعي بخيري بني أسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وقال الآخر :

علوته بحسام ثم قلت له خذها حذيف فأنت السيد الصمد

وقال بعض أهل اللغة : الصمد : هو السيد المقصود في الحوائج، تقول العرب : صمدت فلانا أصمده بكسر الميم وأصمده بضم الميم صمدا بسكون الميم إذا قصدته، والمصمود صمد كالقبض بمعني المقبوض، والنقض بمعني المنقوض . ويقال : بيت مصمود ومصمد، إذا قصده الناس في حوائجهم . قال طرفة :

وإن يلتق الحي الجميع تلاقني إلى ذروة البيت الرفيع المصمد

وقال الجوهري : صمده يصمده صمدا : إذا قصده . والصمد بالتحريك : السيد؛ لأنه يصمد إليه في الحوائج، ويقال : بيت مصمد بالتشديد أي : مقصود .." (٢)

"ص -٢٢٨- والجمع والسؤدد معانيها متشابهة، فيها الجمع والقوة : ويقال : طعام عفص وفيه عفوصة، أي : تقبض، ومنه العفص الذي يتخذ منه الحبر .

وقد قال الجوهري : هو مولد ليس من كلام أهل البادية . وهذا لا يضر؛ لأنه لم يكن عندهم عفص يسمونه بهذا الاسم، لكن التسمية به جارية على أصول كلام العرب، وكذلك تسميتهم لما يدخل في فمها صمام، فإن هذه المادة فيها معنى الجمع والسد .

قال الجوهري : صمام القارورة سدادها، والحجر الأصم : الصلب المصمت، والرجل الأصم : هو الذي لا يسمع؛ لانسداد سمعه، والرجل الصمة : الشجاع، والصمة : الذكر من الحيات، وصميم الشيء : خالصة،

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٨٤/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢١٨/٢٣٨

حيث لم يدخل إليه ما يفرقه ويضعفه، يقال : صميم الحر، وصميم البرد، وفلان من صميم قومه، والصمصام : الصارم القاطع الذي لا ينثني، وصمم في السير وغيره، أي : مضي، ورجل صم، أي : غليظ .
ومنه في الاشتقاق الأكبر الصوم، فإن الصوم هو الإمساك . قال أبو عبيدة : كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم؛ لأن الإمساك فيه اجتماع، والصائم لا يدخل جوفه شيء، ويقال : صام الفرس، إذا قام في غير اعتلاف . قال النابغة :
خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما." (١)

"ص -٢٢٩- وكذلك السد والسداد والسؤدد والسواد، وكذلك لفظ الصمد فيه الجمع، والجمع فيه القوة، فإن الشيء كلما اجتمع بعضه إلى بعض، ولم يكن فيه خلل كان أقوي مما إذا كان فيه خلو؛ ولهذا يقال للمكان الغليظ المرتفع : صمد؛ لقوته وتماسكه، واجتماع أجزائه، والرجل الصمد : هو السيد المصمود، أي : المقصود، يقال : قصدته وقصدت له، وقصدت إليه، وكذلك هو مصمود، ومصمود له وإليه . والناس إنما يقصدون في حوائجهم من يقوم بها، وإنما يقوم بها من يكون في نفسه مجتمعا قويا ثابتا، وهو السيد الكريم، بخلاف من يكون هلوعا جزوعا يتفرق ويقلق ويتمزق من كثرة حوائجهم وثقلها، فإن هذا ليس بسيد صمد يصمدون إليه في حوائجهم .
فهم إنما سموا السيد من الناس صمدا؛ لما فيه من المعنى الذي لأجله يقصده الناس في حوائجهم، فليس معني السيد في لغتهم معني إضافي فقط كلفظ القرب والبعد بل هو معني قائم بالسيد؛ لأجله يقصده الناس . والسيد من السؤدد والسواد . وهذا من جنس السداد في الاشتقاق الأكبر، فإن **العرب** تعاقب بين حرف العلة والحرف المضاعف، كما يقولون : تقضي البازي، وتقضض . والساد : هو الذي يسد غيره، فلا يبقي فيه خلو، ومنه سداد القارورة، وسداد الثغر بالكسر فيهما، وهو ما يسد ذلك، ومنه السداد بالفتح وهو الصواب، ومنه القول السديد . قال." (٢)

"ص -٢٣٢- فهذا إذا عني به أن أحدهما تكلم به قبل الآخر لم يقم على هذا دليل في أكثر المواضع، وإن عني به أن أحدهما متقدم على الآخر في العقل لكون هذا مفردا وهذا مركبا، فالفعل مشتق من المصدر، والاشتقاق الأصغر اتفاق القولين في الحروف وترتيبها، والأوسط اتفاقهما في الحروف لا في الترتيب، والأكبر اتفاقهما في أعيان بعض الحروف وفي الجنس لا في الباقي، كاتفاقهما في كونهما من

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٢٩/٢٣٨
(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٣٠/٢٣٨

حروف الحلق، إذا قيل : حزر وعزر وأزر، فإن الجميع فيه معني القوة والشدة، وقد اشتركت مع الراء والزاي والحاء، في أن الثلاثة حروف حلقية، وعلى هذا فإذا قيل : الصمد بمعني المصمت، وأنه مشتق منه بهذا الاعتبار، فهو صحيح؛ فإن الدال أخت التاء، فإن الصمت السكوت، وهو إمساك وإطباق للفم عن الكلام .

قال أبو عبيد : المصمت : الذي لا جوف له، وقد أصمته أنا، وباب مصمت : قد أبهم إغلاقه، والمصمت من الخيل : البهيم، أي : لا يخالط لونه لون آخر . ومنه قول ابن عباس : إنما حرم من الحرير المصمت . فالمصمد والمصمت متفقان في الاشتقاق الأكبر، وليست الدال منقلبة عن التاء، بل الدال أقوي، والمصمد أكمل في معناه من المصمت، وكلما قوي الحرف كان معناه أقوي، فإن لغة **العرب** في غاية الإحكام والتناسب؛ ولهذا كان الصمت : إمساك عن الكلام مع." (١)

"ص -٢٤٢- قال غير واحد من المفسرين : هما شجرتان يقال لأحدهما : المرخ، والأخرى : العفار . فمن أراد منهما النار؛ قطع منهما غصنين مثل السواكين، وهما خضراوان يقطر منهما الماء، فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو أنثي فتخرج منهما النار بإذن الله تعالي . وتقول **العرب** : في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار . وقال بعض الناس : في كل شجرة نار إلا العناب، ﴿فإذا أنتم منه توقدون ﴾ [يس : ٨٠] ، فذلك زنادهم .

وقد قال أهل اللغة الجوهري وغيره : الزند : العود الذي يقدح به النار، وهو الأعلي . والزندة السفلي فيها ثقب، وهي الأنثي، فإذا اجتمعا قيل : زندان .

وقال أهل الخبرة بهذا : إنهم يسحقون الثقب الذي في الأنثي بالأعلى كما يفعل ذكر الحيوان في أنثاه، فبذلك السحق والحك يخرج منهما أجزاء ناعمة تنقدح منها النار، فتتولد النار من مادة الذكر والأنثي كما يتولد الولد من مادة الرجل والمرأة، وسحق الأنثي بالذكر وقدحها به يقتضي حرارة كل منهما، ويتحلل من كل منهما مادة تنقدح منها النار، كما أن إيلاج ذكر الحيوان في أنثاه بقدح وحك فرجها بفرجه، فتقوي حرارة كل منهما، ويتحلل من كل منهما مادة تمتزج بالأخرى، ويتولد منهما الولد، ويقال : علقت النار في المحل الذي يقدح عليه، الذي هو." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٣٣/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٤٣/٢٣٨

"ص -٢٧٢- ومنهم إبليس وهم بنات الله . وقال الكلبي قالوا لعنهم الله : بل تزوج من الجن فخرج بينهما الملائكة .

وقوله : ﴿وخرقوا له بنين وبنات بغير علم﴾ [الأنعام : ١٠٠] ، قال بعض المفسرين كالثعلبي : وهم كفار **العرب** قالوا : الملائكة والأصنام بنات الله . واليهود قالوا : عزير ابن الله . والنصارى قالوا : المسيح ابن الله .

فصل

وأما الذين كانوا يقولون من **العرب** : إن الملائكة بنات الله، وما نقل عنهم من أنه صاهر الجن، فولدت له الملائكة فقد نفاه الله عنه بامتناع الصاحبة، وبامتناع أن يكون منه جزء فإنه صمد، وقوله : ﴿ولم تكن له صاحبة﴾ [الأنعام : ١٠١] . وهذا كما تقدم من أن الولادة لا تكون إلا من أصلين سواء في ذلك تولد الأعيان التي تسمي الجواهر، وتولد الأعراض والصفات، بل ولا يكون تولد الأعيان إلا بانفصال جزء من الوالد . فإذا امتنع أن يكون له صاحبة امتنع أن يكون له ولد، وقد علموا كلهم ألا صاحبة له لا من الملائكة ولا من الجن ولا من الإنس، فلم يقل أحد منهم : إن له صاحبة؛ فلهذا احتج بذلك عليهم . وما حكي عن بعض كفار **العرب** : أنه صاهر الجن، فهذا فيه نظر، وذلك إن." (١)

"ص -٢٨٢- بأنفسهما، فتبين فساد ما قالوه بكل وجه .

وخامسها : أن يقال : من المعلوم عند الخاصة والعامة أن المعنى الذي خص به المسيح إنما هو أن خلق من غير أب، فلما لم يكن له أب من البشر، جعل النصارى الرب أباه، وبهذا ناظر نصاري نجران النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا : إن لم يكن هو ابن الله، فقل لنا من أبوه ؟ فعلم أن النصارى إنما ادعوا فيه البنوة الحقيقية، وأن ما ذكر من كلام علمائهم هو تأويل منهم للمذهب؛ ليزيلوا به الشناعة التي لا يبلغها عاقل، وإلا فليس في جعله ابن الله وجه يختص به معقول، فعلم أن النصارى جعلوه ابن الله، وأن الله أحبل مريم، والله هو أبوه، وذلك لا يكون إلا بإنزال جزء منه فيها، وهو سبحانه الصمد، ويلزمهم أن تكون مريم صاحبة وزوجة له؛ ولهذا يتألهونها كما أخبر الله عنهم . وأي معنى ذكروه في بنوة عيسى غير هذا لم يكن فيه فرق بين عيسى وبين غيره، ولا صار فيه معنى البنوة، بل قالوا كما قال بعض مشركي **العرب** : إنه صاهر الجن فولدت له الملائكة . وإذا قالوا : اتخذه ابنا على سبيل الاصطفاء، فهذا هو المعنى الفعلي، وسيأتي إن شاء الله تعالى إبطاله .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٧٦/٢٣٨

وقوله تعالى : ﴿وروح منه ﴾ [النساء : ١٧١] ، ليس فيه أن بعض الله صار في عيسي، بل من لابتداء الغاية، كما قال : ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه ﴾ [الجاثية : ١٣] ،." [١]

"ص -٢٨٦- فصل

وأما ما يقوله الفلاسفة القائلون بأن العالم قديم صدر عن علة موجبة بذاته، وأنه صدر عنه عقل، ثم عقل، ثم عقل، إلى تمام عشرة عقول، وتسعة أنفس وقد يجعلون العقل بمنزلة الذكر، والنفس بمنزلة الأنثي فهؤلاء قولهم أفسد من قول مشركي العرب وأهل الكتاب عقلا وشرعا، ودلالة القرآن على فساده أبلغ، وذلك من وجوه :

أحدها : أن هؤلاء يقولون بقدم الأفلاك، وقدم هذه الروحانيات التي يثبتونها، ويسمونها المجردات والمفارقات، والجواهر العقلية، وأن ذلك لم يزل قديما أزليا، وما كان قديما أزليا، امتنع أن يكون مفعولا بوجه من الوجوه، ولا يكون مفعولا إلا ما كان حادثا، وهذه قضية بديهية عند جماهير العقلاء، وعليها الأولون والآخرون من الفلاسفة، وسائر الأمم؛ ولهذا كان جماهير الأمم يقولون : كل ممكن أن يوجد، وألا يوجد فلا يكون إلا حادثا، وإنما ادعي وجود ممكن قديم معلول طائفة من المتأخرين كـ ا بن سينا ومن وافقه زعموا أن الفلك." [٢]

"ص -٢٩٠- باطل؛ لأن تلك ليست علة فاعلة، وإنما هي شرط فقط، والصادر هناك لم يكن عن أصل واحد، بل عن أصلين، والصادر عرض لا جوهر قائم بنفسه .

فتبين أن ما ذكره هؤلاء من التولد العقلي الذي يدعونه من أبعد الأمور عن التولد والصدور، وهو أبعد من قول النصارى ومشركي العرب، وهم جعلوا مفعولاته بمنزلة صفة أزلية لازمة لذاته . وقد ذكرنا أن هذا مما يمتنع أن يقال فيه : إنه متولد عنه، وحينئذ فهم في دعواهم إلهية العقول والنفوس والكواكب أكفر من هؤلاء وهؤلاء، ومن جعل من المنتسبين إلى الملل منهم هؤلاء هم الملكية، فقوله في جعل الملائكة متولدين عن الله، شر من قول العرب وعوام النصارى، فإن أولئك أثبتوا ولادة حسية، وكونه صمدا يبطلها؛ لكن ما أثبتوه معقول، وهؤلاء ادعوا تولدا عقليا باطلا من كل وجه أبطل مما ادعته النصارى من تولد الكلمة عن الذات، فكان نفي ما ادعوه أولى من نفي ما ادعاه أولئك؛ رأن المحال الذي يعلم امتناعه في الخارج لا يمكن تصوره موجودا في الخارج، فإنه يمتنع وجوده في الخارج، بل هو يفرض في الذهن وجوده في الخارج،

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٨٦/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٩٠/٢٣٨

وذلك إنما يمكن إذا كان له نظير من بعض الوجوه فيقدر له في الوجود الخارجي ما يشبهه، كما إذا قدر مع الله إلها آخر، وقدر أن له ولدا، فإنه يشبه من له ولد من العباد، ومن له شريك من." (١)

"ص -٢٩١- العباد، ثم يبين امتناع ذلك عليه، فكلما كان المحال أبعد عن مشابهة الموجود كان أعظم استحالة .

والولادة التي ادعتها النصارى، ثم هؤلاء الفلاسفة، أبعد عن مشابهة الولادة المعلومة من الولادة التي ادعاها بعض مشركي **العرب** وعوام النصارى واليهود، فكانت هذه الولادة العقلية أشد استحالة من تلك الولادة الحسية؛ إذ الولادة الحسية تعقل في الأعيان القائمة بنفسها، وأما الولادة العقلية فلا تعقل في الأعيان أصلا . وأيضا، فأولئك أثبتوا ولادة من أصلين، وهذا هو الولادة المعقولة، وهؤلاء أثبتوا ولادة من أصل واحد، وأولئك أثبتوا ولادة بانفصال جزء، وهذا معقول . وهؤلاء أثبتوا ولادة بدون ذلك، وهو لا يعقل، وأولئك أثبتوا ولادة قاسوها على ولادة الأعيان للأعيان، وهؤلاء أثبتوا ولادة قاسوها على تولد الأعراض عن الأعيان، فعلم أن قول أولئك أقرب إلى المعقول وهو باطل كما بين الله فساده وأنكره . فقول هؤلاء أولى بالبطلان، وهذا كما أن الله إذا كفر من أثبت مخلوقا يتخذ شفيعا معبودا من دون الله، فمن أثبت قديما دون الله يعبد، ويتخذ شفيعا كان أولى بالكفر، ومن أنكر المعاد مع قوله بحدوث هذا العالم فقد كفره الله، فمن أنكره مع قوله بقدم العالم فهو أعظم كفرا عند الله تعالى .

وهذا كما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نهى أمته عن مشابهة." (٢)

"ص -٢٩٢- فارس المجوس والروم النصارى، فنهيه عن مشابهة الروم اليونان المشركين والهند المشركين أعظم وأعظم . وإذا كان ما دخل في بعض المسلمين من مشابهة اليهود والنصارى وفارس والروم مذموما عند الله ورسوله، فما دخل من مشابهة اليونان والهند والترك المشركين وغيرهم من الأمم الذين هم أبعد عن الإسلام من أهل الكتاب ومن فارس والروم أولى أن يكون مذموما عند الله تعالى وأن يكون ذمه أعظم من ذاك .

فهؤلاء الأمم الذين هم أبعد عن الإسلام الذين ابتلي بهم أواخر المسلمين شر من الأمم الذين ابتلي بهم أوائل المسلمين؛ وذلك لأن الإسلام كان أهله أكمل وأعظم علما ودينا، فإذا ابتلي بمن هو أرجح من هؤلاء غلبهم المسلمون لفضل علمهم ودينهم، وأما هؤلاء المتأخرون فالمسلمون وإن كانوا أنقص من سلفهم، فإنه

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٩٤/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٩٥/٢٣٨

يظهر رجحانهم على هؤلاء لعظم بعدهم عن الإسلام، ولكن لما كثرت البدع من متأخرى المسلمين، استطال عليهم من استطال من هؤلاء، ولبسوا عليهم دينهم، وصارت شبه الفلاسفة أعظم عند هؤلاء من غيرهم، كما صار قتال الترك الكفار أعظم من قتال من كان قبلهم عند أهل الزمان؛ لأنهم إنما ابتلوا بسيوف هؤلاء، وألسنة هؤلاء، وكان فيهم من نقص الإيمان ما أورث ضعفا في العلم والجهاد، وكما كان كثير من **العرب** في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا هذا .." (١)

"ص -٢٩٣- ومما يبين هذا أن مشركي **العرب** واليهود والنصارى يقولون : إن الله خلق السموات والأرض بمشيئته وقدرته، بل يقولون : إنه خلق ذلك في ستة أيام، وهؤلاء المتفلسفة عندهم لم يحدثها بعد أن لم تكن، فضلا عن أن يكون ذلك في ستة أيام، ثم يلبسون على المسلمين فيقولون : العالم محدث، يعنون بحدوثه أنه معلول علة قديمة، فهو بمنزلة قولهم : متولد عن الله تعالى لكن هو أمر لا حقيقة له ولا يعقل .

وأيضا، فمشركو **العرب** وأهل الكتاب يقرون بالملائكة وإن كان كثير منهم يجعلون الملائكة والشياطين نوعا واحدا، فمن خرج منهم عن طاعة الله أسقطه وصار شيطانا، وينكرون أن يكون إبليس كان أبا الجن، وأن يكون الجن ينكحون ويولدون ويأكلون ويشربون، فهؤلاء النصارى الذين ينكرون هذا مع كفرهم هم خير من هؤلاء المتفلسفة، فإن هؤلاء لا حقيقة للملائكة عندهم إلا ما يثبتونه من العقول والنفوس، أو من أعراض تقوم بالأجسام كالقوى الصالحة، وكذلك الجن جمهور أولئك يثبتونها، فإن **العرب** كانت تثبت الجن، وكذلك أكثر أهل الكتاب، وهؤلاء لا يثبتونها، ويجعلون الشياطين القوى الفاسدة . وأيضا، فمشركو **العرب** مع أهل الكتاب يدعون الله، ويقولون : إنه يسمع دعاءهم ويجيبهم .

وهؤلاء عندهم لا يعلم شيئا من جزئيات العالم، ولا يسمع دعاء أحد." (٢)

"ص -٢٩٤- ولا يجيب أحدا، ولا يحدث في العالم شيئا ولا سبب للحدوث عندهم إلا حركات الفلك، والدعاء عندهم يؤثر؛ لأنه تصرف النفس الناطقة في هيولى العالم . وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يقول الله عز وجل : شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك، وكذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك، فأما شتمه إياي فقوله : إني اتخذت ولدا وأنا الأحد الصمد، الذي لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفوا أحد، وأما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٩٦/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٩٧/٢٣٨

بدأني وليس أول الخلق بأهون على من إعادته " .

وهذا وإن كان متناولا قطعا لكفار **العرب** الذين قالوا هذا وهذا، كما قال تعالى : ﴿ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا﴾ إلى قوله : ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السماوات يتفطرن منه﴾ [مريم : ٨٨ : ٩٠] ، فذكر الله هذا وهذا، فتناول النصوص لهؤلاء بطريق الأولى، فإن هؤلاء ينكرون الإعادة والابتداء أيضا فلا يقولون : إن الله ابتدأ خلق السموات والأرض، ولا كان للبشر ابتداء أولهم آدم، وأما شتمهم إياه بقولهم : اتخذ ولدا، فهؤلاء عندهم الفلك كله لازم له معلول له، أعظم من لزوم الولد والده، والوالد له اختيار وقدرة في حدوث الولد منه، وهؤلاء عندهم ليس لله مشيء ة وقدرة في لزوم الفلك له، بل ولا يمكنه أن يدفع لزومه عنه، فالتولد الذي يثبتونه أبلغ من التولد الموجود في الخلق، ولا يقولون : إنه اتخذ ولدا بقدرته، فإنه لا يقدر." (١)

"ص -٣١٥- لقد علم الحى من عامر بأن لنا الذروة الأجسما

فهذا الجسم في لغة **العرب**، وعلى هذا فلا يقال للهواء : جسم، ولا للنفس الخارج من الإنسان : جسم، ولا لروحه المنفوخة فيه : جسم . ومعلوم أن الله سبحانه لا يماثل شيئا من ذلك، لا بدن الإنسان ولا غيره، فلا يوصف الله تعالى بشيء من خصائص المخلوقين، ولا يطلق عليه من الأسماء ما يختص بصفات المخلوقين، فلا يجوز أن يقال : هو جسم، ولا جسد .

وأما أهل الكلام، فالجسم عندهم أعم من هذا، وهم مختلفون في معناه اختلافا كثيرا عقليا، واختلافا لفظيا اصطلاحيا . فهم يقولون : كل ما يشار إليه إشارة حسية فهو جسم، ثم اختلفوا بعد هذا، فقال كثير منهم : كل ما كان كذلك فهو مركب من الجواهر الفردة، ثم منهم من قال : الجسم أقل ما يكون جوهرا، بشرط أن ينضم إلى غيره . وقيل : بل الجوهران، والجواهر فصاعدا . وقيل : بل أربعة فصاعدا . وقيل : بل ستة . وقيل : بل ثمانية . وقيل : بل ستة عشر . وقيل : بل اثنان وثلاثون، وهذا قول من يقول : إن الأجسام كلها مركبة من الجواهر التي لا تنقسم .

وقال آخرون من أهل الفلسفة : كل الأجسام مركبة من الهيولى." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٩٨/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣٢١/٢٣٨

"ص –٣١٨– ولا أبدان الحيوان مثل الحديد والجبال، فكيف يوافقونك على أن الرب تعالى يكون مماثلا لخلقه، إذا أثبتوا له ما أثبت له الكتاب والسنة ؟ ! والله تعالى قد نفي المماثلات في بعض المخلوقات، وكلاهما جسم كقوله : ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ [محمد : ٣٨] ، مع أن كلاهما بشر، فكيف يجوز أن يقال : إذا كان لرب السموات علم وقدرة أنه يكون مماثلا لخلقه ؟ ! والله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله .

ونكتة الأمر : أن الجسم في اعتقاد هذا النافي يستلزم مماثلة سائر الأجسام، ويستلزم أن يكون مركبا من الجواهر الفردة، أو من المادة والصورة، وأكثر العقلاء يخالفونه في هذا التلازم، وهذا التلازم منتف باتفاق الفريقين، وهو المطلوب .

فإذا اتفقوا على انتفاء النقص المنفي عن الله شرعا وعقلا؛ بقي بحثهم في الجسم الاصطلاحى : هل هو مستلزم لهذا المحذور ؟ وهو بحث عقلى، كبحث الناس في الأعراض : هل تبقي أو لا تبقي ؟ وهذا البحث العقلى لم يرتبط به دين المسلمين، بل لم ينطق كتاب ولا سنة ولا أثر من السلف بلفظ الجسم في حق الله تعالى لا نفيا ولا إثباتا، فليس لأحد أن يبتدع اسما مجملا يحتمل معاني مختلفة، لم ينطق به الشرع ويعلق به دين المسلمين، ولو كان قد نطق باللغة العربية، فكيف إذا." (١)

"ص –٣٢٠– الشرع عليه فيبينه بالألفاظ الشرعية، وإن قدر أن الشرع لم يدل عليه لم يكن مما يجب على الناس اعتقاده، وحينئذ فليس لأحد أن يدعو الناس إليه، وإن قدر أنه في نفسه حق .

ومسألة تماثل الأجسام وتركيبها من الجواهر الفردة، قد اضطرب فيها جماهير أهل الكلام، وكثير منهم يقول بهذا تارة وبهذا تارة؛ وأكثر ذلك لأجل الألفاظ المجملة والمعاني المتشابهة، وقد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضع .

لكن المقصود هنا أنه لو قدر أن الإنسان تبين له أن الأجسام ليست متماثلة، ولا مركبة لا من هذا ولا من هذا، لم يكن له أن يبتدع في دين الإسلام قوله : إن الله جسم ويناظر على المعنى الصحيح الذي دل عليه الكتاب والسنة، بل يكفيه إثبات ذلك المعنى بالعبارات الشرعية . ولو قدر أنه تبين له أن الأجسام متماثلة، وأن الجسم مركب، لم يكن له أن يبتدع النفي بهذا الاسم، ويناظر على معناه الذي اعتقده بعقله، بل ذلك المعنى المعلوم بالشرع والعقل يمكن إظهاره بعبارة لا إجمال فيها ولا تلبيس . والذين يقولون : إن الجسم

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٢٤/٢٣٨

مركب من الجواهر، يدعى كثير منهم أنه كذلك في لغة العرب؛ لأن العرب يقولون : هذا أجسم من هذا يريدون به أنه أكثر أجزاء منه ويقولون : هذا جسيم، أى : كثير الأجزاء .." (١)

"ص –٣٢١– قال : والتفضيل بصيغة أفعل، إنما يكون لما يدل عليه الاسم، فإذا قيل : هذا أعلم وأحلم، كان ذلك دالا على الفضيلة فيما دل عليه لفظ العلم والحلم، فلما قالوا : أجسم لما كان أكثر أجزاء دل على أن لفظ الجسم عندهم المراد به المركب، فمن قال : جسم وليس بمركب، فقد خرج عن لغة العرب .

قالوا : وهذه تخليطة في اللفظ، وإن كنا لا نكفره، إذا لم يثبت خصائص الجسم من التركيب والتأليف، وقد نازعهم بعضهم في قولهم : هذا أجسم من هذا، وقالوا : ليس هذا اللفظ من لغة العرب، كما يحكى عن أبي زيد، فيقال له : لا ريب أن العرب تقول : هذا جسيم، أي : عظيم الجثة، وهذا أجسم من هذا، أي : أعظم جثة، لكن كون العرب تعتقد أن ذلك لكثرة الأجزاء التي هي الجواهر الفردة، إنما يكون إذا كان أهل اللغة قاطبة يعتقدون أن الجسم مركب من الجواهر الفردة، والجوهر الفرد هو شيء قد بلغ من الصغر والحقارة إلى أنه لا يتميز يمينه من يساره . ومعلوم أن أكثر العقلاء من بني آدم لا يتصور الجوهر الفرد، والذين يتصورونه أكثرهم لا يثبتونه، والذين أثبتوه إنما يثبتونه بطرق خفية طويلة بعيدة، فيمتنع أن يكون اللفظ الشائع في اللغة التي ينطق بها خواصها وعوامها أرادوا به هذا .

وقد علم بالاضطرار أن أحدا من الصحابة والتابعين لهم بإحسان لم." (٢)

"ص –٣٢٢– ينطق بإثبات الجوهر الفرد، ولا بما يدل على ثبوته عنده، بل ولا العرب قبلهم، ولا سائر الأمم الباقين على الفطرة، ولا أتباع الرسل، فكيف يدعى عليهم أنهم لم يقولوا : لفظ جسم إلا لما كان مركبا مؤلفا ؟ ! ولو قلت لمن شئت من العرب : الشمس والقمر والسماء مركب عندك من أجزاء صغار كل منها لا يقبل التجزيء، أو الجبال أو الهواء أو الحيوان أو النبات لم يتصور هذا المعنى إلا بعد كلفة، ثم إذا تصوره قد يكذبه بفطرته، ويقول : كيف يمكن أن يكون شيء لا يتميز منه جانب عن جانب ؟ ! وأكثر العقلاء من طوائف المسلمين وغيرهم ينكرون الجوهر الفرد، فالفقهاء قاطبة تنكره، وكذلك أهل الحديث والتصوف .

ولهذا كان الفقهاء متفقين على استحالة بعض الأجسام إلى بعض، كاستحالة العذرة رمادا، والخنزير ملحا،

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٢٦/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣٢٧/٢٣٨

ثم تكلموا في هذه الاستحالة هل تطهر أم لا تطهر ؟ والقائلون بالجوهر الفرد لا تستحيل الذوات عندهم، بل تلك الجواهر التي كانت في الأول هي بعينها في الثاني، وإنما اختلف التركيب؛ ولهذا يتكلم بلفظ التركيب في الماء ونحوه من الفقهاء المتأخرين من كان قد أخذ هذا التركيب عن المتكلمين، ويقول : إن الماء يفارق غيره في التركيب فقط . وكذلك القائلون بالجوهر الفرد عندهم : إنا لم نشاهد قط إحداث الله تعالى لشيء من الجواهر والأعيان القائمة بنفسها، وإن جميع ما يخلقه من الحيوان والنبات والمعدن والثمار والمطر." (١)

"ص -٣٢٣- والسحاب وغير ذلك إنما هو جمع الجواهر وتفريقها، وتغيير صفاتها من حال إلى حال، لا أنه يبدع شيئا من الجواهر والأجسام القائمة بأنفسها، وهذا القول أكثر العقلاء ينكره، ويقول : هو مخالف للحس والعقل والشرع، فضلا عن أن يكون الجسم في لغة العرب مستلزما لهذا المعنى .

ثم الجسم قد يراد به الغلظ نفسه، وهو عرض قائم بغيره، وقد يراد به الشيء الغليظ، وهو القائم بنفسه . فنقول : هذا الثوب له جسم، أي : غلظ، وقوله : ﴿وزاده بسطة في العلم والجسم ﴾ [البقرة : ٢٤٧] قد يحتج به على هذا، فإنه قرن الجسم بالعلم الذي هو مصدر . فنقول : المعنى : ﴿وزاده بسطة ﴾ في قدره، فجعل قدر بدنه أكبر من بدن غيره، فيكون الجسم هو القدر نفسه لا نفس المقدر .

وكذلك قوله تعالى : ﴿تعجبك أجسامهم ﴾ [المنافقون : ٤] أي : صورهم القائمة بأبدانهم، كما تقول : أعجبني حسنه وجماله ولونه وبهاؤه، فقد يراد صفة الأبدان، وقد يراد نفس الأبدان، وهم إذا قالوا : هذا أجسم من هذا، أرادوا أنه أغلظ وأعظم منه، أما كونهم يريدون بذلك أن ذلك العظم والغلظ كان لزيادة الأجزاء، فهذا مما يعلم قطعا أنه لم يخطر ببال أهل اللغة، إلا من أخذ ذلك عمن اعتقده من أهل الكلام المحدث الذي أحدث في الإسلام بعد انقراض عصر الصحابة، وأكثر التابعين، فإن هذا لم." (٢)

"ص -٣٣٣- رب كل ما تحت هذا الفلك، والعقل الأول هو رب السموات والأرض وما بينهما، والملاحدة الذين دخلوا معهم من أتباع بني عبيد كأصحاب رسائل إخوان الصفا وغيرهم وكملاحدة المتصوفة، مثل ابن عربى، وابن سبعين، وغيرهما يحتجون لمثل ذلك بالحديث الموضوع : [أول ما خلق الله العقل] . وفي كلام أبي حامد الغزالي في [الكتب المضنون بها على غير أهلها] وغير ذلك من معانى هؤلاء قطعة كبيرة، ويعبر عن مذاهبهم بلفظ الملك والملكوت والجبروت، ومراده بذلك الجسم

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٢٨/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣٢٩/٢٣٨

والنفس والعقل، فيأخذ هؤلاء العبارات الإسلامية، ويودعونها معانى هؤلاء، وتلك العبارات مقبولة عند المسلمين، فإذا سمعوها قبلوها، ثم إذا عرفوا المعاني التي قصدها هؤلاء ضل بها من لم يعرف حقيقة دين الإسلام، وأن هذه معانى هؤلاء الملاحدة ليست هي المعاني التي عناها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإخوانه المرسلون مثل موسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ولهذا ضل كثير من المتأخرين بسبب هذا الالتباس، وعدم المعرفة بحقيقة ما جاء به الرسول، وما يقوله هؤلاء حتى يضل بهم خلق من أهل العلم والعبادة والتصوف، ومن ليس له غرض في مخالفة محمد صلى الله عليه وسلم، بل يحب اتباعه مطلقا، ولو عرف أن هذا مخالف لما جاء به لم يقبله، لكن لعدم كمال علمه بمعانى ما أخبر." (١)

"ص -٣٥٢- وعبر عنه بتلك العبارة وضعا له واصطلاحا اصطلح عليه هو ومن وافقه على ذلك المذهب، وليس ذلك من لغة **العرب** التي نزل بها القرآن، ولا من لغة أحد من الأمم، ثم يجعل ذلك المعنى هو مسمى الأحد والصمد والواحد ونحو ذلك من الأسماء الموجودة في الكتاب والسنة ويجعل ما نفاه من المعاني التي أثبتها الله ورسوله من تمام التوحيد .

واسم [التوحيد] اسم معظم جاءت به الرسل ونزلت به الكتب، فإذا جعل تلك المعانى التي نفاها من التوحد، ظن من لم يعرف مخالفة مراده لمراد الرسول صلى الله عليه وسلم أنه يقول بالتوحيد الذي جاءت به الرسل، ويسمى طائفته الموحدين، كما يفعل ذلك الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم على نفي شيء من الصفات، ويسمون ذلك توحيدا، وطائفتهم الموحدين، ويسمون علمهم علم التوحيد، كما تسمى المعتزلة ومن وافقهم نفي القدر عدلا، ويسمون أنفسهم العدلية، وأهل العدل . ومثل هذه البدع كثير جدا يعبر بألفاظ الكتاب والسنة عن معان مخالفة لما أراده الله ورسوله بتلك الألفاظ، ولا يكون أصحاب تلك الأقوال تلقوها ابتداء عن الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، بل عن شبه حصلت لهم، وأئمة لهم، وجعلوا التعبير عنها بألفاظ الكتاب والسنة حجة لهم، وعمدة لهم؛ ليظهر بذلك أنهم متابعون للرسول صلى الله عليه وسلم لا مخالفون له، وكثير منهم لا يعرفون أن." (٢)

"ص -٣٥٨- فلم يجعلوا مقصوده بالخطاب البيان والهدى، كما وصف الله به كتابه ونبيه حيث قال : ﴿هدى للمتقين﴾ [البقرة : ٢] ، وقال : ﴿هذا بيان للناس﴾ [آل عمران : ١٣٨] ، وقال :

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٣٩/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣٥٨/٢٣٨

﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ [يوسف : ٢] ، وقال : ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ [النور : ٥٤] وقال : ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾ [إبراهيم : ١] ، وأمثال ذلك . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك " وقال تعالى : ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام : ١٥٣] ، وقال : ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ [المائدة : ١٥، ١٦] ، وقال : ﴿ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ [الشورى : ٥٢] ، وقال : ﴿فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

وثم طائفة ثالثة كثرت في المتأخرين المنتسبين إلى السنة يقولون : ما يتضمن أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف معاني ما أنزل عليه من القرآن كآيات الصفات؛ بل لازم قولهم أيضا أنه كان يتكلم بأحاديث الصفات، ولا يعرف معانيها .

وهؤلاء مساكين لما رأوا المشهور عن جمهور السلف من الصحابة." (١)

"ص -٣٦١- يعلى في آخر قوليه، وأبي محمد أثبتوا العلو، وجعلوا الاستواء من الصفات الخبرية التي يقولون : لا يعلم معناها إلا الله . وإن كانوا ممن يرى أن الفوقية والعلو أيضا من الصفات الخبرية، كقول القاضي أبي بكر، وأكثر الأشعرية، وقول القاضي أبي يعلى في أول قوليه، وابن عقيل في كثير من كلامه، وأبي بكر البيهقي، وأبي المعالي وغيرهم ومن سلك مسلك أولئك . وهذه الأمور مبسوطة في موضعها .

والمقصود هنا أن كل طائفة تعتقد من الآراء ما يناقض ما دل عليه القرآن، يجعلون تلك النصوص من المتشابه، ثم إن كانوا ممن يرى الوقف عند قوله : ﴿وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ [آل عمران : ٧] ، قالوا : لا يعلم معناها إلا الله، فيلزم ألا يكون محمد وجبريل ولا أحد علم معاني تلك الآيات والأخبار، وإن رأوا أن الوقف على قوله : ﴿والراسخون في العلم ﴾ [آل عمران : ٧] ، جعلوا الراسخين يعلمون ما يسمونه هم تأويلا . ويقولون : إن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما لم يبين الحق بخطابه ليجتهد الناس في معرفة الحق من غير جهته بعقولهم وأذهانهم، ويجتهدون في تخريج ألفاظه على اللغات العربية، فيجتهدون في

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٦٤/٢٣٨

معرفة غرائب اللغات التي يتمكنون بها من التأويل . وهذا إن قالوا : إنه قصد بالقرآن والحديث معنى حقا في نفس الأمر، وإن قالوا بقول الفلاسفة والباطنية الذين لا يرون التأويل، قالوا : لم يقصد بهذه الألفاظ إلا ما يفهمه العامة." (١)

"ص -٣٦٨- والتأويل : صرف الآية إلى معنى تحتمله يوافق ما قبلها وما بعدها، وتكلم في الفرق بينهما بكلام ليس هذا موضعه، إلا أن التأويل الذي ذكره هو المعنى الثالث المتأخر، وأبو الفرج ابن الجوزي يقول : اختلف العلماء : هل التفسير والتأويل بمعنى واحد أم يختلفان ؟ فذهب قوم يميلون إلى **العربية** إلى أنهما بمعنى، وهذا قول جمهور المفسرين المتقدمين .

وذهب قوم يميلون إلى الفقه إلى اختلافهما، فقالوا : التفسير : إخراج الشيء عن مقام الخفاء إلى مقام التجلي . والتأويل : نقل الكلام عن وضعه إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ، فهو مأخوذ من قولك : آل الشيء إلى كذا، أي : صار إليه، فهؤلاء لا يذكرون للتأويل إلا المعنى الأول والثاني، وأما التأويل في لغة القرآن فلا يذكرونه، وقد عرف أن التأويل في القرآن : هو الموجود الذي يؤول إليه الكلام، وإن كان ذلك موافقا للمعنى الذي يظهر من اللفظ، بل لا يعرف في القرآن لفظ التأويل مخالفا لما يدل عليه اللفظ، خلاف اصطلاح المتأخرين .

والكلام نوعان : إنشاء، وإخبار .

فالإنشاء : الأمر والنهي والإباحة وتأويل الأمر، والنهي : نفس فعل المأمور، ونفس ترك المحظور، كما في الصحيح عن عائشة -رضى الله عنها- أنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده : " سبحانك اللهم ربنا وبحمدك،." (٢)

"ص -٣٧٤- وكذلك سائر السلف كابن الماجشون، وأحمد بن حنبل، وغيرهما يبينون أن العباد لا يعلمون كيفية ما أخبر الله به عن نفسه، فالكيف هو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله . وأما نفس المعنى الذي بينه الله فيعلمه الناس كل على قدر فهمه . فإنهم يفهمون معنى السمع، ومعنى البصر، وأن مفهوم هذا ليس هو مفهوم هذا، ويعرفون الفرق بينهما، وبين العليم والقدير، وإن كانوا لا يعرفون كيفية سمعه وبصره، بل الروح التي فيهم يعرفونها من حيث الجملة، ولا يعرفون كيفيتها . كذلك يعلمون معنى الاستواء على العرش، وأنه يتضمن علو الرب على عرشه، وارتفاعه عليه كما فسره بذلك السلف قبلهم وهذا معنى

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٦٧/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣٧٤/٢٣٨

معروف من اللفظ لا يحتمل في اللغة غيره، كما قد بسط في موضعه؛ ولهذ قال مالك : الاستواء معلوم . ومن قال : الاستواء له معان متعددة، فقد أجمل كلامه، فإنهم يقولون : استوى فقط، ولا يصلونه بحرف، وهذا له معنى . ويقولون : استوى على كذا وله معنى، واستوى إلى كذا وله معنى، واستوى مع كذا وله معنى، فتتنوع معانيه بحسب صلاته . وأما استوى على كذا فليس في القرآن ولغة **العرب** المعروفة إلا بمعنى واحد . قال تعالى : ﴿فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ﴾ [الفتح : ٢٩] ، وقال : ﴿واستوت على الجودي ﴾ [هود : ٤٤] ، وقال : ﴿لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه ﴾ [الزخرف : ١٣] ، وقال : ﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك ﴾ [المؤمنون : ٢٨] ،." (١)

"ص -٣٧٦- وقول الزمخشري وغيره : استوى على كذا بمعنى : ملك، دعوى مجردة، فليس لها شاهد في كلام **العرب**، ولو قدر ذلك لكان هذا المعنى باطلا في استواء الله على العرش؛ لأنه أخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش، وقد أخبر أن العرش كان موجودا قبل خلق السموات والأرض، كما دل على ذلك الكتاب والسنة، وحينئذ فهو من حين خلق العرش مالك له مستول عليه، فكيف يكون الاستواء عليه مؤخرا عن خلق السموات والأرض ؟ !

وأيضا، فهو مالك لكل شيء مستول عليه، فلا يخص العرش بالاستواء وليس هذا كتخصيصه بالربوبية في قوله : ﴿رب العرش العظيم ﴾ [التوبة : ١٢٩] ، فإنه قد يخص لعظمته، ولكن يجوز ذلك في سائر المخلوقات فيقال : رب العرش، ورب كل شيء، وأما الاستواء فمختص بالعرش، فلا يقال : استوى على العرش وعلى كل شيء، ولا استعمل ذلك أحد من المسلمين في كل شيء، ولا يوجد في كتاب ولا سنة، كما استعمل لفظ الربوبية في العرش خاصة، وفي كل شيء عامة، وكذلك لفظ الخلق ونحوه من الألفاظ التي تخص وتعم، كقوله تعالى : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق ﴾ [العلق : ١، ٢] ، فالاستواء من الألفاظ المختصة بالعرش، لا تضاف إلى غيره، لا خصوصا ولا عموما، وهذا مبسوط في موضع آخر .

وإنما الغرض بيان صواب كلام السلف في قولهم : الاستواء معلوم،." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٨٠/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣٨٢/٢٣٨

"ص -٤٠٣- فجمهور القرآن لا يعرف أحد معناه، لا الرسول ولا أحد من الأمة، ومعلوم أن هذا مكابرة ظاهرة .

وأيضا، فمعلوم أن العلم بتأويل الرؤيا أصعب من العلم بتأويل الكلام الذي يخبر به؛ فإن دلالة الرؤيا على تأويلها دلالة خفية غامضة لا يهتدي لها جمهور الناس، بخلاف دلالة لفظ الكلام على معناه، فإذا كان الله قد علم عباده تأويل الأحاديث التي يرونها في المنام، فلأن يعلمهم تأويل الكلام **العربى** المبين الذي ينزله على أنبيائه بطريق الأولى والأحرى، قال يعقوب ليوسف : ﴿وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ﴾ [يوسف : ٦] ، وقال يوسف : ﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث ﴾ [يوسف : ١٠١] ، وقال : ﴿لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ﴾ [يوسف : ٣٧] .

وأيضا، فقد ذم الله الكفار بقوله : ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾ [يونس : ٣٨، ٣٩] ، وقال : ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى إذا جاؤوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون ﴾ [النمل : ٨٣، ٨٤] ، وهذا ذم لمن كذب بما لم يحط بعلمه .." (١)

"ص -٤٢٠- أهل الباطل للقرآن بأن يقال : الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة كانوا لا يعرفون تفسير ما تشابه من القرآن، ففي هذا من الطعن في الرسول وسلف الأمة ما قد يكون أعظم من خطأ طائفة في تفسير بعض الآيات، والعاقل لا يبنى قصرا ويهدم مصرا .

والقول الثالث : أن المتشابه : الحروف المقطعة في أوائل السور . يروى هذا عن ابن عباس . وعلى هذا القول فالحروف المقطعة ليست كلاما تاما من الجمل الإسمية والفعلية، وإنما هي أسماء موقوفة؛ ولهذا لم **تعرب**، فإن الإعراب إنما يكون بعد العقد والتركيب، وإنما نطق بها موقوفة، كما يقال : أ ب ت ث؛ ولهذا تكتب بصورة الحرف، لا بصورة الاسم الذي ينطق به، فإنها في النطق أسماء؛ ولهذا لما سأل الخليل أصحابه عن النطق بالزاى من زيد، قالوا : زا، قال : نطقتم بالاسم، وإنما النطق بالحرف زه، فهي في اللفظ أسماء، وفي الخط حروف مقطعة، ﴿الم ﴾ [البقرة : ١] لا تكتب ألف لام ميم، كما يكتب قول النبي صلى الله عليه وسلم : " من قرأ القرآن **فأعربه**، فله بكل حرف عشر حسنات، أما أنى لا أقول : الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف " .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٠٩/٢٣٨

والحرف في لغة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه يتناول الذي يسميه النحاة اسما وفعلا وحرفا؛ ولهذا قال سيبويه في تقسيم الكلام :." (١)

"ص -٤٢١- اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، ليس باسم ولا فعل، فإنه لما كان معروفا من اللغة أن الاسم حرف . والفعل حرف خص هذا القسم الثالث الذي يطلق النحاة عليه الحرف أنه جاء لمعنى، ليس باسم ولا فعل، وهذه حروف المعاني التي يتألف منها الكلام .

وأما حروف الهجاء، فتلك إنما تكتب على صورة الحرف المجرد، وينطق بها غير معربة، ولا يقال فيها : معرب ولا مبنى؛ لأن ذلك إنما يقال في المؤلف، فإذا كان على هذا القول كا ما سوى هذه محكم حصل المقصود، فإنه ليس المقصود إلا معرفة كلام الله، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ثم يقال : هذه الحروف قد تكلم في معناها أكثر الناس فإن كان معناها معروفا فقد عرف معنى المتشابه، وإن لم يكن معروفا وهي المتشابه ، كان ما سواها معلوم المعنى، وهذا المطلوب .

وأيضا، فإن الله تعالى قال : ﴿منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ [آل عمران : ٧] ، وهذه الحروف ليست آيات عند جمهور العلماء، وإنما يعدها آيات الكوفيون .

وسبب نزول هذه الآية الصحيح، يدل على أن غيرها أيضا متشابه، ولكن هذا القول يوافق ما نقل عن اليهود من طلب علم المدد من حروف الهجاء .." (٢)

"ص -٤٢٤- المسلمون على أنه يعرف معناها . والبعض الذي تنازع الناس في معناه إنما ذم السلف منه تأويلات الجهمية، ونفوا علم الناس بكيفيته، كقول مالك : الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة . وكذلك قال سائر أئمة السنة . وحينئذ ففرق بين المعنى المعلوم، وبين الكيف المجهول، فإن سمى الكيف تأويلا ساغ أن يقال : هذا التأويل لا يعلمه إلا الله، كما قدمناه أولا .

وأما إذا جعل معرفة المعنى وتفسيره تأويلا كما يجعل معرفة سائر آيات القرآن تأويلا، وقيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل والصحابة والتابعين ما كانوا يعرفون معنى قوله : ﴿الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] ولا يعرفون معنى قوله : ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ [ص : ٧٥] ولا معنى قوله : ﴿وغضب الله عليهم ﴾ [الفتح : ٦] ، بل هذا عندهم بمنزلة الكلام العجمى، الذي لا يفهمه العربى، وكذلك إذا قيل : كان عندهم قوله تعالى : ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٢٦/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤٢٧/٢٣٨

والسماوات مطويات بيمينه ﴾ [الزمر : ٦٧] ، وقوله : ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ [الأنعام : ١٠٣] ، وقوله : ﴿وكان الله سميعا بصيرا ﴾ [النساء : ١٣٤] ، وقوله : ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ [المائدة : ١١٩] ، وقوله : ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه ﴾ [محمد : ٢٨] ، وقوله : ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ [البقرة : ١٩٥] ، وقوله : ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ [التوبة : ١٠٥] ، وقوله :." (١)

"ص -٤٢٥- ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا ﴾ [الزخرف : ٣] ، وقوله : ﴿حتى يسمع كلام الله ﴾ [التوبة : ٦] وقوله : ﴿فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها ﴾ [النمل : ٨] ، وقوله : ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملآئكة ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، وقوله : ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾ [الفجر : ٢٢] وقوله : ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملآئكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، وقوله : ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ [فصلت : ١١] وقوله : ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ [يس : ٨٢] ، إلى أمثال هذه الآيات .

فمن قال عن جبريل ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما وعن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين والجماعة : إنهم كانوا لا يعرفون شيئا من معاني هذه الآيات، بل اتسأثر الله بعلم معناها، كما استأثر بعلم وقت الساعة، وإنما كانوا يقرؤون ألفاظا لا يفهمون لها معنى، كما يقرأ الإنسان كلاما لا يفهم منه شيئا، فقد كذب على القوم، والنقول المتواترة عنهم تدل على نقيض هذا، وأنهم كانوا يفهمون هذا يفهمون غيره من القرآن، وإن كان كنه الرب عز وجل لا يحيط به العباد، ولا يحصون ثناء عليه، فذاك لا يمنع أن يعلموا من أسمائه وصفاته ما علمهم سبحانه وتعالى كما أنهم إذا علموا أنه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، لم يعرفوا كيفية علمه وقدرته، وإذا عرفوا أنه أنه حق موجود لم يلزم أن يعرفوا كيفية ذاته." (٢)

"ص -٤٢٩- الذين يعلمون معاني القرآن محكمه ومتشابهه، وهذا كقوله تعالى : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ [العنكبوت : ٤٣] ، فدل على أن العالمين يعقلونها، وإن كان غيرهم لا يعقلها .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٣٠/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤٣١/٢٣٨

والأمثال : هي المتشابه عند كثير من السلف، وهي إلى المتشابه أقرب من غيرها لما بين الممثل والممثل به من التشابه، وعقل معناها هو معرفة تأويلها الذي يعرفه الراسخون في العلم دون غيرهم، ويشبه هذا قوله تعالى : ﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد ﴾ [سبأ : ٦] ، فلولا أنهم عرفوا معنى ما أنزل كيف عرفوا أنه حق أو باطل وهل يحكم على كلام لم يتصور معناه أنه حق أو باطل ؟ !

وقال تعالى : ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ [محمد : ٢٤] وقال : ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ [النساء : ٨٢] ، وقال تعالى : ﴿أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ﴾ [المؤمنون : ٦٨] ، وقال : تعالى : ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾ [الزمر : ١٧، ١٨] ، وقال : ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ﴾ [الفرقان : ٧٣] ، وقال : ﴿إنا أنزلناه قرآنا **عربيا** لعلكم تعقلون ﴾ [يوسف : ٢] . وقال : ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ [هود : ١] .." (١)

"ص -٤٣٠- وقال : ﴿فصلت آياته قرآنا **عربيا** لقوم يعلمون بشيرا ونذير ﴾ إلى قوله : ﴿ومن بيننا وبينك حجاب ﴾ [فصلت ٣ : ٥] .

فإذا كان كثير من القرآن أو أكثره مما لا يفهم أحد معناه، لم يكن المتدبر المعقول إلا بعضه، وهذا خلاف ما دل عليه القرآن، لا سيما عامة ما كان المشركون ينكرونه كالآيات الخبرية، والإخبار عن اليوم الآخر أو الجنة والنار، وعن نفي الشركاء والأولاد عن الله، ونسميته بالرحمن، فكان عامة إنكارهم لما يخبرهم به من صفات الله نفيا وإثباتا، وما يخبرهم به عن اليوم الآخر . وقد ذم الله من لا يعقل ذلك ولا يفهمه ولا يتدبره .

فعلم أن الله يأمر بعقل ذلك وتدبره، وقد قال تعالى : ﴿ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ﴾ [يونس : ٤٢، ٤٣] ، وقال : ﴿ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا ﴾ الآية [الأنعام : ٢٥] . وقال تعالى : ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٣٥/٢٣٨

على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا ﴾ الآية [الإسراء : ٤٥، ٤٦] .
وقد استدل بعضهم بأن الله لم ينف عن غيره علم شيء إلا." (١)

"ص -٤٣٥- تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لا قى حمام المقادر

والأميون نسبة إلى الأمة قال بعضهم : إلى الأمة وما عليه العامة، فمعنى الأمى : العامى الذي لا تمييز له، وقال الزجاج : هو على خلق الأمة التي لم تتعلم فهو على جبلته، وقال غيره : هو نسبة إلى الأمة، لأن الكتابة كانت في الرجال دون النساء؛ ولأنه على ما ولدته أمه .

والصواب : أنه نسبة إلى الأمة، كما يقال : عامى نسبة إلى العامة التي لم تتميز عن العامة بما تمتاز به الخاصة، وكذلك هذا لم يتميز عن الأمة بما يمتاز به الخاصة من الكتابة والقراءة، ويقال : الأمى لمن لا يقرأ ولا يكتب كتابا، ثم يقال لمن ليس لهم كتاب منزل من الله يقرؤونه وإن كان قد يكتب ويقرأ ما لم ينزل، وبهذا المعنى كان العرب كلهم أميين، فإنه لم يكن عندهم كتاب منزل من الله، قال الله تعالى : ﴿وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا ﴾ [آل عمران : ٢٠] وقال : ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ﴾ [الجمعة : ٢] ، وقد كان في العرب كثير ممن يكتب ويقرأ المكتوب، وكلهم أميون، فلما نزل القرآن عليهم لم يبقوا أميين باعتبار أنهم لا يقرؤون كتابا من حفظهم، بل هم يقرؤون القرآن من حفظهم، وأناجيلهم في صدورهم، لكن بقوا أميين باعتبار أنهم لا يحتاجون إلى كتابة دينهم، بل قرآنهم محفوظ في قلوبهم، كما." (٢)

"ص -٤٤٠- المسلمين، فإن هذا تشبيه لهم بهؤلاء فيما ذمهم الله به .

فإن قيل : أفلا يجب على كل مسلم معرفة معنى كل آية ؟ قيل : نعم، لكن معرفة معاني الجميع فرض على الكفاية، وعلى كل مسلم معرفة ما لا بد منه، وهؤلاء ذمهم الله؛ لأنهم لا يعلمون معاني الكتاب إلا تلاوة، وليس عندهم إلا الظن، وهذا يشبه قوله : ﴿وإنهم لفي شك منه مريب ﴾ [هود : ١١٠] .

فإن قيل : فقد قال بعض المفسرين ﴿إلا أماني ﴾ : إلا ما يقولونه بأفواههم كذبا وباطلا، وروى هذا عن بعض السلف واختاره الفراء . وقال : الأماني : الأكاذيب المفتعلة، قال بعض العرب لابن دأب وهو يحدث : أهذا شيء رويته أم تمنيته، أي : افتعلته ؟ فأراد بالأماني الأشياء التي كتبها علماؤهم من قبل أنفسهم ثم أضافوها إلى الله من تغيير صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم : الأماني : يتمنون

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٣٦/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤٤١/٢٣٨

على الله الباطل والكذب، كقولهم : ﴿لن تمسنا النار إلا أيا ما معدودة ﴾ [البقرة : ٨٠] ، وقولهم : ﴿لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ﴾ [البقرة : ١١١] وقولهم : ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [المائدة : ١٨] ، وهذا أيضا يروي عن بعض السلف .

قيل : كلا القولين ضعيف، والصواب الأول؛ لأنه سبحانه قال :." (١)

"ص -٤٤٩- يقول : إن لم يكونوا الحرورية والسبائية فلا أدري من هم . والسبائية نسبة إلى عبد الله بن سبأ رأس الرافضة .

فصل

المعنى الصحيح الذي هو نفي المثل والشريك والند قد دل عليه قوله سبحانه : ﴿أحد ﴾ وقوله : ﴿ولم يكن له كفوا أحد ﴾ ، وقوله : ﴿هل تعلم له سميا ﴾ [مريم : ٦٥] ، وأمثال ذلك، فالمعاني الصحيحة ثابتة بالكتاب والسنة، والعقل يدل على ذلك . وقول القائل : الأحد أو الصمد أو غير ذلك هو الذي لا ينقسم ولا يتفرق، أو ليس بمركب ونحو ذلك . هذه العبارات إذا عني بها أنه لا يقبل التفرق والانقسام فهذا حق، وأما إن عني به أنه لا يشار إليه بحال، أو من جنس ما يعنون بالجوهر الفرد أنه لا يشار إلى شيء منه دون شيء، فهذا عند أكثر العقلاء يمتنع وجوده، وإنما يقدر في الذهن تقديرا، وقد علمنا أن العرب حيث أطلقت لفظ [الواحد] و [الأحد] نفيا وإثباتا لم ترد هذا المعنى، فقوله تعالى : ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره ﴾ [التوبة : ٦] ، لم يرد به هذا المعنى الذي فسروا به الواحد والأحد، وكذلك قوله : ﴿وإن كانت واحدة فلها النصف ﴾ [النساء : ١١] ،." (٢)

"ص -٤٥٥- عبدوهم، وذلك أول ما عبدت الأصنام، وأن هذه الأصنام صارت إلى العرب . وقد ذكر ذلك البخاري في صحيحه عن ابن عباس، قال : صارت الأوثان التي في قوم نوح في العرب بعد : أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت .

ونوح عليه السلام أقام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى التوحيد، وهو أول رسول بعثه الله

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٤٦/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤٥٥/٢٣٨

إلى أهل الأرض، كما ثبت ذلك في الصحيح . ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل، وكلا المرسلين بعث إلى مشركين يعبدون هذه الأصنام التي صورت على صور الصالحين من البشر، والمقصود بعبادتها عبادة أولئك الصالحين .

وكذلك المشركون من أهل الكتاب ومن مبتدعة هذه الأمة وضلالها هذا غاية شركهم، فإن النصارى يصورون في الكنائس صور من يعظمونه من الإنس غير عيسى وأمه، مثل مارجرجس وغيره من القداديس، ويعبدون تلك الصور، ويسألونها ويدعونها ويقربون." (١)

"ص -٤٦١- الجمادية لم تعبد لذاتها، بل لأسباب اقتضت ذلك، وشرك العرب كان أعظمه الأول، وكان فيه من الجميع .

فإن عمرو بن لحي هو أول من غير دين إبراهيم عليه السلام وكان قد أتي الشام ورآهم بالبلقاء لهم أصنام يستجلبون بها المنافع، ويدفعون بها المضار، فصنع مثل ذلك في مكة لما كانت خزاعة ولاة البيت قبل قريش، وكان هو سيد خزاعة . وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار - أي أمعاءه وهو أول من غير دين إبراهيم، وسيب السوائب، وبحر البحيرة " . وكذلك - والله أعلم شرك قوم نوح وإن كان مبدؤه من عبادة الصالحين، فالشيطان يجر الناس من هذا إلى غيره، لكن هذا أقرب إلى الناس؛ لأنهم يعرفون الرجل الصالح وبركته ودعاءه، فيعكفون على قبره، ويقصدون ذلك منه، فتارة يسألونه، وتارة يسألون الله به، وتارة يصلون ويدعون عند قبره ظانين أن الصلاة والدعاء عند قبره أفضل منه في المساجد والبيوت .

ولما كان هذا مبدأ الشرك سد النبي صلى الله عليه وسلم هذا الباب، كما سد باب الشرك بالكواكب . ففي صحيح مسلم عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس : " إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك " . وفي." (٢)

"ص -٤٦٩- ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾ [التوبة : ١٠٨] ، وكان أهل قباء مع الوضوء والغسل يستنجون بالماء - تعلموا ذلك من جيرانهم اليهود - ولم تكن العرب تفعل ذلك، فأراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألا يظن ظان أن ذاك هو الذي أسس على التقوى دون مسجده، فذكر أن مسجده أحق بأن يكون هو المؤسس على التقوى، فقوله : ﴿لمسجد أسس على التقوى ﴾ ، يتناول

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٦١/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤٦٧/٢٣٨

مسجده ومسجد قباء، ويتناول كل مسجد أسس على التقوى، بخلاف مساجد الضرار .

ولهذا كان السلف يكرهون الصلاة فيما يشبه ذلك، ويرون العتيق أفضل من الجديد؛ لأن العتيق أبعد عن أن يكون بني ضرارا من الجديد الذي يخاف ذلك فيه، وعتق المسجد مما يحمد به؛ ولهذا قال : ﴿ثم محلها إلى البيت العتيق ﴾ [الحج : ٣٣] ، وقال : ﴿ثم محلها إلى البيت العتيق ﴾ [آل عمران : ٩٦] ، فإن قدمه يقتضي كثرة العبادة فيه أيضا وذلك يقتضي زيادة فضله؛ ولهذا لم يستحب علماء السلف من أهل المدينة وغيرها قصد شيء من المساجد والمزارات التي بالمدينة وما حولها بعد مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا مسجد قباء؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد مسجدا بعينه يذهب إليه إلا هو . وقد كان بالمدينة مساجد كثيرة، لكل قبيلة من الأنصار مسجد، لكن ليس في قصده دون أمثاله فضيلة، بخلاف مسجد قباء، فإنه أول مسجد بني بالمدينة." (١)

"ص -٤٨٧- والبلاد الحارة تسخن الظواهر فتكون البواطن باردة فلا ينهضم الطعام فيها كما ينهضم في الشتاء، ويكون الماء النابع باردا لبرودة باطن الأرض . وتظهر الحيوانات إلى البراري لسخونة الهواء، فهؤلاء قد لا ينفعهم الفصاد، بل قد يضرهم، والحجامة أنفع لهم .

وقوله : " شفاء أمتي " إشارة إلى من كان حينئذ من أمته وهم كانوا بالحجاز، كما قال : " ما بين المشرق والمغرب قبلة " ؛ لأن هذا كان قبلة أمتي حينئذ؛ لأنهم كانوا بالمدينة وما حولها، وهذا كما أنه في آخر الأمر بعد أن فرض الحج سنة تسع أو سنة عشر وقت ثلاث مواقيت للمدينة ولنجد وللشام، ولما فتح اليمن وقت لهم يلملم، ثم وقت ذات عرق لأهل العراق، وهذا كما أنه فرض صدقة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير عن كل صغير وكبير ذكرا وأنثى من المسلمين، وكان هذا هو الفرض على أهل المدينة؛ لأن الشعير والتمر كان قوتهم، ولهذا كان جماهير العلماء على أنه من اقتات الأرز والذرة ونحو ذلك يخرج من قوته، وهو إحدى الروايتين عن أحمد، وهل يجزيه أن يخرج التمر والشعير إذا لم يكن يقتاته ؟ فيه قولان للعلماء .

وكان الصحابة يرمون بالقوس **العربية** الطويلة التي تشبه قوس الندف، وفتح الله لهم بها البلاد، وقد رويت آثار في كراهة الرمي بالقوس الفارسية عن بعض السلف لكونها كانت شعار الكفار، فأما بعد أن." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٧٥/٢٣٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤٩٣/٢٣٨

"ص -٤٩- ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ﴾ [البقرة : ١٦٥] ، فمن أحب مخلوقا مثل ما يحب الله فهو مشرك، ويجب الفرق بين الحب فى الله والحب مع الله

فهؤلاء الذين اتخذوا القبور أوثانا تجدهم يستهزئون بما هو من توحيد الله وعبادته، ويعظمون ما اتخذوه من دون الله شفعاء، ويحلف أحدهم اليمين الغموس كاذبا، ولا يجترئ أن يحلف بشيخه كاذبا

وكثير من طوائف متعددة ترى أحدهم يرى أن استغاثته بالشيخ إما عند قبره، أو غير قبره، أنفع له من أن يدعو الله فى المسجد عند السحر، ويستهزئ بمن يعدل عن طريقته إلى التوحيد، وكثير منهم يخربون المساجد ويعمرون المشاهد، فهل هذا إلا من استخفافهم بالله وبآياته ورسوله وتعظيمهم للشرك ؟

وإذا كان لهذا وقف،ولهذا وقف، كان وقف الشرك أعظم عندهم، مضاهاة لمشركى **العرب،**الذين ذكرهم الله فى قوله: ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا الآية﴾ [الأنعام : ١٣٦] ، فيفضلون ما يجعل لغير الله على ما يجعل لله،ويقولون : الله غنى وآلهتنا فقيرة

وهؤلاء، إذا قصد أحدهم القبر الذى يعظمه يبكى عنده، ويخشع." (١)

"ص -٥١١- أي معنى للاستعاذة من وسوسة الجن فقط، مع أن وسوسة نفسه وشياطين الإنس هي مما تضره، وقد تكون أضر عليه من وسوسة الجن ؟

وأما قول الفراء : إن المراد من شر الوسواس الذي يوسوس في صدور الناس : الطائفتين من الجن والإنس، وأنه سمى الجن ناسا، كما سماهم رجالا، وسماهم نفرا فهذا ضعيف؛ فإن لفظ الناس أشهر وأظهر وأعرف من أن يحتاج إلى تنويعه إلى الجن والإنس، وقد ذكر الله تعالى لفظ الناس في غير موضع .

وأيضا، فكونه يوسوس في صدور الطائفتين صفة توضيح وبيان، وليس وسوسة الجن معروفة عند الناس، وإنما يعرف هذا بخبر، ولا خبر هنا، ثم قد قال : ﴿من الجنة و الناس ﴾ ، فكيف يكون لفظ الناس عاما للجنة والناس ؟ وكيف يكون قسيم الشيء قسما منه ؟ فهو يجعل الناس قسيم الجن، ويجعل الجن نوعا من الناس، وهذا كما يقول : أكرم **العرب** من العجم **والعرب**، فهل يقول هذا أحد ؟ ! وإذا سماهم الله تعالى رجالا لم يكن في هذا دليل على أنهم يسمون ناسا، وإن قدر أنه يقال : جاء ناس من الجن فذاك مع التقييد، كما يقال : إنسان من طين، وماء دافق، ولا يلزم من هذا أن يدخلوا في لفظ الناس، وقد قال

(١) مجموع الفتاوى ، ٥/٢٤٠

تعالى : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ﴾ [النساء : ١] .." (١)

"مجموع فتاوى ابن تيمية – الجزء الثامن عشر

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (٢)

"مجموع فتاوى ابن تيمية – الجزء التاسع عشر

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (٣)

"ص –٦٠– الاجتماع ليس أمرا ظاهرا للحس، بل يفتقر إلى حساب سير الشمس في المنازل، وإنما الذي يدركه الحس تقريب ذلك، فإن انقضاء الشتاء ودخول الفصل الذي تسميه العرب الصيف ويسميه غيرها الربيع أمر ظاهر، بخلاف محاذاة الشمس لجزء من أجزاء الفلك يسمي برج كذا، أو محاذاتها لإحدي نقطتي الرأس، أو الذنب، فإنه يفتقر إلى حساب

ولما كانت البروج اثني عشر، فمتي تكرر الهلإلى اثني عشر، فقد انتقل فيها كلها، فصار ذلك سنة كاملة تعلقت به أحكام ديننا من المؤقتات شرعا، أو شرطا، إما بأصل الشرع كالصيام والحج، وإما بسبب من

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٩/٢٤٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ١/٢٤١

(٣) مجموع الفتاوى ، ١/٢٤١

العبد كالعدة ومدة الإيلاء، وصوم الكفارة والنذر، وإما بالشرط كالأجل في الدين والخيار، والأيمان وغير ذلك." (١)

"ص -١٠٨- وبينها لم يعرف الحق،ولم تفهم الآية ومعناها، ولم يحصل به الهدى والعلم الذى هو المراد بإنزال الكتاب

قال أبو عبد الرحمن السلمى : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات،لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا

وقال الحسن البصرى : ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم فى ماذا نزلت، وماذا عنى بها وقد قال تعالى: ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ [النساء : ٨٢] ، وتدبر الكلام إنما ينتفع به إذا فهم، وقال : ﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ [الزخرف : ٣]

فالرسل تبين للناس ما أنزل إليهم من ربهم، وعليهم أن يبلغوا الناس البلاغ المبين، والمطلوب من الناس أن يعقلوا ما بلغه الرسل، والعقل يتضمن العلم والعمل، فمن عرف الخير والشر، فلم يتبع الخير ويحذر الشر لم يكن عاقلا؛ ولهذا لا يعد عاقلا إلا من فعل ما ينفعه، واجتنب ما يضره، فالمجنون الذى لا يفرق بين هذا وهذا قد يلقى نفسه فى المهالك، وقد يفر مما ينفعه." (٢)

"ص -١٣- والمقصود هنا أن جميع طوائف المسلمين يقرون بوجود الجن،وكذلك جمهور الكفار، كعامة أهل الكتاب، وكذلك عامة مشركي العرب وغيرهم من أولاد سام، والهند وغيرهم من أولاد حام، وكذلك جمهور الكنعانيين واليونانيين وغيرهم من أولاد يافث، فجماهير الطوائف تقر بوجود الجن، بل يقرون بما يستجلبون به معاونة الجن من العزائم والطلاسم، سواء أكان ذلك سائغا عند أهل الإيمان أو كان شركا، فإن المشركين يقرؤون من العزائم والطلاسم والرقي ما فيه عبادة للجن وتعظيم لهم، وعامة ما بأيدي الناس من العزائم والطلاسم والرقي التي لا تفقه بالعربية فيها ما هو شرك بالجن . ولهذا نهي علماء المسلمين عن الرقي التي لا يفقه معناها؛ لأنها مظنة الشرك وإن لم يعرف الراقي أنها شرك . وفي صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي، قال : كنا نرقي في الجاهلية فقلنا : يارسول الله، كيف تري في ذلك ؟ فقال : " اعرضوا على رقاكم، لا بأس بالرقي ما لم يكن فيه شرك " . وفي صحيح مسلم أيضا عن جابر قال : نهي

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤/٢٤١

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤٩/٢٤٢

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقي، فجاء آل عمرو بن حزم إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يارسول الله، إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، وإنك نهيت عن الرقي، قال : فعرضوها عليه، فقال : " ما أرى بأسا، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه " .." (١)

"ص -١٤- وقد كان **للعرب** ولسائر الأمم من ذلك أمور يطول وصفها، وأخبار **العرب** في ذلك متواترة عند من يعرف أخبارهم من علماء المسلمين وكذلك عند غيرهم، ولكن المسلمين أخبر بجاهلية **العرب** منهم بجاهلية سائر الأمم؛ إذ كان خير القرون كانوا **عربا**، وكانوا قد عاينوا وسمعوا ما كانوا عليه في الجاهلية، وكان ذلك من أسباب نزول القرآن، فذكروا في كتب التفسير والحديث والسير والمغازي والفقه، فتواترت أيام جاهلية **العرب** في المسلمين، وإلا فسائر الأمم المشركين هم من جنس **العرب** المشركين في هذا، وبعضهم كان أشد كفرا وضلالا من مشركي **العرب**، وبعضهم أخف .

والآيات التي أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم فيها خطاب لجميع الخلق من الإنس والجن؛ إذ كانت رسالته عامة للثقلين، وإن كان من أسباب نزول الآيات ما كان موجودا في **العرب**، فليس شيء من الآيات مختصا بالسبب المعين الذي نزل فيه باتفاق المسلمين، وإنما تنازعوا : هل يختص بنوع السبب المسؤول عنه ؟ وأما بعين السبب فلم يقل أحد من المسلمين : إن آيات الطلاق أو الظهار أو اللعان أو حد السرقة والمحاربين وغير ذلك يختص بالشخص المعين الذي كان سبب نزول الآية .

وهذا الذي يسميه بعض الناس : تنقيح المناط، وهو أن يكون." (٢)

"ص -١٥- الرسول صلى الله عليه وسلم حكم في معين، وقد علم أن الحكم لا يختص به، فيريد أن ينقح مناط الحكم، ليعلم النوع الذي حكم فيه، كما أنه لما أمر الأعرابي الذي واقع امرأته في رمضان بالكفارة، وقد علم أن الحكم لا يختص به، وعلم أن كونه أعرابيا أو **عربيا** أو الموطوءة زوجته لا أثر له، فلو وطئ المسلم العجمي سريته كان الحكم كذلك .

ولكن هل المؤثر في الكفارة كونه مجامعا في رمضان أو كونه مفطرا ؟ فالأول : مذهب الشافعي وأحمد في المشهور عنه، والثاني : مذهب مالك وأبي حنيفة، وهو رواية منصوصة عن أحمد في الحجامة فغيرها أولي، ثم مالك يجعل المؤثر جنس المفطر، وأبو حنيفة يجعلها المفطر كتنوع جنسه، فلا يوجبه في ابتلاع الحصاة والنواة .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٦/٢٤٣

(٢) مجموع الفتاوى ، ٧/٢٤٣

وتنازعوا : هل يشترط أن يكون أفسد صوما صحيحا ؟ وأحمد لا يشترط ذلك، بل كل إمساك وجب في شهر رمضان أوجب فيه الكفارة، كما يوجب الأربعة مثل ذلك في الإحرام الفاسد، فالصيام الفاسد عنده كالإحرام الفاسد، كلاهما يجب إتمامه والمضي فيه، والشافعي وغيره لا يوجبونها إلا في صوم صحيح، والنزاع فيمن أكل ثم جامع أو لم ينو الصوم ثم جامع، ومن جامع وكفر ثم جامع .

ومثل قوله لمن أحرم بالعمرة في جبة متضمخا بالخلوق : " انزع." (١)

"ص -١٨- الدليل على أن المعني الفلاني هو الذي لأجله حكم الشارع بهذا الحكم في الأصل وهو موجود في صورة أخري، فهذا القياس لا ينازع فيه إلا من لم يعرف هاتين المقدمتين . وبسط هذا له موضع آخر .

والمقصود هنا أن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم شاملة للثقلين : الإنس والجن على اختلاف أجناسهم، فلا يظن أنه خص العرب بحكم من الأحكام أصلا، بل إنما علق الأحكام باسم مسلم وكافر، ومؤمن ومنافق، وبر وفاجر، ومحسن وظالم، وغير ذلك من الأسماء المذكورة في القرآن والحديث، وليس في القرآن ولا الحديث تخصيص العرب بحكم من أحكام الشريعة، ولكن بعض العلماء ظن ذلك في بعض الأحكام وخالفه الجمهور، كما ظن طائفة منهم أبو يوسف أنه خص العرب بألا يسترقوا، وجمهور المسلمين على أنهم يسترقون، كما صحت بذلك الأحاديث الصحيحة، حيث استرق بني المصطلق وفيهم جويرية بنت الحارث، ثم أعتقها وتزوجها، وأعتق بسببها من استرق من قومها .

وقال في حديث هوازن : " اختاروا إحدي الطائفتين : إما السبي، وإما المال " ، وفي الصحيحين عن أبي أيوب الأنصاري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أنه قال : " من قال : لا إله إلا الله وحده." (٢)

"ص -١٩- لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير عشر مرات؛ كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل " .

وفي الصحيحين أيضا عن أبي هريرة، أنه كانت سبية من سبي هوازن عند عائشة فقال : " أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل " ، وعامة من استرقه الرسول صلى الله عليه وسلم من النساء والصبيان كانوا عربا، وذكر هذا يطول .

ولكن عمر بن الخطاب لما رأي كثرة السبي من العجم، واستغناء الناس عن استرقاق العرب، رأي أن يعتقوا

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٨/٢٤٣

(٢) مجموع الفتاوى ، ١١/٢٤٣

العرب، من باب مشورة الإمام وأمره بالمصلحة، لا من باب الحكم الشرعي الذي يلزم الخلق كلهم، فأخذ من أخذ بما ظنه من قول عمر، وكذلك ظن من ظن أن الجزية لا تؤخذ من مشركي العرب مع كونها تؤخذ من سائر المشركين .

وجمهور العلماء على أنه لا يفرق بين العرب وغيرهم، ثم منهم من يجوز أخذها من كل مشرك، ومنهم من لا يأخذها إلا من أهل الكتاب والمجوس؛ وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأخذ الجزية من مشركي العرب وأخذها من المجوس وأهل الكتاب .

فمن قال : تؤخذ من كل كافر . قال : إن آية الجزية لما نزلت." (١)

"ص -٢٠- أسلم مشركو العرب، فإنها نزلت عام تبوك، ولم يبق عربي مشرك محاربا، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ليغزو النصاري عام تبوك بجميع المسلمين إلا من عذر الله ويدع الحجاز وفيه من يحاربه، ويبعث أبا بكر عام تسع فنادي في الموسم : ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ونبذ العهود المطلقة، وأبقي المؤقتة، مادام أهلها موفين بالعهد، كما أمر الله بذلك في أول سورة التوبة، وأنظر الذين نبذ إليهم أربعة أشهر، وأمر عند انسلاخها بغزو المشركين كافة، قالوا : فدان المشركون كلهم كافة بالإسلام، ولم يرض ببذل أداء الجزية؛ لأنه لم يكن لمشركي العرب من الدين بعد ظهور دين الإسلام ما يصبرون لأجله على أداء الجزية عن يد وهم صاغرون؛ إذ كان عامة العرب قد أسلموا، فلم يبق لمشركي العرب عز يعتزون به، فدانوا بالإسلام حيث أظهره الله في العرب بالحجة والبيان والسيف والسنان .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم : " أمرت أن أقاتل الناس حتي يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة " ، مراده قتال المحاربين الذين أذن الله في قتالهم، لم يرد قتال المعاهدين الذين أمر الله بوفاء عهدهم . وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول [براءة] يعاهد من عاهده من الكفار." (٢)

"ص -٢٣- فيهم مشركون وأهل كتاب، وأمر معاذا أن يأخذ من كل حالم دينارا أو عدله معافريا، ولم يميز بين المشركين وأهل الكتاب، فدل ذلك على أن المشركين من العرب آمنوا كما آمن من آمن من أهل الكتاب، ومن لم يؤمن من أهل الكتاب أدي الجزية .

وقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم الجزية من أهل البحرين وكانوا مجوسا، وأسلمت عبد القيس وغيرهم

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٢/٢٤٣

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٣/٢٤٣

من أهل البحرين طوعا، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب الجزية على أحد من اليهود بالمدينة ولا بخيبر، بل حاربهم قبل نزول آية الجزية، وأقر اليهود بخيبر فلاحين بلا جزية إلي أن أجلاهم عمر؛ لأنهم كانوا مهادنين له، وكانوا فلاحين في الأرض فأقرهم لحاجة المسلمين إليهم، ثم أمر بإجلائهم قبل موته، وأمر بإخراج اليهود والنصاري من جزيرة العرب، فقيل : هذا الحكم مخصوص بجزيرة العرب، وقيل : بل هو عام في جميع أهل الذمة إذا استغني المسلمون عنهم أجلوهم من ديار الإسلام، وهذا قول ابن جرير وغيره . ومن قال : إن الجزية لا تؤخذ من مشرك قال : إن آية الجزية نزلت والمشركون موجودون فلم يأخذها منهم .

والمقصود أنه لم يخص العرب بحكم، وإن قيل : إنه خص جزيرة العرب التي هي حول المسجد الحرام، كما خص المسجد الحرام بقوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ [التوبة : ٢٨] .." (١)

"ص -٢٤- وكذلك من قال من العلماء : إنه حرم على جميع المسلمين ما تستخبثه العرب وأحل لهم ما تستطيبه . فجمهور العلماء على خلاف هذا القول كمالك وأبي حنيفة وأحمد وقدماء أصحابه، ولكن الخرقي وطائفة منهم وافقوا الشافعي على هذا القول، وأما أحمد نفسه فعامة نصوصه موافقة لقول جمهور العلماء، وما كان عليه الصحابة والتابعون أن التحليل والتحريم لا يتعلق باستطابة العرب ولا باستخباثهم، بل كانوا يستطيبون أشياء حرمها الله، كالدم والميتة، والمنخنقة والموقوذة، والمتردية والنطيحة، وأكيلة السبع؛ وما أهل به لغير الله، وكانوا بل خيارهم يكرهون أشياء لم يحرمها الله، حتي لحم الضب كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرهه، وقال : " لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه " ، وقال مع هذا : [إنه ليس بمحرم] وأكل على مائدته وهو ينظر، وقال فيه : " لا آكله ولا أحرمه " .

وقال جمهور العلماء : الطيبات التي أحله ا الله ما كان نافعا لآكله في دينه، والخبيث ماكان ضارا له في دينه . وأصل الدين العدل الذي بعث الله الرسل بإقامته، فما أورث الآكل بغيا وظلما وحرمه كما حرم كل ذي ناب من السباع؛ لأنها باغية عادية والغاذي شبيه بالمغتذي، فإذا تولد اللحم منها صار في الإنسان خلق البغي والعدوان .." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٦/٢٤٣

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٧/٢٤٣

"ص -١٢٨- من العربية، وهو لا يعرف ذلك؛ فإن النية والقصد والرضا مشروط بالعلم، فما لم يعلمه لا يرضى به، إلا إذا كان راضيا به مع العلم، ومن كان يرضى بأن يكفر ويجن وتفعل الفاحشة به وبأهله، فهو لا يعلم ما عليه فى ذلك من الضرر، بل هو سفيه، فلا عبرة برضاه وإذنه، بل له حق عند من ظلمه وفعل به ذلك غير ما لله من الحق، وإن كان حق هذا دون حق المنكر المانع

ولهذا قال يوسف عليه السلام : ﴿ إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ﴾ [يوسف : ٢٣] ، يقول : متى أفسدت امرأته كنت ظالما بكل حال، وليس هذا جزاء إحسانه إلي

والناس إذا تعاونوا على الإثم والعدوان أبغض بعضهم بعضا، وإن كانوا فعلوه بتراضيهم، قال طاوس : ما اجتمع رجلان على غير ذات الله إلا تفرقا عن تقال، وقال الخليل عليه السلام : ﴿ إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ﴾ [العنكبوت : ٢٥] ، وهؤلاء لا يكفر بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضا لمجرد كونه عصى الله، بل لما حصل له بمشاركته ومعاونته من الضرر وقال تعالى عن أهل الجنة التى أصبحت كالصريم : ﴿ فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ﴾ [القلم : ٣٠] ، أى : يلوم بعضهم بعضا، وقال : ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ [الزخرف : ٦٧]." (١)

"ص -٢٧- الفارسي : إن لكم علينا معشر العرب ألا نؤمكم في صلاتكم ولا ننكح نساءكم .

والأولون يقولون : إنما قال سلمان هذا تقديما منه للعرب على الفرس، كما يقول الرجل لمن هو أشرف منه : حقك علي كذا، وليس قول سلمان حكما شرعيا يلزم جميع الخلق اتباعه كما يجب عليهم اتباع أحكام الله ورسوله، ولكن من تأسى من الفرس بسلمان فله به أسوة حسنة؛ فإن سلمان سابق الفرس .

وكذلك اعتبار النسب في أهل الكتاب، ليس هو قول أحد من الصحابة، ولا يقول به جمهور العلماء، كمالك وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وقدماء أصحابه، ولكن طائفة منهم ذكرت عنه روايتين، واختار بعضهم اعتبار النسب موافقة للشافعي، والشافعي أخذ ذلك عن عطاء، وبسط هذا له موضع آخر .

والمقصود هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما علق الأحكام بالصفات المؤثرة فيما يحبه الله وفيما يبغض، فأمر بما يحبه الله ودعا إليه بحسب الإمكان، ونهى عما يبغضه الله وحسم مادته بحسب الإمكان، لم

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٩/٢٤٣

يخص العرب بنوع من أنواع الأحكام الشرعية؛ إذ كانت دعوته لجميع البرية، لكن نزل القرآن بلسانهم، بل نزل بلسان قريش، كما ثبت." (١)

"ص -٢٨- عن عمر بن الخطاب أنه قال لابن مسعود : أقرئ الناس بلغة قريش فإن القرآن نزل بلسانهم . وكما قال عثمان للذين يكتبون المصحف من قريش والأنصار : إذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بلغة هذا الحي من قريش، فإن القرآن نزل بلسانهم . وهذا لأجل التبليغ؛ لأنه بلغ قومه أولا ثم بواسطتهم بلغ سائر الأمم، وأمره الله بتبليغ قومه أولا، ثم بتبليغ الأقرب فالأقرب إليه، كما أمر بجهاد الأقرب فالأقرب .

وما ذكره كثير من العلماء من أن غير العرب ليسوا أكفاء للعرب في النكاح، فهذه مسألة نزاع بين العلماء، فمنهم من لا يرى الكفاءة إلا في الدين، ومن رآها في النسب أيضا فإنه يحتج بقول عمر : لأمنعن ذوات الأحساب إلا من الأكفاء؛ لأن النكاح مقصوده حسن الألفة، فإذا كانت المرأة أعلى منصبا اشتغلت عن الرجل فلا يتم به المقصود . وهذه حجة من جعل ذلك حقا لله، حتى أبطل النكاح إذا زوجت المرأة بمن لا يكافئها في الدين أو المنصب، ومن جعلها حقا لآدمي قال : إن في ذلك غضاضة على أولياء المرأة وعليها، والأمر إليهم في ذلك .

ثم هؤلاء لا يخصون الكفاءة بالنسب، بل يقولون : هي من الصفات التي تتفاضل بها النفوس، كالصناعة واليسار والحرية وغير ذلك، وهذه مسائل اجتهادية ترد إلى الله والرسول؛ فإن جاء عن الله ورسوله." (٢)

"ص -٢٩- ما يوافق أحد القولين فما جاء عن الله لا يختلف، وإلا فلا يكون قول أحد حجة على الله ورسوله . وليس عن النبي صلى الله عليه وسلم نص صحيح صريح في هذه الأمور، بل قد قال صلى الله عليه وسلم : " إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، الناس رجلان : مؤمن تقي، وفاجر شقي " ، وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم؛ أنه قال : " أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والنياحة، والاستسقاء بالنجوم " ، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم؛ أنه قال : " إن الله اصطفي كنانة من بني إسماعيل، واصطفي قريشا من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم، فأنا خيركم نفسا وخيركم نسبا " .

وجمهور العلماء على أن جنس العرب خير من غيرهم، كما أن جنس قريش خير من غيرهم، وجنس بني

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٠/٢٤٣

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢١/٢٤٣

هاشم خير من غيرهم . وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم؛ أنه قال : " الناس معادن كمعادن الذهب والفضة،خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا " .

لكن تفضيل الجملة على الجملة لا يستلزم أن يكون كل فرد أفضل من كل فرد، فإن في غير **العرب** خلق كثير خير من أكثر **العرب،**." (١)

"ص -٣٠- وفي غير قريش من المهاجرين والأنصار من هو خير من أكثر قريش، وفي غير بني هاشم من قريش وغير قريش من هو خير من أكثر بني هاشم، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن خير القرون القرن الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم " ، وفي القرون المتأخرة من هو خير من كثير من القرن الثاني والثالث، ومع هذا فلم يخص النبي صلى الله عليه وسلم القرن الثاني والثالث بحكم شرعي، كذلك لم يخص **العرب** بحكم شرعي، بل ولا خص بعض أصحابه بحكم دون سائر أمته، ولكن الصحابة لما كان لهم من الفضل أخبر بفضلهم، وكذلك السابقون الأولون لم يخصهم بحكم، ولكن أخبر بما لهم من الفضل لما اختصوا به من العمل، وذلك لا يتعلق بالنسب .

والمقصود هنا أنه أرسل إلى جميع الثقلين : الإنس والجن،فلم يخص **العرب** دون غيرهم من الأمم بأحكام شرعية، ولكن خص قريشا بأن الإمامة فيهم، وخص بني هاشم بتحريم الزكاة عليهم؛ وذلك لأن جنس قريش لما كانوا أفضل وجب أن تكون الإمامة في أفضل الأجناس مع الإمكان، وليست الإمامة أمرا شاملا لكل أحد منهم، وإنما يتولاها واحد من الناس . وأما تحريم الصدقة، فحرمها عليه وعلى أهل بيته تكميلا لتطهيرهم ودفعا للتهمة عنه، كما لم يورث، فلا يأخذ ورثته درهما ولا دينارا،." (٢)

"ص -٣١- بل لا يكون له ولمن يمونه من مال الله إلا نفقتهم، وسائر مال الله يصرف فيما يحبه الله ورسوله، وذوو قرباه يعطون بمعروف من مال الخمس، والفيء الذي يعطي منه في سائر مصالح المسلمين لا يختص بأصناف معينة كالصدقات، ثم ما جعل لذوي القربي قد قيل : إنه سقط بموته كما يقوله أبو حنيفة، وقيل : هو لقربي من يلي الأمر بعده، كما روي عنه : " ما أطعم الله نبيا طعمة إلا كانت لمن يلي الأمر بعده " ، وهذا قول أبي ثور وغيره . وقيل : إن هذا كان مأخذ عثمان في إعطاء بني أمية، وقيل : هو لذوي قربى الرسول صلى الله عليه وسلم دائما .

ثم من هؤلاء من يقول : هو مقدر بالشرع وهو خمس الخمس، كما يقوله الشافعي وأحمد في المشهور

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٢/٢٤٣

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٣/٢٤٣

عنه . وقيل : بل الخمس والفيء يصرف في مصالح المسلمين باجتهاد الإمام، ولا يقسم على أجزاء مقدرة متساوية، وهذا قول مالك وغيره . وعن أحمد أنه جعل خمس الزكاة فيئا، وعلى هذا القول يدل الكتاب وسيرة الخلفاء الراشدين، وبسط هذه الأمور له موضع آخر . والمقصود هنا أن بعض آيات القرآن، وإن كان سببه أمورا كانت في العرب، فحكم الآيات عام يتناول ما تقتضيه الآيات لفظا." (١)

"ص -١٤٦- بالذنب الاعتذار بذكر سببه، فإن قولها : ﴿ أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ﴾ [يوسف : ٥١] ، فيه اعتراف بالذنب، وقولها : ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ﴾ [يوسف : ٥٣] ، إشارة تطابق لقولها : ﴿ أنا راودته ﴾ أي : أنا مقرة بالذنب ما أنا مبرئة لنفسي ثم بينت السبب فقالت : ﴿إن النفس لأمارة بالسوء ﴾ فنفسي من هذا الباب، فلا ينكر صدور هذا مني ثم ذكرت ما يقتضي طلب المغفرة والرحمة، فقالت : ﴿ إن ربي غفور رحيم ﴾

فإن قيل : فهذا كلام من يقر بأن الزنا ذنب، وأن الله قد يغفر لصاحبه

قلت : نعم والقرآن قد دل على ذلك، حيث قال زوجها : ﴿يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك ﴾ [يوسف : ٢٩] ، فأمره لها بالاستغفار لذنبها دليل أنهم كانوا يرون ذلك ذنبا ويستغفرون منه، وإن كانوا مع ذلك مشركين، فقد كانت العرب مشركين وهم يحرمون الفواحش، ويستغفرون الله منها، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع هند بنت عتبة بن ربيعة بيعة النساء على ألا تشرك بالله شيئا، ولا تسرق ولا تزني قالت : أو تزني الحرة ؟ وكان الزنا معروفا عندهم في الإماء

ولهذا غلب على لغتهم أن يجعلوا الحرية في مقابلة الرق، وأصل." (٢)

"ص -٦٠- ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر بقتالهم، وأخبر أن أمته ستقاتلهم " ، ومعلوم أن قتالهم النافع إنما هو بالقسي الفارسية، ولو قوتلوا بالقسي العربية التي تشبه قوس القطن لم تغن شيئا، بل استطالوا على المسلمين بقوة رميهم، فلابد من قتالهم بما يقهرهم .

وقد قال بعض المسلمين لعمر بن الخطاب : إن العدو إذا رأيناهم قد لبسوا الحرير وجدنا في قلوبنا روعة، فقال : وأنتم فالبسوا كما لبسوا . وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في عمرة القضية بالرمل والاضطباع؛ ليرى المشركين قوتهم، وإن لم يكن هذا مشروعا قبل هذا، ففعل لأجل الجهاد مالم يكن مشروعا بدون ذلك .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٤/٢٤٣

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣٧/٢٤٣

ولهذا قد يحتاج في إبراء المصروع ودفع الجن عنه إلى الضرب، فيضرب ضربا كثيرا جدا، والضرب إنما يقع على الجنى ولا يحس به المصروع، حتى يفيق المصروع ويخبر أنه لم يحس بشيء من ذلك، ولا يؤثر في بدنه، ويكون قد ضرب بعصا قوية على رجليه نحو ثلاثمائة أو أربعمائة ضربة وأكثر وأقل، بحيث لو كان على الإنسى لقتله، وإنما هو على الجنى، والجنى يصيح ويصرخ، ويحدث الحاضرين بأمور متعددة، كما قد فعلنا نحن هذا وجربناه مرات كثيرة يطول وصفها بحضرة خلق كثيرين .." (١)

"ص -٦٣- تعدو قدرك، فإنما أنت من إخوان الكهان " .

وكذلك إذا كان يسمع ما يقولونه ويخبرون به عن الجن، كما يسمع المسلمون ما يقول الكفار والفجار ليعرفوا ما عندهم فيعتبروا به، وكما يسمع خبر الفاسق ويتبين ويتثبت فلا يجزم بصدقه ولا كذبه إلا ببينة، كما قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ [الحجرات : ٦] ، وقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة : أن أهل الكتاب كانوا يقرؤون التوراة ويفسرونها بالعربية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه، وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه، وقولوا : ﴿وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾ [العنكبوت : ٤٦] ، فقد جاز للمسلمين سماع ما يقولونه ولم يصدقوه ولم يكذبوه .

وقد روى عن أبي موسى الأشعرى أنه أبطأ عليه خبر عمر، وكان هناك امرأة لها قرين من الجن، فسأله عنه فأخبره أنه ترك عمر يسم إبل الصدقة . وفي خبر آخر أن عمر أرسل جيشا فقدم شخص إلى المدينة فأخبر أنهم انتصروا على عدوهم، وشاع الخبر، فسأل عمر عن ذلك فذكر له، فقال : هذا أبو الهيثم بريد المسلمين من الجن، وسيأتى بريد الإنس بعد ذلك، فجاء بعد ذلك بعدة أيام .." (٢)

"ص -٦٥- الحسن بن شقيق، ثنا عبد الله بن المبارك، عن سفيان، عن ابن أبي ليلي، عن الحكم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال : إذا عسر على المرأة ولادها فليكتب : بسم الله لا إله إلا الله العلى العظيم لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله وتعالى رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ﴾ [النازعات : ٤٦] ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ﴾

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٥٣/٢٤٣

(٢) مجموع الفتاوى ، ٥٦/٢٤٣

[الأحقاف : ٣٥] . قال علي : يكتب في كاغدة [كاغدة : الكاغد : القرطاس، معرب] فيعلق على عضد المرأة، قال علي : وقد جربناه فلم نر شيئا أعجب منه، فإذا وضعت تحله سريعا، ثم تجعله في خرقة أو تحرقه . آخر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه، ونور ضريحه .." (١)

"ص -٢٠٥- القسمين قال الله : هذا طريق علي أي : هذا أمر إلى مصيره والعرب تقول : طريقك في هذا الأمر على فلان، أي : إليه يصير النظر في أمرك وهذا نحو قوله: ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ [الفجر : ١٤] قال : والآية على هذه القراءة خبر يتضمن وعيدا

قلت : هذا قول لم ينقل عن أحد من علماء التفسير لا في هذه الآية ولا في نظيرها وإنما قاله الكسائي لما أشكل عليه معنى الآية الذي فهمه السلف، ودل عليه السياق والنظائر

وكلام العرب لا يدل على هذا القول فإن الرجل وإن كان يقول لمن يتهدده ويتوعده : على طريقك، فإنه لايقول : إن طريقك مستقيم

وأيضا، فالوعيد إنما يكون للمسيء، لايكون للمخلصين فكيف يكون قوله هذا إشارة إلى انقسام الناس إلى غاو ومخلص، وطريق هؤلاء غير طريق هؤلاء ؟ هؤلاء سلكوا الطريق المستقيم التي تدل على الله، وهؤلاء سلكوا السبيل الجائرة

وأيضا، فإنما يقول لغيره في التهديد : طريقك علي، من لا يقدر عليه في الحال، لكن ذاك يمر بنفسه عليه وهو متمكن منه، كما كان أهل." (٢)

"ص -٢٠٦- المدينة يتوعدون أهل مكة بأن طريقكم علينا، لما تهددوهم بأنكم آويتم محمدا وأصحابه كما قال أبو جهل لسعد بن معاذ لما ذهب سعد إلى مكة : لا أراك تطوف بالبيت آمنا وقد آويتم الصباة وزعمتم أنكم تنصرونهم، فقال : لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه طريقك على المدينة، أو نحو هذا

فذكر أن طريقهم في متجرهم إلى الشام عليهم، فيتمكنون حينئذ من جزائهم

ومثل هذا المعنى لا يقال في حق الله تعالى فإن الله قادر على العباد حيث كانوا، كما قالت الجن : ﴿ وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا ﴾ [الجن : ١٢] ، وقال : ﴿ وما أنتم بمعجزين في الأرض ﴾ [العنكبوت : ٢٢]

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٥٨/٢٤٣

(٢) مجموع الفتاوى ، ٩/٢٤٥

وإذا كانت العرب تقول ما ذكره، يقولون : طريقك في هذا الأمر على فلان، أي : إليه يصير أمرك، فهذا يطابق تفسير مجاهد وغيره من السلف، كما قال مجاهد : الحق يرجع إلى الله، وعليه طريقه لا يعرج على شيء، فطريق الحق على الله، وهو الصراط المستقيم الذي قال الله فيه :هذا صراط على مستقيم كما فسرت به القراءة الأخري

فالصراط في القراءتين هذا الصراط المستقيم الذي أمر الله المؤمنين." (١)

"ص -٢١٥- فالكلام تضمن معني الدلالة، إذ ليس المراد ذكر الجزاء في الآخرة، فإن الجزاء يعم الخلق كلهم، بل المقصود بيان ما أمر الله به من عبادته وطاعته وطاعة رسله ما الذي يدل على ذلك ؟ فكأنه قيل : الصراط المستقيم يدل على الله على عبادته وطاعته

وذلك يبين أن من لغة العرب أنهم يقولون : هذه الطريق على فلان،إذا كانت تدل عليه، وكان هو الغاية المقصود بها،وهذا غير كونها عليه بمعني : أن صاحبها يمر عليه وقد قيل :

فهن المنايا أي واد سلكته عليها طريقي أو على طريقها

وهو كما قال الفراء : من سلك الهدى فعلى الله سبيله

فالمقصود بالسبيل هو : الذي يدل ويوقع عليه، كما يقال : إن سلكت هذه السبيل وقعت على المقصود، ونحو ذلك، وكما يقال : على الخبير سقطت فإن الغاية المطلوبة إذا كانت عظيمة فالسالك يقع عليها ويرمي نفسه عليها

وأيضا، فسالك طريق الله متوكل عليه فلابد له من عبادته ومن التوكل عليه

فإذا قيل : عليه الطريق المستقيم تضمن أن سالكه عليه يتوكل،." (٢)

"ص -٢٢٢- يتكلم،أو يتكلم مجازا، وهم يقولون : يتكلم حقيقة، ولكن قولهم في المعني قوله،وهو ينفي الأسماء كالباطنية والفلاسفة

ومنها : بطلان قول من زعم أنه فاض من العقل الفعال أو غيره، وهذا أعظم كفرا وضلالا من الذي قبله

ومنها : إبطال قول الأشعرية : إن كلام الله معني وهذا العربي خلق ليدل عليه، سواء قالوا : خلق في بعض الأجسام، أو ألهمه جبريل، أو أخذه من اللوح، فإن هذا لابد له من متكلم تكلم به أولا، وهذا يوافق قول من قال : إنه مخلوق، لكن يفارقه من وجهين :

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٠/٢٤٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٩/٢٤٥

أحدهما : أن أولئك يقولون : المخلوق كلام الله،وهؤلاء يقولون : إنه كلام مجازا، وهذا أشر من قول المعتزلة، بل هو قول الجهمية المحضة، لكن المعتزلة يوافقونهم في المعني

الثاني : أنهم يقولون : لله كلام قائم بذاته، والخلقية يقولون : لا يقوم بذاته؛ فإن الكلابية خير منهم في الظاهر، لكن في الحقيقة لم يثبتوا كلاما له غير المخلوق

والمقصود أن الآية تبطل هذا، " والقرآن " اسم للعربي، لقوله: ﴿ فإذا قرأت القرآن ﴾ [النحل : ٩٨] وأيضا،فقوله: ﴿ نزله ﴾ عائد إلي قوله: ﴿ والله أعلم بما ينزل ﴾ [النحل : ١٠١] ،." (١)

"ص -٢٢٣- فالذي نزله الله هو الذي نزله روح القدس،وأيضا،قال : ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون الآية﴾ [النحل : ١٠٣] ، وهم يقولون : إنما يعلم هذا القرآن العربي بشر لقوله: ﴿ لسان الذي يلحدون إليه ﴾ [النحل : ١٠٣] إلخ، فعلم أن محمدا لم يؤلف نظما بل سمعه من روح القدس، وروح القدس الذي نزل به من الله،فعلم أنه سمعه منه، لم يؤلفه هو

ونظيرها قوله: ﴿ وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا ﴾ [الأنعام : ١١٤] و " الكتاب " : اسم للقرآن بالضرورة والاتفاق؛ فإنهم أو بعضهم يفرقون بين كتاب الله وكلامه، ولفظ " الكتاب " : يراد به المكتوب فيه، فيكون هو الكلام، ويراد به ما يكتب فيه، كقوله: ﴿ في كتاب مكنون ﴾ [الواقعة : ٧٨] ، وقوله: ﴿ ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ﴾ [الإسراء : ١٣] ، وقوله : ﴿ يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ﴾ [الأنعام : ١١٤] ، إخبار مستشهد بهم، فمن لم يقر به منا فهو خير منه من هذا الوجه

وهذا لا ينافي ما جاء عن ابن عباس وغيره : أنه أنزل في ليلة القدر إلي بيت العزة في السماء الدنيا، ولا ينافي أنه مكتوب في اللوح قبل نزوله، سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل، أو بعده فإذا أنزل جملة إلي بيت العزة فقد كتبه كله قبل أن ينزله، والله يعلم ما كان وما يكون، وما لا يكون لو كان كيف يكون، وهو قد كتب المقادير وأعمال العباد قبل أن يعملوها، ثم يأمر بكتابتها بعد أن يعملوها، فيقابل بين." (٢)

"ص -٢٢٤- الكتابة المتقدمة والمتأخرة فلا يكون بينهما تفاوت، هكذا قال ابن عباس وغيره فإذا كان ما يخلقه بائنا عنه قد كتبه قبل أن يخلقه، فكيف لا يكتب كلامه الذي يرسل به ملائكته قبل أن يرسلهم ؟

ومن قال : إن جبرائيل أخذه عن الكتاب، لم يسمعه من الله فهو باطل من وجوه :

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٧/٢٤٦

(٢) مجموع الفتاوى ، ٨/٢٤٦

منها : أنه سبحانه كتب التوراة لموسي بيده، فبنو إسرائيل أخذوا كلامه من الكتاب الذي كتبه ومحمد عن جبريل عن الكتاب فهم أعلي بدرجة، ومن قال : إنه ألقي إلي جبريل معاني وعبر **بالعربي** فمعناه أنه ألهمه إلهاما، وهذا يكون لآحاد المؤمنين، كقوله: ﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي ﴾ [المائدة : ١١١] ، ﴿وأوحينا إلى أم موسى ﴾ [القصص : ٧] ، فيكون هذا أعلي من أخذ محمد صلى الله عليه وسلم

وأيضا : فإنه سبحانه قال : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين﴾ من بعده إلي قوله: ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ [النساء : ١٦٣، ١٦٤] ، وهذا يدل علي أمور : علي أنه يكلم العبد تكليما زائدا علي الوحي الذي هو قسيم التكليم الخاص

فإن لفظ التكليم والوحي كل منهما ينقسم إلي عام وخاص، فالتكليم." (١)

"ص -١٠١- فالحمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسل إلينا رسولا من أنفسنا، يتلو علنا آيات الله ويزكينا، ويعلمنا الكتاب والحكمة، وإن كنا من قبل لفي ضلال مبين . وقال أهل الجنة : ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ [الأعراف : ٤٣] . والدنيا كلها ملعونة ملعون ما فيها إلا ما أشرقت عليه شمس الرسالة وأسس بنيانه عليها، ولا بقاء لأهل الأرض إلا ما دامت آثار الرسل موجودة فيهم، فإذا درست آثار الرسل من الأرض وانمحت بالكلية خرب الله العالم العلوي والسفلي وأقام القيامة .

وليست حاجة أهل الأرض إلى الرسول كحاجتهم إلى الشمس والقمر، والرياح والمطر، ولا كحاجة الإنسان إلى حياته، ولا كحاجة العين إلى ضوئها، والجسم إلى الطعام والشراب، بل أعظم من ذلك، وأشد حاجة من كل ما يقدر ويخطر بالبال، فالرسل وسائط بين الله وبين خلقه في أمره ونهيه، وهم السفراء بينه وبين عباده .

وكان خاتمهم وسيدهم وأكرمهم على ربه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقول : " يا أيها الناس، إنما أنا رحمة مهداة " ، وقال الله تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ، وقال صلوات الله وسلامه عليه : " إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، **عربهم** وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب " وهذا المقت كان لعدم هدايتهم بالرسل،." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٩/٢٤٦

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٠/٢٤٦

"ص -١٣٥- فصل

إذا تبين هذا، فمن الناس من صار في طرفي نقيض، فحكى عن بعض السوفسطائية أنه جعل جميع العقائد هي المؤثرة في الاعتقادات، ولم يجعل للأشياء حقائق ثابتة في نفسها، يوافقها الاعتقاد تارة ويخالفها أخرى، بل جعل الحق في كل شيء ما اعتقده المعتقد، وجعل الحقائق تابعة للعقائد، وهذا القول على إطلاقه وعمومه لا يقوله عاقل سليم العقل، وإنما هو من جنس ما يحكى أن السوفسطائية أنكروا الحقائق ولم يثبتوا حقيقة ولا علما بحقيقة، وأن لهم مقدما يقال له : سوفسطا كما يذكره فريق من أهل الكلام .

وزعم آخرون أن هذا القول لا يعرف أن عاقلا قاله، ولا طائفة تسمى بهذا الاسم، وإنما هي كلمة **معربة** من اللغة اليونانية ومعناها : الحكمة المموهة، يعنون الكلام الباطل الذي قد يشبه الحق، كما قد يتخيله الإنسان لفساد عقله أو مزاجه أو اشتباه الأمر عليه، وجعلوا." (١)

"ص -٧٤- وقال :

فصل تفسير سورة عبس

ولجماعة من الفضلاء كلام في قوله تعالى : ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ﴾ [عبس : ٣٤، ٣٥] ، لم ابتدأ بالأخ ومن عادة **العرب** أن يبدأ بالأهم ؟ فلما سئلت عن هذا قلت : إن الابتداء يكون في كل مقام بما يناسبه، فتارة : يقتضي الابتداء بالأعلي، وتارة : بالأدني، وهنا : المناسبة تقتضي بالابتداء بالأدني؛ لأن المقصود بيان فراره عن أقاربه . مفصلا، شيئا بعد شيء، فلو ذكر الأقرب أولا، لم يكن في ذكر الأبعد فائدة طائلة، فإنه يعلم أنه إذا فر من الأقرب، فر من الأبعد، ولما حصل للمستمع استشعار الشدة مفصلة، فابتدئ بنفي الأبعد متنقلا منه إلى الأقرب، فقيل أولا : ﴿يوم يفر المرء من أخيه ﴾ [عبس : ٣٤] ، فعلم أن ثم شدة توجب ذلك، وقد يجوز أن يفر من غيره، ويجوز ألا يفر، فقيل : ﴿وأمه وأبيه ﴾ [عبس : ٣٥] ، فعلم أن الشدة أكبر من ذلك،بحيث توجب الفرار من ال أبوين .

ثم قيل : ﴿وصاحبته وبنيه ﴾ [عبس : ٣٦] ، فعلم أنها طامة بحيث توجب الفرار." (٢)

"ص -١٦٨- وكذلك القرآن إذا قيل فيه : قرآن، وفرقان، وبيان؛ وهدي، وبصائر، وشفاء، ونور، ورحمة، وروح، فكل اسم يدل على معني ليس هو المعني الآخر .

وكذلك أسماء الرب تعالى إذا قيل : الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر،

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٤/٢٤٧

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢/٢٤٨

الخالق، البارئ، المصور، فكل اسم يدل على معني ليس هو المعني الذي في الاسم الآخر، فالذات واحدة والصفات متعددة، فهذا في الأسماء المفردة .

وكذلك في الجمل التامة، يعبر عن القصة بجمل تدل على معان فيها، ثم يعبر عنها بجمل أخري تدل على معان أخر، وإن كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة فصفاتها متعددة، ففي كل جملة من الجمل معني ليس في الجمل الأخر .

وليس في القرآن تكرار أصلا، وأما ما ذكره بعض الناس من أنه كرر القصص مع إمكان الاكتفاء بالواحدة، وكان الحكمة فيه : أن وفود **العرب** كانت ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقرئهم المسلمون شيئا من القرآن، فيكون ذلك كافيا، وكان يبعث إلى القبائل." (١)

"ص -١٧٠- ودين الحق، كما قال : ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ﴾ [الفتح : ٢٨] ، وقد قال تعالى : ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار ﴾ [ص : ٤٥] ، فذكر النوعين . قال الوالبي عن ابن عباس يقول : أولو القوة في العبادة، قال ابن أبي حاتم : وروي عن سعيد بن جبير وعطاء الخراساني والحسن والضحاك والسدي وقتادة وأبي سنان ومبشر بن عبيد نحو ذلك . و ﴿والأبصار ﴾ قال : الأبصار : الفقه في الدين . وقال مجاهد : ﴿والأبصار ﴾ الصواب في الحكم . وعن سعيد بن جبير قال : البصيرة بدين الله وكتابه . وعن عطاء الخراساني : ﴿أولي الأيدي والأبصار ﴾ قال : أولو القوة في العبادة والبصر والعلم بأمر الله . وعن مجاهد، وروي عن قتادة قال : أعطوا قوة في العبادة وبصرا في الدين .

وجميع حكماء الأمم يفضلون هذين النوعين، مثل حكماء إلونان وإلهند **والعرب**، قال ابن قتيبة : الحكمة عند **العرب** العلم والعمل، فالعمل الصالح هو عبادة الله وحده لا شريك له، وهو الدين دين الإسلام، والعلم والهدي هو تصديق الرسول فيما أخبر به عن الله وملائكته وكتبه ورسله وإلىوم الآخر، وغير ذلك، فالعلم النافع هو الإيمان، والعمل الصالح هو الإسلام، العلم النافع من علم الله، والعمل الصالح هو العمل بأمر الله، هذا تصديق الرسول فيما أخبر، وهذا." (٢)

"ص -٢٠٥- آثم مخطئ كالعلمية، وإن لم يكن عليها دليل قطعي فليس لله فيها حكم في الباطن، وحكم الله في حق كل مجتهد ما أداه اجتهاده إليه .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٧/٢٤٨

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٩/٢٤٨

وهؤلاء وافقوا الأولين في أن الخطأ والإثم متلازمان، وإن كان مخطئ آثم، لكن خالفوهم في المسائل الاجتهادية، فقالوا : ليس فيها قاطع، والظن ليس عليه دليل عند هؤلاء، وإنما هو من جنس ميل النفوس إلى شيء دون شيء، فجعلوا الاعتقادات الظنية من جنس الإرادات، وادعوا أنه ليس في نفس الأمر حكم مطلوب بالاجتهاد، والإثم في نفس الأمر أمارة أرجح من أمارة، وهذا القول قول أبي الهذيل العلاف ومن اتبعه كالجبائي وابنه، وهو أحد قولي الأشعري وأشهرهما، وهو اختيار القاضي الباقلاني وأبي حامد الغزالي، وأبي بكر بن العربي؛ ومن اتبعهم . وقد بسطنا القول في ذلك بسطا كثيرا في غير هذا الموضع .

والمخالفون لهم كأبي إسحاق الإسفرائيني وغيره من الأشعرية، وغيرهم يقولون : هذا القول أوله سفسطة وآخره زندقة، وهذا قول من يقول : إن كل مجتهد في المسائل الاجتهادية العملية فهو مصيب باطنا وظاهرا؛ إذ لا يتصور عندهم أن يكون مجتهدا مخطئا إلا بمعنى أنه خفي عليه بعض الأمور، وذلك الذي خفي عليه ليس هو حكم الله، لا." (١)

"ص -٢٣٩- وقال :

فصل

في طريقتي العلم والعمل

قال الله تعالى لموسي وهارون : ﴿ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ [طه : ٤٤] ، وقال في السورة بعينها : ﴿كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا ﴾ إلى قوله: ﴿ وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ﴾ [طه : ٩٩ ١١٣]

فذكر في كل واحدة من الرسالتين العظيمتين رسالة موسي ورسالة محمد أن ذلك لأجل التذكر أو الخشية، ولم يقل : ليتذكر ويخشي، ولا قال : ليتقون ويحدث لهم ذكرا، بل جعل المطلوب أحد الأمرين، وهذا مطابق لقوله: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ [النحل : ١٢٥] ، ونحو ذلك." (٢)

"ص -٢٤٨- قال شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى:

فصل

في قوله تعالي : ﴿ إن هذان لساحران ﴾ [طه : ٦٣] ، فإن هذا مما أشكل على كثير من الناس، فإن الذي في مصاحف المسلمين إن هذان بالألف، وبهذا قرأ جماهير القراء، وأكثرهم يقرأ : إن مشددة، وقرأ

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤/٢٤٩

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤/٢٥٠

ابن كثير وحفص عن عاصم : إن مخففة، لكن ابن كثير يشدد نون هذان دون حفص، والإشكال من جهة العربية على القراءة المشهورة، وهي قراءة نافع وابن عامر وحمزة والكسائي، وأبي بكر عن عاصم، وجمهور القراء عليها، وهي أصح القراءات لفظا ومعنى

وهذا يتبين بالكلام على ما قيل فيها

فإن منشأ الإشكال : أن الاسم المثني يعرب في حال النصب والخفض بالياء، وفي حال الرفع بالألف، وهذا متواتر من لغة العرب :." (١)

"ص -٢٤٩- لغة القرآن وغيرها في الأسماء المبنية، كقوله: ﴿ ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ، ثم قال : ﴿ فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث ﴾ [النساء : ١١] ، وقال : ﴿ ورفع أبويه على العرش ﴾ [يوسف : ١٠٠] ، وقال : ﴿وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ﴾ [المائدة : ٦] ولم يقل : الكعبان، وقال : ﴿واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث ﴾ [يس : ١٣، ١٤] ، ولم يقل : اثنان، وقال : ﴿ قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين ﴾ [هود : ٤٠] ، وقال : ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ﴾ [الأنعام : ١٤٣] ، ولم يقل : اثنان، ولا الذكران ولا أنثيان، وقال : ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين ﴾ [الذاريات : ٤٩] ، ولم يقل : زوجان، وقال : ﴿ فإن كن نساء فوق اثنتين ﴾ [النساء : ١١] ، ولم يقل : اثنتان

ومثل هذا كثير مشهور في القرآن وغيره

فظن النحاة أن الأسماء المبهمة المبنية مثل هذين واللذين تجري هذا المجري، وأن المبني في حال الرفع يكون بالألف، ومن هنا نشأ الإشكال

وكان أبو عمرو إماما في العربية، فقرأ بما يعرف من العربية : " إن هذين لساحران " وقد ذكر أن له سلفا في هذه القراءة، وهو الظن." (٢)

"ص -٢٥٠- به : أنه لا يقرأ إلا بما يرويه، لا بمجرد ما يراه، وقد روي عنه أنه قال : إني لأستحيي من الله أن أقرأ : إن هذان ؛ وذلك لأنه لم ير لها وجها من جهة العربية، ومن الناس من خطأ أبا عمرو في هذه القراءة، ومنهم الزجاج، قال : لا أجيز قراءة أبي عمرو، خلاف المصحف

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٣/٢٥٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٤/٢٥٠

وأما القراءة المشهورة الموافقة لرسم المصحف، فاحتج لها كثير من النحاة بأن هذه لغة بني الحارث بن كعب، وقد حكي ذلك غير واحد من أئمة **العربية** قال المهدوي : بنو الحارث بن كعب يقولون : ضربت الزيدان، ومررت بالزيدان، كما تقول : جاءني الزيدان قال المهدوي : حكي ذلك أبو زيد، والأخفش، والكسائي، والفراء، وحكي أبو الخطاب : أنها لغة بني كنانة، وحكي غيره : أنها لغة لخثعم، ومثله قول الشاعر :

تزود منا بين أذناه ضربة دعته إلى هاوي التراب عقيم

وقال ابن الأنباري [هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الشيباني، كاتب الإنشاء بديوان الخلافة ببغداد خمسين سنة علت مكانته عند الخلفاء والسلاطين، وناب في الوزارة، وأنفذ رسولا إلى ملوك الشام وخراسان وكان فاضلا أديبا، ولد سنة ٩٦٤ هـ، وتوفي سنة ٨٥٥ هـ] : هي لغة لبني الحارث بن كعب وقريش، قال الزجاج : وحكي أبو عبيدة عن أبي الخطاب وهو رأس من رؤوس الرواة أنها لغة لكنانة يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد، وأنشدوا :

فأطرق إطراق الشجاع ولو يجد مساغا لناباه الشجاع لصمما." (١)

"ص -٢٥٥- وحينئذ، فالذي يجب أن يقال : إنه لم يثبت أنه لغة قريش، بل ولا لغة سائر **العرب** : أنهم ينطقون في الأسماء المبهمة إذا ثنيت بالياء، وإنما قال ذلك من قاله من النحاة قياسا، جعلوا باب التثنية في الأسماء المبهمة كما هو في سائر الأسماء، وإلا فليس في القرآن شاهد يدل على ما قالوه، وليس في القرآن اسم مبهم مبني في موضع نصب أو خفض إلا هذا، ولفظه : هذان ، فهذا نقل ثابت متواتر لفظا ورسما

ومن زعم أن الكاتب غلط فهو الغالط غلطا منكرا، كما قد بسط في غير هذا الموضع، فإن المصحف منقول بالتواتر، وقد كتبت عدة مصاحف، وكلها مكتوبة بالألف، فكيف يتصور في هذا غلط

وأيضا، فإن القراء إنما قرؤوا بما سمعوه من غيرهم، والمسلمون كانوا يقرؤون " سورة طه " ، على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وهي من أول ما نزل من القرآن، قال ابن مسعود : بنو إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء من العتاق الأول، وهن من تلادي رواه البخاري عنه وهي مكية

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٥/٢٥٠

باتفاق الناس، قال أبو الفرج وغيره : هي مكية بإجماعهم، بل هي من أول ما نزل، وقد روي : أنها كانت مكتوبة عند أخت عمر، وأن سبب إسلام عمر كان لما بلغه إسلام أخته، وكانت السورة تقرأ عندها." (١)

"ص -٢٥٦- فالصحابة لابد أن قد قرؤوا هذا الحرف، ومن الممتنع أن يكونوا كلهم قرؤوه بالياء كأبي عمرو، فإنه لو كان كذلك لم يقرأها أحد إلا بالياء، ولم تكتب إلا بالياء، فعلم أنهم أو غالبهم كانوا يقرؤونها بالألف كما قرأها الجمهور، وكان الصحابة بمكة والمدينة والشام والكوفة والبصرة يقرؤون هذه السورة في الصلاة وخارج الصلاة، ومنهم سمعها التابعون، ومن التابعين سمعها تابعوهم، فيمتنع أن يكون الصحابة كلهم قرؤوها بالياء مع أن جمهور القراء لم يقرؤوها إلا بالألف، وهم أخذوا قراءتهم عن الصحابة، أو عن التابعين عن الصحابة، فهذا مما يعلم به قطعا أن عامة الصحابة إنما قرؤوها بالألف كما قرأ الجمهور، وكما هو مكتوب

وحينئذ، فقد علم أن الصحابة إنما قرؤوا كما علمهم الرسول، وكما هو لغة **للعرب**، ثم لغة قريش، فعلم أن هذه اللغة الفصيحة المعروفة عندهم في الأسماء المبهمة تقول : إن هذان، ومررت بهذان : تقولها في الرفع والنصب والخفض بالألف، ومن قال : إن لغتهم أنها تكون في الرفع بالألف، طولب بالشاهد على ذلك والنقل عن لغتهم المسموعة منهم نثرا ونظما، وليس في القرآن ما يشهد له، ولكن عمدته القياس

وحينئذ، فنقول :." (٢)

"ص -٢٥٧- قياس " هذا " بغيرها من الأسماء غلط،فإن الفرق بينهما ثابت عقلا وسماعا : أما النقل والسماع فكما ذكرناه، وأما العقل والقياس فقد تفطن للفرق غير واحد من حذاق النحاة، فحكي ابن الأنباري وغيره عن الفراء قال : ألف التثنية في " هذان " هي ألف هذا، والنون فرقت بين الواحد والاثنين، كما فرقت بين الواحد والجمع نون الذين، وحكاه المهدوي وغيره عن الفراء، ولفظه قال : إنه ذكر أن الألف ليست علامة التثنية، بل هي ألف هذا، فزدت عليها نونا، ولم أغيرها، كما زدت على الياء من الذي، فقلت : الذين في كل حال، قال : وقال بعض الكوفيين : الألف في هذا مشبهة يفعلان، فلم تغير كما لم تغير

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٠/٢٥٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢١/٢٥٠

قال : وقال الجرجاني [هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي المشهور، واضع أصول البلاغة، كان من كبار أئمة اللغة **العربية**، من أهل جرجان له شعر رقيق، من كتبه أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، وكان شافعي المذهب، أشعري الأصول، توفي سنة ٤٧١هـ] : لما كان اسما على حرفين أحدهما حرف مد ولين، وهو كالحركة، ووجب حذف إحدي الألفين في التثنية لم يحسن حذف الأولي؛ لئلا يبقي الاسم على حرف واحد، فحذف علم التثنية، وكان النون يدل على التثنية، ولم يكن لتغيير النون الأصلية الألف وجه، فثبت في كل حال كما يثبت في الواحد قال المهدوي : وسأل إسماعيل القاضي ابن كيسان عن هذه المسألة فقال : لما لم يظهر في المبهم إعراب في الواحد ولا في الجمع، جرت التثنية على ذلك مجري الواحد، إذ التثنية يجب ألا تغير، فقال إسماعيل : ما أحسن ما قلت لو تقدمك أحد بالقول فيه حتى يؤنس به فقال له ابن كيسان : فليقل القاضي." (١)

"ص -٢٥٨- حتى يؤنس به، فتبسم ! !

قلت : بل تقدمه الفراء وغيره، والفراء في الكوفيين مثل سيبويه في البصريين، لكن إسماعيل كان اعتماده على نحو البصريين، والمبرد كان خصيصا به

وبيان هذا القول : أن المفرد " ذا " ، فلو جعلوه كسائر الأسماء؛ لقالوا في التثنية : " ذوان " ، ولم يقولوا : " ذان " ، كما قالوا : عصوان، ورجوان ونحوهما من الأسماء الثلاثية، و " ها " حرف تنبيه، وقد قالوا فيما حذفوا لامه : أبوان، فردته التثنية إلى أصله، وقالوا في غير هذا [بياض بالأصل] : ويدان وأما " ذا " ، فلم يقولوا : " ذوان " ، بل قالوا كما فعلوا في " ذو " ، و " ذات " التي بمعنى صاحب، فقالوا : هو ذو علم، وهما ذوا علم، كما قال: ﴿ ذواتا أفنان ﴾ [الرحمن : ٤٨] ، وفي اسم الإشارة قالوا : " ذان " ، و " تان " ، كما قال: ﴿ فذانك برهانان من ربك ﴾ [القصص : ٣٢] ، فإن " ذا " بمعنى صاحب هو اسم **معرب**، فتغير إعرابه في الرفع والنصب والجر، فقيل : ذو، وذا، وذي

وأما المستعمل في الإشارة والأسماء الموصولة والمضمرات هي مبنية،." (٢)

"ص -٢٥٩- لكن أسماء الإشارة لم تفرق لا في واحده،ولا في جمعه بين حال الرفع والنصب والخفض،فكذلك في تثنيته، بل قالوا : قام هذا وأكرمت هذا، ومررت بهذا، وكذلك هؤلاء في الجمع، فكذلك المثني، قال هذان، وأكرمت هذان، ومررت بهذان، فهذا هو القياس فيه أن يلحق مثناه بمفرده

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٢/٢٥٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٣/٢٥٠

وبمجموعه، لا يلحق بمثني غيره الذي هو أيضا معتبر بمفرده ومجموعه

فالأسماء **المعربة** ألحق مثناها بمفردها ومجموعها، تقول : رجل، ورجلان، ورجال، فهو **معرب** في الأحوال الثلاثة؛ يظهر الإعراب في مثناه، كما ظهر في مفرده ومجموعة

فتبين أن الذين قالوا : إن مقتضي **العربية** أن يقال : " إن هذين " ليس معهم بذلك نقل عن اللغة المعروفة في القرآن التي نزل بها القرآن، بل هي أن يكون المثني من أسماء الإشارة مبنيا في الأحوال الثلاثة على لفظ واحد، كمفرد أسماء الإشارة ومجموعها

وحينئذ، فإن قيل : إن الألف هي ألف المفرد زيد عليها النون، أو قيل : هي علم للتثنية وتلك حذفت، أو قيل : بل هذه الألف تجمع هذا، وهذا معنى جواب ابن كيسان، وقول الفراء مثله في المعني، وكذلك قول الجرجاني، وكذلك قول من قال : إن الألف فيه تشبه ألف يفعلان." (١)

"ص -٢٦١- كما فعلوا ذلك في الأسماء **المعربة**، وأن ذلك في المثني أبلغ منه في لفظ الواحد والجمع، إذ كانوا في الضمائر يفرقون بين ضمير المنصوب والمجرور، وبين ضمير المرفوع في الواحد والمثني، ولا يفرقون في المثني وفي لفظ الإشارة والموصول، ولا يفرقون بين الواحد والجمع وبين المرفوع وغيره، ففي المثني بطريق الأولي والحمد لله وحده،وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

ذكر شيخنا شيخ الإسلام ابن تيمية هذه المسألة في موضع آخر، وذكر فيها هذا الاعتراض

فصل

وقد يعترض على ما كتبناه أولا بأنه جاء أيضا في غير الرفع بالياء كسائر الأسماء، قال تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس ﴾ [فصلت : ٢٩] ، ولم يقل : " اللذان أضلانا " ، كما قيل في اللذين : إنه بالياء في الأحوال الثلاثة، وقال تعالى في قصة موسي : قال ﴿إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين ﴾ [القصص : ٢٧] ، ولم يقل : " هاتان " ، و " هاتان " تبع لابنتي، وقد يسمي عطف بيان وهو يشبه الصفة كقوله: ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحا ﴾ [هود : ٦١] ، لكن الصفة تكون مشتقة أو في معنى المشتق، وعطف." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٤/٢٥٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ٢٦/٢٥٠

"ص -١٥٩- وأما تمثيلهم ذلك بقوله : ﴿سرابيل تقيكم الحر ﴾ [النحل : ٨١] ، أي : وتقيكم البرد فعنه جوابان :

أحدهما : أنه ليس هناك حرف شرط علق به الحكم بخلاف هذا الموضع . فإنه إذا علق الأمر بشرط وكان مأمورا به في حال وجود الشرط كما هو مأمور به في حال عدمه، كان ذكر الشرط تطويلا للكلام تقليلا للفائدة وإضلالا للسامع .

وجمهور الناس على أن مفهوم الشرط حجة، ومن نازع فيه يقول : سكت عن غير المعلق، لا يقول : إن اللفظ دل على المسكوت كما دل على المنطوق . فهذا لا يقوله أحد .

الثاني : أن قوله : ﴿تقيكم الحر ﴾ على بابه، وليس في الآية ذكر البرد . وإنما يقول : [إن المعطوف محذوف] هو الفراء وأمثاله ممن أنكر عليهم الأئمة حيث يفسرون القرآن بمجرد ظنهم وفهمهم لنوع من علم **العربية** عندهم، وكثيرا لا يكون ما فسروا به مطابقا .

وليس في الكلام ما يدل على ذكر البرد، ولكن الله ذكر في." (١)

"ص -١٦٠- هذه السورة إنعامه على عباده، وتسمى [سورة النعم] ، فذكر في أولها أصول النعم التي لابد منها ولا تقوم الحياة إلا بها، وذكر في أثنائها تمام النعم .

وكان ما يقي البرد من أصول النعم، فذكر في أول السورة في قوله : ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ﴾ [النحل : ٥] . فالدفء ما يدفئ ويدفع البرد .

والبرد الشديد يوجب الموت بخلاف الحر . فقد مات خلق من البرد بخلاف الحر، فإن الموت منه غير معتاد؛ ولهذا قال بعض **العرب** : البرد بؤس، والحر أذى .

فلما ذكر في أثنائها تمام النعم ذكر الظلال وما يقى الحر، وذكر الأسلحة وما يقى القتل، فقال : ﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾ [النحل : ٨١] ، فذكر أنه يتم نعمته كما بن ذلك في هذه الآيات، فقال : ﴿كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾ .

وفرق بين الظلال والأكنان؛ فإن الظلال يكون بالشجر." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٨٠/٢٥٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ٨١/٢٥٠

"ص -١٨١- وقد تحصل الذكرى الموجبة للخير بهذا وبهذا، كما قال تعالى : ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ [ق : ٣٦، ٣٧] .

الفائدة الثانية : أن التذكر سبب الخشية، والخشية حاصلة عن التذكر . فذكر التذكر الذي هو السبب، وذكر الخشية التي هى النتيجة وإن كان أحدهما مستلزما للآخر كما قال : ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ [ق : ٣٧] ، وكما قال أهل النار : ﴿لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾ [الملك : ١٠] ، وقال : ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ [الحج : ٤٦] فكل من النوعين يحصل به النجاة لأنه مستلزم للآخر .

فالذي يسمع ما جاءت به الرسل سمعا يعقل به ما قالوه ينجو . وإلا فالسمع بلا عقل لا ينفعه، كما قال : ﴿ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم ﴾ [محمد : ١٦] ، وقال : ﴿ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ﴾ [يونس : ٤٢] ، وقال : ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ [يوسف : ٢] .." (١)

"ص -١٨٩- وقد أمر سبحانه بذكر نعمه في غير موضع، كقوله : ﴿واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة ﴾ [البقرة : ٢٣١] .

والمطلوب بذكرها شكرها، كما قال : ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ [البقرة : ١٥٠ - ١٥٢] .

وقوله : ﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم ﴾ يتناول كل من خوطب بالقرآن . وكذلك قوله : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ [التوبة : ١٢٨] . فالرسول من أنفس من خوطب بهذا الكلام، إذ هى كاف الخطاب .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٠٢/٢٥٠

ولما خوطب به أولا قريش، ثم **العرب**، ثم سائر الأمم، صار يخص ويعم بحسب ذلك .

وفيه ما يخص قريشا كقوله : ﴿لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ﴾ [قريش : ١، ٢] .." (١)

"ص -١٩٠- وقوله : ﴿وإنه لذكر لك ولقومك ﴾ [الزخرف : ٤٤] .

وفيه ما يعم **العرب** ويخصهم، كقوله : ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ﴾ [الجمعة : ٢] ، والأميون يتناول **العرب** قاطبة دون أهل الكتاب .

ثم قال : ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ﴾ [الجمعة : ٣] . فهذا يتناول كل من دخل في الإسلام بعد دخول **العرب** فيه إلى يوم القيامة، كما قال ذلك مقاتل بن حيان [هو أبو بسطام مقاتل بن حيان النبطى البلخى الخراز، مولى بكر بن وائل، وثقه ابن معين وأبو داود، وقال النسائى : ليس به بأس، مات قبل الخمسين ومائة تقريبا] ، وعبد الرحمن بن زيد، وغيرهما .

فإن قوله : ﴿وآخرين منهم ﴾ ؛ أى : في الدين دون النسب، إذ لو كانوا منهم في النسب لكانوا من الأميين .

وهذا كقوله تعالى : ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم ﴾ [الأنفال : ٧٥] .

وقد ثبت في الصحيح أن هذه الآية لما نزلت سئل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال : " لو كان الإيمان معلقا بالثريا لتناوله رجال من أبناء فارس " . فهذا يدل على دخول هؤلاء لا يمنع دخول غيرهم من الأمم .

وإذا كانوا هم منهم فقد دخلوا في قوله :." (٢)

"ص -١٩١- ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ﴾ [آل عمران : ١٦٤] ، فالمنة على جميع المؤمنين **عربهم** وعجمهم، سابقهم ولاحقهم والرسول منهم؛ لأنه إنسى مؤمن . وهو من **العرب** أخص؛ لكونه **عربيا** جاء بلسانهم، وهو من قريش أخص .

والخصوص يوجب قيام الحجة، لا يوجب الفضل، إلا بالإيمان والتقوى لقوله : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [الحجرات : ١٣] .

ولهذا كان الأنصار أفضل من الطلقاء من قريش، وهم ليسوا من ربيعة ولا مضر، بل من قحطان .

وأكثر الناس على أنهم من ولد هود، ليسوا من ولد إبراهيم .

وقيل : إنهم من ولد إسماعيل؛ لحديث أسلم لما قال : " ارموا، فإن أباكم كان راميا " ، وأسلم من خزاعة،

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١١٠/٢٥٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ١١١/٢٥٠

وخزاعة من ولد إبراهيم .

وفي هذا كلام ليس هذا موضعه؛ إذ المقصود أن الأنصار أبعد نسبا من كل ربيعة ومضر مع كثرة هذه القبائل . ومع هذا هم أفضل من جمهور قريش، إلا من السابقين الأولين من المهاجرين وفيهم قرشي وغير قرشي . ومجموع السابقين ألف وأربعمائة غير مهاجرى الحبشة .." (١)

"ص -١٩٢- فقوله : ﴿لقد جاءكم ﴾ [التوبة : ١٢٨] يخص قريشا، **والعرب**، ثم يعم سائر البشر؛ لأن القرآن خطاب لهم . والرسول من أنفسهم، والمعنى ليس بملك لا يطيقون الأخذ منه، ولا جني .

ثم يعم الجن؛ لأن الرسول أرسل إلى الإنس والجن، والقرآن خطاب للثقلين، والرسول منهم جميعا، كما قال : ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ [الأنعام : ١٣٠] ، فجعل الرسل التي أرسلها من النوعين مع أنهم من الإنس .

فإن الإنس والجن مشتركون مع كونهم أحياء ناطقين مأمورين منهيين فإنهم يأكلون ويشربون، وينكحون وينسلون، ويغتذون وينمون بالأكل والشرب . وهذه الأمور مشتركة بينهم . وهم يتميزون بها عن الملائكة، فإن الملائكة لا تأكل ولا تشرب، ولا تنكح ولا تنسل .

فصار الرسول مع أنفس الثقلين، باعتبار القدر المشترك بينهم الذي تميزوا به عن الملائكة، حتى كان الرسول مبعوثا إلى الثقلين دون الملائكة .

وكذلك قوله : ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ﴾ [آل عمران : ١٦٤] ،." (٢)

"ص -٢٣٦- وعادتهم من غير حد شرعي ولا لغوي، وبهذا يحصل التفقه في الكتاب والسنة .

والاسم إذا بين النبي صلى الله عليه وسلم حد مسماه لم يلزم أن يكون قد نقله عن اللغة أو زاد فيه، بل المقصود أنه عرف مراده بتعريفه هو صلى الله عليه وسلم كيف ماكان الأمر؛ فإن هذا هو المقصود، وهذا كاسم الخمر؛ فإنه قد بين أن كل مسكر خمر، فعرف المراد بالقرآن . وسواء كانت **العرب** قبل ذلك تطلق لفظ الخمر على كل مسكر أو تخص به عصير العنب لا يحتاج إلى ذلك؛ إذ المطلوب معرفة ما أراد الله ورسوله بهذا الاسم، وهذا قد عرف ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم، وبأن الخمر في لغة المخاطبين

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١١٢/٢٥٠

(٢) مجموع الفتاوى ، ١١٣/٢٥٠

بالقرآن كانت تتناول نبيذ التمر وغيره، ولم يكن عندهم بالمدينة خمر غيرها . وإذا كان الأمر كذلك، فما أطلقه الله من الأسماء وعلق به الأحكام من الأمر والنهي والتحليل والتحريم لم يكن لأحد أن يقيده إلا بدلالة من الله ورسوله .

فمن ذلك اسم الماء مطلق في الكتاب والسنة، ولم يقسمه النبي صلى الله عليه وسلم إلى قسمين : طهور، وغير طهور، فهذا التقسيم، مخالف للكتاب والسنة، وإنما قال الله : ﴿فلم تجدوا ماء ﴾ [النساء : ٤٣] ، وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع، وبينا أن كل ما وقع عليه اسم الماء فهو طاهر طهور، سواء كان مستعملا في طهر واجب، أو مستحب،." (١)

"ص -٢٢٤- في المظهر من المثنى والمجموع؛ لأن المظهر قبل المضمر وأقوى منه، فكانت أحق أن تكون فيه من الألف، فحين ما كان أقوى كانت الواو، وحين ما كان أوسط كان الياء .

وأما الجموع الظاهرة، فالواو هى علم الجمع المذكر الصحيح، كما أن الألف علم التثنية؛ ولهذا ينطق بها حيث لا إعراب، لكن في حال النصب والخفض قلبتا يائين لأجل الفرق، وذلك لأن الأسماء الظاهرة لها الغيبة دون الخطاب في جميع العربية؛ وذلك لأن الواو أقوى حروف العلة، والضمة بعضها، وهى أقوى الحركات، لما فيها من الجمع، وكونها آخرا، فجعلت للجمع والألف أخف حروف العلة، فجعلت للاثنين؛ لأن الياء كانت قد صارت للمؤنث في المفرد المرفوع الذي هو الأصل في قولك . . . [بياض بالأصل] ، وجاءت الميم في مثل : اللهم إشعار بجميع الأسماء؛ وذلك لأن حرف الشفة لما كان جامعا للقوة من مبدأ مخارج الحروف إلى منتهاها بمنزلة الخاتم الآخر، الذي حوى ما في المتقدم وزيادة كان جامعا لقوى الحروف، فجعل جامعا للأسماء مظهرها ومضمرها وجامعا بين المفردات والجمل، فالواو والفاء عاطفان، والفاء رابطة جملة بجملة .

ولما كانت النون قريبة من الفيهة فهى أنفية، جعلت لجمع المؤنث ؛." (٢)

"ص -٢٧٧- وتأكيد جملة الجزاء قوله تعالى: ﴿ إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ [يوسف : ٩٠] ، فلا يقال فى هذا : ﴿ [إن] أعيدت لطول الكلام، ونظيره قوله تعالى: ﴿ إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ﴾ [طه : ٧٤]

ونظيره : ﴿ أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم ﴾ [الأنعام : ٥٤]

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣/٢٥١

(٢) مجموع الفتاوى ، ٥/٢٥٢

، فهما تأكيدان مقصودان لمعنيين مختلفين،ألا ترى تأكيد قوله: ﴿ غفور رحيم ﴾ ب[أن] غير تأكيد : ﴿ من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم له ﴾ ب[أن] ؟ ! وهذا ظاهر لا خفاء به، وهو كثير فى القرآن وكلام العرب

وأما قوله تعالى: ﴿ وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا ﴾ [آل عمران : ١٤٧] ،فهذا ليس من التكرار فى شيء، فإن [قولهم] : خبر [كان] قدم على اسمها، و [أن قالوا] : فى تأويل المصدر، وهو الاسم، فهما اسم كان وخبرها، والمعنى : وما كان لهم قول إلا قول : ربنا اغفر لنا ذنوبنا ، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿ وما كان جواب قومه إلا أن قالوا ﴾ [الأعراف : ٨٢] ، والجواب قول؛ وتقول : ما لفلان قول إلا قول : [لا حول ولاقوة إلا بالله] فلا تكرار أصلا

وأما قوله تعالى: ﴿ وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ﴾ [الروم : ٤٩] ،." (١)

"ص -٨١- سنة ٦٦٩، وأبو عبد الله محمد ابن عبد المنعم بن القواس، والمؤمل بن محمد البالسي، وأبو عبد الله محمد بن أبي بكر العامري في التاريخ، وأبو العباس أحمد بن شيبان، وأبو بكر بن محمد الهروي . وأبو زكريا يحيى بن أبي منصور بن الصيرفي، وأبو الفرج عبد الرحمن بن سليمان البغدادي والشمس بن الزين، والكمال عبد الرحيم، وابن العسقلاني، وزينب بنت مكي، وست العرب .

قال الأل وابن شيبان وزينب : أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد طبرزذ .

وقال الباقون وابن شيبان : أخبرنا زيد بن الحسن الكندي، زاد ابن الصيرفي فقال : وأبو محمد عبد العزيز بن معالي بن غنيمة بن منينا، قراءة عليه، قالوا : أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله الأنصاري، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عمر ابن أحمد البرمكي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن أيوب بن ماسي، حدثنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله بن مسلم الكجي . حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثني حميد عن أنس :

أن الربيع بنت النضر عمته لطمت جارية فكسرت سنها، فعرضوا عليهم الأرش فأبوا . فطلبوا العفو فأبوا، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم." (٢)

"ص -١١٧- " إن الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله " .

ولد في سنة ٦٠٧ . وتوفي في جمادي الأولي سنة ٦٨٨ .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣/٢٥٣

(٢) مجموع الفتاوى ، ٧/٢٥٣

الحديث السابع والثلاثون

أخبرتنا الشيخة الصالحة أم الخير ست العرب بنت يحيى بن قايماز بن عبد الله التاجية الكندية، قراءة عليها وأنا أسمع في رمضان سنة ٦٨١، وأبو العباس بن شيبان، وابن العسقلاني، وأبو الحسن بن البخاري . قالوا : أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزذ، قراءة عليه ونحن نسمع، أخبرنا أبو غالب أحمد بن الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البناء، قراءة عليه وأنا أسمع سنة ٥٢٤، أخبرنا أبو محمد الحسن بن على بن محمد بن الحسن الجوهري، قراءة عليه، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي، حدثنا محمد بن يونس بن موسى، حدثنا أبو عاصم النبيل، عن حنظلة بن أبي سفيان، عن القاسم، عن عائشة :

"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغتسل من جنابة، فيأخذ." (١)

"ص -١١٨- حفنة لشق رأسه الأيمن،ثم يأخذ حفنة لشق رأسه الأيسر" .

أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي، عن أبي موسى الزمن، عن أبي عاصم .

ولدت في سنة ٥٩٩، وتوفيت سنة ٦٨٤ .

الحديث الثامن والثلاثون

أخبرتنا الشيخة الجليلة الأصيلة أم العرب فاطمة بنت أبي القاسم على بن أبي محمد القاسم بن أبي القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر، قراءة عليها وأنا أسمع في رمضان سنة ٦٨١، وأبو العباس بن شيبان، وست العرب بنت يحيى ابن قايماز . قالوا : أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزذ، قراءة عليه ونحن نسمع، أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن الحصين الشيباني، قراءة عليه، أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان، قراءة عليه، أخبرنا أبوإسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي النيسابوري، قراءة عليه في سنة ٣٥٤، أخبرنا أبو القاسم محمد بن." (٢)

"ص -٢٥٧- العزى ابن عم خديجة . وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبرى، فيكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي .

فقالت له خديجة : يا بن عم، اسمع من ابن أخيك .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٤٣/٢٥٣

(٢) مجموع الفتاوى ، ٤٤/٢٥٣

فقال له ورقة : يا بن أخى، ماذا ترى ؟

فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى .

فقال له ورقة : هذا الناموس الذي أنزل على موسى . يا ليتنى فيها جذعا ! ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أو مخرجي هم ؟ "

قال : نعم، لم يأت أحد قط بمثل ما جئت به إلا عودى . وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا .

ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي .

قال ابن شهاب الزهرى، سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن، قال : أخبرنى جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث." (١)

"ص -٢٦٩- فاستدل على أن الإنسان مخلوق بأنه مركب من الجواهر التي لا تخلو من اجتماع وافتراق، فلم تخل من الحوادث، فهي حادثة .

وهذه الطريقة هي مقتضية من كون الأجسام كلها كذلك .

وتلك هي الطريقة المشهورة التي يسلكها الجهمية، والمعتزلة، ومن اتبعهم من المتأخرين المنتسبين إلى المذاهب الأربعة وغيرهم من أصحاب أبي حنيفة، ومالك، والشافعى، وأحمد، كما ذكرها القاضى، وابن عقيل، وغيرهما . وذكرها أبو المعالى الجوينى، وصاحب [التتمة] ، وغيرهما . وذكرها أبو الوليد الباجى [هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجبى لمالكى الأندلسى الباجى، من علماء الأندلس، صنف كتبا كثيرة منها المنتقى وهو أحد أئمة المسلمين، توفي بالمرية ليلة الخميس بين العشاءين ١٩ رجب سنة ٤٧٤هـ ودفن بالرباط على ضفة البحر] ، وأبو بكر بن **العربي**، وغيرهما . وذكرها أبو منصور الماتريدي، والصابونى [هو أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل الصابوني الحافظ الواعظ المفسر، لقبه أهل السنة فيها أى في بلاد خراسان بشيخ الإسلام، ولد عام ٣٧٣، ومات في نيسابور عام ٤٤٩هـ، يجيد الفارسية إجادته **العربية**، له كتاب عقيدة السلف] . وغيرهما .

لكن هؤلاء الذين استدلوا بخلق الإنسان فرضوا ذلك في الإنسان ظنا أن هذه طريقة القرآن . وطولوا في ذلك ودققوا حتى استدلوا على كون عين الإنسان وجواهره مخلوقة، لظنهم أن المعلوم بالحس وبديهة العقل إنما هو حدوث أعراض، لا حدوث جواهر . وزعموا أن كل ما يحدثه الله من السحاب، والمطر، والزرع،

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٨/٢٥٤

والثمر، والإنسان والحيوان، فإنما يحدث فيه أعراضا، وهي جمع الجواهر التي كانت موجودة وتفريقها .." (١)

"ص -٢٨٤- فما الذي يجعلك مكذبا بالجزاء، وزعم أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة .

والثاني أنه خطاب للرسول وهذا أظهر فإن الإنسان إنما ذكر مخبرا عنه لم يخاطب . والرسول هو الذي أنزل عليه القرآن، والخطاب في هذه السور له، كقوله : ﴿ما ودعك ربك وما قلى ﴾ [الضحى : ٣] ، وقوله : ﴿ألم نشرح لك صدرك ﴾ [الشرح : ١] ، وقوله : ﴿اقرأ باسم ربك ﴾ [العلق : ١] .

والإنسان إذا خوطب، قيل له : ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ﴾ [الانفطار : ٦] ، ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا ﴾ [الانشقاق : ٦] .

وأيضا، فبتقدير أن يكون خطابا للإنسان يجب أن يكون خطابا للجنس، كقوله : ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح ﴾ . وعلى قول هؤلاء؛إنما هو خطاب للكافر خاصة المكذب بالدين .

وأيضا، فإن قوله : ﴿يكذبك بعد بالدين ﴾ ، أى يجعلك كاذبا، هذا هو المعروف من لغة العرب . فإن استعمال كذب غيره، أى : نسبه إلى الكذب وجعله كاذبا مشهور، والقرآن مملوء من هذا . وحيث ذكر الله تكذيب المكذبين للرسل، أو التكذيب بالحق ونحو ذلك، فهذا مراده .." (٢)

"ص -٢٨٥- لكن هذه الآية فيها غموض من جهة كونه قال : ﴿يكذبك بعد بالدين ﴾ . فذكر المكذب بالدين فذكر المكذب والمكذب به جميعا . وهذا قليل جاء نظيره في قوله : ﴿فقد كذبوكم بما تقولون ﴾ [الفرقان : ١٩] فأما أكثر المواضع فإنما يذكر أحدهما إما المكذب، كقوله : ﴿كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ [الشعراء : ١٠٥] ؛ وإما المكذب به، كقوله : ﴿بل كذبوا بالساعة ﴾ [الفرقان : ١١] .

وأما الجمع بين ذكر المكذب والمكذب به فقليل .

ومن هنا اشتبهت هذه الآية على من جعل الخطاب فيها للإنسان، وفسر معنى قوله : ﴿فما يكذبك ﴾ : فما يجعلك مكذبا .

وعبارة آخرين : فما يجعلك كذابا . قال ابن عطية : وقال جمهور من المفسرين : المخاطب الإنسان الكافر، أي ما الذي يجعلك كذابا بالدين تجعل لله أندادا، وتزعم أن لا بعث بعد هذه الدلائل ؟

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٠/٢٥٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣٥/٢٥٤

قلت : وكلا القولين غير معروف في لغة العرب، أن يقول : [كذبك، أي : جعلك مكذبا] ، بل [كذبك : جعلك كذابا] .

وإذا قيل : [جعلك كذابا] ، أي : كاذبا فيما يخبر به، كما جعل الكفار الرسل كاذبين فيما أخبروا به فكذبوهم، وهذا يقول :." (١)

"ص -٢٨٦- جعلك كاذبا بالدين، فجعل كذبه أنه أشرك وأنه أنكر المعاد، وهذا ضد الذي ينكر . ذاك جعله مكذبا بالدين، وهذا جعله كاذبا بالدين . والأول فاسد من جهة العربية، والثاني فاسد من جهة المعنى . فإن الدين هو الجزاء الذي كذب به الكافر . والكافر كذب به، لم يكذب هو به .

وأيضا، فلا يعرف في المخبر أن يقال : [كذبت به] ، بل يقال : [كذبته] .

وأيضا، فالمعروف في [كذبه] ، أي نسبه إلى الكذب، لا أنه جعل الكذب فيه . فهذا كله تكلف لا يعرف في اللغة، بل المعروف خلافه . وهو لم يقل : [فما يكذبك] ، ولا قال : [فما كذبك] .

ولهذا كان علماء العربية على القول الأول . قال ابن عطية : واختلف في المخاطب بقوله : ﴿فما يكذبك ﴾ ، فقال قتادة، والفراء، والأخفش : هو محمد صلى الله عليه وسلم . قال الله له : [فما الذي يكذبك فيما تخبر به من الجزاء والبعث وهو الدين بعد هذه العبرة التي يوجب النظر فيها صحة ما قلت] ؟ قال : ويحتمل أن يكون الدين على هذا التأويل جميع شرعه ودينه .." (٢)

"ص -٣٣٢- وبين أنها كلها غلط مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة، بل وباطلة في العقل أيضا .

وهذه الآية مما يستدل به على ذلك، فإن أول ما أوجب الله على رسوله وعلى المؤمنين هو ما أمر به في قوله : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ .

والذين قالوا : المعرفة لا تحصل إلا بالنظر، قالوا : لو حصلت بغيره لسقط التكليف بها، كما ذكر ذلك القاضى أبو بكر، وغيره .

فيقال لهم : وليس فيما قص الله علينا من أخبار الرسل أن منهم أحدا أوجبها، بل هي حاصلة عند الأمم جميعهم . ولكن أكثر الرسل افتتحوا دعوتهم بالأمر بعبادة الله وحده دون ما سواه كما أخبر الله عن نوح، وهود، وصالح، وشعيب، وقومهم كانوا مقرين بالخالق لكن كانوا مشركين يعبدون غيره، كما كانت العرب

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣٦/٢٥٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣٧/٢٥٤

الذين بعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن الكفار من أظهر جحود الخالق، كفرعون حيث قال : ﴿يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين ﴾ [القصص : ٣٨] ، وقال :." (١)

"ص -٣٤٦- كذلك يجهمانه فيجعلانه منكرا لما في قلبه من معرفة الرب ومحبته وتوحيده . ثم المعرفة يطلبها بالدليل، والمحبة ينكرها بالكلية . والتوحيد المتضمن للمحبة ينكره من لا يعرفه، وإنما ثبت توحيد الخلق، والمشركون كانوا يقرون بهذا التوحيد وهذا الشرك .

فهما يشركانه، ويهودانه، وينصرانه، ويمجسانه . وقد بسط الكلام على هذا الحديث وأقوال الناس فيه في غير هذا الموضع .

وأيضا، مما يبين أن الإنسان قد يخفي عليه كثير من أحوال نفسه، فلا يشعر بها . إن كثيرا من الناس يكون في نفسه حب الرياسة كامن لا يشعر به، بل إنه مخلص في عبادته وقد خفيت عليه عيوبه، وكلام الناس في هذا كثير مشهور؛ ولهذا سميت هذه : [الشهوة الخفية] .

قال شداد بن أوس : يا بقايا العرب، إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية . قيل لأبي داود السجستاني : ما الشهوة الخفية ؟ قال : حب الرياسة . فهي خفية تخفي على الناس، وكثيرا ما تخفي على صاحبها .

بل كذلك حب المال والثروة، فإن الإنسان قد يحب ذلك ولا يدرى . بل نفسه ساكنة ما دام ذلك موجودا، فإذا فقده ظهر من." (٢)

"ص -٣٨٥- وسلوكهم أدلة برأيهم ظنوها عقلية وهي جهلية . فغلطوا في الدلائل السمعية والعقلية، فاختلفوا . ﴿وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ﴾ [البقرة : ١٧٦] .

وقد بسط الكلام على هذا في مواضع في مسألة الكلام والأفعال وذكر ما تيسر من كلام السلف والأئمة في هذ الأصل . والمقصود هنا التنبيه على مآخذ الأقوال .

وهذا الموضع مما بينه أئمة السنة كالإمام أحمد وغيره . فتكلم في [الرد على الجهمية] على قوله : ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا ﴾ [الزخرف : ٣] ، وبين أن [الجعل] من الله قد يكون [خلقا] كقوله : ﴿وجعل

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٨٣/٢٥٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ٩٧/٢٥٤

الظلمات والنور ﴾ [الأنعام : ١] ، وقد يكون [فعلا ليس بخلق] ، وقوله : ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا ﴾ ، من هذا الباب .

وذلك أن الخلق ونحوه من الأفعال التي ليست خلقا، مثل تكلمه بالقرآن وغيره، وتكلمه لموسي وغيره، ومثل النزول، والإتيان والمجيء، ونحو ذلك فهذه إنما تكون بقدرته ومشيئته، وبأفعال أخر تقوم بذاته ليست خلقا .

وبهذا يجيب البخاري وغيره من أئمة السنة للكرامية إذا قالوا : [المحدث لابد له من إحداث ؟] ، فيقول : [نعم، وذلك الإحداث." (١)

"ص -٣٨٧- عن أحمد بن حنبل، عن الأشجعي، عن سفيان الثوري في قوله : ﴿جعلناه قرآنا عربيا ﴾ : بيناه قرآنا عربيا .

والإنسان يفرق بين تكلمه وتحركه في نفسه، وبين تحريكه لغيره . وقد احتج سفيان بن عيينة وغيره من السلف على أنه غير مخلوق بأن الله خلق الأشياء ب [كن] . فلو كانت [كن] مخلوقة لزم أن يكون خلق مخلوقا بمخلوق، فيلزم التسلسل الباطل .

وذلك أنه إذا لم يخلق إلا ب [كن] ، فلو كانت [كن] مخلوقة، لزم ألا يخلق شيئا . وهو الدور الممتنع . فإنه لا يخلق شيئا حتي يقول : [كن] ، ولا يقول : [كن] حتي يخلقها، فلا يخلق شيئا . وهذا تسلسل في أصل التأثير والفعل، مثل أن يقال : لا يفعل حتي يفعل، فيلزم ألا يفعل؛ ولا يخلق حتي يخلق، فيلزم ألا يخلق .

وأما إذا قيل : قال : [كن] ، وقبل [كن] [كن] ، وقبل [كن] [كن] [كن] ، فهذا ليس بممتنع . فإن هذا التسلسل في آحاد التأثير، لا في جنسه . كما أنه في المستقبل يقول : [كن] بعد [كن] ، ويخلق شيئا بعد شيء إلى غير نهاية .

فالمخلوقات التامة يخلقها بخلقه، وخلقه فعله القائم به، وذلك إنما يكون بقدرته ومشيئته .." (٢)

"ص -٣٨٨- وإذا قيل : هذا الفعل القائم به يفتقرإلى فعل آخر يكون هو المؤثر في وجوده غير القدرة والإرادة فإنه لو كان مجرد ذلك كافيا كفي في وجود المخلوق فلما كان لابد له من خلق، فهذا الخلق أمر حادث بعد أن لم يكن، وهو فعل قائم به . فالمؤثر التام فيه يكون مستلزما له مستعقبا له،

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٣٦/٢٥٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٣٨/٢٥٤

كالمؤثر التام في وجود الكلام الحادث بذاته .

والمتكلم من الناس إذا تكلم، فوجود الكلام لفظه ومعناه مسبوق بفعل آخر . فلابد من حركة تستعقب وجود الحروف التي هي الكلام . فتلك الحركة هي التي تجعل الكلام **عربيا** أو عجميا، وهو فعل يقوم بالفاعل . وذلك الجعل الحادث حدث بمؤثر تام قبله أيضا .

وذات الرب هي المقتضية لذلك كله، فهي تقتضي الثاني بشرط انقضاء الأول، لا معه . واقتضاؤها للثاني فعل يقوم بها بعد الأول . وهي مقتضية لهذا التأثير وهذا التأثير .

ثم هذا التأثير وكل تأثير هو مسبب عما قبله، وشرط لما بعده . وليس في ذلك شيء مخلوق وإن كانت [حادثة] .

وإن قال قائل : أنا أسمي هذا [خلقا] ، كان نزاعه لفظيا، وقيل له : الذين قالوا : [القرآن مخلوق] ، لم يكن مرادهم هذا، ولا رد السلف والأئمة هذا . إنما ردوا قول من جعله مخلوقا بائنا عن الله، كما قال." (١)

"ص -٣٩٠- ذات وصفة فعل . ولكن الفعل هنا ليس هو الخلق، بل كما قال الإمام أحمد : الجعل جعلان؛ جعل هو خلق، وجعل ليس بخلق .

وهذا كله يستلزم قيام الأفعال بذاته، وأنها تنقسمإلى قسمين : أفعال متعدية كالخلق، وأفعال لازمة كالتكلم والنزول . والسلف يثبتون النوعين هذا وغيره .

وأما جعل القرآن **عربيا** وإن كان متعديا في صناعة **العربية** بمعني أنه نصب مفعولا ففي [الكلام] الفعل الذي هو [التكلم] متصلا بالمفعول الذي هو [الكلام] كلاهما قائم بالمتكلم .

ولهذا قد يراد بالمفعول المصدر . إذا قلت : [قال قولا حسنا] . فقد يراد ب [القول] المصدر فقط، وقد يراد به [الكلام] فقط فيكون المفعول، وقد يراد به المجموع فيكون مفعولا به ومصدرا .

وكذلك [القرآن] هو في الأصل [قرأ قرآنا] ، وهو الفعل والحركة، ثم سمي الكلام المقروء [قرآنا] .

قال تعالى في الأول : ﴿إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴾ [القيامة : ١٧، ١٨] ، وقال في الثاني : ﴿إن هذا القرآن ﴾ [الإسراء : ٩] .

وقد بسط هذا في غير هذا الموضع، وبين أن التلاوة والقراءة في." (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٣٩/٢٥٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٤١/٢٥٤

"ص -٣٩٦- ومنها : أنه عطف فعلا على فعل، فقال : خلق ثم استوى .

ومنها : أن ما ذكروه لا فرق فيه بين العرش وغيره، وإذا قيل : إن العرش أعظم المخلوقات، فهذا لا ينفي ثبوت ذلك لغيره، كما في قوله : ﴿رب العرش العظيم﴾ [النمل : ٢٦] ، لما ذكر ربوبيته للعرش لعظمته، والربوبية عامة، جاز أن يقال : [رب السموات والأرض وما بينهما، ورب العرش العظيم] ، ويقال : ﴿برب العالمين رب موسى وهارون﴾ [الشعراء : ٤٧، ٤٨] .

والاستواء مختص بالعرش باتفاق المسلمين مع أنه مستول مقتدر على كل شيء من السماء والأرض وما بينهما . فلو كان استواؤه على العرش هو قدرته عليه، جاز أن يقال : على السماء والأرض وما بينهما .

وهذا مما احتج به طوائف،منهم الأشعري . قال : في إجماع المسلمين على أن الاستواء مختص بالعرش دليل على فساد هذا القول .

وأيضا، فإنه مازال مقتدرا عليه من حين خلقه .

ومنها : كون لفظ [الاستو ا ء] في لغة العرب يقال على القدرة أو علو القدر ممنوع عندهم . والاستعمال الموجود في الكتاب والسنة وكلام العرب يمنع هذا، كما قد بسط في موضعه .

وتكلم على البيت الذي يحتجون به :." (١)

"ص -٤٠٢- وهذه الآية أغمض من آية الاستواء؛ ولهذا كان أبو الفرج يميل إلى تأويل هذا وينكر قول من تأول الاستواء بالاستيلاء .

قال في تفسيره : قال الخليل بن أحمد : [العرش] : السرير، وكل سرير للملك يسمى [عرشا] وقلما يجمع العرش إلا في الاضطرار .

قلت : وقد روي ابن أبي حاتم عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس قال : يسمي [عرشا] لارتفاعه . قلت : والاشتقاق يشهد لهذا، كقوله : ﴿وما كانوا يعرشون﴾ [الأعراف : ١٣٧] ، وقوله : ﴿معروشات وغير معروشات﴾ [الأنعام : ١٤١] ، وقول سعد : وهذا كافر بالعرش . ومقعد الملك يكون أعلى من غيره . فهذا بالنسبة إلى غيره عال عليه، وبالنسبة إلى ما فوقه هو دونه . وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة، وأوسط الجنة، وسقفه عرش الرحمن " . فدل على أن العرش أعلى المخلوقات، كما بسط في مواضع أخر .

قال أبو الفرج : واعلم أن ذكر العرش مشهور عند العرب في الجاهلية والإسلام . قال أمية بن أبي الصلت

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٤٧/٢٥٤

:

مجدوا الله فهو للمجد أهل

ربنا في السماء أمسي كبيرا." (١)

"ص -٤٠٣- بالبناء الأعلى الذي سبق النا س وسوى فوق السماء سريرا

شرجعا لا يناله بصر العي ن تري دونه الملائك صورا

[الشرجع : السرير]

قلت : يريد أنه ذكره من **العرب** من لم يكن مسلما أخذه عن أهل الكتاب . فإن أمية ونحوه إنما أخذ هذا عن أهل الكتاب، وإلا فالمشركون لم يكونوا يعرفون هذا .

قال أبو الفرج ابن الجوزي، وقال كعب : إن السموات في العرش كقنديل معلق بين السماء والأرض .

قال : وإجماع السلف منعقد على ألا يزيدوا على قراءة الآية . وقد شذ قوم فقالوا : العرش بمعني الملك . وهو عدول عن الحقيقة إلى التجوز مع مخالفة الأثر . ألم يسمعوا قوله : ﴿وكان عرشه على الماء ﴾ [هود : ٧] ، أفتراه كان الملك على الماء ؟

قال : وبعضهم يقول : استوى بمعني استولي، ويستدل بقول الشاعر :

حتي استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

وقال الشاعر أيضا :." (٢)

"ص -٤٠٤- قد قلما استوى بفضلهما جمي عا على عرش الملوك بغير زور

قال : وهو منكر عند اللغويين . قال ابن الأعرابي : إن **العرب** لا تعلم استوى بمعني استولى، ومن قال ذلك فقد أعظم .

قال : وإنما يقال ب [استولى فلان على كذا] إذا كان بعيدا عنه غير متمكن ثم تمكن منه، والله سبحانه وتعالى لم يزل مستوليا على الأشياء .

والبيتان لا يعرف قائلهما، كذا قال ابن فارس اللغوي . ولو صحا لم يكن حجة فيهما لما بينا من الاستيلاء من لم يكن مستوليا نعوذ بالله من تعطيل الملحدة وتشبيه المجسمة ! .

قلت : فقد تأول قوله : ﴿ثم استوى إلى السماء ﴾ [البقرة : ٢٩] ، وأنكر تأويل ﴿ثم استوى على العرش

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٥٣/٢٥٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٥٤/٢٥٤

﴾ [يونس : ٣] وهو في لفظ [الإتيان] قد ذكر القولين . فقال : قوله : ﴿أن يأتيهم الله في ظلل ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، كان جماعة من السلف يمسكون عن مثل هذا . وقد ذكر القاضي أبو يعلى عن أحمد أنه قال : المراد به قدرته وأمره . قال : وقد بينه في قوله : ﴿أو يأتي أمر ربك ﴾ [النحل : ٣٣] .
قلت : هذا الذي ذكره القاضي وغيره أن حنبلا نقله عن." (١)

"ص -٤١٠- ،وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والنار والجنة . ومعلوم أنا لا نحيط علما بكل شيء من ذلك على جهة التفصيل، وإنما كلفنا الإيمان بذلك في الجملة . ألا تري أنا لا نعرف عدة من الأنبياء وكثيرا من الملائكة، ولا نحيط بصفاتهم، ثم لا يقدح ذلك في إيماننا بهم ؟ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في صفة الجنة : " يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر " .
قلت : لا ريب أنه يجب الإيمان بكل ما أخبر به الرسول وتصديقه فيما أخبر به، وإن كان الشخص لم يفقه **بالعربية** ما قال ولا فهم من الكلام شيئا، فضلا عن **العرب** . فلا يشترط في الإيمان المجمل العلم بمعني كل ما أخبر به؛ هذا لا ريب فيه .
فكل من اشتبه عليه آية من القرآن . ولم يعرف معناها، وجب عليه الإيمان بها، وأن يكل علمها إلى الله في قول : [الله أعلم] . وهذا متفق عليه بين السلف والخلف . فما زال كثير من الصحابة يمر بآية ولفظ لا يفهمه فيؤمن به وإن لم يفهم معناه .
لكن، هل يكون في القرآن ما لا يفهمه أحد من الناس . بل ولا الرسول، عند من يجعل التأويل هو [معنى الآية] ويقول : إنه لا." (٢)

"ص -٤١١- يعلمه إلا الله ؟ فيلزم أن يكون في القرآن كلام لا يفهمه لا الرسول، ولا أحد من الأمة، بل ولا جبريل . هذا هو الذي يلزم على قول من يجعل معاني هذه الآيات لا يفهمه أحد من الناس .

وليس هذا بمنزلة ما ذكر في الملائكة، والنبيين، والجنة . فإنا قد فهمنا الكلام الذي خوطبنا به، وأنه يدل على أن هناك نعيما لا نعلمه . وهذا خطاب مفهوم، وفيه إخبارنا أن من المخلوقات ما لا نعلمه وهذا حق كقوله : ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ [المدثر : ٣١] ، وقوله لما سألوه عن الروح : ﴿وما أوتيتم من

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٥٥/٢٥٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٦١/٢٥٤

العلم إلا قليلا ﴾ [الإسراء : ٨٥] . فهذا فيه إخبارنا بأن لله مخلوقات لا نعلمها، أو نعلم جنسهم ولا نعلم قدرهم، أو نعلم بعض صفاتهم دون بعض .

وكل هذا حق، لكن ليس فيه أن الخطاب المنزل الذي أمرنا بتدبره لا يفقه ولا يفهم معناه لا الرسول ولا المؤمنون . فهذا هو المنكر الذي أنكره العلماء . فإن الله قال : ﴿إنا جعلناه قرآنا **عربيا** لعلكم تعقلون ﴾ [الزخرف : ٣] ، وقال : ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ [محمد : ٢٤] ، وقال : ﴿أفلم يدبروا القول ﴾ [المؤمنون : ٦٨] ، وقال : ﴿حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم ﴾ [محمد : ١٦] .

وفرق بين ما لم يخبر به أو أخبرنا ببعض صفاته دون بعض فما." (١)

"ص -٤١٢- لم يخبر به لا يضرنا ألا نعلمه وبين ما أخبرنا به . وهو الكلام **العربي** الذي جعل هدي وشفاء للناس . وقال الحسن : ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم فيما أنزلت وما عني بها . فكيف يكون في مثل هذا الكلام ما لا يفهمه أحد قط ؟

وفرق بين أن يقال : [الرب هو الذي يأتي إتيانا يليق بجلاله] ، أو يقال : [ما ندري، هل هو الذي يأتي أو أمره . فكثير من لا يجزم بأحدهما، بل يقول : اسكت، فالسكوت أسلم] .

ولا ريب أنه من لم يعلم فالسكوت له أسلم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت " . لكن هو يقول : إن الرسول وجميع الأمة كانوا كذلك لا يدرون هل المراد به هذا أو هذا، ولا الرسول كان يعرف ذلك . فقائل : هذا مبطل متكلم بما لا علم له به . وكان يسعه أن يسكت عن هذا لا يجزم بأن الرسول والأئمة كلهم جهال يجب عليهم السكوت كما يجب عليه .

ثم إن هذا خلاف الواقع، فأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وكلام السلف في معني هذه الآية ونظائرها كثير مشهور . لكن قال على رضي الله عنه : " حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون . أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ " . وقال ابن مسعود : [ما من." (٢)

"ص -٤١٤- صفات الرب لم يكن هو ولا غيره يفهمه، وهو كلام أمي **عربي** ينزل عليه، قيل : فالمعاني المعقولة في الأمور الإلهية أولي ألا يكون يفهمها . وحينئذ،فهذا الباب لم يكن موجودا في رسالته،

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٦٢/٢٥٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٦٣/٢٥٤

ولا يؤخذ من جهته لا من جهة السمع،ولا من جهة العقل . قالت الملاحدة : فيؤخذ من طريق غيره .
فإذا قال لهم هؤلاء : هذا غير ممكن لأحد، منعوا ذلك وقالوا : إنما في القرآن أن ذلك الخطاب لا يعلم معناه إلا الله . لكن من أين لكم أن الأمور الإلهية لا تعلم بالأدلة العقلية التي يقصر عنها البيان بمجرد الخطاب والخبر ؟
والملاحدة يقولون : إن الرسل خاطبت بالتخييل، وأهل الكلام يقولون : بالتأويل، وهؤلاء الظاهرية يقولون : بالتجهيل . وقد بسط الكلام على خطأ الطوائف الثلاث، وبين أن الرسول قد أتي بغاية العلم والبيان الذي لا يمكن أحدا من البشر أن يأتي بأكمل مما جاء به صلى الله عليه وسلم تسليما . فأكمل ما جاء به القرآن، والناس متفاوتون في فهم القرآن تفاوتا عظيما .
وقول ابن السائب : إن هذا من المكتوم الذي لا يفسر، يقتضي أن له تفسيرا يعلمه العلماء ويكتمونه .." (١)

"مجموع فتاوى ابن تيمية – الجزء العشرون

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة **العربية** السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (٢)

"مجموع فتاوى ابن تيمية – الجزء الحادي والعشرون

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة **العربية** السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٦٥/٢٥٤

(٢) مجموع الفتاوى ، ١/٢٥٥

(٣) مجموع الفتاوى ، ١/٢٥٥

"مجموع فتاوى ابن تيمية – الجزء الثاني والعشرون
دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م
إعداد موقع روح الإسلام
(www.islamspirit.com)." (١)

"مجموع فتاوى ابن تيمية – الجزء الثالث والعشرون
دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م
إعداد موقع روح الإسلام
(www.islamspirit.com)." (٢)

"مجموع فتاوى ابن تيمية – الجزء الرابع والعشرون
دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م
إعداد موقع روح الإسلام
(www.islamspirit.com)." (٣)

"مجموع فتاوى ابن تيمية – الجزء الحادي والثلاثون
دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١/٢٥٥
(٢) مجموع الفتاوى ، ١/٢٥٥
(٣) مجموع الفتاوى ، ١/٢٥٥

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (١)

"مجموع فتاوى ابن تيمية – الجزء الثلاثون

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (٢)

"مجموع فتاوى ابن تيمية – الجزء الخامس والعشرون

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (٣)

"مجموع فتاوى ابن تيمية – الجزء التاسع والعشرون

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (٤)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١/٢٥٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ١/٢٥٥

(٣) مجموع الفتاوى ، ١/٢٥٥

(٤) مجموع الفتاوى ، ١/٢٥٥

"مجموع فتاوى ابن تيمية – الجزء الثامن والعشرون

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (١)

"مجموع فتاوى ابن تيمية – الجزء السابع والعشرون

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (٢)

"مجموع فتاوى ابن تيمية – الجزء السادس والعشرون

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (٣)

"مجموع فتاوى ابن تيمية – الجزء الثاني والثلاثون

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١/٢٥٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ١/٢٥٥

(٣) مجموع الفتاوى ، ١/٢٥٥

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (١)

"مجموع فتاوى ابن تيمية – الجزء الثالث والثلاثون

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة **العربية** السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (٢)

"مجموع فتاوى ابن تيمية – الجزء الرابع والثلاثون

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة **العربية** السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (٣)

"مجموع فتاوى ابن تيمية – الجزء الخامس والثلاثون

دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة **العربية** السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

إعداد موقع روح الإسلام

(www.islamspirit.com)." (٤)

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١/٢٥٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ١/٢٥٥

(٣) مجموع الفتاوى ، ١/٢٥٥

(٤) مجموع الفتاوى ، ١/٢٥٥

"ص -٤٣١- ومن وجه ثالث، أن الكفر فساد القلب والروح الذي هو ملك الجسد، والقتل إفساد للجسد الحامل له، وإتلاف الموجود وأما الزنا فهو فساد فى صفة الوجود لا فى أصله، لكن هذا يختص بالزنا، ومن هنا يتبين أن اللواط أعظم فسادا من الزنا فصل

وباعتبار القوى الثلاث، انقسمت الأمم التي هى أفضل الجنس الإنسانى، وهم **العرب** والروم والفرس فإن هذه الأمم هى التي ظهرت فيها الفضائل الإنسانية، وهم سكان وسط الأرض طولا وعرضا، فأما من سواهم كالسودان والترك ونحوهم فتبع

فغلب على **العرب** القوة العقلية النطقية، واشتق اسمها من وصفها، فقيل لهم : **عرب** من الأعراب، وهو البيان والإظهار، وذلك خاصة القوة المنطقية

وغلب على الروم القوة الشهوية من الطعام والنكاح ونحوهما، واشتق اسمها من ذلك فقيل لهم : الروم، فإنه يقال : رمت هذا أرومه إذا طلبته واشتهيته." (١)

"ص -٤٣٢- وغلب على الفرس القوة الغضبية من الدفع والمنع والاستعلاء والرياسة، واشتق اسمها من ذلك، فقيل : فرس، كما يقال : فرسه يفرسه إذا قهره وغلبه

ولهذا توجد هذه الصفات الثلاث غالبة على الأمم الثلاث حاضرتها وباديتها؛ ولهذا كانت **العرب** أفضل الأمم، وتليها الفرس؛ لأن القوة الدفعية أرفع، وتليها الروم

فصل

وباعتبار هذه القوى كانت الفضائل ثلاثا : فضيلة العقل، والعلم والإيمان : التي هى كمال القوة المنطقية، وفضيلة الشجاعة : التي هى كمال القوة الغضبية، وكمال الشجاعة هو الحلم، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : " ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب " ، والحلم والكرم ملزوزان فى قرن، كما أن كمال القوة الشهوية العفة، فإذا كان الكريم عفيفا والسخى حليما اعتدل الأمر

وفضيلة السخاء والجود التي هى كمال القوة الطلبية الحبية، فإن السخاء يصدر عن اللين والسهولة و رطوبة الخلق، كما تصدر الشجاعة عن." (٢)

"ص -٤٨٥- يبعث إليهم رسولا منذرا تقوم عليهم به الحجة وتتم على من آمن النعمة فكأنه قال : ما كانوا يتركوا سدي . قال : ولهذا المعنى نظائر في كتاب الله .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٥/٥٢

(٢) مجموع الفتاوى ، ٦/٢٥٥

وقد ذكر الثعلبي ثلاثة أقوال . لكن الثالث حكاه عمن جعل مقصوده إهلاكهم بإقامة الحجة وجعل [منفكين] بمعنى هالكين .

فقال : لم يكونوا منفكين منتهين عن كفرهم وشركهم . وقال أهل اللغة : زائلين . تقول العرب : ما انفك فلان يفعل كذا، أي : مازال . وأصل الفك : الفتح، ومنه فك الكتاب، وفك الخلخال . ﴿حتى تأتيهم البينة ﴾ ، الحجة الواضحة، وهو محمد أتاهم بالقرآن، فبين ضلالتهم وجهالتهم . ودعاهم إلى الإيمان .

قال : وقال ابن كيسان : معناه : لم يكن هؤلاء الكفار تاركين صفة محمد في كتابهم حتى بعث، فلما بعث تفرقوا فيه .

وقال : قال العلماء في أول السورة إلى قوله : ﴿فيها كتب قيمة ﴾ [البينة : ٣] ، حكمها فيمن آمن من أهل الكتاب والمشركين . ﴿وما تفرق ﴾ : حكمه فيمن لم يؤمن من أهل الكتاب بعد قيام الحجة عليهم .." (١)

"ص -٤٩٣- تفرقوا واختلفوا فيما جاءت به الأنبياء قبل محمد، وكفر من كفر منهم قبل إرسال محمد .

وكان منهم من لم يكفر، بل كان مؤمنا بالأنبياء كما قال تعالى : ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ [الأعراف : ١٥٩] ، ﴿وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ﴾ [الأعراف : ١٦٨] ، وقال تعالى : ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ﴾ [آل عمران : ١١٣، ١١٤] ، وقال تعالى : ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ﴾ [المائدة : ٦٦] .

وفي صحيح مسلم وغيره عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم - عربهم وعجمهم - إلا بقايا من أهل الكتاب . وإن ربي قال لي : قم في قريش فأنذرهم . فقلت : أي رب، إذا يثلغوا رأسي حتى يدعوه خبزة . فقال : إني مبتليك ومبتل بك، ومنزل عليك

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٧/٢٥٥

كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظانا . فابعث جندا نبعث مثليهم، وقاتل بمن أطاعك من عصاك " ، والحديث أطول من هذا .." (١)

"ص -٤٩٥- ويقال للمستولي عليه : هو ما ينفك من هذا، كما لا ينفك الأسير والرقيق من المستولي عليه .

فقوله : ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين ﴾ [البينة : ١] ، أي : لم يكونوا متروكين باختيار أنفسهم - يفعلون ما يهوونه لا حجر عليهم، كما أن المنفك لا حجر عليه . وهو لم يقل : [مفكوكين] بل قال : ﴿منفكين ﴾ . وهذا أحسن، فإنه نفي لفعلهم . ولو قال : [مفكوكين] ، كان التقدير : لم يكونوا مسيبين مخلين، فهو نفي لفعل غيرهم . والمقصود أنهم لم يكونوا متروكين - لا يؤمرون ولا ينهون، ولا ترسل إليهم رسل، بل يفعلون ما شاؤوا مما تهواه الأنفس . والمعنى : أن الله ما يخليهم ولا يتركهم . فهو لا يفكهم حتى يبعث إليهم رسولا . وهذا كقوله : ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ [القيامة : ٣٦] ، لا يؤمر ولا ينهى . أي : أيظن أن هذا يكون ؟ هذا ما لا يكون البتة . بل لابد أن يؤمر وين٥ى . وقريب من ذلك قوله تعالى : ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين ﴾ [الزخرف : ٣ ، ٥] . وهذا استفهام إنكار، أي : لأجل إسرافكم نترك إنزال الذكر، ونعرض عن إرسال الرسل . ومن كره إرسالهم ؟." (٢)

"ص -١٦٢- ربه " أي : مغفرة هذا الضرب ممكنة بدون رضا الخلق؛ فإن شاء عذب هذا الظالم لنفسه وإن شاء غفر له .

وقد بسطنا الكلام في هذه الأبواب الشريفة والأصول الجامعة في القواعد، وبينا أنواع الظلم، وبينا كيف كان الشرك أعظم أنواع الظلم، ومسمي الشرك جليله ودقيقه؛ فقد جاء في الحديث : " الشرك في هذه الأمة أخفي من دبيب النمل " . وروي أن هذه الآية نزلت في أهل الرياء ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ [الكهف : ١١٠] ، وكان شداد بن أوس يقول : يا بقايا العرب، يا بقايا العرب، إنما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية . قال أبو داود السجستاني صاحب السنن المشهورة : الخفية حب الرياسة . وذلك أن حب الرياسة هو أصل البغي والظلم، كما أن الرياء هو من جنس الشرك أو مبدأ الشرك .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٦/٢٥٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ١٨/٢٥٥

والشرك أعظم الفساد كما أن التوحيد أعظم الصلاح؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ﴾ [القصص : ٤] ، إلى أن ختم السورة بقوله : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا ﴾ [القصص : ٨٣] ، وقال : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴾ [الإسراء : ٤] ، وقال :." (١)

"ص -٥١٢- اختلفوا في تصديقه، فكفر به أكثرهم -بغيا وحسدا- بعد أن كانوا مجتمعين على تصديقه بغيا وحسدا .

ومنهم من جعل المتفرقين كلهم كفارا . قال ابن عطية : ثم ذكر -تعالى- مذمة من لم يؤمن من أهل الكتاب من بني إسرائيل من أنهم لم يتفرقوا في أمر محمد إلا من بعد أن رأوا الآيات الواضحة، وكانوا من قبل متفقين على نبوته وصفته . فلما جاء من العرب حسدوه .

وكذلك قال الثعلبي : ما تفرق الذين أوتوا الكتاب في أمر محمد فكذبوه إلا من بعد ما جاءتهم البينة البيان في كتبهم أنه نبي مرسل . قال العلماء : من أول هذه السورة إلى قوله : ﴿فيها كتب قيمة ﴾ ، حكمها فيمن آمن من أهل الكتاب والمشركين . ﴿وما تفرق ﴾ حكمه فيمن لم يؤمن من أهل الكتاب بعد قيام الحجة عليه .

وكذلك قال أبو الفرج، قال : ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب ﴾ ، يعني : من لم يؤمن . ﴿إلا من بعد ما جاءتهم البينة ﴾ [البينة : ٤] ، وفيها ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه محمد،والمعنى : لم يزالوا مجتمعين على الإيمان به حتى بعث،قاله الأكثرون .." (٢)

"الله تعالى وكلام أنبيائه عليهم السلام وما لا يستدل به ولهذا ردوا الاستدلال بما جاءت به الأنبياء والمرسلون في صفات الله تعالى وغير ذلك من الأمور التي أنبأوا بها وظن هؤلاء أن العقل يعارضها وقد يضم بعضهم إلى ذلك أن الأدلة السمعية لا تفيد اليقين وقد بسطنا الكلام على قولهم هذا في الأدلة السمعية في غير هذا الموضع

وأما هذا القانون الذي وضعوه فقد سبقهم إليه طائفة منهم أبو حامد وجعله قانونا في جواب المسائل التي سئل عنها في نصوص أشكلت على السائل كالمسائل التي سأله عنها القاضي أبو بكر بن العربي

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٢٩/٢٥٥

(٢) مجموع الفتاوى ، ٣٥/٢٥٥

وخالفه القاضي أبو بكر في كثير من تلك الأجوبة وكان يقول شيخنا أبو حامد دخل في بطون الفلاسفة ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر وحكى هو عن أبي حامد نفسه أنه كان يقول أنا مزجى البضاعة في الحديث

". (١)

"

ووضع أبو بكر بن **العربي** هذا قانونا آخر مبنيا على طريقة أبي المعالي ومن قبله كالقاضي أبي بكر الباقلاني

ومثل هذا القانون الذي وضعه هؤلاء يضع كل فريق لأنفسهم قانونا فيما جاءت به الأنبياء عن الله فيجعلون الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه هو ما ظنوا أن عقولهم عرفته ويجعلون ما جاءت به الأنبياء تبعا له فما وافق قانونهم قبلوه وما خالفه لم يتبعوه

وهذا يشبه ما وضعته النصارى من أمانتهم التي جعلوها عقيدة إيمانهم وردوا نصوص التوراة والإنجيل إليها لكن تلك الأمانة اعتمدوا فيها على ما فهموه من نصوص الأنبياء أو ما بلغهم عنهم وغلطوا في الفهم أو في تصديق الناقل

". (٢)

"ويتخيلون أن الأمر هكذا وإن كان هذا كذبا فهو كذب لمصلحة الجمهور إذ كانت دعوتهم ومصلحتهم لا تمكن إلا بهذه الطريق

وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم على هذا الأصل كالقانون الذي ذكره في رسالته الأضحوية وهؤلاء يقولون الأنبياء قصدوا بهذه الألفاظ ظواهرها وقصدوا أن يفهم الجمهور منها هذه الظواهر وإن كانت الظواهر في نفس الأمر كذبا وباطلا ومخالفة للحق فقصدوا إفهام الجمهور بالكذب والباطل للمصلحة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٥/١

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٦/١

ومن الناس من يوافق هؤلاء فيما أخبرت به الأنبياء عن الله أنهم قصدوا به التخييل دون التحقيق وبيان الأمر على ما هو عليه دون اليوم الآخر

ومنهم من يقول بل قصدوا هذا في بعض ما أخبروا به عن الله كالصفات الخبرية من الإستواء والنزول وغير ذلك ومثل هذه الأقوال يوجد في كلام كثير من النظار ممن ينفي هذه الصفات في نفس الأمر كما يوجد في كلام طائفة

"مستقر معلوم عند المخاطب كما قال سبحانه ﴿ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ﴾ سورة الفرقان ٣٣ ثم بين قدرته العامة بقوله ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ سور يس ٨٢

وفى هذا الموضع وغيره من القرآن من الأسرار وبيان الأدلة القطعية على المطالب الدينية ما ليس هذا موضعه وإنما الغرض التنبيه

وكذلك ما استعمله سبحانه في تنزيهه وتقديسه عما أضافوه إليه من الولادة سواء سموها حسية أو عقلية كما تزعمه النصارى من تولد الكلمة التى جعلوها جوهر الابن منه وكما تزعمه الفلاسفة الصابئون من تولد العقول العشرة والنفوس الفلكية التسعة التى هم مضطربون فيها هل هي جواهر أو أعراض وقد يجعلون العقول بمنزلة الذكور والنفوس بمنزلة الإناث ويجعلون ذلك آباءهم وأمهاتهم وآلهتهم وأربابهم القريبة وعلمهم بالنفوس أظهر لوجود الحركة الدورية الدالة على الحركة الإرادية الدالة على النفس المحركة لكن أكثرهم يجعلون النفوس الفلكية عرضا لا جوهرا قائما بنفسه وذلك شبيه بقول مشركى العرب وغيرهم الذين جعلوا له بنين وبنات قال تعالى ﴿ وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون ﴾ سورة الأنعام ١٠٠ وقال تعالى ﴿ ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون ﴾ سورة الصافات ١٥١ ١٥٢

". (١)

"

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٥/١

فأما من قال الحق الذى أذن الله فيه حكما ودليلا فهو من أهل العلم والإيمان ﴿ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾ سورة الأحزاب ٤

وأما مخاطبة أهل الإصطلاح بإصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه إذا احتيج إلى ذلك وكانت المعانى صحيحة كمخاطبة العجم من الروم والفرس والترك بلغتهم وعرفهم فإن هذا جائز حسن للحاجة وإنما كرهه الأئمة إذا لم يحتج إليه

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لأم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص وكانت صغيرة فولدت بأرض الحبشة لأن أباها كان من المهاجرين إليها فقال لها يا أم خالد هذا سنا والسنا بلسان الحبشة الحسن لأنها كانت من أهل هذه اللغة

ولذلك يترجم القرآن والحديث لمن يحتاج إلى تفهمه إياه بالترجمة وكذلك يقرأ المسلم ما يحتاج إليه من كتب الأمم وكلامهم بلغتهم ويترجمها **بالعربية**

". (١)

"

الوجه الثالث أن يقال صحيح ما ذكرتموه من أقوال الأنبياء أنها تدل على مثل قولكم فلا دلالة في شيء منها من وجوه متعددة وذلك معلوم يقينا بل فيها ما يدل على نقيض قولكم وهو مذهب أهل الإثبات وهكذا عامة ما يحتج به أهل الباطل من الحجج لا سيما السمعية فإنها إنما تدل على نقيض قولهم

وأما قصة إبراهيم الخليل عليه السلام فقد علم باتفاق أهل اللغة والمفسرين أن الأفول ليس هو الحركة سواء كانت حركة مكانية وهي الإنتقال أو حركة في الكم كالنمو أو في الكيف كالتسود والتبيض ولا هو التغير فلا يسمى في اللغة كل متحرك أو متغير آفلا ولا أنه أفل لا يقال للمصلي أو الماشي إنه آفل ولا يقال للتغير الذى هو استحالة كالمرض واصفرار الشمس إنه أفول لا يقال للشمس إذا اصفرت إنها أفلت وإنما يقال أفلت إذا غابت واحتجبت وهذا من المتواتر المعلوم بالإضطرار من لغة **العرب** أن آفلا بمعنى غائب وقد أفلت الشمس تأفل أفولا أي غابت

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/ ٤٣

". (١)

"ويسمى كل متكلم ومتحرك متغيرا فهذا مما يتعذر عليه إقامة الدليل فيه على دعواه

وأما استدلالهم بما في القرآن من تسمية الله أحدا وواحدا على نفي الصفات الذي بنوه على نفي التجسيم

فيقال لهم ليس في كلام **العرب** بل ولا عامة أهل اللغات أن الذات الموصوفة بالصفات لا تسمى واحدا ولا تسمى أحدا في النفي والإثبات بل المنقول وبالتواتر عن **العرب** تسمية الموصوف بالصفات واحدا وأحدا حيث أطلقوا ذلك ووحيدا

قال تعالى ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا ﴾ سورة المدثر ١١ وهو الوليد ابن المغيرة

وقال تعالى ﴿ فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ﴾ سورة النساء ١١ فسماها واحدة وهي امرأة واحدة متصفة بالصفات بل جسم حامل للأعراض

وقال تعالى ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ سورة التوبة ٦

وقال تعالى ﴿ قالت إحداهما يا أبت استأجره ﴾ سورة القصص ٢٦ وقال تعالى ﴿ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾ سورة البقرة ٢٨٢ وقال تعالى ﴿ فإن بغت إحداهما على الأخرى ﴾ سورة الحجرات ٩

". (٢)

"مثل الإنسان والإنسان مثل الفرس والحمار والفرس والحمار مثل السفرجل والرمان والرمان مثل الذهب والفضة والذهب والفضة مثل الخبز واللحم ولا في اللغة التي نزل بها القرآن أن كل شيئين اشتركا في المقدارية بحيث يكون كل منهما له قدر من الأقدار كالطول والعرض والعمق أنه مثل الآخر ولا أنه إذا كان كل منهما بحيث يشار إليه الإشارة الحسية يكون مثل الآخر بل ولا فيها أن كل شيئين كانا مركبين من الجواهر المنفردة أو من المادة والصورة كان أحدهما مثل الآخر بل اللغة التي نزل بها القرآن تبين أن الإنسانين مع اشتراكهما في أن كلا منهما جسم حساس نام متحرك بالإرادة ناطق ضحاك بادي البشرة قد لا يكون أحدهما مثل الآخر كما قال تعالى ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ سورة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/١٠٩

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١/١١٣

محمد ٣٨ فقد بين أنه يستبدل قوما لا يكونون أمثال المخاطبين فقد نفى عنهم المماثلة مع اشتراكهم فيما ذكرناه فكيف يكون في لغتهم أن كل إنسان فإنه مماثل للإنسان بل مماثل لكل حيوان بل مماثل لكل جسم نام حساس بل مماثل لكل جسم مولد عنصري بل مماثل لكل جسم فلكي وغير فلكي

والله إنما أرسل الرسول بلسان قومه وهم قريش خاصة ثم **العرب** عامة لم ينزل القرآن بلغة من قال الأجسام متماثلة حتى يحمل القرآن على لغة هؤلاء

". (١)

"

وأما كون ما له حقيقة أو صفة أو قدر يكون بمجرد ذلك مماثلا لما له حقيقة أو صفة أو قدر فهذا باطل عقلا وسمعا فليس في لغة **العرب** ولا غيرهم إطلاق لفظ المثل على مثل هذا وإلا فيلزم أن يكون كل موصوف مماثلا لكل موصوف وكل ما له حقيقة مماثلا لكل ما له حقيقة وكل ما له قدر مماثلا لكل ما له قدر وذلك يستلزم أن يكون كل موجود مماثلا لكل موجود وهذا مع أنه في غاية الفساد والتناقض لا يقوله عاقل فإنه يستلزم التماثل في جميع الأشياء فلا يبقى شيئان مختلفان غير متماثلين قط وحينئذ فيلزم أن يكون الرب مماثلا لكل شيء فلا يجوز نفي مماثلة شيء من الأشياء عنه وذلك مناقض للسمع والعقل فصار حقيقة قولهم في نفي التماثل عنه يستلزم ثبوت مماثلة كل شيء له فهم متناقضون مخالفون للشرع والعقل

الجواب الرابع أن يقال فهب أن بعض هذه النصوص قد يفهم منها مقدمة واحدة من مقدمات دليلكم فتلك ليست كافية بالضرورة عند العقلاء بل لا بد من ضم مقدمة أو مقدمات أخر ليس في القرآن ما يدل عليها ألبتة فإذا قدر أن الأفول هو الحركة فمن أين في القرآن ما يدل دلالة ظاهرة على أن كل متحرك محدث أو ممكن وأن الحركة لا تقوم إلا بحادث أو ممكن وأن ما قامت به الحوادث لم يخل منها وأن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث وأين في القرآن امتناع حوادث لا أول لها

بل أين في القرآن أن الجسم الإصطلاحي مركب من الجواهر الفردة التي لا تقبل الإنقسام أو من المادة والصورة وأن كل جسم فهو منقسم ليس بواحد

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/١١٦

". (١)

"

بل أين في القرآن أو لغة العرب أو أحد من الأمم أن كل ما يشار إليه أو كل ما له مقدار فهو جسم وأن كل ما شاركه في ذلك فهو مثل له في الحقيقة

ولفظ الجسم في القرآن مذكور في قوله تعالى ﴿ وزاده بسطة في العلم والجسم ﴾ سورة البقرة ٢٤٧ وفي قوله ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ﴾ سورة المنافقون ٤ وقد قال أهل اللغة إن الجسم هو البدن قال الجوهري في صحاحه قال أبو زيد الجسم الجسد وكذلك الجسمان والجثمان قال وقال الأصمعي الجسم والجسمان الجسد

ومعلوم أن أهل الإصطلاح نقلوا لفظ الجسم من هذا المعنى الخاص إلى ما هو أعم منه فسموا الهواء ولهيب النار وغير ذلك جسما وهذا لا تسميه العرب جسما كما لا تسميه جسدا ولا بدنا

ثم قد يراد بالجسم نفس الجسد القائم بنفسه وقد يراد به غلظه كما يقال لهذا الثوب جسم

وكذلك أهل العرف الإصطلاحي يريدون بالجسم تارة هذا وتارة هذا ويفرقون بين الجسم التعليمي المجرد عن المحل الذي يسمى المادة والهيولى وبين الجسم الطبيعي الموجود وهذا مبسوط في موضع آخر

". (٢)

"لها ولا انتهاء وهل يمكن أن يكون الرب متكلما لم يزل متكلما إذا شاء وتكون كلماته لا نهاية لها لا ابتداء ولا انتهاء كما أنه في ذاته لم يزل ولا يزال لا ابتداء لوجوده ولا انتهاء له بل هو الأول الذي ليس قبله شيء وهو الآخر الذي ليس بعده شيء فهو القديم الأزلي الدائم الباقي بلا زوال فهل يمكن أن يكون لم يزل متكلما بمشيئته فلا يكون قد صار متكلما بعد أن لم يكن ولا يكون كلامه مخلوقا منفصلا عنه ولا يكون متكلما بغير قدرته ومشيئته بل يكون متكلما بمشيئته وقدرته ولم يزل كذلك ولا يزال كذلك

هذا هو مورد النزاع بين السلف والأئمة الذين قالوا بذلك وبين من نازعهم في ذلك

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/١١٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١/١١٩

والفلاسفة يقولون إن الفلك نفسه قديم أزلي لم يزل متحركا لكن هذا القول باطل من وجوه كثيرة ومعلوم بالإضطرار أن هذا مخالف لقولهم ومخالف لما أخبر به القرآن والتوراة وسائر الكتب بخلاف كونه لم يزل متكلما أو لم يزل فاعلا أو قادرا على الفعل فإن هذا مما قد يشكل على كثير من الناس سمعا وعقلا

وأما كون السماوات والأرض مخلوقتين محدثتين بعد العدم فهذا إنما نازع فيه طائفة قليلة من الكفار كأرسطو وأتباعه

وأما جمهور الفلاسفة مع عامة أصناف المشركين من الهند والعرب وغيرهم ومع المجوس وغيرهم ومع أهل الكتاب وغيرهم فهم متفقون على أن السماوات والأرض وما بينهما محدث مخلوق بعد أن لم يكن ولكن تنازعوا في مادة ذلك

(١) ".

"والمعتزلة ومن اتبعهم بحدوث العالم وقد يحكونه عن أهل الملل وهو بهذا المعنى لا يوجد لا في القرآن ولا غيره من كتب الأنبياء لا التوراة ولا غيرها ولا في حديث ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف هذا عن أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

والمعنى الثالث الذي أحدثه الملاحدة كابن سينا وأمثاله قالوا نقول العالم محدث أي معلول لعلة قديمة أزلية أوجبته فلم يزل معها وسموا هذا الحدوث الذاتي وغيره الحدوث الزماني

والتعبير بلفظ الحدوث عن هذا المعنى لا يعرف عن أحد من أهل اللغات لا العرب ولا غيرهم إلا من هؤلاء الذين ابتدعوا لهذا اللفظ هذا المعنى والقول بأن العالم محدث بهذا المعنى فقط ليس قول أحد من الأنبياء ولا أتباعهم ولا أمة من الأمم العظيمة ولا طائفة من الطوائف المشهورة التي اشتهرت مقالاتها في عموم الناس بحيث كان أهل مدينة على هذا القول وإنما يقول هذا طوائف قليلة مغمورة في الناس

وهذا القول إنما هو معروف عن طائفة من المتفلسفة المليين كابن سينا وأمثاله وقد يحكون هذا القول عن أرسطو وقوله الذي في كتبه أن العالم قديم وجمهور الفلاسفة قبله يخالفونه ويقولون إنه محدث ولم يثبت في كتبه للعالم فاعلا موجبا له بذاته وإنما أثبت له علة يتحرك للتشبه بها ثم جاء الذين

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٢٢/١

". (١)

"

ولهذا تجد أبا حامد في مناظرته للفلاسفة إنما يبطل طرقهم ولا يثبت طريقة معينة بل هو كما قال نناظرهم يعني مع كلام الأشعري تارة بكلام المعتزلة وتارة بكلام الكرامية وتارة بطريق الواقفة وهذه الطريق هي الغالب عليه في منتهى كلامه

" الوجه السادس عشر

أن يقال غاية ما ينتهي إليه هؤلاء المعارضون لكلام الله ورسوله بآرائهم من المشهورين بالإسلام هو التأويل أو التفويض فأما الذين ينتهون إلى أن يقولوا الأنبياء أوهموا وخيلوا ما لا حقيقة له في نفس الأمر فهؤلاء معروفون عند المسلمين بالإلحاد والزندقة

والتأويل المقبول هو مادل على مراد المتكلم والتأويلات التي يذكرونها لا يعلم أن الرسول أرادها بل يعلم بالإضطرار في عامة النصوص أن المراد منها نقيض ما قاله الرسول كما يعلم مثل ذلك في تأويلات القرامطة والباطنية من غير أن يحتاج ذلك إلى دليل خاص

وحينئذ فالمتأول إن لم يكن مقصوده معرفة مراد المتكلم كان تأويله للفظ بما يحتمله من حيث الجملة في كلام من تكلم بمثله من **العرب** هو من باب التحريف والإلحاد لا من باب التفسير وبيان المراد

وأما التفويض فإن من المعلوم أن الله تعالى أمرنا أن نتدبر القرآن وحضنا على عقله وفهمه فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله

". (٢)

"الألفاظ هي عرفية عرفا خاصا ومرادهم بها غير المفهوم منها في أصل اللغة سواء كان ذلك المعنى حقا أو باطلا

وإذا كان كذلك فهذا مقام يحتاج إلى بيان

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/١٢٦

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١/٢٠١

وذلك أن هؤلاء المعارضين إذا لم يخاطبوا بلغتهم واصطلاحهم فقد يقولون إنا لا نفهم ما قيل لنا أو أن المخاطب لنا والراد علينا لم يفهم قولنا ويلبسون على الناس بأن الذي عنيناه بكلامنا حق معلوم بالعقل أو بالذوق ويقولون أيضا إنه موافق للشرع إذا لم يظهروا مخالفة الشرع كما يفعله الملاحدة من القرامطة والفلاسفة ومن ضاهأهم وإذا خوطبوا بلغتهم واصطلاحهم مع كونه ليس هو اللغة المعروفة التي نزل بها القرآن فقد يفضي إلى مخالفة ألفاظ القرآن في الظاهر

فإن هؤلاء عبروا عن المعاني التي أثبتها القرآن بعبارات أخرى ليست في القرآن وربما جاءت في القرآن بمعنى آخر فليست تلك العبارات مما أثبته القرآن بل قد يكون معناها المعروف في لغة **العرب** التي نزل بها القرآن منتفيا باطلا نفاه الشرع والعقل وهم اصطلحوا بتلك العبارات على معان غير معانيها في لغة **العرب** فتبقى إذا أطلقوا نفيها لم تدل في لغة **العرب** على باطل ولكن تدل في اصطلاحهم الخاص على باطل فمن خاطبهم بلغة **العرب** قالوا إنه لم يفهم مرادنا ومن خاطبهم باصطلاحهم أخذوا يظهرون عنه أنه قال ما يخالف القرآن وكان هذا من جهة كون تلك الألفاظ مجملة مشتبهة

وهذا كالألفاظ المتقدمة مثل لفظ القدم والحدوث والجوهر والجسم والعرض والمركب والمؤلف والمتحيز والبعض والتوحيد

". (١)

"لا شريك له وهذا المعنى الذي تتناوله هذه العبارة فيها ما يوافق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وفيها ما يخالف ما جاء به الرسول وليس الحق الذي فيها هو الغاية التي جاء بها الرسول بل التوحيد الذي أمر به أمر يتضمن الحق الذي في هذا الكلام وزيادة أخرى فهذا من الكلام الذي لبس فيه الحق بالباطل وكتم الحق

وذلك أن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات ونزهه عن كل ما ينزه عنه وأقر بأنه وحده خالق كل شيىء لم يكن موحدا بل ولا مؤمنا حتى يشهد أن لا إله إلا الله فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له

والإله هو بمعنى المألوه المعبود الذي يستحق العبادة ليس هو الإله بمعنى القادر على الخلق فإذا فسر المفسر الإله بمعنى القادر على الإختراع واعتقد لأن هذا أخص وصف الإله وجعل إثبات هذا التوحيد

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/٢٢٣

هو الغاية في التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية وهو الذي ينقلونه عن أبي الحسن وأتباعه لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله فإن مشركي **العرب** كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيىء وكانوا مع هذا مشركين

قال تعالى ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ سورة يوسف ١٠٦ قال طائفة من السلف تسألهم من خلق السماوات والأرض فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره وقال تعالى ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾ سورة المؤمنون ٨٤ ٨٩ وقال تعالى ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله ﴾ سورة العنكبوت ٦١

". (١)

"

ومن المعلوم بالإضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك فهذا ونحوه من التوحيد الذي بعث الله به رسله وهم لا يدخلونه في مسمى التوحيد الذي اصطلحوا عليه وأدخلوا في ذلك نفي صفاته فإنهم إذا قالوا لا قسيم له ولا جزء له ولا شبيه له فهذا اللفظ وإن كان يراد به معنى صحيح فإن الله ليس كمثله شيء وهو سبحانه لا يجوز عليه أن يتفرق ولا يفسد ولا يستحيل بل هو أحد صمد والصمد الذي لا جوف له وهو السيد الذي كمل سؤدده فإنهم يدرجون في هذا نفي علوه على خلقه ومباينته لمصنوعاته ونفى ما ينفونه من صفاته ويقولون إن إثبات ذلك يقتضي أن يكون مركبا منقسما وأن يكون له شبيه

وأهل العلم يعلمون ان مثل هذا لا يسمى في لغة **العرب** التي نزل بها القرآن تركيبا وانقساما ولا تمثيلا وهكذا الكلام في مسمى الجسم والعرض والجوهر والمتحيز وحلول الحوادث وأمثال ذلك فإن هذه الألفاظ يدخلون في مسماها الذي ينفونه أمورا مما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله فيدخلون فيها نفي علمه وقدرته وكلامه ويقولون إن القرآن مخلوق لم يتكلم الله به وينفون بها رؤيته لأن رؤيته على اصطلاحهم لا تكون إلا لمتحيز في جهة وهو جسم ثم يقولون والله منزه عن ذلك فلا تجوز رؤيته وكذلك يقولون إن

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/٢٢٦

المتكلم لا يكون إلا جسما متحيزا والله ليس بجسم متحيز فلا يكون متكلما ويقولون لو كان فوق العرش لكان جسما متحيزا والله ليس بجسم متحيز فلا يكون متكلما فوق العرش وأمثال ذلك

". (١)

"

مع إتفاق الطائفتين على أن القرآن كله كلام الله لم يحدث غيره شيئا منه ولا خلق منه شيئا في غيره لا حروفه ولا معانيه مثل حسين الكرابيسي وداود بن علي الأصبهاني وأمثالهما

وحدث مع هذا من يقول بقول ابن كلاب إن كلام الله معنى واحد قائم بنفس المتكلم هو الأمر بكل ما أمر به والنهي عن كل ما نهى عنه والإخبار بكل ما أخبر به وإنه إن عبر عنه **بالعربية** كان هو القرآن وإن عبر عنه بالعبرية كان هو التوراة

وجمهور الناس من أهل السنة والمعتزلة وغيرهم أنكروا ذلك وقالوا إن فساد هذا معلوم بصريح العقل فإن التوراة إذا **عربت** لم تكن هي القرآن ولا معنى ﴿ قل هو الله أحد ﴾ هو معنى ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ وكان يوافقهم على إطلاق القول بأن التلاوة غير المتلو وأنها مخلوقة من لا يوافقهم على هذا المعنى بل قصده أن التلاوة هي أفعال العباد وأصواتهم

". (٢)

" الوجه الثامن عشر

أن يقال ما يعارضون به الأدلة الشرعية من العقليات في أمر التوحيد والنبوة والمعاد قد بينا فساده في غير هذا الموضع وتناقضه وأن معتقد صحته من أجهل الناس وأضلهم في العقل كما بينا انتهاءهم في جحد القدر إلى تعارض الأمر والمشيئة وانتهاءهم في مسألة حدوث العالم والمعاد إلى إنكار الأفعال

وبينا أن ما يذكرونه على النفي ألفاظ مجملة مشتبهة تتناول حقا وباطلا كقولهم إن الرب تعالى لو كان موصوفا بالصفات من العلم والقدرة وغيرهما مباينا للمخلوقات لكان مركبا من ذات وصفات ولكان مشاركا لغيره في الوجود وغيره ومفارقا له في الوجوب وغيره فيكون مركبا مما به الإشتراك والإمتياز ولكان له

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/٢٢٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١/٢٦٧

حقيقة غير مطلق الوجود فيكون مركبا من وجود وماهية ولكان جسما مركبا من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة والمركب مفتقر إلى جزئه والمفتقر إلى جزئه لا يكون واجبا بنفسه

وقد بينا فساد هذا الكلام بوجوه كثيرة يضيق عنها هذا الموضع فإن مدار هذه الحجة على ألفاظ مجملة فإن المركب يراد به ما ركبه غيره وما كان مفترقا فاجتمع كأجزاء الثوب والطعام والأدوية من السكنجبين وغيره وهذا هو المركب في لغة **العرب** وسائر الأمم

وقد يراد بالمركب ما يمكن تفريق بعضه عن بعض ومعلوم أن الله تعالى منزه عن جميع هذه التركيبات

". (١)

"

ويراد بالمركب في عرفهم الخاص ما تميز منه شيء عن شيء كتميز العلم عن القدرة وتميز ما يرى مما لا يرى ونحو ذلك وتسمية هذا المعنى تركيبا وضع وضعوه ليس موافقا للغة **العرب** ولا لغة أحد من الأمم وإن كان هذا مركبا فكل ما في الوجود مركب فإنه ما من موجود إلا ولا بد أن يعلم منه شيء دون شيء والمعلوم ليس الذي هو غير معلوم

وقولهم إنه مفتقر إلى جزئه تلبيس فإن الموصوف بالصفات اللازمة له يمتنع أن تفارقه أو يفارقها وليست له حقيقة غير الذات الموصوفة حتى يقال إن تلك الحقيقة مفتقرة إلى غيرها والصفة اللازمة يسميها بعض الناس غير الموصوف وبعض الناس يقول ليست غير الموصوف ومن الناس من لا يطلق عليها لفظ المغايرة بنفي ولا إثبات حتى يفصل ويقول إن أريد بالغيرين ما جاز العلم بأحدهما دون الآخر فهي غير وإن أريد بهما ما جاز مفارقة أحدهما للآخر بزمان أو مكان أو وجود فليست بغير فإن لم يقل هي غير الموصوف لم يكن هناك غير لازم للذات فضلا عن أن تكون مفتقرة إليه وإن قيل هي غيره فهي والذات متلازمان لا توجد إحداهما إلا مع الأخرى ومثل هذا التلازم بين الشيئين يقتضي كون وجود أحدهما مشروطا بالآخر وهذا ليس بممتنع وإنما الممتنع أن يكون كل من الشيئين موجبا للآخر فالدور في العلل ممتنع والدور في الشروط جائز

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/٢٨٠

. " (١)

"المصريين الذين يسميهم المسلمون الملاحدة لإلحادهم في أسماء الله وآياته إلحادا أعظم من إلحاد اليهود والنصارى

ومعلوم أن المطلق لا بشرط كالإنسان المطلق لا بشرط يصدق على هذا الإنسان وهذا الإنسان وعلى الذهني والخارجي فالوجود المطلق لا بشرط يصدق على الواجب والممكن والواحد والكثير والذهني والخارجي وحينئذ فهذا الوجود المطلق ليس موجودا في الخارج مطلقا بلا ريب

ومن قال إن الكلى الطبيعي موجود في الخارج فقد يريد به حقا وباطلا فإن أراد بذلك أن ما هو كلي في الذهن موجود في الخارج معينا أي تلك الصورة الذهنية مطابقة للأعيان الموجودة في الخارج كما يطابق الإسم لمسماه والمعنى الذهني الموجود الخارجي فهذا صحيح وإن أراد بذلك أن نفس الموجود

"

وأما نفع هذا الإستفسار في العقل فمن تكلم بلفظ يحتمل معاني لم يقبل قوله ولم يرد حتى نستفسره ونستفصله حتى يتبين المعنى المراد ويبقى الكلام في المعاني العقلية لا في المنازعات اللفظية فقد قيل أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء ومن كان متكلما بالمعقول الصرف لم يتقيد بلفظ بل يجرد المعنى بأي عبارة دلت عليه

وأرباب المقالات تلقوا عن أسلافهم مقالات بألفاظ لهم منها ما كان أعجميا **فعربت** كما **عربت** ألفاظ اليونان والهند والفرس وغيرهم وقد يكون المترجم عنهم صحيح الترجمة وقد لا يكون صحيح الترجمة ومنها ما هو **عربي**

ونحن إنما نخاطب الأمم بلغتنا **العربية** فإذا نقلوا عن أسلافهم لفظ الهيولي والصورة والمادة والعقل والنفس والصفات الذاتية والعرضية والمجرد والتركيب والتأليف والجسم والجوهر والعرض والماهية والجزء ونحو ذلك بين ما تحتمل هذه الألفاظ من المعاني كما إذا قال قائلهم النوع مركب من الجنس والفصل كتركيب الإنسان من الحيوان والناطق أو من الحيوانية والناطقية وإن هذه أجزاء الإنسان وأجزاء الحد

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/٢٨١

والواجب سبحانه إذا كان له صفات لزم أن يكون مركبا والمركب مفتقر إلى أجزائه والمفتقر إلى أجزائه لا يكون واجبا استفسروا عن لفظ التركيب والجزء والإفتقار والغير فإن جميع هذه الألفاظ فيها اشتراك والتباس وإجمال

فإذا قال القائل الإنسان مركب من الحيوان والناطق أو من الحيوانية والناطقية

". (١)

"

ومن المعلوم بالضرورة من لغة **العرب** أنهم لا يسمعون كل مخلوق موجود آفلا ولا كل موجود بغيره آفلا ولا كل موجود يجب وجوده بغيره لا بنفسه آفلا ولا ما كان من هذه المعاني التي يعنيها هؤلاء بلفظ الإمكان بل هذا أعظم افتراء على القرآن واللغة من تسمية كل متحرك آفلا ولو كان الخليل أراد بقوله ﴿ لا أحب الآفلين ﴾ سورة الأنعام ٧٦ هذا المعنى لم ينتظر مغيب الكوكب والشمس والقمر ففساد قول هؤلاء المتفلسفة في الإستدلال بالآية أظهر من فساد قول أولئك

وأعجب من هذا قول من قال في تفسيره إن هذا قول المحققين

واستعارته لفظ الهوى والحظيرة لا يوجب تبديل اللغة المعروفة في معنى الأفول فإن وضع هو لنفسه وضعا آخر فليس له أن يتلو عليه كتاب الله تعالى فيبدله أو يحرفه

وقد ابتدعت القرامطة الباطنية تفسيرا آخر كما ذكره أبو حامد في بعض مصنفاته كمشكاة الأنوار وغيرها أن الكواكب والشمس والقمر هي النفس والعقل الفعال والعقل الأول ونحو ذلك

وشبهتهم في ذلك أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم أجل من أن يقول لمثل هذه الكواكب إنه رب العالمين بخلاف ما ادعوه من النفس ومن العقل الفعال الذي يزعمون أنه رب كل ما تحت فلك القمر والعقل الأول الذي يزعمون أنه مبدع العالم كله

". (٢)

"

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/٢٩٩

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١/٣١٥

وقول هؤلاء وإن كان معلوم الفساد بالضرورة من دين الإسلام فابتداع أولئك طرق مثل هؤلاء على هذا الإلحاد

ومن المعلوم بالإضطرار من لغة **العرب** أن هذه المعاني ليست هي المفهوم من لفظ الكوكب والقمر والشمس

وأيضا فلو قدر أن ذلك يسمى كوكبا وقمرا وشمسا بنوع من التجوز فهذا غايته أن يسوغ للإنسان أن يستعمل اللفظ في ذلك لكنه لا يمكنه أن يدعى أن أهل اللغة التي نزل بها القرآن كانوا يريدون هذا بهذا والقرآن نزل بلغة الذين خاطبهم الرسول صلى الله عليه وسلم فليس لأحد أن يستعمل ألفاظه في معان بنوع من التشبيه والإستعارة ثم يحمل كلام من تقدمه على هذا الوضع الذي أحدثه هو

وأيضا فإنه قال تعالى ﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكبا ﴾ الأنعام ٧٦ فذكره منكرا لأن الكواكب كثيرة ثم قال ﴿ فلما رأى القمر ﴾ الأنعام ٧٧ ﴿ فلما رأى الشمس ﴾ سورة الأنعام ٧٨ بصيغة التعريف لكي يبين أن المراد القمر المعروف والشمس المعروفة وهذا صريح بأن الكواكب متعددة وأن المراد واحد منها وأن الشمس والقمر هما هذاه المعروفان

وأيضا فإنه قال ﴿ لا أحب الآفلين ﴾ والأفول هو المغيب والإحتجاب فإن أريد بذلك المغيب عن الأبصارا الظاهرة فما يدعونه من العقل والنفس لا يزال محتجبا عن الأبصار لا يرى بحال بل وكذلك واجب الوجود عندهم لا يرى بالأبصار بحال بل تمتنع رؤيته بالأبصار عندهم

". (١)

"والآخرة وإن كان قد يقرر خلع النعلين حقيقة لكن جعل هذا إشارة إلى أن من خلع الدنيا والآخرة فقد حصل له ذلك الخطاب الإلهي

وهو من جنس قول من يقول إن النبوة مكتسبة ولهذا كان أكابر هؤلاء يطمعون في النبوة فكان السهروردي المقتول يقول لا أموت حتى يقال له قم فأنذر وكان ابن سبعين يقول لقد زرب ابن آمنة حيث قال لا نبي بعدي ولما جعل خلع النعلين إشارة إلى ذلك أخذ ذلك ابن قسى ونحوه ووضع كتابه في خلع النعلين واقتباس النور من موضع القدمين من مثل هذا الكلام

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/٣١٦

وهم من جنس الملاحدة المنتسبين إلى التشيع لكن تظاهر هؤلاء من أقوال شيوخ الصوفية وأهل المعرفة بما التبس به حالهم على كثير من أهل العلم المنتسبين إلى العلم والدين بخلاف أولئك الذين تظاهروا بمذهب التشيع فإن نفور الجمهور

"أن المعقول الصريح مطابق لما جاء به الرسول لا يناقضه ولا يعارضه وأنه بذلك تبطل حجج الملاحدة وينقطع الكفار فتحصل مطابقة العقل للسمع وانتصار أهل العلم والإيمان على أهل الضلال والإلحاد ويحصل بذلك الإيمان بكل ما جاء به الرسول واتباع صريح المعقول والتمييز بين البينات والشبهات

وقد كنت قديما ذكرت في بعض كلامي أني تدبرت عامة ما يحتج به النفاة من النصوص فوجدتها على نقيض قولهم أدل منها على قولهم كاحتجاجهم على نفي الرؤية بقوله تعالى ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ سورة الأنعام ١٠٣ فبينت أن الإدراك هو الإحاطة لا الرؤية وأن هذه الآية تدل على إثبات الرؤية أعظم من دلالتها على نفيها

وكذلك احتجاجهم على أن القرآن أو عبارة القرآن مخلوقة بقوله تعالى ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه ﴾ سورة الأنبياء ٢ بينت أن دلالة هذه الآية على نقيض قولهم أقوى فإنها تدل على أن بعض الذكر محدث وبعضه ليس بمحدث وهو ضد قولهم

والحدوث في لغة العرب العامة ليس هو الحدوث في اصطلاح أهل الكلام فإن العرب يسمون ما تجدد حادثا وما تقدم على غيره قديما وإن كان بعد أن لم يكن كقوله تعالى ﴿كالعرجون القديم ﴾ سورة يس ٣٩ وقوله تعالى عن إخوة يوسف ﴿ تالله إنك لفي ضلالك القديم ﴾ سورة يوسف ٩٥ وقوله تعالى ﴿ وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ﴾ سورة الأحقاف ١١

." (١)

"غيره والفعل المتعدي إلى غيره لا يتعدى حتى يقوم بفاعله إذ كان لا بد له من الفاعل وهذا معلوم سمعا وعقلا

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١/٣٧٤

أما السمع فإن أهل اللغة العربية التي نزل بها القرآن بل وغيرها من اللغات متفقون على أن الإنسان إذا قال قام فلان وقعد وقال أكل فلان الطعام وشرب الشراب فإنه لا بد أن يكون في الفعل المتعدي إلى المفعول به ما في الفعل اللازم وزيادة إذ كلتا الجملتين فعلية وكلاهما فيه فعل وفاعل والثانية امتازت بزيادة المفعول فكما انه في الفعل اللازم معنا فعل وفاعل ففي الجملة المتعدية معنا أيضا فعل وفاعل وزيادة مفعول به

ولو قال قائل الجملة الثانية ليس فيها فعل قائم بالفاعل كما في الجملة الأولى بل الفعل الذي هو أكل وشرب نصب المفعول من غير تعلق بالفاعل أولا لكان كلامه معلوم الفساد بل يقال هذا الفعل تعلق بالفاعل أولا كتعلق قام وقعد ثم تعدى إلى المفعول ففيه ما في الفعل اللازم وزيادة التعدي وهذا واضح لا يتنازع فيه اثنان من أهل اللسان

". (١)

"فقوله تعالى ﴿ هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ سورة الحديد ٤ تضمن فعلين أولهما متعد إلى المفعول به والثاني مقتصر لا يتعدى فإذا كان الثاني وهو قوله تعالى ﴿ ثم استوى ﴾ فعلا متعلقا بالفاعل فقوله ﴿ خلق ﴾ كذلك بلا نزاع بين أهل العربية

ولو قال قائل ﴿ خلق ﴾ لم يتعلق بالفاعل بل نصب المفعول به ابتداء لكان جاهلا بل في ﴿ خلق ﴾ ضمير يعود إلى الفاعل كما في ﴿ استوى ﴾

وأما من جهة العقل فمن جوز أن يقوم بذات الله تعالى فعل لازم له كالمجيء والاستواء ونحو ذلك لم يمكنه أن يمنع قيام فعل يتعلق بالمخلوق كالخلق والبعث والإماتة والإحياء كما أن من جوز أن تقوم به صفة لا تتعلق بالغير كالحياة لم يمكنه أن يمنع قيام الصفات المتعلقة بالغير كالعلم والقدرة والسمع والبصر ولهذا لم يقل أحد من العقلاء بإثبات أحد الضربين دون الآخر بل قد يثبت الأفعال المتعدية القائمة به كالتخليق من ينازع في الأفعال اللازمة كالمجيء والإتيان وأما العكس فما علمت به قائلا

وإذا كان كذلك كان حدوث ما يحدثه الله تعالى من المخلوقات تابعا لما يفعله من أفعاله الاختيارية القائمة بنفسه وهذه سبب الحدوث والله تعالى حي قيوم لم يزل موصوفا بأنه يتكلم بما يشاء فعال لما يشاء

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢/ ٤

وهذا قد قاله العلماء الأكابر من أهل السنة والحديث ونقلوه عن السلف والأئمة وهو قول طوائف كثيرة من أهل الكلام والفلسفة المتقدمين والمتأخرين بل هو قول جمهور المتقدمين من الفلاسفة

". (١)

"ثم يأتون به الى الكهان من أهل الأرض فيحدثونهم فيخطئون ويصيبون فتحدث به الكهان ثم ان الله حجب الشياطين عن السماء بهذه النجوم فانقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة

وقال البخاري ايضا ولقد بين نعيم بن حماد أن كلام الرب ليس بخلق وأن **العرب** لا تعرف الحي من الميت الا بالفعل فمن كان له فعل فهو حي ومن لم يكن له فعل فهو ميت وأن افعال العباد مخلوقة فضيق عليه حتى مضى لسبيله وتوجع اهل العلم لما نزل به

قال وفي اتفاق المسلمين دليل على أن نعيما ومن نحا نحوه ليس بمارق ولا مبتدع بل البدع والترؤس بالجهل بغيرهم اولى اذ يفتون بالآراء المختلفة بما لم يأذن به الله

وقال الحارث بن أسد المحاسبي في كتاب فهم القرآن لما تكلم على ما يدخل في النسخ ومالا يدخل في النسخ وما يظن أنه متعارض من الآيات وذكر عن أهل السماء في الارادة والسمع والبصر قولين في مثل قوله ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ﴾ سورة الفتح وقوله ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية ﴾ سورة الاسراء ١٦

". (٢)

"

والثالثة أنه عن الكلبي وقد أجمع أهل العلم بالأثر على أن لا يحتجوا بالكلبي في أدنى حلال ولا حرام فكيف في تفسير توحيد الله وتفسير كتابه وكذلك أبو صالح

ولو قد صحت روايتك عن ابن عباس أنه قال القيوم الذي لا يزول لم نستنكره وكان معناه مفهوما واضحا عند العلماء وعند أهل البصر **بالعربية** أن معنى لا يزول لا يفنى ولا يبيد لا أنه لا يتحرك ولا يزول من مكان الى مكان اذا شاء كما كان يقال للشيء الفاني هو زائل كما قال لبيد

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٥/٢

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤٥/٢

الا كل شيء ماخلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل يعني فان لا أنه متحرك فان أمارة ما بين الحي والميت التحرك وما لا يتحرك فهو ميت لا يوصف بحياة كما لا توصف الأصنام الميتة قال الله تعالى ﴿ والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ سورة النحل ٢٠ ٢١ فالله الحي القيوم القابض الباسط يتحرك اذا شاء

(١) ".

"الباطن من أن الكلام لا يكون الا حرفا وصوتا ذا تأليف واتساق وان اختلفت به اللغات وعبر عن هذا المعنى الأوائل الذين تكلموا في العقليات وقالوا الكلام حروف متسقة وأصوات مقطعة وقالت يعني علماء **العربية** الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى فالاسم مثل زيد وعمرو والفعل مثل جاء وذهب والحرف الذي يجيء لمعنى مثل هل وبل وقد وما شاكل ذلك فالاجماع منعقد بين العقلاء على كون الكلام حرفا وصوتا فلما نبغ ابن كلاب وأضرابه وحاولوا الرد على المعتزله من طريق مجرد العقل وهم لا يخبرون أصول السنة ولا ما كان السلف عليه ولا يحتجون بالأخبار الواردة في ذلك زعما منهم أنها اخبار آحاد وهي لا توجب علما والزمتهم المعتزلة الاتفاق على أن الاتفاق حاصل على أن الكلام حرف وصوت يدخله التعاقب والتأليف وذلك لا يوجد في الشاهد الا بحركة وسكون ولا بد له من أن يكون ذا أجزاء وأبعاض وما كان بهذه المثابة لا يجوز أن يكون من صفات ذات الله تعالى لأن ذات الحق لا توصف بالاجتماع والافتراق والكل والبعض والحركة والسكون وحكم الصفة الذاتية حكم الذات

قالوا فعلم بهذه الجملة أن الكلام المضاف الى الله تعالى خلق له

(٢) ".

"فغيروه وقالوا ان الكلام من الفؤاد وزعموا أن لهم حجة على مقالتهم في قوله تعالى ﴿ ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ﴾ سورة المجادلة ٨ وقول الله عز وجل ﴿ فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم ﴾ سورة يوسف ٧٧ واحتجوا بقول **العرب** ارى فى نفسك كلاما وفى وجهك كلاما فألجاهم الضيق مما دخل عليهم فى مقالتهم الى ان قالوا الاخرس متكلم وكذلك الساكت والنائم ولهم فى حال

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٧٢/٢

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٨٤/٢

الخرس والسكوت والنوم كلام هم متكلمون بة ثم افصحوا بإن الخرس والسكوت والافات المانعة من النطق ليست باضداد الكلام

وهذة مقالة تبين فضيحة قائلها فى ظاهرها من غير رد علية ومن علم منه خرق اجماع الكافة ومخالفة كل عقلى وسمعى قبلة لم يناظر بل يجانب ويقمع

وقال ابو نصر السجزى ايضا فى كتابة المسمى بالابانة فى مسألة القرآن لما قيل لة ان القراءة عمل والعمل لا يكون صفة اللة والدليل على انها عمل انك تقول قرا فلان يقرا وما حسن فيه ذكر المستقبل فهو عند العرب عمل

(١) ".

"ذلك وادعيت أن الواجب المصير الى حكيم العقل في هذا الباب وقد ردك العقل الى موافقة النص خاسئا

فقال هذا يحتاج الى تأمل وقطع كلام

وقال أبو نصر لم يزل الله متكلما لأن الكلام من صفات المدح لحي الفاعل وضده من النقائص والله منزه عنها وذكر كلاما كثيرا الى أن قال وقد ثبت بما ذكرناه كون القرآن مفرقا مفصلا ذا أجزاء وأبعاض وآي وكلمات وحروف وأن ما كان بخلاف ذلك لم يكن القرآن المنزل الذي آمن به المسلمون وجحده الكفار وأن المقروء سور وآي وكلمات وحروف وكذلك المحفوظ والمكتوب والمتلو وأنه عربي مبين نازل بلسان العرب ولسان قريش والمراد باللسان في هذا الباب اللغة لا اللسان الذي هو لحم ودم وعروق تعالى الله عن ذلك وجل عن أن يوصف إلا بما وصف به نفسه وتنزه عن الأشباه

قال ونحن نذكر عقب هذا الفصل فصلا في ذكر حروف القرآن وفصلا بعد ذلك في الصوت وما ورد فيه من القرآن والحديث وكل ذي لب صحيح يعرف بالحس والمشاهدة قبل الاستدلال أن القرآن العربي حروف ولا فرق بين منكر ذلك ومنكر الحواس وأنها من مباديء العلم وأسباب المدارك

(٢) ".

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨٦/٢

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٩٢/٢

"قال وقد بين الله في كتابه مالا إشكال بعده في هذا الفصل لما قال ﴿ وإذ نادى ربك موسى ﴾ سورة الشعراء ١٠ والعرب لا تعرف نداء الا صوتا وقد جاء عن موسى تحقيق ذلك فإن أنكرو الظاهر كفروا وإن قالوا إن النداء غير صوت خالفوا لغات العرب وإن قالوا نادى المير إذا أمر غيره بالنداء دفعوا فضيلة موسى عليه السلام المختصة به من تكليم الله إياه بذاته من غير واسطة ولا ترجمان وليس في وجود الصوت من الله تعالى تشبيه بمن يوجد الصوت منه من الخلق كما لم يكن في إثبات الكلام له تشبيه بمن له كلام من خلقه وكيف وكلامه وكلام خلقه معا عند الأشعري معنى قائم بذات المتكلم لا يختلف فهو المشبه لا محاله

قال واما نحن فنقول كلام الله حرف وصوت بحكم النص قال وليس ذلك عن جارحة ولا آلة وكلامنا حروف وأصوات لا يوجد ذلك منا الا بآله والله سبحانه وتعالى يتكلم بما شاء لا يشغله شيء عن شيء والمتكلم منا لا يتأتى منه أداء حرفين إلا بأن يفرغ من أحدهما ويبتديء في الآخر والقرآن لما كن كلاما لله كان معجزا وكلام الخلق غير معجز وفي كلام الله بيان ما كان وما سيكون

(١) ".

"وما لا يكون ابدا لو كان كيف كان يكون والخلق لا يصلون الى هذه الأشياء إلا بتعريف

وقال أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي الأصبهاني الشافعي في كتابه المعروف بالحجة على تارك المحجة أجمع المسلمون على أن القرآن كلام الله وإذا صح أنه كلام الله صح أنه صفة الله تعالى وأنه موصوف به وهذه الصفة لازمة لذاته تقول العرب زيد متكلم فالكلام صفه له لا نعرف إلا ان حقيقة هذه الصفة الكلام كان كذلك كان القرآن كلام الله وكانت هذه الصفه لازمه له أزلية والدليل على ان الكلام لا يفارق المتكلم أنه لو كان مفارقه لم يكن للمتكلم الا كلمة واحدة فإذا تكلم بها لم يبق له كلام فلما كان المتكلم قادرا على كلمات كثيرة كلمة بعد كلمة دل على أن تلك الكلمات فروع لكلامه الذي هو صفة له ملازمة

قال والدليل على أن القرآن غير مخلوق أنه كلام الله وكلام الله سبب الى خلق الأشياء قا الله تعالى ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ سورة النحل ٤٠ أي أردنا خلقه وايجاده وإظهاره فقوله كن كلام الله وصفته والصفة التي منها يتفرع

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢/٩٣

". (١)

"الباجي فأخذ طريقة أبي جعفر السمناني الحنفي صاحب القاضي أبي بكر ورحل بعده القاضي أبو بكر بن **العربي** فأخذ طريقة أبي المعالي في الإرشاد

ثم إنه ما من هؤلاء الا من له في الاسلام مساع مشكورة وحسنات مبرورة وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع والإنتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرف أحوالهم وتكلم فيهم ويعلم وصدق وعدل وانصاف لكن لما التبس عليهم هذا الأصل المأخوذ ابتداء عن المتعزلة وهم فضلاء عقلاء احتاجوا الى طرده والتزام لوازمه فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين وصار الناس بسبب ذلك منهم من يعظمهم لما لهم من المحاسن والفضائل ومنهم من يذمهم لما وقع في كلامهم من البدع والباطل وخيار الأمور أوساطها

وهذا ليس مخصوصا بهؤلاء بل مثل هذا وقع لطوائف من أهل العلم والدين والله تعالى يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات ويتجاوز لهم عن السيئات ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾

". (٢)

"مخالفته اصول الشافعي ونصوصه وربما نسب المبتدعون اليه ما هو بريء منه كما نسبوا اليه أنه يقول ليس في المصحف قرآن ولا في القبر نبي وكذلك الاستثناء في الايمان ونفي القدرة على الخلق في الأزل وتكفير العوام وايجاب علم الدليل عليهم قال وقد تصفحت ما تصفحت من كتبه فوجدته كلها خلاف ما نسب اليه

قلت هذه المسائل فيها كلام ليس هذا موضعه ولكن المقصود هنا أنه جعل من القبيل الذي خالف فيه الشافعي وأعرض عنه فيه أصحابه مسألة صيغ الألفاظ وهذه هي مسألة الكلام وقوله فيها هو قول ابن كلاب ان كلام الله معنى واحد قائم بنفس الله تعالى ان عبر عنه **بالعربية** كان قرآنا وان عبر عنه بالعبرية

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢/٩٤

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢/١٠٢

كان توراة وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا وان القرآن **العربي** لم يتكلم الله به وليس هو كلام الله وانما خلقه في بعض الأجسام

وجمهور الناس من أهل السنة وأهل البدعة يقولون ان فساد هذا القول معلوم بالاضطرار وان معاني القرآن ليست هي معاني التوراة **المعربة** هي القرآن ولا القرآن اذا ترجم بالعبرية هو التوراة ولا حقيقة الأمر هي حقيقة الخبر

". (١)

"وإنما اضطر ابن كلاب والأشعري ونحوهما الى هذا الأصل أنهم لما اعتقدوا أن الله لا يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته لا فعل ولا تكلم ولا غير ذلك وقد تبين لهم فساد قول من يقول القرآن مخلوق ولا يجعل لله تعالى كلاما قائما بنفسه بل يجعل كلامه ما خلقه في غيره وعرفوا أن الكلام لا يكون مفعولا منفصلا عن المتكلم ولا يتصف الموصوف بما هو منفصل عنه بل اذا خلق الله شيئا من الصفات والأفعال بمحل كان ذلك صفة لذلك المحل لا لله فإذا خلق في محل الحركة كان ذلك المحل هو المتحرك بها وكذلك اذا خلق فيه حياة كان ذلك المحل هو الحي بها وكذلك اذا خلق علما أو قدرة كان ذلك المحل هو العالم القادر فإذا خلق كلاما في غيره كان ذلك المحل هو المتكلم به

وهذا التقرير مما اتفق عليه القائلون بأن القرآن غير مخلوق من جميع الطوائف مثل أهل الحديث والسنة ومثل الكرامية والكلابية وغيرهم

ولازم هذا أن من قال ان القرآن **العربي** مخلوق أن لا يكون القرأن **العربي** كلام الله بل يكون كلاما للمحل الذي خلق فيه ومن

". (٢)

"قال ان لفظ الكلام يقع بالاشتراك على هذا وهذا تبطل حجته على المعتزلة فان أصل الحجة أنه اذا خلق كلاما في محل كان الكلام صفة لذلك المحل فإذا كان القرآن **العربي** كلاما مخلوقا في محل كان ذلك المحل هو المتكلم به ولم يكن كلام الله ولهذا قال من قال لا يسمى كلاما الا مجازا فرارا من أن

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢/١١٠

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢/١١١

يثبتوا كلاما حقيقيا قائما بغير المتكلم به فلما عظم شناعة الناس على هذا القول وكان تسمية هذا كلاما حيقيقة معلوما بالاضطرار من اللغة اراد من ينصرهم أن يجعل لفظ الكلام مشتركا فأفسد الأصل الذي بنوا عليه قولهم

وبإنكار هذا الأصل استطال عليهم من يقول بخلق القرآن من المعتزلة والشيعة والخوارج ونحوهم فإن هؤلاء لما ناظرهم من سلك طريقة ابن كلاب ومضمونها أن الله لا يقدر على الكلام ولا يتكلم بما شاء ولا هو متكلم باختياره ومشيئته طمع فيهم أولئك لأن حمهور الخلق يعلمون أن المتكلم يتكلم بمشيئته واختباره وهو قادر على الكلام هو يتكلم بما يشاء

ولكن منشأ اضطراب الفريقين اشتراكهما في أنه لا يقوم به ما يكون

(١) ".

"أن يقولوا معنى واحدا فقالوا القول الذي لزمته تلك اللوازم التي عظم فيها نكير جمهور العقلاء عليهم

وأنكر الناس عليهم امورا اثبات معنى واحد هو الأمر والخبر وجعل القرآن **العربي** ليس من كلام الله الذي تكلم به وأن الكلام المنزل ليس هو كلام الله وأن التوراة والانجيل والقرآن انما تختلف عباراتها فإذا عبر عن التوراة **بالعربية** كان هو القرآن وأن الله لا يقدر أن يتكلم ولا يتكلم بمشيئته واختياره وتكليمه لمن كلمه من خلقه كموسى وآدم ليس الا خلق ادراك ذلك المعنى لهم فالتكليم هو خلق الادراك فقط

ثم منهم من يقول السمع يتعلق بذلك المعنى وبكل موجود فكل موجود يمكن أن يرى ويسمع كما يقوله أبو الحسن

ومنهم من يقول بل كلام الله لا يسمع بحال لا منه ولا من غيره اذ هو معنى والمعنى يفهم ولا يسمع كما يقوله أبو بكر ونحوه

ومنهم من يقول إنه يسمع ذلك المعنى من القاريء مع صوته المسموع منه كما يقول ذلك طائفة أخرى

وجمهور العقلاء يقولون إن هذه الأقوال معلومة الفساد

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢/١١٢

". (١)

"**العربي** ليس هو كلامه أو كلامه الحروف أو الحروف والأصوات التي نزل بها القرآن وغيره وهي قديمة العين على قولين

ومن القائلين بقدم أعيان الحروف والصوات من لا يقول هي واحدة بل يقول هي متعددة وإن كانت لا نهاية لها ويقول بثبوت حروف أو حروف ومعان لا نهاية لها في آن واحد وأنها لم تزل ولا تزال وهذا مما أوجب قول القائلين بأن كلام الله مخلوق وأنه ليس له كلام قائم بذاته لما رأوا أن ما ليس بمخلوق فهو قديم العين والثاني ممتنع عندهم فتعين الأول

واولئك الصنفان قالوا والقول ممتنع فتعين الثاني وهؤلاء إنما قالوا هذه الأقوال لظنهم أنه يمتنع أن تقوم به الأمور الاختيارية لا كلام باختيارة ولا غير كلام كما قد بين في موضعه

وهذا الأصل وهو القول بقيام الحوادث به هو قول هشام بن الحكم وهشام الجواليقي وابن مالك الحضرمي وعلى بن ميثم

". (٢)

"التي تحصل بقدرته واختياره ونحو ذلك وذلك أنه يقال العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام ونحو ذلك صفات كمال فلو لم يتصف الرب بها اتصف بنقائضها كالجهل والعجز والصمم والبكم والخرس وهذه صفات نقص والله منزه عن ذلك فيجب اتصافه بصفات الكمال ويقال كل كمال يثبت لمخلوق من غير أن يكون فيه نقص بوجه من الوجوه فالخالق تعالى أولى به وكل نقص تنزه عنه مخلوق فالخالق سبحانه أولى بتنزيهه عنه بل كل كمال يكون للموجود لا يستلزم نقصا فالواجب الوجود أولى به من كل موجود وأمثال هذه الأدلة المبسوطة في غير هذا الموضع

فإذا قال النفاة من الجهمية والمتفلسفة والباطنية هذه الصفات متقابلة تقابل العدم والملكة فلا يلزم من رفع أحدهما ثبوت الثاني الا أن يكون المحل قابلا لهما فأما ما لا يقبلهما كالجماد فلا يقال فيه حي ولا ميت ولا أعمى ولا بصير

اجيبوا عن ذلك بعدة أجوبة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢/١١٤

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢/١٧٣

مثل أن يقال هذا اصطلاح لكم والا فاللغة العربية لا فرق فيها والمعاني العقلية لا يعتبر فيها مجرد الاصطلاحات

ومثل أن يقال فما لا يقبل هذه الصفات كالجماد أنقص مما يقبلها

". (١)

"وابي بكر بن العربي وغيرهم من أصحاب مالك وكأبي منصور الماتريدي وميمون النسفي وغيرهما من اصحاب أبي حنيفة أنهم قالوا لو كان القرآن مخلوقا للزم أن يخلقه إما في ذاته أو في محل غيره أو أن يكون قائما بنفسه لا في ذاته ولا في محل آخر والأول يستلزم أن يكون الله محلا للحوادث والثاني يقتضي أن يكون الكلام كلام المحل الذي خلق فيه فلا يكون ذلك الكلام كلام الله كسائر الصفات اذا خلقها في محل كالعلم والحياة والحركة واللون وغير ذلك والثالث يقتضي أن تقوم الصفة بنفسها وهذا ممتنع

فهذه الطريقة هي عمدة هؤلاء في مسالة القرآن وقد سبقهم عبد العزيز المكي صاحب الحيدة المشهورة الى هذا التقسيم

وقد يظن الظان أن كلامهم هو كلامه بعينه وأنه كان يقول بقولهم وأن الله لا يقوم بذاته ما يتعلق بقدرته ومشيئته وان قوله من جنس قول ابن كلاب وليس الامر كذلك فان عبد العزيز هذا له في الرد على الجهمية وغيرهم من الكلام مالا يعرف فيه خروج عن مذهب السلف وأهل الحديث

". (٢)

"وذلك أنه قال بعد أن ذكر جوابه لبشر فيما احتج به بشر من النصوص مثل قوله تعالى ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ سورة الزمر ٦٢ وقوله تعالى ﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا ﴾ سورة الزخرف ٣ قال فقال بشر يا امير المؤمنين عندي اشياء كثيرة الا انه يقول بنص التنزيل وانا اقول بالنظر والقياس فليدع مطالبتي بنص التنزيل ويناظرني بغيره فإن لم يدع قوله ويرجع عنه ويقول بقولي ويقر بخلق القرآن الساعة والا فدمي حلال

وذكر عبد العزيز أنه طلب من بشر أن يناظره على وجه النظر والقياس ويدع مطالبته بنص التنزيل الى أن قال فقال عبد العزيز يا بشر تسألني أم أسألك فقال بشر

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢/٢٢٢

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢/٢٤٥

". (١)

"

انه لم يزل الخالق يخلق ولم يزل الفاعل يفعل ليلزمني ما قلت وفي نسخة اخرى وانما قلت انه لم يزل الفاعل سيفعل ولم يزل الخالق سيخلق لأن الفعل صفة الله والله يقدر عليه ولا يمنعه منه مانع قال بشر انا اقول انه احدث الاشياء بقدرته فقل ما شئت فقال عبد العزيز فقلت يا امير المؤمنين قد اقر بشر ان الله كان ولا شيء وانه احدث الاشياء بعد ان لم تكن شيئا بقدرته وقلت انا انه احدثها بامره وقوله عن قدرته فلم يخل يا امير المؤمنين ان يكون اول خلق خلقه الله خلق بقول قاله او بإرادة ارادها او بقدرة قدرها فبأي ذلك كان فقد ثبت ان ههنا ارادة ومريدا ومرادا وقولا وقائلا ومقولا له وقدرة قادرا ومقدورا عليه وذلك كله متقدم قبل الخلق وما كان قبل الخلق متقدما فليس هو من الخلق في شيء فقد كسرت قول بشر بالكتاب والسنة واللغة **العربية** والنظر والمعقول ثم ذكر حجة اخرى

والمقصود هنا أن عبد العزيز احتج بتقسيم حاصر معقول فإن الله

". (٢)

"وهذا قول من وافقهم من القرامطة الباطنية ونحوهم ممن يتظاهر بالإسلام ويبطن مذهب الصابئة والمجوس ونحو ذلك وهو قول طوائف من ملاحدة الصوفية كأصحاب وحدة الوجود ونحوهم الذين أخذوا دين الصابئة والفراعنة والدهرية فأخرجوه في قالب المكاشفات والولاية والتحقيق

والذين قالوا ليس هو مخلوق ظن فريق منهم أنه لا يقابل المخلوق إلا القديم اللازم للذات الذي ثبوته بدون مشيئة الرب وقدرته كثبوت الذات فقالوا ذلك

ثم طائفة رأت أن الحروف والأصوات يمتنع أن تكون كذلك فقالت كلامه هو مجرد معنى واحد هو الأمر والنهي والخبر وأنه إن عبر عن ذلك المعنى بالعبرية كان توراة وان عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا وان عبر عنه **بالعربية** كان قرآنا فلزمهم أن تكون معاني القرآن هي معاني التوراة والإنجيل وان يكون الأمر هو النهي وهو الخبر وان تكون هذه صفات له لا أنواعا له ونحو ذلك مما يعلم فساده بصريح العقل

وطائفة قالت بل هو حروف وأصوات قديمة أزلية لا تتعلق بمشيئته وقدرته كما قال الذين من قبلهم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢/٢٤٦

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢/٢٥١

واتفق الفريقان على أن تكليم الله لملائكته وتكليمه موسى وتكليمه لعباده يوم القيامة ومناداته لمن ناداه ونحو ذلك إنما هو خلق إدراك في

." (١)

والقائلون بوحدة الوجود حقيقة قولهم هو قول ملاحدة الدهرية الطبيعية الذين يقولون ما ثم موجود إلا هذا العالم المشهود وهو واجب بنفسه وهو القول الذي اظهره فرعون لكن هؤلاء ينازعون اولئك في الاسم فأولئك يسمون هذا الموجود بأسماء الله وهؤلاء لا يسمونه بأسماء الله وأولئك يحسبون ان الإله الذي اخبرت عنه الرسل هو هذا الموجود وأولئك لا يقولون هذا وأولئك لهم توجه إلى الوجود المطلق وأولئك ليس لهم توجه اليه

وفساد قول هؤلاء يعرف بوجوه منها العلم بما يشاهد حدوثه كالمطر

"يتناهى من غير حجة أصلا ولا يفرق بين النوعين ويرتب على ذلك جميع اصول الدين ثم من هؤلاء المصنفين من يدخل مع اهل وحدة الوجود المدعين للتحقيق والعرفان ويعتقد صحة قصيدة ابن الفارض لكونه قرأها على القونوى واعان على شرحها لمن شرحها من اخوانه وهم مع هذا يدعون انهم اعظم العالم توحيدا وتحقيقا ومعرفة

فلينتظر العاقل ما هو الرب الذي اثبته هؤلاء وما هو الطريق لهم إلى اثباته وتناقصهم فيه فان القائلين بوحدة الوجود يقولون بقدم العالم تصريحا او لزوما وذلك مستلزم للتسلسل ودليله الذي اثبت به واجب الوجود وعمدته فيه نفي كل ما يسمى تسلسلا

وتارة يشككون في نفس الوجود الواجب ويقدرون أن يكون كل موجود ممكنا بنفسه لا فاعل له وأن مجموع الوجود ليس فيه واجب بنفسه بل هذا معلول مفعول وهذا معلول مفعول وليس في الوجود إلا ما

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٠٥/٢

هو معلول مفعول فلا يكون في الوجود ما هو فاعل مستغن عن غيره فتارة يجعلون كل موجود واجبا بنفسه وتارة يجعلون كل موجود ممكنا بنفسه

ومعلوم بضرورة العقل بطلان كل من القسمين وأن من الموجودات ما هو حادث كان تارة موجودا وتارة معدوما وهذا لا يكون واجبا بنفسه وهذا لا بد له من موجود واجب بنفسه

ومن غلطهم في مسمى واجب الوجود أنهم لم يعرفوا ما هو الذي قام عليه الدليل والذي قام عليه الدليل أنه لا بد من واجب بنفسه لا يحتاج إلى شيء مباين له فلا يكون وجوده مستفادا من أمر مباين له بل وجوده بنفسه وكون وجوده بنفسه لا ينفي أن يكون موجودا بنفسه وأن يكون ما دخل في مسمى نفسه من صفاته لازما له فالدليل دل على أنه لا بد للممكنات من أمر خارج عنها يكون

"

وذلك ان هذا الامدى لم يقرر في كتبه لا التوحيد ولا حدوث العالم ولا إثبات واجب الوجود بل ذكر في التوحيد طرقا زيفها وذكر طريقة زعم انه ابتكرها وهي اضعف من غيرها

وكذلك الاصبهاني اجتمع بالشيخ إبراهيم الجعبري يوما فقال له بت البارحة أفكر إلى الصباح في دليل على التوحيد سالم عن المعارض فما وجدته

وكذلك حدثني من قرا على ابن واصل الحموي انه قال ابيت بالليل واستلقى على ظهري واضع الملحفه على وجهي وابيت

"

وهذا القول وإن كان قد تابعه عليه الصالحي والأشعري في كثير من كتبه وأكثر أصحابه فهو من أفسد الأقوال وأبعدها عن الصحة كما قد بيناه في غير هذا الموضع لما بينا الكلام في مسمى الإيمان وقبوله للزيادة والنقصان وما للناس في ذلك من النزاع

وأما المقدمة الثانية فلو كان كمال النفس في مجرد العلم فليس هو أي علم كان بأي معلوم كان بل هو العلم الذي لا بد منه العلم بالله وهؤلاء ظنوا أنه العلم بالوجود بما هو موجود وظنوا أن العالم أبدي أزلي فإذا حصل له العلم بالوجود الازلي الابدي كملت نفسه

وعلى هذا بنى أبو يعقوب السجستاني وغيره من شيوخ الفلسفة والباطنية أقوالهم وكذلك امثالهم من الفلاسفة كالفارابي وغيره وابن سينا وان كان أقرب إلى الإسلام منهم ففيه من الالحاد بحسبه وابو حامد وان سلك احيانا مسلكهم لكنه لا يجعل العلم بمجرد الوجود موجبا للسعادة بل يجعل ذلك في العلم بالله وقد يقول في بعض كتبه انه العلم بالأمور الباقية وهذا كلامهم

"الاسم الآخر كما يقولون في السيف صارم ومهند وأبيض وبتار ومن ذلك أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم وأسماء القرآن قال النبي صلى الله عليه وسلم

لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب وقال

أنا الضحوك القتال أنا نبي الرحمة أنا نبي الملحمة

ومن أسمائه المزمل والمدثر والرسول والنبي

ومن أسماء القرآن الفرقان والتنزيل والكتاب والهدى والنور والشفاء والبيان وغير ذلك

ولما كانت حاجة النفوس إلى معرفة ربها أعظم الحاجات كانت طرق معرفتهم له أعظم من طرق معرفة سواه وكان ذكرهم لأسمائه أعظم من ذكرهم لأسماء ما سواه وله سبحانه في كل لغة أسماء وله في اللغة العربية أسماء كثيرة

". (١)

"لم يكن بالاتفاق فإنه إذا كان الحادث موجودا صح أن يقال الرب تعالى موجود مع وجوده وتنعدم هذه المعية عند فرض عدم ذلك الحادث فيتجدد له صفة سلب بعد أن لم تكن

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣/٣٣١

قلت قد ذكر أن لفظ الحادث مرادهم به الموجود بعد العدم سواء كان قائما بنفسه كالجوهر او صفة لغيره كالأعراض وسمى ما ليس بموجود كالاحوال والسلوب والإضافات متجددات وهذا الفرق أمر اصطلاحي وإلا فلا فرق بين معنى المتجدد ومعنى الحادث

وأيضا فإن الاحوال عند القائلين بها منهم من يقول بوجودها وقالوا يصح أن تكون معلومة تبعا لغيرها وأن يكون وجودها تبعا لغيرها

وخالفوا أبا هاشم في قوله ليست معلومة ولا مجهولة ولا موجودة ولا معدومة

وأيضا فالنسب والإضافات عند الفلاسفة قد تكون وجودية وأما المذاهب فيقال لفظ الحوادث والمتجددات في لغة **العرب** يتناول أشياء كثيرة وربما أفهم أو أوهم في العرف

". (١)

"ذاهبة من المشرق إلى المغرب إنها متغيرة بل يقولون إذا إصفر لون الشمس إنها تغيرت ويقال وقت العصر ما لم يتغير لون الشمس [ويقولون تغير الهواء إذا برد بعد السخونة ولا يكادون يسمون مجرد هبوبة تغيرا وإن سمى بذلك فهم يفرقون بين هذا وهذا] ويقال قد أمر أهل الذمة بلباس الغيار أي اللباس الذى يخالف [لونه] لون لباس المسلمين وتقول **العرب** تغايرت الأشياء إذا اختلفت والغيار البدال

قال الشاعر ٪ فلا تحسبنى لكم كافرا ٪ ولا تحسبنى أريد الغيارا

ويقولون ٪ نزل القوم يغيرون أى يصلحون الرحال

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى بأبى قحافة ورأسه ولحيته كالثغامة فقال غيروا الشيب وجنبوه السواد أى غيروا لونه ألى لون آخر أحمر أو أصفر وتقول **العرب** غيرت الشيء فتغير غيرا

". (٢)

"

وهذا لا يعرف في لغة **العرب** أن الافول بمعنى التحرك والانتقال ولا بمعنى التغير الذى هو استحالة من صفة إلى صفة دع ما هو من باب التصرف الذى لا تستحيل فيه الصفات

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤/٢٢

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤/٧٣

وإبراهيم إنما قال ﴿ لا أحب الآفلين ﴾ [سورة الأنعام ٧٦] ردا لمن كان يتخذ كوكبا يعبده من دون الله كما يفعله أهل دعوة الكواكب كما كان قومه يفعلون ذلك لا ردا على من قال إن الكوكب هو رب العالمين فإن هذا لم يقله احد لكن قومه كانوا مشركين ولو كان إبراهيم مقصوده نفى كون الكوكب رب العالمين واحتج على ذلك بالأفول لكانت حجة عليهم لأنه لما رأى الكوكب والقمر والشمس بازغة كانت متحركة من حين بزوغها إلى حين غروبها وهو في تلك الحال لا ينفى عنها المحبة كما نفاها حين غابت

فعلم بذلك أن ما ذكر من التغير والحركة والانتقال لم يناف مقصود إبراهيم عليه السلام وإنما نافاه التغيب والاحتجاب فإن كان مقصوده نفى كونه رب العالمين كان ذلك حجة عليهم لا لهم وكانوا قد حكوا عن إبراهيم أنه لم يجعل التغير والحركة والانتقال مانعة من كون الموصوف بذلك رب العالمين فما ذكروه لوصح كان حجة عليهم لا لهم

". (١)

"مبنية على الإجماع لو كان البناء حقا فكيف إذا كان باطلا

الوجه الثاني أن يقال هذا الإجماع لم ينقل بهذا اللفظ عن السلف والأئمة لكن لعلمنا بعظمة الله فى قلوبهم نعلم أنهم كانوا ينزهونه عن النقائص والعيوب

وهذا كلام مجمل فكل من رأى شيئا عيبا أو نقصا نزه الله عنه بلا ريب وإن كان من هؤلاء الجهمية الاتحادية من يقول إنه موصوف بكل النقائص والعيوب كما هو موصوف عنده بكل المدائح إذ لا موجود عنده إلا هو فله جميع النعوت محمودها ومذمومها

وهذا القائل يدعى أن هذا غاية الكمال المطلق كما قال ابن عربى وغيره العلى لذاته هو الذى يكون له الكمال المطلق الذى يتضمن جميع الأمور الوجودية والنسب العدمية سواء كانت محمودة عقلا وشرعا وعرفا أو مذمومة عقلا وشرعا وعرفا وليس ذلك إلا لمسمى الله خاصة

". (٢)

"

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٧٧/٤

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٨٦/٤

وقدقال بالأول طوائف من أهل الحديث والفقه والكلام من أصحاب مالك والشافعى وأحمد وغيرهم وإذا كان هذا من موارد النزاع فإذا قال مثل هذا القائل نحن نعلم استحالة اجتماع الحروف كما نعلم استحالة اجتماع الضدين كالسواد والبياض

قيل له فالذى تنصرهم أنت من الكلابية والأشعرية قالوا بأن المعانى التى هى معانى الحروف المنظمة هى معنى واحد فى نفسه والأمر والنهى والخبر صفات لموصوف واحد فالذى هو الأمر هو الخبر والذى هو الخبر هو النهى وقالوا إن ذلك الواحد إن عبر عنه **بالعربية** كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا

ولا ريب أن جمهور العقلاء من الأولين والآخرين القائلين بأن القرآن غير مخلوق والقائلين بأنه مخلوق يقولون إن فساد هذا القول معلوم بالضرورة من عدة أوجه

منها كون الأمر هو عين الخبر

ومنها كون الخبر عن الخالق بمثل آية الكرسى هو الخبر عن المخلوق بمثل تبت يدا أبى لهب

". (١)

"

ومنها كون معانى التوراة إذا **عربت** تكون معانى القرآن إلى أمثال ذلك

ولهذا لم يقل هذا القول من طوائف المسلمين ولا غير المسلمين إلا ابن كلاب ومن اتبعه

وهذا القول يتضمن أن تكون المعانى المتنوعة معنى واحدا ولو قال إن المعانى التى للحروف يمكن اجتماعها فى زمن واحد كان أقرب إلى المعقول من كونها معنى واحدا

ولو قال قائل إن الحروف المجتمعة هى حرف واحد فى الحقيقة وإنما الحروف المتفرقة صفات للحرف لا أقسام له كان هذا شبيها بقول من يقول إن تلك المعانى المتنوعة معنى واحد

وذلك أنه من المعلوم بالاضطرار أن الحروف المنتظمة مطابقة لمعانيها المدلول عليها بها تحدث بحدوثها فى نفس المتكلم

وإذا قال القائل إن الحروف متضادة يمتنع اجتماع اثنين [منها] فى محل واحد أمكن أن يقال إن المعانى متضادة يمتنع اجتماع اثنين فى محل واحد

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤/١١٢

فإن غاية ما يقال إن محل المعانى واحد بخلاف محل الحروف

". (١)

"

قال وعلى هذا فمن قال إنه جوهر بمعنى أنه موجود لا في موضوع والموضوع هو المحل المقوم ذاته المقوم لما يحل فيه كما قاله الفلاسفة أو أنه الجوهر بمعنى أنه قائم بنفسه غير مفتقر في وجوده إلى أحكام الجواهر فقد وافق في المعنى وأخطأ في الإطلاق من حيث أنه لم ينقل عن **العرب** إطلاق الجوهر بإزاء القائم بنفسه ولا ورد فيه إذن من الشرع

فيقال إذا كان قول القائل إنه جوهر لا كالجواهر وجسم لا كالأجسام موافقا لقولك في المعنى وإنما النزاع بينك وبينهم في اللفظ قامت حجته عليك لفظا ومعنى أما اللفظ فمن وجهين احدهما أنه كما أن الشارع لم يأذن في إثبات هذه الألفاظ له فلم يأذن في نفيها عنه وأنت إذا لم تسمه سخيا لعدم إذن الشرع فليس لك أن تقول ليس بسخي لعدم إذن الشرع ف هذا النفي بل إذا لم يطلق إلا ما أذن فيه الشرع لا يطلق لا هذا ولا هذا

". (٢)

"ثم أنت تسميه قديما وواجب الوجود وذاتا ونحو ذلك مما لم يرد به الشرع والشارع يفرق بين ما يدعى به من الأسماء لإثبات معنى يستحقه نفاه عنه ناف لما يستحقه من الصفات كما أنه من نازعك في قدمه أو وجوب وجود وجوده قلت مخبرا عنه بما يستحقه إنه قديم وواجب الوجود فإن كان النزاع مع من يقول هو جوهر و جسم في اللفظ فعذرهم في الإطلاق أن النافي نفى ما يستحقه الرب من الصفات في ضمن نفي هذا الاسم فأثبتنا له ما يستحقه من الصفات بإثبات مسمى هذا الاسم كما فعلت أنت وغيرك ف اسم قديم و ذات و وواجب الوجود ونحو ذلك

الثاني أنك احتججت على نفي ذاك بأن **العرب** لم ينقل عنها إطلاق الجوهر بإزاء القائم بنفسه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١١٣/٤

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١٣٩/٤

فيقال لك ولم ينقل عنها إطلاقة بإزاء كل متحيز حامل للأعراض ولا نقل عنها إطلاق لفظ ذات بإزاء نفسه وإنما لفظ الذات عندهم تأنيث ذو فلا تستعمل إلا مضافة كقوله تعالى ﴿ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ﴾ [سورة الأنفال ١] وقوله ﴿ إنه عليم بذات الصدور ﴾ [سورة الأنفال ٤٣] وقول النبي

". (١)

"صلى الله عليه وسلم لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات كلهن في ذات الله وقول خبيب ٪ وذلك في ذات الإله وإن يشأ ٪ ٪ يبارك على أوصال شلو ممزع ٪

وأمثال ذلك أي في جهة الله أي الله تعالى ولهذا أنكر ابن برهان وغيره على المتكلمين إطلاق لفظ ذات الله

وإذا كان كذلك فأنت أطلقت لفظ الذات على ما لم تطلقه العرب بغير إذن من الشرع ولو قال لك قائل إن الله ليس بذات نازعته فهكذا يقول منازعك في اسم الجوهر والجسم إذا كان موافقا لك على معناهما

وأيضا فإن لفظ الجوهر والجسم قد صار في اصطلاحكم جميعا اعم مما استعملت فيه العرب فإن العرب لا تسمي كل متحيز

". (٢)

"جوهرا ولا تسمي كل مشار إليه جسما فلا تسمي الهواء جسما

وفي اصطلاحكم سميتم هذا جسما كما سميتم في اصطلاحكم باسم الذات كل موصوف أو كل قائم بنفسه أو كل شيء فلستم متوقفين في الاستعمال لا على حد اللغة العربية ولا على إذن الشارع لا في النفي ولا في الإثبات

فإن لم يكن لك حجة على منازعك إلا هذا كان خاصما لك وكان حكمه فيما تنازعتما فيه كحكمكما فيم اتفقتما عليه أو انفردت به دونه من هذا الباب

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤/١٤٠

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤/١٤١

وأيضا فحكايتك عن الفلاسفة أنهم يسمونه جوهرا والجوهر عندهم الموجود لا في موضوع إنما قاله ابن سينا ومن تبعه

وأما آرسطو وأتباعه وغيرهم من الفلاسفة فيمونه جوهرا فالوجود كله ينقسم عندهم إلى جوهر وعرض والمبدأ الأول داخل عندهم في مقولة الجوهر

والأظهر أن النصارى إنما اخذوا تسميته جوهرا عن الفلاسفة فإنهم ركبوا قولا من دين المسيح ودين المشركين الصابئين

وأما النزاع المعنوي فيقال قول القائل إنه جوهر كالجواهر أو جسم كالأجسام لفظ مجمل فإنه قد يراد به أنه مماثل لكل جوهر وكل

." (١)

"

وحقيقة قولهم فيه مضاهاة لقول الدهرية الطبيعية الذين لا يقرون بواجب أبدع الممكن وهو قول فرعون ولهذا كانوا معظمين لفرعون ثم إنهم جعلوا أهل النار يتنعمون فيها كما يتنعم أهل الجنة في الجنة فكفروا بحقيقة اليوم الآخر ثم ادعوا أن الولاية أفضل من النبوة وأن خاتم الأولياء وهو شئ لا حقيقة له زعموا أنه أفضل من خاتم الأنبياء بل ومن جميع الأنبياء وأنهم كلهم يستفيدون من مشكاته العلم بالله الذي حقيقته عندهم أن وجود المخلوق هو وجود الخالق

وكان قولهم كما يقال لمن قال فخر عليهم السقف من تحتهم لا عقل ولا قرآن فإن المتأخر يستفيد من المتقدم دون العكس والأنبياء أفضل من غيرهم فخالفوا الحس والعقل مع كفرهم بالشرع

وآخر تحقيقهم استحلال المحرمات وترك الواجبات كما كان يفعل أبرع محققيهم التلمساني وأمثاله

هذا وشيوخ التصوف المشهورون من أبرأ الناس من هذا المذهب وأبعدهم عنه وأعظمهم نكيرا عليه وعلى أهله وللشيوخ المشهورين بالخير كالفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني والجنيد بن محمد

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٤٢/٤

"الشرع والملة الآتية على لسان نبي من الأنبياء يرام بها خطاب الجمهور كافة ثم من المعلوم الواضح أن التحقيق الذي ينبغي أن يرجع إليه في صحة التوحيد من الإقرار بالصانع موحدا مقدسا عن الكم والكيف والأين ومتى والوضع والتغير حتى يصير الاعتقاد به أنه ذات واحدة لا يمكن أن يكون لها شريك في النوع أو يكون لها جزء وجودي كمى أو معنوي ولا يمكن أن تكون خارجة عن العالم ولا داخلة فيه ولا حيث تصح الإشارة إليه أنه هنا أو هناك ممتنع إلقاؤه إلى الجمهور ولو ألقى هذا على هذه الصورة إلى **العرب** العاربة أو العبرانيين الأجلاف لتسارعوا إلى العناد واتفقوا على أن الإيمان المدعو إليه إيمان بمعدوم أصلا ولهذا ورد ما في التوراة تشبيها كله ثم إنه لم يرد في الفرقان من الإشارة إلى

". (١)

"هذا الأمر الأهم شيء ولا إلى صريح ما يحتاج إليه في التوحيد بيان مفصل بل إلى بعضه على سبيل التشبيه في الظاهر وبعضه جاء تنزيها مطلقا عاما جدا لا تخصيص ولا تفسير له وأما الأخبار التشبيهية فأكثر من أن تحصى ولكن لقوم أن لا يقبلوه فإذا كان الأمر في التوحيد هذا فكيف فيما هو بعده من الأمور الاعتقادية ولبعض الناس أن يقولوا إن **للعرب** توسعا في الكلام ومجازا وأن الألفاظ التشبيهية مثل اليد والوجه والإتيان في ظلل من الغمام والمجيء والذهاب والضحك والحياء والغضب صحيحة ولكن نحو الاستعمال وجهة العبارة يدل على استعمالها مستعارة مجازا

قال ويدل على استعمالها غير مجازية ولا مستعارة بل

". (٢)

"محققة أن المواضع التي يوردونها حجة في أن **العرب** تستعمل هذه المعاني بالاستعارة والمجاز على غير معانيها الظاهرة مواضع في مثلها يصلح أن تستعمل على غير هذا الوجه ولا يقع فيها تلبيس ولا تدليس وأما قوله ﴿ في ظلل من الغمام ﴾ وقوله ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك ﴾ على القسمة المذكورة وما جرى مجراه فليس تذهب الأوهام فيه ألبتة إلى أن العبارة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١١/٥

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١٢/٥

مستعارة أو مجازية فإن كان أريد فيها ذلك إضمارا فقد رضي بوقوع الغلط والشبهة والاعتقاد المعوج بالإيمان بظاهرها تصريحا وأما قوله ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ وقوله ﴿ ما فرطت في جنب الله ﴾

(١) ".

"فهو موضع الاستعارة والمجاز والتوسع في الكلام ولا يشك في ذلك اثنان من فصحاء **العرب** ولا يلتبس على ذي معرفة في لغتهم كما يلتبس في تلك الأمثلة فإن هذه الأمثلة لا يقع شبهة في أنها مستعارة مجازية كذلك في تلك لا يقع شبهة في أنها ليست استعارية ولا مرادا فيها شيء غير الظاهر ثم هب أن هذه كلها موجودة على الاستعارة فأين التوحيد والعبارة المشيرة بالتصريح إلى التوحيد المحض الذي تدعو إليه حقيقة هذا الدين [القيم] المعترف بجلالته على لسان حكماء العالم قاطبة

وقد قال في ضمن كلامه إن الشريعة الجائية على لسان نبينا

(٢) ".

"فيه بالإشارة والإيماء بل التصريح المستقصى فيه والمنبه عليه والموفى حق البيان والإيضاح والتفهيم والتعريف على معانيه فإن المبرزين المنفقين أيامهم ولياليهم وساعات عمرهم على تمرين أذهانهم وتذكية أفهامهم وترشيح نفوسهم لسرعة الوقوف على المعاني الغامضة يحتاجون في تفهم هذه المعاني إلى فضل إيضاح وشرح عبارة فكيف غتم العبرانيين وأهل الوبر من **العرب** ولعمري لو كلف الله رسولا من الرسل أن يلقي حقائق هذه الأمور إلى الجمهور من العامة الغليظة طباعهم المتعلقة بالمحسوسات الصرفة أوهامهم ثم سامه أن يتنجز منهم الإيمان والإجابة غير ممهل فيه ثم سامه أن يتولى رياضة نفوس الناس قاطبة حتى تستعد للوقوف عليها لكلفه شططا وأن يفعل ما ليس في قوة البشر اللهم إلا أن تدركهم خاصة إلهية وقوة علوية وإلهام سماوي فتكون

(٣) ".

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٣/٥

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١٤/٥

(٣) درء تعارض العقل والنقل، ١٦/٥

"حينئذ وساطة الرسول مستغنى عنها وتبليغه غير محتاج إليه ثم هبك الكتاب العزيز جائيا على لغة العرب وعادة لسانهم في الاستعارة والمجاز فما قولهم في الكتاب العبراني وكله من أوله إلى آخره تشبيه صرف وليس لقائل أن يقول إن ذلك الكتاب محرف كله وأنى يحرف كلية كتاب منتشر في أمم لا يطاق تعديدهم وبلادهم متنائية وأوهامهم متباينة منهم يهود ونصارى وهم أمتان متعاديتان فظاهر من هذا كله أن الشرائع واردة بخطاب الجمهور بما يفهمون مقربا ما لا يفهمون إلى أوهامهم بالتمثيل والتشبيه ولو كان غير ذلك لما أغنت الشرائع ألبتة

قال فكيف يكون ظاهر الشرائع حجة في هذا الباب يعني أمر المعاد ولو فرضنا الأمور الأخروية روحانية غير مجسمة

". (١)

"شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كما زعموا أن محمد بن إسماعيل بن جعفر نسخ شريعته

وصار كل من هؤلاء يدعي النبوة والرسالة أو يريد أن يفصح بذلك لولا السيف كما فعل السهروردي المقتول فإنه كان يقول لا أموت حتى يقال لي قم فأنذر وكان ابن سبعين يقول لقد زرب ابن آمنة حيث قال لا نبي بعدي ويقال إنه كان يتحرى غار حراء لينزل عليه فيه الوحي

"فيه بالإشارة والإيماء بل بالتصريح المستقصى فيه والموفى حق البيان والإيضاح والتفهيم والتعريف

فهذا كله حجة على إخوانه نفاة الصفات الجهمية وأما أهل الإثبات فيقولون إنه قد صرح بالتوحيد الحق التصريح المستقصى فيه الموفى حق البيان والإيضاح والتفهيم والتعريف وهذه نصوص القرآن والأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين وغيرهم من السلف فيها من البيان للإثبات ما لا يحصيه إلا رب السموات

وقوله فإن المبرزين المنفقين أيامهم لسرعة الوقوف على المعاني الغامضة يحتاجون في تفهم هذه المعاني إلى فضل إيضاح وشرح وعبارة فكيف غتم العبرانيين وأهل الوبر من العرب

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٧/٥

فهذا الكلام حجة له على إخوانه الجهمية من المعتزلة وأتباعهم نفاة الصفات الذين يقولون إن التوحيد الحق هو قول أهل السلب نفاة الصفات الذين يقولون إن التوحيد الحق هو قول أهل السلب نفاة الصفات الذين يقولون إن التوحيد الحق هو قول السلب نفاة الصفات ولا ريب أن فهم قولهم فيه غموض ودقة لأنه قول متناقض فاسد أعظم تناقضا من قول النصارى كما قد بين في

(١) ".

"عظيمة وأفكار عميقة وأنواع من العبادات والزهادات والرياضيات ومفارقة الشهوات والعادات ثم آخر أمرهم الشك بالرحمن وعبادة الطاغوت والشيطان وعمل الذهب المغشوش والفساد في الأرض والقليل منهم من ينال بعض غرضه الذي لا يزيده من الله إلا بعدا وغالبهم محروم مأثوم يتمنى الكفر والفسوق والعصيان وهو لا يحصل إلا على نقل الأكاذيب وتمنى الطغيان سماعون للكذب أكالون للسحت عليهم ذلة المفترين كما قال تعالى ﴿ إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين ﴾

ولهذا تجد أهل هذه الأباطيل الصعبة الشديدة في الغالب إما ملحدا من أهل النفي والتكذيب وإما جاهلا قد أضلوه ببعض شبهاتهم

وأما قوله فكيف غتم العبرانيين وأهل الوبر من **العرب** فيقال له نحن لا ننكر أن في العبرانيين **والعرب** من يكون ذهنه مقصرا عن بعض دقيق العلم لكن إذا وازنت من كان مع محمد صلى الله عليه وسلم من **العرب** الخاصة والعامة ومن كان مع موسى عليه الصلاة والسلام أيضا بمن فرضته من الأمم وجدتهم أكمل منهم في كل

(٢) ".

"**والعرباء** وعوام التتر المشركين الذين كان علماؤهم المشركون السحرة من البخشية والطوينية وأمثالهم وكان خيار علمائهم رؤوس الملاحدة مثل النصير الطوسي وأمثاله وكذلك عوام أتباع سنان رأس الملاحدة

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٥/٦٠

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٥/٦٣

وأمثاله فاعتبر عوام هؤلاء مع عوام اليهود والنصارى تجد عوام اليهود والنصارى أقل فسادا في الدنيا والدين من أولئك وتجد أولئك أفسد عقلا ودينا

وأما متوسطوكم كالمنجمين والمعزمين وأمثالهم ففيهم من الجهل [والضلال] والكذب والمحال مالا يحصيه إلا ذو الجلال وهل كان

". (١)

"جهل فإن ذا القرنين قديم متقدم على هذا بكثير وكان مسلما موحدا حنيفا وقد قيل إن اسمه الإسكندر بن دارا وأما اليوناني فهو ابن فيلبس الذي يؤرخ الروم به وكان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة أو ما يقارب ذلك

وهذا الكلام وأمثاله إنما قيل للمقابلة لما في كلام هؤلاء من الاستخفاف بأتباع الأنبياء وأما أئمة العرب وغيرهم من أتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كفضلاء الصحابة مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وأبي الدرداء وعبد الله بن عباس ومن لا يحصى عدده إلا الله تعالى فهل سمع في الأولين والآخرين بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بقوم كانوا أتم عقولا وأكمل أذهانا وأصح معرفة وأحسن علما من هؤلاء

فهم كما قال فيهم عبد الله بن مسعود من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم

وما طمع أهل الإلحاد في هؤلاء إلا بجهل أهل البدع كالرافضة والمتكلمين [من] المعتزلة ونحوهم

". (٢)

"بالنسبة إليها لكن هل رأى في أجناس الأمم أمة أذكى من العرب

واعتبر ذلك باللسان العام وما فيه من تفصيل المعاني والتمييز بين دقيقها وجليلها بالألفاظ الخاصة الناصة [على] الحقيقة ويليه في الكمال اللسان العبراني فأين هذا من لسان أصحابك الطماطم الذين

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٥/٦٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٥/٦٩

يسردون ألفاظا طويلة والمعنى خفيف ولولا أن مثلك وأمثالك ممن شملته بعض سعادة المسلمين **والعرب** فصار فيكم بعض كمال الإنسان في العقل واللسان **فعربتم** تلك الكتب وهذبتموها وقربتموها إلى العقول وإلا لكان فيها من التطويل والهذيان ما يشح بمثله على الزمان وهي كما قال فيها أبو حامد الغزالي هي بين علوم صادقة لا منفعة فيها ونعوذ بالله من علم لا ينفع وبين ظنون كاذبة لا ثقة بها وإن بعض الظن إثم فإن ما يقوم عليه الدليل من الرياضي ونحوه كثير التعب قليل الفائدة لحم جمل غث على رأس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقى وما لم يقم عليه الدليل فظنون وأباطيل

ثم يقال له هب أن ما ذكرته من غتم العبرانيين **والعرب** أهل الوبر لا يمكنهم معرفة الدقيق فهل يمكنك أن تقول ذلك في أذكياء

". (١)

"**العرب** والعبرانيين وكل أحد يعلم أن عقول الصحابة والتابعين وتابعيهم أكمل عقول الناس

واعتبر ذلك بأتباعهم فإن كنت تشك في ذكاء مثل مالك والأوزاعي والليث بن سعد وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن وزفر بن الهذيل والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم وأبي عبيد وإبراهيم الحربي وعبد الملك بن حبيب الأندلسي والبخاري ومسلم وأبي دواد وعثمان بن سعيد الدارمي بل ومثل أبي العباس بن سريج وأبي جعفر الطحاوي وأبي القاسم الخرقي وإسماعيل بن إسحاق القاضي وغيرهم من أمثالهم فإن شككت في ذلك فأنت مفرط في الجهل أو مكابر فانظر خضوع هؤلاء للصحابة وتعظيمهم لعقلهم وعملهم حتى أنه لا يجترئ الواحد منهم أن يخالف لواحد من الصحابة [إلا] أن يكون قد خالفه صاحب آخر

". (٢)

"

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأله رجل عن تفسير آية فقال ما يؤمنك أني لو أخبرتك بها لكفرت بها وكفرك بها تكذيبك بها فتبين أنه ليس كل أحد يليق بمعرفة جميع العلوم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٧١/٥

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٧٢/٥

ولهذا قال تعالى ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ﴾ إلى قوله ﴿ يضرب الله الأمثال ﴾ فإن هذا مثل ضربه الله فشبه فيه ما ينزله من السماء من العلم والإيمان بالمطر وشبه القلوب بالأودية والأودية منها صغار وكبار فكل واد يسيل بقدره

فهذا ونحوه حق ولكن حقائق الأمور التي يدعيها هؤلاء الملاحدة هي في الحقيقة نفي وتعطيل تنكرها القلوب العارفة الذكية أعظم مما تنكرها قلوب العامة وكلما قوى عقل الرجل وعلمه زاد معرفة بفسادها ولهذا لا يستجيب لهم الرجل إلا بقدر نقص عقله ودينه

وقوله هبك الكتاب العزيز جاء على لغة **العرب** في الاستعارة والمجاز فما قولهم في الكتاب العبراني وهو من أوله إلى آخره تشبيه صرف إلى آخر كلامه

فيقال هذا من أعظم حجج أهل الإثبات على نفاة الصفات

(١) ".

"﴿ كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾ فقد قرن الله تعالى بين الكتابين **العربي** والعبري في غير موضع

ومن المعلوم أن موسى كان قبل محمد صلوات الله عليهما وسلامه ولم يأخذ عنه شيئا وكل من عرف حال محمد صلى الله عليه وسلم يعلم أنه لم يأخذ عن أهل الكتاب شيئا فإذا أخبر هذا بمثل ما أخبر به هذا عن مرسل واحد من غير تواطؤ ولا تشاعر فيما يمتنع في العادة التوافق فيه من غير تواطؤ كان هذا مما يدل على صدق كل من الرسولين في أصل الرسالة وعلى صدق خبر كل من الرسولين فيما أخبر به من صفات ربه إذ كان كل منهما أخبر بمثل ما أخبر به الآخر وهب أن بعض ألفاظ أحد الكتابين قد يحرفها المحرف فالكتاب الآخر المصدق له يبطل ذلك التحريف ويبين أن المقصود واحد

وما ذكره من امتناع التحريف على كلية الكتاب العبري حق كما قال ويبين ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بين من تحريف أهل الكتاب ما شاء الله وذمهم على ما وصفوا الله تعالى به من النقائص كقولهم إن الله فقير وإن الله بخيل وإنه تعب لما خلق

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٧٦/٥

". (١)

"السموات والأرض فاستراح فقال تعالى ﴿ وما مسنا من لغوب ﴾

فلو كان ما في التوراة من إثبات الصفات مما بدلوه وافتروه لكان إنكار هذا من أعظم الواجبات ولكان الرسول يعيبهم بما ينكره النفاة من التشبيه والتجسيم وأمثال هذه العبارات فلما كان الرسول **العربي** مقررا لما في التوراة من الصفات ومخبرا بمثل ما في التوراة كان ذلك من أعظم دليل على أن ما في التوراة من الصفات التي أخبر بها الرسول **العربي** أيضا ليس مما كذبه أهل الكتاب

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود أن حبرا من اليهود لما أخبر النبي صلى اله عليه وسلم أن الله يوم القيامة يمسك السماوات على أصبع والأرضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن ثم يقول أنا الملك أنا الملك ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا وتصديقا لقول الحبر ثم قرأ فوله تعالى ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ﴾

وهذا الحديث رواه من هو من أعلم الصحابة وأعظمهم اختصاصا

". (٢)

"عضو مما ذكرته أو تركته كالحال في الإنسان نفسه

قلت يقال له قولك قد يغلب على أوهام الناس أن الموجود هو المحسوس إما أن تريد أن الموجود هو ما أحسه الشخص المعين أو ما يمكن إحساسه في الدنيا أو ما يمكن الإحساس به ولو بعد الموت فأما الأول فلا يقوله عاقل فإنه ما من عاقل إلا ويعلم إما بخبر غيره وإما بنظره وقياسه ما لم يعلمه بحسه ومن حكى عن البراهمة أو غيرهم من الأمم أنهم حصروا الموجودات في المحسوسات بمعنى أنه ما لم يحسه الشخص المعين لا يصدق به وأنه لا يصدق بالأخبار المتواترة وغيرها فلم يفهم مرادهم فإن أمة من الأمم لها بلاد يعيشون فيها لابد أن يميز الرجل بين أمه وأبيه وأن يعرف من حوادث بلده وسير ملوكهم وعاداتهم ما لا يعرفه إلا بالخبر وهذا نظير حكاية من حكى أن أمة من الأمم يقال لهم السوفسطائية ينسبون إلى رجل يقال له سوفسطا يجحدون الحقائق أو علمهم بجميع الحقائق أو يقفون أو يجعلون الحقائق

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٧٨/٥

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٧٩/٥

مطلقا تابعة للعقائد فإن هذا لا يتصور أن تكون عليه أمة من الأمم لهم بقاء في الدنيا وإنما السفسطة كلمة معربة أصلها سوفسقيا وهي كلمة يونانية أي حكمة مموهة بالسفسطة [أي] الكلام الباطل المشبه للحق وهذا يعرض لكثير من الناس أو لأكثرهم في كثير من الأمور لا في جميعها فإنه كما تعرض الأمراض

". (١)

"والنجم فمن عارض آيات الله المنزلة برأيه وعقله من غير سلطان أتاه دخل في معنى هذه الآية

وهذا مما يبين أنه لا يجوز معارضة كتاب الله إلا بكتاب الله لا يجوز معارضته بغير ذلك

وكتاب الله نوعان خبر وأمر كما تقدم أما الخبر فلا يجوز أن يتناقض ولكن قد يفسر أحد الخبرين الآخر ويبين معناه وأما الأمر فيدخله النسخ ولا ينسخ ما أنزل الله إلا بما أنزله الله فمن أراد أن ينسخ شرع الله الذي أنزله برأيه وهواه كان ملحدا وكذلك من دفع خبر الله برأيه ونظره كان ملحدا

والقرامطة جمعوا هذا وهذا وزعموا أن محمد بن إسماعيل هو السابع الذي نسخ دين محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك تعرض لدعوى النبوة غير واحد من الملاحدة

وهؤلاء الملاحدة نوعان نوع يزعم أنه نزل عليه كما يدعي ذلك من يدعيه من ملاحدة أهل النسك والتصوف

ثم من هؤلاء من يقول إن الله أنزل عليه ذلك ومنهم من يقول ألقي إلي أوحي إلي ولا يسمي الموحي

"

وقد يقال إن مثل هذا لا يقال إلا توقيفا لكن لا بد من الفرق بين ما ثبت من ألفاظ الرسول وما ثبت من كلام غيره سواء كان من المقبول أو المردود

ولهذا وغيره تكلم رزق الله التميمي وغيره من أصحاب أحمد في تصنيف القاضي أبي يعلى لهذا الكتاب بكلام غليظ وشنع عليه أعداؤه بأشياء هو منها بريء كما ذكر هو ذلك في آخر الكتاب

وما نقله عنه أبو بكر بن العربي في العواصم كذب عليه عن مجهول لم يذكره أبو بكر وهو من الكذب عليه مع أن هؤلاء وإن كانوا نقلوا عنه ما هو كذب عليه ففي كلامه ما هو مردود نقلا وتوجيها وفي

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٥/١٣٠

كلامه من التناقض من جنس ما يوجد في كلام الأشعري والقاضي أبي بكر الباقلاني وأبي المعالي وأمثالهم ممن يوافق النفاة على نفيهم ويشارك أهل الإثبات على وجه يقول الجمهور إنه جمع بين النقيضين

ويقال إن أبا جعفر السمناني شيخ أبي الوليد الباجي قاضي

". (١)

" الوجه الثامن والثلاثون

أن يقال إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم ما بين للناس أصول إيمانهم ولا عرفهم علما يهتدون به في أعظم أمور الدين وأجل مقاصد الدعوة النبوية وأجل ما خلق الخلق له وأفضل ما أدركه الخلق وحصلوه وانتهوا إليه بل إنما بين لهم الأمور العملية فإذا كان كذلك فمن الملعوم أن من علمهم وبين لهم أشرف القسمين وأعظم النوعين كان ما أتاهم به أفضل مما أتاهم به من لم يبين إلا القسم المفضول والنوع المرجوح

ثم من هو أمثل هؤلاء كأئمة الجهمية مثل الجهم بن صفوان والجعد بن درهم وأبي الهذيل العلاف وأبي إسحاق النظام

"وبشر المريسي وثمامة بن أشرس وأمثال هؤلاء فيكون ما أتى به هؤلاء من العلم والهدى والمعرفة أفضل وأشرف مما أتى به موسى بن عمران ومحمد بن عبد الله سيد ولد آدم وأمثالهما من الرسل صلوات الله عليهم وسلامه لأن هؤلاء عند النفاة الجهمية لم يبينوا افضل العلم وأشرف المعرفة وإنما بينها أولئك على قول النفاة

وابن سبعين يقول إنه بين العلم الذي رمز إليه هرامس الدهور الاولية ورامت إفادته الهداية النبوية فعلى قوله إن الأنبياء راموا إفادته وما أفادوه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٥/٢٣٨

وطائفة من المتفلسفة يقولون إن الفيلسوف أفضل من النبي وأكمل منه وهكذا ملاحدة الشيعة من الإسماعيلية ونحوهم يقولون إن أئمتهم كمحمد بن إسماعيل بن جعفر ونحوه أفضل من موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين

ثم إن هذا كثر في طوائف من جهال البربر والأكراد والفرس **والعرب** يعتقدون في شيخهم أنه أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم ومن شيوخ هؤلاء من يكون منافقا زنديقا

ومن قال في أئمة الإسماعيلية وأمثالهم من الشيوخ المنافقين والفاسقين إنه أفضل من الرسل فإن هؤلاء شر من النصارى فإن النصارى يزعمون أن الحواريين وأمثالهم أفضل من إبراهيم الخليل وموسى وداود وغيرهم من الأنبياء والحواريون كانوا مؤمنين فإذا كان من قال هذا من النصارى من أجهل الناس وأكفرهم فمن فضل ملحدا من الملاحدة على أنبياء الله ورسله كان كفره أعظم من كفر النصارى من هذا الوجه

" (١).

"فإذا كان الحق هو قول النفاة ولم يتكلموا إلا بما يدل على نقيضه كانوا مع أنهم لم يهدوا الخلق ويعلموهم الحق عند النفاة قد لبسوا عليهم ودلسوا بل أضلوهم وجهلوهم وأخرجوهم إلى الجهل المركب وظلمات بعضها فوق بعض إما من علم كانوا عليه وإما من جهل بسيط أو حيروهم وشككوهم وجعلوهم مذبذبين لا يعرفون الحق من الباطل ولا الهدى من الضلال إذ كان ما تكلموا به عارضوا به طرق العلم العقلية والكشفية

"

ومعلوم أنه كان من أفصح الناس وأحسنهم بيانا واللغة التي خاطب بها أتم اللغات وأكملها بيانا وقد امتن الله عليهم بذلك كما في قوله تعالى ﴿ الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا **عربيا** لعلكم تعقلون ﴾

وقال تعالى ﴿ إنا جعلناه قرآنا **عربيا** لعلكم تعقلون ﴾

وقال تعالى ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٥/٣٦١

وقال تعالى ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ على قلبك لتكون من المنذرين ﴿ بلسان عربي مبين ﴾
وقال تعالى ﴿ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ وأمثال ذلك
فإذا كان المخاطب أعلم الخلق بما يخبر به عنه ويصفه ويخبر به وأحرص الخلق على تفهيم المخاطبين وتعريفهم وتعليمهم وهداهم وأقدر الخلق على البيان والتعريف لما يقصده ويريده كان من الممتنع بالضرورة أن لا يكون كلامه مبينا للعلم والهدى والحق فيما خاطب به وأخبر عنه وبينه ووصفه بل وجب أن يكون كلامه أحق الكلام بأن يكون دالا على العلم والحق والهدى وأن يكون ما ناقض كلامه من الكلام أحق الكلام بأن يكون جهلا وكذبا وباطلا

(١) ".

"لأنه لو كان فوق العرش لم يكن أحدا بناء على أن ما فوق العرش يكون جسما والجسم منقسم فلا يكون أحدا والأجسام متماثلة فيكون له كفو ونظير

وقد بين فساد مثل هذة الأدلة السمعية بوجوه كثيرة في غير هذا الموضع وبينا أن اسم الواحد والأحد لا يقع في لغة العرب إلا على نقيض مطلوبهم كقوله تعالى ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ سورة التوبة ٦ وقوله ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا ﴾ سورة المدثر ١١ وقوله ﴿ وإن كانت واحدة فلها النصف ﴾ سورة النساء ١١ وقوله ﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب ﴾ سورة البقرة ٢٦٦ وقوله ﴿ فابعثوا أحدكم بورقكم ﴾ سورة الكهف ١٩ إلى قوله ﴿ ولا يشعرن بكم أحدا ﴾ سورة الكهف ١٩ وقوله ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت ﴾ سورة البقرة ١٨٥ وقوله ﴿ شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت ﴾ سورة المائدة ١٠٦ وقوله ﴿ يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ﴾ سورة البقرة ٩٦ وقوله ﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾ سورة الإخلاص ٤ وقوله

(٢) ".

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٧٣/٥

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٦/٦

"﴿ قل إني لن يجيرني من الله أحد ﴾ سورة الجن ٢٢ وقوله ﴿ ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ سورة الكهف ١١٠ وأمثال ذلك كثير وأن لفظ المثل والمساوى منتفيان في لغة **العرب** عما ادعوا هم تماثلهما وتساويهما

كقوله تعالى ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ سورة محمد ٣٨ فقد نفى التماثل عن صنفين من بني آدم فنفى التماثل عن الحيوان والإنسان والفلك والتراب أولى

فعلم أنه ليس في لغة **العرب** أن يكون كل ما كان متحيزا مماثلا لكل ما هو متحيز متحيز وإن ادعى بعض المتكلمين تماثل ذلك عقلا فالمقصود أن هذا ليس مثلا في اللغة

والقرآن نزل بلغة **العرب** فلا يجوز حمله على اصطلاح حادث ليس من لغتهم لو كان معناه صحيحا فكيف إذا كان باطلا في العقل

وقوله تعالى ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير ﴾ سورة فاطر ١٩ ﴿ وما يستوي الأحياء ولا الأموات ﴾ سورة فاطر ٢٢ وقوله ﴿ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ﴾ سورة الحشر ٢٠

(١) ".

"وكذلك لفظ التخيل لا يريدون تخيل ما لا وجود له في الخارج بل هذا وهذا يتناول عندهم توهم ما له وجود في الخارج وتخيل ما له وجود في الخارج وهو إدراك صحيح صادق مطابق

وذلك لأن لفظ الوهم والخيال كثيرا ما يطلق على تصور ما لا حقيقة له في الخارج بل هذا المعنى هو المعروف من لغة **العرب**

قال الجوهري وهمت في الحساب أوهم وهما إذا غلطت فيه وسهوت ووهمت في الشيء بالفتح أوهم وهما إذا ذهب همك إليه وأنت تريد غيره وتوهمت أي ظننت وأوهمت غيري إيهاما والتوهم مثله واتهمت فلانا بكذا والاسم التهمة بالتحريك ويقال أوهم في الحساب مائة أي أسقط وأوهم في صلاته ركعة ويقال قد أيهم إذا صار به الريبة

قلت فهذا أبو نصر الجوهري قد نقل في صحاحه المشهور في لغة **العرب** أن مادة هذا اللفظ تستعمل في جهة الغلط بمعنى الخطأ

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٧/٦

". (١)

"تارة وتستعمل بمعنى الطن تارة ولم ينقل أنها تستعمل بمعنى اليقين وهم يستعملونها في تصور يقيني وهو تصور المعاني التي ليست بمحسوسة ولا ريب في ثبوتها كعداوة الذئب للنعجة وصداقة الكبش لها وهو في لغة **العرب** يقال في هذه المعاني تصورتها وعملتها وتحققتها وتيقنتها وتبينتها ونحو ذلك من الألفاظ الدالة على العلم ولا يقال توهمتها إلا إذا لم تكن معلمه فاصطلاحهم مضاد للمعروف في لغة **العرب** بل وفي سائر اللغات

وإذا كان كذلك فالإدراك الصحيح الذي يسمونه هم توهما وتخيلا هو نوع من التصور والشعور والمعرفة

يوضح ذلك أنهم قالوا في إثبات القوة الوهمية كما قال ابن سينا الحيوانات ناطقها وغير ناطقها تدرك في المحسوسات الجزئية معاني جزئية غير محسوسة ولا متأدية من طريق الحواس مثل إدراك الشاة معنى في الذئب غير محسوس وإدراك الكبش معنى في النعجة غير محسوس إدراكا جزئيا يحكم به كما يحكم الحس بما يشاهده فعندك قوة هذا شأنها وعند كثير من الحيوانات العجم قوة تحفظ هذه المعاني بعد حكم الحاكم بها غير الحافظ للصورة

". (٢)

"

وقال تعالى ﴿ وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ﴾ سورة البقرة ١٦٤ إلى غير ذلك من نصوص الكتاب والسنة

وكلام السلف والأئمة المذكور في غير هذا الموضع ولهذا نص أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما أن العقل غريزة في الإنسان

ولكن من قال بالقول الأول من نفاة الأسباب والقوى الذين سلكوا مسلك الأشعري في نفي ذلك قالوا إن العقل إنما هو نوع من العلوم الضرورية كما قال ذلك القاضي أبو بكر بن الطيب والقاضي أبو يعلى والقاضي أبو بكر بن **العربي** وغيرهم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤٣/٦

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤٤/٦

والمقصود أن هذا التصور لمعان في الأعيان المشهودة كتصور أن هذا يوافقني ويواليني وينفعني وفيه ما أحبه وهذا يخالفني ويعاديني ويضرني وفيه ما أبغضه أمر متفق عليه بين العقلاء سواء قبل بتعدد القوى أو اتحادها أو عدمها وسواء قيل المدرك هو النفس أو البدن

." (١)

"

وذلك أنه عظم من يعبد الحق لذاته وعبادة الحق تعالى لذاته أصل عظيم وهو أصل الملة الحنيفية وأساس دعوة الأنبياء لكن هذا حاصل فيما جاءت به الرسل لا في طريق أصحابه فإن أصحابه لا يعبدون الله بل ولا يحبونه أصلا بل ولا يطيعونه وإنما العبادات عندهم رياضة للنفوس لتصل إلى علمهم الذي يدعون أنه كمال النفس والكمال عندهم في التشبيه به لا في أن يكون محبوبا مرادا

ولهذا لم يتكلم أحد منهم في مقامات العارفين بمثل هذا الكلام الذي تكلم به ابن سينا وهو أراد أن يجمع بين طريقهم وطريق العارفين أهل التصوف فأخذ ألفاظا مجملة إذ فسر مراد كل واحد منها تبين أن القوم من أبعد الناس عن محبة الله وعبادته وأنهم أبعد عن ذلك من اليهود والنصارى بكثير كثير

وأيضا فإنه استحقر ما وعد الناس به في الآخرة من أنواع النعيم وطلب تزهيد الناس فيما رغبهم الله فيه وهو مضادة للأنبياء وهو في الحقيقة منكر لوجود ذلك كما هو في الحقيقة منكر لوجود محبة الله ومعرفته والنظر إليه وإنما الذي أثبته من ذلك خيال كما أن الذي أثبته من لذة المعرفة إنما هو مجرد كونه عالما معقولا موازيا للعالم

"جهة أو لا يختص أو لا تحصره أو نحو ذلك من العبارات المجملة التي يراد بها أنه ليس فوق فيحتاج حينئذ أن يصرف فطرته علما وإرادة عما فطر عليه

فما ذكره في مقامات العارفين موافق لما فطر الله عليه عباده أجمعين بخلاف ما ذكره هناك فإنه مخالف للفطرة كما تقدم

الثامن أن الشرائع الإلهية جاءت بما يوافق الفطرة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٦/ ٥٠

التاسع أنه قد اتفق على ذلك سلف الأمة

العاشر أنه دلت على ذلك الدلائل العقلية اليقينية

الحادي عشر أن موجب ما ذكروه أن لا يكون الرب معبودا إلا يتعلق المعنى الذي سموه الوهم به وأن من نفى تعلق الوهم بمعنى في الرب فقد أبطل كون الرب محبوبا معبودا فمن قال بعد ذلك إنه لا يقبل في الإلهيات هذه القضايا الوهمية فقد نفى كون الرب مستحقا لأن يعبد وأن يحب وهذا حقيقة قولهم ولهذا كان حقيقة قولهم تعطيل الرب عن أن يكون موجودا وأن يكون مقصودا وأن يكون معبودا

"ذكره عبد العزيز بن يحيى المكي المشهور صاحب الحيدة وهو من القدماء الذين لقوا الشافعي ومن هو أقدم من الشافعي وهو من مشاهير متكلمي أهل السنة الذين اتفقت الأشعرية مع سائر الطوائف المثبتة على تعظيمه واتباعه

قال في الرد على الزنادقة والجهمية زعمت الجهمية في قوله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ سورة طه ٥ إنما المعنى استولى كقول **العرب** استوى فلان على مصر استوى فلان عل الشام يريد استولى عليها

قال فيقال له هل يكون خلق من خلق الله أتت عليه مدة ليس الله بمستول عليه فإذا قال لا قيل له فمن زعم ذلك فمن قوله من زعم ذلك فهو كافر يقال له يلزمك أن تقول إن العرش قد أتت عليه مدة ليس الله بمستول عليه وذلك أن الله تبارك وتعالى أخبر أنه خلق العرش قبل خلق السموات والأرض ثم استوى عليه بعد خلق السموات والأرض

". (١)

"على المؤمنين أن يصدقوا ربهم باستوائه على العرش وحرم عليهم أن يصفوا كيف استوى لأنه لم يخبرهم كيف ذلك ولم تره العيون في الدنيا فتصفه بما رأت وحرم عليهم أن يقولوا عليه من حيث لا يعلمون فآمنوا بخبره عن الاستواء ثم ردوا علم كيف استوى إلى الله ولكن يلزمك أيها الجهمي أن تقول إن الله محدود وقد حوته الأماكن إذ زعمت في دعواك أنه في الأماكن لأنه لا يعقل شيء في مكان إلا والمكان

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٦/١١٥

قد حواه كما تقول العرب فلان في البيت والماء في الجب فالبيت قد حوى فلانا والجب قد حوى الماء ويلزمك أشنع من ذلك لأنك قلت أفظع مما قالت به النصارى وذلك أنهم قالوا إن الله عز وجل في عيسى وعيسى بدن إنسان واحد فكفروا بذلك وقيل لهم ما أعظم الله إذ جعلتموه في بطن مريم وأنتم تقولون إنه في كل مكان وفي بطون النساء كلهن وبدن عيسى وأبدان الناس كلهم ويلزمك أيضا أن تقول إنه في أجواف الكلاب والخنازير لأنها أماكن وعندك أن الله في كل مكان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فلما شنعت مقالته قال أقول إن الله في كل مكان لا كالشيء في الشيء ولا كالشيء على الشيء ولا كالشيء خارجا عن الشيء ولا مباينا للشيء قال فيقال له أصل قولك القياس والمعقول فقد دللت بالقياس والمعقول على أنك لا تعبد شيئا لأنه لو كان شيئا داخلا فمن القياس والمعقول أن يكون داخلا في الشيء أو

". (١)

"منه ويقولون النصارى إنما كفروا لأنهم خصصوا كما يقول ذلك الاتحادية أصحاب صاحب الفصوص وأمثاله وهم كثيرون في الجهمية

بل عامة عباد الجهمية وفقهائهم وعامة الذين ينتسبون إلى التحقيق من الجهمية هم من هؤلاء كابن الفارض وابن سبعين والقونوي والتلمساني وأمثالهم

فاحتج موافقوهم على نفي المباينة كالرازي وأمثاله بما ذكروه من قولهم الحلول إنما يعقل إذا كان الحال مفتقرا إلى المحل فإما أن يكون الحلول جائزا أو واجبا فإن كان جائزا انتفى افتقاره إلى المحل فلزم الجمع بين النقيضين أن يكون مفتقرا إلى المحل غير مفتقر إليه لكون حلوله جائزا لا واجبا وإن كان الحلول واجبا لم يكن الحال واجبا بنفسه بل بغيره

"حل في المسيح وحده فمن قال بالحلول في جميع الموجودات أعظم كفرا من النصارى بكثير

وهم لا يمكنهم أن يردوا على من قال بالحلول إن لم يقولوا بقول أهل الإثبات القائلين بمباينته للعالم فيلزمهم أحد الأمرين إما الحلول وإما التعطيل والتعطيل شر من الحلول ولا يمكنهم إبطال قول أهل الحلول مع قولهم بالنفي الذي هو شر منه وإنما يمكن ذلك لأهل الإثبات

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٦/١١٨

وهم وإن قالوا إن مذهب النصارى والحلولية أخس من أن يلتفت إليه فلا يقدرون على إبطاله مع قولهم بالتجهم ولهذا لم يكن فيما ذكروه حجة على إبطاله فيلزمهم إما إمكان تصحيح قول النصارى والحلولية وإما أبطال قولهم وهذا لا حيلة فيه لمن تدبر ذلك

"والنفس والمادة والصورة مع اتفاقهم على أن الأجسام المحسوسة مركبة من المادة والصورة وهما جوهران عقليان كما يقولون إن الأعيان المعينة المحسوسة فيها كليات طبيعية عقلية هي أجزاء منها

فإذا كان هؤلاء يثبتون في الجواهر المحسوسة ومعها جواهر عقلية لا ينالها الحسن بحال ويجعلون هذا حالا وهذا محلا لم يمكنهم مع ذلك أن ينكروا كون الوجود الواجب هو حالا أو محلا لهذه المحسوسات

وهذا هو الذي انتهى إليه محققوهم كابن سبعين وأمثاله فإنهم جعلوا الوجود الواجب مع الممكن كالمادة مع الصورة وكالصورة مع المادة أو ما يشبه ذلك يجعلون الوجود الواجب جزءا من الممكن كما أن المطلق جزء من المعين حتى أن ابن رشد الحفيد وأمثاله يجعلون الوجود الواجب كالشرط في وجود الممكنات الذي لا يتم وجود الممكنات إلا به مع أن الشرط قد يكون وجوده مشروطا بوجود المشروط فيكون كل منهما شرطا في وجود الآخر

"كلا لقد أجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمه بما فيه وأنه أصوب الأقاويل والأمر الذي يجب الإيمان لقائله ومن أجله شهد لها بالإيمان حين قالته فكيف يكون الحق في خلاف ذلك والكتاب ناطق به وشاهد له

قال ولو لم يشهد لصحة مذهب الجماعة في هذا الفن خاصة إلا ما ذكرنا من هذه الأمور لكان فيه ما يكفي كيف وقد غرس في بنية الفطرة ومعارف الآدميين من ذلك ما لا شيء أبين منه ولا أوكد لأنك لا تسأل أحدا من الناس عنه **عربيا** ولا عجميا ولا مؤمنا ولا كافرا فتقول أين ربك إلا قال في السماء إن أفصح أو أوما بيده أو أشار بطرفه إن كان لا يفصح لا يشير إلى غير ذلك من أرض ولا سهل ولا جبل ولا رأينا أحدا داعيا له إلا رافعا يديه إلى السماء ولا وجدنا أحدا غير الجهمية يسأل عن ربه فيقول في كل مكان

كما يقولون وهم يدعون أنهم أفضل الناس كلهم فتاهت العقول وسقطت الأخبار واهتدى جهم وحده وخمسون رجلا معه نعوذ بالله من مضلات الفتن

فقد ذكر ابن كلاب في هذا الكلام أن العلم بأن الله فوق فطرى مفروز في فطر العباد اتفق عليه عامتهم وخاصتهم وأنه لم يخالف الجماعة في ذلك إلا نفر قليل يدعون أنهم أفضل الناس جهم ونفر قليل معه وبين أيضا ابن كلاب أن قول الجهمية هو نظير قول الدهرية وهو كما قال فإن منتهى كلام الجهمية إلى أنه لا موجود إلا العالم

قال يقال للجمهية أليست الدهرية كفارا ملحدين في قولهم

". (١)

"المعتزلة طريقة الأعراض والحوادث وأما في مسألة النفس فهو موافق لهم على قولهم لاعتقاده صحة طريقهم

وابن رشد يذم أبا حامد من الوجه الذي يمدحه به علماء المسلمين ويعظمونه عليه ويمدحه من الوجه الذي يذمه به علماء المسلمين وإن كانوا قد يقولون إنه رجع عن ذلك لأن أبا حامد يخالف الفلاسفة تارة ويوافقهم أخرى فعلماء المسلمين يذمونه بما وافقهم فيه من الأقوال المخالفة للحق الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم الموافقة لصحيح المنقول وصريح المعقول كما وقع من الإنكار عليه أشياء في كلام رفيقه أبي الحسن المرغيناني وأبي نصر القشيري وأبي بكر الطرشوشي وأبي بكر بن العربي وأبي

". (٢)

"

والمتفلسفة الذين يوافقون ما ذكره من أقوالهم يذمونه لما اعتصم به من دين الإسلام ووافقه من الكتاب والسنة كما يفعل ذلك ابن رشد الحفيد هذا وابن الطفيل صاحب رسالة حي بن يقظان وابن سبعين وابن هود وأمثالهم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٦/١٩٤

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٦/٢٣٩

وأما عوام هؤلاء فيعظمون الألفاظ الهائلة مثل لفظ الملك والملكوت والجبروت وأمثال ذلك مما يجدونه في كلام هؤلاء وهم لا يدرون هل أراد المتكلم بذلك ما أراده الله ورسوله أم أراد بذلك ما أراده الملاحدة كابن سينا وأمثاله

"ما من طائفة من طوائف الضلال وإن كثرت إلا وهي مجتمعة على جحد بعض العلوم الضرورية

الوجه الثالث أن يقال ما من طائفة من طوائف الكلام والفلسفة إلا وجمهور الناس يقولون إنهم حجدوا العلوم الضرورية

فالقائلون بأن الممكن قد يترجح أحد طرفيه بلا مرجح من القادر أو غيره يقول جمهور العقلاء إنهم حجدوا العلوم الضرورية

والقائلون بأن الأجسام لا تبقى والأعراض لا تبقى يقول جمهور الناس إنهم جحدوا العلوم الضرورية

والقائلون بأن الأصوات المتعاقبة تكون قديمة أزلية الأعيان باقية وأن الأصوات المسموعة من الآدميين هي قديمة يقول جمهور العقلاء إنهم خالفوا العلم الضروري

والقائلون بأن الكلام هو معنى واحد هو الأمر بكل ما أمر به والخبر عن كل ما أخبر به وأنه إن عبر عنه **بالعربية** كان هو القرآن وإن عبر عنه بالعبرية كان هو التوراة يقول جمهور العقلاء إنهم حجدوا العلم الضروري

والقائلون بأن العالم هو العلم والمعلوم والعاقل هو العقل والمعقول والعاشق هو العشق والمعشوق واللذة هي الملتذ والعلم هو القدرة والقدرة هي الإرادة يقول جمهور العقلاء إنهم خالفوا العلوم الضرورية

". (١)

"يكون له من الخبرة بكلام السلف والأئمة في هذا الباب ما كان لأئمة السنة وإن كان يعرف متون الصحيحين وغيرهما

وهذه حال أبي محمد بن حزم وأبي الوليد الباجي والقاضي أبي بكر بن **العربي** وأمثالهم

ومن هذا النوع بشر المريسي ومحمد بن شجاع الثلجي وأمثالهما

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٦/٢٦٨

ونوع ثالث سمعوا الأحاديث والآثار وعظموا مذهب السلف وشاركوا المتكلمين الجهمية في بعض أصولهم الباقية ولم يكن لهم من الخبرة بالقرآن والحديث والآثار ما لأئمة السنة والحديث لا من جهة المعرفة والتمييز بين صحيحها وضعيفها ولا من جهة الفهم لمعانيها وقد ظنوا صحة بعض الأصول العقلية للنفاة الجهمية ورأوا ما بينهما من التعارض

وهذا حال أبي بكر بن فورك والقاضي أبي يعلى وابن عقيل وأمثالهم

". (١)

"مشروعة ولا ريب أن عقل من آمن بالله والرسول كان خيرا من عقل من سلك هذه الطريق من أهل الكلام

وأما عقول الكفار فلا ريب وإن كانت عقول جنس المؤمنين خيرا من عقولهم لكن قد يكون عند الكافر من العقل والتمييز ما يمنعه أن يقول ما يقوله كثير من أهل البدع ألا ترى أن أكاذيب الرافضة لا يرضاها أكثر العقلاء من الكفار فكذلك عقول المشركين الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن تقبل أن ترد رسالته بمثل هذا الكلام الذي فيه من الدقة والغموض ما لا يفهمه أكثر الناس ومن فهمه من العقلاء علم أنه من باب الهذيان والبهتان

يبين لك كل ذلك أن **العرب** مع شركها كانت مقرة بأن الله رب كل شيء وخالقه ومليكه مقرة بالقدر وكانت عقولهم من هذا الوجه خيرا من عقل من جعل كثيرا من المحدثات لم يخلقه الله ولا قدره ولا أراده وكانت **العرب** أيضا تقر بأن الله فاعل مختار ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فكانت عقولهم خيرا من عقول الدهرية الفلاسفة الذين يقولون بأن العالم صدر عن علة تامة موجبة له كما يقوله الدهرية الإلهيون

ولا ريب أن من أنكر الصانع وقال بأن العالم واجب بذاته فعقله أفسد من عقل هؤلاء **والعرب** لم تكن تقول بهذا اللهم إلا أن يكون في تضاعيفهم آحاد تقوله ولكن لم يكن هذا القول ظاهرا فيهم بل الظاهر فيهم الإقرار بالخالق وعلمه وقدرته ومشيئته

وهذه الشبه شبه الجهمية هي في الأصل نشأت من ملاحدة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٤/٧

". (١)

"الأمم المنكرين للصانع وهؤلاء أجهل الطوائف وأقلهم عقلا فلهذا لم تكن العرب تعارض بمثل هذه الشبه وإنما ذكر الله تعالى نظير قول الجهمية عن مثل فرعون وأمثاله من المعطلة كالذي حاج إبراهيم في ربه

ولا ريب أن المعطلة شر من المشركين والعرب وإن كانوا مشركين لم يكن الظاهر فيهم التعطيل للصانع وإن كان قد يكون في أضعافهم من هو في المرتابين في الصانع أو الجاحدين له كما في تضاعيف كل أمة حتى في المصلين من هو من هؤلاء إذ المنافقون لم يزالوا في الأمة ولن يزالوا على اختلاف أصنافهم

وإذا عرف أن المقصود بيان فساد قول من يزعم أنه لا يمكن تصديق الرسول إلا بالطريق الجهمية المناقضة لإثبات ما أخبر به من صفات الله وكلامه وأفعاله حصل المقصود

وأما من قال إن هذه المعقولات تعارض المفهوم الظاهر من الآيات والأحاديث من غير أن يقول إن العلم بصدق الرسول موقوف عليها كما يقوله من يعتقد صحة هذه الطريق طريقة الاستدلال على الصانع بحدوث الأعراض وتركيب الأجسام وإن قال إنه يمكن تصديق الرسول بدونها كما يقوله الأشعري نفسه وكثير من أصحابه والرازي وأمثاله وكثير من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية ويوجد شيء من هذا في كلام المحاسبي وأبي حاتم البستي والخطابي وأبي الحسن التميمي والقاضي أبي يعلى وابن عقيل وابن الزاغوني وغير هؤلاء فإن هؤلاء وجمهور المسلمين يقولون إنه

". (٢)

"

قلنا نعم وجد بعد أن ظهرت مقالة الجهمية في المسلمين وحديث الملاحدة من القرامطة الباطنية الذين أخذوا شر قول الجهمية وشر قول الرافضة وركبوا منهما قولا ثالثا شرا منهما ونحن لم نقل إنه لم يقدح أحد في الأنبياء والمرسلين ولا كذبهم ولا عارضهم في نفس ما دعوا إليه من التوحيد والنبوة والمعاد وعارضوهم بعقولهم ولم يعارضوهم معارضة صحيحة بل كان ما عارضوا به فاسدا في العقل

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٧٢/٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٧٣/٧

فهؤلاء الذين حدثوا من المعارضين هم أسوأ حالا من أولئك المعارضين فإن القرامطة الباطنية شر من عباد الأصنام من **العرب** وشر من اليهود والنصارى فمجادلة هؤلاء وأمثالهم بالباطل ليس بعجيب فما زال في الأرض من يجادل بالباطل ليدحض به الحق ولكن قلنا إذا كان الظاهر المفهوم مما خبروا به مخالفا لصريح العقل امتنع في العادة أن لا يعارض أولئك الأعداء به ولا يستشكله الأصدقاء مع طول الزمان وتفرق الأمة فإذا كان العدو يعارض بالمعقول الفاسد فكيف لا يعارض بالمعقول الصريح وإذا كان الولي يستشكل ما لا إشكال فيه لخطأه هو نفسه فكيف لا يستشكل ما هو مشكل يخالف ظاهره بل نصه للحق المعلوم بصريح العقل

فقلنا عدم وجود هذه المعارضات مع توفر الهمم والدواعي على وجودها لو كانت حقا دليل على أنها باطل كما أن عدم نقل ما تتوفر الهمم والدواعي على نقله لو كان موجودا دليل على أنه كذب بخلاف وجود الطعن والمعارضة فإنه ليس دليلا على صحة ما

". (١)

"النقيض فناقضوا العقل والسمع من هذا الوجه وصاروا يعادون من قال بموجب العقل الصريح أو بموجب النقل الصحيح وهم وإن كان لهم من نصر بعض الإسلام أقوال صحيحة فهم فيما خالفوا به السنة سلطوا عليهم وعلى المسلمين أعداء الإسلام فلا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا

فإن قيل إنما لم يعارض سلف المؤمنين والكفار المتقدمون لهذه النصوص لأنهم كانوا قوما **عربا** فصحاء يفهمون ما أريد بها ولم يكونوا يفهمون منها إثبات أن ذاته نفسه فوق العرش ولا ما يشبه ذلك من الأمور المستلزمة للتجسيم فلما لم يفهموا منها ما فهمه المتأخرون من هذا الإثبات لم يكن المفهوم منها عندهم معارضا لشيء من الأدلة العقلية وأما المتأخرون فلما صاروا يستدلون بها على الإثبات المستلزم للتجسيم صار من يريد أن يرد عليهم يعارضهم بالأدلة العقلية النافية

فهذا خلاصة ما يمكن أن يقوله من يعظم الرسول والسلف من النفاة

فيقال هذا باطل من وجوه متعددة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨٢/٧

أحدها أن يقال فعلى هذا التقدير لا يكون المفهوم الظاهر من هذه النصوص إثبات العلو على العالم والصفات ولا يجوز أن يقال ظواهر هذه النصوص غير مراد ولا أنه قد تعارضت الدلائل النقلية والعقلية فإنه إذا قدر أنها لا تدل على الإثبات لا دلالة قطعية ولا ظاهرة بطل أن يكون في ظاهرها ما يفهم منه الإثبات

". (١)

"عال جسما والثاني كون الأجسام متماثلة والثالث كون هذا التماثل هو المراد بالمثل في لغة العرب التي نزل بها القرآن

ومنشأ الغلط من الاشتباه والاشتراك والإجمال في لفظ الجسم ولفظ المثل

فيقال الجسم في لغة العرب هو البدن وهو عندكم مما يمكن الإشارة إليه فالهواء والماء والنار ونحو ذلك ليس هو جسما في لغة العرب وهو في اصطلاحكم جسم

وإذا كان الجسم في لغة العرب أخص منه في عرفكم وقد علم بصريح العقل أن الذهب ليس مثل الفضة ولا الخبز مثل التراب ولا الدم كالذهب فما يسمى في لغة العرب جسدا وجسما ونحو ذلك هو مما يعلم أنه ليس متماثلا بصريح العقل والحس فكيف بما هو أعم من ذلك مثل كونه يشار إليه أو كونه يقبل الأبعاد الثلاثة الطول والعرض والعمق مع أن هذه الألفاظ ليس مرادهم بها ما هو معناها في اللغة المعروفة فإن هؤلاء عندهم الحبة الواحدة كالعدسة والسمسمة بل الذرة التي قال الله فيها ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة ﴾ سورة النساء ٤٠ هي في اصطلاحهم طويلة عريضة عميقة

ومن المعلوم بالاضطرار من لغة العرب أنهم يقولون عن نوع الإنسان هذا طويل وهذا قصير وكذلك أعضاء الإنسان كيده

". (٢)

"ورجله وعنقه يقولون هذا طويل وهذا قصير ويقولون هذا عريض وهذا دقيق ورقيق لعنقه ويده

وأما العميق عندهم فيقال في مثل الآبار ونحوها لا يقولون لفم الإنسان إنه عميق ولا لأذنه وعينه ونحو ذلك فكيف بالعدسة والسمسمة والذرة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٠٧/٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١١٢/٧

فإذا قالوا عن الشيء إنه طويل عريض عميق لم يقصدوا بذلك المعروف في اللغة وما يعقله الناس من معنى الطول والعرض والعمق بل يقصدون هذا المعنى العام الذي وضعوا له لفظ الطول والعرض والعمق ثم يقولون مع هذا إن كل ما وصف بهذه المعاني العامة فإنه يجب أن يكون متماثلا مستويا في الحد والحقيقة لا يختلف إلا باختلاف أعراضه

فهذا القول من أبعد الأقوال عن المعقول الذي يعرفه الناس بحسهم وعقلهم ثم بتقدير أن يكون كذلك فلا يتمارى عاقلان أن لفظ المثل في لغة **العرب** وسائر الأمم ليس المراد به هذا وأنه إذا قيل إن كذا مثل كذا أو ليس مثله وهذا ليس له مثل فإنه ليس المفهوم من المثل كون هذا بحيث يشار إليه وكون هذا بحيث يشار إليه أو كون كل منهما له قدر أو له طول وعرض وعمق لا بالمعنى اللغوي ولا بما هو أقرب إليه فضلا عن اصطلاحهم

ونحن نعلم بالضرورة من لغة **العرب** أنهم لا يقولون الجبل مثل النار ولا الهواء مثل الماء ولا الجمل مثل البقر ولا الشمس والقمر مثل الذهب والفضة مع اشتراكهما في كثير من الصفات الزائدة على

". (١)

"مطلق المقدار بل قد نفى في القرآن كون الشيء مثل غيره مع كون كل منهما جسما بل حيوانا بل إنسانا

كما في قوله ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ سورة محمد ٣٨

وقال تعالى ﴿ أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون ﴾ سورة الواقعة ٥٨ ٦١

وهذا في لغة **العرب** لقول شاعرهم

٪ ليس كمثل الفتى زهير ٪ خلق يوازيه في الفضائل ٪

وقال الآخر

٪ ما إن كمثلهم في الناس واحد ٪

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١١٣/٧

فكيف يجوز مع هذا أن يستدل بقوله ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ أو قوله ﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾ على أنه لا صفة له أو لا يرى في الآخرة أو ليس فوق العرش بناء على تلك المقدمات وهو أنه لو كان كذلك لكان جسما والأجسام متماثلة والله قد نفى المثل

ومن عجيب ما يحتجون به أنهم يقولون لو كان متصفا بذلك لكان جسما ولو كان جسما لكان منقسما والمنقسم ليس بواحد والله قد أخبر أنه واحد مع أنه لا يوجد في لغة **العرب** بل ولا غيرهم

". (١)

"

وقوله ﴿ ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا ﴾ سورة يوسف ٣٦

إلى قوله ﴿ أما أحدكما فيسقي ربه خمرا ﴾ سورة يوسف ٤١

وقوله ﴿ قالت إحداهما يا أبت استأجره ﴾ سورة القصص ٢٦ إلى قوله ﴿ إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين ﴾ سورة القصص ٢٧

وقوله ﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾ سورة الإخلاص ٤

والعرب وغيرهم من الأمم يقولون رجل ورجلان اثنان وثلاثة رجال وفرس واحد وجمل واحد ودرهم واحد وثوب واحد ورأس واحد وذكر واحد وأمير واحد وملك واحد ومسكن واحد وسيد واحد وأمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله تعالى

فلفظ الواحد وما يتصرف منه في لغة **العرب** وغيرهم من الأمم لا يطلق إلا على ما يسمونه هم جسما منقسما لأن ما لا يسمونه هم جسما منقسما ليس هو شيئا يعقله الناس ولا يعلمون وجوده حتى يعبروا عنه بل عقول الناس وفطرهم مجبولة على إنكاره ونفيه فلو قدر وجود هذا في الخارج أو إمكان وجوده لاحتيج بعد ذلك إلى أن يثبت لفظ الواحد في لغة **العرب** يعبرون بها عنه إذ ليس كل ما وجد أو أمكن وجوده يجب أن يتصوره أهل اللغة ويكون داخلا فيما عبروا عنه من لغتهم

". (٢)

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١١٤/٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١١٦/٧

"

وإذا قدر أن أهل اللغة عبروا بلفظ الواحد والأحد في لغتهم عن هذا لم يجز أن يقال إن لفظ الواحد في لغتهم لا يقع إلا عليه لما ذكرناه من أن لفظ الواحد وما اشتق منه إنما عرف واشتهر استعماله في اللغة فيما يجعلونه هم جسما منقسما وذلك ليس بواحد عندهم فمسمى الواحد عندهم منتف في اللغة وإن قدر وجوده لكان نادرا في اللغة

والغالب المشهور في اللغة أن اسم الواحد يتناول ما ليس هو الواحد في اصطلاحهم وإذا كان كذلك لم يجز أن يحتج بقوله تعالى ﴿ وإلهكم إله واحد ﴾ سورة البقرة ١٦٣ وقوله ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ونحو ذلك مما أنزله الله بلغة **العرب** وأخبرنا فيه أنه أحد وأنه إله واحد على أن المراد ما سموه هم في اصطلاحهم واحدا مما ليس معروفا في لغة **العرب** بل إذا قال القائل دلالة القرآن على نقيض مطلوبهم أظهر كان قد قال الحق فإن القرآن نزل بلغة **العرب** وهم لا يعرفون الواحد في الأعيان إلا ما كان قديما بنفسه متصفا بالصفات مباينا لغيره مشارا إليه

وما لم يكن مشارا إليه أصلا ولا مباينا لغيره ولا مداخلا له **فالعرب** لا تسميه واحدا ولا أحدا بل ولا تعرفه فيكون الاسم الواحد والأحد دل على نقيض مطلوبهم منه لا على مطلوبهم

(١) ".

"

يؤيد هذا أنهم يقولون اللفظ المشهور في اللغة الذي يتداوله الخاص والعام لا يجوز أن يكون موضوعا بإزاء المعنى الدقيق الذي لا يفهمه إلا خواص الناس وهذا مما استدل به نفاة الأحوال على مثبتيها وقالوا المعروف في اللغة أن الحركة هي كون الجسم متحركا وأما ما يدعونه من أن الحركة أمر يوجب كون الجسم متحركا فهذا المعنى لا يفهمه إلا الخاصة فضلا عن أن يعلموا أن لفظ الحركة موضوع له

ولفظ الحركة لفظ مشهور يتداوله الخاصة والعامة فلا يجوز أن يكون مفهومه ما لا يتصوره المتخاطبون به وهذا بعينه يقال لهؤلاء النفاة الذين يسمون نفيهم توحيدا فيقال هذا الواحد الذي تثبتونه وهو أنه لا يشار إليه ولا يتميز منه شيء عن شيء ونحو ذلك أمر لا يتصوره إلا بعض الناس بل قليل منهم والذين تصوروه تنازعوا في إمكان وجوده في الخارج فمنهم من قال وجود هذا في الخارج ممتنع وإذا كان

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١١٧/٧

كذلك ولفظ الواحد مشهور في اللغات كلها أشهر من لفظ الحركة فلا يجوز أن يكون مسمى هذا الاسم في اللغة المعروفة معنى لا يتصوره إلا قليل من الناس وهم متنازعون في إمكان ثبوته في الخارج وإذا لم يكن هذا المعنى هو المراد بلفظ الواحد والأحد لم يجز الاستدلال بالسمع الوارد بلغة **العرب** على هذا

(١) ".

"الكليات المجردات أمورا موجودة في الخارج لكن تناقضوا حيث فرقوا بين الوجود والثبوت

والمقصود أن كل هؤلاء يجمعهم إثبات أمور يدعون أنها موجودة في الخارج وهي لايتصورها إلا طائفة قليلة من الناس فضلا عن أن تكون الألفاظ المعروفة المشهورة في اللغة دالة عليها ولا ريب أنهم أخطأوا في المعاني المعقولة ثم في مدلول الألفاظ المسموعة

فتبين لك أن قولهم يتضمن من الفرية على اللغة والعقل من جنس ما تضمن من الفرية على الشرع وأنهم لا يمكنهم أن يقولوا إن الشرع دل على قولهم بوجه من الوجوه لا بطريق الحقيقة ولا بطريق المجاز

فإذا أريد بيان انتفاء دلالة النص على ما ادعوه من مسمى الواحد كان هنا طرق

أحدها أن هذا اللفظ لم يستعمل إلا فيما نفوه دون ما أثبتوه

الثاني أن نبين انتفاء ما أثبتوه في الخارج وحينئذ فلا يكون كلام الله دالا على وجود ما ليس بموجود

الثالث أن ما يذكرونه لا يتصوره عامة الناس لا **العرب** ولا غيرهم فلا يكون اللفظ موضوعا له ودالا عليه وإن كان له وجود ولا يقال هو بتقدير وجوده يشمله لفظ الواحد لما تقدم من أن اللفظ المشهور بين الخاص والعام لا يكون مسماه مما لا يتصوره إلا الخاصة

الرابع أنه بتقدير شموله لما أثبتوه وما نفوه فلا ريب أن شموله لما

(٢) ".

"لفظ التوحيد على ما يدعونه هم لأن دلالة الخطاب إنما تكون بلغة المتكلم وعادته المعروفة في خطابه لا بلغة وعادة واصطلاح أحدثه قوم آخرون بعد انقراض عصره وعصر الذين خاطبهم بلغته وعادته كما قال تعالى ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ سورة ابراهيم ٤ بل لفظ التوحيد والأحد

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١١٨/٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١٢٠/٧

والواحد الموجود في كلام الله ورسوله يدل على نقيض قولهم وأنه موصوف بالصفات الثبوتية كما تقدم التنبيه عليه من أنه لا يعرف مسمى الواحد في لغة **العرب** إلا ما كان كذلك ومن أن الله وصف هذا الواحد بالصفات الثبوتية وسماه بالأسماء المتضمنة للمعاني الثبوتية في غير موضع فلو قدر أن لفظ الواحد فيه اشتراك وإجمال لكان ما بينه القرآن من اتصافه بالصفات الثبوتية رافعا للإجمال والاشتراك موافقا لقول أهل الإثبات دون النفاة

وهذه الأدلة كلما تدبرها العاقل تبين له قطعا أن هؤلاء النفاة مناقضون للرسول هم في جانب والرسل في جانب كمناقضة القرامطة الباطنية وأمثالهم وأن استدلال هؤلاء بنصوص الأنبياء على نفيهم من جنس استدلال القرامطة على شريعتهم الإلحادية بنصوص الأنبياء

ومما يبين ذلك أن كلام الله ورسوله صدق بل أصدق الكلام كلام الله والكلام الصدق يتضمن الإخبار عن الأمور على ما هي عليه لا على خلاف ما هي عليه بخلاف الكلام الذي هو كذب سواء كان

". (١)

"طريقا إلى المعارف بما كلفهم إلى آخر الزمان حفظ أخباره عليه السلام في سائر الأزمنة ومنع من تطرق الشبه عليها حتى لا يروم أحد تغيير شيء منها أو تبديل معنى كلمة قالها إلا كشف الله تعالى ستره وأظهر في الأمة أمره حتى يرد ذلك عليه **العربي** والعجمي ومن قد أهل لحفظ ذلك من حملة علمه عليه السلام والمبلغين عنه كما حفظ كتابه حتى لا يطيق أحد من أهل الزيغ على تحريك حرف ساكن فيه أو تسكين حرف متحرك إلا يبادر القراء في رد ذلك عليه مع اختلاف لغاتهم وتباين أوطانهم لما أراده الله عز وجل من صحة الأداء عنه ووقوع التبليغ لما أتى به نبينا عليه السلام إلى من يأتي في آخر الزمان

". (٢)

"

وقد قابلهم في ذلك طائفة من المتفلسفة كابن سينا وأمثاله فجعلوا الصور كلها جواهر كما جعل أولئك الصور كلها أعراضا وذلك أن هؤلاء المتفلسفة نظروا في المصنوعات كالخاتم والدرهم والسيف

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٧/١٢٣

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٧/٢١٤

والسرير والبيت والثور ونحو ذلك مما يؤلفه الآدميون ويصورونه فوجدوها مركبة من مادة كالفضة ويسمونها أيضا الهيولى والهيولى في لغتهم معناه المحل وتصرفهم فيه بحسب عرفهم الخاص كتصرف متكلمي **العرب** في اللغة **المعربة** فهذه المصنوعات مركبة من مادة هي المحل ومن صورة وهي الشكل الخاص وهذا نظر صحيح

ثم زعموا أن صور الحيوان والنبات والمعدن لها مادة هي هيولاها كذلك وأن النار والهواء والتراب لها أيضا مادة هي هيولاها ومنهم من قال جميع الأجسام لها مادة مشتركة وهي هيولاها وجعلوا الهيولى ثلاث مراتب صناعية وطباعية وكلية وتنازعوا هل تنفرد المادة الكلية عن الصور فتكون الهيولى مجردة عن الصور على قولين

وإثبات هذه المادة المجردة يذكر عن شيعة أفلاطن وإنكار ذلك قول أصحاب أرسطو

". (١)

"الخالق بكل ما يوصف به المخلوق فإن الوحدة والاتحاد والحلول العام يقتضي ذلك

ولفظ الكلام مثل لفظ الرحمة والأمر والقدرة ونحو ذلك من ألفاظ الصفات التي يسمونها في اصطلاح النحاة مصادر ومن لغة **العرب** أن لفظ المصدر يعبر به عن المفعول كثيرا كما يقولون درهم ضرب الأمير

ومنه قوله تعالى ﴿ هذا خلق الله ﴾ سورة لقمان ١١ أي مخلوقة فالأمر يراد به نفس مسمى المصدر كقوله ﴿ أفعصيت أمري ﴾ سورة طه ٩٣ ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ﴾ سورة النور ٦٣ ﴿ ذلك أمر الله أنزله إليكم ﴾ سورة الطلاق ٥

ويراد به المأمور به كقوله تعالى ﴿ وكان أمر الله قدرا مقدورا ﴾ سورة الأحزاب ٣٨ ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ سورة النحل ١ فالأول هو من كلام الله وصفاته والثاني مفعول ذلك وموجبه ومقتضاه

وكذلك لفظ الرحمة يراد بها صفة الله التي يدل عليها اسمه الرحمن الرحيم كقوله تعالى ﴿ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ﴾ سورة غافر ٧ ويراد بها ما يرحم به عباده من

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٧/٢٣٣

". (١)

"لاختصاصه بأمر يوجب الإضافة وإلا فمجرد كونه مخلوقا ومملوكا لا يوجب أن يخص بالإضافة

وبهذا يتبين فساد قول النفاة الذين يقولون في قوله تعالى ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ سورة ص ٧٥ من الأقوال ما لا اختصاص لآدم به كقولهم بقدرته أو بنعمته أو أن المعنى خلقته أنا أو أنه أضافه إلى نفسه إضافة تخصيص فإن هذه المعاني كلها موجودة في الملائكة وإبليس والبهائم فلا بد أن يثبت لآدم من اختصاصه بكونه سبحانه خلقه بيديه ما لا يثبت لهؤلاء

٪ وكل كلام في الوجود كلامه ٪ سواء علينا نثره ونظامه ٪

"وهم **العرب** الفصحاء والخطباء والبلغاء فكل عجز عنه ولم يقدر على شيء منه بوجه إما بأن لا يكون في قولهم ولا في طباعهم أن يتكلموا بكلام يضارع القرآن في جزالة لفظه وبديع نظمه وحسن معانيه وإما أن يكون ذلك في وسعهم وتحت قدرهم طبعا وتركيبا ولكن منعوه وصرفوا عنه ليكون آية لنبوته وحجة عليهم في وجوب تصديقه وإما أن يكونوا إنما عجزوا عن علم ما جمع في القرآن من أنباء ما كان والإخبار عن الحوادث التي تحدث وتكون وعلى الوجوه كلها فالعجز موجود والانقطاع حاصل هذا إلى ما شاهدوه من آياته وسائر معجزاته المشهودة عنه الخارجة عن سوم الطباع الناقضة للعادات كتسبيح الحصا في كفه وحنين الجذع لمفارقته ورجف الجبل تحته وسكونه لما ضربه برجله وانجذاب الشجرة بأغصانها وعروقها إليه وسجود البعير له ونبوع

". (٢)

"

وحقيقة ما يزعمونه في المعقول إنما هو أمور ذهنية كلية قائمة في الذهن لا حقيقة لها في الخارج وما يثبتونه من المجردات العقليات بل وواجب الوجود الذي يثبتونه وغير ذلك يعود إلى هذا ومن هنا

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٦١/٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢٩٨/٧

استطال عليهم إخوانهم الفلاسفة الطبيعية والدهرية فإن أولئك لم ينكروا مثل هذه العقليات ولكن أنكروا وجود هذه في الخارج وادعوا أن كل موجود في الخارج فلا بد أن يمكن إحساسه

والفريقان جميعا كذبوا بالكتاب وبما أرسل الله به رسله من الإخبار بالغيب إلا من كان منهم من الصابئة الحنفاء الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون صالحا فأولئك هم سعداء في الآخرة

كما قال تعالى ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ سورة البقرة ٦٢

وأما الصابئة المشركون الذين يعبدون الكواكب والأوثان ونحوهم من الفلاسفة المشركين فهؤلاء كفار كسائر المشركين

والفلسفة اليونانية فلسفة المشائين عامتها من هذه الفلسفة فإن اليونان كانوا مشركين يعبدون الكواكب والأوثان وفي مقالاتهم حق وباطل كما في مقالات مشركي **العرب** والهند وغيرهم من أصناف المشركين وهذا مبسوط في موضعه

". (١)

"وأمثاله من أهل الضلال أن حجاجهم أكمل من حجاج القرآن وأنهم حققوا أصول الدين أعظم من تحقيق الصحابة والتابعين

بل يذكر سبحانه الحجة المناسبة للمطلوب كقوله تعالى ﴿ وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السماوات والأرض كل له قانتون بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ سورة البقرة ١١٦ ١١٧

وقال تعالى ﴿ وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ﴾ سورة الأنعام ١٠٠ ١٠١

والكلام على هذه الآيات وما فيها من الأسرار مذكور في غير هذا الموضع وقد بين هناك أن هؤلاء الآيات تضمنت إبطال قول المبطلين من المشركين والصابئين وأهل الكتاب وتضمنت إبطال ما كان يقوله

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٧/٣٣٤

مشركو العرب وما يقوله النصارى وما يقوله مشركو الصابئة وفلاسفتهم الذين يقولون بتولد العقول أو العقول والنفوس عنه

ومن أراد الجمع بين كلامهم وبين النبوات سماها ملائكة ويقول العقل كالذكر والنفس كالأنثى فهؤلاء خرقوا له بنين وبنات بغير علم

". (١)

"

وقد بين سبحانه من حجج منكري المعاد والجواب عنها وتقريره ما يطول هذا الموضع باستقصائه كما في قوله ﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ﴾ سورة يس ٧٨ ٨٠ إلى آخر الآيات وهذا باب واسع ليس هذا موضع بسطه

فأما الآية التي ذكرها القائل المتقدم وهي قوله ﴿ أفعيينا بالخلق الأول ﴾ سورة ق ١٥ فإن العرب تقول عي وعيى بأمره إذا لم يهتد لوجهه ويقول الرجل عييت بأمري إذا لم يهتد لوجهه وأعياني هو

وقال الشاعر

٪ عيوا بأمرهم كما ٪ عييت ببيضتها الحمامة ٪

فالعيى بالأمر يكون عاجزا عنه مثل أن لايدري ما يفعل به

فقال سبحانه باستفهام الإنكار المتضمن نفي ما استفهم عنه وأن ذلك معلوم عند المخاطب ﴿ أفعيينا بالخلق الأول ﴾ سورة ق ١٥ فلم نكن عالمين بما نصنع فيه ولا قادرين عليه أم خلقناه بعلمنا وقدرتنا وأتينا فيه من الإحكام والإتقان بما دل على ذلك كمال علمنا وحكمتنا وقدرتنا

وهذا نظير قوله ﴿ أو لم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير ﴾

". (٢)

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٦٨/٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣٨٠/٧

"سورة الأحقاف ٣٣

ومن المستقر في بداءة العقول أن خلق السماوات والأرض أعظم من خلق الآدميين فإذا كان فيها من الدلالة على علم خالقها وقدرته وحكمته ما بهر العقل أفلا يكون ذلك دالا على أنه قادر على إحياء الموتى لا يعيى بذلك كما لم يعى بالأول بطريق الأولى والأخرى

ولعل هذا الجاهل لم يفهم هذه الآية فظن أن قوله ﴿ ولم يعي بخلقهن ﴾ الأحقاق ٣٣ هو من الإعياء الذي هو النصب واللغوب وأن المعنى إذا كنا ما تعبنا في الخلق الأول فكيف نتعب في الثاني فإن كان هذا هو الذي فهمه من الآية كما يفهم ذلك جهال العامة الذين لا يعرفون لغة **العرب** ولا تفسير القرآن ولا يفرقون بين عيي وأعيا فقد أوتى من جهة جهله بالعقل والسمع

وهؤلاء المبتدعون يجهلون حقائق ما جاء به الرسول ويعرضون عنه ثم يحكمون بموجب جهلهم أن ليس في ذلك من البراهين من

". (١)

"من نظارهم يطعن في دليل إثبات واجب الوجود وكثير من محققيهم وعارفيهم يقول إن الوجود الواجب هو وجود المخلوقات

ومآل القولين واحد وهو قول فرعون الذي أنكر رب العالمين فإن فرعون وغيره لم ينكروا وجود هذا العالم المشهود فمن جعله هو الوجود الواجب أو كان قوله لا يدل إلا على ذلك كان منكرا للصانع ثم إذا كان هذا هو الوجود الواجب كان ما يلزمهم على ذلك من المحالات أضعاف ما فروا منه كما بينا ذلك في غير هذا الموضع

فمن جعله وجود كل موجود كان فيه الشهادة على نفس الوجود المحدث الكائن بعد أن لم يكن بأنه واجب ومن جعله وجود الفلك كان فيه من افتقار واجب الوجود إلى غيره ومن حدوث الحوادث بلا سبب فاعل ومن غير ذلك ما يناقض أصولهم وأصول غيرهم المتفق على صحتها ويوقعهم في شر مما منه فروا

والمقصود هنا أنه سبحانه لما قال ﴿ أفعيينا بالخلق الأول ﴾ سورة ق ١٥ لم يرد الإعياء الذي هو التعب وإنما أراد العى كما تقول **العرب** عيي بأمره إذا لم يهتد لوجهه وحينئذ فيكون في الآية من الدلالة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٧/٣٨١

على علم الخالق وحكمته ما يبين أنه خلقه بمشيئته وقدرته وحكمته وعلمه ومن كان خالقا لهذا العالم بمشيئته وقدرته وحكمته وعلمه كان بأن يقدر على إحياء الموتى أولى وأحرى

". (١)

"

وهؤلاء الملاحدة شتموه بما ذكروه من تولد الموجودات عنه وكذبوه بقولهم لن يعيدنا كما بدأنا وضاهوا في ذلك أشباههم من ملاحدة **العرب**

قال تعالى ﴿ ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ﴾ إلى قوله ﴿ أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾ سورة مريم ٦٦ ٩٥

فذكر سبحانه في هذا الكلام الرد على من أنكر المعاد وعلى من قال إنه اتخذ ولدا كما جمع النبي صلى الله عليه وسلم بينهما في الحديث

". (٢)

"وجوده وكل ما سوى الخالق القديم الواجب الوجود بنفسه مفتقر إلى غيره فلا يتم به حدوث حادث ولا وجود ممكن

وجمهور **العرب** لم يكن شركها من هذا الوجه بل كانت مقرة بأن الله خالق كل شيء وربه ومليكه وإنما كان من النوع الثاني فإثبات التوحيد في النوع الثاني يتضمن الأول من غير عكس

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٧/٣٨٣

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٧/٣٨٧

والثاني الشرك في الإلهية وضده هو التوحيد في الإلهية وهو عبادة الله وحده لا شريك له فإن المشركين المقرين بأنه رب كل شيء كانوا يتخذون آلهة يستجلبون بعبادتها المنافع ويستدفعون بها المضار ويتخذونها وسائل تقربهم إليه وشفعاء يستشفعون بها إليه

وهؤلاء خلق من خلقه لا يملكون لأحد نفعا ولا ضرا إلا بإذنه فكل ما يطلب منهم لا يكون إلا بإذنه وهو سبحانه لم يأمر بعبادة غيره ولم يجعل هؤلاء شفعاء ووسائل

بل قد قال تعالى ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ سورة الزخرف ٤٥

وقال تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ سورة الأنبياء ٢٥

وقال تعالى ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾

". (١)

"يستدلوا به على علم وأولئك المتكلمون بجهلهم قصدوا إقامة الدليل على تصديق الأنبياء ونصر ما جاءوا به فلما نقص علمهم بالسمعيات والعقليات أدى ما فعلوه إلى تكذيب الرسل والطعن فيما جاءوا به

فأما القول بما أخبرت به الرسل فلا يناقض هذا الأصل بل يبطل ما يدفع به الملاحدة أقوال الرسل ثم إنه يحكي عن أهل الحديث هذا القول وأن معنى قولهم هو أنه تحله الحوادث وتجد كثيرا من متكلمة أهل الحديث كأبي الحسن بن الزاغوني وأبي بكر عربي يحكون الإجماع على امتناع قيام الحوادث به وأظن أن أبا على بن أبي موسى ذكر ذلك وهذا من جملة الإجماعات التي يطلقها من يطلقها بحسب ما ظنه وهذا لأن هذه أقوال مجملة قد يفهم منها ما هو باطل بالإجماع والمطلقون لها أدرجوا فيها معاني كثيرة لا يفهمها إلا خواص الناس

وأول من أظهر هذه المقالات الجهمية والمعتزلة ونحوهم وصاروا يقولون إنه منزه عن الأعراض والأبعاض والحوادث والمقدار والحد ونحو ذلك ويدخلون في نفي الأعراض نفي الصفات وفي نفي

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٩١/٧

الحوادث نفي الأفعال القائمة به وفي نفي المقدار نفي علوه على خلقه ومباينته لهم وفي نفي الأبعاض نفي علوه ومباينته ونفي الصفات الخبرية كالوجه واليدين ونحو ذلك

." (١)

"فيجوز وجود علل ومعلولات لا تتناهى فلا ثبت لكم وجود لا علة له

الثاني أن يقال هذا غايته أن يدل على ثبوت وجود واجب فمن قال الوجود كله واحد وهو واجب لا ينقسم إلى واجب وممكن ولا قديم ومحدث فقد وفى بموجب دليلكم وهذا مما يبين به غاية كلام هؤلاء

ولما كان هذا منتهى كلامهم صار السالكون لطريقتهم نوعين نوعا يقول لم يثبت واجب الوجود لإمكان علل ومعلولات لا تتناهى ويوردون على إبطال التسلسل ما يقولون لا جواب عنه كالآمدي وغيره

فليتدبر من هداه الله هذا التناقض العظيم الذي أفضى إليه هذا الطريق الفاسد الذي سلكه ابن سينا وأتباعه في إثبات واجب الوجود فنظارهم يعترفون بأنه لم يقم دليل على إثبات وجود واجب بل ولا على ممكن بالمعنى الذي قدره

ومعلوم أن هذا في غاية السفسطة فإن انقسام الموجود إلى

"يخاطبون بنوع من التخييل والتمثيل الذي ينتفعون به فيه كما تقدم كلامه

وهذا كلام الملاحدة الباطنية الذين الحدوا في اسماء الله واياته وكان منتهى أمرهم تعطيل الخالق وتكذيب رسله وابطال دنيه ودخل في ذلك باطنية الصوفية اهل الحلول والاتحاد وسموه تحقيقا ومعرفة وتوحيدا ومنتهى أمرهم هو الحاد باطنية الشيعة وهو انه ليس إلا الفلك وما حواه وما وراء ذلك شيء

"

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٩٨/٨

وإذا قال القائل هذا الأصل قد قرره مثل أبي الهذيل العلاف وأبي إسحاق النظام ومثل الجهم بن صفوان واتبعهم عليه مثل أبي علي وأبي هاشم وعبد الجبار بن أحمد وأبي الحسين البصري وغيرهم ووافقهم على صحة هذه الطريقة وهو امتناع حوادث لا أول لها مثل محمد بن كرام وابن الهيصم وغيرهما ومثل أبي الحسن الأشعري والقاضي أبي بكر وأبي المعالي والقاضي أبي يعلى وابن عقيل وابن الزاغوني وأبي عبد الله المازري والقاضي أبي بكر بن **العربي** وغيرهم بل ومثل الشريف المرتضى وأمثاله من شيوخ الشيعة فهؤلاء وأضعافهم يحتج بهذه الطريقة وإن كان أصلها مأخوذا من الجهم بن صفوان وأبي الهذيل العلاف وغيرهما

قيل لمن قال هذا القول الواحد من هؤلاء لم يعظمه من يعظمه من المسلمين إلا لما قام به من دين الإسلام الذي كان فيه موافقا لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فإن الواحد من هؤلاء له مساع مشكورة في نصر ما نصره من الإسلام والرد على طوائف من المخالفين لما جاء به الرسول فحمدهم والثناء عليهم بما لهم من السعي الداخل في طاعة الله ورسوله وإظهار العلم الصحيح الموافق لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والمظهر لباطل من خالف الرسول وما من أحد من هؤلاء ومن هو أفضل منهم إلا وله غلط في مواضع

". (١)

"المشركين ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيب فقال ألا إن كل مولود يولد على الفطرة حتى **يعرب** عنه لسانه فخطبته لهم بهذا الحديث عقب نهيه لهم عن قتل أولاد المشركين وقوله لهم أو ليس خياركم أولاد المشركين يبين أنه أراد أنهم ولدوا غير كفار ثم الكفر طرأ بعد ذلك ولو كان أراد أن المولود حين يولد يكون إما كافرا وإما مسلما على ما سبق له القدر لم يكن فيما ذكره حجة على ما قصده صلى الله عليه وسلم من نهيه لهم عن قتل أولاد المشركين

وقد ظن بعضهم أم معنى قوله

أو ليس خياركم أولاد المشركين معناه لعله أنه قد يكون سبق في علم الله أنهم لو بقوا لآمنوا فيكون النهي راجعا إلى هذا المعنى من التجويز وليس هذا معنى الحديث ولكن معناه إن خياركم هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار وهؤلاء من أولاد المشركين فإن آباءهم كانوا كفارا ثم إن البنين أسلموا بعد ذلك فلا يضر الطفل أن يكون من أولاد المشركين إذا كان مؤمنا فإن الله إنما يجزيه بعمله لا بعمل أبويه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٧٥/٨

وهو سبحانه يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن

". (١)

"قال حدثني ثلاثة عقبة بن عبد الغافر ويزيد بن عبد الله بن الشخير والعلاء بن زياد كلهم يقول حدثني مطرف عن عياض عن النبي صلى اله عليه وسلم فقال فيه

واني خلقت عبادي حنفاء كلهم لم يقل مسلمين وكذلك رواه الجسن عن مطرف عن عياض ورواه ابن اسحاق عمن لا يهتم عن قتادة باسناده وقال فيه

واني خلقت عبادي حنفاء كلهم ولم يقل مسلمين

قال فدل هذا على حفظ محمد بن اسحاق واتقانه وضبطه لانه ذكر مسلمين في روايته عن ثور بن يزيد لهذا الحديث واسقطه من رواية قتادة وكذلك رواه الناس عن قتادة قصر فيه عن قوله مسلمين وزاد ثور باسناده والله اعلم

قال والحنيف في كلام **العرب** المستقيم المخلص ولا استقامة اكثر من الإسلام

". (٢)

"

٪ اخلفية الرحمن انا معشر ٪ حنفاء نسجد بكرة واصيلا ٪ ٪ **عرب** نرى لله في اموالنا ٪ حق الزكاة منزلا تنزيلا ٪ فهذا وصف الحنيفية بالاسلام وهو امر واضح لاخفاء به

قال ومما احتج به من ذهب إلى أن الفطرة في هذا الحديث الإسلام قوله صلى الله عليه وسلم

خمس من الفطرة ويروي

عشر من الفطرة يعني فطرة الإسلام

قلت الدلائل الدالة على انه اراد على فطرة الإسلام كثيرة كالفاظ الحديث التي في الصحيح مثل قوله على الملة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٣٦٤

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٣٦٩

وعلى هذه الملة ومثل قوله في حديث عياض بن حمار

خلقت عبادي حنفاء كلهم وفي لفظ

حنفاء مسلمين ومثل تفسير أبي هريرة وغيره من رواة الحديث ذلك وهم اعلم بما سمعوا

وأيضا فانه لو لم يكن المراد بالفطرة الإسلام لما سألوا عقب ذلك ارايت من يموت من اطفال المشركين وهو صغير لانه لو لم يكن هناك ما يغير تلك الفطرة لما سألوا والعلم القديم وما يجري مجراه لا يتغير

". (١)

"انه لا يصلي عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا يرثه المسلمون ويجوز استرقاقهم ونحو ذلك فلم يجز أحد أن يحتج بهذا الحديث على أن حكم الاطفال في الدنيا حكم المؤمنين حتى تعرب عنهم ألسنتهم وهذا حق لكن ظن أن الحديث اقتضى أن يحكم لهم في الدنيا بأحكام المؤمنين فقال هذا منسوخ كان قبل الجهاد لأنه بالجهاد أبيح استرقاق النساء والأطفال والمؤمن لا يسترق ولكن كون الطفل يتبع أباه في الدين في الأحكام الدنيوية أمر ما زال مشروعا ومازال الأطفال تبعا لأبويهم في الأمور الدنيوية

والحديث لم يقصد بيان هذه الأحكام وإنما قصد ما ولد عليه من الفطرة وإذا قيل إنه ولد على فطرة الإسلام أو خلق حنيفا ونحو ذلك فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده

فإن الله تعالى يقول ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ﴾ سورة النحل ٧٨ ولكن فطرته مقتضية موجبة لدين الإسلام لمعرفته ومحبته

فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له وموجبات الفطرة ومقتضاها تحصل شيئا بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سلمت عن المعارض

". (٢)

"

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٧١/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣٨٣/٨

قال وقال آخرون معنى قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة يعني البدأة التي ابتدأهم عليها يريد أنه مولود على ما فطر الله عليه خلقه من أنه ابتدأهم للحياة والموت والسعادة والشقاء وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ من قبولهم عن آبائهم اعتقادهم

قالوا والفطرة في كلام **العرب** البداءة والفاطر المبدئ والمبتدئ فكأنه قال صلى الله عليه وسلم يولد على ما ابتدأه الله عليه من الشقاء والسعادة وغير ذلك مما يصير إليه وقد فطره عليه واحتجوا بقوله تعالى ﴿كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة﴾ سورة الأعراف ٢٩ ٣٠

وروى بإسناده إلى ابن عباس قال لم أدر ما فاطر السماوات والأرض حتى أتى أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا

". (١)

"

ومما يبين ذلك قوله في الحديث الآخر

كل مولود يولد على الفطر حتى **يعرب** عنه لسانه فإما شاكرا وإما كفورا فجعله على الفطرة إلى أن يعقل ويميز فحينئذ يثبت له أحد الامرين ولو كان كافرا في الباطن بكفر الابوين لكان ذلك من حين يولد قبل أن **يعرب** عنه لسانه

وكذلك قوله في الحديث الآخر الصحيح حديث عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه

اني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم انزل به سلطانا صريح في انهم خلقوا على الحنيفية وان الشياطين اجتالتهم وحرمت عليهم الحلال وامرتهم بالشرك فلو كان الطفل يصير كافرا في نفس الأمر من حين يولد لكونه يتبع ابويه في الدين قبل أن يعلمه أحد الكفر ويلقنه اياه لم يكن الشياطين هم الذين غيروهم عن الحنيفية وأمروهم بالشرك بل كانوا مشركين من حين ولدوا تبعا لآبائهم

ومنشأ الاشتباه في هذه المسألة اشتباه احكام الكفر في الدنيا باحكام الكفر في الاخرة فإن اولاد الكفار لما كانوا يجري عليهم احكام الكفر في امور الدنيا مثل ثبوت الولاية عليهم لآبائهم وحضانة ابائهم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٨٦/٨

لهم وتمكين آبائهم من تعليمهم وتأديبهم والموارثة بينهم وبني آبائهم واسترقاقهم إذا كان آباؤهم محاربين وغير ذلك صار يظن من يظن انهم كفار في نفس الأمر كالذي تكلم بالكفر وعمل به

". (١)

"

ثم أن الله بكمال رحمته واحسانه لا يعذب أحدا بعد ارسال رسول اليهم وان كانوا فاعلين لما يستحقون به الذم والعقاب كما كان مشركو **العرب** وغيرهم ممن بعث اليهم رسول فاعلين للسيئات والقبائح التي هي سبب الذم والعقاب والرب تعالى مع هذا لم يكن معذبا لهم حتى يبعث اليهم رسولا

والناس لهم في هذا المقام ثلاثة اقوال قال بكل قول طائفة من المنتسبين إلى السنة من أصحاب الأئمة الاربعة أصحاب احمد وغيره

طائفة تقول أن الأفعال لا تتصف بصفات تكون بها حسنة ولا سيئة البته وكون الفعل حسنا وسيئا إنما معناه انه منهى عنه أو غير منهى عنه وهذه صفة اضافية لا تثبت إلا بالشرع وهذا قول ألاشعري ومن اتبعه من أصحاب مالك والشافعي واحمد كالقاضي أبي يعلي واتباعه وهؤلاء يجوزون أن يعذب الله من لم يذنب قط فيجوزون تعذيب الاطفال والمجانين

وطائفة تقول بل الأفعال متصفة بصفات حسنة وسيئة وان ذلك قد يعلم بالعقل ويستحق العقاب بالعقل وان لم يرد سمع كما يقول ذلك المعتزلة ومن وافقهم من أصحاب أبي حنيفة وغيرهم كأبي الخطاب وغيره

". (٢)

"سورة التغابن ٢ يعني انه خلق الكل وقد اعترفوا له بذلك فمنهم من شكر خالقه واعترف له بالنعم وبالاخراج من العدم إلى الوجود فحقق فعله وقبل من رسله ووحد ربه ومنهم من كفر ولم يشكر خالقه واشرك به مالا يجوز له وكذب برسله فصار كافرا بفعله

وقد روى نحو من هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٤٣٢/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٤٩٢/٨

كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فإذا اعرب عنه لسانة فإما شاكرا وإما كفورا

وقد قال تعالى ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ سورة البقرة ١٥٢ فلما امتثل ذلك قوم وعدل عنه آخرون كانوا هم المرادين من قوله ﴿ فمنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾ سورة التغابن ٢

وقد قال سبحانه في حال المؤمنين ﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ﴾ سورة الحجرات ٧ فأخبر عنه فعل ذلك بهم بعد ما خلقهم ولم يقل خلقكم مؤمنين وكره اليكم الكفر فدل على انه لم يفعل بالكافر ما فعل بالمؤمن وذلك ابلغ دليل على انهم لم يخلقوا صبغة كافرين ولا مؤمنين

". (١)

"

ولما رأينا المسلم يرتد عن الإسلام مع وجود عقله الذي كان به قبل الارتداد مؤمنا علمنا أن المعرفة حصلت له بغير ذلك وكذلك نرى المؤمن بالله يذهب عقله ويحكم بجنونه وهو باق على المعرفة مقر بالتوحيد عارف بالله وعقلاء كثيرون يكفرون بالله ويشركون به فدل على أن المعرفة مستفادة بمعنى غير العقل

وهذا الكلام يقتضي أن مجرد الغريزة ولوازمها لا تستلزم المعرفة الواجبة على العباد وهذا مما لا ينازع فيه أحد فإن من يقول إن المعرفة تحصل بالعقل يقول إن أصل الإقرار بالصانع يحصل بعلوم عقلية ولكن ليس ذلك هو جميع المعرفة الواجبة ولا بمجرد ذلك يصير مؤمنا

وهذا العقل هو العقل الذي هو شرط في الأمر والنهي وقد يراد بالعقل ما تحصل به النجاة كما قال تعالى عن أهل النار ﴿ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾ سورة الملك ١٠

وقال تعالى ﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴾ سورة الفرقان ٤٤

وقال تعالى ﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ سورة يوسف ٢

وقال ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ سورة العنكبوت ٤٣ وأمثال ذلك في القرآن

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٨/٤٩٦

واحتجوا على أن المعرفة لا تحصل بمجرد العقل بقوله تعالى ﴿ وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله ﴾

". (١)

"التأويل الذي لا يعلمه إلا الله وهذا هو النوع الثالث من العلم الذي ذكر ابن أبي موسى أن الله انفرد به

وقد قال ابن عباس التفسير أربعة أوجه تفسير تعرفة **العرب** من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله من ادعى علمه فهو كاذب وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع وبين أن لفظ التأويل لفظ مشترك بحسب الاصطلاحات بين صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى المرجوح وبين تفسير اللفظ وبيان معناه وبين الحقيقة التي هي نفس ما هو عليه في الخارج وأن التأويل بالمعنى الثاني كان السلف يعلمونه ويتكلمون به وبالمعنى الثالث انفرد الله به وأما بالمعنى الأول فهو كتحريفات الجهمية التي أنكرها السلف وذموها

ومما احتج به هؤلاء القدر وأن العلم والإيمان يحصل للعبد بفضل الله ورحمته

قال عبد الوهاب وأيضا فإن الله قال في حق المؤمنين ﴿ أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ﴾ سورة المجادلة ٥٨ فاعلم أن الإيمان من تفضله وكتبه في القلوب فأي عمل للعقل بعد ذلك وإنما العقل بمنزلة القارىء للمكتوب فإن كان في القلب شيء مكتوب قرأه العقل كالمسطور يدركه النظر وإذا لم يكن في القلوب شيء مكتوب لم يفد العقل فائدة قال ثم نقول هل نال الأنبياء النبوة بعقولهم أم بإصطفاء الله لهم وإرساله إليهم الملائكة فإن قال بعقولهم فقد أكذبه الله تعالى بقوله ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾ سورة

". (٢)

"لكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدعو أحدا إلى الإسلام إلا عرض عليه هذه الأدلة فإن **العرب** كلها كانت تعترف بوجود الباري سبحانه وتعالى

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٩/٩

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢٤/٩

ولذلك قال تعالى ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله ﴾ سورة لقمان ٢٥ ولا يمتنع أن يوجد من الناس من يبلغ به فدامة الطبع وبلادة القريحة إلى أن لا يفهم شيئا من الأدلة الشرعية التي نصبها الشارع للجمهور وهذا فهو أقلى الوجود فإذا وجد ففرضه الإيمان بالله من جهة السماع

قال فهذه حال الحشوية مع ظاهر الشرع

قال وأما الأشعرية فإنهم رأوا أن التصديق بوجود الباري تعالى لا يكون إلا بالعقل لكن سلكوا في ذلك طرقا ليست هي الطرق الشرعية التي نبه الله عليها ودعا الناس إلى الإيمان به من قبلها وذلك أن طريقتهم المشهورة انبنت على بيان أن العالم محدث وانبنى عندهم

." (١)

"شرط واجب الوجود لم تجد هذا المحسوس واجبا وتلوت قوله تعالى ﴿ لا أحب الآفلين ﴾ سورة الأنعام ٧٦ فإن الهوى في حظيرة الإمكان أفول ما

وتارة يجعلون الواجب هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق والأعيان هي الممكنات كما يقوله صاحبه القونوي

وابن سينا وأتباعه يقولون الوجود الواجب هو المطلق بشرط الإطلاق عن كل أمر ثبوتي وهذا أفسد من ذاك فإن المطلق بشرط إطلاقه لا

"بالمحرك المنفصل الذي هو محبوب معشوق فغاية ما في هذا أنه لا بد من وجود محبوب معشوق ولا يمكن وجود الجسم المتحرك إلا به لكن مجرد المحبوب المنفصل لا يكفي في وجود الجسم الممكن الذي ليس بواجب بذاته ولا في وجود طبيعته ولا في وجود حركته الخاصة به بل لا بد من أمر مبدع له ولحركته ولطبيعته وهم لم يذكروا احتياجه إلى المبدع لذلك ولا دليلا على وجود المبدع لذلك كله بل اكتفوا بوجود المعشوق المنفصل

وهذا مقام يتبين فيه جهل هؤلاء القوم وضلالهم لكل من تدبر نصوص كلامهم الموجود في كتبهم الذي نقله أصحابه عنهم فإنا نحن لا نعرف لغة اليونان ولم ينقل ذلك عنهم بإسناد يعرف رجاله ولكن هذا

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٧٠/٩

نقل أئمة أصحابهم الذين يعظمونهم ويذبون عنهم بكل طريق وقد نقلوا ذلك إلينا وترجموه باللسان العربي وذكروا أنهم بينوه وأوضحوه وقدروه وقربوه إلى أن تقبله العقول ولا ترده فكيف إذا أخذ كلام أولئك على وجهه فإنه يتبين فيه من الجهل بالله أعظم مما يتبين من كلام المحسنين له

ولا ريب أن الفلاسفة أتباع أرسطو يقل جهلهم ويعظم علمهم بحسب ما اتفق لهم من الأسباب التي تصحح عقولهم وأنظارهم فكل من كان بالنبوات أعلم وإليها أقرب كان عقله ونظره أصح

ولهذا يوجد لابن سينا من الكلام ما هو خير من كلام ثابت بن قرة ويوجد أبي البركات صاحب المعتبر من الكلام ما هو خير من كلام ابن سينا وكلام أرسطو نفسه دون كلام هؤلاء كلهم في الإلهيات

". (١)

"

وقال ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ سورة الزخرف ٤٥

وقال ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ سورة الأنبياء ٢٥

وقال ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ سورة النحل ٣٦

وإلا فمجرد توحيد الربوبية قد كان المشركون يقرون به وذلك وحده لا ينفع وهؤلاء الذين يريدون تقرير الربوبية من أهل الكلام والفلسفة يظنون أن هذا هو غاية التوحيد كما يظن ذلك من يظنه من الصوفية الذين يظنون أن الغاية هو الفناء في توحيد الربوبية

وهذا من أعظم ما وقع فيه هؤلاء وهؤلاء من الجهل بالتوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب فإن هذا التوحيد الذي هو عندهم الغاية قد كان مشركو العرب يقرون به كما أخبر الله عنهم ولكن كثير من الطوائف قصر فيه مع إثباته لأصله كالقدرية الذين يخرجون أفعال الحيوان عن قدرة الله ومشيئته وخلقه ولازم قولهم حدوث محدثات كثيرة بلا محدث

وأما الفلاسفة القائلون بقدم العالم فلازم قولهم أن الحوادث جميعها ليس لها فاعل ثم هم يجعلون بعض مبدعات الرب هي الفاعلة لما سواه كما يزعمون مثل ذلك في العقل

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٢٧٦/٩

." (١)

"

ومشركو العرب كانوا خيرا في التوحيد من هؤلاء فإن هؤلاء غايتهم أن يثبتوا أسبابا لبعض الموجودات لكن الأسباب لا تستقل بل تفتقر إلى مشارك وانتفاء معارض وقد يثبتون أسبابا وعللا لا حقيقة لها كالعقول التي يزعمون أنها أبدعت ما سواها

وأما المجوس الثنوية فهم أشهر الناس قولا بإلهين لكن القوم متفقون على أن الإله الخير المحمود هو النور الفاعل للخيرات وأما الظلمة التي هي فاعل الشرور فلهم فيها قولان أحدهما أنه محدث حدث عن فكرة ردیئة من النور وعلى هذا فتكون الظلمة مفعولا للنور لكنهم جهال أرادوا تنزيه الرب عن فعل شر معين فجعلوه فاعلا لأصل الشر ووصفوه بالفكرة الرديئة التي هي من أعظم النقائص وجعلوها سببا لحدوث أصل الشر

والقول الآخر قولهم إن الظلمة قديمة كالنور

فهؤلاء أثبتوا قديمين لكن لم يجعلوهما متماثلين ولا مشتركين في الفعل بل يمدحون أحدهما ويذمون الآخر

ولذلك من قال من الملاحدة كمحمد بن زكريا الرازي الطبيب

." (٢)

"صفاته ولا مقداره ولكن يشابهه ويحكيه نوع مشابهة وحكاية والمشابهة من وجه لا تقتضي المماثلة في الذات والصفات والمقدار

وهذا المثال الإدراكي لا يمتنع فيه اجتماع ما هما ضدان في الخارج بل يجتمع فيه مثال السواد والبياض ويجتمع فيه المثلان كالسوادين ويجتمع فيه مثال وجود الشيء وعدمه فيجتمع فيه تقدير الوجود والعدم لا يمتنع فيه اجتماع مثالي النقيضين كما امتنع اجتماع النقيضين في الخارج ويتمثل فيه الموجود والمعدوم والممتنع وما له وجود في الخارج وما ليس له وجود في الخارج فهو أوسع بهذا الاعتبار من الوجود الخارجي

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣٤٥/٩

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٣٤٦/٩

وذلك أن الخيال لا حد له بل تخيلات النفوس لما ليس له وجود في الخارج أعظم من أن تحصر

فهؤلاء الضالون قالوا هذا أرض الحقيقة وهذا عالم الخيال وقد يشتبه على بعضهم فيظنه في الخارج ويتخيل لهم فيه مدائن ورجال وعوالم كما يتخيل للنائم ويتخيل لأحدهم أنه صار الها ونبيا أو أنه المهدي أو خاتم الأنبياء إلى غير ذلك مما يطول

"ليست خالق المخلوقات ولا وجود لها ولو قدر وجودها فهي من أنقص الذوات بل كل حيوان أكمل منها فإنا نعلم بصريح المعقول أن الحي أكمل مما ليس بحي والعالم أكمل مما ليس بعالم والقادر أكمل مما ليس بقادر

وقول القائل لو قدر له ما يكمل به لكانت ذاته من حيث ذاته ناقصة قول باطل من وجوه

أحدها أن ذاته المجردة عن الصفات لا حقيقة لها أو نقول لا نعلم ثبوتها أو نعلم أن الذات المجردة عن الكمال معدومة

ولفظ ذات لفظ مولد وهو تأنيث ذو ومعنى ذات أي ذات علم وذات قدرة وذات حياة

فتقدير ذات بلا صفات تقدير المضاف المستلزم للإضافة بدون الإضافة

ولهذا أنكر طائفة من أهل **العربية** كابن برهان والجواليقي النطق بهذا اللفظ وقالوا هذا مؤنث والرب لا يجري عليه اسم مؤنث ولكن الذين أطلقوه عنوا به نفسا ذات علم أو حقيقة ذات علم

وفي الجملة فتقدير الذات ذاتا مجردة عن الصفات هو الذي أوقعه في هذه الخيالات الفاسدة

". (١)

"

ولقائل أن يقول بل نفس النسبة لا تكون جزئية وكلية فإنه إذا قيل هذا الإنسان يقول هذا القول في هذا الوقت كان الجميع جزئيا وإذا قيل يقول أقوالا حسنة أو يقول هذا القول دائما كان الثاني كليا فإن تصوره لا يمنع من وقوع الشركة فيه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٠/١٥٧

فإن قلت المحمول الذي هو خبر المبتدأ عن أحدهما قول معين وفي الآخر قول مطلق فالجزئية والكلية إنما وقعا في التصورين

قيل إن أريد ذلك لم يكن لنا تصديق غير التصورات فلا حاجة إلى نفي الكلية عنه

ولكن المعروف أن هذا القول هو الخبر المحمول على المبتدأ المخبر به عنه وهو قول معين جزئي ونسبته إليه هو التصديق المغاير للتصورين فإن التصديق يراد به الجملة كلها فيكون التصور بعضه بعينه ويراد به النسبة الحكمية فيكون التصور شرطا فيه وإذا أريد به هذا فنسبة القول المعين إلى المعين تصديق فإن عنيت النسبة من جميع الوجوه بحيث يمنع تصورها من وقوع الشركة فيها فهي جزئية وإن لم يمنع ذلك فهي كلية

مثل كونه يقوله دائما أو الإخبار عنه بأنه يقوله في وقت ما فإن هذا لا يمنع كونه يقوله في هذا الوقت وفي غيره بل لا يمنع أن يقوله **بالعربية** وبالعجمية فهو كلي بالنسبة إلى **العربية** والعجمية

وبالجملة فما لم يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه فهو كلي سواء كان احتمال الشركة لدخوله أشخاصا أو أزمنة أو أمكنة أو لغايات أو غير

". (١)

"تعالى ولكن يقولون ليس كلامه وتكليمه هو هذا فقط بل هذا يحصل لعموم الخلق

وأما تكليمه من وراء حجاب أو بإرسال رسول فهذا مخصوص بالأنبياء وهؤلاء المتفلسفة يجعلون النبوة من جنس ما يحصل لعلماء الفلاسفة الكاملين عندهم

ومن هذا صار كثير من متصوفة الفلاسفة يطمعون في النبوة أو فيما هو أعلى منها عندهم كما حدثونا عن السهروردي المقتول أنه كان يقول لا أموت حتى يقال لي قم فأنذر

وكذلك ابن سبعين كان يقول لقد زرب ابن آمنة حيث قال لا نبي بعدي

٪ مقام النبوة في برزخ ٪ فويق الرسول ودون الولي ٪

"

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٦٥/١٠

فيقال له الكتاب والسنة مملوء بإثبات صفات النفس الدالة على أنه يشار إليها وأنها بحكم اصطلاحهم جسم فإنه أخبر بقبضها ورجوعها وصعودها ودخولها في عباده ودخولها جنته ودخول البدن وخروجها منه وعروجها إلى السماء وأنها في حواصل طير خضر وأمثال ذلك من الصفات التي تقولون أنتم إنها لا تكون إلا لجسم

وأما لفظ الجسم فهو في اللغة بمعنى البدن أو بمعنى غلظه وكثافته كما قال ﴿ وزاده بسطة في العلم والجسم ﴾ سورة البقرة ٢٤٧ وقال ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ﴾ سورة المنافقون ٤ ويقال لهذا الثوب جسم أي غلظ وكثافة

وهذه المعاني منتفية عن الروح فلم يصلح أن يعبر عنها في لغة العرب بلفظ الجسم بل الناس يقولون الجسم والروح فيجعلون مسمى الأجسام غير مسمى الأرواح وإذا كان من الأعيان القائمة بنفسها الموصوفة بالصعود والعروج والدخول والخروج ونحو ذلك مما لا يسمى في اللغة جسما لم يجب أن يسمى كل ما قام بنفسه جسما في لغتهم

وأما في اصطلاحكم فالجسم عندكم هو ما أمكن الإشارة إليه وما وصف بصعود أو هبوط فهو عندكم جسم وما قامت به الصفات فهو عندكم جسم فعلى اصطلاحكم يجب أن تكون الروح جسما وليس في عدم إخبار الشارع بذلك حجة لكم

". (١)

"للجسمية وهو شيء جرى من فعله في الشرع في وقته وبحسب الناس الذين وجد فيهم مجرى التتميم والتبيين والله يختص بفضله من يشاء

قلت ولقائل أن يقول في هذا الكلام من المداهنة والمصانعة لأتباع ابن التومرت ما لا يخفى والمقصود العلمي أن يقال هذا باطل من وجوه

أحدها أنه قد أسلم على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من الأمم ودعي إلى الإسلام من أصناف الأمم من لا يوجد بعدهم مثلهم في الحذق والنظر فإن الصحابة دعوا أكمل الأمم العرب والعبرانيين والروم والفرس ومن دخل في هؤلاء من القبط والنبط وفتحوا أوسط الأرض وكل من دعي أو أسلم بعد هؤلاء كالترك والديلم والبربر والحبشة وغيرهم فإنهم دون هؤلاء في الفضائل

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٠/٢٩٢

ومن المعلوم أن فلسفة اليونان والهند ونحوهم كانت موجودة إذ ذاك كوجودها اليوم وأكثر إذ كانت اليونان موجودين قبل مبعث المسيح وكان أرسطو وملكه الإسكندر بن فليبس قبل المسيح بنحو

". (١)

"ثلاثمائة سنة وآخر ملوكهم بطليموس الذي دخل النصارى عليهم

ثم من نظر في أخبار الأمم الذين لم يكن لهم كتاب كالروم واليونان ونحوهم علم أن النصارى أكمل منهم في الإلهيات وأفضل وأعلم منهم وأعقل وإنما كان يكون حذق تلك الأمم في غير العلوم الإلهية كالطب والحساب والهيئة ونحو ذلك

وأعظم اشتغالهم بالهيئة إنما كان لأجل الشرك والسحر ودعوة الكواكب والأوثان من دون الله فإنهم يقولون إنهم يستخرجون قوى الأفلاك ويمزجون بين القوة الفعالة السماوية والقوى المنفعلة الأرضية

ولهذا يوجد في بلادهم من الطلاسم ونحوها ما هو معروف بأرض مصر والشام والجزيرة وغيرها

فدعوى المدعي أن الناس احتاجوا فيمن يدعونه إلى الإسلام إلى تغيير الأصول الشرعية التي لم يحتج الصحابة إلى تغييرها دعوى باطلة

الوجه الثاني أن يقال القرآن فيه بيان الجواب عن هذا السؤال وسائر ما يسأل عنه لكن يريد الذي يجيب بما في القرآن والسنة أن يعرف معاني القرآن والسنة ويعرف معاني كلام السائل فإن الناس لهم عبارات يعبرون بها عن معانيهم غير العبارات التي في الكتاب والسنة كما لأمة لسان غير لسان **العرب**

فالمجيب بما جاء به الرسول يحتاج إلى أن يعرف معنى العبارتين العبارة التي خاطب بها الرسول والعبارة التي وقع بها السؤال

". (٢)

"

ثم هذه العبارات قد تكون غريبة غير معناها وقد لا يكون معناها مغيرا وقد لا تكون غريبة فلفظ الهيولي ونحوها من كلام الفلاسفة ليس غريبا في لغتهم معناه مثل معنى المحل والموضع ونحو ذلك

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٠/٣٠٠

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١٠/٣٠١

ولفظ العقل والمادة ونحوهما في كلامهم غير معناه عن معناه في لغة **العرب** فإنهم يعنون بالعقل جوهرا قائما بنفسه والعقل في لغة **العرب** عرض هو علم أو عمل بالعلم وغريزة تقتضي ذلك والمادة من جنس الهيولي عندهم

وكذلك لفظ الجسم والجوهر والعرض والتحيز والانقسام والتركيب معانيها في اصطلاح النظار غير معانيها في لغة **العرب** لكن هذه الألفاظ لم تستعمل في القرآن في الأمور الإلهية

وكذلك غير طائفة من أهل الكلام والفلسفة لفظ التوحيد والإيمان والسنة والشريعة ونحو ذلك من الألفاظ المستعملة في الأمور الإلهية

والمقصود هنا أن السائل إذا سأل عن الأمور الدينية بألفاظ ليست مأثورة عن الرسول في ذلك مثل سؤاله بلفظ الجهة والحيز والجسم والجوهر والمركب والمنقسم ونحو ذلك نظرنا إلى معنى لفظه فأثبتنا المعنى الذي أثبته الله ونفينا المعنى الذي نفاه الله

ثم إن كان التعبير عن ذلك بعبارته سائغا في الشرع وإلا عبر بعبارة تسوغ في الشرع وإذا كانت عبارته تحتمل حقا وباطلا منع من إطلاقها نفيا وإثباتا

". (١)

"العقل ونحو ذلك وهذه العبارات في لغة **العرب** تتضمن معاني ناقصة ينزه الله عنها فالعقل هو المصدر الذي هو عرض والله سبحانه منزه عن ما هو فوق ذلك بل نفس تسميته عاقلا ليس معروفا في شرع المسلمين

فقد تبين أن ما يعني بلفظ الجسم من تمثيل الله بخلقه ووصفه بالنقائص فقد بين الله في كتابه أنه منزه عنه وما يعنى به من إثبات أنه قائم بنفسه مباين لخلقه عال عليهم يرفعون إليه أيديهم عند الدعاء ويعرج إليه بنبيه ليلة الإسراء موصوف بصفات الكمال منزه عما يستلزم العدة والإبطال فقد بين الله في كتابه إثباته لنفسه فلا يقال إنه ليس في القرآن جواب هذا السؤال

فإذا قال القائل بعد هذا الجسم هو المؤلف أو المركب فلا يكون جسما ونحو ذلك

قيل له لا ريب أن الله سبحانه غني عن كل ما سواه لا يجوز أن يقال إنه مفتقر إلى غيره في شيء فضلا عن أن يقال ركبه مركب أو ألفه مؤلف والله قد أخبر في القرآن بمعناه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٠/٣٠٢

وكذلك لا يجوز أن نظن أنه كان متفرقا فاجتمع أو أنه يتفرق أو نحو ذلك مما ينافي صمديته وكماله في وقت من الأوقات

وإذا قال قائل الجسم هو القائم بنفسه أو المشار إليه فيكون جسما

قيل له لا ريب أن الله قائم بنفسه وأنه ترفع الأيدي إليه

(١) ".

"

قيل فصل النزاع قد يكون بوجهين أحدهما نهي كل منهما عن منازعة الآخر بهذا إذ هو نزاع فيما لا فائدة فيه كما لو تنازع اثنان في لون كلب أصحاب الكهف ومقدار السفينة والبعض من البقرة الذي أمر الله بالضرب به إن قدر أنه كان معينا مع أن ظاهر القرآن يدل على أنه مطلق لا معين وفي أمثال ذلك من الأمور التي لا فائدة فيها وقد لا يكون إلى معرفتها سبيل فمثل هذا ينهى كل منهم عن منازعة الآخر فيه بل ينهى عن أن يقول ما لا يعلم

والثاني أن يفصل النزاع ببيان الخطأ من الصواب وحينئذ فإذا فصل النزاع بين المتنازعين في الجسم قيل النزاع على وجهين لفظي ومعنوي

فإن كنتم تتنازعون في مسمى الجسم في اللغة فليس مسماه ما قلته أنت من أن كل قائم بنفسه أو مشار إليه يسمى جسما ولا ما قلته أنت من أن الجسم في اللغة هو المركب من أجزاء فإن الهواء أو نحوه عنده مركب والعرب لا تسميه جسما وهو مشار إليه قائم بنفسه والعرب لا تسميه جسما

فقول كل واحد منكما غير موافق للغة العرب وغايته أن يكون اصطلاحا منكم على معنى كسائر الألفاظ الاصطلاحية فيكون نزاعهم كتنازع الفقهاء في لفظ الفرض هل هو مرادف للواجب

(٢) ".

" أحدهما أن يقال لفظ المنقسم لفظ مجمل بحسب الاصطلاحات والمنقسم في اللغة العربية التي نزل بها القرآن هو ما فصل بعضه عن بعض كقسمة الماء وغيره بين المشتركين إلى أن قال فيختار المنازع

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ١٠/٣١٠

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١٠/٣١٤

منه جانب النفي فإن الله ليس بمنقسم وليس هو شيئين أو أشياء كل واحد منها في حيز منفصل عن حيز الآخر إلى أن قال وقد يريد الناس بلفظ المنقسم ما يمكن الناس فصل بعضه عن بعض وإن كان في ذلك فساد نهتنا عنه الشرعة كالحيوان الحي والأبنية فإن أراد بلفظ المنقسم ذلك فلا ريب أن كثيرا من الأجسام ليس منقسما بهذا الاعتبار فإن بني آدم يعجزون عن قسمته فضلا عن أن يقال إن رب العالمين يقدر العباد على قسمته وتفريقه وتمزيقه وهذا واضح وقد يراد بلفظ المنقسم ما يمكن في قدرة الله قسمته كالجبال وغيرها ومن المعلوم أنه لا يجوز أن يقال إن الله يمكن قسمته وأنه قادر على ذلك

وإن كان غير منقسم لا بالمعنى الأول ولا بالمعنى الثاني فقوله وإن لم يكن غير منقسم كان في الصغر بمنزلة الجوهر الفرد ليس بلازم حينئذ فإنما يوصف بأنه واحد في الأجسام كقوله وإن كانت واحدة فلها النصف ونحو ذلك جسم واحد وهو في جهة ومع ذلك ليس هو منقسما بالمعنى الأول وإن كان هذا فيما يقبل القسمة كالأشياء التي يقدر الناس على قسمتها وأن ما لا يقبل القسمة أولى بذلك وهذا ظاهر محسوس فإن أحدا لم ينازع في أن الجسم العظيم الذي لم يفصل بعضه عن بعض فيحصل في حيزين منفصلين أو لا يمكن ذلك فيه إذا وصف بأنه غير منقسم لم يلزم من ذلك أن يكون بقدر الجوهر الفرد بل قد يكون في غاية العظمة والكبر وهذا الذي قررناه من فصل بعضه عن بعض بحيث يكون كل بعض في حيزين منفصلين أو إمكان ذلك فيه فإن أحدا لم يقل إن الله منقسم بهذا الاعتبار

وإن قال أريد بالمنقسم إن ما في هذه الجهة غير ما في هذه الجهة كما يقول إن الشمس منقسمة بمعنى إن حاجبها الأيمن غير حاجبها الأيسر والفلك منقسم ." (١)

" بمعنى أن ناحية القطب الشمالي غير ناحية القطب الجنوبي وهذا هو الذي أراده فهذا مما تنازع الناس فيه فيقال له قولك إن كان منقسما كان مركبا وتقدم إبطاله تقدم الجواب عن هذا الذي سميته مركبا وتبين أنه لا حجة أصلا على امتناع ذلك بل بين أن إحالة ذلك تقتضي إبطال كل موجود ولولا أنه أحال على ما تقدم لما أحلنا عليه وتقدم بيان ما في لفظ التركيب والتحيز والغير والافتقار من الاحتمال وإن المعنى الذي يقصد منه بذلك يجب أن يتصف به كل موجود سواء كان واجبا أو ممكنا وإن القول بامتناع ذلك يستلزم السفسطة المحضة ويبين أن كل واحد يلزمه أن يقول بمثل هذا المعنى الذي سماه تركيبا حتى الفلاسفة وأن هذا المنازع يقول مثل ذلك في تعدد الصفات وإن ألزم الفلاسفة مثل ذلك وقول من يقول من هؤلاء ما يكون منقسما أو مركبا بهذا الاعتبار فإنه ل يكون واحدا أو لا يكون أحدا فإن الأحد الذي

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٣٢/١

لا ينقسم خلاف لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ولغة **العرب** من تسمية الإنسان واحدا كقوله وإن كانت واحدة وقوله نحو من هذا فهو الذي يقطع الشغب والتنازع فإن هذه الشبهة هي أكبر وأكثر أصول المعطلة لصفات الرب بل المعطلة لذاته وهي عند التحقيق من أفسد الخيالات

فصل

قال الرازي وأما الحنابلة الذين التزموا الأجزاء والأبعاض ." (١)

" ٢١١٥ - وقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ٥٥٢٧ وأمثال ذلك في الكتاب والسنة ويراد بذلك إثبات صفة تختص باسم يزيد على قولنا ذات وذهبت المعتزلة إلى أن المراد بالوجه الذات فأما صفة زائدة على ذلك فلا ولم يذكر خلافا مع الأشعرية لأن المشهور عنهم إثبات هذه الصفة قال والدلالة على ذلك أنه قد ثبت في عرف الناس وعاداتهم في الخطاب **العربي** الذي أجمع عليه أهل اللغة أن تسمية الوجه في أي محل وقع في الحقيقة والمجاز يزيد على قولنا ذات وأما في الحيوان فذلك مشهور حقيقة لا يمكن دفعه ولا يسوغ فيه غير ذلك وأما في مقامات المجاز فكذلك أيضا لأنه يقال فلان وجه القوم لا يراد به ذات القوم إذ ذوات القوم غيره قطعا ويقينا ويقال هذا وجه الثوب لما هو أجوده ويقال هذا وجه الرأي أي أصحه وأقومه وأتيت بالخبر على وجهه أي على حقيقته إلى أمثال ذلك مما يقال فيه الوجه فإذا كان هذا هو المستقر في اللغة وجب حمل هذه الصفة في حق الباري تعالى على ظاهر ما وضعت له وهو الصفة الزائدة على تسمية قولنا ذات وهذا جلي واضح

قال وتمهيد هذا الكلام وتقريره أنه لا يجوز أن يقال وجه الله على ما قيل في وجه القوم أنه سيدهم **والمعرب** عنهم والمشار إليه دونهم لأن ذلك يقتضي بمثله في حق الله أن يقال سيد الله والمشار إليه وهذا في حقه محال ولا يجوز أن يراد به ما أريد من قولهم هذا وجه الثوب أي أحسنه وأجوده لما ذكرنا أيضا لأنه لا يجوز أن يضاف إلى ذاته ولا إلى غيره لأنه تعالى ليس موصوفا بالحسن والجودة ولا يجوز أن يراد به ما أريد بأنه وجه الرأي أنه صوابه لأنه لا يعبر بذات الله عن الصدق في الخبر والصحة في الرأي فإذا بطلت هذه الأقسام وجب أن تحمل على إثبات صفة هي الوجه التي يستحقها الحي ." (٢)

" قالوا إذا حملتم الأمر على هذا الظاهر وبطل أن يراد بها إلا الوجه الذي هو صفة يستحقها الحي فالوجه الذي يستحقه الحي وجه هو عضو وجارحة يشتمل على كمية تدل على الجزئية وصورة تثبت الكيفية

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٣٣/١

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٣٦/١

فإن كان ظاهر الأوصاف عندكم إثبات صفة تفارق في الماهية وتقارب فيما يستحق بمثله الاشتراك في الوصف فهذا هو التشبيه بعينه وقد ثبت بالدليل الجلي إبطال قول المجسمة والمشبهة وما يؤدي إلى مثل قولهم فهو باطل

قلنا الظاهر ما كان متلقى في اللفظ على طريق المقتضى وذلك مما يتداوله أهل الخطاب بينهم حتى ينصرف مطلقه عند الخطاب إلى ذلك عند من له أدنى ذوق ومعرفة بالخطاب **العربي** واللغة **العربية** وهذا كما نقول في ألفاظ الجموع وأمثالهم إن ظاهر اللفظ يقتضي العموم والاستغراق وكما نقوله في الأمر إن ظاهره الاستدعاء من الأعلى للأدنى يقتضي الوجوب إلى أمثال ذلك مما يرجع فيه إلى الظاهر في المتعارف فإذا ثبت هذا فلا شك ولا مرية على ما بينا أن الظاهر في إثبات صفة هو إذا أضيف إلى مكان أريد به الحقيقة أو أريد بها المجاز فإنه لا ينصرف إلى وهم السامع أن المراد بها جميع الذات التي هي مقولة عليها وهذا مما لا نزاع فيه

والمقصود بهذا إبطال التأويل الذي يدعيه الخصم فإذا ثبت هذا وجب أن يكون صفة خاصة بمعنى لا يجوز أن يعبر بها عن الذات ولا وضعت لها إلا على سبيل الحقيقة ولا على سبيل المجاز

فأما قولهم إذا ثبت أنها صفة إذا نسبت إلى الحي ولم يعبر بها عن الذات وجب أن تكون عضوا وجارحة ذات كمية وكيفية فهذا لا يلزم من جهة أن ما ذكروه ثبت بالإضافة إلى الذات في حق الحيوان المحدث لا من خصيصة صفة الوجه ." (١)

" بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء قال وهذه الآية تقتضي إثبات صفتين ذاتيتين سميان يدين قال وذهب المعتزلة وطائفة من الأشعرية إلى أن المراد باليدين النعتين وذهبت طائفة إلى أن المراد باليدين ها هنا القدرة قال والدلالة على كونهما ذاتيتين تزيدان على النعمة وعلى القدرة أنا نقول القرآن نزل بلغة **العرب** واليد المطلقة في لغة **العرب** وفي معارفهم وعاداتهم المراد بها إثبات صفة ذاتية للموصوف لها خصائص فيما يقصد به وهي حقيقة في ذلك كما ثبت في معارفهم الصفة التي هي القدرة والصفة التي هي العلم كذلك سائر الصفات من الوجه والسمع والبصر والحياة وغير ذلك وهذا هو الأصل في هذه الصفة وأنهم لا ينتقلون عن هذه الحقيقة إلى غيرها مما يقال على سبيل المجاز إلا بقرينة تدل على ذلك فأما مع الإطلاق فلا ولهذا يقولون لفلان عندي يد فيراد بذلك ما يصل من الإحسان بواسطة اليد وإنما فهم ذلك بإضافة اليد إلى قوله عندي ويقول ذلك وبينهما من البعد والحوائل ما لو أراد اليد الحقيقية لكان كاذبا

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٣٧/١

ولهذا لو كان بحيث أن يكون عنده يده الحقيقية وهو أن يكونا متماسين في الاجتماع ويحيط بها ثوب أو على صفة يمكن إدخال يده إلى باطن ثوبه فقال حينئذ لفلان عندي يد لا يصرف القول فيه إلى يد الحقيقة لأن شاهد الحال قد قطع عمل القرينة والإطلاق في التعارف أكثر من شاهد الحال في القرب من جهة أنه يجوز أن يتجوز به للقرينة لكن على من شاهد الحال لاغية بما لا طلاقه ذلك أحق وأولى وكذلك القول في التعبير باليد عن القدرة إنما يثبت ذلك بقرينة وهو أن يقول لفلان علي يد فقوله علي قرينة تدل على أن المراد باليد القدرة وهي أيضا مع شاهد الحال لاغية على ما قدمنا في النعمة وهذا جلي واضح

ودليل آخر وهو إنا إذا تأملنا المراد بقوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ٣٨٧٦ امتنع فيه أن يكون المراد به النعمة والقدرة وذلك أن الله ." (١)

" وهو الجهة ليس مكانا على اصطلاح الفلاسفة إذ المكان عند آرسطو هو السطح الباطن من الجسم الحاوي الملاقي للسطح الظاهر من الجسم المحوي إلى أن قال وقد قيل في الآراء السالفة القديمة والشرائع الغابرة إن ذلك الموضع هو مسكن الروحانيين يريدون الله والملائكة إلى أن قال فقد ظهر من هذا أن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل وأنه الذي جاء به الشرع وابتنى عليه فإن إبطال هذه القاعدة إبطال للشرائع فقد حكى اتفاق الحكماء على إثبات الجهة قال وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله تعالى والملائكة في السماء وأن مما قيل في الآراء السالفة والشرائع الغابرة إن ذلك الموضع يعني ما فوق العالم هو مسكن الروحانيين يريدون الله تعالى والملائكة وتصريحهم في هذا بلفظ المسكن يشبه ما ذكره الأشعري أن المسلمين جميعا إذا نابتهم نائبة يقولون يا ساكن العرش

فقد ظهر بهذا أنما ذكره من التناقض على المجسمة والفلاسفة لا يرد على واحدة منهما بل يمكنهم نفي هذا التناقض

فصل

لفظ الظرف فيه اشتراك غلط بسببه أقوام فإن الظرف في اللغة قد يعنى به الجسم الذي يوعى فيه غيره فيظن إذا استعملت هذه الأدوات في حق الله تعالى أنه محل المخلوقات تكون في جوفه وأنها محل له يكون في جوفها وهذا مما يعلم قطعا أن هذه الأدوات لم تدل على ذلك في حق الله تعالى البتة بل النحاة سموا الألفاظ التي يعبر بها **العرب** عن المعاني التي هي أعم من ذلك بالظروف حتى يدخل في ذلك ما لا يحيط بالمظروف وأنواع متعددة وقد قال تعالى ولو ترى إذ وقفوا على ربهم وقال تعالى ولو ترى

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/٤٠

إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم وقال تعالى إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون وقال تعالى فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل ." (١)

" لا تسبوا الدهر أي إذا أصابتكم المصائب لا تنسبوها إليه فإن الله هو الذي أصابكم بها لا الدهر وأنكم إذا سببتم الدهر وفاعل ذلك ليس هو الدهر

وقال أبو بكر الخلال سألت إبراهيم الحربي عن قول النبي صلى الله عليه و سلم لا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر وعن لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر قال كانت الجاهلية تقول الدهر هو الليل والنهار يقولون الليل والنهار فعل بنا كذا فقال الله تعالى أنا أفعل ليس الدهر قال القاضي فقد بين إبراهيم الحربي أن الخبر ليس على ظاهره وأنه ورد على سبب وذكر أبو عبيد نحو ما ذكرنا فقال لا ينبغي لأحد من أهل الإسلام أن يجهل وجهه وذلك أن أهل التعطيل يحتجون به على المسلمين واحتج به بعضهم فقال ألا تراه يقول فإن الله هو الدهر قال وتأويله أن **العرب** كان شأنها أن تذم الدهر وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم من موت أو هرم أو تلف فيقولون أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر وأتى عليهم الدهر فيجعلونه الذي يفعل ذلك فيذمونه عليه فقال النبي صلى الله عليه و سلم لا تسبوا الذي فعل بكم هذه الأشياء أو يصيبكم بهذه المصائب فإنكم إذا سببتم فاعلها فإنما يقع السب على الله تعالى وهو الفاعل لها لا الدهر ." (٢)

" وقال عز و جل أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت الآية هذا من قريب ما يستدركه العاقل من وجوه الأدله من غير كثير استقصاء في فعل ومعاناة بدقيق فكر وذلك أنه خطاب **للعرب** ومن سنة **العربي** أن يركب راحلته فيسير عليها فيما قرب من الأرض باغيا حاجته وفيما يعد عنها ضاغنا في السفر في الحال يكثر في بلادهم فإذا خلا بالمكان لم ير إلا سماءا فوقه وأرضا تحته وجبلا عن يمينه وجبلا عن شماله ومطية هو راكبها فإذا تأمل هذه الأشياء استبان فيها أثر الصنعة ولطف الحكمة مما جمع الله من المرافق فيها أن صانعها لطيف خبير عالم قدير حكيم عليم وقد قيل إن الإبل خصت بالذكر من بين سائر الحيوان وذلك أن الأنعام ضروبها أربعة حلوبة وركوبة وأكولة وحمولة والإبل تجمع هذه الخلال كلها

وقال سبحانه وتعالى إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١٢١/١

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ١٢٦/١

وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون فذكر خلق السموات بما فيها من الشمس والقمر والنجوم وسيرها في أفلاكها الذي يختلف الليل والنهار به ويتبين زيادتهما ونقصانهما ودخول أحدهما على الآخر وأخذ بعضها من بعض فيكون بها انقسام فصول السنة وتعاقب الحر والبرد الذين بأحدهما لقاح الشجر وبالآخر نضج الثمار وذكر الله الأرض التي هي مسكن الحيوان والدواب وفيها قرار البحار التي تجمع المياه التي تحمل السفن والفلك وذكر الريح التي تنشئ السحاب وتجريها إلى حيث أذن لها أن تمطر فيحيي بها البلاد والزرع والأنعام وبها يجري الفلك والسفن في البحار فتصلح بهذه الأمور معايش الناس وتكثر بها منافعهم وباجتماع هذه الأمور ومعاونة بعضها ." (١)

" قال الرازي الغرض منه ذكر ماهية الملك ويعتبر فيها أمران أحدهما سلبي وهو أن يكون غنيا مطلقا عن كل ما عداه وثانيهما إضافي وهو أن يفتقر إليه كل ما عداه بواسطة أو بغير واسطة

قلت هذه الجملة متفق عليها بين المسلمين وغيرهم من أهل الملل بل المشركون من العرب وغيرهم يقرون بها كما قال تعالى وتقدس قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون الله قل فأنى تسحرون والأكثرون يقرأون الآخرتين سيقولون لله كما اتفقوا على أن جواب الأول سيقولون لله وهو جواب مطابق لمعنى اللفظ لأن معنى قوله قل من رب السموات السبع ومن بيده ملكوت كل شيء أي لمن ذلك فكان الجواب بقوله سيقولون لله هذا بيان لأن المشركين يقرون بأن ملكوت كل شيء لله وذلك مبالغة في الملك فإن الملكوت أبلغ من لفظ الملك وما ذكروه من ذلك يتضمن غناه عن كل شيء وفقر كل شيء إليه فهو حق لكنه يتضمن أكمل من ذلك من العلم والقدرة والتدبير على وفق المشيئة والإرادة وغير ذلك من المعاني التي تبين أن هؤلاء الفلاسفة لا يجعلونه ملكا حقا وكيف يكون ملكا عندهم من لا يقدر على إحداث شيء ولا دفع شيء ولا له تصرف لا بنفسه ولا في غيره بوجه من الوجوه بل هو بمنزلة المقيد بحبل معلق به من لا يقدر على دفعه عن نفسه وما يثبتونه من غناه وافتقاره ما سواه إليه يتناقضون فيها فإنهم يصفونه بما يمتنع معه أن يكون غنيا وأن يكون إليه شيء ما فقير لكن ليس المقصود ." (٢)

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/١٨١

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ١/١٨٥

" الوجه السادس أن يقال له هذا الحد الذي ذكرته في الجود حين قلت إن من جاد ليشرف وليحمد وليحسن به ما يفعل فهو مستعيض غير جواد فهذا التفسير عمن نقلته ومن ذكره من أهل التفسير للنصوص أو من أهل اللغة **العربية** بل من سائر لغات الأمم وإن كان ذلك لا ينفعه إن لم يبين معنى هذا اللفظ **العربي** في لغة **العرب** ومن المعلوم أن هذا لم يقله أحد من أهل العلم بالنصوص الشرعية واللغة **العربية** فصار ذلك افتراءا على النصوص واللغة

الوجه السابع أن يقال اسم الجواد يقال على كثير من المخلوقين مع انتفاء هذه المعاني عنهم فلو كان هذا المعنى داخلا في هذه الاسم لم يصح إطلاقه على مخلوق إلا مجازا أو بطريق الاشتراك وكلاهما مع كونه خلاف الأصل إنما يكون إذا ثبت استعمال اللفظ في المعنى مجردا فكيف وأصل الاستعمال منتف

الوجه الثامن أن يقال المعروف في الشرع واللغة والعقل أن الذي يفعل أو يفيد ما ينبغي لا لمقصود أصلا عابث وإن كان لا لمقصود يعود إلى نفسه فهو سفيه أو جاهل وكلاهما مذموم في الشرع والعقل بل يستحق في الشرع أن يحجر عليه وهو من أسو المبذرين حالا فإن من المبذرين من يبذل المال لأغراض محرمة وإن كان فيها ما هو مقصود له فأما من يبذل ما ينبغي لا لمقصود أصلا فهذا إن كان موجودا فهو مذموم واسم الجود في الشرع واللغة والعقل اسم مدح فيستحيل أن يفسر بما لا يكون عند الناس إلا مذموما

بل يقال في الوجه التاسع هذا المسمى لا يعرف وجوده أصلا فليس في الموجودات ما يفيد وينفع لا لمقصود أصلا حتى الحركات الطبيعية لحركتها منتهى ومستقر هو منتهى ميلها ويسمى ميلها إرادة وقد جعلوهم عشقا لذاك الكمال وإذا ." (١)

" ٦ – ابن سحيم عن طلحة بن عبدالله بن كريز قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن الله جواد يحب الجود وقال أهل العلم الجواد في كلام **العرب** معناه الكثير العطاء يقال منه جاد الرجل يجود جودا فهو جواد قال أبو عمرو بن العلاء الجواد الكريم تقول **العرب** فرس جواد إذا كان غزير الجري ومطر جواد إذا كان غزيرا قال عنترة ... جادت عليها كل عين ثرة ... فتركن كل حديقة كالدرهم ...

وجاء في الحديث في وصفه المطر الذي استسقاه الرسول صلى الله عليه و سلم فما جاء أحد من جميع النواحي إلا أخبر بجود وفي حديث أبي هريرة الذي في صحيح مسلم في الثلاثة الذين يقضى الله عليهم يوم القيامة أولا ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/١٩١

فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب أن أنفق فيها إلا أنفقت فيها قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه في النار فهذا الحديث الصحيح يدل على أن قولهم جواد مثل قولهم كريم كما قال أبو عمرو فقد ثبت فيه بالنص وقول أهل اللغة إن المخلوق يسمى جوادا وإن كان إنما يفعل لمصلحة له وإنما يفعل بإرادته

الوجه الخامس عشر أن تسمية الرب سبحانه وتعالى جوادا وإن كان قد قيل هو بمعنى كونه كريما فالاسم الكريم يتناول معاني الجود فإن فيه معنى الشرف والسؤدد ومعنى الحلم وفيه معنى الإحسان ." (١)

" إن العلماء الذين أثنى الله عليهم في كتابه هم أهل المنطق مع علمه بأن أئمة الصحابة والتابعين وتابعيهم كانوا مرادين من هذا الخطاب قطعا بل هم أفضل من أريد به بعد الأنبياء وقد ماتوا قبل أن **تعرب** كتب اليونان بالكلية وإن أراد بذلك البرهان العقلي الذي لا يختص بإصلاح اليونان فلا اختصاص لهؤلاء بل الصحابة والتابعون أحذق منهم في المعقولات التي ينتفع بها في الإلهية بما لا نسبة بينهما

ثم العلماء الذين أثنى الله عليهم هم الذين شهدوا أنه لا إله إلا هو ومن المعلوم لكل من عرف أحوال الأمم أن أهل الملل أحق بهذا التوحيد من الصابئة الذين هم أجل من الفلاسفة ومن المشركين الذين منهم فلاسفة كثيرون بل كانت اليونان منهم والمسلمون وعلماؤهم بهذه الشهادة من الأولين والآخرين بل يقال لك نحن لا نعلم أن هؤلاء القوم كانوا يشهدون بهذه الوحدانية فإن الذي في الكتب المنقولة عنهم من التوحيد إنما مضمونه نفي الصفات كما تقوله الجهمية ومعلوم أن هذا ليس الشهادة بأنه لا إله إلا الله بل قد علم النبي صلى الله عليه و سلم أمته هذا التوحيد والقرآن مملوء منه ولم يقل لهم كلمة واحدة تتضمن نفي الصفات ولا قال ذلك أحد من الصحابة والتابعين وأئمة الدين مع العلم الضروري بأنهم كانوا أعلم بمعاني القرآن منا وإن ادعى مدع تقدمه في الفلسفة عليهم فلا يمكنه أن يدعى تقدمه في معرفة ما أريد به القرآن عليهم وهم الذين تعلموا من الرسول لفظه ومعناه وهم الذين أدوا ذلك إلى من يعدهم قال أبو عبدالرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن عثمان بن عفان و ." (٢)

"كتاب الله تعالى أنه دعا الناس فيها إلى التصديق بوجود الباري سبحانه وتعالى بأدلة عقلية منصوص عليها فيها مثل قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم الآية ومثل قوله تعالى أفي الله شك فاطر السموات والأرض إلى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا المعنى وليس لقائل أن يقول

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/١٩٦

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ١/٢٢٠

إنه لو كان ذلك واجبا على كل من آمن بالله تعالى أعني أن لا يصح إيمانه من قبل وقوعه عن هذه الأدلة لكان النبي صلى الله عليه و سلم لا يدعو أحدا إلى الإسلام إلا عرض عليه هذه الأدلة فإن **العرب** كلها كانت تعترف بوجود الباري سبحانه وتعالى وذلك قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ولا يمتنع أن يوجد من الناس من يبلغ به فدامة الطبع وبلادة القريحة ألا يفهم شيئا من الأدلة الشرعية التي نصبها الشارع صلى الله عليه و سلم للجمهور وهذا فهو أقل الوجود وإذا وجد ففرضه الإيمان ب الله من جهة السماع فهذه حال الحشوية مع ظاهر الشرع

ثم قال وأما الأشعرية فرأوا أن التصديق بوجود الله تعالى لا يكون إلا بالعقل لكن سلكوا في ذلك طرقا ليست هي الطرق الشرعية وساق الكلام كما ذكرنا عنه أولا

قلت مسمى الحشوية في لغة الناطقين به ليس اسما لطائفة معينة لها رئيس قال مقالة فاتبعته كالجهمية والكلابية والأشعرية ولا اسما لقول معين من قاله كان كذلك والطائفة إنما تتميز بذكر قولها أو بذكر رئيسها ولهذا كان المؤمنون متميزون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه و سلم فالقول الذي يدعون إليه هو كتاب الله والإمام الذي يوجبون اتباعه هو رسول الله صلى الله عليه و سلم ." (١)

" وطلب إلي أن أورد في كل شيء منها أوضح ما أعرفه من الدلالة وأقربها من الفهم ينتفع به من لا يرضى بالتقليد في ما يعتقده من أصول الدين وكان مع ذلك ممن لا يحب النظر في الكلام ولا يجرد القول على مذهب المتكلمين وذكر تمام الكلام وذكر عدة أصول من الاستدلال بخلق الإنسان والاستدلال بتركيب المتضادات وتأليفها والاستدلال بما في الوجود من الحكمة الغائية الذي يسميه ابن رشد دليل العناية الدال على الإرادة والرحمة والعناية الدالة على الصانع إلى أن قال

وطرق الاستدلال كثيرة إلا أنا أخترنا منها في الكتاب ما هو أقرب إلى الأفهام وأشبه بمذاهب السلف والعلماء وقد أنزل الله تعالى كتابه على رسوله صلى الله عليه و سلم وحاج به قومه وهم **عرب** ليسوا بفلاسفة ولا متكلمين وإنما خاصمهم بما يفهمه ألوا العقول الصحيحة ويستدركه ذووا الطباع السليمة وتشهد له المعارف وتجري به العادات القائمة فما قامت الحجة عليهم كان من الاستدلال على إثبات الصانع وحدوث العالم قال وقد أبى متكلمو زماننا هذا إلا الاستدلال بالأعراض وتعلقها بالجواهر وانقلابها فيها وزعموا أنه لا دلالة أقوى من ذلك ولا أصح منه ونحن إن كنا لا ننكر الاستدلال بهذا النوع من الدلالة فإن الذي أختاره ونؤثره هو ما قدمنا ذكره لأنه أدلة اعتبار وطريق السلف من علماء أمتنا وإنما سلك المتكلمون في

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢٤٢/١

الاستدلال بالأعراض مذهب الفلاسفة وأخذوه عنهم وفي الأعراض اختلاف كثير فمن الناس من ينكرها ول، يثبتها رأسا ومنهم من لا يفرق بينها وبين الجواهر في أنها قائمة بأنفسها كالجواهر والاستدلال لا يصح بها إلا بعد استبراء هذه الشبهة وطريقنا الذي سلكناه بريء من هذه الآفات سليم من هذه الريب ." (١)

" ومن قال مخلوق كافر وهذا من فخوخهم يصطادون به قلوب عوام أهل السنة وإنما اعتقادهم القرآن غير موجود لفظية الجهمية الذكور بمرة والأشعرية الإناث بعشرة مرات

وأولئك قالوا لا صفة وهؤلاء يقولون وجه يقال وجه النهار ووجه الأمر ووجه الحديث وعين لعين المتاع وسمع كأذن الجدار وبصر كما يقال جداراهما يتراءيان ويد ليد المنة والعطية والأصابع كما يقال خراسان هي أصبعي الأمير والقدمين كقولهم جعلت الخصومة تحت قدمي والقبضة كما قيل فلان في قبضتي أنا مالك أمره وقال الكرسي القلم والعرش الملك والضحك الرضا والاستواء الاستيلاء والنزول القرب والهرولة مثله فشبهوا من وجه وأنكروا من وجه وخالفوا السلف وتعدوا الظاهر وردوا الأصل ولم يثبتوا شيئا ولم يبقوا موجودا

ولم يفرقوا بين التفسير والعبارة بالألسنة فقالوا لا نفسرها نجريها عربية كما وردت وقد تأولوا تلك التأويلات الخبيثة أرادوا بهذه المخرقة أن يكون عوام المسلمين أبعد عيابا عنها وأعيا ذهابا منها ليكونوا أوحش عند ذكرها وأشمش عند سماعها وكذبوا بل التفسير أن يقال وجه ثم لا يقال كيف وليس كيف في هذا الباب من مقال المسلمين فأما العبارة فقد قال الله وقالت اليهود يد الله مغلولة وإنما قالوها بالعبرانية وكان يكتب رسول الله صلى الله عليه و سلم كتبا بالعربية فيها أسماء الله وصفاته فيعبر بالألسنة عنها ويكتب إليه بالسريانية فيعبره له زيد بن ثابت رضي الله عنه بالعربية والله تعالى يدعي بكل لسان باسمه فيجيب ويحلف بها فيلزم وينشد فيجاز ويوصف فيعرف ." (٢)

" والبهائم والحبوب والثمار وأفراد الأطعمة والأشربة واللباس ونحو ذلك فإنما يسميه الفقهاء ونحوهم جنسا واحدا أو هو ماله اسم جامع يجمع أنواعا يميز بينها بالصفات كالحنطة والثمر والإنسان والفرس وهو الذي يسميه المنطقيون النوع وما هو أخص من ذلك وإن كان قد يسمى أيضا جنسا أو صنفا أو نوعا كالعربي والعبري والفارسي والرومي وكالتمر البرني والمعقلي ونحو ذلك لا ريب أن الإنسان لم يحس جميع أعيانه وأفراده وإنما يعلم غائبها بالقياس على شاهدها فهذا أصل متفق عليه بين العقلاء

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/٢٥٠

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ١/٢٧٢

ومن حكى من أهل الكلام أن من الأمم أمة لا تقر بشيء من المعقولات وإنما تقر بما أحسته ويذكرون ذلك عن البراهمة السمنية فلا ريب أن هذا النقل وقع فيه غلط من هؤلاء وتغليط من أولئك وقد ذكر الإمام أحمد رحمه الله أصل هذا النقل لما ذكر مبدأ حدوث الجهمية في هذه الملة فقال وكان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله أنه كان من أهل خراسان من الترمذ وكان صاحب خصومات وكلام وكان أكثر كلامه في الله تعالى فلقي ناسا من المشركين يقال لهم السمنية فعرفوا الجهم فقالوا له نكلمك فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك فكان مما كلموا به الجهم أن قالوا له ألست تزعم أنه لك إلاها قال الجهم نعم فقالوا له هل رأيت إلهك قال لا قالوا فهل سمعت كلامه قال لا قالوا فشممت له رائحة قال لا قالوا فوجدت له حسا قال لا قالوا فوجدت له مجسا قال لا قالوا فما يدريك أنه إله فتحير الجهم فلم يدر من يعبد أربعين يوما ثم إنه استدرك حجة مثل حجة الزنادقة من النصارى وذلك أن زنادقة النصارى يزعمون أن الروح التي في عيسى صلى الله على نبينا وعليه هي من روح الله تعالى ومن ذات الله تعالى فإذا أراد أن يحدث أمرا دخل في بعض خلقه فتكلم على لسان ." (١)

" لهم كذلك فمن قال إن أمة من الأمم عاشت بدون هذه العلوم والأقوال كمن قال إنها عاشت بدون هذه الحياة وهذه الأفعال

ولكن اشتبه النوع بالشخص فلما كان قولهم إنما لا يعرف بجنس الحواس لم يعترف به اشتبه ذلك بأن كل من لا يعرف هذا الجنس المعين لم يعترف به وبين القولين بون عظيم جدا فإن هذا الثاني في غاية الجحد والتكذيب ولهذا اشتد إنكار الناس كلهم لهذا القول وجعل هؤلاء المتكلمين هذا أحد أنواع السفسطة

ولكن غلطهم في تفصيل السفسطة كغلطهم في جملتها فإنهم ذكروا أن من الناس من ينكر جملة العلوم ويجحدها ومنهم من يشك ويقول لا أدري ويسمونهم المتجاهلة واللاأدرية ومنهم من يقول إن الحقائق تتبع العقائد ثم قالوا منهم من يعترف بالحسيات فقط ومنهم من يضم إلى ذلك المتواترات ويقولون إن رئيس هؤلاء شخص يقال له سفسطاء نسبوا إليه كما نسبت المانوية والجهمية إلى رئيسهم وهذا غلط فإن أمة من الأمم لا يتصور أن تنكر ذلك ولا يتصور أن عاقلا يصر على إنكار ذلك ولكن قد يعرض للعقل نوع من الفساد كما يعرض للحس فينكر المنكر لذلك ما دام به ذلك المرض والآفة العارضة لعقله أو حسه أما أن يكون ذلك مقالة ومذهبا يقولها طائفة عقلاء يعيشون بين بني آدم فهذا لا يتصور ولكن وقع اشتباه في هذا

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٣١٨/١

النقل فإن هذه الكلمة هي كلمة **معربة** وأصلها باليونانية سوفسقيا أي حكمة مموهة فإن سوفيا باليونانية هي الحكمة ولهذا يقولون فيلسوف أي محب الحكمة

وهم قسموا الحكمة القياسية إلى خمس أنواع برهانية وخطابية وجدلية وشعرية ومموهة ومغلطية فهذه المموهة المغلطية هي التي تشبه ." (١)

" الحق وتوهم أنها حق باطلة قطعا لا يجوز أن يظن صدقها ولا أن تتأثر النفس عنها فإن الشعرية قد تتأثر النفس عنها كما يتأثر الإنسان عن أقوال الشعر التي فيها من المدح والذم ما يجزم عقله بكذبه لكن لما فيها من التخيل والتشبيه يؤثر في النفس وإن علم أنها ليست مطابقة وأما هذه المموهة فهي تشبه الحق البرهاني ونحوه مما ينبغي قبوله وهي في الحقيقة باطلة يجب ردها ولكن موهت كما يموه الحق بالباطل فسموها سوفسقيا أي حكمة مموهة

ثم إنه لما **عربت** الكتب اليونانية في حدود المأة الثانية وقبل ذلك وبعد ذلك وأخذها أهل الكلام وتصرفوا فيها من أنواع الباطل في الأمور الإلهية ما ضل به كثير منهم وفيها من أمور الطب والحساب مالا يضر كونه في ذلك وصار الناس فيها أشتاتا قوم يقبلونها وقوم يحلون ما فيها وقوم يعرضون ما فيها على أصولهم وقواعدهم فيقبلون ما وافق ذلك دون ما خالفه وقوم يعرضونها على ما جاءت به الرسل من الكتاب والحكمة وحصل بسبب تعريبها أنواع من الفساد والاضطراب مضموما إلى ما حصل من التقصير والتفريط في معرفة ما جاءت به الرسل من الكتاب والحكمة حتى صار ما مدح من الكتاب والسنة من مسمى الحكمة يظن كثير من الناس أنه حكمة هذه الأمة أو نحوها من الأمم كالهند وغيرهم ولم يعلموا أن اسم الحكمة مثل اسم العلم والعقل والمعرفة والدين والحق والباطل والخير والصدق والمحبة ونحو ذلك من الأسماء التي اتفق بنو آدم على استحسان مسمياتها ومدحها وإنما تنازعوا في تحقيق مناطها وتغيير مسمياتها فإن كل أمة من أهل الكتب وغير أهل الكتب تسمي بهذه الأسماء ما هو عندها كذلك من القول والعمل وإن كانت في كثير من ذلك أو أكثره إن تتبع إلا الظن ." (٢)

" وما تهوى الأنفس ولهذا قال تعالى وتقدس كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه فإنما يفصل النزاع بين الآدميين كتاب منزل من السماء ولهذا أمر الله تعالى المؤمنين عند تنازعهم بالرد إليه كما قال تعالى وتقدس يا أيها الذين آمنوا

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٣٢٢/١

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٣٢٣/١

أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا وهذا ونحوه مبسوط في غير هذا الموضع

وإنما المقصود هنا أن الناقلين للمقالات وأهل الجدل صاروا يعيرون باللفظة **المعربة** من سوفسقيا وهي سوفسطا عن هذا المعنى الذي يتضمن إنكار الحق وتمويهه بالباطل وظن من ظن أن هذا قول ومذهب عام لطائفة في كل حق وليس الأمر كذلك وإنما هو عارض لبني آدم في كثير من أمورهم فكل من جحد حقا معلوما وموه ذلك بباطل فهو مسفسط في هذا الموضع وإن كان مقرا بأمور أخرى وهو معاند سوفسطائي إذا علم ما أنكره قال تعالى وتقدس وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فهؤلاء سفسطائيون في هذا الجحود وإن كانوا مقرين بأمور أخرى وقال تعالى وتقدس فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولهذا كان جمهور من كذب بالحق الذي بعث به رسله من ذوي التميز هم من الجاحدين المعاندين وهم من شر السوفسطائين

فهكذا ما ذكروه عن السمنية إنما كان أصل قولهم أن الموجود لا بد أن يمكن أن يكون محسوسا بإحدى الحواس لا أنه لا بد لمن أقر به أن يحس به ." (١)

" ويبصر وقال الله تعالى يعلم السر وأخفى وقال إنني معكما أسمع وأرى وقال أبو عبدالله فمن دفع كتاب الله ورده والأخبار عن رسول الله صلى الله عليه و سلم واخترع مقالة من نفسه وتأول رأيه فقد خسر خسرانا مبينا وسمعت أبا عبدالله يقول من قال إن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر وكذب بالقرآن ورد على الله أمره يستتاب فإن تاب وإلا قتل وروى عن يعقوب بن بختان أنه سمع أبا عبدالله يقول صارت حجتهم كفرا صراحا يقولون إن الله تبارك وتعالى لا يرى في الآخرة وسمعته يقول كفرهم ضروب وعن حنبل سمعت أبا عبدالله يقول إن الله لا يرى في الدنيا ويرى في الآخرة فثبت في القرآن وفي السنة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم والصحابة والتابعين

وقال الإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد في نقضه على الجهمي المريسي العنيد فيما افترى على الله تعالى في التوحيد ثم انتدب المريسي الضال لرد ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في الرؤية في قوله عليه السلام إنكم سترون ربكم يوم القيامة لا تضامون في رؤيته كما لا تضامون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر فأقر الجاهل بالحديث وصححه وثبت روايته عن النبي صلى الله عليه و سلم ثم تلطف لرده وإبطاله بأقبح تأويل وأسمج تفسير ولو قد رد الحديث أصلا كان أعذر له من تفاسيره هذه المقلوبة التي لا

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/٣٢٤

يوافقه عليها أحد من أهل العلم ولا من أهل العربية فادعى الجاهل أن تفسير قول رسول الله صلى الله عليه و سلم إنكم سترون ربكم لا تضامون في رؤيته تعلمون أن لكم ربا لا تشكون فيه كما لا تشكون في القمر أنه قمر لا على أن أبصار المؤمنين تدركه جهرة يوم القيامة لأنه نفى ذلك عن نفسه بقوله لا تدركه الأبصار قال وليس على معنى المشبهة فقوله ترون ربكم تعلمون أن لكم ربا لا تعتريكم فيه الشكوك والريب ألا ترون أن الأعمى يجوز أن يقال ما أبصره أي ما أعلمه وهو لا يبصر شيئا ويجوز أن يقول الرجل نظرت في المسألة ." (١)

" والعلم والبيان وهو أشبه بكلام جهال القصاص والمغالطين من كلام العلماء المجادلين بالحق وما أحسن ما قال الإمام أحمد رحمه الله في بشر المريسي إمام الجهمية قال كان صاحب خطب لم يكن صاحب حجج بل هذا الكلام دون كلام أهل الخطب والحجج

الثاني أن يقال له ألم يكن في أثارة الأنبياء والمرسلين ما يستغنى به في أعظم المطالب وأشرف المعارف عن ما يروى عن معلم المبدلة من الضالين الذين انتقلوا عن الحنيفية الثابتة بالعقل والدين وهو رأس هؤلاء الدهرية ثم هذا الكلام لم تعلم أنه ثابت عنه وإنما قلت بما يروى عنه فهو منقطع هؤلاء الصابئة المبدلين

الثالث أنه لو نقل واحد في هذا الباب شيئا من الإسرائيليات عن المتقدمين لم تقم به حجة إن لم يكن ذلك ثابتا بنقل نبينا محمد صلى الله عليه و سلم عنهم وأما يذكره لنا أهل الكتابين ومن أسلم منهم عن الأنبياء المتقدمين فليس لنا تصديقه ولا تكذيبه إن لم يكن فيما علمناه ما يدل على صدقه أو كذبه كما في صحيح البخاري عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا الآية وفي سنن أبي داود عن ابن أبي تميلة الأنصاري عن أبيه أنه بينما هو جالس عند رسول الله صلى الله عليه و سلم وعنده رجل من اليهود مر بجنازة فقال يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة فقال النبي صلى الله عليه و سلم الله أعلم قال اليهودي إنها تتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ." (٢)

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/٣٥٠

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ١/٣٧٠

" وقولوا آمنا بالله ورسله فإن كان باطلا لم تصدقوه وإن كان حقا لم تكذبوه وروى البخاري أيضا عن الزهري عن عبدالله بن عبدالله بن عتبة أن ابن عباس قال كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسوله أحدث الكتب عهدا بالرحمن تقرؤونه محضا لم يشب وقد أخبركم ربكم أن أهل الكتاب بدلوا كلام الله وغيروه وكتبوا بأيديهم وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ألا نهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم لا والله ما رأينا أحدا منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم وروى البخاري أيضا عن الزهري أخبرني حميد بن عبدالرحمن سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار فقال إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلوا عليه الكذب

فإذا كان أهل الكتاب الذي أنزله الله تعالى والذي وجب علينا أن نؤمن بما فيه ولهذا قال النبي صلى الله عليه و سلم و قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم الآية وقال قولوا آمنا بالله ورسله إذا رووا لنا شيئا من ذلك لم نصدقه إن لم نعلم من غير ذلك أنهم صادقون وهم يقرؤون ذلك بلسان الأنبياء ثم يترجمون لنا **بالعربية**

فهؤلاء الذين قرؤوا كتب الصابئة من الفلاسفة وغيرهم بلغتهم اليونانية وغيرها ثم ترجموها **بالعربية** كيف نقبل ذلك منهم والمنقول عنهم ليسوا أنبياء ولا ممن يصدقون لو شافهونا إذ كان من علماء أهل الكتابين لم يقبل ما يقولونه فكيف وهم من الصابئة المتكلمين في العلم الإلهي بما يخالف ما جاءت به الرسل عليهم السلام وهم أشد تبديلا وتغييرا من أهل الكتابين بشيء كثير فكيف في كلام مرسل لم يوجد في كتبهم وإنما نقل عنهم مطلقا ." (١)

" المنزلة وهؤلاء بدلوا وغيروا فطرة الله وشرعته خلقه وأمره وأفسدوا اعتقادات الناس وإراداتهم إدراكاتهم وحركاتهم قولهم وعملهم من هذا وهذا كما بدل الذين ظلموا من بني إسرائيل القول الذي أمروا به والعمل الذي أمروا به ففي الصحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم إنه قيل لهم ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فدخلوا الباب يزحفون على أستاههم وقالوا حبة في شعرة

وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن مبدأ التجهم في هذه الأمة كان أصله من المشركين ومبدلة الصابئين من الهند واليونان وكان من مبدلة أهل الكتاب من اليهود وأن الجعد بن دهم ثم الجهم بن صفوان ومن اتبعهما أخذوا ذلك عنهم

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٣٧١/١

وأنه بعد ذلك أواخر المائة الثانية وقبلها وبعدها اجتلبت كتب اليونان وغيرهم من الروم من بلاد النصارى وعربت وانتشر مذهب مبدلة الصابئة مثل آرسطو وذويه ظهر في ذلك الزمان الخرمية وهم أول القرامطة الباطنية الذين كانوا في الباطن يأخذون بعض دين الصابئين المبدلين وبعض دين المجوس كما أخذوا عن هؤلاء كلامهم في العقل والنفس وأخذوا عن هؤلاء كلامهم في النور والظلمة وكسوا ذلك عبارات وتصرفوا فيه وأخرجوه إلى المسلمين وكان من القرامطة الباطنية في الإسلام ما كان وهم كانوا يميلون كثيرا إلى طريقة الصابئة المبدلين وفي زمنهم صنفت رسائل إخوان الصفا وذكر ابن سينا أن أباه كان من أهل دعوتهم من أهل دعوة المصريين منهم وكانوا إذ ذاك قد ملكوا مصر وغلبوا عليها قال ابن سينا وبسبب ذلك اشتغلت في الفلسفة لكونهم كانوا يرونها وظهر في غير هؤلاء من التجهم ما ظهر وظهر بذلك تصديق ما أخبر به النبي صلى الله عليه و سلم كما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب ." (١)

" لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون شبرا بشبر وذراعا بذراع فقيل يا رسول الله كفارس والروم قال فمن الناس إلا أولئك

ومعلوم أن أهل الكتاب أقرب إلى المسلمين من المجوس والصابئين والمشركين فكان أول ما ظهر من البدع فيه شبه من اليهود والنصارى والنبوة كل ما ظهر نورها انطفت البدع وهي في أول الأمر كانت أعظم ظهورا فكان إنما يظهر من البدع ما كان أخف من غيره كما ظهر في أواخر عصر الخلفاء الراشدين بدعة الخوارج والتشيع ثم في أواخر عصر الصحابة ظهرت القدرية والمرجئة ثم بعد انقراض أكابر التابعين ظهرت الجهمية ثم لما عربت كتب الفرس والروم ظهر التشبه بفارس والروم وكتب الهند انتقلت بتوسط الفرس إلى المسلمين وكتب اليونان انتقلت بتوسط الروم إلى المسلمين فظهرت الملاحدة الباطنية الذين ركبوا مذهبهم من قول المجوس واليونان مع ما أظهروه من التشيع وكانت قرامطة البحرين أعظم تعطيلا وكفرا كفرهم من جنس كفر فرعون بل شر منه

الوجه السابع أن يقال هذه الوصية مخالفة لما بعث الله تعالى به رسله وأن يقروهم على فطرتهم التي فطروا عليها وبذلك جاءتهم الرسل لم يأمروهم باستحداث فطرة غير الفطرة التي فطروا عليها ولا بتغيير تلك

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٣٧٤/١

الفطرة كما أمرهم هؤلاء المبدلون لفطرة الله تعالى وكتبه والله سبحانه وتعالى قد فطر عباده على الإقرار به وعبادته وحده قال تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله ." (١)

" نؤمن أن الله تعالى على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف أو يحده أحد قال فقد أطلق القول في ذلك من غير كيفية الاستواء وقد علق القول في موضع آخر فقال في رواية المروذي يروى عن ابن المبارك أنه قيل له كيف نعرف الله تعالى قال على العرش بحد قال قد بلغني ذلك وأعجبه قال القاضي وهذا محمول على أن الحد راجع إلى العرش لا إلى الذات ولا إلى الاستواء وقصد أن يبين أن العرش مع عظمته محدود

قلت وهذا الذي قاله القاضي في الاستواء هنا هو الذي يقوله أئمة الأشعرية المتقدمين وهو قريب من قول أبي محمد ابن كلاب وأبي العباس القلانسي وغيرهم من أهل الحديث والفقه ولهذا قال خلافا لمن قال من المعتزلة معناه الاستيلاء والغلبة وخلافا لمن قال من الأشعرية معناه العلو من طريق الرتبة والمنزلة والعظمة والقدرة وهذا قول بعض الأشعرية لا أئمتهم المتقدمون قال وخلافا للكرامية والمجسمة معناه المماسة للعرش بالجلوس عليه ثم أنه قال في الحجة والذي بين صحة ما ذكرنا أنه مقالة السلف من أهل اللغة وغيرهم فذكر ابن قتيبة في كتاب مختلف الحديث الرحمن على العرش استوى استقر كما قال الله تعالى فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك أي استقررت وذكر ابن بطة عن ابن الإعرابي قال أرادني ابن أبي داود أن أطلب في بعض لغات العرب ومعانيها الرحمن على العرش استولى فقلت والله ما يكون هذا ." (٢)

" الواجبات و أكبر القربات كيف يصلح أن يعيبهم بعض المرتدين إلى المشركين بأنهم يوافقون المشركين على أصل الشرك وهؤلاء لا يؤمنون بالله وبما أنزل إلى انبيائه وما أشبه حال هؤلاء بقوله تعالى قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلى قوله عن سواء السبيل فإن هؤلاء النفاة الجهمية منهم من عبد الطاغوت وأمر بعبادته ثم هؤلاء يعيبون من آمن بالله ورسوله

يوضح ذلك أن هذا الرازي اعتمد في الإشراك وعبادة الأوثان على مثل تنكلوا شاه البابلي ومثل طمطم الهندي ومثل ابن وحشية أحد مردة المتكلمين بالعربية ومعلوم أن الكلدانيين والكشدانيين من أهل بابل وغيرهم أتباع نمرود بن كنعان البابلي وغيره وأهل الهند هم أعظم الأمم شركا وهم اعداء إبراهيم الخليل

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٣٧٥/١

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٤٣٤/١

إمام الحنفاء فكيف يكون أتباع هؤلاء المشركين أعداء إبراهيم الخليل عليه السلام معيرين بأتباع المشركين لأهل الملة الحنفية الذين اتبعوا إبراهيم وآل إبراهيم في إثبات صفات الله وأسمائه وعبادته فإن هؤلاء الجهمية ينكرون حقيقة خلة الله تعالى وتكليمه كما أنكره سلفهم أعداء الخليل وأعداء الكليم

وأول من أظهر في الإسلام التجهم وهذا المذهب الذي نصره الرازي وأبو معشر ونحوها هو الجعد بن درهم أنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولا كلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل فذبحه ." (١)

" يأأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعلمون عليم وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فأتقون

ولم يحدث في أهل الكتب وأتباع الرسل من **العرب** وبني إسرائيل وغيرهم شرك إلا مأخوذ من غير أهل الكتاب كما ابتدع عمرو بن لحي بن قميئة سيد خزاعة الشرك في **العرب** الذين كانوا على ملة إبراهيم إمام الحنفاء ابتدعه لهم بأوثان نقلها من الشام من البلقاء التي كانت إذ ذاك دار الصابئة المشركين سلف أبي معشر وذويه وكذلك بنو إسرائيل عبد منهم الأوثان كما ذكر الله ذلك في كتابه تعالى وتقدس وإنما حدث فيهم هذا من جيرانهم الصابئة المشركين سلف أبي معشر وذويه فإذا كان أصل المذهب الذي سموه مذهب التشبيه لا يعرف إلا عن من هو من أهل كتاب منزل من السماء وأهل الكتب لم يكونوا هم نواهم الذين ابتدعوا الشرك أولا علم أن الشرك لم يبتدعه أولا القوم الذين سماهم أهل التشبيه

الوجه الثامن أنه إذا كان الإشراك متضمنا لما سماه تشبيها فمن المعلوم أن المرسلين كلهم ليس فيهم من تكلم بنقيض هذا المذهب ولا نهى الناس عن هذا الذي سماه تشبيها فليس في القرآن عن محمد صلى الله عليه و سلم ولا عن المرسلين المتقدمين ولا في التوراة والأنجيل وغيرهما من الكتب ولا في الأحاديث المأثورة عن أحد من المرسلين أنهم نهوا المشركين أو غيرهم أن يقولوا إن الله تعالى فوق السموات أو فوق العرش أو فوق العالم أو أن يصفوه بالصفات الخبرية التي يسميها هؤلاء تشبيها بل ولا عنهم حرف واحد بأن الله ليس ." (٢)

" بداخل العالم ولا خارجه ولا يشار إليه ولا ليس بجسم ولا جوهر ولا متحيز ولا نحو ذلك فإن كان الشرك متضمنا لما سموه تشبيها والرسل لم تنه عما سموه تشبها ولا ذموه ولا أنكروه ولا تكلموا بما هو عند

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/٤٤٨

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ١/٤٥٤

هؤلاء توحيد وتنزيه ينافي هذا التشبيه عندهم أصلا ثبت أن المرسلين صلوات الله عليهم وسلامه كلهم كانوا مقررين لهذا الذي سموه تشبيها وذلك يقتضي أنه حق فهذا النقل الذي نقله أبو معشر واحتج به الرازي إن كان حقا فهو من أعظم الحجج على صحة مذهب خصومهم الذين سموهم مشبهة وإن لم يكن حقا فهو كذب فهم إما كاذبون مفترون وأما مخصومون مغلوبون كاذبون مفترون في نفس المذهب الذي انتصروا عليه

الوجه التاسع أن الشرك كان فاشيا في العرب ولم يعلم أحد منهم كان يعتقد أن الوثن على صورة الله وقبلهم كان في أمم كثيرة وله أسباب معروفة مثل جعل الأوثان صورا لمن يعظمونه من الأنبياء والصالحين وطلاسم لما يعبدونه من الملائكة والنجوم ونحو ذلك ولم يعرف عن أحد من هؤلاء المشركين أنه اعتقد أن هذا الوثن صورة الله والشرك في أيام الاسلام ما زال بأرض الهند والترك فاشيا والهند فلاسفة وهم من أعظم سلف أبي معشر ومع هذا فليس في الهند والترك من يقول هذا فعلم أن هذا أول مفترى

الوجه العاشر لو كان هذا من أسباب الشرك فمن المعلوم أن غيره من أسباب الشرك أعظم وأكثر وأن الشرك في غير هؤلاء الذي سماهم مشبهة أكثر فإن كان الشرك في بعض مثبتة هذه الصفات عيبا فالشرك في غيرهم أكثر وأكثر كان الطعن والعيب على نفاة الصفات بما يوجد فيهم من الشرك أعظم وأكبر ." (١)

" وكذلك قال أبو الوفاء ابن عقيل في باب نفي التشبيه وهو سبحانه غير مشبه بالأشياء فليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا على صفة من صفات الموجودات قال سبحانه ليس كمثله شئ معناه ليس مثله شئ والكاف زائدة والدلالة على أنه ليس بجسيم ولا مشبه للأشياء أنه لو كان جسما لكان مؤلفا لأن حقيقة الجسم هو المؤلف ولهذا أدخلت عليه العرب التزايد فيقال هذا أجسم ويراد به أكثر أجساما وأكبر جثة ولو كان مؤلفا لأحتاج إلى مؤلف كما احتاجت سائر الأجسام ويجاز عليه ما يجوز عليها من التجزي والانقسام والتفكك والالتآم ولو جوزنا قدم غائب مع كونه جسما لاقتبسنا العلم بحدث هذا الجسم الحاضر حدث الغائب ولأن المشبه للشئ ما سد مسده وقام مقامه فلو أشبه هذه الأشياء الموجودة أو أشياء منها لسد مسده وقام مقامه في القدم والأحداث والصفة والاختراع إلى غير ذلك من صفات القديم سبحانه ولأنه لو كان يشبهها من وجه من الوجوه لأحتاج إلى ما احتاجت إليه من الأمكنة لوجود قدم الكائنات وفي وفي ذلك إما قدم العالم أو حدث القديم وكلاهما محال فما أدى إليه محال

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/٤٥٥

قلت وطائفة أخرى تجعل قول النصارى في الأقانيم بمعنى الأجزاء والأبعاض لكن ليس في نقلهم أنهم يوجبون كون الولادة انفصال جزء عن غيره كما يذكر الأولون قال أبو عبد الله بن الهيصم الفصل الرابع وأما القول في أنه أحدي الذات فإن النصارى زعمت أن الله جل عن قولهم أقانيم ثلاثة رب واحد وفسر بعضهم الأقانيم بأنها الأشخاص وقال بعضهم إنها الخواص قال وقال أهل التوحيد إن الله واحد في ذاته ليس بذي أقانيم ولا أبعاض واحتجت النصارى بأنكم قد وافقتمونا على أن الله عز ذكره قد كان لم يزل وله حياة وكلام وذلك ما أردناه بقولنا أقانيم ثلاثة ." (١)

" وهذه حال مشركي **العرب** الذين بعث الرسول إليهم ابتداءا وأنزل القرآن ببيان شركهم ودعاهم إلى توحيد الله وإخلاص الدين له فإنهم كانوا يقرون بإن الله وحده هو الذي خلق السموات والأرض كما أخبر الله بذلك عنهم في القرآن كما في قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله وفي قوله قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون وقال تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون قال ابن عباس تسألهم من خلق السموات والأرض فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره فهذا الشرك المذكور في القرآن في مواضع كثيرة المضاد للإخلاص والتوحيد كما في حديث جابر وابن عمر وسعد وغيرهم وقد بسطنا الكلام في هذا في غير الموضع

والتوحيد الذي جاء به الرسول يتناول التوحيد في العلم والقول وهو وصفه بما يوجب أنه في نفسه أحد صمد لا يتبعض ويتفرق فيكون شيئين وهو واحد متصف بصفات تختص به ليس له فيها شبيه ولا كفؤ

والتوحيد في الإدارة والعمل وهو عبادته وحده لا شريك له وقد أنزل الله سورتي الإخلاص قل يا أيها الكافرون و قل هو الله أحد الواحدة في توحيد العمل ولهذا كان القول فيها لا أعبد ما تعبدون وهي جملة إنشائية فعلية والأخرى في توحيد العلم وهي قوله قل هو الله أحد وبهذا كان ." (٢)

" وأما الشرك الذي في النصارى فإنما ابتدعوه تشبها بأولئك فكان فيهم قليل من شرك أولئك قال تعالى وقالت اليهود عزير ابن عبد الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٤٧٢/١

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٤٧٩/١

الذين كفروا من قبل كالذين قالوا الملائكة أولاد الله كما يقوله هؤلاء المتفلسفة الصابئون فإنهم كانوا قبل النصارى

قلت وأما التوحيد الذي يذكر عن الفلاسفة من نفي الصفات فهو مثل تسمية المعتزلة لما يقولونه توحيدا وهذا في التحقيق تعطيل مستلزم للتمثيل والإشراك وأما النصارى فهم لا يقولون إن ثم إلهين متباينين بل يقولون قولا متناقضا حيث يجعلون الثلاثة واحدا ويجعلون الواحد هو المتحد بالمسيح دون غيره مع عدم إمكان تحيز واحد عن غيره وهذا الكفر دون كفر الفلاسفة بكثير وتكلمت في ذلك بكلام بعد عهدي به وفساد هذا وتناقضه أعظم حتى لقد قال عبد الله بن المبارك إنا لنحكي قول اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية

وهذا يتبين بما نقوله وهو أن ما فسر به هؤلاء اسم الواحد من هذه التفاسير التي لا أصل لها في الكتاب والسنة وكلام السلف والأئمة باطل بلا ريب شرعا وعقلا ولغة

أما في اللغة فإن أهل اللغة مطبقون على أن معنى الواحد في اللغة ليس هو الذي لا يتميز جانب منه عن جانب ولا يرى منه شئ دون شيء إذ القرآن ونحوه من الكلام **العربي** متطابق على ما هو معلوم بالأضرار في لغة **العرب** وسائر اللغات أنهم يصفون كثيرا من المخلوقات بأنه واحد ويكون ذلك جسما إذ المخلوقات إما أجسام وإما أعراض عند من يجعلها غيرها وزائدة عليها ." (١)

" ما في الكتاب والسنة وخلاف لغة **العرب** قال الله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ومعلوم أن النفس الواحدة التي خلق منها زوجها هو آدم وحواء خلقت من ضلع آدم القصيراء من جسده خلقت لم تخلق من روحه حتى يقول القائل الوحدة هي باعتبار النفس الناطقة التي لا تركيب فيها وإذا كانت حواء خلقت من جسد آدم وجسد آدم جسم من الأجسام وقد سماها الله نفسا واحدة علم أن الجسم قد يوصف بالوحدة وأبلغ من ذلك ما ذكره الإمام أحمد وغيره من قوله ذذرني ومن خلقت وحيدا فإن الوحيد مبالغة في الواحد فإذا وصف البشر الواحد بأنه وحيد في صفة فأنه واحد أولى ومع هذا فهو جسم من الأجسام وقال تعالى يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف فوصف المرأة بأنها واحدة وهذا جسم موصوف بالوحدة حيث لم يكن لها نظير في كونه بنتا لهذا الميت وقال تعالى وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله وقال تعالى ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٤٨٢/١

خمرا الآيات وقال تعالى قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه والفرد والوتر من جنس لفظ الواحد وقد قال تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وقال تعالى ونرثه ما يقول ويأتينا فردا وقال تعالى فجاءت إحداهما تمشي على استحياء إلى قوله قالت يا أبت استأجره وقد قال تعالى بعثناهم ليتسألوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه وقال تعالى أيود أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا وقال تعالى واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين ." (١)

" إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة بعشر أمثالها الحديث وفيهما أنه قال يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا نام ثلاث عقد وفيهما أنه قال إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من اسفل منه وفيهما في حديث داود فذهب الذئب بابن إحداهما وفيهما أنه قال نعم ما لأحدهم يحسن عبادة ربه وينصح لسيده وفيهما إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وفي لفظ إذا أصبح أحدكم صائما وفيه فإن شاتمه أو قاتله أحد فليقل إني صائم وفيهما عن أبي هريرة اقتتلت امرأتان من هذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر وفيهما عنه صلى الله عليه و سلم قال لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد وفيهما عنه أنه قال إذا قال أحدكم آمين وقالت الملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه وفي مسلم إذا ثوب بالصلاة فلا يسعى إليها أحدكم وفي الصحيحين عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه و سلم قال لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو انفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال إذا قام أحدكم يصلي جاءه الشيطان فلبس عليه حتى لا يدري كم صلى فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس

الوجه الثاني أن الاستدلال بالقرآن إنما يكون على لغة العرب التي أنزل بها بل قد نزل بلغة قريش كما قال تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه وقال بلسان عربي مبين فليس لأحد يحمل ألفاظ القرآن على غير ذلك من عرف عام واصطلاح خاص بل لا يحمله إلا على معاني عنوها بها إما من المعنى اللغوي أو أعم أو مغايرا له لم يكن له أن يضع القرآن ." (٢)

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٤٨٨/١

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٤٩٢/١

" على ما وضعه هو بل يضع القرآن على مواضعه التي بينها الله لمن خاطبه بالقرآن بلغته ومتى فعل غير ذلك كان ذلك تحريفا للكلام عن مواضعه ومن المعلوم أنه ما من طائفة إلا وقد تصطلح على ألفاظ يتخاطبون بها كما أن من المتكلمين من يقول الأحد هو الذي لا ينقسم وكل جسم منقسم ويقول الجسم هو مطلق المتحيز القابل للقسمة حتى يدخل في ذلك الهواء وغيره لكن ليس له أن يحمل كلام الله وكلام رسوله إلا على اللغة التي كان النبي صلى الله عليه و سلم يخاطب بها أمته وهي لغة **العرب** عموما ولغة قريش خصوصا

ومن المعلوم المتواتر في اللغة الشائع بين الخاص والعام أنهم يقولون درهم واحد ودينار واحد ورجل واحد وامرأة واحدة وشجرة واحدة وقرية واحدة وثوب واحد وشهرة هذا عند أهل اللغة شهرة سائر ألفاظ العدد فيقولون رجل واحد ورجلان اثنان وثلاثة رجال وأربعة رجال وهذا من أظهر اللغة واشهرها وأعرفها فكيف يجوز أن يقال أن الوحدة لا يوصف بها شيء من الأجسام وعامة ما يوصف بالوحدة في لغة **العرب** إنما هو جسم من الأجسام وتحريف هؤلاء للفظ الواحد كتحريفهم للفظ المثل كما نذكره إن شاء الله

الوجه الثالث أن أهل اللغة قالوا إسم الأحد لم يجئ اسما في الإثبات إلا لله لكنه مستعمل في النفي والشرط والاستفهام كقوله تعالى في نفس السورة التي ذكرها ولم يكن له كفوا أحد وكقوله تعالى فليعما عملا صالحا ولا يشرك بعباده به أحد وقال وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قل إنما أدعوا ربي ولا أشرك به أحدا قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا وقال تعالى قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك ." (١)

" أحدا وينافي الوحدة لأن هناك عددا من الصفات والوحدة تنافي العدد ولذا احتج الجهمية المحضة بهذه الحجة كما ذكره الإمام أحمد وغيره وهذا المستدل ! هو ممن يثبت الصفات في الجملة ويقول بإثبات الصفات السبع من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة فإن كانت هذه الحجة صحيحة لزم إبطال مذهبه ذاك وإن كانت باطلة لزم بطلان هذا الاستدلال وما كان جوابه عن استدلال نفاة الصفات مطلقا بها كان جوابا لمنازعيه في إثبات العلو وما يتبعه بل ذلك يبطل استدلاله بذلك على المجسمة المحضة

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٤٩٣/١

الوجه الحادي عشر أن يقال أعظم الناس نفيا للصفات غلاة الفلاسفة والقرامطة وأئمتهم من المشركين الصابئين وغيرهم وهم لا بد إذا أثبتوا الصانع أن يثبتوا وجوده ويثبتوا أنه واجب الوجود غير ممكن الوجود وأن أبدع العالم سواء قالوا إنه علة أو والدا أو غير ذلك فمسمى الوجود إن كان هو مسمى الوجوب لزم أن يكون كل موجود واجبا بنفسه وهو خلاف المشهود بالإحساس وإن كان هذا المسمى ليس هذا المسمى ففيه معنيان وجود ووجوب ليس الوجوب مجرد عدم إذ هو توكيد الوجود والعدم المحض لا يؤكد بالوجود

فإن كان لفظ الأحد والواحد يمنع تعدد المعاني المفهومة الثبوتية بالكلية كما يزعم ابن سينا وذويه من مرتدة **العرب** المتبعين لمرتدة الصابئة إنه إذا كان واحدا من كل وجه فيه تعدد من جهة الصفة ولا من جهة القدر ويعبر عن ذلك بأنه ليس فيه أجزاء حد ولا أجزاء كم لزم أن يكون الوجوب والوجود والإبداع معنى واحد وهو معلوم الفساد بالبديهة وإن كان ." (١)

" وللناس اصطلاحات في المؤلف والمركب كما للنحاة اصطلاح فقد يعنون بذلك الجملة التامة وقد يعنون ما ركب تركيب مزج كبعلبك وقد يعنون به المضاف وما يشبهه وهو ما ينصب في النداء وللمنطقيين ونحوهم من أهل الكلام اصطلاحات آخر يعنون به ما دل جزؤه على جزء معناه فيدخل في ذلك المضاف إذا قصد به الإضافة دون العلمية ولا يدخل فيه بعلبك ونحوه ومنهم من يسوي بين المؤلف والمركب ومنهم من يفرق بينهما وهذا كله تأليف في الأقوال وأما التأليف في الأعيان فأولئك إذا قالوا أن الجسم هو المؤلف والمركب لا يعنو به ما كان مفترقا فاجتمع ولا ما يقبل التفريق بل يعنون به ما تميز منه جانب عن جانب كالشمس والقمر وغيرهما من الأجسام وأما المتفلسفة فالمؤلف والمركب عندهم أعم من هذا يدخلون في ذلك تأليفا عقليا لا يوجد في الأعيان ويدعون أن النوع تؤلف من الجنس والفصل فإذا قلت الإنسان حيوان ناطق قالوا إن الإنسان مؤلف من هذين وإنما هو موصوف بهما

وأما لفظ الجسم فإن الجسم عند أهل اللغة كما ذكره الأصمعي وأبو عبيد وغيرهما هو الجسد والبدن قال تعالى وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم وقال تعالى وزاده بسطة في العلم والجسم فهو يدل في اللغة على معنى الكثافة والغلظ كغلظ الجسد ثم يراد به نفس الغليظ وقد يراد به غلظه فيقال لهذا الثوب جسم أي غلظ وكثافة ويقال هذا أجسم من هذا أي أغلظ وأكثف ثم صار لفظ الجسم في اصطلاح أهل الكلام أعم من ذلك فيسمون الهواء وغيره من الأمور اللطيفة جسما وإن كانت **العرب** لا تسمى هذا جسما وبينهم نزاع فيما يسمى جسما هل هو مركب من الجواهر المنفردة التي لا يتميز منها

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/٥٠٠

شيء إما جواهر متناهية كما يقول النظام والتزم الطفرة المعروفة بطفرة النظام أو هو مركب من المادة والصورة كما يقوله من يقوله من المتفلسفة أو ليس مركبا لا من هذا ولا من هذا كما ." (١)

" الناس على أن من قال أنه جسم وأراد هذا المعنى فقد أصاب في المعنى لكن إنما يخطؤه في اللفظ أما من يقول الجسم هو المركب فيقول أخطأت استعملت لفظ الجسم في القائم بنفسه أو الموجود وأما من يقول بأن كل جسم مركب فيقول تسميتك لكل موجود أو قائم بنفسه جسما ليس هو موافقا للغة العرب المعروفة ولا تكلم بهذا اللفظ أحد من السلف والأئمة ولا قالوا أن الله جسم فأنت مخطئ في اللغة والشرع وإن كان المعنى الذي أردته صحيحا

قال الرازي وأما قوله الله الصمد فالصمد هو السيد المصمود إليه في الحوائج وذلك يدل على أنه ليس بجسم وعلى أنه غير مختص بالحيز والجهة أما بيان دلالته على نفي الجسمية فمن وجوه الأول إن كل جسم فهو مركب وكل مركب فهو محتاج إلى واحد من أجزائه وكل من أجزائه غيره فكل مركب فهو محتاج إلى غيره والمحتاج إلى الغير لا يكون غنيا فلم يكن صمدا مطلقا

قال الشيخ رحمه الله والاسم الصمد فيه للسلف أقوال متعددة قد يظن إنها مختلفة وليس كذلك بل كلها صواب والمشهور منها قولان أحدهما أن الصمد هو الذي لا جوف له والثاني أنه السيد الذي يصمد إليه في الحوائج والأول هو قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين وطائفة من أهل اللغة والثاني قول طائفة من السلف والخلف وجمهور اللغويين ." (٢)

" الثالث أنه تعالى لو كان جسما لكان كل جسم مشاركا له في تمام الماهية فالقول بكونه تعالى جسما يقتضي إثبات الشريك لله تعالى وذلك ينافي قوله وما أنا من المشركين فثبت بما ذكرناه أن العظماء من الأنبياء صلوات الله عليهم كانوا قاطعين بتنزيه الله تعالى وتقديسه عن الجسمية والجوهرية والجهة وبالله التوفيق

وقد ظن طائفة من الجهمية والمعتزلة وغيرهم أن مراده بقوله هذا ربي أن هذا خالق العالم وأنه استدل بالأفول وهو الحركة والانتقال على عدم ربوبيته وزعموا أن هذه الحجة هي الدالة على حدوث الأجسام وحدوث العالم وهذا غلط من وجوه

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/٥٠٥

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ١/٥١١

أحدها أن هذا القول لم يقله أحد من العقلاء لا من قوم إبراهيم ولا غيرهم ولا توهم أحدهم أم كوكبا أو القمر أو الشمس خلق هذا العالم وإنما كان قوم إبراهيم مشركين يعبدون هذه الكواكب زاعمين أن في ذلك جلب منفعة أو دفع مضرة على طريقة الكلدانيين والكشدانيين وغيرهم من المشركين أهل الهند وغيرهم وعلى طريقة هؤلاء صنف الكتاب الذي صنفه أبو عبد الله ابن الخطيب الرازي في السحر والطلمسات ودعوة الكواكب وهذا دين المشركين من الهند والخطا والنبط والكلدانيين والكشدانيين وغير هؤلاء ولهذا قال الخليل ياقوم أني برئ مما تشركون وقال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فأنهم عدو لي إلا رب العالمين وأمثال ذلك

وأيضا فالأفول في لغة العرب هو المغيب والاحتجاب ليس هو الحركة والانتقال ." (١)

" وأيضا فلو كان احتجاجه بالحركة والانتقال لم ينتظر إلى أن يغيب بل كان نفس الحركة التي يشاهدها من حين تطلع إلى أن تغيب الأفول

وأيضا فحركتها بعد المغيب والاحتجاج غير مشهودة ولا معلومة

وأيضا لو كان قوله هذا ربي هذا رب العالمين لكانت قصة إبراهيم عليه السلام حجة عليهم لأنه حينئذ لم تكن الحركة عنده مانعة من كونه رب العالمين وإنما المانع هو الأفول

وهو المخالفون لإبراهيم ولنبينا ولغيرهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك أن الله تعالى قال فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم أني برئ مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين فقد أخبر الله في كتابه أنه من حين بزغ الكواكب والقمر والشمس وإلى حين أفولها لم يقل الخليل لا أحب البازغين ولا المتحركين ولا المتحولين ولا أحب من تقوم به الحركات ولا الحوادث ولا قال شيئا مما يقوله النفاة حين أفل الكوكب والشمس والقمر والأفول باتفاق أهل اللغة والتفسير هو المغيب والاحتجاب بل هذا معلوم بالأضرار من لغة العرب التي نزل بها القرآن وهو المراد باتفاق العلماء فلم يقل إبراهيم لا أحب الآفلين إلا حين أفل وغاب عن الأبصار فلم يبق مرئيا ولا مشهودا فحينئذ قال

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١/٥٢٨

لا أحب الآفلين وهذا يقتضي أكونه متحركا منتقلا تقوم به الحوادث بل كونه جسما متحيزا تقوم به الحوادث لم يكن دليلا عند إبراهيم على نفي محبته ." (١)

" شأن المحرفين للكلم عن مواضعه وجاء بعدهم من جنس من زاد في التحريف فقال المراد بالكواكب والشمس والقمر هو النفس والعقل الفعال والعقل الأول وقد ذكر ذلك أبو حامد الغزالي في بعض كتبه وحكاه عن غيره في بعضها وقال هؤلاء الكواكب والشمس والقمر لا يخفى على عاقل إنها ليست رب العالمين بخلاف النفس والعقل ودلالة لفظ الكواكب والشمس والقمر على هذه المعاني لو كانت موجودة من عجائب تحريفات الملاحدة الباطنية كما يتأولون العمليات مع العمليات ويقولون الصلوات الخمس معرفة أسرارنا وصيام رمضان كتمان أسرارنا والحج هو الزيارة لشيوخنا المقدسين وفتح لهم هذا الباب الجهمية والرافضة حيث صار بعضهم يقول الإمام المبين علي بن أبي طالب والشجرة الملعونة في القرآن بنو أمية والبقرة المأمور بذبحها عائشة واللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين

قال الرازي الحجة الثانية من القرآن قوله تعالى ليس كمثله شيء ولو كان جسما لكان مثلا لسائر الأجسام في تمام الماهية لأنا سنبين إن شاء الله تعالى بالدلائل الباهرة أن الأجسام كلها متماثلة وذلك كالمناقض لهذا النص

قال الشيخ وكذلك إذا قالوا الموصوفات تتماثل والأجسام تتماثل والجواهر تتماثل وأرادوا أن يستدلوا بقوله تعالى ليس كمثله شيء على نفي مسمى هذه الأمور التي سموها بهذه الأسماء في اصطلاحهم الحادث كان هذا افتراءا على القرآن فأن هذا ليس هو المثل في لغة **العرب** ولا لغة القرآن ولا غيرهما قال تعالى وإن تتلوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ." (٢)

" فنفى مماثلة هؤلاء مع اتفاقهم في الإنسانية فكيف يقال إن لغة **العرب** توجب أن كل ما يشار إليه مثل كل ما يشار إليه وقال تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد فأخبر أنه لم يخلق مثلها في البلاد وكلاهما بلد فكيف يقال إن جسم فهو مثل لكل جسم في لغة **العرب** حتى يحمل على ذلك قوله ليس كمثله شيء وقد قال الشاعر ... ليس كمثل الفتى زهير ...

وقال ... ما إن كمثلهم في الناس من بشر ...

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٥٢٩/١

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٥٣٢/١

قال الرازي فإن قيل لم لا يجوز أن يقال أنه تعالى وإن كان أنه مخالف لغيره من الأجسام كما أن الإنسان والفرس وإن أشتركا في الجسمية لكنهما مختلفان في الأحوال والصفات ولا يجوز أن يقال الفرس مثل الإنسان فكذا هنا والجواب من جهتين

الأول إنا سنقيم الدلالة على أن الأجسام كلها متماثلة في تمام الماهية فلو كان تعالى جسما لكان ذاته مثلا لسائر الأجسام وذلك يخالف هذا النص والإنسان والفرس ذات كل واحد منهما مماثلة لذات الآخر والاختلاف إنما وقع في الصفات والأعراض والذاتان إذا كانتا متماثلتين لكان اختصاص كل واحدة منهما بصفاته المخصوصة من الجائزات لا من الواجبات لأن الأشياء المتماثلة في تمام الذات والماهية لا يجوز اختلافهم في اللوازم فلو كان الباري تعالى جسما لوجب أن يكون اختصاصه بصفاته المخصوصة من الجائزات ولو كان كذلك لزم افتقاره إلى المدبر والمخصص وذلك يبطل القول بكونه تعالى إله العالم ." (١)

" هذه الأشياء أجسام كبيرة والأبصار لا تحيط بأطرافها والعلوم لا تصل إلى تمام أجزائها ولو كان الأمر كذلك لما كان في تخصيص ذات الله تعالى بهذا الوصف فائدة

وأما احتجاج النفاة بقوله تعالى لا تدركه الأبصار فالآية حجة عليهم لا لهم لأن الإدراك أما أن يراد به مطلق الرؤية أو الروية المقيدة بالإحاطة والأول باطل لأنه ليس كل من رأى شيئا يقال إنه أدركه كما لا يقال أحاط به كما سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن ذلك فقال ألست ترى السماء قال بلى قال أكلها ترى قال لا ومن رأى جوانب الجيش أو الجبل أو البستان أو المدينة لا يقال أنه أدركها وإنما يقال أدركها إذا أحاط بها رؤية ونحن في هذا المقام ليس علينا بيان ذلك وإنما ذكرنا هذا بيانا لسند المنع بل المستدل بالآية عليه أن يبين إن الإدراك في لغة العرب مرادف للرؤية وأن كل من رأى شيئا يقال في لغتهم إنه أدركه وهذا لا سبيل إليه كيف وبين لفظ الرؤية ولفظ الإدراك عموم وخصوص فقد تقع رؤية بلا إدراك وقد يقع إدراك بلا رؤية أو اشتراك لفظي فإن الإدراك يستعمل في إدراك العلم وإدراك القدرة فقد يدرك الشيء بالقدرة وإن لم يشاهده كالأعمى الذي طلب رجلا هاربا فأدركه ولم يره وقد قال تعالى فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين فنفى موسى الإدراك مع إثبات الترائي فعلم أنه

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٥٣٣/١

قد يكون رؤية بلا إدراك والإدراك هنا هو إدراك القدرة إي ملحقون محاط بنا وإذا انتفى هذا الإدراك هنا هو إدراك القدرة إي ملحقون محاط بنا وإذا انتفى هذا الإدراك فقد تنتفي إحاطة البصر أيضا ." (١)

" هو بذاته فوق العرش وفي كل مكان كما ذكر ذلك الاشعري في المقالات عن زهير الاثري وابي معاذ التومنى واصحابهم فقال انهم يقولون ان الله بكل مكان وانه مع ذلك مستو على عرشه وانه يرى بالابصار بلا كيف وانه موجود الذات بكل مكان وانه ليس بجسم لا محدود ولا يجوز عليه الحلول والمماسة ويزعم انه يجيء يوم القيامة كما قال وجاء ربك وهذا في نفاة الجسم يشبه قول بعض مثبتة الجسم الذين يقولون انه لا نهاية له اذ الكلام قد يصف الموجود بصفة المعدوم ويشبه ذلك

واما عبادهم فلهم قصد وارادة فيمن يعبدونه والقصد لا يتوجه الى العدم المحض فلهذا كثيرا ما يجعلونه هو في كل مكان او يجعلونه هو الوجود كله والعامة هم الى هذا اقرب لانه لا تخرج القلوب ان تعبد شيئا موجودا وبنوا آدم قد اشركوا بالله فعبدوا ما شاء الله من المخلوقات فاذا ذكر لهم ما يقتضي عبادة كل شيء كما فعلته الاتحادية لم ينفروا عن هذا نفورهم عن ان تعطل قلوبهم من عبادة شيء من الاشياء بالكلية فهؤلاء يشركون شركا ظاهرا واما اولئك فالجحود المحض اغلب على قلوبهم ولهذا يوجد فيهم من الاستكبار عن العبادة وقسوة القلوب ما لا يوجد في الاخرين وكل واحد من الاستكبار والاشراك ينافي الاسلام الذي بعث الله به رسله وانزل به كتبه

فان الاسلام ان تعبد الله وحده لا شريك له فمن عبد الله وغيره فقد اشرك به كما كان مشركو **العرب** وغيرهم ومن امتنع عن عبادة الله كفرعون ونحوه فهو جاحد وهو اكفر من هؤلاء وان كان مشركا حيث له آلهة يعبدها ." (٢)

" ومن ذلك ان اليهود يغلب عليهم الاستكبار والقسوة فهم يعرفون الحق ولا يتبعونه وبذلك وصفهم الله في القرآن ومن فسد من اهل العلم والكلام كان فيه شبه منهم ولهذا يوجد في متكلمه الجهمية من المعتزلة ونحوهم شبه كثير حتى ان من احبار اليهود من يقرر الاصول الخمس التي للمعتزلة ويوجد فيهم من التكذيب بالقدر والصفات وتأويل ما في التوراة وغير ذلك ما فيه مضاهاة للمعتزلة

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٥٥٣/١

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٦/٢

واذا كان كذلك فينبغي ان يعلم ان الكلام في هذا الفصل مقصود لنفسه وفيه ينفصل اهل التوحيد من اهل الالحاد فان القول بان الله فوق العرش هو مما اتفقت عليه الانبياء كلهم وذكر في كل كتاب انزل على كل نبي ارسل وقد اتفق على ذلك سلف الامة وائمتها من جميع الطوائف وجميع

" ربك ذو الجلال والاكرام وان سألنا فقال تقولون ان لله عز و جل يدين قيل له نعم نقول ذلك لقوله سبحانه يد الله فوق ايديهم وروى عن النبي صلى الله عليه و سلم خلق آدم بيده وغرس شجرة طوبى بيده وقال سبحانه وتعالى بل يده مبسوطتان وجاء عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال كلتا يديه يمين وقال سبحانه لاخذنا منه باليمين وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة اهل الخطاب ان يقول القائل عملت كذا وكذا بيدي وهو يعني به النعمة واذا كان الله خاطب العرب بلغتها وما تجده مفهوما في كلامها ومعقولا في خطابها ولا يجوز ان يقول القائل لي عليه يدين يعني به نعمتين ومن دافعنا عن استعمال اللغة ولم يرجع الى اهل اللسان فيها ودفع ذلك ان تكون اليد بمعنى النعمة اذ كان لا يمكنه ان يتعلق في ان اليد نعمة الى من جهة اللغة فاذا دفع اللغة لزم ان لا يحتج بها وان لا يقرأ القرآن ولا يثبت اليد نعمة من قبلها لانه ان رجع في تفسير قوله بيدي يعنى نعمتي الى الاجماع فليس المسلمون على ما ادعاه من ذلك متفقين وان رجع الى اللغة ان يقول معنى نعمتي ان يقول القائل بيدي نعمتي وان لجأ الى وجه ثالث سألناه عنه ولن يجد الى ذلك سبيلا

ويقال لاهل البدع لم زعمتم ان معنى قوله بيدى نعمتي ازعمتم ذلك اجماعا او لغة فلا تجدون ذلك في اجماع ولا في لغة فان قالوا قلنا ذلك من القياس قيل لهم من اين وجدتم في القياس ان قول الله عز و جل خلقت بيدي لا يكون معناه الا نعمتي ومن اين يمكن ان يعلم العقل ان يفسر لفظه كذا وكذا مع انا رأينا الله عز و جل قد قال في كتابه الناطق على لسان نبيه وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وقال سبحانه افلا يتدبرون القرآن ." (١)

" ولولا ان القرآن بلسان العرب ما جاز ان تتدبره ولا ان تعرف العرب معانيه اذا سمعته فلما كان من لا يحسن كلام العرب لا يحسنه وانما يعرفه العرب اذا سمعوه علم انهم علموه لانه بلسانهم نزل

قال وقد اعتل معتل بقول الله عز و جل والسماء بنيناها بأيد قال الايدي القوة فوجب ان يكون معنى قوله بيدي أي بقدرتي قيل لهم هذا التأويل فاسد من وجوه

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٢٢

احدهما ان الايد ليس بجمع اليد لان جمع يد ايدي وجمع اليد التي هي نعمة ايادي والله عز و جل لم يقل بأيدي ولا قال بأيادي وانما قال لما خلقت بيدي فبطل ان يكون معنى قوله بيدي معنى قوله بنيناها بأيد

وايضا فول اراد القوة لكان معنى ذلك بقدرتي وهذا ناقض لقول مخالفينا ومجانب لمذاهبهم لانهم لا يثبتون قدرة الله عز و جل فكيف يثبتون قدرتين

وايضا فلو كان الله عز و جل عنى بقوله لما خلقت بيدي القدرة لم يكن لادم على ابليس في ذلك مزية والله عز و جل اراد ان يرى فضل آدم عليه السلام اذ خلقه بيديه دونه فلو كان خالقا لابليس بيده كما خلق آدم بيده لم يكن لتفضيله عليه بذلك وجه وكان ابليس يقول محتجا على ربه عز و جل فقد خلقتني بيديك كما خلقت آدم بها فلما اراد الله تفضيله عليه بذلك قال له موبخا على استكباره على آدم ان يسجد له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين فدل ذلك على انه ليس معنى الاية القدرة كان الله عز و جل قد خلق الاشياء جميعها بقدرته وانه انما اراد اثبات يدين لم يشارك ابليس لآدم في انه خلق بهما ." (١)

" وقال هذا القرطبي في تفسيره الكبير قوله تعالى ثم استوى على العرش هذه مسألة الاستواء وللعلماء فيها كلام واجزاء وقد بينا اقوال العلماء فيها في كتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى وصفاته العلى وذكرنا فيها هناك اربعة عشر قولا والاكثر من المتقدمين والمتأخرين انه اذا وجب تنزيه الباري عن الجهة والتحيز فمن ضرورة ذلك ولواحقه اللازمة عليه عند عامة العلماء المتقدمين وقادتهم المتأخرين تنزيه الباري عن الجهة فليس بجهة فوق عندهم لانه يلزم في ذلك عندهم متى اختص بجهة ان يكون في مكان او حيز ويلزم على المكان والحيز الحركة والسكون وذلك مستلزم للتحيز والتغير والحدوث هذا قول المتكلمين قال وقد كان السلف الاول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة باثباتها لله تعالى كما نطق كتابه واخبرت رسله ولم ينكر احد من السلف الصالح انه استوى على عرشه حقيقة وخص العرش بذلك لانه اعظم مخلوقاته وانما جهلوا كيفية الاستواء فانه لا تعلم حقيقته كما قال مالك رحمه الله الاستواء معلوم يعني في اللغة والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعة وكذا قالت ام سلمة رضي الله عنها وهذا القدر كاف قال والاستواء في كلام العرب هو العلو والاستقرار وذكر كلام الجوهري وغيره

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٢٣

واما نقل مذاهب سلف الامة وائمتها وسائر الطوائف فروى ابو بكر البيهقي في كتاب الاسماء والصفات باسناد صحيح عن الاوزاعي قال ." (١)

" فحينئذ تكون نقطة غير منقسمة وجزءا لا يتجزأ وذلك باتفاق العقلاء باطل فثبت ان هذا ليس من باب قياس الغائب على الشاهد بل هو مبني على التقسيم الدائر بين النفي والاثبات

قال واعلم ان الحنابلة القائلين بالتركيب والتأليف اسعد حالا من هؤلاء الكرامية وذلك لانهم اعترفوا بكونه مركبا من الاجزاء والابعاض واما هؤلاء الكرامية فزعموا انه مشار اليه بحسب الحس وزعموا انه غير متناه ثم زعموا انه مع ذلك واحد لا يقبل القسمة فلا جرم صار قولهم على خلاف بديهة العقل اما قولهم الذي لا يحس ولا يشار اليه اشد حقارة من الجزء الذي لا يتجزأ قلنا كونه موصوفا بالحقارة انما يلزم لو كان له حيز ومقدار حتى يقال انه اصغر من غيره اما اذا كان منزها عن الحيز والمقدار فلم يحصل بينه وبين غيره مناسبة في الحيز والمقدار فلم يلزم وصفه بالحقارة

يقال هذه الحجة مع كل من قال انه فوق العرش وقال مع ذلك انه غير مؤلف ولا مركب ممن يثبت له معنى الجسم كمن ذكره من الكرامية وممن ينفي عنه معنى الجسم كالكلابية وائمة الاشعرية ومع كل طائفة ممن يوافقها من الفقهاء والصوفية وغيرهم وان كان عامة اهل السنة وائمة الدين واهل الحديث لا يقولون هو جسم ولا يقولون ليس بجسم ولا هو نصها وهي ايضا مع من نقل عنه انه يصفه بالتركيب والتأليف والكلام عليها من وجوه

احدها ان يقال قد تقدم ان لفظ المنقسم لفظ مجمل بحسب الاصطلاحات فالمنقسم في اللغة العربية التي نزل بها القرآن هو ما فصل بعضه ." (٢)

" لما احلنا عليه وتقدم بيان ما في لفظ التركيب والحيز والافتقار من الاحتمال وان المعنى الذي يقصدونه بذلك يجب ان يتصف به كل موجود سواء كان واجبا او ممكنا وان القول بامتناع ذلك يستلزم السفسطة المحضة وتبين ان كل احد يلزمه ان يقول بمثل هذا المعنى الذي سماه تركيبا حتى الفلاسفة وان هذا المنازع يقول مثل ذلك في تعدد الصفات وانه الزم الفلاسفة مثل ذلك

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٣٧/٢

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٤٧/٢

وقول من يقول من هؤلاء ما يكون منقسما او مركبا بهذا الاعتبار فانه لا يكون واحدا ولا يكون احدا فان الاحد هو الذي لا ينقسم خلاف لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ولغة **العرب** من تسمية الانسان واحدا كقوله وان كانت واحدة فلها النصف وقوله ذرني ومن خلقت وحيدا ونحو ذلك

وتحرير هذا المقام هو الذي يقطع الشغب والنزاع فان هذه الشبهة هي من اكبر او اكبر اصول المعطلة لصفات الرب بل المعطلة لذاته وهو عند التحقيق من افسد الخيالات ولكن لا حول ولا قوة الا بالله فان الاشراك قد ضل به كثير من الناس قال الخليل واجنبني وبني ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس واذا شرح الله صدر العبد للاسلام يتعجب غاية العجب ممن ضل عقله حتى اشرك كما روي ان بعض الناس قال للنبي صلى الله عليه و سلم ما كان لهم عقول يعنى لمشركي قريش فقال النبي صلى الله عليه و سلم كانت لهم عقول امثال الجبال ولكن كادها باريها وروي ان خالد بن الوليد لما هدم العزى وكانت عند عرفات قال يا رسول الله عجبت من ابي ووعقله كان يجيء الى هذه العزى فيسجد لها وينسك لها ويحلق لها رأسه فقال النبي صلى الله عليه و سلم تلك عقول كادها باريها ولهذا يعترف ." (١)

" قال فهل وجدت له حسا او مجسا قال لا قال فكذلك الله لا يرى له وجه ولا يسمع له صوت ولا يشم له رائحة وهو غائب عن الابصار ولا يكون في مكان دون مكان

فهذا الذي حكاه الامام احمد من مناظرة السمنية المشركين للجهم هو كما ذكره اهل المقالات والكلام عنهم انهم لا يقرون من العلوم الا بالحسيات ولكن قد يقول بعض الناس انهم ارادوا بذلك ان مالا يدركه الانسان بحسه فانه لا يعلمه حتى يقولوا عنهم انهم ينكرون المتواترات والمجربات والبديهيات وهذا والله اعلم غلط عليهم

كما غلط هؤلاء في نقل مذهب السوفسطائية فزعموا ان فرقة من الناس تنكر وجود شيء من الحقائق ومن المعلوم ان امة يكون لهم عقل يفارقون به المجانين لا يقولون هذا ولكن قد تقع السفسطة في بعض الأمور يوفي بعض الأحوال وتكون كما فسرها بعض الناس أن السفسطه هي كلمة **معربة** واصلها يونانية سوفسقيا ومعناها الحكمة المموهة فان لفظ سوفيا يدل في لغتهم على الحكمة ولهذا يقولون فيلاسوف أي محب الحكمة فلما كان من القضايا ما يعلم بالبرهان ومنه ما يثبت بالقضايا المشهورة وبعضها يناظر فيه بالحجج المسلمة وبعضها تتخيله النفس وتشعر به فيحركها وان لم تكن صادقة وهي القضايا الشعرية ومنها

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٥٢/٢

ما يكون باطلا لكن يشبه الحق فهذه الحكمة المموهة هي المسماة بالسفسطة عند هؤلاء وقد تكلمنا على هذا في غير هذا الموضع ." (١)

" وقال فيما بلغنا ان الله ليضحك من ازلكم وقنوطكم وسرعة اجابتكم فقال له رجل من **العرب** ان ربنا ليضحك قال نعم قال لا نعدم من رب يضحك خيرا في اشباه لهذا مما لم نحصيه

وقال الله تعالى وهو السميع البصير واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وقال ولتصنع على عيني وقال ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي وقال والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون فوالله ما دلهم على عظم ما وصف به نفسه وما تحيط به قبضته الا صغر نظيرها منهم عندهم ان ذلك الذي القى في روعهم وخلق على معرفته قلوبهم فما وصف الله من نفسه وسماه على لسان رسوله سميناه كما سماه ولم نتكلف منه صفة ما سواه لا هذا ولا هذا لا نجحد ما وصف ولا نتكلف معرفة ما لم يصف

اعلم رحمك الله ان العصمة في الدين ان تنتهي حيث انتهى بك ولا تجاوز ما قد حد لك فان من قوام الدين معرفة المعروف وانكار المنكر فما بسطت عليه المعرفة وسكنت اليه الافئدة وذكر اصله في الكتاب والسنة وتوارث علمه الامة فلا تخافن في ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه عيبا ولا تكلفن لما وصف لك من ذلك قدرا وما انكرته نفسك ولم تجد ذكره في كتاب ربك ولا في الحديث عن نبيك من ذكر صفة ربك فلا تتكلفن علمه بعقلك ولا تصفه بلسانك واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه فان تكلفك معرفة ما لم يصف من نفسه مثل انكارك ما وصف منها فكما اعظمت ما جحد الجاحدون مما وصف من نفسه فكذلك اعظم تكلف ما وصف ." (٢)

" هذه الصفة التي هي الاستواء على العرش وأثبت أنه في السماء وكل من أثبت هذا أثبت الجهة وهم أصحاب ابن كرام وابن منده الأصبهاني المحدث

قال والدلالة عليه أن العرش في جهة بلا خلاف وقد ثبت بنص القرآن أنه مستو عليه فاقتضى أنه في جهة ولأن كل عاقل من مسلم وكافر إذا دعا فإنما يرفع يديه ووجهه نحو السماء وفي هذا كفاية ولأن من نفي الجهة من المعتزلة والأشعرية يقول ليس في جهة ولا خارجا منها وقال قائل هذا بمثابة من قال

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٥٤/٢

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ١٦٨/٢

باثبات موجود مع وجود غيره ولا يكون وجود أحدهما قبل وجود الآخر ولا بعده ولأن العوام لا يفرقون بين قول القائل طلبته فلم أجده في موضع ما وبين قوله طلبته فإذا هو معدوم

قال وقد احتج ابن منده على اثبات الجهة بأنه لما نطق القرآن بإذن الله على العرش وأنه في السماء وجاءت السنة بمثل ذلك وبأن الجنة مسكنه وأنه في ذلك وهذه الأشياء أمكنة في نفسها فدل على أنه في مكان

قال وإذا ثبت استواؤه ثبت أنه على العرش وأنه في جهة فهل الاستواء من صفات الذات قياس قول أصحابنا أنه من صفات الذات وأنه موصوف بها في القدم وإن لم يكن هناك عرش موجود لتحقق وجود ذلك فيه في الثاني لأنهم قالوا خالق ورازق موصوف به فيما لم يزل ولا مخلوق ولا مرزوق لتحقق الفعل من جهته وقد تقول **العرب** سيف مقطوع و خبر مستمع و ماء مرو وإن لم يوجد منه القطع لتحقق الفعل منه واستدل بعض أصحابنا بأنه موصوف في الأزل بالربوبية ولا مربوب وبالألوهية ولا مألوه وعلى قياس هذا النزول إلى السماء والمجيء في ظلل من الغمام ووضع القدم في النار ." (١)

" ثم قال ابن عساكر بعد أن فرغ من سياق ذلك فتأملوا رحمكم الله هذا الاعتقاد ما أوضحه وأبينه واعترفوا بفضل هذا الإمام الذي شرحه وبينه

قال الحافظ ابن عساكر قال أبو الحسن في كتابه الذي سماه العمدة في الرؤية ألفنا كتابا كبيرا في الصفات تكلمنا فيه على أصناف المعتزلة والجهمية فيه فنون كثيرة من الصفات في إثبات الوجه لله واليدين وفي استوائه على العرش

ولشهرة هذا من مذهب الأشعري قال أبو الحسن علي بن مهدي الطبري المتكلم صاحب أبي الحسن الأشعري في كتابه الذي ألفه في مشكل الآيات في باب قوله الرحمن على العرش استوى اعلم أن الله سبحانه وتعالى في السماء فوق كل شيء على عرشه بمعنى أنه عليه ومعنى الاستوى الاعتلاء كما تقول **العرب** استويت على ظهر الدابة واستويت على السطح بمعنى علوته واستوى الشمس على رأسي واستوى الطير على قمة رأسي بمعنى علا في الجو فوجد فوق رأسي فالقديم جل جلاله عال على عرشه قوله أأمنتم من في السماء وقوله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي وقوله إليه يصعد الكلم الطيب وقوله يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ١٧٢/٢

قال وزعم البلخي أن استواء الله على العرش هو الاستيلاء عليه مأخوذ من قول **العرب** استوى بشر على العراق استولى عليها وقال إن العرش يكون الملك فيقال ما أنكرت أن يكون عرش الله جسما خلقه وأمر ملائكته بحمله قال ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وأمية يقول ... مجدوا الله فهو للمجد أهل ... ربنا في السماء أمسى كبيرا ... بالبناء الأعلى الذي سبق النا ... س وسوى فوق السماء سريرا ." (١)

" قال ومما يدل على أن الاستواء هاهنا ليس بالاستيلاء لأنه لو كان كذلك لم ينبغ أن يخص العرش بالاستيلاء عليه دون سائر خلقه إذ هو مستول على العرش وعلى سائر خلقه وليس للعرش مزية على ما وصفته فبان بذلك فساد قوله

ثم يقال له أيضا إن الاستواء ليس هو الاستيلاء الذي من قول **العرب** استوى فلان على كذا أي استولى إذا تمكن فيه بعد أن لم يكن متمكنا فلما كان الباري لا يوصف بالتمكن بعد أن لم يكن متمكنا لم يصرف معنى الاستواء إلى الاستيلاء

ثم قال حدثنا أبو عبد الله نفطويه ثنا أبو سعيد قال كنا عند ابن الاعرابي فأتاه رجل فقال ما معنى قوله الرحمن على العرش استوى قال هو على عرشه كما أخبر فقال ليس هو كذلك إنما معناه استولى قال ابن الاعرابي اسكت ما يدريك ما هذا **العرب** لا تقول للرجل استولى على العرش حتى يكون له في مضاد فأيهما غلب قيل استولى عليه والله لا مضاد له وهو على عرشه كما أخبر

قال أبو الحسن بن مهدي الطبري فإن قيل فما تقولون في قوله أأمنتم من في السماء قيل له معنى ذلك أنه فوق السماء على العرش كما قال فسيحوا في الأرض بمعنى على الأرض وقال لأصلبنكم في جذوع النخل أي على جذوع النخل فكذلك قوله أأمنتم من في السماء

قال فإن قيل فما تقولون في قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم قيل له إن بعض القراء يجعل الوقف في السموات ثم يتبدى وفي الأرض يعلم سركم وجهركم وكيف ما كان فلو أن قائلا قال ." (٢)

" قال في رده على الجهمية باب قول الجهمي في قول الله عز و جل الرحمن على العرش استوى زعمت الجهمية أنما قول الله الرحمن على العرش استوى أنما المعنى استولى كقول **العرب** استوى فلان على مصر استوى فلان على الشام يريد استولى عليهما باب البيان لذلك يقال له هل يكون خلق من خلق

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٣٣٥

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٣٣٦

الله أتت عليه مدة ليس الله بمستول عليه فإذا قال لا قيل له فمن زعم ذلك فهو كافر ويقال له يلزمك أن تقول إن العرش قد أتت عليه مدة ليس الله بمستول عليه بعد خلق السموات والأرض قال وذلك أن الله أخبر أنه خلق العرش قبل السماوات والأرض ثم استوى عليه الله تعالى وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء فأخبر أن العرش كان على الماء قبل خلق السموات والأرض ثم قال خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فسأل به خبيرا وقوله الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم وقوله عز و جل ثم استوى إلى السماء وهي دخان وقوله عز و جل ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات فأخبر أنه استوى على العرش فيلزمك أن تقول المدة التي كان العرش فيها قبل خلق السموات والأرض ليس الله بمستول عليه إذا كان استوى على معناه عندك استولى فإنما استولى بزعمه في ذلك الوقت لا قبل

قال وقد روى عمران بن الحصين عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال أقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا قد بشرتنا فاعطنا قال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن قالوا قد قبلنا فاخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان قال كان الله قبل كل شيء وكان عرشه على الماء وكتب في اللوح ذكر كل شيء وروي عن أبي رزين العقيلي وكان يعجب النبي صلى الله عليه و سلم مسألته أنه قال يا رسول الله ." (١)

" أين كان الله قبل أن يخلق السموات والأرض قال كان في عماء فوقه هواء وتحته هواء ثم خلق عرشه على الماء

قال فقال الجهمي أخبرني كيف استوى على العرش أهو كما تقول **العرب** استوى فلان على السرير فيكون السرير حوى فلانا وحده إذا كان عليه فيلزمك أن تقول إن العرش قد حوى الله وحده إذا كان عليه لأنا لا نعقل الشيء على الشيء إلا هكذا باب من البيان لذلك يقال له أما قولك كيف استوى فإن الله لا يجري عليه كيف وقد أخبرنا أنه استوى على العرش ولم يخبرنا كيف استوى فوجب على المؤمنين أن يصدقوا ربهم باستوائه على العرش وحرم عليهم أن يصفوا كيف استوى لأنه لم يخبرهم كيف كذلك ولم تره العيون في الدنيا فتصفه بما رأت وحرم عليهم أن يقولوا عليه من حيث لا يعلمون فآمنوا بخبره عن الاستواء ثم ردوا علم كيف استوى إلى الله ولكن يلزمك أنت أيها الجهمي أن تقول إن الله محدود وقد حوته الأماكن إذ زعمت في دعواك أنه في الأماكن لأنه لا يعقل شيء في مكان إلا والمكان قد حواه كما تقول **العرب** فلان في البيت والماء في الجب فالبيت قد حوى فلانا والجب قد حوى الماء ويلزمك أشنع من ذلك لأنك

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٣٤٢

قلت أشنع من ذلك لأنك قلت أفضع مما قالت به النصارى وذلك أنهم قالوا إن الله حل في عيسى وعيسى بدن انسان واحد فكفروا بذلك وقيل لهم ما أعظمتم الله تعالى إذ جعلتموه في بطن مريم وأنتم تقولون إنه في كل مكان وفي بطون النساء كلهم وبدن عيسى وأبدان الناس كلهم ويلزمك أيضا أن تقول في أجواف الكلاب والخنازير لأنها أماكن وعندك أنه في كل مكان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

قال فلما شنعت مقالته قال أقول بأن الله في كل مكان لا كالشيء في الشيء ولا كالشيء على الشيء ولا كالشيء مع الشيء خارجا عن الشيء ولا مباينا ." (١)

" ولم يذكر هو ولا رسوله ولا أهل العلم والايمان به أنه ليس بجسم ولا جوهر ولا متحيز ولا في جهة ولا أن صفاته ليست بعرض ولا قائمة بالغير ولا نحو ذلك وكذلك في الاثبات له الأسماء الحسنى التي يدعى بها وليس في تلك الأسماء انه جسم ولا جوهر ونحو ذلك ولا أن صفاته تسمى أعراضا ونحو ذلك فلم يكن واحد من هذين مشروعا على الاطلاق ولا هو أيضا منهيا عنه على الاطلاق بل اذا اثبت الرجل معنى حقا ونفى معنى باطلا واحتاج الى التعبير عن ذلك بعبارة لاجل افهام المخاطب لأنها من لغة المخاطب ونحو ذلك لم يكن ذلك منهيا عنه لأن ذلك يكون من باب ترجمة أسمائه وآياته بلغة أخرى ليفهم أهل تلك اللغة معاني كلامه وأسمائه وهذا جائز بل مستحب أحيانا بل واجب أحيانا وان لم يكن ذلك مشروعا على الاطلاق كمخاطبة أهل هذه الاصطلاحات الخاصة في أسماء الله وصفاته وأصول الدين باصطلاحهم الخاص اذا كانت المعاني التي تبين لهم هي معاني القرآن والسنة تشبه قراءة القرآن بغير العربية وهذه الترجمة تجوز لافهام المخاطب بلا نزاع بين العلماء وأما قراءة الرجل لنفسه فهذا لا يجوز عند عامة أهل العلم لافي الصلاة ولافي خارج الصلاة وجوزه بعضهم مطلقا لكن لمن لم يحسن العربية لكن المخاطبة ليست كاقراء القرآن لكن تشبه ذكره والثناء عليه والدعاء له بما لم يوقت الشارع فيه شيئا بعينه ولهذا يكره أيضا عند كثير من العلماء أو أكثرهم تغيير العربية الا للحاجة ومنهم من لم يكرهه

اذا تبين ذلك فجوابه من وجوه

احدها أن هذا الوجه الذي ذكره هو من الوجوه الالزامية وهذه ليست بحجة لا للناظر ولا للمناظر كما تقدم غير مرة وذلك أن هذه الحجة اما أن توجب أن كل موجودين في الشاهد على أحد هذه الأقسام أولا توجبه فان لم ." (٢)

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٣٤٣/٢

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٣٨٩/٢

" وخشب وهذا انما قصد النفس واريد به التفسير وهذا صوت القاري اما يرى حسن وغير حسن وهذا لفظه او ما تراه مجازا به حتى قال رأس من رؤوسهم او يكون قرآن من لبد وقال آخر من خشب فراوغوا فقالوا هذا حكاية عبر بها عن القرآن والله تكلم مرة ولا يتكلم بعد ذلك ثم قالوا غير مخلوق ومن قال مخلوق كافر وهذا من فخوخهم يصطادون به قلوب عوام اهل السنة وانما اعتقادهم ان القرآن غير موجود لفظية الجهمية الذكور بمرة والجهمية الاناث بعشر مرات

اولئك قالوا لاصفة وهؤلاء يقولون وجه كما يقال وجه النهار ووجه الأمر ووجه الحديث وعين كعين المتاع وسمع كأذن الجدار وبصر كما يقال جدارهما يترائيان ويد كيد المنة والعطية والأصابع كقولهم خراسان بين اصبعي الأمير والقدمان كقولهم جعلت الخصومة تحت قدمي والقبضة كما قيل فلان في قبضتي اي انا املك امره وقال الكرسي العلم والعرش الملك والضحك الرضى والاستواء الاستيلاء والنزول القبول والهرولة مثله شبهوا من وجه وانكروا من وجه وخالفوا السلف وتعدوا الظاهر فردوا الأصل ولم يثبتوا شيئا ولم يبقوا موجودا

ولم يفرقوا بين التفسير والعبارة بالالسنة فقالوا لا نفسرها نجريها عربية كما وردت وقد تأولوا تلك التأويلات الخبيثة وأرادوا بهذه المخرقة ان يكون عوام المسلمين بعد غيابا عنها واعيا ذهابا منها ليكونوا اوحش عند ذكرها واشمس عند سماعها وكذبوا بل التفسير ان يقال وجه ثم لا يقال كيف وليس كيف في هذا الباب من مقال المسلمين فأما العبارة فقد قال الله تعالى وقالت ." (١)

" اليهود يد الله مغلولة غلت ايدهم وانما قالوها هم بالعبرانية فحكاها عنهم بالعربية وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم يكتب كتابه بالعبرانية فيها اسماء الله وصفاته فيعبر بالألسنة عنها ويكتب اليه بالسريانية فيعبر له زيد بن ثابت رضي الله عنه بالعربية والله تعالى يدعى بكل لسان باسمه فيجيب ويحلف بها فيلزم وينشد فيجاز ويوصف فيعرف

ثم قالوا ليس ذات الرسول صلى الله عليه و سلم بحجة وقالوا ما هو بعد ما مات بمبلغ فلا يلزم به الحجة فسقط من اقاويلهم على ثلاثة اشياء انه ليس في السماء رب ولا في الروضة رسول ولا في الأرض كتاب كما سمعت يحيى بن عمار يحكم به عليهم وان كانوا موهوها ووروا عنها واستوحشوا من تصريحها فان حقائقها لازمة لهم وابطلوا التقليد فكفروا آباءهم وامهاتهم وازواجهم وعوام المسلمين وواجبوا النظر في الكلام واضطروا اليه الدين بزعمهم فكفروا السلف وقالت طائفة منهم الفرض لا يتكرر فأبطلت الشرائع

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٤٠١

وسموا الاثبات تشبيها فعابوا القرآن وضللوا الرسول فلا تكاد ترى منهم رجلا ورعا ولا للشريعة معظما ولا للقرآن محترما ولا للحديث موقرا سلبوا التقوى ورقة القلب وبركة التعبد ووقار الخشوع واستفضلوا الرسول بالنظر فلا هو طالب آثاره ولا يتبع أخباره ولا يناضل على سننه ولا هو راغب في اسوته يتلقد مرتبة العلم وم، عرف حديثا واحدا تراه يهزأ بالدين ويضرب له الامثال ويتلعب بأهل السنة ويخرجهم اصلا من العلم لا تنفر لهم عن بطانة الا خانتك ولا عن عقيدة الا رابتك البسوا ظلمة الهوى وسلبوا نعمة الهدى فتنبوا عنهم الأعين وتشمئز منهم القلوب

قالوا وقد شاع في المسلمين ان رأسهم علي بن اسماعيل الأشعري كان لا يستنجي ولا يتوضأ ولا يصلي وقد سمعت محمدا العمري النسابة انبأنا المعافي ." (١)

" وهذا الرازي لما ذكر مسألة الرؤية في نهايته وذكر فيها حجج النفاة والمثبتة كان ما ذكره من حجج النفاة العقلية والسمعية اظهر مما ذكره من حجج المثبتة وهذه عادته في كثير من مناظرته يحتج للباطل من السفسطة وفروعها بما لا يحتج بمثله للحق وقال في مسألة الرؤية بعد ان ذكر مسالكها العقلية فظهر من مجموع ما ذكرناه ان الادلة العقلية ليست قوية في هذه المسألة قال واعلم ايضا ان التحقيق في هذه المسألة ان الخلاف فيها يقرب ان يكون لفظيا وسنبينه ان شاء الله تعالى

الوجه الثاني ان هذا الرجل قد اعترف هو ومن يوافقه ان الرؤية التي دل عليها الكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة بل الادراك المنفي عن الله في قوله لا تدركه الأبصار يدل على ان الله تعالى في الجهة وذلك يقتضي دلالة الكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة على شيئين على رؤية الله تعالى وعلى انه في الجهة وذكر اعتراف فضلاء المعتزلة بأن النبيين كانوا يعتقدون ذلك

اما الأول فانه لما ذكر الحجج السمعية التي للمعتزلة على نفي الرؤية قال وهذه الشبه اربع الأولى وهي الأقوى التمسك بقوله تعالى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار قال واعلم ان هذه الآية تارة يتمسكون بها على أنه تعالى لا يرى بالأبصار في الدنيا ولا في الآخرة وتارة على استحالة كوننا رائين له اما الوجه الاول فانما يتم باثبات امور اربعة أحدها ان ادراك البصر هو الرؤية قال ويدل عليه امران احهما انه لا فرق في اللغة بين ان يقال رأيت فلانا ببصري وبين ان يقال ادركته ببصري كما لا فرق بين ان يقال ادركته بأذني

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٤٠٢/٢

وبين ان يقال سمعته بأذني ثانيهما ان اهل اللسان فهموا من هذه الآية نفي الرؤية وذلك يدل على ان العرب يستعملون ادراك البصر بمعنى الرؤية وروي عن عائشة ." (١)

" للواضع والعرب ما كانوا يتصورون الا رؤية الشيء المحدود اما عند الخصم فلأن الرؤية لا على هذا الوجه مستحيلة وأما عندنا فانه وان أمكن الا يكون كذلك لكنه ما كان معلوما للعرب ولا متصورا لهم واذا ثبت ذلك ثبت انهم لم يستعملوا الادراك الا لرؤية الشيء الذي في جهة فثبت بما ذكرناه ان الادراك لو افاد الرؤية لأفاد رؤية الشيء المتناهي وهذا هو المراد من قول قدماء الأصحاب الادراك هو الاحاطة بالمرئي

واذا ثبت ان الادراك لا يفيد الا رؤية مخصوصة لم يلزم من نفي الادراك نفي مطلق الرؤية لأنه لا يلزم من نفي الأخص نفي الأعم واما قوله العرب لا تفرق بين الرؤية وبين الادراك قلنا ان ادعيتم ذلك في مطلق الرؤية فهو ممنوع ودليله ما مضى وان ادعيتم ذلك في رؤية مخصوصة فهو مسلم ولا يضرنا قوله اهل اللسان فهموا من هذه الآية نفي الرؤية فدل على ان ادراك البصر هو الرؤية قلنا وقد نقل ايضا ان كثيرا من السلف فهموا الرؤية من قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة مع ان النظر عندكم ليس هو الرؤية وكذلك هاهنا

قلت فقد أخبر ان العرب ما كانوا يتصورون الا رؤية الشيء المحدود وان رؤية ما ليس في الجهة لم يكن معلوما لهم ولا متصورا لهم واذا كان كذلك وقد ثبت في النصوص المتواترة عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال انكم سترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته وقال ايضا انكم سترون ربكم كما ترون الشمس صحوا ليس دونهما سحاب وكما ترون القمر صحوا ليس دونه سحاب وثبت اتفاق سلف الأمة على ان المؤمنين يرون الله يوم القيامة وقد اخبر ان العرب المخاطبين بهذا الكلام لم يكونوا يتصورون من ذلك الا رؤية ." (٢)

" من لم يشاهد الا انسانا اسود فحين يمثل في نفسه انسانا يخاطبه انما يسبق الى نفسه انه اسود لا غير ومن لم يسمع من اللغات الا العربية فحين يمثل في نفسه معنى انما يسبق الى نفسه التعبير عن ذلك المعنى بلفظ العرب وكذلك سبق الى الوهم ان من يدعو حيا عالما قادرا على ما يشاء معنى الأحياء القادرين ويتبع ذلك انه في مكان ولأن العلو اشرف لأن الأنوار فيه ولأن الرأس لما كان اشرف الأعضاء كان ما يليه اشرف الجهات فيسبق الى فهم الدعي ان يعتقد عظمته اذا كان في جهة وجب ان يكون في جهة

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٤٠٤

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٤٠٦

العلو فلسبب هذه الأمور وامثالها وقعت الاشارة الى السماء ثم ان الاخلاف اخذوا ذلك عن الاسلاف مع مشاركتهم لهم في هذا التخيل فظهر ان سبب ذلك هو الالف فلا يكون صوابا واما حديث الأمة فهو من الآحاد ثم لو صح لكان سببه ما ذكرنا من الالف

والكلام على ما ذكره من وجوه الأول ان الاستدلال برفع الأيدي والأبصار الى السماء عند الدعاء على ان الله فوق هو حجة اهل الاثبات المثبتين الصفات من السلف والخلف ليس ذلك مختصا بالكرامية بل من اشهر المحتجين به ائمة اصحاب الأشعري وذووه

وقال ابو الحسن الأشعري فان قال قائل ما تقولون في الاستواء قيل له ان الله مستو على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وقال سبحانه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال سبحانه بل رفعه الله اليه وقال سبحانه يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الأسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذبا فاكذب موسى في قوله ان الله فوق السموات ." (١)

" بكل مكان على الحلول مع قوله الرحمن على العرش استوى ومع قوله اليه يصعد الكلم الطيب وكيف يصعد اليه شيء هو معه وكيف تعرج الملائكة والروح اليه وهي معه ولو ان هؤلاء رجعوا الى فطرهم وما ركبت عليه خلقتهم من معرفة الخالق لعلموا ان الله هو العلي وهو الأعلى وان الأيدي ترفع بالدعاء اليه والأمم كلها عربها وعجمها يقولون ان الله في السماء ما تركت على فطرها وفي الانجيل ان المسيح قال للحواريين ان انتم غفرتم للناس فان اباكم الذي في السماء يغفر لكم ظلمكم انظروا الى طير السماء فانهن لا يزرعن ولا يحصدن وابوكم الذي في السماء هو يرزقهن ومثل هذا في الشواهد كثير

وقال الامام ابو بكر بن اسحاق بن خزيمة في كتاب التوحيد باب ذكر البيان ان الله عز و جل في السماء كما أخبرنا في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه وكما هو مفهوم في فطر المسلمين علماؤهم وجهالهم وأحرارهم ومماليكهم وذكرانهم واناثهم بالغوهم وأطفالهم كل من دعا الله عز و جل فانما يرفع رأسه الى السماء ويمد يديه الى الله تعالى الى الأعلى لا الى الأسفل

وقال ابو سليمان الخطابي في كتاب شعار الدين وهو في اصول الدين القول في انه مستو على العرش هذه المسألة سبيلها التوقيف المحض ولا يصل اليه الدليل من غير هذا الوجه وقد نطق الكتاب في غير آية ووردت به الأخبار الصحيحة فقبوله من جهة التوقيف واجب والبحث عنه وطلب الكيفية له غير

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٤٣٣/٢

جائز وقد قال ابو عبدالله مالك بن أنس رحمه الله وسئل عن قول الله الرحمن على العرش استوى فقال الاستواء معلوم والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذكر المواضع التي في القرآن من ذكر العرش وقوله أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض وقال أم امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا وقال تعرج الملائكة والروح ." (١)

" ما يقوله المتكلمون من القدح في هذا والانتصار لضده اذ غايتهم أن يبنو ذلك على مقدمات ضرورية

الوجه الثالث والعشرون ان يقال لا نسلم أن سبب اشارة الناس الى فوق فوق هو ما ذكره ولم يذكر على ذلك حجة بل ادعاه دعوى مجردة فقال سبب ذلك الالف والعادة فانهم ما شاهدوا عالما قادرا حيا الا جسما فيسبق الى الوهم ان من يدعا عالما قادرا حيا على ما يشاهده عليه الأحياء القادرين ويتبع ذلك أنه في مكان ولأن العلو اشرف فيسبق الى وهم الداعي ان من يعتقد عظمته اذا كان في جهة وجب ان يكون في جهة العلو فمسبب هذه الأمور وأمثالها وقعت الاشارة الى السماء ثم ان الاخلاف أخذوا ذلك عن الأسلاف مع مشاركتهم لهم في هذا التخيل فظهر أن سبب ذلك الالف ولا يكون صوابا

فيقال له هذا الذي قلته مجرد دعوى لم تذكر عليه حجة وما ذكرته من التمثيل بالأسود **والعربية** انما غايته تجويز ان يكون للانسان اعتقاد غير مطابق سببه ذلك فلم قلت ان هذا من ذاك وهذا بمنزلة أن يقال هؤلاء غلطوا في وجدهم طعم هذه الفاكهة مرا لأن المرور يجد طعم الحلو مرا او غلطوا في رؤيتهم لهذين الشخصين لأن الأحول يرى الواحد اثنين فيقال له هب أن الحس يغلط لفساد يعرض له فلم قلت ان حس هؤلاء مع كثرتهم قد غلط لفساد عرض له واعجب من ذلك قوله فظهر أن سبب ذلك الالف ولم يظهر شيئا من ذلك الا أنه ظهر أنه ادعى ذلك وظهور كونه ادعاه غير ظهور صحة دعواه

الوجه الرابع والعشرون أن يقال هب أن سبب ذلك الالف والعادة التي تلقاها الأخلاف عن الاسلاف لكن العادة التي تعم بني آدم مع تباين حالهم ." (٢)

" فاني مضح بالجعد بن درهم فانه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما ثم نزل فذبحه وشكره العلماء على ذلك وكان هذا في زمن التابعين وذلك أن الله بعث الرسل تدعوا الخلق الى عبادته الجامعة لمعرفته بأسمائه وصفاته وآياته ولمحبته والانابة اليه واخلاص الدين له حتى يكون الدين كله

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٤٣٦/٢

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ٤٨٥/٢

لله والجهمية تصد القلوب عن معرفته ومحبته وعبادته بحسب تجهمهم اذهم بين المستقل والمستكثر ولا تجد أحدا فيه شعبة من التجهم الا وفيه من نقص التوحيد والايمان بحسب ذلك ولهذا كانت المعتزلة من أبعد الناس عن طريقة أولياء الله المتقين العارفين بطريق الله علما السالكين فيه عملا وحالا وقصدا

الوجه الخامس والعشرون أن يقال هب أن سببه هذه العادة هل سببها علم صحيح واعتقاد مطابق او سببها تخيل فاسد اما الأول فهو حجة في المسألة وأما الثاني فممنوع وهو لم يذكر على ذلك حجة الا قولهم انهم ما شاهدوا عالما قادرا حيا الا جسما الا أنهم قاسوا العالم القادر الحي الغائب على ما شاهدوه من العلماء والأحياء القادرين فصاروا بمنزلة من لم ير من الناس الا السود ولم يسمع الا العربية فاذا مثل في نفسه انسانا أو لغة لم يسبق الى نفسه الا الأسود والعربية

ومعلوم أن هذا قياس فاسد وذلك أن من لم ير انسانا الا أسود ولم يسمع لغة الا العربية انما يسبق الى نفسه الأسود اذا مثل انسانا يخاطبه وانما يسبق الى نفسه العربية اذا مثل في نفسه التعبير لأن الذي مثله في نفسه من جنس الذي شاهده والتخيل يتبع الاحساس وكان الذي تخيله من جنس الذي أحسه لما علم ." (١)

" بوجود أبيض لم يتمثل مخاطبه أبيض بل وقد يتمثل مخاطبه انسان مطلق ولا يخطر بقلبه لونه وقد يخطر بقلبه لونه فلا يكون الا ما علمه من ألوان الناس وهو السواد أما اذا علم وجود البيض من الناس ومثل في نفسه أنه يخاطبهم وان كان لم يرهم بعد كما لو قيل لملك السودان قد قدم عليك رسل البيض وهم بيض فهنا اذا زور في نفسه ما يخاطبه به لم يمثل أنه يخاطبه به لم يمثل أنه يخاطب أسود وكذلك لو علم وجود الصنفين وقدر مخاطبه انسان مطلق لم يتمثل لونه بل قد يصنف الكتب ويقف الوقوف وقد يكتب ذلك بالعربية وقد لا يكون رأى غير البيض ومع هذا فلا يتمثل حين المخاطبة المطلقة لون المخاطبين ولهذا يندرج في خطابه البيض والسود واللفظ يطابق المعنى وهو ما عناه وقصده بكلامه ولو لم يقصد الا البيض مثلا لم يتناول لفظه لغيرهم وليس الأمر كذلك باجماع الناس

وأما التمثيل باللغة فليس هو من أمثلة هذه المسألة وذلك أن من لم يسمع غير العربية لا يقدر أن يتكلم بغيرها ولا يتمثل في عبارات نفسه لغة غيرها فلا يكون التعبير بغير العربية متمثلا في نفسه لا سابقا ولا لاحقا ولو علم أن للناس لغة غير العربية او سمعها ولم يحفظها لم يقدر بذلك على التعبير بغير العربية متمثلا في نفسه لا سابقا ولا لاحقا ولو علم أن للناس لغة غير العربية أو سمعها ولم يحفظها لم يقدر

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٤٨٨

بذلك على التعبير بها ولا على تمثيلها فاللغات بمنزلة تعلم الانسان الصناعات والأعمال كالخياطة والنجارة والحراثة اذا لم يكن يحسنها الانسان الا على صفة لم يتمثل في نفسه اذا رآها أن يعملها الا الصفة التي يحسنها فأين ما يقدره الانسان وليصورة في نفسه من مراده ومقصوده الذي يفعله بقدرته من الألفاظ والحركات ." (١)

" السجود فاذا أمر عبده بتطهير بيته الذي يطاف به ويصلى فيه واليه ويعكف عنده من النجاسة الم يكن هو أحق بالطيب والطهارة والنزاهة من بيته وبدن عبده وثيابه

ولهذا كان هؤلاء الاتحادية والحلولية يصفونه بما توصف به الأجسام المذمومة ويصرحون بذلك وهؤلاء من أعظم الناس كفرا وشتما لله وسبا لله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وحصل بما ذكره الأئمة ان هؤلاء الجهمية أصل قولهم الذي به يموهون على الناس انما هو التنزيه ويسمون انفسهم المنزهون وهم ابعد الخلق عن تنزيه الله واقرب الناس لتنجيس تقديسه وهذا يظهر بوجوه كثيرة لكن المذكور هنا كونهم يقولون انه في كل مكان من الأمكنة النجسة القذرة فأي تنزيه وتقديس يكون مع جعلهم له في النجاسات والقاذورات والكلاب والخنازير بل وتصريحهم بذلك حتى حدثني من شهد أحذق محققيهم التلمساني وآخر من طواغيتهم وقد اجتاز بكلب جرب ميت فقال ذلك للتلمساني وهذا الكلب ايضا ذلك فقال او ثم شيء خارج عن الذات

وقال عبد العزيز الكناني في رده على الجهمية بعد ان بين انه على العرش وأجاب عما احتجوا به ثم قال ولكن يلزمك انت ايها الجهمي ان تقول ان الله عز و جل محدود حوته الاماكن اذ زعمت في دعواك انه لا يعقل شيء في مكان الا والمكان قد حواه كما تقول **العرب** فلان في البيت والماء في الجب والبيت قد حوى فلانا والجب قد حوى الماء ويلزمك اشنع من ذلك لأنك قلت افضع مما قالت به النصارى وذلك أنهم قالوا ان الله حل في عيسى وعيسى بدن انسان واحد وكفروا بذلك وقيل لهم ما أعظمتم الله تعالى اذ جعلتموه في بطن مريم وانتم تقولون انه في كل مكان وفي بطون النساء كلهن وبدن عيسى وابدان الناس

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٤٩٠

كلهم ويلزمك ايضا ان تقول انه في اجواف الكلاب والخنازير لأنها أماكن وعندك انه في كل مكان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ." (١)

"قدس الله روحه

المجلد الثالث

الطهارة – الجهاد

جمعه ورتبه

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

كتاب الطهارة

باب المياه

وقد اختلف العلماء في «الطهور» هل هو بمعنى «الطاهر» أم لا؟

وهذا النزاع معروف بين المتأخرين من أتباع الأئمة الأربعة.

قال كثير من أصحاب مالك وأحمد والشافعي: «الطهور» متعد. و«الطاهر» لازم.

وقال كثير من أصحاب أبي حنيفة: بل «الطاهر» هو «الطهور» وهو قول الخرقي.

وفصل الخطاب في المسألة: أن صيغة اللزوم والتعدي لفظ مجمل يراد به اللزوم والتعدي النحوي اللفظي، ويراد به التعدي الفقهي.

فالأول أن يراد باللازم ما لم ينصب المفعول به، ويراد بالمتعدي ما نصب المفعول به، فهذا لا تفرق **العرب** فيه «فاعل» و «فعول» في اللزوم فمن قال: إن فعول هذا بمعنى فاعل، من أن كلا منهما مفعول به كما قال كثير من الحنفية فقد أصاب، ومن اعتقد أن فعول بمعنى فاعل الماضي فقد أخطأ.

و أما التعدي الفقهي فيراد به أن الماء الذي يتطهر به في رفع الحدث، بخلاف ما كان كالأدهان والألبان.

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٥٥٧

وعلى هذا فلفظ طاهر في الشرع أعم من لفظ «طهور» فكل طهور طاهر، وليس كل طاهر طهورا.
وقد غلط الفريقان في ظنهم أن «طهورا» معدول عن طاهر، وإنما هو اسم لما يتطهر به؛ فإن **العرب** تقول: طهور، ووجور لما يتطهر به، ويوجر به، وبالضم للفعل الذي هو مسمى المصدر فطهور صيغة مبينة لما يفعل به، وليس معدولا عن طاهر، ولهذا قال تعالى في إحدى الآيتين: ﴿ وأنزلنا من السماء ماء طهور ﴾ [٢٥/٤٨] وقال في الآية الأخرى: ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ﴾ [٨/١١].
إذا عرفت هذا فالطاهر يتناول الماء وغيره، وكذلك الطهور؛ فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - «جعل التراب طهورا»، ولكن لفظ «طاهر» يقع على جامدات كثيرة كالثياب والأطعمة وعلى مائعات كثيرة كالأدهان والألبان، وتلك لا يمكن أن يتطهر بها فهي طاهرة ليست بطهور.." (١)

"ثم تتبعت مؤلفات تلاميذه رحمهم الله ومن نقل عنه فتذكرت أني قرأت مؤلفات ابن القيم كلها في أول عهدي بطلب العلم وجدت فيها نقولا كثيرة عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله، وابن القيم هو أخص تلاميذه، والذي لازمه ملازمة تامة ما يقرب من ست عشرة سنة ونهل من فيض علمه الواسع.
وهذه النقول لم تدخل في المجموع السابق فبدأت بمراجعتها وهي أربعة وعشرون كتابا(١)، فاجتمع لدي منها ست وعشرون ومائة مسألة.
ومن بين كتب تلاميذه «الفروع» لمحمد بن مفلح بن مفرج المقدسي المتوفى (٧٦٣) وعدد مجلداته ستة راجعتها فخرجت منها بثلاث وتسعين ومائتي مسألة. وهذا الكتاب ومؤلفه موضع التقدير من شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، قال عنه ابن القيم: ما تحت قبة الفلك أعلم بمذهب الإمام أحمد من ابن مفلح حضر عند الشيخ تقي الدين ابن تيمية، ونقل عنه كثيرا، وكان يقول: ما أنت ابن مفلح، بل أنت مفلح(٢)، وقد تحصل منها ثلاث وستون ومائتا مسألة.

ومن بين الكتب التي راجعتها كتاب «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف» تأليف علاء الدين علي بن سليمان المرداوي الحنبلي (ت ٨٨٥) وعدد مجلداته اثنا عشر فظفرت منه بتسع وعشرين وثلاثمائة مسألة.
وقد قال مؤلف هذا الكتاب: إن علاء الدين البعلي جامع اختيارات شيخ الإسلام لم يستوفها كلها. فاستدرك ما فاته، كما أنه نقل عن جملة من كتب شيخ الإسلام وفتاويه ومنها حاشيته على المحرر، والفتاوى المصرية(٣) وجميع ما وجدته في الإنصاف تسعة وعشرون وثلاثمائة.

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١

(١) يأتي ذكر أسمائها وعدد أجزائها.

(٢) مختصر طبقات الحنابلة «الناشر دار الكتاب العربي»

(٣) وقد رأيت فيما نقلته أن تلاميذه وعلماء المذهب يتتبعون كتبه الكبار أيضا: كرده على الرافضي، «واقتضاء الصراط المستقيم»، و«شرح العمدة» وغيرها، وقد نبهت على ذلك في أماكنه.." (١)

"وقولهم: «طهور» بمعنى «طاهر» غلط، لأن «الطهور» اسم لما يتطهر به كالفطور، والسحور والوجور لما يفطر عليه ويتسحر به ويوجر به؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ﴾ والطاهر لا يدل على ما يتطهر به، ومن ظن أن الطهور معدول عن طاهر فيكون بمنزلته في التعدية واللزوم عند النحويين فهو قول من لم يحكم قوله من جهة العربية.

وبهذا تظهر دلالة النصوص على ما قلنا كقوله – صلى الله عليه وسلم – في البحر: «هو الطهور ماؤه» وقوله: «جعلت لي الأرض مسجدا وتربتها طهورا» مما يبين أن المراد ما يتطهر به، ولا يجوز أن يراد طاهر لفساد المعنى، ولا يجوز أن يراد طهور تعدية طاهر لفساد الاستعمال(١).

قال الخلال: حدثنا صالح بن أحمد؛ قال: قلت لأبي: إذا اغتسل الجنب في البئر أو في الغدير وفيه الماء أكثر من قلتين؟ قال : يجزيه ذلك، قال أحمد: أنجس الماء؟

قول أحمد: أنجس الماء؟ ظن بعض أصحابه أنه أراد نجاسة الخبث فذكر رواية عنه: وإنما أراد أحمد نجاسة الحدث، كما يراد بالطهارة طهارة الحدث، وأحمد رضي الله عنه لا يخالف سنة ظاهرة معلومة له قط، والسنة في ذلك أبين من أن تخفى على أقل أتباعه.

وحمل كلامه على الغدير يغتسل فيه أقل من قلتين من نجاسة الحدث، وليست هذه المسألة من موارد الظنون بل هي قطعية بلا ريب.

ولا يستحب غسل البدن والثوب منه، وهو أصح الروايتين عنه.

وأول القاضي القول بنجاسة الماء بجعله في صفة النجس في منع الوضوء لا أنه تنجس حقيقة.

وظاهر كلام القاضي في التعليق: أن الحدث لا يرتفع عن الأعضاء إلا بعد الانفصال كما لا يصير مستعملا إلا بذلك، فهذا إذا نوى وهو في الماء، وإذا نوى قبل الانغماس ففيه وجهان، وأما إذا صب الماء على

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٣

العضو: فهنا ينبغي أن يرتفع الحدث(٢).

---

(١) مختصر الفتاوى (ص١٣، ١٤)، وللفهارس العامة (٢/ ٣٣).

(٢) اختيارات ص (٣)، وللفهارس (٢/ ٣٣) في الاختيارات زيادات.." [١]

"قال الشيخ تقي الدين: ولا يغسل في المسجد ميت، قال: ويجوز عمل مكان فيه للوضوء للمصلين وفي نسخة للمصلحة بلا محذور(١).

وإن كان في دخول أهل الذمة مطهرة المسلمين تضييق أو تنجس أو إفساد ماء ونحوه وجب منعهم، قال: وإن لم يكن ضرر ولهم ما يستغنون به عن مطهرة المسلمين فليس لهم مزاحمتهم(٢).

«إلا الروث والعظام» واختار الشيخ تقي الدين الإجزاء بهما، قال في الفروع: وظاهر كلام الشيخ تقي الدين وبما نهي عنه، قال: لأنه لم ينه عنه لكونه لا ينقى بل لإفساده.

فإن قيل: يزول بطعامنا مع التحريم فهذا أولى، واختار الشيخ تقي الدين في قواعده الإجزاء بالمطعوم ونحوه ذكره الزركشي أيضا(٣).

واختار أبو العباس في قواعده الإجزاء بالحجر المغضوب ونحوه من عصب ونحوها وفي المطعوم ونحوه، ومن مذهبه زوال النجاسة بغير الماء من المزيلات كماء الورد ونحوه(٤).

فإن توضأ قبله فهل يصح وضوءه؟ على روايتين: إحداهما: يصح، قال الشيخ تقي الدين في شرح العمدة : هذا أشهر(٥).

باب السواك وسنن الوضوء

السواك يطلق على الفعل، وعلى ما يتسوك به، قال الليث: وتؤنثه **العرب** أيضا.

وغلطه الأزهري في ذلك وتبعه ابن سيدة في المحكم(٦).

وهو في جميع الأوقات مستحب، والأصح ولو لصائم بعد الزوال وهو رواية عن أحمد وقاله مالك وغيره، قال أبو العباس: والسواك ما علمت أحدا كرهه في المسجد والآثار تدل على أن السلف كانوا يستاكون فيه

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٤

فكيف يكره(٧)؟

---

(١) الإنصاف (١/ ١٦٨) وللفهارس (٢/ ٣٤).

(٢) فروع (١/ ١٢٤) والاختيارات (٩) وللفهارس العامة (٢/ ٣٤).

(٣) الإنصاف (١/ ١١٠) فيه زيادة، وللفهارس العامة (٢/ ٣٤).

(٤) الزركشي (١/ ٢٢٨) وللفهارس (٢/ ٣٤).

(٥) الإنصاف (١/ ١١٤) وللفهارس العامة (٢/ ٣٤)

(٦) الاختيارات (١٠) وللفهارس العامة (٢/ ٣٤).

(٧) الاختيارات (١٠) وللفهارس العامة (٢/ ٣٤).." [١]

"وقص الشارب ليس بعيب، بل فعله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومدح فاعله ومن عاب شيئا فعله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أو أقر عليه عرف ذلك فإن أصر كفر(١).

قال شيخنا: يجب الختان إذا وجبت الطهارة والصلاة(٢).

وينبغي إذا راهق البلوغ أن يختتن، كما كانت **العرب** تفعل لئلا يبلغ إلا وهو مختون(٣).

زمن صغر أفضل إلى التمييز، وقال الشيخ تقي الدين: هذا المشهور(٤).

وليس حلق الرأس في غير نسك بسنة ولا قربة باتفاق المسلمين. وتنازعوا في كراهته، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يعزر بحلق الرأس فإنه كان عند السلف مثله(٥).

قال ابن القيم رحمه الله:

فصل

ويتعلق بالحلق مسألة القزع، وهي حلق بعض رأس الصبي وترك بعضه، وقال: أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر عن عمر بن نافع عن أبيه، عن ابن عمر قال: «نهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن القزع، والقزع أن يحلق بعض رأس الصبي ويدع بعضه».

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٧

قال شيخنا: وهذا من كمال محبة الله ورسوله للعدل فإنه أمر به حتى في شأن الإنسان مع نفسه، فنهاه أن يحلق بعض رأسه ويترك بعضه؛ لأنه ظلم للرأس حيث ترك بعضه كاسيا وبعضه عاريا، ونظير هذا أنه نهى عن الجلوس بين الشمس والظل فإنه ظلم لبعض بدنه، ونظيره نهى أن يمشي الرجل في نعل واحدة بل إما أن ينعلهما أو يحفيهما(٦).

---

(١) مختصر الفتاوى (٢٨) وللفهارس العامة (٢/ ٣٥).

(٢) الفروع (١/ ١٣٣) وللفهارس العامة (٢/ ٣٥).

(٣) الاختيارات (١٠) وللفهارس العامة (٢/ ٣٥).

(٤) الإنصاف (١/ ١٣٤)، وللفهارس العامة (٢/ ٣٥).

(٥) مختصر الفتاوى (٢٨) وللفهارس العامة والتقريب(٢/ ٣٥).

(٦) تحفة الودود (٨٠) وللفهارس العامة (٢/ ٣٥).." [١]

"قال رضي الله عنه: وعلى هذا يخرج نسخ قوله: ﴿ يحاسبكم به الله ﴾ [٢/٢٨٤] كما قد جاء عن الصحابة والتابعين خلافا لمن أنكره من أصحابنا وغيرهم كابن الجوزي. فضابط القاضي: أن الخبر إن قبل التغيير جاز النسخ وإلا فلا. وعلى هذا فيجوز نسخ الوعد والوعيد قبل الفعل كقوله: «من بنى هذا الحائط فله درهم» ثم يرفع ذلك. والفقهاء يفرقون بين التعليق وبين التخيير(١).

[شيخنا]: ... ... فصل

[فضيلة الناسخ على المنسوخ]

لما قال المخالف القرآن كله متساو في الخبر فقوله: ﴿ نأت بخير منها ﴾ [٢/١٠٦] يدل على أنه لا ينسخ بالأثقل، فقال: ومعلوم أنه لم يرد بقوله: (بخير منها) فضيلة الناسخ على المنسوخ، لأن القرآن كله متساو

في الفضيلة فعلم أنه أراد الأخف، فلم يمنع القاضي ذلك، بل قال: الخير ما كان أنفع: إما بزيادة الثواب مع المشقة، وإما بكثرة انتفاع المغير به، فإنه سبب لزيادة الثواب، فالأنفع هو ما كان أكثر ثوابا وكثرة الثواب بأحد السببين. ثم في مسألة نسخ القرآن بالسنة لما قال المخالف: «التلاوة لا يكون بعضها خيرا من

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٩

بعض، وإنما يكون ذلك في النفع» قال القاضي: ولا يصح هذا القول؛ لأنه قد يكون بعضها خيرا من بعض على معنى أنها أكثر ثوابا مثل سورة (طه) و (يس) وما أشبه ذلك. وقد يكون في بعضها من الإعجاز في اللفظ والنظم أكثر مما في البعض، وكانت **العرب** تعجب من بعض القرآن ولا تعجب من بعض.

قال شيخنا: قلت: بقي القول الثالث -وهو الحق- التفاضل الحقيقي كما نطقت به النصوص الصحيحة الصريحة(٢).

[شيخنا]: فصل

[نسخ التلاوة ونسخ الحكم]

ذكر القاضي في ضمن مسألة نسخ القرآن بالسنة أن الخلاف في نسخ تلاوته بأن يقول النبي: لا تقرءوا هذه الآية فتصير تلاوتها منسوخة بالسنة، وفي نسخ حكمه مع بقاء تلاوته، وأن المجيز يجيزهما جميعا، وجعل نسخ التلاوة أعظم من نسخ الحكم؛ فإنه منعهما جميعا.

---

(١) المسودة ص ١٩٧ ف ٨/٢.

(٢) المسودة ص ٢٠١ ف ٨/٢.." [(١)]

"ولا يختلف المذهب في أن ما بين السرة والركبة من الأمة عورة، وقد حكى جماعة من أصحابنا أن عورتها السوأتان فقط كالرواية في عورة الرجل، وهذا غلط قبيح فاحش على المذهب خصوصا وعلى الشريعة عموما وكلام أحمد أبعد شيء عن هذا القول(١).

واختار الشيخ تقي الدين أن الأفضل أن يلبس مع القميص السراويل من غير حاجة إلى الإزار والرداء، وهذا من جنس اختياره أن الفصاد في البلاد الرطبة أولى وأن الاغتسال بالماء الحار في البلاد الرطبة أولى من الإدهان اعتبارا في كل بلد بعادتهم ومصلحتهم(٢).

السدل هو أن يطرح على كتفيه ثوبا ولا يرد أحد طرفيه على الكتف الأخرى قال الشيخ تقي الدين هذا الصحيح المنصوص عليه(٣).

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٢٢

وقال الشيخ تقي الدين: واعتبار لبس الطيالسة على العمائم لا أصل له في السنة، ولم يكن من فعل النبي - صلى الله عليه وسلم - والصحابة رضي الله عنهم؛ بل ثبت في الصحيح حديث الدجال «أنه يخرج معه سبعون ألفا مطيلسين من يهود أصبهان» وكذلك جاء في غير هذا الحديث: أن الطيالسة من شعار اليهود، ولهذا كره من كره لبسها لما رواه أبو داود.

وغيره عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «ليس منا من تشبه بغيرنا»(٤) انتهى كلامه(٥).
وقال ابن عقيل في مكان آخر: يكره ما يشبه زي الكفار دون **العرب**، وقاله أيضا غيره.

---

(١) الإنصاف (١/ ٤٥٣) وللفهارس (٢/ ٥٢).
(٢) الاختيارات (٤٠، ٤١) وللفهارس (٢/ ٥٠).
(٣) الآداب (٣/ ٥٢٣) والفروع (١/ ٣٥٦) وللفهارس (٢/ ٥٢).
(٤) الإنصاف (١/ ٤٦٩) وللفهارس (٢/ ٥٢).
(٥) الآداب (٣/ ٥٢٤، ٥٢٥) والفروع (١/ ٣٥٥) وللفهارس (٢/ ٥٣).." [١]

"ولو ترك جمدا في حر شديد حتى ذاب وتقاطر ماؤه فقصد إنسان إلى ذلك القطر وتلقاه في إناء وجمعه وشربه كان مضمونا عليه، وإن كان لو تركه لضاع ذكره أبو طالب في الانتصار. وفيه نظر(١).

باب الجعالة

ومن استنقذ مال غيره من الهلكة ورده استحق أجرة المثل ولو بغير شرط في أصح القولين، وهو منصوص أحمد وغيره(٢).

باب اللقطة

ولا تملك لقطة الحرم بحال ويجب تعريفها أبدا، وهو رواية عن أحمد، واختارها طائفة من العلماء. وتضمن اللقطة بالمثل، كبدل القرض. وإذا قلنا بالقيمة فالقيمة يوم ملكها الملتقط قطع به ابن أبي موسى وغيره. خلافا للقاضي وأبي البركات(٣).

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٥١

باع الملتقط اللقطة بعد الحول ثم جاء ربها فالأشبه أن المالك لا يملك انتزاعها من المشتري(٤).

ولو وجد لقطة في غير طريق مأتي فهي لقطة على الصحيح من المذهب قدمه في الفائق. واختار الشيخ تقي الدين أنها كالركاز(٥).

ومن استنقذ فرسا من أيدي **العرب** ثم مرض الفرس ولم يقدر على المشي جاز له بيعه، بل يجب في هذه الحال أن يبيعه لذمة صاحبه وإن لم يكن وكيله نص عليه الأئمة ويحفظ الثمن(٦).

باب اللقيط

وذكر ابن أبي موسى في «الإرشاد» أن بعض شيوخه حكى رواية عن الإمام أحمد أن الملتقط يرثه (يرث اللقيط) واختاره الشيخ تقي الدين رحمه الله ونصره(٧).

كتاب الوقف

تعريفه:

قال شيخنا: وأقرب الحدود في الوقف أنه كل عين تجوز عاريتها(٨).

---

(١) اختيارات ص ١٦٩ والفروع ج ٤/ ٥٥٥ ف ٢/ ٢٤٧.

(٢) اختيارات ص ١٦٩ ف ٢/ ٢٤٧.

(٣) اختيارات ص ١٦٩ ف ٢/ ٢٤٧.

(٤) اختيارات ص ١٦٩ ف ٢/ ٢٤٨.

(٥) اختيارات ص ١٦٩ مختصر الفتاوى ٤١٦ ف ٢/ ٢٤٨.

(٦) إنصاف ٦/ ٤٢٩ ف ٢/ ٢٤٨.

(٧) إنصاف ٦/ ٤٤٦ ف ٢/ ٢٤٨.

(٨) إنصاف ٧/ ٣ وفي الاختيارات الموقوف كما يأتي ف ٢/ ٢٤٩.." [(١)]

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٧٣

"من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ ﴿ ربنا آتنا في الدنيا وما

له في الآخرة من خلاق * ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة

وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾ ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين ﴾ وصلى الله

على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم(١).

وتقول المرأة في سيد الاستغفار وما في معناه: وأنا أمتك بنت أمتك. أو بنت عبدك، ولو قالت: وأنا عبدك، فله مخرج في **العربية** بتأويل الشخص(٢).

السنن الرواتب:

---

(١) قلت: وسئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز عن دعاء ختم القرآن.. فأجاب: الصواب أنه مشروع وعليه درج أهل العلم من عهد الصحابة إلى وقتنا هذا وقد كان أنس رضي الله عنه يجمع أهله عند ختم القرآن، ويدعو، فالحاصل أن دعاء ختم القرآن مستحب وعليه درج سلف الأمة وأتباعهم بإحسان، ولا فرق بين فعله داخل أو خارج الصلاة فإذا دعاء الإمام عند ختم القرآن في صلاة التراويح أو في القيام في عشر الأواخر فكله لا بأس به، والصواب أنه لا حرج في ذلك إن شاء الله مجلة اليمامة العدد (١١٥١) في (٥/ ٩/ ١٤١١) ف (٢/ ٧١).

(٢) اختيارات (٦٥) والفروع (١/ ٥٦٢) ف (٢/ ٧١).." [١]

"وقال أبو العباس في جند قاتلوا **عربا** نهبوا أموال التجار ليردوها إليهم فهم يجاهدون في سبيل الله، ولا ضمان عليهم بقود ولا دية ولا كفارة(١).

باب الخلافة والملك

نصب السلطان

قد أوجب النبي - صلى الله عليه وسلم - تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر فهو تنبيه

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٩٢

على أنواع الاجتماع(٢).

ومن أمر للرئاسة والمال لم يثب، ويأثم على فساد نيته كالمصلي رياء وسمعة(٣).

وقال الشيخ تقي الدين: العدل تحصيل منفعته، ودفع مضرته، وعند الاجتماع يقدم أرجحهما لتحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما ودفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما.

وقال في موضع آخر بعد أن ذكر ما رواه أحمد عن ميمون بن مهران، قال: ثلاثة لا تبلون نفسك بهم: لا تدخلن على ذي سلطان وإن قلت آمره بطاعة الله، ولا تخلون بامرأة وإن قلت: أعلمها كتاب الله، ولا تصغين بسمعك لذي هوى فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك منه.

قال الشيخ تقي الدين: فالاجتماع بالسلطان من جنس الإمارة والولاية، وفعل ذلك لأمره ونهيه بمنزلة الولاية بنية العدل وإقامة الحق.

واستماع كلام المبتدع للرد عليه من جنس الجهاد، وأما الخلوة بالمرأة الأجنبية فمحرم فهذا كله من جنس واحد، وهو دخول الإنسان بنفسه من غير حاجة فيما يوجب عليه أمورا أو يحرم عليه أمورا، لا سيما إن كانت تلك الأمور مما جرت العادة بترك واجبها وفعل محظورها، ولهذا قال النبي – صلى الله عليه وسلم – في الدجال: "فلا يزال ما يراه من الشبهات حتى يفتنه ذلك".

---

(١) اختيارات ص (٢٩٧)، ف (٢/ ٣٧٦) وانظر ما إذا تعدى أهل مكة أو غيرهم على الركب الحجاج دفع الركب كما يدفع الصائل، أول كتاب الحج من هذا.

(٢) فروع (٦/ ٤١٧) اختيارات (٣٣١)، ف (٢/ ٣٧٦).

(٣) فروع (٦/ ٤١٧) واختيارات (٢٩٧) ولفظها، ومن آمن إلخ، ف (٢/ ٣٧٦).." (١)

"وأما ذرية أبي لهب ففيه خلاف بين الفقهاء؛ لكن «أبي لهب» خرج عن بني هاشم لما نصروا النبي – صلى الله عليه وسلم – ومنعوه ممن كان يريد أذاه من قريش، ودخل مع بني هاشم بنو المطلب؛ ولهذا جاء عثمان بن عفان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – حين أعطى من خمس خيبر لبني هاشم وبني المطلب فقالا: يا رسول الله أما إخواننا بنو هاشم فلا ننكر فضلهم لأنك منهم وأما بنو المطلب فإنما هم ونحن منك بمنزلة واحدة فقال: «إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام،

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٩٧

إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد».

وأفضل الخلق النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ثم الصالحون.

وأفضل كل صنف أتقاهم كما قال – صلى الله عليه وسلم – : «لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى» هذا في الأصناف العامة.

وأفضل الخلق في الطبقات: القرن الذي بعث فيهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم.

وأما في الأشخاص فأفضلهم النبي – صلى الله عليه وسلم – ثم إبراهيم عليه السلام.

فتبين أن الشرف ليس لبني هاشم خاصة، بل يتنوع بحسب عرف المخاطبين ومقاصدهم.

وأما المسمى بهذا اللفظ فيقال: من الأحكام ما تشترك فيه قريش كلها نحو الإمامة الكبرى؛ فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «الإمامة في قريش ما بقي من الناس اثنان» وقال: «الناس تبع لقريش في هذا الأمر».

وكذلك لقريش مزية كما قال: «إن الله اصطفى بني إسماعيل من ولد إبراهيم، واصطفى كنانة من بني إسماعيل، واصطفى

قريشا من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم».

ومن الأحكام ما يختص بني هاشم أو بني هاشم مع بني المطلب دون سائر قريش، كالاستحقاق من خمس الغنائم، وتحريم الصدقة، ودخولهم في الصلاة إذا صلي على آل محمد وثبوت المزية على غيرهم.." (١)

"والأصل فيها الحل لمسلم يعمل صالحا، لأن الله تعالى إنما يبيح الطيبات لمن يستعين بها على طاعته لا على معصيته، لقوله تعالى: ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا ﴾ [٥/٩٣] الآية ولهذا لا يجوز أن يعان بالمباح على معصية، كمن يعطي اللحم والخبز لمن يشرب عليه الخمر، ويستعين به على الفواحش، ومن أكل من الطيبات، ولم يشكر فهو مذموم، قال تعالى: ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم * ﴾ [١٠٢/٨] أي عن الشكر عليه(١).

وأما الضبع فإنها مباحة في مذهب مالك والشافعي وأحمد، وحرام في مذهب أبي حنيفة، لأنها من ذوات الأنياب، والأولون استدلوا بقوله – صلى الله عليه وسلم – "إنها صيد وأمر بأكلها" رواه أهل السنن وصححه

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٠٠

الترمذي. قالوا: ليس لها ناب، لأن أضراسها صفيحة لا ناب فيها(٢).

وفي كلب الماء نزاع، الأولى تركه(٣).

وسنور أهلي. قال أحمد: أليس مما يشبه السباع؟ قال شيخنا:

ليس في كلامه هذا إلا الكراهة، وجعله أحمد قياسا، وأنه قد يقال: يعمها اللفظ(٤).

وما يأكل الجيف يعني يحرم ونقل عبد الله وغيره: يكره وجعل فيه الشيخ تقي الدين روايتي الجلالة.

وقال: عامة أجوبة الإمام أحمد رحمه الله ليس فيها تحريم، قال: وإذا كان ما يأكلها من الدواب السباع، ففيه نزاع أو لم يحرموه والخبر في الصحيحين(٥) فمن الطير أولى(٦).

وما يستخبث أي تستخبثه **العرب**، وقال الشيخ تقي الدين: وعند الإمام أحمد وقدماء أصحابه لا أثر لاستخباث **العرب**، وإن لم يحرمه الشرع حل(٧).

---

(١) اختيارات (٣٢١)، ف (٢/ ٣٩٨) فيه زيادة.

(٢) مختصر الفتاوى (٥٢٠)، ف (٢/ ٣٩٩).

(٣) مختصر الفتاوى (٥٢٠)، ف (٢/ ٣٩٩).

(٤) فروع (٦/ ٢٩٥)، ف (٢/ ٣٩٩) وإنصاف (١٠/ ٣٥٥).

(٥) يعني حديث كل ذي ناب من السباع.

(٦) إنصاف (١٠/ ٣٥٥)، ف (٢/ ٣٩٩).

(٧) إنصاف (١٠/ ٣٥٧)، ف (٢/ ٣٩٩).." [١]

"وما أكل منه الكلب لا يؤكل في أصح قولي العلماء، ولا يحرم على ما تقدم في أصح قولي العلماء أيضا(١).

كتاب الأيمان

قال شيخنا: الأحكام تتعلق بما أراده الناس بالألفاظ الملحونة، كقوله: حلفت بالله رفعا ونصبا، والله باصوم،

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٠٥

أو باصلي ونحوه، وكقول الكافر: أشهد أن محمدا رسول الله برفع الأول ونصب الثاني، وأوصيت لزيد بمائة وأعتقت سالم، ونحو ذلك، وأن من رام جعل الناس كلهم في لفظ واحد بحسب عادة قوم بعينهم فقد رام ما لا يمكن عقلا ولا يصلح شرعا(٢).

الحالف لا بد له من شيئين: من كراهة الشرط وكراهة الجزاء عند الشرط، ومن لم يكن كذلك لم يكن حالفا، سواء كان قصده الحظ والمنع، أو لم يكن(٣).

قال أصحابنا: فإن حلف باسم من أسماء الله تعالى التي قد يسمى بها غيره وإطلاقه ينصرف إلى الله تعالى فهو يمين إن نوى به الله أو أطلق، وإن نوى غيره فليس بيمين.

قال أبو العباس: هذا من التأويل: لأنه نوى خلاف الظاهر، فإذا كان ظالما لم تنفعه وتنفع المظلوم.

وفي غيرهما وجهان: إذ الكلام المحلوف به كالمحلوف عليه.

وأظن أن كلام أحمد في المحلوف به أيضا(٤).

قال في المحرر: فإن قال: اسم الله مرفوعا، مع الواو أو عدمه أو منصوبا مع الواو، ويعني في القسم باسم، فهو يمين، إلا أن يكون من أهل العربية ولا يريد اليمين.

قال أبو العباس: يتوجه فيمن يعرف العربية إذا أطلق وجهان، كما جاء في الحاسب والنحوي في الطلاق، كقوله: إن دخلت الدار فأنت طالق واحدة في اثنين.

ويتوجه أن هذا يمين بكل حال، لأن ربطه جملة القسم بالقسم يوجب في اللغة أن يكون يمينا، لأنه لحن لحنا لا يحيل المعنى: بخلاف مسألة الطلاق(٥).

---

(١) مختصر الفتاوى (٥٢٠)، ف (٢/ ٤٠٢).

(٢) فروع (٦/ ٣٣٨) والإنصاف (١١/ ١٢)، ف (٢/ ٤٠٣).

(٣) اختيارات (٣٢٥)، ف (٢/ ٤٠٣).

(٤) اختيارات (٣٢٥)، ف (٢/ ٤٠٤).

(٥) اختيارات (٢٦3)، ف (٢/ ٤٠٤).." [١]

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١١٠

"وقال في مكان آخر: وقد نقل عن أحمد لعنة أقوام معينين من دعاة أهل البدع؛ ولهذا فرق من فرق من الأصحاب بين لعنة الفاسق بالفعل وبين دعاة أهل الضلال؛ إما بناء على تكفيرهم، وإما بناء على أن ضررهم أشد. ومن جوز لعنة المبتدع المكفر عينا فإنه يجوز لعنة الكافر المعين بطريق الأولى. ومن لم يجوز أن يلعن إلا من ثبت لعنه بالنص فإنه لا يجوز لعنة الكافر المعين. فمن لم يجوز إلا لعن المنصوص يرى أن لا يجوز ذلك لا على وجه الانتصار ولا على وجه الجهاد وإقامة الحدود كالهجرة والتعزير والتحذير. وهذا مقتضى حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي في الصحيح: أن النبي – صلى الله عليه وسلم –كان إذا أراد أن يدعو لأحد أو على أحد قنت بعد الركوع وقال فيه: «اللهم العن فلانا وفلانا لأحياء من **العرب** حتى نزلت: ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ الآية [٣/١٢٨]».

قال: وكذلك من لم يلعن المعين من أهل السنة أو من أهل القبلة أو مطلقا.

وأما من جوز لعنة الفاسق المعين على وجه البغض في الله عز وجل والبراءة منه والتعزير فقد يجوز ذلك على وجه الانتصار أيضا.." (١)

"ومنها: أن هذا نظير الآية التي في سورة عبس: ﴿ فمن شاء ذكره * في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدي سفرة *كرام بررة ﴾ [٨٠/١٦-١٢] قال مالك في موطئه: أحسن ما سمعت في تفسير قوله: ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ أنها مثل هذه الآية التي في سورة عبس.

ومنها: أن الآية مكية من سورة مكية تتضمن تقرير التوحيد والنبوة والمعاد وإثبات الصانع والرد على الكفار، وهذا المعنى أليق بالمقصود من فرع عملي، وهو حكم مس المحدث المصحف.

ومنها: أنه لو أريد به الكتاب الذي بأيدي الناس لم يكن في الإقسام على ذلك بهذا القسم العظيم كثير فائدة؛ إذ من المعلوم أن كل كلام فهو قابل لأن يكون في كتاب حقا أو باطلا؛ بخلاف ما إذا وقع القسم على أنه في كتاب مصون مستور عن العيون عند الله، لا يصل إليه الشيطان، ولا ينال منه، ولا يمسه إلا الأرواح الطاهرة الزكية. فهذا المعنى أليق وأجل وأخلق بالآية وأولى بلا شك.

فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية –قدس الله روحه– يقول: لكن تدل الآية بإشارتها على أنه لا يمس المصحف إلا طاهر؛ لأنه إذا كانت تلك الصحف لا يمسها إلا المطهرون لكرامتها على الله؛ فهذه الصحف أولى أن لا يمسها إلا طاهر.

وسمعته يقول في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : «لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب» إذا

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١١٦

عن دخول البيت فكيف تلج معرفة الله عز وجل ومحبته وحلاوة ذكره والأنس بقربه في قلب ممتلئ بكلاب الشهوات وصورها؟ فهذا من إشارة اللفظ الصحيحة(١).

[من حفظه غير **معرب**]

---

(١) مدارج جـ١/٤١٦-٤١٨ أكثر هذه الوجوه ليس موجودا في مجموع الفتاوى. وللفهارس العامة جـ١/٢٤٣.." (١)

"مسألة: ومن حفظ القرآن غير **معرب** فلم يمكنه أن يقرأه إلا بلسان العجم أو عجز عن حفظ إعرابه ونحوه فليقرأ كما يمكنه فهو أولى من تركه ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ (١).

[قراءته في الطرقات وكتابته بحيث يهان]

قراءة القرآن في الطرقات وفي الأسواق منهي عنها؛ لأنها للتأكل بالقرآن، وفيه ابتذال القرآن، ولا يصغي إليه أحد(٢).

ولا يجوز كتابة القرآن بحيث يهان، كما لو كتب على نصيبة قبر تبول عليه الكلاب ويدوسه الناس، كما لا يجوز أن يسافر به إلى أرض العدو. فتجب إزالته وإزالة ما كتب فيه من موضع الإهانة بالاتفاق(٣).

[المزاح حال القراءة]

وما كان مباحا في غير حال القراءة مثل المزاح الذي جاءت به الآثار -وهو أن يمزح ولا يقول إلا صدقا لا يكون في مزاحه كذب ولا عدوان- فهذا لا يفعل في حال قراءة القرآن؛ بل ينزه عنه مجلس القرآن. فليس كل ما يباح في حال غير القراءة يب ا ح فيها، كما أنه ليس كل ما يباح خارج الصلاة يباح فيها، لاسيما ما يشغل القارئ والمستمع عن التدبر والفهم،مثل كونه يخايل ويضحك. فكيف واللغو والضحك حال القراءة من أعمال المشركين، كما قال تعالى: ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ [٤١/٢٦]،

وقال تعالى: ﴿ وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا ﴾ [٤٥/٩]، وقال: ﴿ أفمن هذا الحديث تعجبون

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٤٣

* وتضحكون ولا تبكون ﴾ [٥٩، ٦٠/٥٣].
ووصف المؤمنين بأنهم يبكون ويخشعون حال القراءة.

---

(١) مختصر الفتاوى ص٩٣ وللفهارس العامة جـ١/٢٤٧.
(٢) مختصر الفتاوى ص٢١١ وللفهارس العامة جـ١/٢٤٨.
(٣) مختصر الفتاوى ص٢٧٠ وللفهارس العامة جـ١/٢٤٨.." (١)

"قال شيخنا أبو العباس: الوجه المذكور في الإقرار والطلاق فيما إذا قال: «أنت طالق اثنتين وواحدة إلا واحدة» هل نعيده إلى الجملة الأخيرة فيبطل أو إلى الجميع فيصح؟ فيه وجهان، فيخرج مثلهما هنا؛ إلا أن يقال هناك: لا يصح عوده إلى الأخيرة، لأن الاستثناء يرفع جميع الأخيرة ومثل هذا لا يكون عربيا فقد أتى باستثناء لا يصح عوده إلى الأخيرة. والقاضي قيد المسألة بأن يكون الاستثناء يصح عوده إلى كل واحدة منها لو انفرد، وذكر في حجتها: أن الجمل المعطوف بعضها على بعض بمنزلة الجملة الواحدة؛ لأنه لا فرق بين أن يقول: «رأيت رجلا ورجلا» وبين أن يقول: «رأيت رجلين» قال: وهذا صحيح على مذهب أحمد، لقوله في غير المدخول بها: أنه إذا قال: «أنت طالق وطالق وطالق» وقع ثلاثا كالجملة الواحدة. قال: وعلى هذا الأصل إذا قال: «أنت طالق وطالق وطالق إلا طلقة» يقع عليه طلقتان؛ لأنه يكون قد استثنى واحدة من ثلاث.

[هنا ثلاثة أقسام]

قال شيخنا: في هذه المواضع لا يصح عود الاستثناء على كل

جملة؛ بل هنا لم يتعقب الاستثناء جملا بحال، فليست هذه المسألة محل النزاع، وإنما تقرير كلامه: أن الآحاد المتعاقبة بمنزلة الشيء الواحد، فكذلك الجمل. فهنا ثلاثة أقسام: عطف الأسماء الواحدة بعضها على بعض، وعطف الأسماء الشاملة بعضها على بعض، وعطف الكلام المركب بعضه على بعض. ومنع القاضي أن العموم يحصل إلا بوقوع الثلاث(١) على الكلام من غير استثناء وهذا جيد وكذلك جميع المتصل المخصص فإنه مانع لا رافع لكن غايته مذهب الواقفة(٢).

فصل

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٤٤

[ومن الإثبات فيه تفريق]

الاستثناء من النفي ومن الإثبات نفي، عندنا وعند الجمهور وقالت الحنفية: ليس كذلك. وقيل: هو من الإثبات نفي، وأما من النفي فليس بإثبات.

---

(١) نسخة: إلا بوقوع السلب على الكلام.

(٢) المسودة ص ١٥٨، ١٥٩ ف ٢/١٩.." [(١)]

"قال شيخنا: ينبغي أن يفرق بين قولنا: «ما رأيت أحدا إلا زيدا» وبين قولنا: «ما جاء القوم إلا زيد»، وقولنا: «ما له عندي عشرة إلا واحد» فإنه قد قيل: إنه في مثل هذا يكون مقرا بواحد. وهذا عندي ليس بجيد وإنما مقصوده أنه ليس له عندي تسعة، وذلك أنه لو قصد الإثبات لكان قوله: «ما له عندي إلا واحد» هو كلام **العرب**؛ بخلاف استثناء من الصيغ العامة فيفرق بين العدد والعموم(١).

[شيخنا]: ... ... فصل

[بين الأخفش وابن عقيل]

حكى الأخفش أن قول القائل: «ما جاءني غير زيد» لا يدل على مجيء زيد؛ بل يدل على نفي مجيء غيره. ذكره ابن عقيل في حجة التاركين للمفهوم، وقال: قول الأخفش لا يقابل قول أبي عبيد، لأن

الأخفش نحوي ولم يكن من المبرزين في اللغة(٢).

[شيخنا]: ... ... فصل

ثم للترتيب مع المهملة والتراخي، ذكره ابن عقيل وكثيرون. وذكر ابن عقيل: أن الاستدلال أصحابنا على أن الإمساك لا يكون عودا في آية الظهار(٣).

[شيخنا] ... ... فصل

[معنى ثم]

قال القاضي: «ثم» للفصل مع الترتيب، فإذا قال: «رأيت غلاما ثم فلانا» اقتضى أن يكون الثاني متأخرا عن الأول في الرؤية؛ ولهذا يحتج أصحابنا بقوله تعالى: ﴿ والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا ﴾ أن ذلك للمهلة فيقتضي أن يكون العود العزم على الوطء(٤).

---

(١) المستدرك على فتاوى ا بن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٧٣

[شيخنا]: ... ... فصل

[اختلاف كلام القاضي في الاستثناء]

---

(١) المسودة ص ١٦٠ ف ١٩/٢.

(٢) المسودة ١٦٠ ف ١٩/٢.

(٣) المسودة ٣٥٦ ف ١٩/٢.

(٤) المسودة ٥٦٤ ف/٢١٩، ٤٧٦.." (١)

"وقد وصف الإنسان بالظلم والجهل، وجعل الفرق بين المؤمن والكافر والمنافق أن المؤمن يتوب فيتوب الله عليه إذ لم يكن له بد من الجهل فقال تعالى: ﴿ ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ﴾ [٣٣/٧٣] و«خير الخطائين التوابون» و«كل بني آدم خطاؤون».

وقد ذكر الله الذين وعدهم الحسنى فلم ينف عنهم الذنوب فقال تعالى: ﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ﴾ إلى قوله: ﴿ ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ﴾ [٣٣-٣٥/٣٩] فذكر المغفرة والتكفير، وقال تعالى: ﴿ أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾ [٤٦/١٦]، وقال عليه الصلاة والسلام: «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله» قالوا: ولا أنت؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل».

واعلم أن كثيرا من الناس يسبق إلى ذهنه من ذكر الذنوب الزنا والسرقة ونحو ذلك فيستعظم أن كريما يفعل ذلك، ولا يعلم هذا المسكين أن أكثر عقلاء بني آدم لا يسرقون؛ بل ولا يزنون حتى في

جاهليتهم وكفرهم؛ فإن أبا بكر وغيره قبل الإسلام ما كانوا يرضون أن يفعلوا مثل هذه الأعمال، ولما بايع النبي - صلى الله عليه وسلم - هند بنت عتبة بن ربيعة أم معاوية بيعة النساء على أن لا يسرقن ولا يزنين قالت: «أو تزني الحرة»؟ فما كانوا في الجاهلية يعرفون الزنا إلا للإماء، وكذلك اللواط، فأكثر الأمم لم تعرفه ولم يكن يعرف في العرب قط.

ولكن الذنوب تتنوع وهي كثيرة الشعب: كالتي هي من باب الضلال في الإيمان والبدع التي هي من جنس

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٧٤

العلو في الأرض بالفساد، والفخر والخيلاء والحسد والكبر والرياء هي في الناس الذين هم متفقون على الفواحش.." (١)

"قال أبو العباس: ليس هذا من الاستثناء المختلف فيه، فإن قوله: قضيتك ستين مثل خمسين، قال أبو حنيفة إذا قال: له علي كذا وكذا درهما لزمه أحد عشر درهما وإن قال: كذا وكذا درهما لزمه إحدى وعشرون.

وإن قال: كذا درهم لزمه عشرون.

وما قاله أبو حنيفة أقرب مما قاله أصحابنا؛ فإن أصحابنا بنوه على أن كذا وكذا تأكيد وهو خلاف الظاهر المعروف، وأن الدرهم مثل الترجمة لهما، وهذا يقتضي الرفع إلى النصب، ثم هو خلاف لغة **العرب**.

وأيضا: لو أراد درهما لما كان في قوله "درهما" فائدة؛ بل يكفيه أن يقول كذا درهما لما كان(١) في أراد درهما.

وأيضا(٢) لو لغة **العرب** هو خلاف لا النصب ثم يقتضي الرفع لهما وهذا مثل الترجمة وأن الدرهم المعروف الظاهر أن يقول: درهم(٣).

ويصح استثناء ما دون النصف...وظاهر كلامه في المستوعب أنه كالاستثناء في اليمين على ما تقدم في كتاب الأيمان وذكر الشيخ تقي

الدين قال مثله ئل صلة كلام مغير له، واختار أن المتقارب متواصل(٤).

وإن قال : له علي اثنا عشر درهما ودينار، فإن رفع الدينار فواحد، واثني عشر إن رضيه نحوي فمعناه الاثنا عشر دراهم ودنانير، وذكره الشيخ في فتاويه(٥).

ومنها لو قال: غصبت منه ثوبا في منديل أو زيتا في زق ونحوه ففيه الوجهان المتقدمان.

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) هكذا في الأصل.

(٣) اختيارات (٣٦٩-٣٧١)، ف (٢/ ٤٢٨).

(٤) إنصاف (١٢/ ١٧١) وفي الاختيارات وفي كل صلة كلام معتبرة له للاستثناء وغير المتقارب فيها

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٧٨

متواصل قلت: وما في الإنصاف أصح، ف (٢/ ٤٢٨).
(٥) فروع (٦/ ٦٣٩)، ف (٢/ ٤٢٨).." [١]

"قال شيخنا فيمن حبسته بحقها: إن خاف خروجها بلا إذنه أسكنها حيث لا يمكنها، فإن لم يكن له ما يحفظها غير نفسه حبست معه. فإن عجز عن حفظها أو خيف حدوث شر أسكنت في رباط ونحوه. ومتى كان خروجها مظنة للفاحشة صار حقا لله تعالى يجب على ولي الأمر رعايته(١).

ولو سافر بإحداهن بغير قرعة. قال أصحابنا: يأثم ويقضي. والأقوى: أنه لا يقضي، وهو قول الحنفية والمالكية(٢).

وعليه أن يسوي بين نسائه في القسم. وقال الشيخ تقي الدين: يجب عليه التسوية فيهما أيضا (النفقة والكسوة) وقال: كما علل القاضي عدم الوجوب بقوله: لأن حقهن في النفقة والكسوة والقسم وقد سوى بينهما وما زاد على ذلك فهو تطوع فله أن يفعله إلى من شاء. قال: موجب هذه العلة أن له أن يقسم للواحدة ليلة من أربع لأنه الواجب ويبيت الباقي عند الأخرى. اهـ(٣).

وذكر القاضي أنه إذا وفى الثانية من حقها ونصفها من حق الأخرى فيثبت للجديدة في مقابلة ذلك نصف ليلة بإزاء ما حصل لكل واحدة من

ضرتيها... قال في الفروع بعد أن قدم قول القاضي: واختار الشيخ تقي الدين لا يبيت نصفها بل ليلة كاملة لأنه حرج(٤).

وقال الشيخ تقي الدين: يجب عليها المعروف من مثلها لمثله، وخرج الشيخ تقي الدين الوجوب من نصه على نكاح الأمة للخدمة(٥).

فصل

النشوز

وقال ثعلب: العرب تقول: صبرك على أذى من تعرفه خير لك من استحداث من لا تعرفه. وكان شيخنا يقول هذا المعنى(٦).

وتهجر المرأة زوجها في المضجع لحق الله، بدليل قصة الذين خلفوا في غزوة تبوك. وينبغي أن تملك النفقة في هذه الحال؛ لأن المنع منه، كما لو امتنع من أداء الصداق(٧).

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٧٨

(١) فروع ٥/ ٣٢٨ وتقدم ف ٢/ ٣٠٠.

(٢) اختيارات ٢٤٩ وبعضه في الإنصاف ٨/ ٣٧١ ف ٢/ ٣٠١.

(٣) الإنصاف ٨/ ٣٦٤ ف ٢/ ٣٠١.

(٤) إنصاف ٨/ ٣٦٤ ف ٢/ ٣٠٠.

(٥) الإنصاف ٨/ ٣٦٢ ف ٢/ ٣٠١.

(٦) فروع ٥/ ٣٢٩ ف ٢/ ١٥٣.

(٧) ا ختيارات ٢٤٦ ف ٢/ ٣٠٢.." [(١)]

"وانتهيت من تبييضه في شهر ربيع الثاني من عام ألف وأربعمائة وسبعة عشرة هجرية وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

المراجع

١- مختصر الفتاوى المصرية مطبعة أنصار السنة المحمدية ١٣٦٨هـ.

٢- الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية بتحقيق محمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٩ هـ.

٣- الفروع لأبي عبد الله محمد بن مفلح ت ٧٦٣ ومعه تصحيح الفروع للشيخ علاء الدين أبي الحسين علي بن سليمان المرداوي ت ٨٨٥ ستة مجلدات عالم الكتب.

٤- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف تأليف.. علي بن سليمان المرداوي بتصحيح وتحقيق محمد حامد الفقي عدد المجلدات اثنا عشر الطبعة الأولى عام ١٣٧٦.

٥- المسودة في أصول الفقه: تحقيق وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد (دار الكتب **العربي**، بيروت).

٦- الآداب الشرعية والمنح المرعية، تأليف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي مكتبة

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٧٨

التقدم عام ١٣٤٨ هـ.

مؤلفات ابن القيم:

١- إعلام الموقعين تأليف العالم العلامة المحقق المدقق أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ت (٧٥١) بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (ط ١٤٠٧ هـ مكتبة الكليات الأزهرية).

٢- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: بتحقيق وتصحيح محمد حامد الفقي دار المعرفة بيروت جزآن.

٣- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام (دار الطباعة المحمدية بالأزهر ١٣٩٢) هـ.

٤- الكلام على مسألة السماع: تحقيق ودراسة الدكتور راشد بن عبد العزيز الحمد دار العاصمة بالرياض ١٤٠٩ هـ.

٥- زاد المعاد في هدي خير العباد: (ط دار الفكر بيروت ١٣٩٢هـ) أربعة أجزاء.

٦- الوابل الصيب تحقيق وتعليق الشيخ إسماعيل الإنصاري (مطابع النصر الحديثة بالرياض).

٧- مدارج السالكين (مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٥هـ ثلاث مجلدات).." (١)

"٨- تهذيب سنن أبي داود بتحقيق محمد حامد الفقي وأحمد محمد شاكر مطبعة السنة المحمدية.

٩- إعلام الموقعين: بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد شركة الطباعة الفنية المتحدة بيروت أربعة أجزاء.

١٠- الروح مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح دار الكتب العلمية بيروت.

١١- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة جزآن المطبعة السلفية بمكة ١٣٤٩ هـ.

١٢- مفتاح دار السعادة جزآن (مكتبة الرياض الحديثة).

١٣- الجواب الكافي: (دار الكتب العلمية بيروت).

١٤- التبيان في أقسام القرآن (دار الطباعة المحمدية بالأزهر (١٣٦٨ هـ)).

١٥- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.

١٦- أحكام أهل الذمة بتحقيق وتعليق الدكتور صبحي الصالح دار العلم للملايين بيروت جزآن.

١٧- بدائع الفوائد (إدارة الطباعة المنيرية) أربعة أجزاء.

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٨٣

١٨- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية (دار الكتب العلمية بيروت).

١٩- إغاثة اللفهان في حكم طلاق الغضبان (المكتب الإسلامي بيروت).

٢٠- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية بتحقيق محمد حامد الفقي ١٣٧٢ هـ.

٢١- الرسالة التبوكية (مطبعة المدني ١٣٧٦) هـ.

٢٢- الفوائد (دار مصر للطباعة).

٢٣- عدة الصابرين.

٢٤- تحفة الودود بأحكام المولود (دار الكتاب **العربي**- بيروت).

٢٥- طريق الهجرتين (دار الكتاب **العربي**- بيروت).

٢٦- شفاء العليل (دار التراث بالقاهرة).

٢٧- الفروسية تحقيق محمد نظام الدين الفتيح (مكتبة التراث).

وبقية المراجع وهي قليلة ذكرت في الأصل عند نهايتها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الفهرس

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٨٤

"ومنها: أن هذا الكتاب لم يذكره أحد من أهل العلم على اختلاف أصنافهم، فلم يذكره أحد من أهل المغازي والسير، ولا أحد من أهل الحديث والسنة، ولا أحد من أهل الفقه والإفتاء، ولا أحد من أهل التفسير، ولا أظهروه في زمان السلف لعلمهم أنهم إن زوروا مثل ذلك عرفوا كذبه وبطلانه، فلما استرقوا بعض الدول في وقت فتنة وخفاء بعض السنة زوروا ذلك وعتقوه وأظهروه، وساعدهم على ذلك طمع بعض الخائنين لله ولرسوله، ولم يستمر لهم ذلك حتى كشف الله أمره وبين خلفاء الرسل بطلانه وكذبه(١).

قال شيخنا: ولما كان عام إحدى وسبعمائة أحضر جماعة من يهود دمشق عهودا ادعوا أنها قديمة، وكلها بخط علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد غشونا(٢) بما يقتضي تعظيمها وكانت قد نفقت على ولاة الأمور من مدة طويلة فأسقطت(٣) عنهم الجزية بسببها، وبأيديهم توقيع ولاة فلما وقفت عليها تبين في نفسها(٤)، ما يدل على كذبها من وجوه كثيرة جدا.

منها: اختلاف الخطوط اختلافا متفاقما في تأليف الحروف الذي يعلم معه أن ذلك لا يصدر عن كاتب واحد، وكلها نافية أنه خط علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومنها: أن فيها من اللحن الذي يخالف لغة **العرب** ما لا يجوز نسبة مثله إلى علي رضي الله عنه ولا غيره.

ومنها: الكلام الذي لا يجوز نسبته إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – في حق اليهود مثل: (إنهم يعاملون بالإجلال والإكرام) وقوله: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) وقوله (أحسن الله بكم الجزاء) وقوله: (عليه أن يكرم محسنكم ويعفو عن مسيئكم) وغير ذلك.

---

(١) زاد المعاد ج (٢/ ٧٩، ٨٠) ف (٢/ ١٨٣).

(٢) في الاختيارات (وقد لبسوها).

(٣) في الاختيارات فأسقطوا.

(٤) وبيدهم تواقيع ولاة الأمور بذلك فلما وقفت عليها تبين لي في نقشها ما يدل على كذبها من وجوه عديدة جدا، الاختيارات ص(٣١٧).." [١]

"ومنها: أن في الكتاب إسقاط الخراج عنهم مع أنهم في أرض الحجاز، والنبي – صلى الله عليه وسلم – لم يضع خراجا قط، وأرض الحجاز لا خراج فيها بحال، والخراج أمر يجب على المسلمين فكيف

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تـيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٨٧

يسقط عن أهل الذمة؟

ومنها: أن في بعضها إسقاط الكلف والسخر عنهم، وهذا مما فعله الملوك المتأخرون لم يشرعه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وخلفاؤه.

وفي بعضها: أنه شهد عنده عبد الله بن سلام وكعب بن مالك وغيرهما من أحبار اليهود، وكعب بن مالك لم يكن من أحبار اليهود فاعتقدوا أنه كعب الأحبار وذلك لم يكن من الصحابة وإنما أسلم على عهد عمر رضي الله عنه.

ومنها: أن لفظ الكلام ونظمه ليس من جنس كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - .

ومنها: أن فيه من الإطالة والحشو ما لا يشبه عهود النبي - صلى الله عليه وسلم - .

وفيها وجوه أخر متعددة مثل أن هذه العهود لم يذكرها أحد من العلماء المتقدمين قبل ابن شريح ولا ذكروا أنها رفعت إلى أحد من ولاة الأمور فعملوا بها ومثل ذلك مما يتعين شهرته ونقله(١).

ومن كان من أهل الذمة زنديق يبطن جحود الصائغ أو جحود الرسل أو الكتب المنزلة أو الشرائع أو المعاد ويظهر التدين بموافقة

أهل الكتاب فهذا يجب قتله بلا ريب كما يجب قتل من ارتد من أهل

الكتاب إلى التعطيل، فإن أراد الدخول في الإسلام فهل يقال: إنه يقتل أيضا كما يقتل منافق المسلمين لأنه ما زال يظهر الإقرار بالكتب والرسل؟ أو يقال: بل دين الإسلام فيه من الهدى والنور ما يزيل شبهته؟ بخلاف دين أهل الكتابين؟ هذا فيه نظر(٢).

واختار أبو العباس في رده على الرافضي أخذ الجزية من جميع الكفار، وأنه لم يبق أحد من مشركي **العرب** بعد بل كانوا قد أسلموا.

وقال في الاعتصام بالكتاب والسنة، من أخذها من الجميع أو سوى بين المجوس وأهل الكتاب فقد خالف الكتاب والسنة.

---

(١) أحكام أهل الذمة لابن القيم (٥١-٥٤).

(٢) الاختيارات (٣١٧) ف (٢/ ١٧٠، ١٨٣) .." (١)

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٨٨

من أحد أبويه غير كتابي... ... ١٣٥

يكره أن يجعل أهل الكتاب ذباحين مع كثرة ذباحين مسلمين.. ... ١٣٥

يحرم ما ذبحه الكتابي لعيده أو ليتقرب به إلى شيء يعظمه... ... ١٣٥

وإذا لم يقصد المذكي الأكل، لم تبح إن الله كتب الإحسان على كل شيء... ... ١٣٥

الأقوال فيما يشترط قطعه من الحيوان عند الذبح... ... ١٣٥-١٣٦

باب الصيد... ... ١٣٧

الصيد للحاجة جائز وأما للهو واللعب فمكروه ... ١٣٧

نهى عثمان عن الرمي بالجلاهق وهي البندق وليست بندق الرصاص... ... ١٣٧

إذا جرح الصيد وغاب وليس فيه إلا أثر سهمه... ... ١٣٨." (١)

"أما ما حدث بعد ذلك فإنه يجب إزالته، ولا يمكنون من إحداث البيع والكنائس كما شرط عليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في

الشروط المشهورة عنه: «ألا يجددوا في مدائن الإسلام ولا فيما حولها كنيسة ولا صومعة ولا ديرا ولا قلاية» امتثالا لقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (لا تكون قبلتان ببلد واحد) رواه أحمد وأبو داود بإسناد جيد، ولما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا كنيسة في الإسلام.

وهذا مذهب الأئمة الأربعة في الأمصار، ومذهب جمهورهم في القرى، وما زال من يوفقه الله من ولاة أمور المسلمين ينفذ ذلك ويعمل به مثل عمر بن عبد العزيز الذي اتفق المسلمون على أنه إمام هدى؛ فروى الإمام أحمد عنه أنه كتب إلى نائبه عن اليمن أن يهدم الكنائس التي في أمصار المسلمين؛ فهدمها بصنعاء وغيرها.

وروى الإمام أحمد عن الحسن البصري أنه قال: من السنة أن تهدم الكنائس التي في الأمصار القديمة والحديثة. وكذلك هارون الرشيد في خلافته أمر بهدم ما كان في سواد بغداد، وكذلك المتوكل لما ألزم أهل الكتاب بشروط عمر استفتى أهل وقته في هدم الكنائس والبيع فأجابوه فبعث بأجوبتهم إلى الإمام أحمد فأجابه بهدم كنائس سواد العراق وذكر الآثار عن الصحابة والتابعين، فمما ذكره ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أيما مصر مصرته العرب يعني المسلمين فليس للعجم يعني أهل الذمة، أن يبنوا فيه كنيسة، ولا يضربوا فيه ناقوسا، ولا يشربوا فيه خمرا، وأيما مصر مصرته العجم ففتحه الله على العرب فإن

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٩٨

للعجم ما في عهدهم، وعلى **العرب** أن يوفوا بعهدهم، ولا يكلفوهم فوق طاقتهم(١).

وكل مصر مصره **العرب** فليس للعجم أن يبنوا فيه بيعة.. ولهم رم

---

(١) أحكام أهل الذمة (٦٧٧-٦٨٦) ف (٢/ ١٨٤)..." [١]

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/١٩٩

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٢٠١

من هو أفضل من مريم لا سعي لهم في إنبات النبات وإنزال القطر من السموات ... ٢٥٤." (١)

"مسألة: الأسماء الشرعية كالصلاة والزكاة والحج والتيمم ونحو ذلك على أصلها في اللغة لم تخرج، بل ضمت الشرعية إليها شروطا وقيودا، اختاره القاضي في كتبه الثلاثة، وبه قال ابن الباقلاني وجماعة من المتكلمين والأشعرية. وقالت المعتزلة وأكثر الحنفية فيما ذكره أبو الخطاب وأكثر الفقهاء فيما ذكره ابن برهان، ولفظه: الفقهاء قاطبة هي منقولة ومعدول بها عن موجبها اللغوي. قال القاضي: وهذا قول فاسد، لأنه يلزم أن يكون مخاطبا لهم بغير لغتهم، وقال الله تعالى: ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ [١٤/٤] وقال: ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ [٢٦/١٩٥].

[خطأ ابن الباقلاني في الأسماء الشرعية]

قال والد شيخنا: وخرجها ابن عقيل على وجهين. وحكى الجويني عن ابن الباقلاني أنها على أصولها لم تنقل، ولم يزد فيها، ورد عليه ذلك، واختار هو في ذلك تفصيلا ذكره.

قال شيخنا: وحقيقة مذهب الباقلاني أن الصلاة ليست اسما للأركان وإنما هي اسم لمجرد الدعاء، لكن قيل لنا في الشرعية: ضموا إلى دعائكم كذا وكذا وادعوا على حال دون حال، والصوم

والإمساك كأنه قيل لنا: أمسكوا من وقت إلى وقت، وضموا إلى الإمساك النية وغيرها، فالقيود واجبة في الحكم غير داخلة في الاسم،

وهذا خطأ قطعا(١).

[هل الأسماء كلها من تعليم الله لآدم]

---

(١) المسودة ص ٥٢٦ ف ٢/٤٧٦.." (٢)

"عنوان الكتاب:

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح

تأليف:

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٢١٩

(٢) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم، ص/٢٥٦

أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني

٧٢٨هـ

دراسة وتحقيق:

علي بن حسن بن ناصر الألمعي وغيره

الناشر:

دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى، ١٤٨٤هـ/ ٢٠٠٤م." (١)

"ص -٤٨- وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا أرسله بالحق بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا أرسله إلى جميع الثقلين الجن والإنس عربهم وعجمهم أميهم وكتابيهم وأنزل عليه ﴿أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد﴾.

كتاب أنزله إليه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد، الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور وهو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو دين الله الذي بعث به الرسل قبله كما قال تعالى: ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾وقال تعالى: ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿ وأنا ربكم فاعبدون﴾ ﴿ فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون﴾وقال تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾وقال تعالى: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله." (٢)

"ص -٧٠- ورومية واجتمع بأجلاء أهل تلك الناحية وفاوض أفاضلهم وعلماءهم وقد عظم هذه الرسالة وسماها (الكتاب المنطيقي الدولة خاني المبرهن عن الاعتقاد الصحيح والرأي المستقيم).

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١/١

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/٢

ومضمون ذلك ستة فصول:

الفصل الأول: دعواهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يبعث إليهم بل إلى أهل الجاهلية من **العرب** ودعواهم أن في القرآن ما يدل على ذلك والعقل يدل على ذلك.

الفصل الثاني: دعواهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى في القرآن على دينهم الذي هم عليه ومدحه بما أوجب لهم أن يثبتوا عليه.

الفصل الثالث: دعواهم أن نبوات الأنبياء المتقدمين كالتوراة والزبور والإنجيل وغير." (١)

"ص -٧٩- موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم كما قال النجاشي ملك النصارى لما سمع القرآن: "إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة". وكذلك قال ورقة بن نوفل وهو من أحبار نصارى **العرب** لما سمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال له:"إنه يأتيك الناموس الذي يأتي موسى يا ليتني فيها جذعا حين يخرجك قومك فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أومخرجي هم؟ قال: نعم لم يأت أحد بمثل ما أتيت به إلا." (٢)

"ص -٨١- الملك الرومي اجتمع بمن اجتمع به من أجلائهم ورؤسائهم وفاوض من فاوض من أفاضلهم وعلمائهم فيما علمه من رأي القوم الذين رآهم بجزائر البحر قبل دخوله إلى قبرص وخاطبهم في دينهم وما يعتقدونه ويحتجون به عن أنفسهم قال الكاتب على لسان الأسقف إنهم يقولون إنا سمعنا أن قد ظهر إنسان من **العرب** اسمه محمد يقول إنه رسول الله وأتى بكتاب فذكر أنه منزل عليه من الله فلم نزل إلى أن حصل الكتاب عندنا قال فقلت لهم إذا كنتم قد سمعتم بهذا الكتاب وهذا الإنسان واجتهدتم على تحصيل هذا الكتاب الذي أتى به عندكم فلأي حال لم تتبعوه ولا سيما وفي هذا الكتاب يقول: ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ أجابوا قائلين: لأحوال شتى قال: فقلت: وما هي؟ قالوا: منها أن الكتاب **عربي** وليس بلساننا حسب ما جاء فيه يقول: ﴿ إنا أنزلناه قرآنا **عربيا** لعلكم تعقلون﴾، وقال في سورة الشعراء: ﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين﴾ وقال في سورة البقرة: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾، وقال في سورة آل عمران: ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٦/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤٥/٢

فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم ﴾ وقال تعالى: في سورة القصص: ﴿ لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون ﴾." (١)

"ص -٨٢- وقال في سورة يس: ﴿ لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون﴾ قالوا فلما رأينا هذا علمنا أنه لم يأت إلينا بل إلى جاهلية **العرب** الذين قال إنه لم يأتهم رسول ولا نذير من قبله وإنه لا يلزمنا اتباعه لأننا نحن قد أتانا رسل من قبله خاطبونا بألسنتنا وأنذرونا بديننا الذي نحن متمسكون به يومنا هذا وسلموا إلينا التوراة والإنجيل بلغاتنا على ما يشهد لهم هذا الكتاب الذي أتى به هذا الرجل حيث يقول في سورة إبراهيم: ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ وقال في سورة النحل: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا﴾ وقال في سورة الروم: ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات﴾ فقد صح في هذا الكتاب أنه لم يأت إلا في الجاهلية من **العرب** وأما قوله سورة آل عمران: ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ فيريد بحسب مقتضى العدل قومه الذين أتاهم بلغتهم لا غيرهم ممن لم يأتهم بما جاء فيه.

ونعلم أن الله عدل وليس من عدله أن يطالب يوم القيامة أمة باتباع إنسان لم يأت إليهم ولا وقفوا له على كتاب بلسانهم ولا من جهة داع من قبله.

هذه ألفاظهم بأعيانها في الفصل الأول وهذا الفصل لم يتعرضوا فيه لا لتصديقه ولا لتكذيبه بل زعموا أن في نفس هذا الكتاب أنه لم يقل إنه مرسل إليهم بل إلى جاهلية **العرب** وإن العقل أيضا يمنع أن يرسل إليهم.

فنحن نبدأ بالجواب عن هذا ونبين أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أنه مرسل إليهم وإلى جميع الإنس والجن وأنه لم يقل قط أنه لم يرسل إليهم ولا في كتابه ما يدل على ذلك.." (٢)

"ص -٨٦- فصل

إذا عرف هذا فهؤلاء القوم في هذا المقام ادعوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يرسل إليهم بل إلى أهل الجاهلية من **العرب** فهذه الدعوى على وجهين:إما أن يقولوا: إنه بنفسه لم يدع أنه أرسل إليهم ولكن أمته ادعوا له ذلك.

وإما أن يقولوا: إنه ادعى أنه أرسل إليهم وهو كاذب في هذه الدعوى وكلامهم في صدر هذا الكتاب يقتضي

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤٧/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤٨/٢

الوجه الأول:

وفي آخره قد يقال: إنهم أشاروا إلى الوجه الثاني: لكنهم في الحقيقة لم ينكروا رسالته إلى **العرب** وإنما أنكروا رسالته إليهم. وأما رسالته إلى **العرب** فلم يصرحوا بتصديقه فيها ولا بتكذيبه وإن كان ظاهر لفظهم يقتضي الإقرار برسالته إلى **العرب** بل صدقوا بما وافق قولهم وكذبوا بما خالق قولهم.

ونحن نبين أنه لا يصح احتجاجهم بشيء مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ثم نتكلم على الوجهين جميعا ونبين أنه لا يصح احتجاجهم بشيء من القرآن على صحة دينهم بوجه من الوجوه ونبين أن القرآن لا حجة فيه لهم ولا فيه تناقض. وكذلك كتب الأنبياء المتقدمين التي يحتجون بها هي حجة عليهم ليس في شيء منها حجة لهم ولو لم يبعث محمد صلى الله عليه وسلم فكيف والكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم موافق لسائر كلام الأنبياء عليهم السلام في إبطال دينهم وقولهم في التثليث والاتحاد وغير ذلك مع العقل الصريح؟

فهم احتجوا في كتابهم هذا بالقرآن وبما جاءت به الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم مع العقل.

ونحن نبين أنه لا حجة لهم فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا فيما جاءت به الأنبياء قبله ولا في العقل بل ما جاء به محمد وما جاءت به الأنبياء قبله مع صريح العقل كلها براهين قطعية على فساد دينهم ولكن نذكر قبل ذلك أن احتجاجهم بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يصح بوجه من الوجوه وأنه لا يجوز أن يحتج بمجرد المنقول عن محمد صلى الله عليه وسلم من يكذبه في كلمة." (١)

"ص -٨٧- واحدة مما جاء به.

وكذلك سائر الأنبياء عليهم السلام بخلاف الاحتجاج بكلام غير الأنبياء فإن ذلك يمكن موافقة بعضه دون بعض وأما ما أخبرت به الأنبياء عليهم السلام أو من قال إنه نبي فلا يمكن الاحتجاج ببعضه دون بعض سواء قدر صدقهم أو كذبهم.

فيقال لهم على كل تقدير سواء أقروا بنبوته إلى **العرب** أو غيرهم أو كذبوه في قوله إنه رسول الله أو سكتوا عن هذا وهذا أو صدقوه في البعض دون البعض.

إن احتجاجكم على صحة ما تخالفون فيه المسلمين مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح بوجه من الوجوه فاحتجاجكم على أنه لم يرسل إليكم أو على صحة دينكم بشيء من القرآن حجة داحضة على كل تقدير.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٥٣

مع أنا سنبين إن شاء الله تعالى أن الكتب الإلهية كلها مع المعقول لا حجة لكم في شيء منها بل كلها حجة عليكم.

وهذا بخلاف المسلمين فإنه يصح احتجاجهم على أهل الكتاب اليهود والنصارى بما جاءت به الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم وأهل الكتاب لا يصح احتجاجهم بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أن المسلمين مقرون بنبوة موسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام وعندهم يجب الإيمان بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي أرسله الله وهذا أصل دين المسلمين فمن كفر بنبي واحد أو كتاب واحد فهو عندهم كافر بل من سب نبيا من الأنبياء فهو عندهم كافر مباح الدم كما قال تعالى: ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾." (١)

"ص -٩٠- وقسما يؤمنون بما أنزل إليه وما أنزل إلى من قبله ولا يؤمنون بالغيب وهذا باطل عند جميع الأمم المؤمنين واليهود والنصارى فإن الإيمان بما أنزل إليه وإلى من قبله يتضمن الإيمان بالغيب والإيمان بالغيب لا يتم إلا بالإيمان بجميع ما أنزله الله تبارك وتعالى.

والمسلمون لا يستجيز أحد منهم التكذيب بشيء مما أنزل على من قبل محمد صلى الله عليه وسلم لكن الاحتجاج بذلك عليهم يحتاج إلى ثلاث مقدمات:إحداها: ثبوت ذلك على الأنبياء عليهم السلام.

والثانية: صحة الترجمة إلى اللسان العربي أو اللسان الذي يخاطب فيه كالرومي والسرياني فإن لسان موسى وداود والمسيح وغيرهم من أنبياء بني إسرائيل كانت عبرانية ومن قال إن لسان المسيح كان سريانيا أو روميا فقد غلط.

والثالثة: تفسير ذلك الكلام ومعرفة معناه.

فلهذا كان المسلمون لا يردون شيئا من الحجج بتكذيب أحد من الأنبياء في شيء قاله ولكن قد يكذبون الناقل عنهم أو يفسرون المنقول عنهم بما أرادوه أو بمعنى آخر على وجه الغلط.

وإن كان بعض المسلمين قد يغلط في تكذيب بعض النقل أو تأويل بعض المنقول عنهم فهو كما يغلط من يغلط منهم ومن سائر أهل الملل في التكذيب على وجه الغلط ببعض ما ينقل عمن يقر بنبوته أو في تأويل المنقول عنه.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٥٤/٢

وهذا بخلاف تكذيب نفس النبي فإنه كفر صريح بخلاف أهل الكتاب فإنه لا يتم مرادهم إلا بتكذيبهم ببعض ما أنزل الله ومتى كذب بكلمة واحدة مما أخبر به من قال إنه رسول الله بطل احتجاجه بسائر كلامه فكانت حجتهم التي يحتجون بها داحضة وذلك أن الذي يقول إنه رسول الله إما أن يكون صادقا في قوله إني رسول الله وفي جميع ما يخبر به عن الله وإما أن يكون كاذبا ولو في كلمة واحدة عن الله.

فإن كان صادقا في ذلك امتنع أن يكذب على الله في شيء مما يبلغه عن الله فإن من كذب على الله ولو في كلمة واحدة كان ممن افترى على اللہ الكذب ولم يكن رسولا من." (١)

"ص -٩١- رسل الله ومن افترى على الله الكذب تبين أنه من المتنبئين الكذابين.

ومثل هذا لا يجوز أن يحتج بخبره عن الله فإنه قد علم أن الله لم يرسله وإذا قال هو قولا وكان صدقا كان كما يقوله غيره يقبل لا لأنه بلغه عن الله ولا لأنه رسول عن الله بل كما يقبل من المشركين وسائر الكفار ما يقولونه من الحق فإن عباد الأوثان إذا قالوا عن الله ما هو حق مثل إقرار مشركي **العرب** بأن الله خلق السموات والأرض لم نكذبهم في ذلك وإن كانوا كفارا وكذلك إذا قال الكافر إن الله حي قادر خالق لم نكذبه في هذا القول. فمن كذب على الله في كلمة واحدة قال إن الله أنزلها عليه ولم يكن الله أنزلها عليه فهو من الكذابين الذين لا يجوز أن يحتج بشيء من أقوالهم التي يقولون إنهم يبلغونها عن الله تبارك وتعالى وما قالوه غير ذلك فهم فيه كسائر الناس بل كأمثالهم من الكذابين إن عرف صحة ذلك القول من جهة غيرهم قبل لقيام الدليل على صحته لا لكونهم قالوه وإن لم يعرف صحته من جهة غيرهم لم يكن في قولهم له مع ثبوت كذبهم على الله حجة.

وحينئذ فهؤلاء إن اقروا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه صادق فيما بلغه عن الله من الكتاب والحكمة وجب عليهم الإيمان بكل ما ثبت عنه من الكتاب والحكمة كما يجب الإيمان بكل ما جاءت به الرسل. وإن كذبوه في كلمة واحدة أو شكوا في صدقه فيها امتنع مع ذلك أن يقروا بأنه رسول الله وإذا لم يقروا بأنه رسول الله كان احتجاجهم بما قاله كاحتجاجهم بسائر ما يقوله من ليس من الأنبياء بل من الكذابين أو من المشكوك في صدقهم.

ومعلوم أن من عرف كذبه على الله فيما يقول إنه يبلغه عن الله أو شك في صدقه لا يعلم أنه رسول الله ولا أنه صادق في كل ما يقوله ويبلغه عن الله وإذا لم يعلم ذلك منه لم يعرف أن الله أنزل إليه شيئا بل إذا

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٥٨

عرف كذبه عرف أن الله لم ينزل إليه شيئا ولا أرسله كما عرف كذب مسيلمة الكذاب والأسود العنسي." (١)

"ص -٩٦- موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ فإن هذا يعني به الإرسال الديني الذي يحبه تعالى ويرضاه الذي هدى به من اتبعهم وأدخله في رحمته وعاقب من عصاهم وجعله من المستوجبين للعذاب وهو الإرسال الذي أوجب الله به طاعة من أرسله كما قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن﴾ وقال تعالى:﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ وهذه الرسالة التي أقام بها الحجة على الخلق كما قال تعالى: ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ وقال تعالى: ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس﴾. وهذا كما اصطفى روح القدس جبريل عليه السلام لنزوله بالقرآن على من اصطفاه من البشر وهو محمد صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿ قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين﴾ وقال تعالى: ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾ وقال تعالى: ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين﴾ فأخبر انه نزل به جبريل وسماه الروح الأمين وسماه روح القدس وقد ذكره أيضا في قوله: ﴿ إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين﴾ ثم قال: ﴿ وما." (٢)

"ص -١٠٣- إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾ سورة الأنعام الآية ١١٢.

وقد أخبر سبحانه أن الكفار قالوا عن موسى عليه السلام أنه ساحر وأنه مجنون فقال فرعون: ﴿قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾.

وقوله: ﴿وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك﴾.

وقال: ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر ﴾.

وكذلك قالوا عن المسيح بن مريم كما قال تعالى: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٥٩/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٦٥/٢

هذا سحر مبين﴾.

وذكر تعالى عن اليهود أنهم قالوا على مريم بهتانا عظيما فقول اليهود في المسيح من جنس أقوال الكفار في الأنبياء وكذلك قول كفار أهل الكتاب في خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم تسليما.

فإذا علم هذا فنقول بعد ذلك لمن قال أنه رسول أرسل إلى **العرب** الجاهلية دون أهل الكتاب.

إنه من المعلوم بالضرورة لكل من علم أحواله بالنقل المتواتر الذي هو أعظم تواترا مما ينقل عن موسى وعيسى وغيرهما وبالقرآن المتواتر عنه وسنته المتواترة عنه وسنة خلفائه الراشدين من بعده أنه صلى الله عليه وسلم ذكر أنه أرسل إلى أهل الكتاب اليهود والنصارى كما ذكر أنه أرسل إلى الأميين بل ذكر أنه أرسل إلى جميع بني آدم **عربهم** وعجمهم من الروم والفرس والترك." (١)

"ص -١٠٥- يستحسن.

ولهذا لما ظهر الإسلام غلب أهله على وسط المعمورة وهم أعدل بني آدم وأكملهم والنصارى الذين تربوا تحت ذمة المسلمين أكمل من غيرهم من النصارى عقولا وأخلاقا وأما النصارى المحاربون للمسلمين الخارجون عن ذمتهم من أهل الجنوب والشمال فهم أنقص عقولا وأخلاقا ولما فيهم من نقص العقول والأخلاق ظهرت فيهم النصرانية دون الإسلام.

والقصود أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو نفسه دعا أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى الإيمان به وبما جاء به كما دعا من لا كتاب له من **العرب** وسائر الأمم وهو الذي أخبر عن الله تبارك وتعالى بكفر من لم يؤمن به من أهل الكتاب وغيرهم وبأنهم يصلون جهنم وساءت مصيرا وهو الذي أمر بجهادهم ودعاهم بنفسه ونوابه وحينئذ فقولهم في الكتاب لم يأت إلينا بل إلى الجاهلية من **العرب** سواء أرادوا أن الله بعثه إلى **العرب** ولم يبعثه إلينا أو أرادوا أنه ادعى أنه أرسل إلى **العرب** لا إلينا فإنه قد علم جميع الطوائف أن محمدا دعا اليهود والنصارى إلى الإيمان به وذكر أن الله أرسله إليهم وأمره بجهاد من لم يؤمن به منهم فإذا قيل مع هذا أنه قال لم أبعث إلا إلى **العرب** كان كاذبا كذبا ظاهرا عليه سواء صدقه الإنسان أو كذبه فإن المقصود هنا أنه نفسه دعا جميع أهل الأرض إلى الإيمان به فدعا أهل الكتاب كما دعا الأميين.

أما اليهود فإنهم كانوا جيرانه في الحجاز بالمدينة وما حولها وخيبر فإن المهاجرين والأنصار كلهم آمنوا به من غير سيف ولا قتال بل لما ظهر لهم من براهين نبوته ودلائل." (٢)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٧٧/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٧٩/٢

"ص -١٠٧- وكانوا ألفا وأربعمائة ففتح الله عليهم خيبر واقر اليهود فيها فلاحين وأنزل الله تعالى سورة الفتح يذكر فيها ذلك فكيف يقال إنه لم يذكر أنه أرسل إلا إلى مشركي **العرب** وهذه حال اليهود معه وأما النصارى فإن أهل نجران التي باليمن كانوا نصارى فقدم عليه وفدهم ستون راكبا وناظرهم في مسجده وأنزل الله فيهم صدر سورة آل عمران ولما ظهرت حجته عليهم وتبين لهم أنه رسول الله إليهم أمره الله إن لم يجيبوه أن يدعوهم إلى المباهلة فقال تعالى: ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين﴾.

فلما دعاهم إلى المباهلة طالبوا أن يمهلهم حتى يشتوروا فاشتوروا فقال بعضهم لبعض تعلمون أنه نبي وأنه ما باهل قوم نبيا إلا نزل بهم العذاب.

فاستعفوا من المباهلة فصالحوه وأقروا له بالجزية عن يد وهم صاغرون لما خافوا من دعائه عليهم لعلمهم أنه نبي فدخلوا تحت حكمه كما يدخل أهل الذمة الذين في بلاد المسلمين تحت حكم الله ورسوله." (١)

"ص -١٣٧- في ضمن الأمر بنقض العهود ليبين سبحانه أنه مثل هذا يجب أمانه حتى تقوم عليه الحجة لا تجوز محاربته كمحاربة من لم يطلب أن يبلغ حجة الله عليه.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿ ثم أبلغه مأمنه ﴾ إن لم يوافقه ما نقص عليه ونخبر به فأبلغه مأمنه قال وليس هذا بمنسوخ.

وقال مجاهد من جاءك واستمع ما أنزل إليك فهو آمن حتى يأتيك.

وقال عطاء في الرجل من أهل الشرك يأتي المسلمين بغير عهد قال تخيره إما أن تقره وإما ان تبلغه مأمنه.

وقوله تعالى: ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾.

قد علم أن المراد أنه يسمعه سمعا يتمكن معه من فهم معناه إذ المقصود لا يقوم بمجرد سمع لفظ لا يتمكن معه من فهم المعنى فلو كان غير **عربي** وجب أن يترجم له ما يقوم." (٢)

"ص -١٣٨- به عليه الحجة ولو كان **عربيا** وفي القرآن ألفاظ غريبة ليست لغته وجب أن يبين له معناها ولو سمع اللفظ كما يسمعه كثير من الناس ولم يفقه المعنى وطلب منا أن نفسره له ونبين له معناه فعلينا ذلك.

وإن سألنا عن سؤال يقدح في القرآن أجبناه عنه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم أذا أورد عليه بعض

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٨١/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١١٣/٢

المشركين أو أهل الكتاب أو المسلمين سؤالا يوردونه على القرآن فإنه كان يجيبه عنه كما أجاب ابن الزبعري لما قاس المسيح على آلهة المشركين وظن أن العلة في الأصل بمجرد كونهم معبودين وأن ذلك يقتضي كل معبود غير الله فإنه يعذب في الآخرة فجعل المسيح مثلا لآلهة المشركين قاسهم عليه قياس الفرع على الأصل قال تعالى: ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون ﴾.

فبين سبحانه الفرق المانع من إلحاق بقوله تعالى: ﴿ إن الذين سبقت لهم منا." (١)

"ص -١٤٦- للمسالم وإن لم يناف الجهاد لم يناف إيجاب الجهاد للمسالمين كما لم يناف إيجاب جهاد غيرهم.

فإن المسالم قد لا يجادل ولا يجالد وقد يجادل ولا يجالد كما أن غيره قد يجالد و يجادل وقد يفعل أحدهما فإن كان إيجابه لجهاد المحارب المبتدئ بالقتال لا ينافي مجادلته فلأن يكون جهاد من لا يبدأ القتال لا ينافي مجادلته أولى وأحرى فإن من كان أبعد عن القتال كانت مجادلته أقل منافاة للقتال ممن يكون أعظم قتالا يبين هذا.

الوجه الخامس: وهو أن يقال المنسوخ هو الاقتصار على الجدال فكان النبي صلى الله عليه وسلم في أول الأمر مأمورا أن يجاهد الكفار بلسانه لا بيده فيدعوهم ويعظهم ويجادلهم بالتي هي أحسن ويجاهدهم بالقرآن جهادا كبيرا قال تعالى: ﴿ ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا﴾ في سورة الفرقان وهي مكية.

وكان مأمورا بالكف عن قتالهم لعجزه وعجز المسلمين عن ذلك ثم لما هاجر إلى المدينة وصار له بها أعوان أذن له في الجهاد ثم لما قووا كتب عليهم القتال ولم يكتب عليهم قتال من سالمهم لأنهم لم يكونوا يطيقون قتال جميع الكفار.

فلما فتح الله مكة وانقطع قتال قريش ملوك **العرب** ووفدت إليه وفود **العرب** بالإسلام أمره الله تعالى بقتال الكفار كلهم إلا من كان له عهد مؤقت وأمره بنبذ العهود المطلقة فكان الذي رفعه ونسخه ترك القتال.

وأما مجاهدة الكفار باللسان فما زال مشروعا من أول الأمر إلى آخره فإنه إذا شرع جهادهم باليد فباللسان أولى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "جاهدوا المشركين بأيديكم وألسنتكم وأموالكم".." (٢)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١١٤/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٢٢/٢

"ص -١٦٣- فصل

وكان أول ما أنزل الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم الوحي عرضت خديجة امرأته أمره على عالم كبير من علماء النصارى يقال له ورقة بن نوفل وكان من **العرب** المتنصرة فقال هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى بن عمران يا ليتني أكون فيها جذعا حين يخرجك قومك يعني ليتني أكون شابا فإنه كان شيخا كبيرا قد كف بصره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم قال نعم لم يأت أحد بمثل ما أتيت به إلا عودي وأن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا رواه أصحاب الصحيح.

وقدم إليه بمكة طائفة من أهل الكتاب من النصارى فآمنوا به فآذاهم المشركون فصبروا واحتملوا أذاهم فأنزل الله فيهم:﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرأون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾.

وروى البيهقي في كتاب دلائل النبوة وأعلام الرسالة فقال انبأنا أبو عبد الله الحافظ." (١)

"ص -١٧٥- وكان ابن الناطور صاحب إيلياء أسقفا على نصارى أهل الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيليا أصبح يوما خبيث النفس فقال له بعض بطارقته قد استنكرنا هيئتك قال ابن الناطور وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم فقال لهم حين سألوه إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم أن ملك الختان قد ظهر فمن يختتن من هذه الأمة قالوا ليس يختتن إلا اليهود فلا يهمنك شأنهم واكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود فبيناهم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استخبره هرقل قال اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن وسأله عن **العرب** قال هم مختتنون فقال هرقل هذا ملك هذه الأمة قد ظهر ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية وكان هرقل نظيره في العلم وسار هرقل إلى حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي صلى الله عليه وسلم وأنه نبي فأذن هرقل لعظماء الروم." (٢)

"ص -١٨٠- المنتظر الذي بشرت به الأنبياء عليهم السلام.

وقد كان المقوقس يعرف أنه حق بما يسمع من صفاته من أهل الكتاب ولكن ضن بملكه ولم يؤمن وكان قد خرج إليه المغيره قبل إسلام المغيرة فحدثه بذلك.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٤٢/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٥٥/٢

قال محمد بن عمر الوقدي حدثني محمد بن سعد الثقفي وعبد الرحمن بن عبد العزيز وعبد الملك بن عيسى وعبد الله بنعبد الرحمن ومحمد بن يعقوب بن عتبة عن أبيه وغيرهم كل قد حدثني من هذا الحديث بطائفة منه قال قال المغيرة بن شعبة في خروجه إلى المقوقس مع بني مالك وأنهم لما دخلوا على المقوقس قال كيف خلصتم إلي من طائفتكم ومحمد وأصحابه بيني وبينكم قالوا لصقنا بالبحر وقد خفناه على ذلك قال فكيف صنعتم فيما دعاكم إليه قالوا ما تبعه منا رجل واحد.

قال ولم ذاك قالوا جاءنا بدين مجدد لا تدين به الآباء ولا يدين به الملك ونحن على ما كان عليه آباؤنا قال فكيف صنع قومه قالوا تبعه أحداثهم وقد لاقاه من خرفه من قومه وغيرهم من **العرب** في مواطن مرة تكون عليهم الدائرة ومرة تكون له قال ألا تخبروني إلى ماذا يدعو إليه قالوا يدعونا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له ونخلع ما كان يعبد الآباء ويدعو إلى الصلاة والزكاة قال وما الصلاة والزكاة ألها وقت يعرف وعدد تنتهي إليه قالوا يصلون في اليوم والليلة خمس صلوات كلها لمواقيت وعدد قد." (١)

"ص -١٨٢- فيدعو لهم لم أر قط أشد اجتهادا منه فأتيته فقلت هل بقي أحد من الأنبياء قال نعم هو آخر الأنبياء ليس بينه وبين عيسى بن مريم أحد وهو نبي مرسل وقد أمرنا عيسى باتباعه وهو النبي الأمي **العربي** اسمه أحمد ليس بالطويل ولا بالقصير في عينيه حمرة وليس بالأبيض ولا بالآدم يعفي شعره ويلبس ما غلظ من الثياب ويجتزي بما لقي من الطعام سيفه على عاتقه ولا يبالي من لاقى يباشر القتال بنفسه ومعه أصحابه يفدونه بأنفسهم هم له أشد حبا من أولادهم وآبائهم يخرج من أرض حرم ويأتي إلى حرم يهاجر إلى أرض سباخ ونخل يدين بدين إبراهيم عليه السلام قال المغيرة فقلت له زدني في صفته قال يأتزر على وسطه ويغسل أطرافه ويخص بما لا تخص به الأنبياء قبله كان النبي يبعث إلى قومه ويبعث هو إلى الناس كافة وجعلت له الأرض مسجدا وطهورا أينما أدركته الصلاة تيمم وصلى ومن كان قبله مشددا عليهم لا يصلون إلا في الكنائس والبيع قال المغيرة بن شعبة فوعيت ذلك كله من قوله وقول غيره وما سمعت من ذلك.

فذكر الواقدي حديثا طويلا في رجوعه وإسلامه وما أخبر به منصفات النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك يعجب النبي صلى الله عليه وسلم ويحب أن يسمعه أصحابه قال المغيرة فكنت أحدثهم." (٢)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٦٠/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٦٢/٢

"ص -١٨٣- بذلك وهذا أمر معروف عند علماء أهل الكتاب وعظمائهم.

وقد أخرج أبو حاتم في صحيحه عن عمرو بن العاص أنه قال خرج جيش من المسلمين أنا أميرهم حتى نزلنا الإسكندرية فقال عظيم من عظمائهم أخرجوا إلي رجلا يكلمني وأكلمه فقلت لا يخرج إليه غيري قال فخرجت إليه ومعي ترجماني ومعه ترجمانه فقال ما أنتم فقلت نحن **العرب** ونحن أهل الشوك ونحن أهل بيت الله الحرام كنا أضيق الناس أرضا وأجهدهم عيشا نأكل الميتة والدم ويغير بعضنا على بعض حتى خرج فينا رجل ليس بأعظمنا يومئذ ولا بأكثرنا مالا فقال أنا رسول الله إليكم فأمرنا بما لا نعرف ونهانا عما كنا عليه وكان عليه آباؤنا فكذبناه ورددنا عليه مقالته حتى خرج إليه قوم غيرنا فقاتلنا وظهر علينا وغلبنا وتناول من يليه من **العرب** فقاتلهم حتى ظهر عليهم ولو يعلم من ورائي من **العرب** ما أنتم فيه من العيش لم يبق أحد إلا جاءكم حتى يشرككم فيما أنتم فيه من العيش فضحك ثم قال إن رسولكم قد صدق قد جاءتنا رسلنا بمثل الذي جاء به رسولكم فإن أنتم أخذتم بأمر نبيكم لم يقاتلكم أحد إلا غلبتموه ولن يشارككم أحد إلا ظهرتم عليه وإن فعلتم مثل الذي فعلنا وتركتم أمر نبيكم لم تكونوا أكثر عددا منا ولا أشد منا قوة." (١)

"ص -١٨٤- فصل

ثم بعد الإرسال إلى الملوك أخذ صلى الله عليه وسلم في غزو النصارى فأرسل أولا زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة في جيش فقاتلوا النصارى بمؤتة من أرض الكرك وقال لأصحابه وقال لأصحابه أميركم زيد فإن قتل فجعفر فإن قتل فعبد الله بن رواحة فقتل الثلاثة وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الثلاثة في اليوم الذي قتلوا فيه وأخبر أنه أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله على يديه ثم أنه بعد هذا غزا النصارى بنفسه وأمر جميع المسلمين أن يخرجوا معه في الغزاة ولم يأذن في التخلف عنه لأحد وغزا في عشرات ألوف غزوة تبوك فقدم تبوك وأقام بها عشرين ليلة ليغزو النصارى **عربهم** ورومهم وغيرهم وأقام ينتظرهم ليقاتلهم فسمعوا به وأحجموا عن قتاله ولم يقدموا عليه.

وأنزل الله تعالى في ذلك أكثر سورة براءة وذم تعالى الذين تخلفوا عن جهاد النصارى ذما عظيما.

والذين لم يروا جهادهم طاعة جعلهم منافقين كافرين لا يغفر الله لهم إذا لم يتوبوا." (٢)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٦٣/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٦٤/٢

"ص -١٨٥- وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم﴿ سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ﴾.

وقال تعالى : ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره﴾.

فإذا كان هذا حكم الله ورسوله فيمن تخلف عن جهادهم إذ لم يره طاعة ولا رآه واجبا فكيف حكمه فيهم أنفسهم حتى قال تعالى: ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره﴾ ثم عند موته صلى الله عليه وسلم أمرنا بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة **العرب**.

ففي صحيح مسلم أن عمر بن الخطاب قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة **العرب** حتى لا أدع إلا مسلما".

وروى الإمام أحمد وأبو عبيد عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أخرجوا يهود أهل الحجاز ونصارى أهل نجران من جزيرة **العرب**"

وقام خلفاؤه رضي الله عنهم بعده بدينه صلى الله عليه وسلم فأرسل أبو بكر الصديق الجيوش لغزو النصارى بالشام وجرت بين المسلمين وبينهم عدة غزوات ومات أبو بكر وهم محاصرو." (١)

"ص -١٨٨- يقوموا لهم إذا أرادوا الجلوس ولا يتشبهوا بالمسلمين بشيء من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا يتسموا بأسماء المسلمين ولا يكتنوا بكناهم ولا يركبوا سرجا ولا يتقلدوا سيفا ولا يتخذوا شيئا من سلاح ولا ينقشوا خواتيمهم **بالعربية** ولا يبيعوا الخمور وأن يجذوا مقادم رؤوسهم وأن يلزموا زيهم حيث ما كانوا وأن يشدوا الزنانير ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم ولا يضربوا بالناقوس إلا ضربا خفيفا.

ولا يرفعوا أصواتهم بالقراءة في كنائسهم في شيء من حضرة المسلمين ولا يخرجوا شعانين ولا يرفعوا مع موتاهم أصواتهم ولا يظهروا النيران معهم ولا يشتروا من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين فإن خالفوا في شيء مما شرطوه فلا ذمة لهم وقد حل للمسلمين منهم ما يحل من أهل المعاندة والشقاق أخرجه ابو داوود في سننه." (٢)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٦٥/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٦٨/٢

"ص -١٩٣- كسرى بن هرمز ملك الفرس وكتب.

"بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فإني أدعوك بدعاية الله فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فأسلم تسلم وإن أبيت فإن إثم المجوس عليك".

فلما قرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شققه وقال يكتب إلي بهذا الكتاب وهو عبدي قلت وسبب قول كسرى هذا استعلائه أن الحبشة كانوا قد ملكوا اليمن وملكهم سار إلى مكة بالفيل ليخرب البيت وكانوا نصارى فأرسل الله عليهم من ناحية البحر طيرا أبابيل وهي جماعات في تفرقة تحمل حجارة من طين فألقتها على الحبشة النصارى فأهلكتهم وكان هذا آية عظيمة خضعت بها الأمم للبيت وجيران البيت.

وعلم العقلاء أن هذا لم يكن نصرا من الله لمشركي **العرب** فإن دين النصارى خير من دينهم وإنما كان نصرا للبيت وللأمة المسلمة التي تعظمه وللنبي المبعوث من البيت وكان ذلك عام مولد النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله في ذلك: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول﴾.

ثم أن سيف بن ذي يزن ذهب إلى كسرى وطلب منه جيشا يغزو به الحبشة فأرسل." (١)

"ص -١٩٤- معه عسكرا من الفرس والمجوس فأخرجوا الحبشة من اليمن فصارت بيد **العرب** وبها نائب كسرى وسيف بن ذي يزن هذا ممن بشر بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره وأخبر بذلك جده عبد المطلب لما وفد عليه.

فلما كانت اليمن مطيعة لكسرى لهذا أرسل إلى نائبه على اليمن أن يأتيه بالنبي صلى الله عليه وسلم لأن عسكر اليمن في العادة يقهر أهل مكة والمدينة.

قال ابن إسحاق فبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "مزق الله ملكه" حين بلغه أنه شقق كتابه. ثم كتب كسرى إلى باذان وهو على اليمن أن ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز من عندك رجلين جلدين فليأتياني به قال فبعث باذان قهرمانه وهو بابويه وقال غيره فيروز الديلمي وكان حاسبا كاتبا وبعث معه برجل من الفرس وكتب معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره ان ينصرف معهما إلى كسرى وقال لبابويه ويلك أنظر ما الرجل وكلمه وائتني بخبره.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٧٣/٢

قال فخرجا حتى قدما إلى الطائف فسألا عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هو بالمدينة واستبشروا يعني الكفار وقالوا قد نصب له كسرى كفيتم الرجل فخرجا حتى قدما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه بابويه وقال إن شاهنشاه ملك الملوك كسرى كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك وقد بعثني إليك فانطلق معي فإن فعلت كتب." (١)

"ص -١٩٩- فصل

ولما فتح خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم عمر وعثمان العراق وخراسان ضربوا الجزية على المجوس كما ضربوها على النصارى بعد أن دعوهم إلى الإسلام كما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما ضرب النبي صلى الله عليه وسلم الجزية على اليهود والنصارى والمجوس بعد أن دعاهم إلى الله عز وجل فإنه صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي صاحب هجر وهي قرية بالبحرين بكتابه صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام قال العلاء فلما دخلت عليه قلت يا منذر إنك عظيم العقل في الدنيا فلا تصغرن عن الآخرة إن هذه المجوسية شر دين ليس فيها تكرم العرب ولا علم أهل الكتاب ينكحون ما يستحى من نكاحه ويأكلون ما يتكرم عن أكله ويعبدون في الدنيا نارا تأكلهم يوم القيامة ولست بعديم عقل ولا رأي فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب أن تصدقه ولمن لا يخون أن تأمنه ولمن لا يخلف أن تتثق به فإن." (٢)

"ص -٢٠٣- فصل

وأخرج مسلم عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل وليس بالنجاشي الذي نعاه لأصحابه في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم إلى المصلى فصف وصلى عليه بل النجاشي آخر تملك بعده.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأرسلت إلى الناس كافة وختم بي" النبيون وقال صلى الله عليه وسلم: "كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة".

وقال تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض﴾.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٧٤/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٧٩/٢

وقال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾.

وفي القرآن من دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن دعوة المشركين وعباد الأوثان وجميع الإنس والجن ما لا يحصى إلا بكلفة وهذا كله معلوم بالاضطرار من دين الإسلام فكيف يقال إنه لم يذكر أنه بعث إلا إلى **العرب** خاصة وهذه دعوته ورسله وجهاده لليهود والنصارى والمجوس بعد المشركين وهذه سيرته صلى الله عليه وسلم فيهم.

وأيضا فالكتاب المتواتر عنه وهو القرآن يذكر فيه دعاءه لأهل الكتاب إلى الإيمان به في." (١)

"ص -٢١٢- الناس لهم بالثنوية فهم لا يقولون إن الشرير مماثل للخير.

وكذلك الدهرية دهرية الفلاسفة وغيرهم منهم من ينكر الصانع للعالم كالقول الذي أظهره فرعون لعنه الله ومنهم من يقر بعلة يتحرك الفلك للتشبه بها كأرسطو وأتباعه ومنهم من يقول بالموجب بالذات المستلزم للفلك كابن سينا والسهروردي المقتول بحلب وأمثالهما من متفلسفة الملل.

وأما مشركو **العرب** وأمثالهم فكانوا مقرين بالصانع وبأنه خلق السموات والأرض فكانت عقيدة مشركي **العرب** خيرا من عقيدة هؤلاء الفلاسفة الدهرية إذ كانوا مقرين بأن هذه السموات مخلوقة لله حادثة بعد أن لم تكن وهذا مذهب جماهير أهل الأرض ومن أهل الملل الثلاثة المسلمون واليهود والنصارى ومن المجوس والمشركين وهؤلاء الدهرية من الفلاسفة وغيرهم يزعمون أن السموات أزلية قديمة لم تزل وكان مشركو **العرب** يقرون بأن الله قادر يفعل بمشيئته ويجيب دعاء الداعي إذا دعاه وهؤلاء المتفلسفة الدهرية." (٢)

"ص -٢٢٢- وجاهدهم وأمر بجهادهم فمن قال بعد هذا من أهل الكتاب اليهود والنصارى أنه لم يبعث إلينا بمعنى أنه لم يقل إنه مبعوث إلينا كان مكابرا جاحدا للضرورة مفتريا على الرسول فرية ظاهرة تعرفها الخاصة والعامة.

وكان جحده لهذا كما لو جحد أنه جاء بالقرآن أو شرع الصلوات الخمس وصوم رمضان وحج البيت الحرام وجحد محمد صلى الله عليه وسلم وما تواتر عنه أعظم من جحد أتباع الحواريين المسيح عليه السلام وإرساله لهم إلى الأمم ومجيئه بالإنجيل وجحد مجيء موسى عليه السلام بالتوراة وجحد أنه كان يسبت فإن النقل عن محمد صلى الله عليه وسلم مدته قريبة والناقلون عنه أضعاف أضعاف من نقل دين المسيح عنه وأضعاف أضعاف أضعاف من اتصل به نقل دين موسى عليه السلام فأن أمة محمد صلى الله عليه

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٨٣/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٩٥/٢

وسلم ما زالوا كثيرين منتشرين في مشارق الأرض ومغاربها وما زال فيهم من هو ظاهر بالدين منصور على الأعداء بخلاف بني إسرائيل فإنهم زال ملكهم في أثناء الأمر لما خرب بيت المقدس الخراب الأول بعد داود عليه السلام ونقص عدد من نقل دينهم حتى قد قيل إنه لم يبق من يحفظ التوراة إلا واحد.
والمسيح عليه السلام لم ينقل دينه عنه إلا عدد قليل لكن النصارى يزعمون أنهم رسل الله معصمون مثل إبراهيم وموسى وسيأتي الكلام على هذا إن شاء الله تعالى إذا وصلنا إليه إذ المقصود هنا بيان من زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يقول إنه لم يبعث إلا إلى مشركي **العرب** فإنه في غاية الجهل والضلال أو غاية المكابرة والمعاندة فإن هذا أعظم جهلا وعنادا ممن ينكر أنه كان يأمر بالطهارة والغسل من الجنابة ويحرم الخمر والخنزير وأعظم جهلا وعنادا ممن ينكر ما تواتر من أمر المسيح وموسى عليهما السلام وقد ظهر بهذا بطلان قولهم علمنا أنه لم يأت إلينا بل إلى جاهلية **العرب**." (١)

"ص -٢٢٣- فصل

فإذا عرف هذا فاحتجاج هؤلاء بالآيات التي ظنوا دلالتها على أن نبوته خاصة **بالعرب** تدل على أنهم ليسوا ممن يجوز لهم الاستدلال بكلام أحد على مقصوده ومراده وأنهم ممن قيل فيه : ﴿فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا﴾.
فليسوا أهلا أن يحتجوا بالتوراة والإنجيل والزبور على مراد الأنبياء وسائر الكلام المنقول عن الأنبياء على مراد الأنبياء عليهم السلام بل ولا يحتجون بكلام الأطباء والفلاسفة والنحاة وعلم أهل الحساب والهيئة على مقاصدهم.
فإن الناس كلهم متفقون على أن لغة **العرب** من أفصح لغات الآدميين وأوضحها ومتفقون على أن القرآن في أعلا درجات البيان والبلاغة والفصاحة وفي القرآن من الدلالات الكثيرة على مقصود الرسول صلى الله عليه وسلم التي يذكر فيها أن الله تعالى أرسله إلى أهل الكتاب وغيرهم مالا يحصى إلا بكلفة ثم مع ذلك من النقول المتواترة عن سيرته صلى الله عليه وسلم في دعائه لأهل الكتاب وأمره لهم بالإيمان به وجهاده لهم إذا كفروا به ما لا يخفى على من له أدنى خبرة بسيرته صلى الله عليه وسلم وهذا أمر قد امتلأ العالم به وسمعه القاصي والداني فإذا كان الناس المؤمن به وغير المؤمن به يعلمون أنه كان يقول إنه رسول الله إلى أهل الكتاب وغيرهم وأن ظهور مقصوده بذلك مما يعلمه بالاضطرار الخاصة والعامة ثم شرعوا يظنون أنه كان يقول إني لم أبعث إلا إلى **العرب** واستمر على ذلك حتى مات دل على فساد نظرتهم وعقلهم أو على

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٢٠٩

عنادهم ومكابرتهم وكان الواجب إذ لم يكن له معرفة معاني هذه الآيات التي استدلوا بها على خصوص رسالته أن يعتقدوا أحد أمرين:

إما أن لها معاني توافق ما كان يقوله أو أنها من المنسوخ فقد علمت الخاصة والعامة أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد هجرته إلى بيت المقدس نحو سنة ونصف." (١)

"ص -٢٢٥- الثقلين الجن والإنس فيمتنع مع هذا أن يظهر ما يدل على أنه لم يبعث إليهم فإن هذا لا يفعله من له أدنى عقل لمناقضته لمراده فكيف يفعله من اتفقت عقلاء الأمم على أنه أعقل الخلق وأحسنهم سياسة وشريعة.

وأيضا فكان أصحابه والمقاتلون معه بعد ذلك ينفرون عنه وقد كان عادتهم أن يستشكلوا ما هو دون هذا وهذا لم يستشكله أحد ثم بعد هذا فلو قدر أن في القرآن ما يدل على أنه لم يبعث إلا إلى **العرب** وفيه ما يدل على أنه بعث إلى سائر الخلق كان هذا دليلا على أنه أرسل إلى غيرهم بعد أن لم يرسل إلا إليهم وأن الله عم بدعوته بعد أن كانت خاصة فلا مناقضة بين هذا وهذا فكيف وليس في القرآن آية واحدة تدل على اختصاص رسالته **بالعرب** وإنما فيه إثبات رسالته إليهم كما أن فيه إثبات رسالته إلى قريش وليس هذا مناقضا لهذا وفيه إثبات رسالته إلى أهل الكتاب كقوله تعالى : ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا﴾.

كما فيه أثبات رسالته إلى بني إسرائيل كقوله : ﴿يا بني إسرائيل﴾.

وليس هذا التخصص لليهود منافيا لذلك التعميم وفي رسالته خطاب لليهود تارة وللنصارى تارة وليس خطابه لإحدى الطائفتين ودعوته لها مناقضا لخطابه للأخرى ودعوته لها وفي كتابه خطاب للذين آمنوا من أمته في دعوته لهم إلى شرائع دينه وليس في ذلك مناقضة بأن يخاطب أهل الكتاب ويدعوهم وفي كتابه أمر بقتال أهل الكتاب النصارى حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

قال تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾.." (٢)

"ص -٢٢٨- الثالث: أنه إذا كان ما جاء به متناقضا لم يكن رسول الله فإن ما جاء به من عند الله لا يكون مختلفا متناقضا وإنما يتناقض ما جاء من عند غير الله قال تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٠٢/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢١٣/٢

فكل كتاب ليس من عند الله لا بد أن يكون فيه تناقض وما كان من عند الله لا يتناقض وحينئذ فإن كان متناقضا لم يجز لهم الاحتجاج بشيء منه فإنه ليس من عند الله وإن لم يكن متناقضا ثبت أن ما فيه من عموم رسالته وأنه رسول إليهم فليس فيه شيء يناقضه فإن ما جاء من عند الله لا يتناقض.

الرابع أنا نبين أن ما فيه من عموم رسالته لا ينافي ما فيه من أنه أرسل إلى **العرب** كما أن ما فيه من إنذار عشيرته الأقربين وأمر قريش لا ينافي ما فيه من دعوة سائر **العرب** فإن تخصيص بعض العام بالذكر إذا كان له سبب يقتضي التخصيص لم يدل على أن ما سوى المذكور مخالفة وهذا الذي يسمى مفهوم المخالفة ودليل الخطاب.

والناس كلهم متفقون على أن التخصيص بالذكر متى كان له سبب يوجب الذكر غير الاختصاص بالحكم لم يكن للاسم اللقب مفهوم بل ولا للصفة كقوله تعالى : ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾.." (١)

"ص -٢٣٢- وقالت عائشة رضي الله عنها لما نزلت هذه الآية : ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾.

قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فقال يا فاطمة بنت محمد يا صفية عمة رسول الله يا عباس عم رسول الله لا أملك لكم من الله شيئا.

وقال ابن إسحاق لما نزلت هذه الآية جعل النبي صلى الله عليه وسلم ينادي يا بني عبد المطلب يا بني عبد مناف يا بني زهرة حتى عدد الأفخاذ من قريش ثم قال إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين وإني لا أملك لكم من الله شيئا إلا أن تقولوا لا إله إلا الله فقال أبو لهب ألهذا جمعتنا تبا لك سائر اليوم فأنزل الله: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد﴾.

ودعا قريشا إلى الله وأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له وأنزل تعالى سورة قريش كلها: ﴿لإيلاف إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾وقد أنزل الله عليه في غير موضع أمر جميع الخلق بعبادته كقوله تعالى : ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾.

وقوله : ﴿وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون﴾.

وقريش هم قومه الذين كذبه جمهورهم أولا كما قال تعالى: ﴿وكذب به قومك وهو الحق﴾. كما أن جمهور

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٢١٦

بني إسرائيل وهم قوم المسيح كذبوه أولا.

ثم أمره الله تعالى أن يدعو سائر **العرب** فكان يخرج بنفسه ومعه أبو بكر صديقه." (١)

"ص -٢٣٣- إلى قبائل **العرب** قبيلة قبيلة وكانت **العرب** لم تزل تحج البيت من عهد إبراهيم الخليل عليه السلام فكان صلى الله عليه وسلم يأتيهم في منازلهم بمنى وعكاظ ومجنة وذي المجاز فلا يجد أحدا إلا دعاه إلى الله ويقول: "يا أيها الناس إني رسول الله آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تخلعوا ما يعبد دونه من هذه الأنداد وأن تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به يا أيها الناس إن قريشا منعوني أن أبلغ كلام ربي فمن يمنعني أن أبلغ كلام ربي إلا رجل يحملني إلى قومه فإن قريشا منعوني أن أبلغ كلام ربي يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها **العرب** وتذل لكم بها العجم فيقولون يا محمد أتريد أن تجعل الآلهة إلها واحدا إن أمرك هذا لعجب".

وما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلن دعوته ويظهر رسالته ويدعو الخلق إليها وهم يؤذونه." (٢)

"ص -٢٣٨- فيها ناس لا محالة.

وقد ذكر الله ذلك في القرآن وأخبر أن أهل الكتاب كانوا يخبرون **العرب** به ويستفتحون به عليهم فكان أهل الكتاب مقرين بنبوته مخبرين بها مبشرين بها قبل أن يبعث فقال تعالى: فيما يخاطب به أهل الكتاب﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين﴾.

فقد أخبر تعالى أن أهل الكتاب كانوا يستفتحون على **العرب** بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث أي يستنصرون به وكانوا هم **والعرب** يقتتلون فيغلبهم **العرب** فيقولون سوف يبعث النبي الأمي من ولد

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٢٢٠

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٢٢١

إسماعيل فنتبعه ونقتلكم معه شر قتلة وكانوا ينعتونه بنعوته.
وأخبارهم بذلك كثيرة متواترة وكما قال تعالى: ﴿فلما جاءهم ما عرفوا." (١)

"ص -٢٤١- يعرف اللسان العربي ولا كان هو يحسن لسانا غير العربي ولا كان يكتب كتابا ولا يقرأ كتابا مكتوبا.
ولا سافر قبل نبوته إلا سفرتين سفرة وهو صغير مع عمه أبي طالب لم يفارقه ولا اجتمع بأحد من أهل الكتاب ولا غيرهم وسفرة أخرى وهو كبير مع ركب من قريش لم يفارقهم ولا اجتمع بأحد من أهل الكتاب.
وأخبر من كان معه بأخبار أهل الكتاب بنبوته مثل إخبار بحيرى الراهب بنبوته وما ظهر منه مما دلهم على نبوته ولهذا تزوجت به خديجة قبل نبوته لما أخبرت به من أحواله.
وهذه الأمور مبسوطة في موضع آخر ولكن المقصود هنا التنبيه بأن محمدا صلى الله عليه وسلم له معجزات كثيرة مثل نبع الماء من بين أصابعه غير مرة ومثل تكثير الطعام القليل حتى أكل." (٢)

"ص -٢٤٣- فأخبر أنه لم يكن يعلم ذلك هو ولا قومه وقومه تقر بذلك ولم يتعلم من أحد غير قومه ولهذا زعم بعضهم أنه تعلم من بشر ظهر كذبه لكل أحد كما قال تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾.
فكان بمكة رجل أعجمي مملوك لبعض قريش فادعى بعض الناس أن محمدا كان يتعلم من ذلك الأعجمي فبين الله أن هذا كذب ظاهر فإن ذلك رجل أعجمي لا يمكنه أن يتكلم بكلمة من هذا القرآن العربي ومحمد صلى الله عليه وسلم عربي لا يعرف شيئا من ألسنة العجم فمن كلمه بغير العربية لا يفقه كلامه فلا ذلك الرجل يحسن التكلم بالعربية ولا محمد صلى الله عليه وسلم يفهم كلاما بغير العربية فلهذا قال تعالى: ﴿لسان الذي يلحدون إليه﴾.
أي يميلون إليه ويضيفون إليه أنه علم محمدا صلى الله عليه وسلم : ﴿أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٢٢٦

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٢٣٠

وكذلك قال بعض الناس عن القرآن : ﴿إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون﴾.
قال تعالى: ﴿فقد جاءوا ظلما وزورا وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه." (١)

"ص -٢٥٣- فانشقاق القمر كان آية على شيئين على صدق الرسول وعلى مجيء الساعة وإمكان انشقاق الفلك فإن المنكرين لقيام القيامة الكبرى قيام الناس من قبورهم لرب العالمين وانشقاق السموات وانفطارها سواء أقروا بالقيامة الصغرى وأن الأرواح بعد الموت تنعم أو تعذب كما هو قول الفلاسفة اللا آلهيين أو أنكروا المعاد مطلقا كما أنكر ذلك من أنكره من مشركي **العرب** والفلاسفة الطبيعيين وغيرهم ينكرون انشقاق السموات ويزعم هؤلاء الدهرية أن الأفلاك لا يجوز عليها الانشقاق كما ذكر ذلك أرسطو وأتباعه وزعموا أن الانشقاق يقتضي حركة مستقيمة وهي ممتنعة." (٢)

"ص -٢٥٦- أحد من **العرب** وغيرهم مع قوة عداوتهم وحرصهم على إبطال أمره بكل طريق وقدرتهم على أنواع الكلام أن يأتوا بمثله وأنزل الله إذ ذاك آيات بين فيها أنه رسول إليهم ولم يذكر فيها أنه لم يرسل إلى غيرهم.

فقال تعالى في: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ وقال في : ﴿أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون﴾.

وقال في : ﴿يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون﴾.

ذكر تعالى في هذه الآيات الثلاث نعمته على هؤلاء وحجته عليهم بإرساله وذكر بعض حكمته في إرساله وذلك لا يقتضي أنه لم يرسل إلا لهذا بل مثل هذا كثير معروف في لسان **العرب** وغيرهم." (٣)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٢٣٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٢٤٧

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٢٥٠

"ولتنذر أم القرى ومن حولها﴾.

ومعلوم أن فيه حكما أخرى مثل تبشير من آمن به والأمر والنهي وإنذار غير هؤلاء من **العرب** وقال تعالى: ﴿إن هو إلا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين﴾.

ومعلوم أن فيه حكمة أخرى غير الإنذار." (١)

"ص -٢٦٠- وقال تعالى: ﴿ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا **عربيا** لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين﴾.

ومعلوم أن فيه حكمة أخرى من إنذار الخلق كلهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتبشير المؤمنين فقال تعالى: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾.

ومعلوم أن في أخذ الميثاق حكما أخرى وقال تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما﴾ وقوله : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ذي باركنا حوله لنريه من آياتنا﴾.

وقوله : ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ إلى قوله: ﴿لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾.

وكذلك قوله : ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾.

وفي ذلك كله حكم أخرى وكذلك قوله : ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا﴾.

وإن كانت هذه لام العاقبة فليست العاقبة منحصرة في ذلك بل في ذلك من الإحسان إلى موسى وتربيته وغير ذلك حكم أخرى ومثل قوله : ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم﴾ وقال تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق." (٢)

"ص -٢٦٣- فصل

وأما احتجاجهم بقوله تعالى : ﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا﴾.

وقوله تعالى : ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته﴾.

فهذا كقوله تعالى : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٢٥٦

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٢٥٧

وهذا في عمومه نزاع فإنه إما أن يكون خطابا لجميع الناس ويكون المراد إنا بعثنا إليكم رسولا من البشر إذ كنتم لا تطيقون أن تأخذوا عن ملك من الملائكة فمن الله عليكم بأن أرسل إليكم رسولا بشريا.

قال تعالى: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾. وأما أن يكون الخطاب **للعرب** وعلى التقديرين فإن ما تضمن ذكر أنعامه على المخاطبين بإرساله رسولا من جنسهم وليس في هذا ما يمنع أن يكون مرسلا إلى غيرهم فإنه إن كان خطابا للإنس كلهم فهو أيضا مرسل إلى الجن وليس من جنسهم فكيف يمتنع إذا كان خطابا **للعرب** بما امتن به عليهم أن يكون قد امتن على غيرهم بذلك فالعجم أقرب إلى **العرب** من الجن إلى الإنس وقد أخبر في الكتاب العزيز أن الجن لما سمعوا القرآن آمنوا به.

قال تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر." (١)

"إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا ﴾ سورة الجن كلها.

ونظير هذا قوله : ﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾.

وقومه قريش ولا يمنع أنه ذكر لسائر **العرب** بل لسائر الناسكما قال تعالى: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين﴾.

وقال تعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾.

وقال تعالى: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين إن هو إلا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين﴾.

وقال تعالى: ﴿إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالأفق المبين وما هو على الغيب بضنين وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾.

وقال تعالى: ﴿وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا﴾.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٢٦٢

وهذا على أصح القولين وأن المراد بقوله: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾أنه ذكر لهم يذكرونه فيهتدون به.." (١)

"ص -٢٦٦- فصل.

هذا الكلام على الوجه الأول: وهو قول من يقول أنه لم يقل أنه أرسل إلا إلى **العرب**.

وأما الوجه الثاني: وهو أن نقول هو ذكر أنه رسول إلى الناس كافة كما نطق به القرآن في غير موضع كقوله تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾.

وقوله : ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض﴾.

وقد صرح فيه بدعوة أهل الكتاب وبدعوة الجن في غير موضع فإذا سلموا أنه ذكر ذلك ولكن كذبوه في ذلك.

فإما أن يقروا برسالته إلى **العرب** أو لا يقروا.

فإن أقروا بأنه رسول أرسله الله لم يمكن مع ذلك تكذيبه كما تقدم بل يجب الإقرار برسالته إلى جميع الخلق كما أخبر بذلك كما تقدم أن من ذكر أنه رسول الله لا يكون إلا من أفضل الخلق وأصدقهم أو من شر الخلق وأكذبهم فإنه إن كان صادقا فهو من أفضلهم وإن كان كاذبا فهو من شرهم وإذا كان الله قد أرسله ولو إلى قرية كما أرسل يونس بن متى إلى أهل نينوى كان من أفضل الخلق وكان صادقا لا يكذب على الله ولا يقول عليه إلا الحق ولو كذب على الله ولو في كلمة واحدة لكان من الكاذبين لم يكن من رسل الله الصادقين فإن الكاذب لا يكذب في كل شيء بل في البعض فمن كذب على الله في كلمة واحدة فقد افترى على الله الكذب وكان من القسم الكاذبين في دعوى الرسالة لا من الصادقين.

وأيضا فإن مقصود الرسالة تبليغ رسالات الله على وجهها فإذا خلط الكذب بالصدق لم يحصل مقصود الرسالة.

وأيضا فإذا علم أنه كذب في بعضها لم يتميز ما صدق فيه مما كذب فيه إلا بدليل آخر غير رسالته فلا يحصل المقصود برسالته.

ولهذا أجمع أهل الملل قاطبة على أن الرسل معصومون فيما يبلغونه عن الله تبارك وتعالى لم يقل أحد قط أن من أرسله الله يكذب عليه وقد قال تعالى: ما يبين أنه لا يقر." (٢)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٢٦٥

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٢٦٧

"ص -٢٦٧- كاذبا عليه قال تعالى: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾. وقال تعالى: ﴿أم يقولون افترى على الله كذبا فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾.

ثم قال تعالى: ﴿ويمح الله الباطل ويحق الحق﴾.

فقوله تعالى: ﴿ويمح الله الباطل ويحق الحق﴾.

كلام مستأنف ليس داخلا في جواب الشرط فإنه لو كان معطوفا على جواب الشرط لقال ويحق الحق بالكسر لالتقاء الساكنين كما في قوله: ﴿قم الليل﴾. فلما قال ويحق الحق بالضم دل على أنه جملة مستأنفة أخبر فيها أنه تعالى يمحو الباطل كباطل الكاذبين عليه ويحق الحق كحق الصادقين عليه فمحو الباطل نظير إحقاق الحق ليس مما علق بالمشيئة بل لا بد منه بخلاف الختم على قلبه فإنه معلق بالمشيئة ولا يجوز أن يعلق بالمشيئة محو الباطل كتعليق الختم بل يقذف بالحق على الباطل فيدمغه وقال تعالى: في صيانته وإحكامه لما تبلغه رسله: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾.

وأيضا فإذا لم يكن أرسل إلا إلى **العرب** وقد دعا اليهود والنصارى إلى الإيمان به وكفرهم إذا لم يؤمنوا به وجاهدهم." (١)

"ص -٢٦٨- يفعله إلا من هو من أظلم الناس ومن كان نبيا قد أرسله الله فهو منزه عن هذا وهذا. فالإقرار برسالته إلى **العرب** دون غيرهم مع ما ظهر من عموم دعوته للخلق كلهم قول متناقض ظاهر الفساد وكل ما دل عليه أنه رسول فإنه يستلزم رسالته إلى جميع الخلق وكل من اعترف بأنه رسول لزمه الاعتراف بأنه رسول إلى جميع الخلق وإلا لزم أن يكون الله أرسل رسولا يفتري عليه الكذب ويقول للناس إن الله أمركم باتباعي وأمرني بجهادكم إذا لم تفعلوا وهو كاذب في ذلك ومعلوم أن كل ما دل على أن الله أرسله فإنه يدل على أنه صادق في الرسالة وإلا فلا فالرسول الكاذب لا يحصل به مقصود الرسالة بل يكون من

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٢٦٨

جملة المفترين على الله الكذب وأولئك ليسوا من رسل الله ولا يجوز تصديقهم في قولهم إن الله أرسلهم.." (١)

"ص -٢٦٩- فصل.

وإما أن لا يقروا برسالته إلى العرب ولا غيرهم بل قالوا فيه ما كان يقوله مشركو العرب من أنه شاعر أو ساحر أو مفتر كاذب ونحو ذلك فيقال لهم على هذا التقدير فدليلكم أيضا باطل ولا يجوز أن تحتجوا بتقدير تكذيبكم لمحمد بشيء من كلام الأنبياء قبله سواء صدقتم محمدا في جميع ما يقوله أو في بعضه أو كذبتموه فدليلكم باطل فيلزم بطلان دينكم على كل تقدير وما ثبت بطلانه على كل تقدير فهو باطل في نفس الأمر فيثبت أنه باطل في نفس الأمر وذلك أنكم إذا كذبتم محمدا لم يبق لكم طريق تعلمون به صدق غيره من الأنبياء فيمتنع مع تكذيبه القول بصدق غيره بل من اعتقد كذبه وصدق غيره لم يكن عالما بصدق غيره بل يكون مصدقا لهم بغير علم وإذا لم يكن عالما بصدقهم لم يجز احتجاجه قط بأقوالهم بل ذلك قول منه بلا علم ومحاجة فيما لا علم له بها فإن الدلائل الدالة على صدق محمد أعظم وأكثر من الدلائل الدالة على صدق موسى وعيسى ومعجزاته أعظم من معجزات غيره والكتاب الذي أرسل به أشرف من الكتاب الذي بعث به غيره والشريعة التي جاء بها أكمل من شريعة موسى وعيسى عليهما السلام وأمته أكمل في جميع الفضائل من أمة هذا وهذا ولا يوجد في التوراة والإنجيل علم نافع وعمل صالح إلا وهو في القرآن أو مثله أو منه وفي القرآن من العلم النافع والعمل الصالح ما لا يوجد مثله في التوراة والإنجيل فما من مطعن من مطاعن أعداء الأنبياء يطعن به على محمد إلا ويمكن توجيه ذلك الطعن وأعظم منه على موسى وعيسى.

وهذه جملة مبسوطة في موضع آخر لم نبسطها هنا لأن جواب كلامهم لا يحتاج إلى ذلك فيمتنع الإقرار بنبوة موسى وعيسى عليهما السلام مع التكذيب بنبوة محمد ولا يفعل ذلك إلا من هو من أجهل الناس وأضلهم أو من أعظمهم عنادا واتباعا لهواه وذلك أن هؤلاء القوم احتجوا بما نقلوه عن الأنبياء ولم يذكروا الأدلة الدالة.." (٢)

"ص -٢٧٠- على صدقهم بل أخذوا ذلك مسلما وطلبوا ان يحتجوا بما نقلوه عن الأنبياء قبله وبما نقلوه عنه على صحة دينهم وهذه حجة داحضة سواء صدقوه أو كذبوه فإن صدقوه بطل دينهم وإن كذبوه

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٢٧٠

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٢٧١

بطل دينهم فإنهم إن صدقوه فقد علم أنه دعاهم وجميع أهل الأرض إلى الإيمان به وطاعته كما دعا المسيح وموسى وغيرهما من الرسل وأنه أبطل ما هم عليه من الاتحاد وغيره وكفرهم في غير موضع ولهذا كان مجرد التصديق بأن محمدا رسول الله ولو إلى **العرب** يوجب بطلان دين النصارى واليهود وكل دين يخالف دينه فإن من كان رسولا لله فإنه لا يكذب على الله ومحمد قد علم منه أنه دعا النصارى واليهود إلى الإيمان به وطاعته كما دعا غيرهم وأنه كفر من لم يؤمن به ووعده النار وهذا متواتر عنه تواترا تعلمه العامة والخاصة وفي القرآن من ذلك ما يكثر ذكره كما قال تعالى: ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم ال بينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾
وقال تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو." (١)

"ص -٢٧٨- وقد قال تعالى: ﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ وقال تعالى: ﴿ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا﴾. فهذا يوافق قوله تعالى: ﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا قال إنما أنا رسول ربك﴾. والمقصود هنا أنهم سواء صدقوا محمدا أو كذبوه فإنه يلزم بطلان دينهم على التقديرين فإنه إن كان نبيا صادقا فقد بلغ عن الله في هذا الكتاب كفر النصارى في غير موضع ودعاهم إلى الإيمان به وأمر بجهادهم فمن علم أنه نبي ولو إلى طائفة معينة يجب تصديقه في كل ما أخبر به وقد أخبر بكفر النصارى وضلالهم وإذا ثبت هذا لم يغن عنهم الاحتجاج بشيء من الكتب والمعقول بل يعلم من حيث الجملة أن كل ما يحتجون به على صحة دينهم فهو باطل وإن لم يبين فساد حججهم على التفصيل لأن الأنبياء لا يقولون إلا حقا كما أن المسيح عليه السلام لما حكم بكفر من كذبه من اليهود كان كل ما يحتج به اليهود على خلاف ذلك باطلا فكل ما عارض قول النبي المعصوم فهو باطل وإن كذبوا محمدا تكذيبا عاما مطلقا وقالوا ليس هو نبي أصلا ولا أرسل إلى أحد لا إلى **العرب** ولا إلى غيرهم بل كان كذابا امتنع مع هذا أن يصدقوا بنبوة غيره فإن الطريق الذي يعلم به نبوة موسى وعيسى يعلم به نبوة محمد بطريق الأولى

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٧٢/٢

فإذا قالوا علمت نبوة موسى والمسيح بالمعجزات وعرفت المعجزات بالنقل المتواتر إلينا قيل لهم معجزات محمد أعظم وتواترها أبلغ والكتاب الذي جاء به محمد أكمل وأمته أفضل وشرائع دينه أحسن وموسى جاء بالعدل وعيسى جاء بتكميلها." (١)

"ص -٢٩٠- إن الإقرار بالاستيفاء يناقض استيفاء الحق وأما القرآن الذي جاء به محمد فليس في إخباره بأنه أرسل إلى قريش ثم إلى **العرب** ما يناقض إخباره بأنه أرسل إلى جميع الناس أهل الكتاب وغيرهم. كما أنه ليس في إخباره أنه أرسل إلى بني إسرائيل ومخاطبة الله لهم بقوله: ﴿يا بني إسرائيل﴾ ما يمنعه أن يكون مرسلا إلى اليهود من غير بني إسرائيل وإلى النصارى والمشركين وهو لم يقل قط إني لم أرسل إلا إلى **العرب** ولا قال ما يدل على هذا بل ثبت عنه بالنقل المتواتر أنه قال إنه مرسل إلى جميع الجن والإنس إلى أهل الكتاب وغيرهم ولو قدر أنه قال إنه لم يرسل إلا إلى **العرب** ثم قال إني أرسلت إلى أهل الكتاب لكان قد أرسل إلى أهل الكتاب بعد إرساله إلى **العرب** كما قال: ﴿قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير﴾ وقال أيضا: ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾ ثم إنه بعد هذا حرم الله أشياء فلم يكن بين نفي تحريمها في الزمن الأول وإثبات تحريمها في الزمن الثاني منافاة.

ولكن يظهر الدين إذا أوجب شيئا ثم نسخ إيجابه كما نسخ إيجاب الصدقة بين يدي النجوى ففي مثل هذا يتمسك بالنص الناسخ دون المنسوخ كما يتمسك بالإقرار بالوفاء الناسخ للإقرار بالدين.." (٢)

"ص -٢٩٨- فصل.

وأما كون القرآن أنزل باللسان **العربي** وحده فعنه أجوبة.

أحدها: أن يقال والتوراة إنما أنزلت باللسان العبري وحده وموسى عليه السلام لم يكن يتكلم إلا بالعبرية وكذلك المسيح لم يكن يتكلم بالتوراة والإنجيل وغيرهما إلا بالعبرية وكذلك سائر الكتب لا ينزلها الله إلا بلسان واحد بلسان الذي أنزلت عليه ولسان قومه الذين يخاطبهم أولا ثم بعد ذلك تبلغ الكتب وكلام الأنبياء لسائر الأمم أما بأن يترجم لمن لا يعرف لسان ذلك الكتاب وإما بأن يتعلم الناس لسان ذلك الكتاب فيعرفون معانيه وإما بأن يبين للمرسل إليه معاني ما أرسل به الرسول إليه بلسانه وإن لم يعرف سائر ما أرسل به.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٢٨٣

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٢٩٦

وقد أخبر الله في القرآن ما قالته الرسل لقومهم وما قالوا لهم وأكثرهم لم يكونوا **عربا** وأنزله الله باللسان **العربي** وحينئذ فإن شرط التكليف تمكن العباد من فهم ما أرسل به الرسول إليهم وذلك يحصل بأن يرسل بلسان يعرف به مراده ثم جميع الناس متمكنون من معرفة مراده بأن يعرفوا ذلك اللسان أو يعرفوا معنى الكتاب بترجمة من يترجم معناه وهذا مقدور للعباد ومن لم يمكنه فهم كلام الرسول إلا بتعلم اللغة التي أرسل بها وجب عليه ذلك فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب بخلاف ما لا يتم الوجوب إلا به فإنه ليس بواجب ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها لا في الأصل ولا في التمام فلا نحتاج أن نقول مالا يتم الواجب إلا به وكان مقدورا للمكلف فهو واجب فإن ما ليس مقدورا عليه لا يكلف به العباد بل وقد يكون مقدورا عليه ولا يكلفون به.

فلما كانت الاستطاعة شرطا في وجوب الحج لم يجب تحصيل الاستطاعة بخلاف قطع المسافات فإنه ليس شرطا في الوجوب فلهذا يجب الحج على الإنسان من المسافة البعيدة والقريبة إذا كان مستطيعا.." (١)

"ص -٢٩٩- وجمهور الناس لا يعرفون معاني الكتب الإلهية التوراة والإنجيل والقرآن إلا بمن يبينها ويفسرها لهم وإن كانوا يعرفون اللغة فهؤلاء يجب عليهم طلب علم ما يعرفون به ما أمرهم الله به ونهاهم عنه وهذا هو طلب العلم المفروض على الخلق وكذلك ما بينه الرسول من معاني الكتاب الذي أنزله الله عليه يجب على الخلق طلب علم ذلك ممن يعرفه إذا كان معرفة ذلك لا تحصل بمجرد اللسان.

كما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه تفسير تعرفه **العرب** من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى فمن ادعى علمه فهو كاذب.

والله تعالى قال: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾. لم يقل وما أرسلنا من رسول إلا إلى قومه لكن لم يرسله إلا بلسان قومه الذين خاطبهم أولا ليبين لقومه فإذا بين لقومه ما أراده حصل بذلك المقصود لهم ولغيرهم فإن قومه الذين بلغ إليهم أولا يمكنهم أن يبلغوا عنه اللفظ ويمكنهم أن ينقلوا عنه المعنى لمن لا يعرف اللغة ويمكن غيرهم أن يتعلم منهم لسانه فيعرف مراده فالحجة تقوم على الخلق

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٣٠٥

ويحصل لهم الهدى بمن ينقل عن الرسول تارة المعنى وتارة اللفظ ولهذا يجوز نقل حديثه بالمعنى والقرآن يجوز ترجمة معانيه لمن لا يعرف **العربية** باتفاق العلماء.." (١)

"ص –٣٠٠– وجوز بعضهم أن يقرأ بغير **العربية** عند العجز عن قراءته **بالعربية** وبعضهم جوزه مطلقا وجمهور العلماء منعوا أن يقرأ بغير **العربية** وإن جاز أن يترجم للتفهم بغير **العربية** كما يجوز تفسيره وبيان معانيه وإن كان التفسير ليس قرآنا متلوا وكذلك الترجمة وقد قال النبي: "نضر الله امرءا سمع منا حديثا فبلغه إلى من لم يسمعه فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه" وقال أيضا في الحديث الصحيح: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت." (٢)

"ص –٣٠١– الكلأ والعشب الكثير وكانت منها طائفة أمسكت الماء فنفع الله به الناس فزرعوا وسقوا وكانت منها طائفة إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من تفقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به من الهدى والعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به".

فدعا النبي لمن يبلغ حديثه وإن لم يتفقه فيه وقال رب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

وقد كان العارفون باللغة **العربية** حين بعث الله محمدا إنما يوجدون في جزيرة **العرب** وما والاها كأرض الحجاز واليمن وبعض الشام والعراق ثم انتشر فصار أكثر الساكنين في وسط المعمورة **العربية** حتى اليهود والنصارى الموجودون في وسط الأرض يتكلمون **بالعربية** كما يتكلم بها أكثر المسلمين بل كثير من اليهود والنصارى يتكلمون **بالعربية** أجود مما يتكلم بها كثير من المسلمين.

وقد انتشرت هذه اللغة أكثر مما انتشرت سائر اللغات حتى أن الكتب القديمة من كتب أهل الكتاب ومن كتب الفرس والهند واليونان والقبط وغيرهم **عربت** بهذه اللغة.

ومعرفة الكتب المصنفة **بالعربية** والكلام **العربي** أيسر على جمهور الناس من معرفة الكتب المصنفة بغير **العربية** فإن اللسان العبري والسرياني والرومي والقبطي وغيرها وإن عرفه طائفة من الناس فالذين يعرفون اللسان

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٠٦/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٠٧/٢

العربي أكثر ممن يعرف لسانا من هذه الألسنة.

وأيضا فمعرفة ما أمر الله عباده أمرا عاما هو مما نقله الأمة عن نبيها نقلا متواترا." (١)

"ص -٣٠٢- وأجمعت عليه مثل الأمر بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنه أرسل إلى جميع الناس أميهم وغير أميهم وإقام الصلوات الخمس وإيتاء الزكاة وصيام شهر رمضان وحج البيت العتيق من استطاع إليه سبيلا وإيجاب الصدق وتحريم الفواحش والظلم والأمر بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت هو ما يعرفه المسلمون معرفة عامة ولا يحتاج الإنسان في معرفة ذلك إلى أن يحفظ ا لقرآن بل يمكن الإنسان معرفة ما أمر الله به على لسان رسوله وإن لم يعرف اللغة العربية ويكفيه أن يقرأ فاتحة الكتاب وسورا معها يصلي بهن وكثير من الفرس والروم والترك والهند والحبشة والبربر وغيرهم لا يعرفون أن يتكلموا بالعربية الكلام المعتاد وقد أسلموا وصاروا من أولياء الله المتقين ومنهم من يحفظ القرآن كله وإذا كلم الناس لا يستطيع أن يكلمهم إلا بلسانه لا بالعربية وإذا خوطب بالعربية لم يفقه م ا قيل له.

الوجه الثاني: أن المسيح عليه السلام كان لسانه عبريا وكذلك ألسنة الحواريين الذين اتبعوه أولا ثم إنه أرسلهم إلى الأمم يخاطبونهم ويترجمون لهم ما قاله المسيح عليه السلام فإن قالوا إن رسل المسيح حولت ألسنتهم إلى ألسنة من أرسل إليهم.

قيل هذا منقول في رسل المسيح وفي رسل محمد الذين أرسلهم إلى الأمم ولا ريب أن رسل رسل الله كرسل محمد والمسيح عليه السلام إلى الأمم لا بد أن يعرفوا لسان من أرسلهم الرسول إليهم أو أن يكون عند أولئك من يفهم لسانهم ولسان الرسول ليترجم لهم فإذا لم يكن عند من أرسل المسيح إليهم من يعرف بالعربية فلا بد أن يكون رسوله ينطق بلسانهم.

وكذلك رسل النبي الذين أرسلهم إلى الأمم فإن النبي لما رجع من الحديبية أرسل رسله إلى أهل الأرض فبعث إلى ملوك العرب باليمن والحجاز والشام والعراق وأرسل إلى ملوك النصارى بالشام ومصر قبطهم ورومهم وعربهم وغيرهم وأرسل إلى الفرس المجوس ملوك العراق وخراسان.

قال محمد بن سعد في." (٢)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٠٨/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٠٩/٢

"ص -٣٠٣- وغيرهم يدعوهم وذكر ما كتب به رسول الله لناس من **العرب** وغيرهم ثم قال أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي قال حدثني معمر بن راشد ومحمد بن عبدالله عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال وعن الواقدي حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن المسور بن رفاعة وحدثنا عبدالحميد بن جعفر عن أبيه عن جدته الشفاء." (١)

"ص -٣٠٦- عن الشعبي دخل حديث بعضهم في حديث بعض أن رسول الله قال لأصحابه: "ائتوني بأجمعكم بالغداة" وكان رسول الله إذا صلى الفجر يجلس في مصلاه قليلا يسبح ويدعو ثم التفت إليهم فبعث عدة إلى عدة وقال: "انصحوا لله في أمر عباده فإن من أخبر عن شيء من أمور المسلمين ثم لم ينصح حرم الله عليه الجنة انطلقوا ولا تصنعوا كما صنعت رسل عيسى بن مريم فإنهم أتوا القريب وتركوا البعيد فأصبحوا يعني الرسل وكل منهم يعرف بلسان القوم الذين أرسل إليهم" وذكر ذلك النبي فقال: "هذا أعظم ما كان من حق الله عز وجل عليهم في أمر عباده".

الوجه الثالث: أن النصارى فيهم **عرب** كثير من زمن النبي وكل من يفهم اللسان **العربي** فإنه يمكن فهمه للقرآن وإن كان أصل لسانه فارسيا أو روميا أو تركيا أو هنديا أو قبطيا وهؤلاء الذين أرسلوا هذا الكتاب من علماء النصارى قد قرؤوا المصحف وفهموا منه ما فهموا وهم يفهمونه **بالعربية** واحتجوا بآيات من القرآن فكيف يسوغ لهم مع هذا أن يقولوا كيف تقوم الحجة علينا بكتاب لم نفهمه.

الوجه الرابع: أن حكم أهل الكتاب في ذلك حكم المشركين ومعلوم أن المشركين فيهم **عرب** وفيهم عجم ترك وهند وغيرهما فكما أن جميع المشركين كمشركي **العرب** وكذلك جميع أهل الكتاب كأهل الكتاب من **العرب** وفي اليهود والنصارى ممن يعرف بلسان **العرب** من لا يحصيه إلا الله عز وجل.

الوجه الخامس: أنه ليس فهم كل آية من القرآن فرضا على كل مسلم وإنما يجب على المسلم أن يعلم ما أمره الله به وما نهاه عنه بأي عبارة كانت وهذا ممكن لجميع." (٢)

"ص -٣٠٧- الأمم ولهذا دخل في الإسلام جميع أصناف العجم من الفرس والترك والهند والصقالبة والبربر ومن هؤلاء من يعلم اللسان **العربي** ومنهم من يعلم ما فرض الله عليه الترجمة وقد قدمنا أنه يجوز ترجمة القرآن في غير الصلاة والتعبير كما يجوز تفسيره باتفاق المسلمين وإنما تنازعوا هل يقرأ بغير **العربية** تلاوة كما يقرأ في الصلاة فجمهور العلماء منعوا من ذلك وحينئذ فإذ قرأ الأعجمي فاتحة الكتاب وسورتين

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣١١/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣١٤/٢

معها بالعربية أجزاه وكذلك التشهد وغيره من الذكر المأمور به وهذا أمر يسير أيسر من أكثر الواجبات فكيف يمتنع أن يأمر الله تبارك وتعالى عباده بذلك.

وأما جمل ما أمر به الرسول من الصلاة والزكاة والصوم والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وما حرمه الله من الشرك والفواحش والظلم وغير ذلك فهذا مما يمكن أن يعرفه كل واحد بتعريف من يعرفه أما باللسان العربي وإما بلسان آخر لا يتوقف تعريف ذلك على لسان العرب." (١)

"ص -٣٠٨- فصل.

وأما قوله تعالى: ﴿عربيا لعلكم تعقلون﴾. وقوله: ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي﴾. وقوله: ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا﴾. فهذا يتضمن إنعام الله على عباده لأن اللسان العربي أكمل الألسنة وأحسنها بيانا للمعاني فنزول الكتاب به أعظم نعمة على الخلق من نزوله بغيره وهو إنما خوطب به أولا العرب ليفهموه ثم من يعلم لغتهم يفهمه كما فهموه ثم من لم يعلم لغتهم ترجمه له من عرف لغتهم وكان إقامة الحجة به على العرب أولا والإنعام به عليهم أولا لمعرفتهم بمعانيه قبل أن يعرفه غيرهم.

قال تعالى: ﴿فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون﴾ وقال: ﴿فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا﴾. واللد جمع الألد وهو الأعوج في المناظرة الذي يروغ عن الحق كما قال النبي إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم وأما قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾. فهو كما قال تعالى: وقوم محمد هم قريش وبلسانهم أرسل وهو سبحانه لم يقل وما أرسلنا من رسول إلا إلى قومه بل الرسول يبعثه الله إلى قومه وغير قومه كما تقول النصارى أنه بعث المسيح عليه السلام والحواريين إلى غير بني إسرائيل وليسوا من قومه فكذلك بعث محمدا إلى قومه وغير قومه ولكن إنما يبعث بلسان قومه ليبين لهم ثم يحصل البيان لغيرهم بتوسط البيان لهم أما بلغتهم ولسانهم وإما بالترجمة لهم ولو لم يتبين لقومه أولا لم يحصل مقصود الرسالة لا لهم ولا لغيرهم وإذا تبين لقومه أولا حصل البيان لهم ولغيرهم بتوسطهم وقومه إليهم بعث أولا ولهم دعا أولا وأنذر أولا وليس في هذا أنه لم يرسل إلى غيرهم لكن إذا تبين لقومه لكونه بلسانهم أمكن بعد هذا أن يعرفه غير." (٢)

"ص -٣٠٩- أو حساب بلسان قومه ثم يترجم ذلك الكتاب وينقل إلى لغات أخر وينتفع به أقوام آخرون كما ترجمت كتب الطب والحساب التي صنفت بغير العربي وانتفع بها العرب وعرفوا مراد أصحابها

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣١٥/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣١٦/٢

وإن كان المصنف لها أولا إنما صنفها بلسان قومه وإذا كان هذا في بيان الأمور التي لا يتعلق بها سعادة الآخرة والنجاة من عذاب الله فكيف يمتنع في العلوم التي يتعلق بها سعادة الآخرة والنجاة من العذاب أن ينقل من لسان إلى لسان حتى يفهم أهل اللسان الثاني بها ما أراده بها المتكلم بها أولا باللسان الأول.

وأبناء فارس المسلمون لما كان لهم من عناية بهذا ترجموا مصاحف كثيرة فيكتبونها **بالعربي** ويكتبون الترجمة بالفارسية وكانوا قبل الإسلام أبعد عن المسلمين من الروم والنصارى فإذا كان الفرس المجوس قد وصل إليهم معاني القرآن **بالعربي** وترجمته فكيف لا يصل إلى أهل الكتاب وهم أقرب إلى المسلمين منهم وعامة الأصول التي يذكرها القرآن عندهم شواهدها ونظائرها في التوراة والإنجيل والزبور وغير ذلك من النبوات بل كل من تدبر نبوات الأنبياء وتدبر القرآن جزم يقينا بأن محمدا رسول الله حقا وأن موسى رسول الله صدقا لما يرى من تصادق الكتابين التوراة والقرآن مع العلم بأن موسى عليه السلام لم يأخذ عن محمد وأن محمدا لم يأخذ عن موسى فإن محمدا باتفاق أهل المعرفة بحاله كان أميا من قوم أميين مقيما بمكة ولم يكن عندهم من يحفظ التوراة والإنجيل ولا الزبور ومحمد لم يخرج من بين ظهرانيهم ولم يسافر قط إلا سفرتين.

إلى الشام خرج مرة مع عمه أبي طالب قبل الاحتلام ولم يكن يفارقه ومرة أخرى مع ميسرة في تجارته وكان ابن بضع وعشرين سنة مع رفقة كانوا يعرفون جميع أحواله ولم يجتمع قط بعالم أخذ عنه شيئا لا من علماء اليهود ولا النصارى ولا من غيرهم لا." (١)

"ص -٣١١- من غرضوف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به وكان هو في رعية الإبل فقال أرسلوا إليه فأقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه عليه فقال انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه قال فبينما هو قائم عليهم يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم أن رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه فالتفت فإذا بسبعة قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم الراهب فقال ما جاء بكم قالوا جئنا لأن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس وإنا قد أخبرنا خبره بطريقك هذا فقال أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده قالوا لا قال فتابعوه وأقاموا معه قال أنشدكم الله يا معشر **العرب** أيكم وليه فقال أبو طالب أنا فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وزوده الراهب من الكعك والزيت.

قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ورواه البيهقي في كتاب دلائل النبوة من

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣١٨/٢

حديث العباس بن محمد عن قراد بن نوح وقال العباس لم يحدث به يعني بهذا الإسناد غير قراد وسمعه يحيى وأحمد من قراد.

قال البيهقي أراد أنه لم يحدث بهذا الإسناد سوى هؤلاء فأما القصة فهي عند أهل المغازي مشهورة.

وقال ابن سعد في الطبقات حدثنا محمد بن عمر قال حدثني محمد بن." (١)

"ص -٣١٥-

فصل.

فإن قالوا إن الكتب التي عندنا من التوراة والإنجيل وغيرهما ترجمها لنا الحواريون وهم عندنا رسل معصومون وترجموها لجميع الأمم بخلاف القرآن فإنه إنما يترجمه من ليس بمعصوم فعن هذا أجوبة.

أحدها: أن هذا كذب بين فإن من **العرب** من النصارى من لا يحصي عدده إلا الله تعالى وكان فيهم نصارى كثيرون تنصروا قبل مبعث محمد وكان فيهم قوم على دين المسيح الذي لم يبدل وهم مؤمنون من أهل الجنة كسائر من كان على دين المسيح عليه السلام فإن كل من كان على دين المسيح الذي لم يبدل قبل مبعث محمد فإنه مؤمن مسلم من أهل الجنة.

ومع هذا فليس على وجه الأرض توراة ولا إنجيل **معرب** من عهد الحواريين بل التوراة العبرية تنقل من اللسان العبري أو غيره إلى **العربية** وكذلك الإنجيل ينقل من اللسان الرومي أو السرياني أو اليوناني أو غيرها إلى اللغة **العربية** فلو كان عند كل أمة من الأمم توراة وإنجيل ونبوات بلسانهم لكان نصارى **العرب** أحق بهذا من نصارى الحبشة والصقالبة والهند فإنهم جيران البيت المقدس وهم بنو إسماعيل عليه السلام والأناجيل عندهم أربعة وهم يدعون أن كل واحد كتبها بلسان كتبت بلسان العبري والرومي واليوناني مع أن في بعض الأناجيل ما ليس في بعض مثل قولهم عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس الذي جعلوه أصل دينهم وهذا إنما هو قوله في إنجيل متى وإذا كان كل واحد من الأربعة كتب إنجيلا بلسانه لم يكن هناك إنجيل واحد أصلي ترجع إليه الأناجيل كلها ثم هم مع هذا يدعون أنها ترجمت باثنين وسبعين لسانا وهذا فيه من الكذب والتناقض أمور سننبه إن شاء الله على بعضها لكن غاية ما." (٢)

"ص -٣١٦- يدعون أنه ترجم باثنين وسبعين لسانا ومعلوم أن الألسنة الموجودة في بني آدم في جميع المعمورة في زماننا وقبل زماننا أكثر من هذا كما يعرفه من عرف أحوال العالم بل اللسان الواحد

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٢٠/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٢٤/٢

كالعربي والفارسي والتركي جنس تحته أنواع مختلفة لا يفهم بعضهم بعضهم لسان بعض إلا أن يتعلمه منهم والعرب أقرب الأمم إلى بني إسحاق بني إسرائيل والعيص فإنهم بنو إسماعيل وجيرانهم فإن أهل الحجاز جيران الشام ومكة لم تزل تحج إليها العرب ولم يكن قط عند العرب توراة ولا إنجيل عربيان من عهد المسيح عليه السلام بل ولا كان بمكة لا توراة ولا إنجيل لا معرب ولا غير معرب ولهذا قال تعالى: ﴿لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ فكيف يدعى أن التوراة والإنجيل ترجمها الحواريون لكل قوم من جميع بني آدم شرقا وغربا وجنوبا وشمالا بلسان يفهمونه به وهل يقول هذا إلا من هو من أكذب الناس وأجهلهم.

الوجه الثاني: أن يقال ترجمة الكلام من لغة إلى لغة لا تحتاج إلى معصوم بل هذا أمر تعلمه الأمم فكل من عرف اللسانين أمكنه الترجمة ويحصل العلم بذلك إذا كان المترجمون كثيرين متفرقين لا يتواطؤون على الكذب وبقرائن تقترن بخبر أحدهم وبغير ذلك وهذا موجود معلوم بل إذا ترجمه اثنان كل منهما لا يعرف ما يقوله الآخر ولم يتواطؤوا حصل بذلك المقصود في الغالب وهم يذكرون أن التوراة ترجمها إثنان وسبعون حبرا من اليهود ولم يكونوا معصومين وأن الملك فرقهم لئلا يتواطؤوا على الكذب واتفقوا على ترجمة واحدة وهذا كان بعد الخراب الأول فهكذا يمكن ترجمة غير التوراة.

وهذه التوراة في زماننا والإنجيل والزبور يترجم باللغة العربية ويعرف المقصود به بلا." [1]

"ص -٣٢٠- مريم العذراء افتحي لنا أبواب الرحمة.

الوجه الثالث: قولهم أنهم سلموا إليهم التوراة والإنجيل بلغاتهم إنما يستقيم إن كان صحيحا في بعض النصارى لا في جميعهم فإن العرب من النصارى وغير العرب لم يسلم أحد إليهم توراة ولا إنجيلا بلسانهم وهذا أمر معروف ولا توجد قط توراة ولا إنجيل معرب من زمن الحواريين وإنما عربت في الأزمان المتأخرة فإذا كانت النصارى من العرب تقوم عليهم الحجة قبل محمد بكتاب نزل بغير لسانهم ثم عرب لهم فكيف لا تقوم على الروم وغيرهم الحجة بكتاب نزل بغير لسانهم ثم ترجم بلسانهم.

الوجه الرابع: أن يقال الأمة إذا غيرت دين رسولها الذي أرسل إليها وبدلته أرسل الله إليها من يدعوها إلى الدين الذي يحبه الله ويرضاه كما أن بني إسرائيل لما غيروا دين موسى وبدلوه بعث الله إليهم وإلى غيرهم المسيح بالدين الذي يحبه ويرضاه وكذلك النصارى لما بدلوا دين المسيح وغيروه بعث الله إليهم وإلى غيرهم محمدا بالدين الذي يحبه ويرضاه.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال: "إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٣٢٥

من أهل الكتاب".

وأولئك البقايا الذين كانوا متمسكين بدين المسيح قبل مبعث محمد كانوا على دين الله عز وجل وأما من حين بعث محمد فمن لم يؤمن به فهو من أهل النار كما قال في الحديث الصحيح: "والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار".

الوجه الخامس: أن يقال دعواهم أن الرسل سلموا إليهم التوراة والإنجيل وسائر النبوات باثنين وسبعين لسانا وأنها باقية إلى اليوم على لفظ واحد دعوى يعلم أن قائلها." (١)

"ص -٣٢١-

يتكلم بلا علم بل مفتر كذاب وذلك أن هذا يقتضي أنه الآن في الأرض هذه الكتب باثنين وسبعين لسانا كلها منقولة عن الحواريين وكلها متفقة غير مختلفة البتة فهذا أربع دعاوي أنها موجودة باثنين وسبعين لسانا وأنها متفقة وأنها كلها منقولة عن الحواريين الرابعة أنهم معصومون.

فيقال من الذي منكم لو قدر أن هذه الكتب التي باثنين وسبعين لسانا هي عن الحواريين وهي موجودة اليوم فمن الذي يمكنه أن يشهد بموافقة بعضها بعضا وذلك لا يمكن إلا لمن يعلم الاثنين وسبعين لسانا ويكون ما عنده من الكتب يعلم أنها مأخوذة عن الحواريين ويعلم أن كل نسخة في العالم بهذا اللسان توافق النسخة التي عنده وإلا فلو جمع اثنين وسبعين نسخة باثنين وسبعين لسانا لم يعلم أن كل نسخة من هذه هي المأخوذة عن الحواريين إن قدر أنه أخذ عنهم اثنان وسبعون لسانا ولا يعلم أن كل نسخة في العالم توافق تلك النسخة فإنه من المعلوم أنه في زماننا وقبل زماننا لم تزل هذه الكتب تنقل من لسان إلى لسان كما يترجم من العبرانية إلى العربية ومن السريانية والرومية واليونانية إلى العربية وغيرها.

وحينئذ فإذا وجدت نسخة بالعربية لم يعلم أنها مما عربت بعد الحواريين أو هي من المأخوذ عن الحواريين إذا قدر أنه أخذ عنهم نسخة بالعربية ولا يمكن لأحد أن يجمع جميع النسخ المعربة ويقابل بينها بل وقد وجدنا النسخ المعربة يخالف بعضها بعضا في الترجمة مخالفة شديدة تمنع الثقة ببعضها وقد رأيت أنا بالزبور عدة نسخ معربة بينها من الاختلاف ما لا يكاد ينضبط وما يشهد بأنها مبدلة مغيرة لا يوثق بها ورأيت من التوراة المعربة من النسخ ما يكذب بكثير من ترجمتها طائفة من أهل الكتاب فكيف يمكنه أن يجمع جميع النسخ التي بالاثنين وسبعين لسانا ويقابل بين نسخ كل لسان حتى يكون فيها النسخة القديمة

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/ ٣٣٠

المأخوذة عن الحواريين ثم يقابل بين نسخ جميع الألسنة ولا يمكن ذلك إلا لمن يكون عارفا بالاثنين." (١)

"ص -٣٢٢- ولو وجد ذلك لكان هذا خبر واحد أو أن يترجم كل لسان من يعلم صحة ترجمته حتى تنتهي الترجمة إلى لسان واحد **كالعربي** مثلا ويعلم حينئذ اتفاقها وإلا فإذا ترجم هذا الكتاب بلسان أو لسانين أو أكثر وترجم الآخر كذلك لم يعلم اتفاقها إن لم يعلم أن المعنى بهذا اللسان هو المعنى بهذا اللسان وهذا لا يكون إلا ممن يعرف اللسانين أو من يترجم له اللسانين باللسان الذي يعرفه.

ومعلوم أن أحدا لم يترجم له الاثنان وسبعون لسانا بلسان واحد أو ألسنة يعرفها ولا يعرف أحد باثنين وسبعين لسانا.

وحينئذ فالجزم باتفاق جميع الكتب المكتوبة باثنين وسبعين لسانا أو الجزم بأن نسخ كل لسان متفقة جزم بما لا يعلم صحته لو لم يكن في الأرض اليوم الاثنان وسبعون لسانا منقولة عن الحواريين لم تختلط بالمترجم بعد ذلك فكيف وأكثر ما بأيدي الناس هو مما ترجم بعد ذلك **بالعربي** وغيره.

هذا إذا ثبت أن الحواريين سلموها باثنين وسبعين لسانا وأنها باقية إلى اليوم وهذا أمر لا يمكن أحدا معرفته فليس اليوم توراة وإنجيل ونبوات يشهد لها أحد أنها مترجمة باللسان **العربي** من عهد الحواريين بل ولا بأكثر الألسنة وإلا فإذا قدر أن الحواريين سلموها باثنين وسبعين لسانا مع حصول الترجمة بعد ذلك وكثرة المترجمات أمكن وقوع التغيير في بعض المترجمات وحينئذ فالعلم بأن تلك النسخ القديمة لا تتغير فيها لا يمنع وقوع التغيير في بعض ما ترجم بعدها أو في بعض ما نسخ منها ولا سبيل إلى العلم باتفاقها مع كونها باثنين وسبعين لسانا بخلاف القرآن الذي هو بلسان **العرب** وخط **العرب** فإن العلم باتفاق ما يوجد من نسخة ممكن وهو محفوظ في الصدور ولا يحتاج إلى حفظ في الكتب فهو منقول بالتواتر لفظا وخطا.

الوجه السادس: قولهم وسلموا إلينا التوراة والإنجيل بلساننا على ما يشهد لهما الكتاب الذي أتى به هذا الرجل فيقال لهم ليس في القرآن ما يشهد لكم بأن التوراة والإنجيل سلمت إليكم بلسانكم." (٢)

"ص -٣٢٨- فصل.

وأما قولهم نعلم أن الله عدل وليس من عدله أن يطالب أمة يوم القيامة باتباع إنسان لم يأت إليهم ولا وقفوا له على كتاب بلسانهم ولا من جهة داع من قبله فيقال الجواب من وجوه.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٣١/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٣٣/٢

أحدها: أن هذا الكلام لا يجوز أن يقوله من كتب هذا الكتاب ولا أحد يفهم بالعربية فإن هؤلاء يفهمون هذا الكتاب بالعربية وقد قرءوه وناظروا بما فيه وإذا كانوا مع ذلك يفهمون بغير العربية كان ذلك أبلغ في قيام الحجة عليهم فإنهم يمكنهم فهم ما قال بالعربية وتفهيم ذلك لقومهم باللسان الآخر.

الثاني: كما أنهم يفهمون ما في كتبهم الرومية والسريانية والقبطية وغيرها ويترجمونها للعرب من النصارى بالعربية فإذا قامت الحجة على عرب النصارى باللسان الرومي فلأن تقوم على الروم باللسان العربي أولى فإن اللسان العربي أكثر انتشارا في العالم من اللسان الرومي والناطقون به بعد ظهور الإسلام أكثر من الناطقين بغيره وهو أكمل بيانا وأتم تفهما وحينئذ فيكون وصول المعاني به إلى غير أهل لسانه أيسر لكمال معناه ولكثرة العارفين به وهؤلاء علماء النصارى يقرءون كتب الطب والحساب والفلسفة وغير ذلك باللسان العربي مع أن مصنفيها كانوا عجما من رومي ويوناني وغير ذلك فما المانع أن يقرأ القرآن العربي وتفسيره وحديث النبي باللسان العبري مع أنه أخذ عن الرسول بالعربي فهو أولى بأن يعرف به مراد المتكلم به.

الوجه الثالث: أن يقال الناس لهم في عدل الله ثلاثة أقوال قيل كل ما يكون مقدورا فهو عدل وقيل العدل منه نظير العدل من عباده وهما قولان ضعيفان وقيل من عدله أن يجزي المحسن بحسناته لا ينقصه شيئا منها ولا يعاقبه بلا ذنب.

ومعلوم أنه إذا أمر العبد بما يقدر عليه كان جائزا باتفاق طوائف أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى وإن كان الفعل مكروها للإنسان فإن الجنة حفت بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقد كلفت بنو إسرائيل والنصارى من الأعمال ما هو مكروه لهم وشاق." (١)

"ص -٣٢٩- عليهم فكيف يمتنع أن يأمرهم وينهاهم بلغة يبين بعض المسلمين معناها لهم والعرب الذي نزل القرآن بلسانهم طبقوا الأرض ومنهم نصارى لا يحصون فكل من عرف بالعربية من النصارى أمكنه فهم ما يقال بالعربي ومن كان منهم روميا كان له أسوة من أسلم من سائر طوائف الأعاجم كالفرس والترك والهند والبربر والحبشة وغيرهم وهو متمكن من معرفة ما أمره الله والعمل به كما يمكن هؤلاء كلهم بل الروم أقدر على ذلك من غيرهم فلأي وجه يمتنع أن يأمرهم الله بذلك وما لا يتم الواجب إلا به إذا كان مقدورا للعبد فعليه أن يفعله باتفاق أهل الملل المسلمين واليهود والنصارى.

وإنما تنازع الناس فيه هل يسمى واجبا فقيل يسمى واجبا وقيل لا يسمى واجبا فإن الآمر لم يقصده بالأمر

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٤١/٢

وقد لا يخطر بباله إذا كان الآمر مخلوقا.
قال هؤلاء ولأن الواجب ما يذم تاركه شرعا أو يعاقب تاركه شرعا أو ما يستحق تاركه الذم أو ما يكون تركه سببا للذم أو العقاب وقالوا وما لا يتم الواجب إلا به لا يستحق تاركه الذم والعقاب فإن الحج إذا وجب على شخصين أحدهما بعيد والآخر قريب ولم يفعلاه لم تكن عقوبة البعيد على الترك أعظم من عقوبة القريب مع أن المسافة التي لا بد لهما من قطعها أكثر.
وكذلك من وجب عليه قضاء دينه من غير احتياج إلى بيع شيء من ماله ليست عقوبته على الترك بأقل من عقوبة من يحتاج إلى بيع مال له ليقضي به دينه.
وفصل الخطاب أن مالا يتم الواجب إلا به هو من لوازم وجود الواجب ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع فالمأمور به لا يمكن فعله إلا بلوازمه والمنهي عنه لا يمكن تركه إلا بترك ملزوماته لكن هذا الملزوم لزوم عقلي أو عادي فوجوبه وجوب عقلي عادي لا أن الآمر نفسه قصد إيجابه والذم والعقاب على تركه.
وتنازع الناس هل يقال مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب سواء كان وجوبه شرعيا أو عقليا أو يحتاج أن يقال ما لا يتم الواجب إلا به وكان مقدورا للمكلف فهو واجب.
فالجمهور." (١)

"أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه﴾.
ومثل هذا كثير وحيث لم يذكر القسم فهو محذوف مراد تقدير الكلام والله﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم﴾ والله﴿ولئن قوتلوا لا ينصرونهم﴾.
ومن محاسن لغة **العرب** أنها تحذف من الكلام ما يدل المذكور عليه اختصارا وإيجازا لا سيما فيما يكثر استعماله كالقسم وقوله: ﴿لما آتيتكم من كتاب وحكمة﴾.
هي ما الشرطية والتقدير أي شيء أعطيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ولا تكتفوا بما عندكم عما جاء به ولا يحملنكم ما آتيتكم من كتاب وحكمة على أن تتركوا متابعته بل عليكم أن تؤمنوا به." (٢)

"ص -٣٤٢- إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا" وهو محفوظ من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد اتفق المسلمون على أن من جحد وجوب مباني الإسلام الخمس الشهادتين والصلوات الخمس

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٤٢/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٦٠/٢

والزكاة وصيام شهر رمضان وحج البيت فإنه كافر.

وأيضا فقد قال تعالى: في أول السورة: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد﴾ فقد أمره تعالى بعد قوله. ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾.

أن يقول أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وأن يقول للذين أوتوا الكتاب وهم اليهود والنصارى والأميين وهم الذين لا كتاب لهم من **العرب** وغيرهم أأسلمتم **فالعرب** الأميون يدخلون في لفظ الأميين باتفاق الناس.

وأما من سواهم فإما أن يشمله هذا اللفظ أو يدخل في معناه بغيره من الألفاظ المبينة." (١)

"ص -٣٦٦- فصل.

وأما قولهم فكان طيرا بإذن الله أي بإذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتحدة في الناسوت فهذا إذا قالوه على أنه مذهبهم من غير أن يقولوا أن محمدا أراده تكلمنا معهم في ذلك وبينا فساد ذلك عقلا ونقلا.

وأما قولهم أن محمدا كان يقول أن المراد إذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتحدة في الناسوت فهذا من البهتان الظاهر على محمد وهو من جنس قولهم أن قوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم﴾.

أراد به النصارى ومن جنس قولهم أن قوله: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا﴾.

أراد به **العرب** ومن جنس قولهم: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات﴾.

أراد بهم الحواريين ومن جنس قولهم﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾.

اراد به الإنجيل فهذه المواضع التي فسروا بها القرآن وزعموا أن محمدا الذي بين للناس ما أنزل إليهم كان يريد بما يتلوه من القرآن هذه المعاني التي ذكروها هي من الكذب الظاهر الذي يدل على غاية جهل قائلها أو غاية معاندته ولكن مثل هذا التأويل غير مستنكر من النصارى فإنهم قد فسروا مواضع كثيرة من التوراة والإنجيل والزبور والنبوات بنحو هذه التفاسير التي حرفوا فيها الكلام الذي جاءت به الأنبياء عن مواضعه تحريفا ظاهرا فبدلوا بذلك كتب الله ودين الله وضاهوا بذلك اليهود الذين حرفوا وبدلوا وإن اختلفت جهة التحريف والتبديل فتحريفهم للقرآن من جنس تحريفهم للتوراة والإنجيل وهم من الذين يدعون المحكم

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٦٣/٢

ويتبعون ما نشأ به منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله لكن في هذه المواضع حرفوا المحكم الذي معناه ظاهر لا يحتمل إلا معنى واحد فكانوا من الجهل والمعاندة أبعد عن الصواب ممن حرف معنى المتشابه وذلك أنه قد علم بالاضطرار من دين محمد أنه كان يقول أن المسيح عبد الله مخلوق كسائر المرسلين وأنه يكفر النصارى الذين يقولون هو الله أو ابن." (١)

"ص -٣٨٢- ما هذا قالوا هذا أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال مروه فليجلس وليستظل وليتكلم وليتم صومه وثبت في صحيح مسلم عن النبي أنه كان يقول في خطبته: "خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة".

وفي السنن عن العرباض بن سارية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة".

قال الترمذي حديث حسن صحيح.

وقد بينت النصوص الصحيحة أن الرهبانية بدعة وضلالة وما كان." (٢)

"ص -٣٨٨- النبي: "استغفروا لأخيكم" فقال بعض القوم تأمرنا أن نستغفر لهذا العلج يموت بأرض الحبشة فنزلت: ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم﴾ ذكره ابن أبي حاتم وغيره بأسانيدهم وذكره حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن البصري أن رسول الله قال استغفروا لأخيكم النجاشي فذكر مثله.

وكذلك ذكر طائفة من المفسرين عن جابر بن عبد الله وابن عباس وأنس وقتادة أنهم قالوا نزلت هذه الآية في النجاشي ملك الحبشة واسمه أصحمة وهو بالعربية عطية وذلك أنه لما مات نعاه جبريل للنبي في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله لأصحابه: "اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم" قالوا من هو قال: "النجاشي" فخرج رسول الله إلى البقيع وزاد بعضهم وكشف له من المدينة إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له وقال." (٣)

"ص -٣٩٧- فصل.

قالوا وهذا وغيره أوجب لنا التمسك بديننا وأن لا نهمل ما معنا ولا نرفض مذهبنا ولا نتبع غير السيد المسيح

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٩٥/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤١٨/٢

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤٢٧/٢

كلمة الله وروحه وحوارييه الذين أرسلهم إلينا.

والجواب إنهم احتجوا بحجتين باطلتين.

إحداهما: أن محمدا لم يرسل إليهم بل إلى **العرب** وقد تبين أن الاحتجاج بها من أعظم الكذب والافتراء على محمد فإنه لم يقل قط إني لم أرسل إلى أهل الكتاب ولا قال قط إني لم أرسل إلا إلى **العرب** بل نصوصه المتواترة عنه وأفعاله تبين أنه مرسل إلى جميع أهل الأرض أميهم وكتابيهم.

والحجة الثانية: قولهم أن محمدا أثنى على دين النصارى بعد التبديل والنسخ وهي أيضا أعظم كذبا عليه من التي قبلها كيف يثني عليهم وهو يكفرهم في غير موضع من كتابه ويأمر بجهادهم وقتالهم ويذم المتخلفين عن جهادهم غاية الذم ويصف من لم ير طاعته في قتالهم بالنفاق والكفر ويذكر أنه يدخل جهنم وهذا كله يخبر به عن الله ويذكره تبليغا لرسالة ربه وإنما يضاف إليه لأنه بلغه وأداه لا لأنه أنشأه وابتداه.

كما قال تعالى. ﴿إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين وإنه لتذكرة للمتقين وإنا لنعلم أن منكم مكذبين وإنه لحسرة على الكافرين وإنه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم﴾. وأما ثناء الله ورسوله على المسيح وأمه وعلى من اتبعه وكان على دينه الذي لم يبدل فهذا حق وهو لا ينافي وجوب اتباع محمد على من بعث إليه فلو قدر أن شريعة المسيح لم تبدل وأن محمدا أثنى على كل من اتبعها وقال مع ذلك: إن." (١)

"كان يؤمن بالله واليوم الآخر﴾. ومثله قوله تعالى: بعد أن ذكر خبر يوسف الصديق: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك﴾ وقال أيضا لما ذكر خبر مريم: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم﴾. .

كما قال لما ذكر آيات يخبر فيها عن نوح: ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك﴾ وقال: ﴿الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا **عربيا** لعلكم تعقلون﴾.." (٢)

"ص -٤٢٥- و"تلك" في المؤنث مثل "ذلك" في المذكر ومع هذا فأشار إلى القرآن ومنه قوله: ﴿الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾. وقوله: ﴿طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾. ومنه قوله: ﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين﴾. ومنه قوله: ﴿حم عسق كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٤٣٩

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٤٧٩

الحكيم﴾. وقوله: ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآنا **عربيا**﴾. وقوله: ﴿المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق﴾ الآية.

ومثل هذا كثير وذلك أنه لما أنزل قوله: ﴿ذلك الكتاب﴾ و﴿تلك آيات الكتاب﴾ ونحو ذلك لم يكن الكتاب المشار إليه قد أنزل تلك الساعة وإنما كان قد أنزل قبل ذلك فصار كالغائب الذي يشار إليه كما يشار إلى الغائب وهو باعتبار حضوره عند النبي يشار إليه كما يشار إلى الحاضر كما قال تعالى: ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾ ولهذا قال غير واحد من السلف ذلك الكتاب أي هذا الكتاب يقولون المراد هذا الكتاب وإن كانت الإشارة تكون تارة إشارة غائب وتارة إشارة حاضر وقد قال: ﴿هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب﴾.

وقد وصف النصارى بأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وأنهم كافرون ظالمون فكيف يجعلهم المتقين الذين يؤمنون بالغيب.

قال تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾.

وأول التقوى تقوى الشرك وقد وصف النصارى بالشرك في قوله﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا." (١)

"بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون إن عذاب ربهم غير مأمون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك في جنات مكرمون﴾.

وقد فسر قبل قوله يؤمنون بالغيب صفة المؤمنين من غير أهل الكتاب كمشركي **العرب** والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك صفة من آمن به من أهل الكتاب.

وعلى هذا القول هؤلاء غير هؤلاء لكن هذا ضعيف فإنه لا بد في المؤمنين من غير أهل الكتاب أن يؤمنوا بما أنزل إليه وما أنزل من قبله ولا بد في مؤمن أهل الكتاب أن يؤمن بالغيب فكل من الإيمانين واجب

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤٨٠/٢

على كل واحد ولا يكون أحد على هدى من ربه مفلحا إلا بهذا وهذا.

وأما قول النصارى: نحن الذين آمنا بالسيد المسيح وما رأيناه فهكذا اليهود آمنوا." (١)

"ص -٤٤١- من تأويل الإنجيل.

والطرف الآخر يقول بل كل من غلط وأخطأ في شيء من ذلك فإنه مستحق للوعيد بل كافر.

والثالث الوسط أنهم لا يعصمون ولا يؤثمون بل قد يكونون مخطئين خطأ مغفورا لهم إذا كانوا مجتهدين في معرفة الحق واتباعه بحسب وسعهم وطاقتهم وعلى هذا تدل الأدلة الصحيحة وكتب الله تدل على ذم الضال والجاحد ومقته مع أنه لا يعاقب إلا بعد إنذاره.

وقد ثبت في الصحيح عن عياض بن حمار عن النبي أنه قال" إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب".

فأخبر أنه مقتهم إلا هؤلاء البقايا والمقت هو البغض بل أشد البغض ومع هذا فقد أخبر في القرآن أنه لم يكن ليعذبهم حتى يبعث إليهم رسولا فقال: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ وقال: ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾. فدل ذلك على أن المقتضي لعذابهم قائم ولكن شرط العذاب هو بلوغ الرسالة ولهذا قال: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾.

وفي الصحيحين عن النبي أنه قال: "ما أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الرسل وأنزل." (٢)

"ص -٤٤٤- القفال وأبي نصر السجزي وأبي القاسم سعد بن علي الزنجاني وهو قول الكرامية وغيرهم من نظار المثبتة للقدر وهو قول المعتزلة وغيرهم من نظار القدرية ثم هؤلاء على قولين.

منهم من يقول يستحقون عذاب الآخرة بمجرد مخالفتهم للعقل كقول المعتزلة والحنفية وأبي الخطاب وقول هؤلاء مخالف للكتاب والسنة.

ومنهم من يقول بل لا يعذبون حتى يبعث إليهم رسول كما دل عليه الكتاب والسنة لكن أفعالهم تكون مذمومة ممقوتة يذمها الله ويبغضها ويوصفون بالكفر الذي يذمه الله ويبغضه وإن كان لا يعذبهم حتى يبعث

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤٨٧/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/٣

إليهم رسولا كما قال النبي في الحديث الصحيح كما تقدم: "إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم **عربهم** وعجمهم إلا بقايا من." (١)

"يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ وقال تعالى: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان **عربي** مبين وإنه لفي زبر الأولين أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ وقال تعالى عن من أثنى عليه من النصارى: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا﴾ وقال تعالى: ﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا﴾ وقال تعالى: ﴿أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين﴾ وقال تعالى: ﴿ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون." (٢)

"ص -٤٧٤- الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرأون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون﴾ وقال تعالى: في سورة الأنعام: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾ وقال تعالى: ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ والأخبار بمعرفة أهل الكتاب بصفة محمد عندهم في الكتب المتقدمة متواترة عنهم.

وكان قبل أن يبعث النبي تجري حروب وقتال بين **العرب** وبين أهل الكتاب فتقول أهل الكتاب قد قرب مبعث هذا النبي الأمي الذي يبعث بدين إبراهيم فإذا ظهر اتبعناه وقتلناهم معه شر قتلة فلما بعث النبي كان منهم من آمن به ومنهم من كفر به فقال تعالى: {وكانوا من قبل يستفتحون﴾ أي يستنصرون بمحمد على الذين كفروا: ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ ولهذا كان النبي في خطابه لأهل الكتاب يقول لهم والله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله وكذلك من أسلم منهم كعبد الله بن سلام كان يقول لغيره من أهل الكتاب والله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وهذا أمر

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٥/٣

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤٢/٣

معروف في الأحاديث الصحاح المخرجة في الصحيحين وغيرهما فظهر بما ذكرناه تحريف هؤلاء لكلام الله وأنه لا حجة لهم فيما أنزل على محمد كما تقدم نظائر ذلك.." (١)

"ص -٤٨٢- في تثبيت ما عند النصارى بأعظم من شهادة المسيح عليه السلام والحواريين وسائر من اتبعه لموسى ولما أنزل عليه من التوراة في تثبيت ما عنداليهود فإن المسيح أمر أتباعه باتباع التوراة إلا القدر اليسير الذي نسخه منها.

وأما محمد فبعث بكتاب مستقل وشرع مستقل كامل تام لم يحتج معه إلى شرع سابق تتعلمه أمته من غيره ولا إلى شرع لاحق يكمل شرعه ولهذا قال النبي في الحديث الصحيح أنه قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر.

فجزم أن من كان قبله كان فيهم محدثون وعلق الأمر في أمته وإن كان هذا المعلق قد تحقق لأن أمته لا تحتاج بعده إلى نبي آخر فلأن لا تحتاج معه إلى محدث ملهم أولى وأحربوأما من كان قبله فكانوا يحتاجون إلى نبي بعد نبي فأمكن حاجتهم إلى المحدثين الملهمين ولهذا إذا نزل المسيح بن مريم في أمته لم يحكم فيهم إلا بشرع محمد وإذا كان مع هذا فشهادة المسيح والحواريين وكل من آمن بالمسيح للتوراة بأنها حق ولموسى بأنه رسول لا يمنع كفر اليهود لكونهم بدلوا شرع التوراة وكذبوا بالمسيح والإنجيل.

فكيف تكون شهادة محمد وأمته للإنجيل بأنه منزل من عند الله وللمسيح بأنه رسول الله مانعة من كفر النصارى مع تبديلهم شرع الإنجيل وتكذيبهم بمحمد وشرع القرآن.

وأما إيمان من يؤمن منهم بأن محمدا رسول الله إلى العرب أو بكثير مما جاء به القرآن فلا يمنع كفرهم إذا كفروا ببعض ما جاء به بل من كذب بشيء مما جاءت به الرسل عن الله فهو كافر وإن آمن بأكثر ما جاءت به الرسل كما قال تعالى: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا﴾ وقال تعالى: ﴿أفتؤمنون." (٢)

"ص -٤٨٥- الطريق وبأعظم منها فلو لم تكن نبوته وطريق ثبوتها إلا مثل نبوة غيره وطريق ثبوتها لوجب التصديق بنبوته كما وجب التصديق بنبوة غيره ولكان تكذيبه كتكذيب إبراهيم وموسى وغيرهما من الرسل فكيف إذا كان ذلك أعظم من وجوه متعددة.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤٣/٣

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٥٤/٣

وحينئذ فالأنبياء كلهم صادقون مصدقون معصومون فيما يخبرون به عن الله لا يجوز أن يثبت في خبرهم عن الله خبر باطل لا عمدا ولا خطأ فلا يجوز أن يخبر أحدهم بخلاف ما أخبر به غيره بل ولا يفترقون في الدين الجامع كما قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ وقال تعالى: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون﴾. وإنما يقع النسخ في بعض الشرائع كما يقع النسخ في شريعة الرسول الواحد وحينئذ فيعلم أن كل ما ينقل عن الأنبياء المتقدمين مما يناقض ما علم من أخبار محمد فهو باطل سواء كان اللفظ نفسه باطلا لم يقله ذلك النبي أو قد قال لفظا وغلط المترجمون له من لغة إلى لغة أو كان اللفظ وترجمته صحيحين لكن وقع الغلط في معرفة مراد ذلك النبي بذلك الكلام.

فإن كل ما يحتج به من الألفاظ المنقولة عن الأنبياء أنبياء بني إسرائيل وغيرهم ممن أرسل بغير اللغة العربية لا بد في الاحتجاج بألفاظه من هذه المقدمات أن يعلم اللفظ الذي قاله ويعلم ترجمته ويعلم مراده بذلك اللفظ.

والمسلمون وأهل الكتاب متفقون على وقوع الغلط في تفسير بعض الألفاظ وبيان مراد الأنبياء بها وفي ترجمة بعضها فإنك تجد بالتوراة عدة نسخ مترجمة وبينها فروق يختلف." (١)

"ص -٤٨٨- فلزم أما أن نصدقهم كلهم وإما أن نكذبهم كلهم ولهذا كان من آمن ببعض وكذب ببعض كافرا.

ومن الأجوبة للمسلمين أن يقولوا نحن نصدق الأنبياء المتقدمين في كل ما أخبروا به لكن من نقل عنهم أنهم أخبروا بما يناقض خبر محمد فلا بد له من مقدمتين ثبوت ذلك اللفظ عن الأنبياء والعلم بمعناه الذي يعلم أنه مناقض للمعنى الذي علم أن محمدا عناه ثم العلم باللفظ يحتاج مع الخطاب بغير ألسن الأنبياء العربية سواء كانت عربية أو رومية أو سريانية أو قبطية إلى أن يعرف أن هذا اللفظ الذي ترجم به لفظه مطابق للفظه ويمتنع ثبوت المقدمتين لأن في ثبوتهما تناقض الأدلة العلمية والأدلة العلمية لا تتناقض.

الطريق الثاني: أن يقول المسلمون ما تذكرونه من المنقول عن الأنبياء مناقضة لما أخبر به محمد أمور لم تعلم صحتها فلا يجوز اعتقاد ثبوتها والجزم بها ولو لم يعلمأن محمدا أخبر بخلافها فكيف إذا علم أنه أخبر بخلافها وذلك أن العلم بثبوتها مبني على مقدمات.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣/٥٨

أحدها: العلم بنبوتهم وهذا ممتنع مع تكذيب محمد.

والثانية: أنهم قالوا هذه الألفاظ وهذا يحتاج إلى إثبات تواتر هذه الألفاظ عن الأنبياء ولم يثبت أنها تواترت عنهم.

والثالثة: أن معناها هو المعنى المناقض لخبر محمد ولم يعلم ذلك.

وكل واحدة من هذه المقدمات تمنع العلم بثبوت هذه المعاني المناقضة لخبر محمد فكيف إذا اجتمعت.

وهي تمنع العلم بصحتها ولو لم تناقض خبر محمد فكيف إذا ناقضته.

الطريق الثالث: طريق من يبين أن ألفاظ هذه الكتب لم تتواتر ويثبتون ذلك بانقطاع تواتر التوراة لما خرب بيت المقدس وانقطاع تواتر الإنجيل في أول الأمر.." (١)

"ص -١١- وصاروا يبدلون شيئا بعد شيء وتبقى فيهم طائفة متمسكة بدين الحق إلى أن بعث الله محمدا.

وقد بقي من أولئك الذين على الدين الحق طائفة قليلة كما في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار المجاشعي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم **عربهم** وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب" ماتوا قبيل مبعثه.

وقد أدرك سلمان الفارسي وكان قد تنصر بعد أن كان مجوسيا طائفة ممن كانوا متبعين لدين المسيح عليه السلام واحدا بالموصل وآخر بنصيبين وآخر بعمورية.

وكل منهم يخبره بأنه لم يبق على دين المسيح عليه السلام إلا قليل إلى أن قال له آخرهم لم يبق عليه أحد وأخبره أنه يبعث نبي بدين إبراهيم من جهة الحجاز فكان ذلك سبب هجرة سلمان إليه وإيمانه به.

فالدين الذي اجتمع عليه المسلمون اجتماعا ظاهرا معلوما هو منقول عن نبيهم نقلا متواترا نقلوا القرآن ونقلوا سنته وسنته مفسرة للقرآن مبينة له كما قال تعالى: له: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾.." (٢)

"ص -١٣- وقال تعالى: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم﴾.

وقال تعالى: ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾.

وقال تعالى عن الخليل وابنه إسماعيل: ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٦٣/٣

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٨/٤

وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ سورة البقرة.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه" فكان يعلم أمته الكتاب وهو القرآن العزيز الذي أخبرهم أنه كلام الله لا كلامه وهو الذي قال عنه: ﴿قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾. وهو الذي شرع لأمته أن تقرأه في صلاتهم فلا تصح صلاة إلا به وعلمهم مع ذلك الحكمة التي أنزلها الله عليه وفرق بينها وبين القرآن من وجوه.

من٥١ أن القرآن معجز.

ومنها أن القرآن هو الذي يقرأ في الصلاة دونها.

ومنها أن ألفاظ القرآن **العربية** منزلة على ترتيب فليس لأحد أن يغيرها باللسان **العربي** باتفاق المسلمين ولكن يجوز تفسيرها باللسان **العربي** وترجمتها بغير **العربي**.

وأما تلاوتها **بالعربي** بغير لفظها فلا يجوز باتفاق المسلمين بخلاف ما علمهم من الحكمة فإنه ليس حكم ألفاظها حكم ألفاظ القرآن ومنها أن القرآن لا يمسه إلا طاهر ولا يقرأه الجنب كما دلت عليه سنته عند جماهير أمته بخلاف ما ليس بقرآن.." (١)

"ص -٢١- والترجمة يقع فيها الغلط كثيرا كما وجدنا في زماننا من يترجم التوراة من العبرية إلى **العربية** ويظهر في الترجمة من الغلط ما يشهد به الحذاق الصادقون ممن يعرف اللغتين.

والنصارى يقولون إنما كتبت بأربع لغات بالعبرية والرومية واليونانية والسريانية.

وأما قولهم إنها كتبت باثنين وسبعين لغة فهذا إن كان صحيحا فإنما كتبت بعد أن كتبت تلك الأربعة فإذا كان الغلط وقع في مواضع من تلك الأربعة لم يرفعه بعد ذلك كتابتها باثنين وسبعين لغة فإن المسلمين لا يقولون أنها كتبت باثنين وسبعين لغة غير لفظها في جميع الألسن لاثنين وسبعين لغة في كل نسخة من ذلك.

وإنما يقال التغيير وقع قبل ذلك كما يقال في سائر ما وردعن المسيح وموسى ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه من الحديث مثل سيرة ابن إسحاق وأحاديث السنن والمسانيد المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم فإن في ا لعالم بكل كتاب منها نسخ كثيرة ل١ يمكن أن يغير منها فصل طويل ولكن في نفس السيرة

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/١١

وقع غلط في مواضع وأحاديث وقعت في السنن هي غلط في الأصل فاشتهار النسخ بها بعد ذلك لا يمنع وقوع الغلط في الأصل وهذه كتب التفسير والفقه والدقائق ما من كتاب إلا وبه نسخ كثيرة في العالم لا يمكن تغيير فصل طويل منها وفيها أحاديث غلط في الأصل.." (١)

"ص –٣٠– التوراة في العالم باللسان **العربي** أو كل نسخة من الإنجيل في العالم باللسان **العربي** أو كل نسخة في العالم من الزبور باللسان **العربي** موافقة لجميع النسخ **العربية** الموجودة في زوايا العالم لكان قد ادعى ما لا يعلمه ولا يمكنه علمه فمن أين له ذلك.

وهل رأى كل نسخة **عربية** بهذه الكتب أو أخبره من يعلم صدقه أن جميع النسخ **العربية** الموجودة في العالم موافقة لهذه النسخة.

وكذلك إذا ادعى ذلك في اللسان اليوناني والسرياني والرومي والعبراني والهندي فإن كان في العالم بكل كتاب من هذه اثنان وسبعون لسانا فدعوى اتفاق نسخ كل لسان من جنس دعوى اتفاق النسخ **العربية** فكيف إذا ادعى اتفاق النسخ بجميع الألسنة.

وهب أنه يمكن أن يقال ذلك في نسخ لسان نقلها أهله والناطقون به فكيف يمكن دعواه في لسان كثر الناطقون به وانتشر أهله.

وليس هذا كدعوى اتفاق مصاحف المسلمين بالقرآن فإن القرآن لا يتوقف نقله على المصاحف بل القرآن محفوظ في قلوب ألوف مؤلفة من المسلمين لا يحصي عددهم إلا الله عز وجل فلو عدم كل مصحف في العالم لم يقدح ذلك في نقل لفظ من ألفاظ القرآن بخلاف الكتب المتقدمة فإنه قل أن نجد من أهل الكتاب أحدا يحفظ كتابا من هذه الكتب فقل أن يوجد من اليهود من يحفظ التوراة.

وأما النصارى فلا يوجد فيهم من يحفظ التوراة والإنجيل والزبور والنبوات كلها فضلا عن أن يحفظها باثنين وسبعين لسانا وإن وجد ذلك فهو قليل لا يمتنع عليهم لا الكذب ولا الغلط.

فتبين أن ما ذكروه من انتشار كتبهم بالألسنة المختلفة هو من أقوى الأمور في عدم العلم بتماثل ما فيها من الألفاظ وأن القرآن إذا كان منقولا بلغة واحدة وذلك اللسان يحفظه خلق كثير من المسلمين فكان ذلك مما يبين أن القرآن لا يمكن أحدا أن يغير شيئا من ألفاظه وإن أمكن تغيير بعض ألفاظ التوراة والإنجيل

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/ ٢٠

عند كثير من أهل الكتاب.

والمسلمون لا يدءون أنه غير جميع ألفاظ جميع النسخ بعد مبعث النبي صلى." (١)

"ص -٣٦- وقوله تعالى: ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾. حق فإن الله أمره وجميع الخلق أن يؤمنوا بجميع ما أنزل الله وكذلك قوله: ﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾. فإن الله أمره أن يعدل بين جميع الخلق وقوله: ﴿بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾. هذه براءة منه لمن يخاطب بذلك من المشركين وأهل الكتاب كقوله تعالى: ﴿وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون﴾ ومثل قوله تعالى: ﴿قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون﴾. وكذلك قوله: ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين﴾. فإن هذه الكلمة كقوله: ﴿لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون﴾. وهي كلمة توجب براءته من عملهم وبراءتهم من عمله فإن حرف اللام في لغة **العرب** يدل على الاختصاص فقوله: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾. يدل على أنكم مختصون بدينكم لا أشرككم فيه وأنا مختص بديني لا تشركوني فيه كما قال: ﴿لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون﴾ ولهذا قال النبي في﴿قل يا أيها الكافرون﴾.

هي براءة من الشرك وليس في هذه الآية أنه رضي بدين المشركين ولا أهل الكتاب كما يظنه بعض الملحدين ولا أنه نهى عن جهادهم كما ظنه بعض الغالطين وجعلوها منسوخة بل فيها براءته من دينهم وبراءتهم من دينه وأنه لا تضره أعمالهم ولا." (٢)

"ص -٤٥- فصل.

وقولهم إنه لم يقل كونوا له مسلمين ولكن ونحن أي عنه وعن **العرب** التابعين له ولما أتى به وجاء في كتابه. فيقال لهم هذا ونظائره كلام من لم يفهم القرآن بل ولا يفهم كلام سائر الناس فإنه إذا عرف من صاحب كتاب يقول إنه منزل من الله أو يقول أنه صنفه هو أنه يدعو قوما بالأقوال الصريحة الكثيرة والأعمال البينة الظاهرة كان سكوته عن دعائهم في بعض الألفاظ لا ينافي دعاءهم له.

لكن إن كان حكيما في كلامه كان للسكوت عن دعائهم في بعض المواضع حكمة تناسب ذلك وهذا كقوله تعالى: ﴿قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون﴾ أفتراه

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٠/٤

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٩/٤

لما أمر أمته أن يقولوا﴿ونحن له مخلصون﴾ لم يكن أهل الكتاب مأمورين بالإخلاص لله وقد ذكر أمر أهل الكتاب بالإخلاص في غير موضع كقوله تعالى: ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾.

وكذلك دعاهم إلى الإسلام وتوعدهم على التولي عنه في مثل: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد." (١)

"ص -٥٤- وقريظة وأهل خيبر وأهل وادي القرى وغيرهم وكما جاهد النصارى عام تبوك غزاهم بالشام عربهم وورومهم وأغزاهم قبل ذلك نوابه زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة وأمرهم بغزوهم فغزاهم بعده خلفاؤه الراشدون.

والنبي لما قدم وفد نجران النصارى جادلهم في مسجده بالتي هي أحسن ثم أمره الله سبحانه أن يدعوهم إلى المباهلة فامتنعوا عن مباهلته وأقروا بأداء الجزية عن يد وهم صاغرون كما تقدم ذلك مفصلا فجادل بعضهم بالتي هي أحسن والظالم منهم عاقبه وجاهده كما عاقب الظالم من اليهود.

ومن أعجب الأشياء قولهم وأما الذين ظلموا فلا يشك أحد أنهم اليهود فإن هذا من جنس قولهم ثم وجدنا في الكتاب ما هو أعظم من هذا برهانا وهو قوله في سورة الشورى: ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ كما تقدم.." (٢)

"ص -٥٦- فصل.

وأما ما نقلوه عن الأنبياء مما يدل على كفر اليهود فهذا لا ننازعهم فيه ولا حاجة بنا إلى الاستدلال بما نقلوه وإن كان فيما يثبت عن الأنبياء ما يبين كفرهم لما بدلوا دين موسى عليه السلام كما كفر النصارى لما بدلوا دين المسيح فهذا حق موافق لما أخبر به خاتم الرسل فإنا قد علمنا كفرهم من جهة لا نشك في صدقها.

وما أخبرونا به عن الأنبياء إن علمنا صدقهم فيه صدقناهم فيه وإن علمنا كذبهم فيه كذبناهم فيه وإن لم نعلم صدقه ولا كذبه لم نصدقه ولم نكذبه بل نقول: ﴿آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٥١/٤

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٦٥/٤

ونحن له مسلمون﴾.

فإن الإيمان بجميع ما أوتي النبيون حق واجب لكن وجوب التصديق في النبي المعين الذي لم نعلمه من غيرهم يقف على مقدمتين.

- أن يكون اللفظ قد قاله النبي صلى الله عليه وسلم.

- وأن يكون المعنى الذي فسروه به مرادا للنبي الذي تكلم بذلك القول فلا بد من ثبوت الإسناد ودلالة المتن.

وهاتان المقدمتان لا بد منهما في جميع المنقول عن الأنبياء.

وقد يحتاج إلى مقدمة ثالثة في حق من لم يعرف اللغة العبرية فإن موسى وداود والمسيح وغيرهم إنما تكلموا باللغة العبرية فمن لم يعرف بها وإنما يعرف **بالعربية** أو الرومية لا بد أن يعرف أن المترجم من تلك اللغة إلى هذه قد ترجم ترجمة مطابقة.." (١)

"ص -٧٢- سوت بينهما.

فعلم أنها لم تمدح واحدا منهما بعد النسخ والتبديل وإنما معنى الآية أن المؤمنين بمحمد والذين هادوا الذين اتبعوا موسى عليه السلام وهم الذين كانوا على شرعه قبل النسخ والتبديل والنصارى الذين اتبعوا المسيح عليه السلام وهم الذين كانوا على شريعته قبل النسخ والتبديل والصابئين وهم الصابئون الحنفاء كالذين كانوا من **العرب** وغيرهم على دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق قبل التبديل والنسخ.

فإن **العرب** من ولد إسماعيل وغيره الذين كانوا جيران البيت العتيق الذي بناه إبراهيم وإسماعيل كانوا حنفاء على ملة إبراهيم إلى أن غير دينه بعض ولاة خزاعة وهو عمرو بن لحي وهو أول من غير دين إبراهيم بالشرك وتحريم ما لم يحرمه الله ولهذا قال النبي: "رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه أي أمعاءه في النار" وهو أول من بحر البحيرة وسيب السوائب وغير دين إبراهيم.

وكذلك بنو إسحاق الذين كانوا قبل مبعث موسى متمسكين بدين إبراهيم كانوا من السعداء المحمودين فهؤلاء الذين كانوا على دين موسى والمسيح وإبراهيم ونحوهم." (٢)

"ص -٨٣- أربع مقدمات إلى أن تعلم نبوة المنقول عنه والى أن يعلم لفظه الذي تكلم به وإلى أن يعلم ما ذكروه ترجمة صحيحة عنده فإن أولئك الأنبياء لم يتكلموا **بالعربية** بل ولا بالرومية والسريانية واليونانية

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/ ٦٧

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/ ٨٧

وإنما تكلموا بالعبرية كالمسيح عليه السلام.
والرابع: أن يعلم أن ما ذكروه من كلام الأنبياء دليل على ما ادعوه من قبول قرابينهم في هذا الزمان ونحن في هذا المقام نقتصر على منازعتهم في هذه المقدمة فليس فيما ذكروه دليل على مدح قرابينهم وذبائحهم بعد التبديل والنسخ ولكن غايتها أن يدل على مدحها قبل النسخ والتبديل وهذا مما لا ينازع فيه المسلمون.
الوجه الثاني: أن هذه النعوت المذكورة عن أشعيا وغيره من الأنبياء لا توافق ما عليه النصارى فإن النصارى لا يقربون القرابين بالسميد كما كان بنو إسرائيل من قبل ولا يحجون في كل شهر ومن سنة إلى سنة إلى بيت المقدس بيت الله ويقربون لله ربهم فيه قرابين نقية زكية وإنما يحجون إلى قمامة الخارجة عن بيت الله الذي كانت الأنبياء تقصده وتصلي فيه فإن الأنبياء إنما كانوا يصلون في بيت المقدس ويزورون بيت المقدس نفسه وأما قمامة فليس لها ذكر في كتب الأنبياء عليهم السلام بل إنما ظهرت قمامة في زمن قسطنطين الملك لما أظهرتها أمه هيلانة الحرانية لما جاءت بيت المقدس واختارت من اليهود ثلاثة وسألتهم أن يدلوها على موضع الصليب فامتنعوا فعاقبتهم بالحبس والجوع فدلوها على موضعه في مزبلة فاستخرجوه وجعلته في غلاف من ذهب وحملته وبنت كنيسة القمامة في موضعه كما ذكر ذلك ابن البطريق في تاريخه وغيره كما سيأتي وذلك بعد المسيح بأكثر من ثلاث مائة سنة.." (١)
"ص -٨٩- فصل.
قالوا وأيضا في قول هذا الإنسان مما أتى في كتابه حيث اتبع القول أنه لم يرسل إلينا مع تشككه فيما أتى به في هذا الكتاب في سورة سبأ حيث يقول: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾.
وأيضا في سورة الأحقاف يقول: ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾.
والجواب أن نقلهم عنه أنه قال إنه لم يرسل إليهم كذب ظاهر عليه فإن كتابه مملوء بدعوتهم وأمره لهم بالإيمان به واتباعه بل وبعموم رسالته إلى جميع الناس بل وإلى الجن والإنس وليس فيه قط أنه لم يرسل إلى أهل الكتاب بل فيه التصريح بدعوة أهل الكتاب في غير موضع كقوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾.
وقد كتب النبي بهذه الآية إلى قيصر ملك النصارى الذي اسمه هرقل بالشام وقد تقدم ذكر ذلك وتقدم أيضا أن قوله تعالى: ﴿لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون﴾.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/٩٩

يقتضي أنه لم ينذر الأميين وليس فيه أنه لا ينذر غيرهم كما أن قوله: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾.

يقتضي إنذار قومه ولا ينافي أن ينذر غيرهم من العرب كما أن قوله في قريش: ﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾.

لا يمنع أن يكون غير قريش مأمورين بعبادة رب هذا البيت بل أمر الله جميع الثقلين الجن والإنس أن يعبدوا رب هذا البيت.

فإن قيل فقد سكت عن ما سوى الأميين في هذا فيشعر بالنفي بدليل الخطاب الذي يسمى مفهوم المخالفة قيل ذاك إنما يدل إذالم يكن في التخصيص فائدة سوى الاختصاص بالحكم ولم يكن هنا تصريح بأن حكم المسكوت كحكم المنطوق وهنا." (١)

"لما بعث الله محمدا أمره أن ينذر عشيرته الأقربين أولا ثم ينذر العرب الأميين ثم أهل الكتاب.." (٢)

"ص -١٠٥- وضلوا عن سواء السبيل﴾.

وأما قولهم إن الصراط هو المذهب أي الطريق وهذه لفظة رومية لأن الطريق بالرومية اسطراطا.

فيقال لهم الصراط في لغة العرب هو الطريق يقال هو الطريق الواضح ويقال هو الطريق المحدود بجانبين الذي لا يخرج عنه ومنه الصراط المنصوب على جهنم وهو الجسر الذي يعبر عليه المؤمنون إلى الجنة وإذا عبر عليه الكفار سقطوا في جهنم ويقال فيه معنى الاستواء والاعتدال الذي يوجب سرعة العبور عليه وفيه ثلاث لغات هي ثلاث قراءات الصراط والسراط والزراط وهي لغة عربية عرباء ليست من المعرب ولا مأخوذة من لغة الروم كما زعموا.

ويقال أصله من قولهم سرطت الشيء أسرطه سرطا إذا ابتلعته واسترطته ابتلعته فإن المبتلع يجري بسرعة في مجرى محدود.

ومن أمثال العرب لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعفى من قولهم أعفيت الشيء إذا أزلته من فيك لمرارته ويقال فلان يسترط ما يأخذ من الدين.

وحكى يعقوب بن السكيت الأخذ سريط والقضاء صريط والسرطاط الفالوذج لأنه يسترط استراطا وسيف سراطي أي قاطع فإنه ماض سريع المذهب في مضربه.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٠٦/٤

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٠٧/٤

فالصراط: هو الطريق المحدود المعتدل الذي يصل سالكه إلى مطلبه بسرعة وقد ذكر الله لفظ الصراط في كتابه في غير موضع ولم يسم الله سبيل الشيطان سراطا بل سماها سبلا." (١)

"ص –١٤٠– وقال أيضا: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ وقال في سورة التحريم: ﴿ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾.

وسائر المسلمين يقولون إن الكتاب كلام الله ولا يكون كلام إلا لحي ناطق وهذه صفات جوهرية تجري مجرى الأسماء وكل صفة منها غير الأخرى والإله واحد لا يتبعض ولا يتجزأ.

والجواب من وجوه.

أحدها: أن تقول إن كلام الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يكون إلا حقا وصدقا ولا يكون فيه شيء يعلم بطلانه بصريح العقل وإن كان فيه ما يعجز العقل عن معرفته بدون إخبار الأنبياء ولا يكون كلام النبي الذي يخبر به مناقضا لكلامه في موضع آخر ولا لكلام سائر الأنبياء بل كل ما أخبرت به الأنبياء فهو حق وصدق يصدق بعضه بعضا.

وقد أوجب الله علينا أن نؤمن بكل ما أخبروا به وحكم بكفر من آمن ببعض ذلك وكفر ببعضه فما علم بصريح العقل لا يناقض م، علم بالنقل الصحيح عن الأنبياء وما علم بالنقل الصحيح عن بعضهم لا يناقض ما علم بالنقل الصحيح عن غيره ولكن قد يختلف بعض الشرع والمناهج في الأمر والنهي.

فأما ما يخبرون به عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وغير ذلك فلا يجوز أن يناقض بعضه بعضا.

وإذا كان كذلك فما ينقلونه عن الأنبياء إنما تتم الحجة به إذ علم إسناده ومتنه فيعلم أنه منقول عنهم نقلا صحيحا ونعلم أن ترجمته من العبرية إلى اللسان الآخر كالرومية **والعربية** والسريانية ترجمة صحيحة ويعلم بعد ذلك أنهم أرادوا به ذلك المعنى.

وليس مع النصارى حجة عن الأنبياء تثبت فيها هذه المقدمات الثلاث ونحن في هذا المقام يكفينا المنع والمطالبة لهم بتصحيح هذه المقدمات فإنهم ادعوا أن التثليث أخذوه عن الأنبياء فنحن نطالبهم بتصحيح هذه المقدمات.." (٢)

"ص –١٥٧– أجل مسمى لقضي بينهم﴾.

وقوله: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/١٢٧

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/١٧٠

والكلمة في لغة **العرب** هي الجملة المفيدة سواء كانت جملة اسمية أو فعلية وهي القول التام وكذلك الكلام عندهم هو الجملة التامة.

قال سيبويه واعلم أنهم يحكون بالقول ما كان كلاما ولا يحكون به ما كان قولا ولكن النحاة اصطلحوا على أن يسموا ما تسميه **العرب** حرفا يسمونه كلمة مثل زيد وعمرو ومثل قعد وذهب وكل حرف جاء لمعنى ليس باسم و لا فعل مثل إن وثم وهل ولعل.

قال تعالى: ﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم﴾. فسمى هذه الجملة كلمة.

وقال تعالى: ﴿مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾.

وهو قول لا إله إلا الله.

وقال تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ وقال تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله﴾

وقوله تعالى: ﴿وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها﴾.

وقال النبي: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم" وقال: "أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد:." (١)

"ص -١٥٨- ألا كل شيء ما خلا الله باطل".

وقال النبي: "اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة" ولما شاع عند المشتغلين بالنحو استعمال لفظ الكلمة في الاسم أو الفعل وحرف المعنى صاروا يظنون أن هذا هو كلام **العرب** ثم لما وجد بعضهم ما سمعه من كلام **العرب** أنه يراد بالكلمة الجملة التامة صار يقول وكلمة بها كلام قد يؤم فيجعل ذلك من القليل.

ومنهم من يجعل ذلك مجاز وليس الأمر كذلك بل هذا اصطلاح هؤلاء النحاة فإن **العرب** لم يعرف عنهم أنهم استعملوا لفظ الكلمة والكلام إلا في الجملة التامة وهكذا نقل عنهم أئمة النحو كسيبويه وغيره.

فكيف يقال إن هذا هو المجاز وإن هذا قليل وكثير.

كما أن لفظ القديم في لغة **العرب** هو المتقدم على غيره كما قال قوله: ﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾.

وقوله تعالى: ﴿وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم﴾.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٨٩/٤

وقوله تعالى: ﴿قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون﴾.

ثم إن من أهل الكلام من خص لفظ القديم بما لم يسبقه عدم أو ما لم يسبقه غيره.." (١)

"ص -١٧٥- من اختصاصه بالعلم حتى إن طائفة من النظار كأبي الحسن الأشعري وغيره يقول أخص وصفه القدرة على الاختراع فلا يوصف بذلك غيره.

والجهم بن صفوان قبله يقول ليس في الوجود قادر غيره ولا لغيره قدرة والأشعري وإن أثبت للمخلوق قدرة لكن يثبت قدرة لا تؤثر في المقدور ولم يقل أحد من العقلاء إن أخص وصفه الحياة والعلم ولا إن غيره ليس بحي ولا عالم فكان جعل القدير اسما وغيره صفة إن كان الفرق حقا أولى من العكس فكيف إذا كان الفرق باطلا فإن أسماءه تعالى التي يعرفها الناس هي أسماء وهي صفات في اصطلاح أهل العربية تدل على معاني هي صفاته القائمة به.

فالحي يدل على الحياة والعليم يدل على العلم والقدير يدل على القدرة هذا مذهب سلف الأمة وجماهير الأمم ومن الناس فرقة شاذة تزعم أن هذه الأسماء لا تدل على معاني كأسماء الأعلام وقد تنازع الناس فيما يسمى به سبحانه ويسمى به غيره كالحي والعليم والقدير.

فالجمهور على أنه حقيقة فيهما وقالت طائفة كأبي العباس الناشي إنها حقيقة في الرب عز وجل مجاز في المخلوق وقالت طائفة عكس هؤلاء من الجهمية والملاحدة والمتفلسفة إنها مجاز في الرب عز وجل حقيقة في المخلوق والأولون هي عندهم متواطئة وقد يسمونها مشككة لما فيها من التفاضل وبعضهم يقول هي مشتركة اشتراكا لفظيا.." (٢)

"ص -١٨٦- الوجه الثالث: أن يقال الناس لهم في كلام الله عز وجل عدة أقوال وقول النصارى باطل على جميع الأقوال التي قالها الناس في كلام الله فثبت بطلانه على كل تقدير وذلك أن كلام الله سبحانه أما أن يكون صفة له قائما به وإما أن يكون مخلوقا له بائنا عنه وإما أن يكون لا هذا ولا هذا بل هو ما يوجد في النفوس وهذا الثالث هو أبعد الأقوال عن أقوال الأنبياء وهو قول من يقول من الفلاسفة والصابئة إن الرب لا تقوم به الصفات وليس هو خالقا باختياره.

ويقولون مع ذلك إنه ليس عالما بالجزئيات ولا قادرا على تغيير الأفلاك بل كلامه عندهم ما يفيض على النفوس وربما سموه كلاما بلسان الحال.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٩٠/٤

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٠٩/٤

وهؤلاء ينفون الكلام عن الله ويقولون ليس بمتكلم وقد يقولون متكلم مجازا لكن لما نطقت به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أطلقه من دخل في الملل منهم ثم فسره بمثل هذا وهذا أحد قولي الجهمية والقول الثاني أنه متكلم حقيقة لكن كلامه مخلوق خلقه في غيره وهو قول المعتزلة وغيرهم والقول الآخر للجهمية. وعلى هذين القولين فليس لله كلام قائم به حتى يتحد بالمسيح أو يحل به والمخلوق عرض من الأعراض ليس بإله خالق وكثير من أهل الكتاب اليهود والنصارى من يقول بهذا وهذا.

وأما القول الأول وهو قول سلف الأئمة وأئمتها وجمهورها وقول كثير من سلف أهل الكتاب وجمهورهم فإما أن يقال الكلام قديم النوع بمعنى أنه لم يزل يتكلم بمشيئته أو قديم العين وإما أن يقال ليس بقديم بل هو حادث والأول هو القول المعروف عن أئمة السنة والحديث.

وأما القائلون بقدم العين فهم يقولون الكلام لا يتعلق بمشيئته وقدرته لاعتقادهم أنه لا تحله الحوادث وما كان بمشيئته وقدرته لا يكون إلا حادثا.

ولهم قولان منهم قال القديم معنى واحد أو خمسة معان وذلك المعنى يكون أمرا ونهيا وخبرا وهذه صفات له لا أقسام له وإن عبر عنه **بالعربية** كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرية." (١)

"ص -١٨٩- نفس الكلام.

فإن المسيح جوهر قائم بنفسه والكلام صفة قائمة بالمتكلم وليس هو نفس الرب المتكلم فإن الرب المتكلم هو الذي يسمونه الأب والمسيح ليس هو الأب عندهم بل الابن فضلوا في قولهم من جهات.

منها جعل الأقانيم ثلاثة وصفات الله لا تختص بثلاثة.

ومنها جعل الصفة خالقة والصفة لا تخلق.

ومنها جعلهم المسيح نفس الكلمة والمسيح خلق بالكلمة فقيل له كن فكان كما سيأتي إن شاء الله تعالى تفسير ذلك وإنما خص المسيح بتسميته كلمة الله دون سائر البشر لأن سائر البشر خلقوا على الوجه المعتاد في المخلوقات يخلق الواحد من ذرية آدم من نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم ينفخ فيه الروح وخلقوا من ماء الأبوين الأب والأم.

والمسيح عليه السلام لم يخلق من ماء رجل بل لما نفخ روح القدس في أمه حبلت به وقال الله كن فكان ولهذا شبهه الله بآدم في قوله﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾. فإن آدم عليه السلام خلق من تراب وماء فصار طينا ثم أيبس الطين ثم قال له كن فكان وهو حين نفخ

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/٢٢٢

الروح فيه صار بشرا تاما لم يحتج بعد ذلك إلى ما احتاج إليه أولاده بعد نفخ الروح فإن الجنين بعد نفخ الروح يكمل خلق جسده في بطن أمه فيبقى في بطنها نحو خمسة أشهر ثم يخرج طفلا يرتضع ثم يكبر شيئا بعد شيء وآدم عليه السلام حين خلق جسده قيل له كن فكان بشرا تاما بنفخ الروح فيه ولكن لم يسم كلمة الله لأن جسده خلق من التراب والماء وبقي مدة طويلة يقال أربعين سنة فلم يكن خلق جسده إبداعيا في وقت واحد بل خلق شيئا فشيئا وخلق الحيوان من الطين معتاد في الجملة.

وأما المسيح عليه السلام فخلق جسده خلقا إبداعيا بنفس نفخ روح القدس في أمه قيل له كن فكان فكان له من الاختصاص بكونه خلق بكلمة الله ما لم يكن لغيره من البشر ومن الأمر المعتاد في لغة **العرب** وغيرهم أن الاسم العام إذا كان له نوعان خصت أحد النوعين." (١)

"ص -٢٢١- ساكن في القلب يعمره. لست أنساه فأذكره.

ويقال.

إن بيتا أنت ساكنه. غير محتاج إلى السرج.

ومن قول القائل.

ومن عجبي أن أحن إليهم. وأسأل عنهم من لقيت وهم معي.

وتطلبهم عيني وهم في سوادها. ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي.

وقال.

مثالك في عيني وذكرك في فمي. ومثواك في قلبي فأين تغيب.

والمساجد هي بيوت الله التي فيها يظهر ذلك ولهذا قال تعالى: ﴿الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾.

قال أبي بن كعب مثل نوره في قلوب المؤمنين.

ثم قال: ﴿نور على نور﴾.

ثم قال: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه﴾.

فذكر سبحانه نوره في قلوب المؤمنين ثم ذكر ذلك في بيوته كذلك ما ذكر في الكتب الأولى.

وأما الإتيان والمجيء والتجلي فعندهم في التوراة يقول الله لموسى إني آتي إليك في غلظ الغمام لكي

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٢٦/٤

يسمع القوم مخاطبتي لك ثم قوله اجمع سبعين رجلا من شيوخ بني إسرائيل وخذهم إلى خباء **العرب** يقفون معك حتى أخاطبهم.

وفي السفر الرابع لما تكلم مريم وهارون في موسى حينئذ تجلى الله بعمود الغمام قائما على باب الخباء ونادى يا هارون ويا مريم فخرجا كلاهما فقال اسمعا كلامي إني أنا الله فيما بينكم.." (١)

"ص -٢٢٥- فصل.

قالوا وقال في السفر الثالث من أسفار الملوك والآن يا رب إله إسرائيل لتحقق كلامك لداود لأنه حق أن يكون إنه سيسكن الله مع الناس على الأرض اسمعوا أيتها الشعوب كلكم ولتنصت الأرض وكل من فيها فيكون الرب عليها شاهدا من بيته القدوس ويخرج من موضعه وينزل ويطأ على مشاريق الأرض في شأن خطيئة بني يعقوب هذا كله.

فيقال هذا السفر يحتاج إلى أن يثبت أن الذي تكلم به نبي وأن ألفاظه ضبطت وترجمت إلى **العربية** ترجمة مطابقة ثم بعد ذلك يقال فيه ما يقال في امثاله من الألفاظ الموجودة عندهم وليس فيها ما يدل على اتحاده بالمسيح فإن قوله إن الله سيسكن مع الناس في الأرض لا يدل على المسيح إذ كان المسيح لم يسكن مع الناس في الأرض بل لما أظهر الدعوة لم يبق في الأرض إلا مدة قليلة ولم يكن ساكنا في موضع معين وقبل ذلك لم يظهر عنه شيء من دعوى النبوة فضلا عن الإلهية ثم إنه بعد ذلك رفع إلى السماء فلم يسكن مع الناس في الأرض وأيضا فإذا قالوا سكونه هو ظهوره في المسيح عليه السلام قيل لهم أما الظهور الممكن المعقول كظهور معرفته ومحبته ونوره وذكره وعبادته فهذا لا فرق فيه بين المسيح وغيره.

وحينئذ فليس في هذا اللفظ ما يدل على أن هذا السكون كان بالمسيح دون غيره وإن كان بالمسيح فليس هذا من خصائصه عليه السلام وليس في ظهوره فيه أو حلول معرفته ومحبته ومثاله العلمي ما يوجب اتحاد ذاته به.

وأما قوله فيكون الرب عليها شاهدا فيقال أولا شهود الله على عباده لا يستلزم حلوله أو اتحاده ببعض مخلوقاته بل هو شهيد على العباد بأعمالهم كما قال. ﴿ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾.." (٢)

"ص -٢٢٨- لفظ: متى كتبت نبيا قال: "وآدم بين الروح والجسد" وفي مسند الإمام أحمد عن **العرباض** بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وأن آدم

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٦٤/٤

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٦٨/٤

لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول أمري أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي رأت حين ولدتني أنه خرج منها نور أضاء له قصور الشام" فقد أخبر أنه كان نبيا وكتب نبيا وآدم بين الروح والجسد وأنه مكتوب عند الله خاتم النبيين وآدم منجدل في طينته.

ومراده أن الله كتب نبوته وأظهرها وذكر اسمه ولهذا جعل ذلك في ذلك الوقت بعد خلق جسد آدم وقبل نفخ الروح فيه كما يكتب رزق المولود وأجله وعمله وشقي هو أو سعيد بعد خلق جسده وقبل نفخ الروح فيه.

وكذلك قول القائل في المسيح عليه السلام وهو من قبل أن تكون الدنيا فإنه مكتوب مذكور من قبل أن تكون الدنيا.

فإنه قد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على." (١)

"ص -٢٤١- فصل.

قالوا وقال أشعيا النبي ها هي العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعى اسمه عمانويل.

وعمانويل كلمة عبرانية تفسيرها **بالعربي** إلهنا معنا فقد شهد النبي أن مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت كلاهما.

فيقال ليس في هذا الكلام أن مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت وأنها ولدت خالق السماوات والأرض بل هذا الكلام يدل على أن المولود ليس هو خالق السماوات والأرض فإنه قال تلد ابنا.

وهذا نكرة في الإثبات كما يقال في سائر النساء إن فلانة ولدت ابنا وهذا دليل على أنه ابن من البنين ليس هو خالق السماوات والأرضين ثم قال ويدعى اسمه عمانويل فدل بذلك على أن هذا اسم يوضع له ويسمى به كما يسمي الناس أبناءهم بأسماء الأعلام أو الصفات التي يسمونهم بها.

ومن تلك الأسماء ما يكون مرتجلا ارتجلوه.

ومنها ما يكون جملة يحكونها ولهذا كثير من أهل الكتاب يسمى ابنه "عمانويل" ثم منهم من يقول العذراء المراد بها غير مريم ويذكرون في ذلك قصة جرت.

ومنهم من يقول بل المراد بها مريم وعلى هذا التقدير فيكون المراد أحد معنيين.

إما أنه يريد أن إلهنا معنا بالنصر والإعانة فإن بني إسرائيل كانوا قد خذلوا بسبب تبديلهم فلما بعث المسيح

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٧١/٤

عليه السلام بالحق كان الله مع من اتبع المسيح والمسيح نفسه لم يبق معهم بل رفع إلى السماء ولكن الله كان مع من اتبعه بالنصر والإعانة.

كما قال تعالى: ﴿فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾.." (١)

"ص –٢٤٥– فصل.

قالوا وقال أشعيا أيضا يخرج عصاه من بيت يسي ينبت نور منها ويحل فيه روح القدس روح الله روح الحكمة والفهم روح الحيل والقوة روح العلم وخوف الله.

وفي تلك الأيام يكون أصل يسي آية للأمم وبه يؤمنون وعليه يتوكلون ويكون لهم التاج والكرامة إلى دهر الداهرين.

والجواب: إن هذا الكلام بعد المطالبة بصحة نقله عن النبي وصحة الترجمة له باللسان العربي هو حجة على النصارى لا لهم فإنه لا يدل على أن المسيح هو خالق السماوات والأرض بل يدل على مثل ما دل عليه القرآن من أن المسيح عليه السلام أيد بروح القدس فإنه قال ويحل فيه روح القدس وروح الله وروح الحكمة والفهم وروح الحيل والقوة روح العلم وخوف الله ولم يقل تحل فيه حياة الله فضلا عن أن يقول حل فيه الله أو اتحد به ولكن جعل روح القدس هي روح الله وهي روح الحكمة والفهم والعلم وهي روح الحيل والقوة.

كما أن عندهم في التوراة أن الذين كانوا يعملون في قبة الزمان حلت فيهم روح." (٢)

"ص –٢٥٠– وقال المسيح لتلاميذه آمنوا بالله وآمنوا بي وقال أيضا من يؤمن بي فليس يؤمن بي فقط بل وبالذي أرسلني وهم يذكرون أن المسيح عليه السلام استصرخ الله قائلا: " إلهي إلهي انظر لماذا تركتني وتباعدت عن خلاصي".

الوجه الثاني: أن قولهم إن هذه الكتب التي بأيديهم من التوراة والإنجيل وسائر النبوات تسلموها من الحواريين كل أمة بلسانها وهي على هيئتها قول لم يقيموا على صحته دليلا بل ادعوا ذلك دعوى مجردة.

ومثل هذا النقل إن لم يثبت بالتواتر لم يحتج به في المسائل العلمية لا سيما إذا قيل في الوجه الثالث: إن هذا كذب ظاهر فإن كثيرا من الألسنة ليس عند أهله إنجيل قديم ومن ذلك لسان العرب فإن العرب النصارى كثيرون قبل الإسلام ولا تعرف توراة ولا إنجيل ولا نبوات عربية إلا ما عرب من النسخ العبرية

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٨٧/٤

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٩١/٤

والرومية والسريانية ونحن نطالبهم بهذه الكتب التي هي **بالعربية** التي في زمن الحواريين أين ه ي ومن رآها ولو قدر أنها كانت **بالعربية** فهذه النسخ اليوم **العربية** الموجودة بأيدي الناس هي مما **عرب** مما بأيديهم وحينئذ فلا تعرف صحتها إن لم تعرف صحة الترجمة ويثبت نقل تلك عن المسيح عليه السلام وهكذا القول في سائر الألسن.

الوجه الرابع: أن التوراة والنبوات التي نقلت من نسخ اليهود والأناجيل هي أربعة كتب بعد المسيح عليه السلام اثنان ممن كتبها لم يريا المسيح وهما لوقا ومرقس." (١)

"ص -٢٥٢- ونص واحد كما ادعاه هؤلاء في الاثنين وسبعين لسانا حيث قالوا.

ومثل هذا القول في كتب الله المنزلة على أفواه الأنبياء والرسل كثير عند النصارى جميعهم المختلفة ألسنتهم المتفرقين في سبعة أقاليم العالم المتمسكين بدين النصرانية قول واحد ونص واحد على ما تسلموه من الحواريين وردوهم عن عبادة الأصنام فسلموها إليهم كل أمة بلسانها وهي على هيئتها إلى يومنا هذا.

فإن هذا الكلام يتضمن عدة دعاوى ليس فيها ما يمكن قائله أن يكون عالما به فعلم أن هؤلاء تكلموا بهذا الكلام بلا علم بل بالجهل والضلال كما هو عادتهم فإنه يقال لهم من الذي جمع كل نسخة في العالم من جميع التوراة والإنجيل والزبور وسائر النبوات الأربعة والعشرين بلسان واحد **كالعربي** مثلا وهل ميز جميع النسخ فلم يجد نسخة تزيد على نسخة ولا تنقص عنها.

ومعلوم إن كان هذا ممكنا أمكن أن يقال جمعها جامع وغير بعض ألفاظها فلا يمكنهم دعوى بقائها بلا تغيير وإن لم يمكن ذلك لم يمكن أحد أن يقول أنا أعلم موافقة كل نسخة من نسخ هذه الكتب لكل نسخة توجد في سبعة أقاليم العالم بذلك اللسان فضلا عن اثنين وسبعين لسانا فضلا عن أن يقال أنا أعلم أن هذه الألسن كلها تكلمت بها الحواريون وهي باقية على لفظهم إلى اليوم.

ومعلوم أن الإنسان إذا أمكنه جمع نسخ كتاب واحد من جميع الفنون من كتب الطب والحساب والهندسة والنحو والفقه والحديث كان إمكان تغيير بعض ألفاظ تلك النسخ أيسر عليهم من مقابلة ألفاظ كل نسخة بألفاظ تلك النسخ مثلها.

فإن هذا لا يقدر عليه في العادة بل هو متعذر أو متعسر ولا سيما والمقابلة." (٢)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٩٧/٤

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٩٩/٤

"ص -٣٢٣- فالله تعالى ذكر إيمانهم به إذا نزل إلى الأرض فإنه تعالى لما ذكر رفعه إلى الله بقوله: ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾.

وهو ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ويموت حينئذ أخبر بإيمانهم به قبل موته كما قال تعالى: في آية أخرى: ﴿إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم﴾ سورة الزخرف.

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا وإماما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية".

وقوله تعالى: ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما﴾ بيان أن الله رفعه حيا وسلمه من القتل وبين أنهم يؤمنون به قبل أن يموت.

وكذلك قوله: ﴿ومطهرك من الذين كفروا﴾.

ولو مات لم يكن فرق بينه وبين غيره.

ولفظ التوفي في لغة العرب معناه الاستيفاء والقبض وذلك ثلاثة أنواع أحدها توفي النوم والثاني: توفي الموت والثالث: توفي." (١)

"ص -٣٣٩- واحد﴾ وهذا تكذيب لقولهم في المسيح أنه إله حق من إله حق من جوهر أبيه ثم قال سبحانه أن يكون له ولد فنزه نفسه وعظمها أن يكون له ولد كما تقوله النصارى ثم قال له ما في السماوات وما في الأرض فأخبر أن ذلك ملك له ليس فيه شيء من ذاته ثم قال لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون أي لن يستنكفوا أن يكونوا عبيدا لله تبارك وتعالى فمع هذا البيان الواضح الجلي هل يظن ظان أن مراده بقوله وكلمته أنه إله خالق أو أنه صفة لله قائمة به وأن قوله وروح منه المراد به أنه حياته أو روحه منفصلة عن ذاته.

ثم نقول أيضا أما قوله وكلمته فقد بين مراده أنه خلقه بكن وفي لغة العرب التي نزل بها القرآن أن يسمى

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٨٤/٤

المفعول باسم المصدر فيسمى المخلوق خلقا لقوله هذا خلق الله ويقال درهم ضرب الأمير أي مضروب الأمير ولهذا يسمى المأمور به أمرا والمقدور قدرة وقدرا والمعلوم علما والمرحوم به رحمة كقوله تعالى: ﴿وكان أمر الله قدرا مقدورا﴾ وقوله: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾.
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يقول الله للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ويقول للنار أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي وقال إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مئة رحمة أنزل منها رحمة واحدة فيها يتراحم الخلق ويتعاطفون وأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة فإذا كان يوم القيامة جمع هذه إلى تلك فرحم بها الخلق" ويقال للمطر هذه قدرة عظيمة ويقال غفر الله لك علمه فيك أي معلومه فتسمية المخلوق بالكلمة كلمة من هذا الباب.
وقد ذكر الإمام أحمد في كتاب الرد على الجهمية وذكره غيره أن النصارى الحلولية والجهمية المعطلة اعترضوا على أهل السنة فقالت النصارى القرآن كلام الله غير." (١)

"ص -٥٠٤- بائن عنه فلا يكون الموصوف حيا عالما قادرا متكلما رحيما مريدا بحياة قامت بغيره ولا بعلم وقدرة قامت بغيره ولا بكلام ورحمة وإرادة قامت بغيره.
والكلام بمشيئة المتكلم وقدرته أكمل ممن لا يكون بمشيئته وقدرته.
وأما كلام يقوم بذات المتكلم بلا مشيئته وقدرته فأما أنه ممتنع أو هو صفة نقص كما يدعى مثل ذلك في المصروع.
وإذا كان كمالا فدوام الكمال له وأنه لم يزل موصوفا بصفات الكمال أكمل من كونه صار متكلما بعد أن لم يكن لو قدر أن هذا ممكن فكيف إذا كان ممتنعا.
وكان أئمة السنة والجماعة كلما ابتدع في الدين بدعة أنكروها ولم يقروها ولهذا حفظ الله دين الإسلام فلا يزال في أمة محمد طائفة هادية مهدية ظاهرة منصورة.
بخلاف أهل الكتاب فإن النصارى ابتدعوا بدعا خالفوا بها المسيح وقهروا من خالفهم ممن كان متمسكا بشرع المسيح حتى لم يبق حين بعث الله محمدا من هو متمسك بدين المسيح إلا بقايا من أهل الكتاب

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/٤١١

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "في الحديث الصحيح: "إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم **عربهم** وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب".

فلما أظهر قوم من الولاة أن القرآن مخلوق ودعوا الناس إلى ذلك ثبت الله أئمة السنة وجمهور الأمة فلم يوافقوهم وكان المشار إليه من الأئمة إذ ذاك أحمد بن حنبل.

ثم بقي ذلك القول المحدث ظاهرا نحو أربع عشر سنة وأئمة الأمة وجمهورها ينكرونه حتى جاء من الولاة من منع من إظهاره والقول به فصار مخفيا كغيره من البدع وشاع عند العامة والخاصة أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

فأراد بعض الناس أن يجيب عن شبهة من قال إن هذا الذي يقوم بنا مخلوق فقال القرآن كلام الله غير مخلوق ولكن ألفاظنا بة مخلوقة وتلاوتنا له مخلوقة.

وربما قالوا هذا الذي نقرأه مخلوق أو هذا ليس هو كلام الله فقصدوا معنى صحيحا وهو كون صفات العباد وأصواتهم وأفعالهم مخلوقة.

لكن غلطوا حيث أطلقوا القول أو أفهموا الناس بأن هذا القرآن الذي." (١)

"ص -٥٧٥- وما يفعلونه من دعاء المخلوقين كالملائكة أو كالأنبياء والصالحين الذين ماتوا مثل دعائهم مريم وغيرها وطلبهم من الأموات الشفاعة لهم عند الله لم يبعث به أحد من الأنبياء فكيف وقد صوروا تماثيلهم ليكون تذكيرا لهم بأصحابها ويدعون تلك الصور.

وإن قصدوا دعاء أصحابها فهم إذا صرحوا بدعاء أصحابها وطلبوا منهم الشفاعة وهم موتى وغائبون كانوا مشركين.

فكيف إذا كان الدعاء في الظاهر لتماثيلهم المصورة وهذا مما يعترف حذاق علمائهم بأنه مخالف لدين الأنبياء كلهم.

ولهذا وقع بينهم تنازع في اتخاذ الصور في الكنائس لما ابتدعه بعضهم كما هو مذكور في أخبارهم ولم يأت من ابتدع ذلك بحجة شرعية.

والمجسمة يعتقدون أن الله قديم أزلي وأنه عظيم جدا لا يقولون إنه متحد بشيء من الأجسام المخلوقة ولا يحل فيها فمنقال باتحاده وحلوله فيها كان قوله شرا من قول هؤلاء المجسمة.

كما أن المتفلسفة الذين يقولون بأن الأفلاك أجسام قديمة أزلية واجبة بنفسها أولها علة تتشبه بها كما

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٠٣/٥

يقوله أرسطو وذووه أو يثبتون لها علة فاعلة لم تزل مقارنة لها كما يقوله ابن سينا وأمثاله.

وهؤلاء قولهم شر من قول اليهود والنصارى ومشركي **العرب** الذين يثبتون للسموات والأرض خالقا خلقها بمشيئته وقدرته.

ولو قال من قال منهم إن ذلك جسم فغايته أن يثبت جسما قديما أزليا موصوفا بصفات الكمال.

فمن أثبت جسما قديما أزليا ليس موصوفا بصفات الكمال كان قوله شرا من قول هذا.

فتبين أن المجسمة الذين يثبتون جسما قديما أزليا واجب الوجود بنفسه عالما بكل شيء قادرا على كل شيء مع قولهم إنه تحله الحوادث وتقوم به الحركة والسكون خيرا من قول الفلاسفة الذين يقولون إن الأفلاك أجسام قديمة أزلية واجبة الوجود بنفسها كما يقوله أرسطو وذووه وخير من النصارى أيضا.." (١)

"ص -٥٨٢- وقد يتبنى الرجل ولد غيره فيتخذه ولدا ويجعله بمنزلة الولد وإن لم يكن متولدا عنه كما كانت تفعله أهل الجاهلية من **العرب** وغيرهم ولهذا نزه الله تعالى نفسه عن الولادة وعن اتخاذ الولد فقال تعالى: ﴿ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون﴾.

وقال تعالى: ﴿وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم﴾.

وقال تعالى: ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد﴾.

وأما اتخاذ الولد ففي مواضع متعددة كقوله تعالى: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك﴾.

وقوله تعالى﴿وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السماوات والأرض كل له قانتون بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾.

وقوله: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾.

وقوله: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾.

وقوله: ﴿لو أراد الله أن يتخذ." (٢)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٨٧/٥

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٩٤/٥

"ص -٧- الذين يلحدون في أسمائه﴾.

وأما الإخبار عنه فهو بحسب الحاجة فإذا احتيج في تفهيم الغير المراد إلى أن يترجم أسماؤه بغير العربية أو يعبر عنه باسم له معنى صحيح لم يكن ذلك محرما.

وأما الذين منعوه من جهة العقل فكثير منهم من يقولون إن الجوهر ما شغل الحيز وحمل الأعراض والله سبحانه وتعالى ليس كذلك وهذا قول من نفى ذلك من أهل الكلام ومنهم من يقول الجوهر ما إذا وجد كان وجوده لا في موضوع وهذا إنما يكون فيما وجوده زائد على ذاته وواجب الوجود وجوده عين ذاته فلا يكونجوهرا وهذا قول ابن سينا وأمثاله من متأخري المتفلسفة.

وأما قدماء الفلاسفة كأرسطو وأمثاله فكانوا يسمونه جوهرا وعنهم أخذت النصارى هذه التسمية فإن أرسطو كان قبل المسيح بأكثر من ثلاثمائة سنة ولهذا قال هؤلاء في." (١)

"ص -٨- كتابهم نعجب ممن ينكر ذلك وهو قد قرأ شيئا من كتب الفلاسفة والمنطق.

وأما اللغة فإن لفظ الجوهر ليس من العربية العرباء ولهذا لا يعرف في كلام العرب المحض وإنما هو معرب كما ذكر ذلك الجوهري وغيره قال الجوهري الجوهر معرب الواحدةجوهرة فهو من العربية المعربة لا من العربية العرباء كلفظ سجيل واستبرق وأمثال ذلك من الألفاظ المعربة وهذا اللفظ ليس موجودا في القرآن ومع." (٢)

"ص -٩- هذا فلما عرب كان معناه في اللغة هو الجوهر المعروف وتسمية القائم بنفسه أو الشاغل للحيز جوهرا فهو أمر اصطلاحي ليس هو من الأسماء اللغوية ولا العرفية العامة ولا الأسماء الشرعية.

وقد قيل إنه مأخوذ من كلام الأوائل كاليونان وغيرهم فإنهيوجد في كلامهم تسمية القائم بنفسه جوهرا وقد قيل سموه بذلك لأن جوهر الشيء أصله والقائم بنفسه هو الأصل وقد يسمون العرض القائم بغيره جوهرا وقيل لأن لفظ الجوهر فوعل من الجهر وهو الظهور والوضوح والقائم بنفسه يظهر ويعرف قبل أن يعرف ما قام به من الأعراض.

والناس متفقون على إثبات الأعيان القائمة بنفسها التي تسمى جواهر أو أجساما وتنازعوا في ثبوت الأعراض

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٥/٦

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٦/٦

القائمة بها والنزاع عند محققيهم لفظي فإن عاقلا لا ينازع أن الجسم يتحرك بعد سكونه لكن منهم من يقول حركته ليست زائدة على ذاته ومنهم من يقول هي زائدة على ذاته وهو نظير نزاعهم في الصفات هل هي زائدة على الذات أو ليست زائدة.

والتحقيق أن مسمى الإنسان إذا أطلق دخل فيه صفاته وإذا ميز بين هذا وهذا قيل الذات والصفات ومن الناس من يخص بلفظ العرض ما لم يكن من الصفات لازما للموصوف والصفات اللازمة يسميها صفات ذاتية جوهرية ومنهم من يخص." (١)

"ص -٤٤- وكان في **العرب** خلق كثير يهود وخلق كثير نصارى وخلق كثير مجوس فدعا جميع الخلق من اليهود والنصارى والمجوس والمشركين **عربهم** وعجمهم

الوجه الثاني: أن يقال لهم الناس لهم في أمر الله ونهيه قولان مشهوران.

أحدهما: أنه يرجع إلى محض المشيئة لايعتبر فيه أن يكون المأمور به مصلحة للخلق وإن اتفق أن يكون مصلحة وإن كان الواقع كونه مصلحة وهذا قول من يقول لا يفعل ولا يحكم بسبب ولا لحكمة ولا لغرض.

والقول الثاني: وهو قول جمهور الناس إن الله إنما أرسل الرسل ليأمروا بما يصلحهم وينفعهم إذا فعلوه كما قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.

وقال تعالى: ﴿فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾.

فإن قيل بالأول لم يسأل عن حكمة إرسال الرسل وإن قيل بالثاني ففي إرسال محمد من الحكموالمصالح أعظم مما كان في إرسال موسى والمسيح والذي حصل به من صلاح العباد في المعاش والمعاد أضعاف ما حصل بإرسال موسى والمسيح من جهة الأمر والخلق فإن في شريعته من الهدى ودين الحق أكمل مما في الشريعتين المتقدمتين وتيسير الله من اتباع الخلق له واهتدائهم به ما لم يتيسر مثله لمن قبله فحصل

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٦/٧

فضيلة شريعته من جهة فضلها في نفسها ومن جهة كثرة من قبلها وكمال قبولهم لها بخلاف شريعة من قبله فإن موسى بعث إلى بني إسرائيل وكان فيهم من الرد والعناد في حياة موسى." (١)

"ص -٤٨- وتبين هذا.

بالوجه الثالث: وهو أن يقال هب إن شريعة الكتاب كانت كافية فإنما ذاك إذا كانت محفوظة معمولا بها ولم يكن الأمر كذلك بل كانت قد درس كثير من معالمها.

وقد اختلف أهل الكتاب في المسيح وغيره اختلافا عظيما كما قال تعالى:﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون﴾.

وقد قال تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة﴾.

أي فاختلفوا.

﴿فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه﴾.

والوقت الذي بعث الله فيه محمدا لم يكن قد بقي أحد مظهرا لما بعث الله به الرسل قبله.

فبعثه على حين فترة من الرسل وطموس من السبل أحوج ما كان الناس إلى رسول كما في صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله: "إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب" وكان الناس حين مبعث محمد إما أميين لا كتاب لهم يشركون بالرحمن ويعبدون الأوثان وأما أهل كتاب قد بدلوا معانيه وأحكامه وحرفوا حلاله وحرامه ولبسوا حقه بباطله كما هو الموجود فلو أراد الرجل أن يميز له أهل لا كتاب ما جاءت به." (٢)

"ص -٥٤- بالشكر من قبل هذه النعمة فقال تعالى: ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾.

وقال تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين﴾.

الوجه السادس: أن يقال قولهم إنا نعجب من هؤلاء القوم إلى آخر الفصل قول جاهل ظالم يستحق أن

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤٣/٦

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤٧/٦

يقال له بلالعجب من هذا العجب هو الواجب بل هو الذي لا ينقضي منه العجب وإن كل عاقل ليعجب من عرف دين محمد وقصده الحق ثم اتبع غيره ويعلم أنه لا يفعل ذلك إلا مفرط في الجهل والضلال أو مفرط في الظلم واتباع الهوى.

وذلك أن أهل الأرض نوعان أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وغير أهل الكتاب كالمشركين من **العرب** والهند والترك وغيرهم كالمجوس من الفرس وغيرهم كالصابئة من المتفلسفة وغيرهم.

وأهل الكتاب يسلمون لنا أن من سوى أهل الكتاب انتفع بنبوة محمد منفعة ظاهرة وأنه دعا جميع طوائف المشركين والمجوس والصابئين إلى خير مما كانوا عليه بل." (١)

"ص -٦٠- الوجه التاسع: أن يقال هم معترفون بانتفاع المشركين به غاية الانتفاع فإنه أقام توحيد الله ودينه فيهم وأنه عظم المسيح ورد على اليهود قولهم فيه وأهانهم وحينئذ فهذا من أعظم الفوائد وأجل المقاصد وأعظم نعم الله على عباده ثم هو مع ذلك قال إن الله أرسله وأمره بذلك فإن كان كاذبا فالكذاب المفتري على الله من شر الكفار ومن يكون كذلك لا يحصل منه هذا الخير العظيم الذي ما حصل مثله من أحد من الأنبياء فإنه أزال دين المشركين ودين المجوس وقمع اليهود وكل واحدة من هذه الثلاث لم يقدر عليه أحد قبله من الأنبياء والمرسلين.

وإن كان صادقا فهو قد أخبر أنه رسول الله إلى النصارى وغيرهم من الأمم وأخبر عن الله بكفر كل من لم يؤمن به وهذا الوجه ممن يخاطب به كل صنف فيقال لكل صنف من الأمم أنتم معترفون بأن من سواكم إذا اتبعوا دين محمد كان خيرا لهم مما هم عليه فاليهود معترفة بأن النصارى إذا اتبعوه كان خيرا لهم من دين النصارى والنصارى معترفون بأن اليهود إذا اتبعوه كان خيرا لهم من دين اليهود وأهل الكتاب اليهود والنصارى معترفون بأن من سواهم إذا اتبعوا محمدا كان خيرا لهم مما هم عليه.

فالمجوس والمشركون من **العرب** والسودان والترك وأصناف الخزر والصقالبة إذا اتبعوه كان خيرا لهم مما هم عليه وسائر أصناف الكفار معترفون بأن أتباعه خير من." (٢)

"ص -٦٢- أهلهما مع ذلك منصورين مؤيدين على من خالفهم فكيف وكل منهما قد بدل كثير مما فيه وأهلهما غير منصورين على سائر الكفار بل الكفار ظاهرون عليهم في أكثر الأرض كأرض اليمن والحجاز وسائر جزيرة **العرب** وأرض العراق وخراسان والمغرب وأرض الهند والسند والترك وكان بأيدي أهل

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٥٤/٦

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٦١/٦

الكتاب الشام ومصر وغير ذلك ومع هذا فكانت الفرس قد غلبتهم على ذلك ثم إن الله أظهر النصارى عليهم فكان ظهورهم توطئة وتمهيدا لإظهار دين الإسلام.

فإن الفرس المجوس لما غلبوا الروم ساء ذلك النبي والمؤمنين به وفرح بذلك مشركوا العرب وكانوا أكثر من المؤمنين لأن أهل الكتاب أقرب إلى المؤمنين من المجوس والمجوس أقرب إلى المشركين منهم إلى أهل الكتاب ووعد الله المؤمنين أن تغلب الروم بعد ذلك وأنه يومئذ.

﴿يفرح المؤمنون بنصر الله﴾.

فأضاف النصرة إلى اسم الله ولم يقل بنصر الله إياهم وذلك أنه حين ظهرت الروم على فارس كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد ظهروا على المشركين واليهود.

وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إذ ذاك يدعو ملوك النصارى بالشام ومصر إلى الإيمان به فعرفوه وعرفوا أنه النبي المبشر به وكان ذلك أول ظهور دينه ثم أرسل طائفة من أصحابه." (١)

"ص -٦٩- فصل

وجميع ما احتجوا به من التوراة والإنجيل وغيرهما من كلام الأنبياء عليهم السلام إنما يكون الحجة فيه علمية برهانية إذا أقاموا الدليل على نبوة من احتجوا بكلامه بأن بينوا إمكان النبوة ثم بينوا وقوعها في الشخص المعين بالطرق التي يستدل بها على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم.

وهم لم يفعلوا شيئا من ذلك بل احتجوا بذلك بناء على أنها مقدمة مسلمة يسلمها المسلمون لهم وهذا لا ينفعهم لوجوه.

أحدها: أن فيمن ذكروه من لم يثبت عند المسلمين أنه نبي كميخا وعاموص

الثاني: أن من ثبت عند المسلمين نبوته كموسى وعيسى وداود وسليمان لم يثبت عندهم أنهم قالوا جميع ما ذكروه من الكلام وأن ترجمته بالعربية هو ما ذكروه وأن مرادهم به ما فسروه.

الثالث: أن جمهور المسلمين لا يعلمون نبوة أحد من الأنبياء قبل محمد إلا بإخبار محمد بنبوتهم فلا يمكنهم التصديق بنبوة أحد من هؤلاء إلا بعد التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

فإذا طلب هؤلاء من المسلمين أن يسلموا نبوة هؤلاء دون نبوة محمد لم يمكن المسلمون أن يسلموا ذلك لهم ولا يشرع ذلك للمسلمين لا عقلا ولا نقلا وحينئذ إذا لم." (٢)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٦٣/٦

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٧٢/٦

"ص -٧٥- ثبوت اللفظ ولا بد له من ثبوت معنى اللفظ وإذا كان النقل ليس بلغة النبي بل بلغة أخرى فلا بد من الترجمة الصحيحة وعامة النصارى ليس عندهم كتب الأنبياء بلغة الأنبياء.

فإن موسى والمسيح ومن بينهما من أنبياء بني إسرائيل إنما كانوا يتكلمون باللغة العبرانية.

والمسيح كان عبرانيا لم يتكلم بغير العبرانية وإنما تكلم بغيرها كالسريانية واليونانية والرومية بعض من اتبعه وجمهور النصارى لا يعرفون بالعبرانية فلا يحسنون أن يقرؤوا بالعبرانية لا توراة ولا إنجيلا ولا غير ذلك وإنما يتكلمون بذلك الرومية أو السريانية أو غيرهما وإن كان فيهم قليل ممن يتكلم بالعبرانية بخلاف اليهود فإن العبرانية فاشية فيهم وحينئذ فمن احتج من أهل الكتاب بشيء من كلام الأنبياء المنقول بالرومية والسريانية أو **بالعربية** فإنه يحتاج مع إثبات النقل إلى إثبات الترجمة وصحتها فإنهم كثيرا ما يضطربون في الترجمة وصحتها ويختلفون في معناها.

فهذه مقدمات ثلاث لابد لهم منها في كل ما يحتجون من كلام الأنبياء ولو لم يدعو أنه معارض لما أخبر به محمد فكيف إذا ادعوا به تناقضه لما جاء به." (١)

"ص -٨٢- وقال تعالى عن قوم شعيب: ﴿ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود﴾.

وإذا ذكر الأنبياء عليهم السلام قال تعالى: ﴿وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين﴾ ﴿سلام على إبراهيم﴾﴿سلام على موسى وهارون﴾﴿سلام على إل ياسين﴾.

وقال تعالى: ﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليا﴾.

ومثل هذا في القرآن كثير فيذكر من حال الأنبياء وأتباعهم وما حصل لهم من الكرامة وما حصل للكفار بهم من الخزي والعذاب ما بين حسن حال هؤلاء وقبح حال هؤلاء.

ومما يوضح ذلك من أن من اعتبر حال أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى وحال غيرهم في العلوم النافعة والأعمال الصالحة تبين له أن حال أهل الملل أكمل بما لا يحصى وإذا نظر ما عند غير أهل الملل من الحكمة العلمية والعملية كحكمة الهند واليونان **والعرب** من الجاهلية والفرس وغيرهم وجد ما عندهم بعض ما." (٢)

"ص -٩٧- الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾.

وقال عن النصارى﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٨٠/٦

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٨٨/٦

ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾.

وقوله: ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا﴾.

وقال ابن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله قبل مبعثه فلما بعثه الله من **العرب** كفروا به وجحد وأما كانوا يقولون فيه فقال معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود بن سلمة يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك وتخبرونا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته فقال سلام بن مشكم." (١)

"ص -٩٨- أخو بني النضير ما جاءنا شيء نعرفه وما هو بالذي كنا نذكر لكم فأنزل الله تعالى: ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾.

وقال أبو العالية وغيره كانوا يعني اليهود إذا استنصروا بمحمد على مشركي **العرب** يقولون اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم فلما بعث الله محمدا ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسد **للعرب** وهم يعلمون أنه رسول الله فأنزل الله هذه الآيات: ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾.

وروى ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ثم الظفري عن رجال من قومه قالوا: "ومما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله وهداه أنا كنا نسمع من رجال يهود كنا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل الكتاب عندهم علم ليس عندنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث الآن." (٢)

"ص -١٠٥- الحصن رد ذلك عليهم.

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس عن أبي سفيان بن حرب لما حدثه عن هرقل وقد تقدم حديثه في أول الكتاب وذكر فيه أن هرقل لما سأله عن صفات رسول الله قال: إن يكن ما تقول حقا أنه نبي قد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظنه منكم ولو أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه.

وزاد البخاري في حديثه وقال ابن الناطور وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم فنظر فقال إن ملك الختان قد

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٠٥/٦

(٢) الجواب الصحيح لمن ب د ل دين المسيح، ١٠٦/٦

ظهر فمن يختتن من هذه الأمة قال تختتن اليهود فلا يهمنك شأنهم وابعث إلى من في مملكتك من اليهود فيقتلوهم ثم وجد إنسانا من العرب فقال: انظروا أمختتن هو فنظروا فإذا هو مختتن وسأله عن العرب فقال يختتنون وقال فيه وكان برومية صاحب له كان هرقل نظيره في العلم فأرسل إليه وصار إلى حمص فلم يرم من حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأيه على خروج النبي وأنه نبي.

وكذلك النجاشي ملك الحبشة لما هاجر الصحابة إليه لما آذاهم المشركون وخافوا أن يفتنوهم عن دينهم وقرؤوا عليه القرآن قال فأخذا عودا بين أصبعيه فقال ما عدا." (١)

"ص -١١٣- سبع مائة سنة.

ومعلوم أن هذا المدعى للنبوة سواء كان صادقا أو كاذبا لا بدأن يخبر به الأنبياء فإنهم أخبروا بظهور الدجال الكذاب تحذيرا للناس مع أن الدجال مدته قليلة فلو كان ما يقوله المكذب لمحمد حقا وأنه كاذب ليس برسول لكانت فتنته أعظم من فتنة الدجال من وجوه كثيرة لأن الذين اتبعوه أضعاف أضعاف من يتبع الدجال فلو كان كاذبا لكان الذين افتتنوا به أضعاف أضعاف من يفتتن بالدجال فكان التحذير منه أولى من التحذير من الدجال إذ ليس في العالم من زمان آدم إلى اليوم كذاب ظهر ودام هذا الظهور والدوام فكيف تغفل الأنبياء التحذير عن مثل هذا لو كان كاذبا.

وإذا كان صادقا فالبشارة للإيمان به أولى ما يبشر به الأنبياء من المستقبلات ويخبر به فعلم أنه لا بد أن يكون في الكتب ذكره ثم قد وجد مواضع كثيرة في الكتب تزيد على مائة موضع استدلوا بها على أنه مذكور وتواتر عن خلق كثير من أهل الكتاب أنه موجود في كتبهم وتواتر عن كثير ممن أسلم أنه كان سبب إسلامهم أو من أعظم سبب إسلامهم علمهم بذكره في الكتب المتقدمة إما بأنه وجد ذكره في الكتب كحال كثير ممن أسلم قديما وحديثا وأما بما ثبت عندهم من أخبار أهل الكتاب كالأنصار فإنه كان من أعظم أسباب إسلامهم ما كانوا يسمعونه من جيرانهم أهل الكتاب من ذكره ونعته وانتظارهم إياه وأن من خيارهم من لم يوجب له أن يسكن أرض يثرب مع شدتها ويدع أرض الشام مع رخائها إلا لانتظاره لهذا النبي العربي الذي يبعث من ولد إسماعيل.

ولم يمكن أحد قط أن ينقل عن شيء من الكتب أنه وجد فيها ذكره بالذم والتكذيب والتحذير كما يوجد

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١١٣/٦

ذكر الدجال وعند أهل الكتاب من ذكر أصحابه كعمر بن الخطاب وغيره وعدلهم وسيرتهم عن المسيح وغيره ما هو معروف عندهم فإذا كان الذين." (١)

"ص -١١٨- فصل

ومما ينبغي أن يعرف ما قد نبهنا عليه غير مرة أن شهادة الكتب المتقدمة لمحمد إما شهادتها بنبوته وأما شهادتها بمثل ما أخبر به هو من الآيات البينات على نبوته ونبوة من قبله وهو حجة على أهل الكتاب وعلى غير أهل الكتاب من أصناف المشركين الملحدين كما قد ذكر الله هذا النوع من الآيات في غير موضع من كتابه.

كما في قوله تعالى: ﴿أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ وقوله: ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾.

وقوله: ﴿قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾.

وقوله: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾.

وقوله: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين﴾.

وقوله: ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا﴾ وذلك مثل قوله في التوراة ما قد ترجم **بالعربية** جاء الله من طور سينا وبعضهم يقول." (٢)

"ص -١٢٦- ومعلوم باتفاق الأمم والنقل أن إسماعيل تربى بأرض مكة فعلم أنها فاران وأنه هو وإبراهيم بنيا البيت الذي ما زال محجوجا من عهد إبراهيم تحجه **العرب** وغير **العرب** من الأنبياء وغيرهم كما حج إليه موسى بن عمران ويونس بن متى كما في الصحيح من رواية ابن عباس أن رسول الله مر بوادي الأزرق فقال: "أي واد هذا" فقالوا هذا وادي الأزرق فقال: "كأني أنظر إلى موسى هابطا من الثنية واضعا إصبعيه في أذنيه له جؤار إلى الله عز وجل بالتلبية مارا بهذا الوادي" قال ثم سرنا حتى أتينا على ثنية فقال: "أي ثنية هذه" قالوا هرشى فقال: "كأني أنظر إلى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف خطام ناقته ليف

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٢١/٦

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٢٦/٦

خلبة مارا بهذا الوادي ملبيا" وفي رواية: "أما موسى فرجل آدم جعد على جمل أحمر مخطوم بخلبة".." (١)

"ص -١٣٣- الثاني حيث أفسدوا في الأرض مرتين ومن حينئذ زال ملكهم وقطعهم الله في الأرض أمما وكانوا تحت حكم الروم والفرس لم يكن **للعرب** عليهم حكم أكثر من غيرهم فلم يكن لولد إسماعيل سلطان على أحد من الأمم لا أهل الكتاب ولا الأميين فلم يكن يد ولد إسماعيل فوق الجميع حتى بعث الله محمدا الذي دعا به إبراهيم وإسماعيل حيث قالا.

﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾فلما بعث صار يد ولد إسماعيل فوق الجميع فلم يكن في الأرض سلطان أعز من سلطانهم وقهروا فارس والروم وغيرهم من الأمم وقهروا اليهود والنصارى والمجوس والمشركين والصابئين فظهر بذلك تحقيق قوله في التوراة وتكون يده فوق الجميع ويد الكل به وهذا أمر مستمر إلى آخر الدهر.

فإن قيل هذه بشارة بملكه وظهوره قيل الملك ملكان ملك ليس فيه دعوى نبوة وهذا لم يكن لبني إسماعيل على الجميع وملك صدر عن دعوى نبوة فإن كان مدعي النبوة كاذبا.

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء﴾.

وهذا من شر الناس وأكذبهم وأظلمهم وأفجرهم وملكه شر من ملك الظالم الذي لم يدع نبوة ك بختنصر وسنجاريب.

ومعلوم أن الإخبار بهذه لا يكون بشارة ولا تفرح سارة وإبراهيم بهذا كما لو قيل يكون جبارا طاغيا يقهر الناس على طاعته ويقتلهم ويسبي حريمهم ويأخذ أموالهم بالباطل فإن الإخبار بهذا لا يكون بشارة ولا يسر المخبر بذلك وإنما يكون بشارة تسره إذا كان ذلك يعدل وكان علوه محمودا لا إثم فيه وذلك في مدعي النبوة لا يكون إلا وهو صادق لا كاذب." (٢)

"ص -١٣٨- المسلمين وبهذا يظهر تقصير من فسر ذلك بتلبية الحجاج.

وفي الصحيحين عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أنه كان إذا أراد الإغارة إن سمع أذانا أو رأى مسجدا وإلا أغار".

وفي لفظ مسلم: "كان يغير إذا طلع الفجر وكان يستمع الأذان فإن سمع أذانا أمسك وإلا أغار".

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٣٥/٦

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٤٢/٦

فسمع رجلا يقول الله أكبر الله أكبر فقال رسول الله: "على الفطرة ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله فقال خرجت من النار".

وكذلك قوله بأيديهم سيوف ذات شفرتين وهي السيوف **العربية** التي بها فتح الصحابة وأتباعهم البلاد وقوله يسبحونه على مضاجعهم بيان لنعت المؤمنين الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويصلي أحدهم قائما فإن لم يستطع فقاعدا فإن لم يستطع فعلى جنب فلا يتركون ذكر الله في حال بل يذكرونه حتى في هذه الحال ويصلون في البيوت على المضاجع بخلاف أهل الكتاب.

والصلاة أعظم التسبيح كما في قوله تعالى: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون﴾.

وقوله: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾.

وفي الصحيحين عن جرير بن عبد الله قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نظر." (١)

"ص -١٤٣- لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما﴾ سورة النساء. وقال تعالى: ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا﴾.

فذكره مفردا.

وذكر كتاب موسى بهذه الإضافة لا بلفظ التوراة في غير موضع فقال: ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾.

وقال: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

إلى قوله﴿ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا **عربيا** لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين﴾.

وقوله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس﴾.

وقال تعالى: ﴿ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن﴾.

وإذا كان لفظ التوراة يتناول الكتب الذي عند أهل الكتابين جميعا والزبور وغيره داخل في هذا الاسم وكان ظهور اسمه ونعته في التوراة ووجودهم ذلك فيما عندهم وتكرره في غاية القوة وكان معرفتهم لذلك كما

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٤٧/٦

يعرفون أبناءهم واضحا بينا إن قدر هذه الكتب التي يعترف بها عامتهم لم يكتم منها شيء بل هي باقية كما كانت." (١)

"ص -١٤٤- فصل

وقالوا قال داود في مزموره لترتاح البوادي وقراها ولتصر أرض قيذار مروجا وليسبح سكان الكهوف ويهتفوا من قلل الجبال بحمد الرب ويذيعوا تسابيحه في الجزائر.

فلمن البوادي من الأمم سوى أمة محمد ومن قيذار سوى ابن إسماعيل جد رسول الله ومن سكان الكهوف وتلك الجبال سوى **العرب**." (٢)

"ص -١٤٦- وهو يصلى عليه ويبارك في كل حين في كل صلاة في الصلوات الخمس وغيرها يقول كل من أمته اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد فيصلي عليه ويبارك ومنه خرت أهل الجزائر بين يديه أهل جزيرة **العرب** وأهل الجزيرة التي بين الفرات ودجلة وأهل جزيرة قبرص وأهل جزيرة الأندلس.

وخضعت له ملوك الفرس فلم يبق منهم إلا من أسلم أو أدى الجزية عن يد وهم صاغرون بخلاف ملوك الروم فإن فيهم من لم يسلم ويؤدي الجزية فلهذا خص ملوك فارس ودانت له الأمم التي تعرفه وتعرف أمته كانت إما مؤمنة به أو مسلمة له منافقة أو مهادنة مصالحة أو خائفة منهم وأنقذ الضعفاء من الجبارين.

وهذا بخلاف المسيح فإنه لم يتمكن هذا التمكن في حياته ولا من اتبعه بعد موته تمكنوا هذا التمكن ولا حازوا ما ذكر ولا صلي عليه وبورك عليه في اليوم والليلة فإن القوم يدعون إلآهيته." (٣)

"ص -١٦٤- فصل

قالوا وقال حزقيال وهو يهدد اليهود ويصف لهم أمة محمد وإن الله مظهرهم عليكم وباعث فيكم نبيا ومنزل عليهم كتابا ومملكهم رباقكم فيقهرونكم ويذلونكم بالحق ويخرج رجال بني قيدار في جماعات الشعوب معهم ملائكة على خيل بيض متسلحين محيطون بكم وتكون عاقبتكم إلى النار نعوذ بالله من النار.

وذلك أن رجال بني قيدار هم ربيعة ومضر أبناء عدنان وهما جميعا من ولد قيدار بن إسماعيل **والعرب** كلهم منبني عدنان وبني قحطان فعدنان أبو ربيعة ومضر وأنمار من ولد إسماعيل باتفاق الناس وأما قحطان

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٥٣/٦

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٥٤/٦

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين الم سيح، ١٥٦/٦

فقيل هم من ولد إسماعيل وقيل هم من ولد هود ومضر ولد إلياس بن مضر وقريش هم من ولد إلياس بن مضر وهوازن مثل عقيل وكلاب وسعد بن بكر وبنو نمير وثقيف وغيرهم هم من ولد إلياس بن مضر.." (١)

"ص -١٧٣- الكذاب الذي سمعتم به وهو الآن في العالم.

وقال شمعون الصفا رئيس الحواريين في كتاب فركسيس أنه قد حان أن يبتدىء الحكم من بيت الله ابتداء. قلت وهذا اللفظ لفظ الفارقليط في لغتهم ذكروا فيه أقوالا قيل إنه الحماد وقيل إنه الحامد وقيل إنه المعز وقيل إنه الحمد ورجح هذا طائفة وقالوا الذي يقوم عليه البرهان في لغتهم إنه الحمد والدليل عليه قول يوشع من عمل حسنة تكون له فارقليط جيد أي حمد جيد وقولهم المشهور في تخاطبهم فارقليط وفارقليطان وما زاد على الجميع أي حمد ومنه كما نقول نحن يد ومنة ومن قال معناه المخلص فيحتجون بأنها كلمة سريانية ومعناها المخلص وقالوا هو مشتق من قولنا راوف ويقال بالسريانية فاروق فجعل فارق قالوا ومعنى ليط كلمة تزاد والتقدير كما يقال في **العربية** رجل هو وحجر هو وبدر هو وذكر هو قالوا وكذلك يزاد في السريانية ليط والذين قالوا هو المعز قالوا هو في لسان اليونان المعز.

ويعترض على هذين القولين بأن المسيح لم تكن لغته سريانية ولا يونانية بل عبرانية ويجاب عنه بأنه تكلم بالعبرانية وترجم عنه بلغة أخرى كما أملوا أحد الأناجيل باليونانية والآخر بالرومية وواحدا بقي عبرانيا وأكثر." (٢)

"ص -١٧٩- وأيضا فقال ويعرفكم جميع ما للرب فبين أنه يعرف الناس جميع ما لله وذلك يتناول ما لله من الأسماء والصفات وما له من الحقوق وما يجب من الإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله بحيث يكون ما يأتي به جامعا لكل ما يستحقه الرب.

وهذا لم يأت به أحد غير محمد حيث يتضمن ما جاء به من الكتاب والحكمة هذا كله ومعلوم أن ما نزل على الحواريين لم يكن فيه هذا كله ولا نصفه ولا ثلثه بل ما جاء به المسيح أعظم مما جاء به الحواريون وهذا الفارقليط الثاني جاء بأعظم مما جاء به المسيح.

وأيضا فالمسيح قال إذا جاء الفارقليط الذي أرسله أبي هو يشهد لي قلت لكم هذا حتى إذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا فيه فبين أنه أخبرهم به ليؤمنوا به إذا جاء ولا يشكوا فيه وأنه يشهد له وهذه صفة من بشر به المسيح ويشهد للمسيح كما قال تعالى: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٧٤/٦

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٨٣/٦

مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾.
وأخبر أنه يوبخ العالم على الخطيئة ولم يوجد أحد وبخ جميع العالم على الخطيئة إلا محمد فإنه أنذر جميع العالم من أصناف الناس ووبخهم على الخطيئة من الكفر والفسوق والعصيان وبخ جميع المشركين من **العرب** والهند والترك وغيرهم ووبخ المجوس وكانت مملكتهم أعظم الممالك ووبخ أهل الكتابين اليهود والنصارى وقال في الحديث الصحيح عنه إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم **عربهم** وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب لم يقتصر على مجرد الأمر والنهي بل وبخهم." (١)

"ص -١٩٧- ولهذا قال: ﴿أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض﴾.
فأخبر أن هذا من علم من يعلم السر إذ كان البشر لا يعلمون ذلك إلا من جهة إخبار الأنبياء وليس بمكة من يعلم ما أخبرت به الأنبياء.
ثم ذكر ما اقترحوه فقال سورة الفرقان الآيتان﴿وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا﴾.
أمر بالنظر في كيفية ما ضربوه من الأمثال حيث شبهوه بمن يظهر الفرق بينه وبينه ظهورا لا يخفى على الناظر ولهذا قال: ﴿فضلوا فلا يستطيعون سبيلا﴾.
إذا كان ظاهرا أن هذا ضلال عن طريق الحق فلا يستطيع الضال عن طريق الحق إليه سبيلا.
وقال تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان **عربي** مبين﴾ سورة النحل
فأخبر عما افتراه بعضهم من قوله إنما يعلمه هذا القرآن." (٢)

"ص -١٩٨- يحسن أن يتكلم بلسان العجمي وذاك لا يحسن أن يتكلم بهذا الكلام **العربي** فلما قالوا إنه افترى هذا القرآن وأنه علمه إياه بشر قال تعالى: ﴿لسان الذي يلحدون﴾.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١٨٩/٦
(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢١١/٦

أي يضيفون إليه هذا التعليم وينسبونه إليه وعبر عنه بلفظ الإلحاد لما فيه من الميل فقال لسان هذا الشخص الذي قالوا إنه يعلمه القرآن لسان أعجمي وهم لم يمكنهم أن يضيفوا هذا التعليم إلى رجل **عربي** بل إلى هذا الأعجمي لكونه كان يجلس أحيانا إلى النبي وذلك الأعجمي لا يمكنه التكلم بهذا الكلام **العربي** بل هو أعجمي ومحمد لا يعرف بالعجمية لكن غاية ذلك الأعجمي كعبد بني الحضرمي أن يعرف قليلا من كلام **العرب** الذي يحتاج إليه في العادة مثل الألفاظ التي يحتاج إليها في غالب الأوقات كلفظ الخبز والماء والسماء والأرض ولا يعرف أن يقرأ سورة واحدة من القرآن.

فبين سبحانه ظهور كذبهم فيما افتروه ولم يقل أحد منهم ما يمكن أن يكون شبهة من تعلمه أنباء الغيب من علماء أهل الكتاب ونحو ذلك وإنما قالوا ما ظهر بطلانه لكل أحد ولم ينقل عن أحد منهم أنه قال قولا يخفى بطلانه بل ما يظهر كذبه لكل أحد.

فتبين أنه لم يمكنهم أن يقولوا إنه تعلم أخبار الغيوب من أحد وهذه القصة قصة نوح لا سيما قصته في سورة هود كما تقدم لا يعلمها إلا نبي أو من تلقاها عن نبي فإذا عرف أنه لم يتلقاها عن أحد علم أنه نبي ولهذا قال تعالى: في آخرها.

﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾.

والقول في سائر القصص كالقول فيها.

وكما قال في سورة يوسف: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾.." (١)

"ص -٢٠١- قال تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ فلما خرج من بينهم بالهجرة أتاهم الله بعذاب أليم يوم بدر وغيره فقوله: ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾.

إشارة إلى سعيهم في إفساد إرادته.

وقوله: ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض﴾.

إشارة إلى سعيهم في تعجيزه.

وقال تعالى: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾.

بين سبحانه من حاله ما يعلمه العامة والخاصة وهو معلوم لجميع قومه الذين شاهدوه متواتر عند من غاب عنه وبلغته أخباره من جميع الناس أنه كان أميا لا يقرأ كتابا ولا يحفظ كتابا من الكتب لا المنزلة ولا غيرها

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢١٣/٦

ولا يقرأ شيئا مكتوبا لا كتابا منزلا ولا غيره ولا يكتب بيمينه كتابا ولا ينسخ شيئا من كتب الناس المنزلة ولا غيرها.

ومعلوم أن من يعلم من غيره إما أن يأخذ تلقينا وحفظا وأما أن يأخذ من كتابه وهو لم يكن يقرأ شيئا من الكتب من حفظه ولا يقرأ مكتوبا والذي يأخذ من كتاب غيره إما أن يقرأه وأما أن ينسخه وهو لم يكن يقرأ ولا ينسخ.

وقال تعالى: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان **عربي** مبين وإنه لفي زبر الأولين أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾.

إلى قوله: ﴿وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إني بريء." (١)

"ص -٢١٧- مكة وسمع من قوله ثم رجع إلى أبي ذر فقال رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلاما ما هو بالشعر.

فقال ما شفيتني فيما أردت فتزود وحمل شنه له فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد وذكر تمام الحديث.

وعن جابر بن عبد الله قال الملأ وأبو جهل لبد غلبنا أمرم حمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فأتاه فكلمه وأتانا ببيان من أمره.

قال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما فما يخفى علي إن كان كذلك فأتاه فلما خرج إليه قال أنت يا محمد خير أم هاشم وأنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فيما تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا فإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا لك الرياسة فكنت رأسنا ما بقيت وإن كان بك الباه زوجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش شئت وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به أنت وعقبك من بعد ورسول الله ساكت لا يتكلم فلما فرغ قرأ رسول الله: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا **عربيا** لقوم يعلمون﴾.

إلى قوله: ﴿فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾.

فأمسك عتبة على فيه وناشد بالرحم أن يكف ورجع إلى أهله فلم يخرج إلى قريش فاحتبس عنهم عتبة فقال

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢١٧/٦

أبو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه وما ذاك إلا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا إليه فأتاه أبو." (١)

"ص -٢١٨- جهل فقال يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك صبوت إلى محمد وأعجبك أمره فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب وأقسم أن لا يكلم محمد أبدا وقال لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر.

﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا **عربيا** لقوم يعلمون﴾إلى قوله: ﴿أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾.

فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب" رواه أبو بكر أحمد بن مردويه في كتاب التفسير عن محمد بن فضيل عن الأجلح عن الذيال بن حرملة عنه ورواه يحيى ابن معين عن محمد بن فضيل ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده ورواه." (٢)

"ص -٢١٩- عبد بن حميد عن شيخ أبي يعلى ابن أبي شيبة.

وفي بعض الطرق إن كنت تزعم أن هؤلاء خيرا منك فقد عبدوا الآلهة وإن كنت تزعم أنك خيرا منهم فتكلم حتى نسمع ورواه ابن إسحاق قال حدثني يزيد بن زياد مولى لبني هاشم عن محمد بن كعب قال حدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيدا حليما وذكر الحديث إلى أن قال لما جلس إليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال ورائي أني والله قد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ فإن تصيبه **العرب** فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على **العرب** فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به فقالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم ثم ذكر شعر أبي طالب يمدح عتبة فيما قال." (٣)

"ص -٢٢٢- وفي رواية أخرى أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال إن وفود **العرب** ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأيا واحدا

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٣٥/٦

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٣٦/٦

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل د ين المسيح، ٢٣٧/٦

ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ويرد بعضكم قول بعض فقالوا فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقوم به فقال بل أنتم فقولوا وأنا أسمع فقالوا نقول كاهن فقال ما هو بكاهن لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكهان فقالوا نقول مجنون فقال ما هو بمجنون لقد رأينا المجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر فقال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريظه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر قالوا فنقول ساحر قال فما هو بساحر قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده فقالوا ما نقول يا أبا عبد شمس قال والله إن لقوله حلاوة وإن أصله لغدق وإن فرعه لجنى فما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل وإن أقرب القول أن تقولوا ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه وبين المرء وبين أخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه." (١)

"ص -٢٣٨- فصل

ولما كان محمد رسولا إلى جميع الثقلين جنهم وإنسهم عربهم وعجمهم وهو خاتم الأنبياء لا نبي بعده كان من نعمة الله على عباده ومن تمام حجته على خلقه أن تكون آيات نبوته وبراهين رسالته معلومة لكل الخلق الذين بعث إليهم وقد يكون عند هؤلاء من الآيات والبراهين على نبوته ما ليس عند هؤلاء.

وكان يظهر لكل قوم من الآيات النفسية والأفقية ما يبين به أن القرآن حق كما قال تعالى: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾.

أخبر سبحانه أنه سيري عباده الآيات في أنفسهم وفي الآفاق حتى يتبين لهم أن القرآن حق فإن الضمير عائد إليه إذ هو الذي تقدم ذكره كما قال: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد﴾.

والضمير في كان عائد إلى معلوم.

يقول أرأيتم إن كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد فإنه على هذا التقدير يكون الكافر في شقاق بعيد قد شاق الله ورسوله ولا أحد أضل ممن هو في مثل هذا الشقاق حيث كان في شق والله ورسوله في شق كما قال تعالى: ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٤٠/٦

له مسلمون فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع." (١)

"ص -٢٤١- وعدم الفعل مع كمال الداعي يستلزم عدم القدرة فلما كان دواعي **العرب** وغيرهم على المعارضة تامة علم عجز جميع الأمم عند معارضته وهذا برهان ثان يعلم به صدق هذا الخبر وصدق هذا الخبر آية لنبوته غير العلم بأن القرآن معجز فإن ذلك آية مستقلة لنبوته وهي آية ظاهرة باقية إلى آخر الدهر معلومة لكل أحد وهي من أعظم الآيات.

فإن كونه معجزا يعلم بأدلة متعددة والإعجاز فيه وجوه متعددة فتنوعت دلائل إعجازه وتنوعت وجوه إعجازه وكل وجه من الوجوه هو دال على إعجازه وهذه جمل لبسطها تفصيل طويل ولهذا قال تعالى: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾.

فهو كاف في الدعوة والبيان وهو كاف في الحجة والبرهان." (٢)

"ص -٢٥٠- القرآن بحيلة وبغير حيلة وهذا أبلغ من الآيات التي يكرر جنسها كإحياء الموتى فإن هذا لم يأت أحد بنظيره وكون القرآن أنه معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط أو نظمه وأسلوبه فقط ولا من جهة إخباره بالغيب فقط ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط ولا من جهة سلب قدرتهم على معارضته فقط بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة من جهة اللفظ ومن جهة النظم ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك.

ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي وعن الغيب المستقبل ومن جهة ما أخبر به عن المعاد ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية والأقيسة العقلية التي هي الأمثال المضروبة كما قال تعالى: ﴿ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا﴾.

وقال تعالى: ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الأنسان أكثر شيء جدلا﴾.

وقال: ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا **عربيا** غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٦/٢٦٠

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٦/٢٦٤

وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن هو حجة على إعجازه ولا تناقض في ذلك بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له.

ومن أضعف الأقوال قول من يقول من أهل الكلام إنه معجز بصرف الدواعي مع تمام الموجب لها أو بسلب القدرة التامة أو بسلبهم القدرة المعتادة في مثله سلبا عاما مثل قوله تعالى لزكريا.

﴿آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا﴾.

وهو أن الله صرف قلوب الأمم عن معارضته مع قيام المقتضي التام فإن هذا يقال على سبيل التقدير والتنزيل وهو أنه إذا قدر أن هذا الكلام يقدر الناس على الإتيان بمثله فامتناعهم جميعهم عن هذه." (١)

"ص -٢٥٣- فثبت أنه على كل تقدير يستلزم كونه خارقا للعادة.

وأما التفصيل فيقال نفس نظم القرآن وأسلوبه عجيب بديع ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة ولم يأت أحد بنظير هذا الأسلوب فإنه ليس من جنس الشعر ولا الرجز ولا الخطابة ولا الرسائل ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس **عربهم** وعجمهم ونفس فصاحة القرآن وبلاغته هذا عجيب خارق للعادة ليس له نظير في كلام جميع الخلق وبسط هذا وتفصيله طويل يعرفه من له نظر وتدبر ونفس ما اخبر به القرآن في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته أمر عجيب خارق للعادة لم يوجد مثل ذلك في كلام بشر لا نبي ولا غير نبي.

وكذلك ما أخبر به عن الملائكة والعرش والكرسي والجن وخلق آدم وغير ذلك ونفس ما أمر به القرآن من الدين والشرائع كذلك ونفس ما أخبر به من الأمثال وبينه من الدلائل هو أيضا كذلك.

ومن تدبر ما صنفه جميع العقلاء في العلوم الإلهية والخلقية والسياسية وجد بينه وبين ما جاء في الكتب الإلهية التوراة والإنجيل والزبور وصحف الأنبياء وجد بين ذلك وبين القرآن من التفاوت أعظم مما بين لفظه ونظمه وبين سائر ألفاظ **العرب** ونظمهم.

فالإعجاز في معناه أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه وجميع عقلاء الأمم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه أعظم من عجز **العرب** عن الإتيان بمثل لفظه

وما في التوراة والإنجيل ولو قد أنه مثل القرآن لا يقدح في المقصود فإن تلك كتب الله أيضا ولا يمتنع أن يأتي نبي بنظير آية نبي كما أتى المسيح بإحياء الموتى وقد وقع." (٢)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٧٧/٦

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٨٢/٦

"ص -٢٥٦- ثم اتبعه أتباع الأنبياء وهم ضعفاء الناس وكذبه أهل الرياسة وعادوه وسعوا في هلاكه وهلاك من اتبعه بكل طريق كما كان الكفار يفعلون بالأنبياء وأتباعهم والذين اتبعوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرهبة فإنه لم يكن عنده مال يعطيهم ولا جهات يوليهم إياها ولا كان له سيف بل كان السيف والمال والجاه مع أعدائه وقد آذوا أتباعه بأنواع الأذى وهم صابرون محتبسون لا يرتدون عن دينهم لما خالط قلوبهم من حلاوة الإيمان والمعرفة وكانت مكة يحجها **العرب** من عهد إبراهيم فتجتمع في الموسم قبائل **العرب** فيخرج إليهم يبلغهم الرسالة ويدعوهم إلى الله صابرا على ما يلقاه من تكذيب المكذب وجفاء الجافي وإعراض المعرض إلى أن اجتمع بأهل يثرب وكانوا جيران اليهود قد سمعوا أخباره منهم وعرفوه فلما دعاهم علموا أنه النبي المنتظر الذي تخبرهم به اليهود وكانوا قد سمعوا من أخباره ما عرفوا به مكانته فإن أمره كان قد انتشر وظهر في بعض عشرة سنة فآمنوا به وبايعوه على هجرته وهجرة أصحابه إلى بلدهم وعلى الجهاد معه فهاجر هو ومن اتبعه إلى المدينة وبها المهاجرون والأنصار ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ولا برهبة إلا قليلا من الأنصار أسلموا في الظاهر ثم حسن إسلام بعضهم ثم أذن له في الجهاد ثم أمر به ولم يزل قائما بأمر الله على أكمل طريقة وأتمها من الصدق والعدل والوفاء لا يحفظ له كذبة واحدة ولا ظلم لأحد ولا غدر بأحد بل كان أصدق الناس وأعدلهم وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الأحوال عليه من حرب وسلم وأمن وخوف وغنى وفقر وقلة وكثرة وظهوره على العدو تارة وظهور العدو عليه تارة وهو على ذلك لازم لأكمل الطرق وأتمها حتى ظهرت الدعوة في جميع أرض **العرب** التي كانت مملوءة من عبادة الأوثان ومن أخبار الكهان وطاعة المخلوق في الكفر بالخالق وسفك الدماء المحرمة وقطيعة الأرحام لا يعرفون آخرة ولا معادا فصاروا أعلم أهل الأرض وأدينهم وأعدلهم وأفضلهم حتى أن النصارى لما رأوهم." (١)

"ص -٢٦٠- متعمدا للكذب أو مخطئا والأول يوجب أنه كان ظالما غاويا والثاني يقتضي أنه كان جاهلا ضالا وكمال علمه ينافي جهله وكمال دينه ينافي تعمد الكذب فالعلم بصفاته يستلزم العلم بأنه لم يكن متعمدا للكذب ولم يكن جاهلا يكذب بلا علم وإذا انتفى هذا وذاك تعين أنه كان صادقا عالما بأنه صادق ولهذا نزهه الله عن هذين الأمرين بقوله تعالى: ﴿والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾.

وقال تعالى عن الملك الذي جاء به: ﴿إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين﴾.

ثم قال عنه: ﴿وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالأفق المبين وما هو على الغيب بضنين﴾.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٦/٢٨٥

أي بمتهم أو بخيل كالذي لا يعلم إلا بجعل أو لمن يكرمه ﴿وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين﴾.

وقال تعالى: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان **عربي** مبين﴾.

إلى قوله: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون﴾.

بين سبحانه أن الشيطان إنما ينزل على من يناسبه ليحصل به غرضه فإن الشيطان يقصد الشر وهو الكذب والفجور ولا يقصد الصدق والعدل فلا يقترن إلا بمن فيه كذب إما عمدا وأما خطأ فإن الخطأ في الدين هو من الشيطان أيضا كما قال ابن مسعود لما سئل عن مسألة أقول فيها برأيي فإن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه." (١)

"ص -٢٨٠- فصل

ومما يبين به فضل أمته على جميع الأمم وذلك مستلزم لكونه رسولا صادقا كما تقدم وهو آية وبرهان على نبوته فإن كل ملزوم فإنه دليل على لازمه إن الأمم نوعان نوع لهم كتاب منزل من عند الله كاليهود والنصارى ونوع لا كتاب لهم كالهند واليونان والترك **وكالعرب** قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وما من أمة إلا ولا بد لها من علم وعمل بحسبهم ويقوم به ما يقوم من مصالح دنياهم وهذا من الهداية العامة التي جعلها الله لكل إنسان بل لكل حي كما يهدي الحيوان لجلب ما ينفعه بالأكل والشرب ودفع ما يضره باللباس والكن وقد خلق الله فيه حبا لهذا وبغضا لهذا قال تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى﴾وقال موسى ﴿ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ وقال في أول ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الأنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم عرلم الأنسان ما لم يعلم﴾ وقال تعالى: ﴿ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين﴾ ثم الأمم متفاضلون في معرفة الخالق تعالى وفي الإقرار بالمعاد بعد الموت إما للأرواح فقط وأما للأبدان فقط وأما لمجموعهما كما هو قول سلف الأمة المسلمين وأئمتهم وعامتهم أهل السنة والجماعة ومتفاضلون فيما يحمدونه ويستحسنونه من الأفعال والصفات وما يذمونه ويستقبحونه من ذلك لكن عامة بني آدم على أن

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٦/٢٩١

العدل خير من الظلم والصدق خير من الكذب والعلم خير من الجهل فإن المحسن إلى الناس خير من الذي لا يحسن إليهم." (١)

"ص -٢٨٣- من أهل الملل لا المسلمين ولا اليهود ولا النصارى بل هؤلاء كلهم متفقون على إعادة الأبدان وعلى القيامة الكبرى ولكن من تفلسف من هؤلاء فوافق سلفه من الصابئة والفلاسفة المشركين على ان المعاد للروح وحده فإنه يزعم أن الأنبياء خاطبوا الجمهور بمعاد الأبدان وإن لم يكن له حقيقة وخاطبوهم بإثبات الصفات لله وليس له حقيقة وأن الأنبياء لم يظهروا الحقائق للخلق وأنه لا يستفاد من أخبارهم معرفة شيء من صفات الله ولا معرفة شيء من أمر المعاد وحقيقة قولهم أن الأنبياء كذبوا للمصلحة وهؤلاء ملاحدة كفار عند المتبعين للأنبياء من المسلمين واليهود والنصارى وإن كان هؤلاء كثيرين موجودين فيمن يتظاهر بأنه من أهل الملل لظهور أديانهم وهو في الباطن على هذا الرأي وهؤلاء القائلون بمعاد الأرواح فقط منهم من يقول بأن الأرواح تتناسخ أما في أبدان الآدميين أو أبدان الحيوان مطلقا أو في موضع الأجسام النامية ومنهم من يقول بالتناسخ للأنفس الشقية فقط وكثير من محققيهم ينكر التناسخ والقول الرابع إنكار المعادين جميعا كما هو قول أهل الكفر من **العرب** واليونان والهند والترك وغيرهم والمتفلسفة أتباع أرسطو كالفارابي وأتباعه لهم في معاد الأرواح ثلاثة أقوال قيل بالمعاد للنفس العالمة والجاهلة وقيل بالمعاد للعالمة دون الجاهلة وقيل بإنكار الاثنين والفارابي نفسه قد قال الأقوال الثلاثة وبسط الكلام على هذه الأمور له موضع آخر إذ المقصود هنا أن كل ما عند أهل الكتاب بل وسائر أهل الأرض من علم نافع وعمل صالح فهو عند المسلمين وعند المسلمين ما ليس عند غيرهم في جميع المطالب التي تنال بها السعادة والنجاة وعقلاء جميع الأمم تأمر بالعدل ومكارم الأخلاق وتنهى عن الظلم والفواحش ولهم علوم إليهة وعبادات بحسبهم ويعظمون أهل العلم والدين منهم والهند واليونان والفرس في." (٢)

"ص -٣١٥- القدرة والتصرف الخارق للعادة والآيات إما من باب العلم والخبر والمكاشفة وأما من باب القدرة والتأثير والتصرف وفي القرآن من الإخبار بالمستقبلات شيء كثير كقوله تعالى: ﴿الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ فغلبت الروم

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣١١/٦

(٢) الجواب الصحيح لمن ب د ل دين المسيح، ٣١٤/٦

فارس في بضع سنين وقد ذكرنا تفصيل ذلك فيما مضى وكقوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾ وكان كما أخبر

وروى الدارمي عن أبي بن كعب قال: "لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة وآواهم الأنصار رمتهم **العرب** عن قوس واحدة وكانوا لا يبيتون إلا في السلاح ولا يصبحون إلا فيه فقالوا: ترون أنا نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف إلا الله عز وجل فنزلت ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات﴾ إلى آخر الآية وكان كذلك استخلف الله المؤمنين في الأرض ومكن لهم دينهم في مشارق الأرض ومغاربها." (١)

"ص -٣١٨- وكان كما أخبر به مات الوليد كافرا ومات أبو لهب كافرا وقال في سورة الفتح ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين﴾

وقال: ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا﴾

وقال: ﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما﴾ وهذا كله وقع كما أخبر فحصلت لهم الغنائم الكثيرة ودخلوا المسجد الحرام آمنين ودعيت الأعراب إلى قتال الروم والفرس يقاتلونهم أو يسلمون فلا بد من القتال أو الإسلام ليس هناك هدنة بلا قتال كما كان يكون قبل نزول الآية

وقال تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾ فدخل الناس في دين الله أفواجا بعد الفتح فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد **العرب** كلها موضع لم يدخله الإسلام

وقال تعالى عن المنافقين: ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم." (٢)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٥٢/٦

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٥٦/٦

"ص -٣٢٢- وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة قال فأتى النبي صلى الله عليه وسلم قوم من قبل المغرب عليهم ثياب الصوف فوافقوه عند أكمة فإنهم لقيام ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد قال: فقالت لي نفسي أئتهم فقم بينهم لا يغتالونه قال ثم قلت لعله نجي معهم فأتيتهم فقمت بينهم وبينه قال: فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي قال: "تغزون جزيرة **العرب** فيفتحها الله ثم فارس فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله ثم تغزون الدجال فيفتحه الله"

وروى البخاري عن عوف بن مالك قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة آدم فقال "أعدد ستا بين يدي الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس ثم موتان." (١)

"ص -٣٢٣- يأخذ فيكم كعقاص الغنم ثم استفاضة المال حتى يعطي الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ثم فتنة لا يبقى بيت من **العرب** إلا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية كل غاية إثنا عشر الفا"

قلت ففتح بيت المقدس بعد موته في خلافة عمر بن الخطاب ثم بعد ذلك وقع الطاعون العظيم بالشام طاعون عمواس في خلافة عمر أيضا ومات فيه معاذ بن جبل وأبو عبيدة بن الجراح وخلق كثير وكان ذلك أول طاعون وقع في الإسلام فكان ما أخبر به حيث أخذهم طاعون كعقاص الغنم ثم استفاض المال في خلافة عثمان بن عفان حتى كان أحدهم يعطى مائة دينار فيسخطها وكثر المال حتى كانت الفرس تشتري بوزنها ثم وقعت الفتنة العامة التي لم يبق بيت من **العرب** إلا دخلته لما قتل عثمان ووقعت الفتنة بين المسلمين أو الملوك، يوم الجمل ويوم صفين وفي الصحيحين عن خباب بن الارت قال شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلنا ألا تدعو الله لنا ألا تستنصر." (٢)

"ص -٣٣٧- قال: فقال رجل يا رسول الله أرأيت إن لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض قال:" يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج إن استطاع النجاء اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت" فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن كرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين أو إحدى الفئتين فضربني رجل بسيفه أو يجيء سهم فيقتلني قال" يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار"

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٦١/٦

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٦٢/٦

وفي صحيح أبي حاتم قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ويل **للعرب** من شر قد اقترب أو فتنة عمياء صماء بكماء القاعد فيها خير من الماشي والماشي خير من الساعي ويل للساعي فيها من الله يوم القيامة وفي الصحيحين عنه أنه قال إني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كمواقع القطر"

وفي الصحيحين من غير وجه أنه لما قال له ذو الخويصرة: يا محمد أعدل فإنك لم تعدل فقال: "ويحك قد خبت وخسرت إن لم اعدل"

فقال: بعض أصحابه دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنه يخرج من." (١)

"ص -٣٤٧- أبي طالب فقالوا إن ابن أخيك يقع في آلهتنا قال ما شأن قومك يشكونك يا ابن أخي قال: "يا عم إنما أردتهم على كلمة واحدة تدين لهم بها **العرب** وتؤدي إليهم بها العجم الجزية فقال وما هي قال: لا إله إلا الله فقاموا فقالوا أجعل الآلهة إلها واحدا قال ونزلت ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾ إلى قوله: ﴿إن هذا لشيء عجاب﴾"

وفي صحيح ابن حبان عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال لما أقبلت عائشة قربت ببعض مياه بني عامر طرقتهم ليلا فسمعت نباح الكلاب فقالت أي ماء هذا قالوا ماء الحوأب قالت ما أظنني رافعة قالوا مهلا يرحمك الله تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله بك قالت ما أظنني رافعة أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كيف بإحداكن ينبح عليها كلاب الحوأب"." (٢)

"ص -٤٢٥- فصل

النوع السابع في كفاية الله له أعداءه وعصمته له من الناس وهذا فيه آية لنبوته من وجوه منها أن ذلك تصديق لقوله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون﴾ فهذا إخبار الله بأنه يكفيه المشركين المستهزئين وأخبر أنه يكفيه أهل الكتاب بقوله: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾فأخبره الله أنه يكفيه هؤلاء الشاقين له من أهل الكتاب وأخبره أنه يعصمه من جميع الناس بقوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ فهذا خبر عام بأن الله يعصمه من

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٧٦/٦

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٨٦/٦

جميع الناس فكل من هذه الأخبار الثلاثة العامة قد وقع كما أخبز وفي هذا عدة آيات منها أنه كفاه أعداءه بأنواع عجيبة خارجة عن العادة المعروفة ومنها أنه نصره مع كثرة أعدائه وقوتهم وغلبتهم وأنه كان وحده جاهرا بمعاداتهم وسب آبائهم وشتم آلهتهم وتسفيه أحلامهم والطعن في دينهم وهذا من الأمور الخارقة للعادة والمستهزئون كانوا من أعظم سادات قريش وعظماء **العرب** وكان أهل مكة أهل الحرم أعز الناس وأشرفهم يعظمهم جميع الأمم

أما **العرب** فكانوا يدينون لهم وأما غيرهم من الامم فكانوا يعظمونهم به لا سيما." (١)

"ص -٥٣١- وقال تعالى: ﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ وقوله تعالى: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ يتناول خبر كل فاسق وإن كان كافرا لا يجوز تكذيبه إلا ببينة كما لا يجوز تصديقه إلا ببينة وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرية ويفسرونها **بالعربية** فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم فأما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه وأما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه وقولوا: ﴿آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾"

وهذا الذي دل عليه الكتاب والسنة من إمساك الإنسان عما لا يعلم انتفاؤه وثبوته هو مأثور عن غيره من الأنبياء كما جاء عن المسيح عليه السلام أنه قال الأمور ثلاثة أمر تبين رشده فاتبعوه وأمر تبين فيه فاجتنبوه وأمر اشتبه عليكم فكلوه إلى عالمه وعامة عقلاء بني آدم على هذا ولهذا لا يجوز أن يصدق بخبر منقول عن الرسول أو غيره إلا بدلالة تدل على صدقه ولا يجوز أن يكذبه إلا بدلالة تدل على كذبه وعلى هذا العلم والدين وقد تكلم العلماء وصنفوا كتبا كثيرة في الجرح والتعديل في الرجال والأحاديث فمن الناس من يعرف بالصدق والضبط فهذا هو العدل المقبول خبره ومنهم من يكون صدوقا لكنه قد لا يحفظ ولا يضبط فيقولون في مثل هذا هو صدوق تكلم فيه من قبل حفظه ومنهم من عرف بالكذب وإذا روى الحديث من هو سيء الحفظ أو من قد يكذب لم يحكموا بذلك الحديث ولم يثبتوه." (٢)

" دارا حسنة على أساس مغصوب فلما جاء صاحب الأساس ونازعه في الاساس وقلعه انهدمت تلك الدار

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤٦٥/٦

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٩٧/٧

وذلك كالفروع العظيمة المذكورة في كتاب الأيمان وبناها على ما كان المفرع يعتقده من مذهب أهل النحو الكوفيين فإن أصل باب الأيمان الرجوع إلى نية الحالف وقصده ثم إلى القرائن الحالية الدالة على قصده كسبب اليمين وما هيجها ثم إلى العرف الذي من عادته التكلم به سواء كان موافقا للغة **العربية** أو مخالفا لها فإن الأيمان وغيرها من كلام الناس بعضهم لبعض في المعاملات والمراسلات والمصنفات وغيرها تجمعها كلها دلالة اللفظ على قصد المتكلم ومراده وذلك متنوع بتنوع اللغات والعادات

وتختلف الدلالة بالقرائن الحالية والمقالية ثم إنما يستدل على مقصود الرجل إذا لم يعرف فإذا أمكن العلم بمقصوده يقينا لم يكن بنا حاجة إلى الشك لكن من الأمور ما لا تقبل من قائله إرادة تخالف الظاهر كما إذا تعلق به حقوق العباد كما في الأقارير ونحوها وهذا مقرر في موضعه وليس الغرض هنا إلا التمثيل

وإذا كان هذا أصل الأيمان فيقال لذلك المفرع إذا كان هذا أصل قصده الذي هو في أكثر المواضع يخالف مقتضى ما ذكرته من ." (١)

" للخلق خلافا لما دخل فيه الاتحادية من المتصوفة وغيرهم من الذين يقولون بالاتحاد معينا او مطلقا

ولهذا أنكر هؤلاء على الجنيد قوله هذا كما أنكره عليه ابن **العربى** الطائي كبير الاتحادية

قال أبو القاسم وأحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل ولائح الشواهد كما قال أبو محمد الجريري من لم يقف على علم التوحيد بشاهد من شواهده زلت به قدمه الغرور إلى مهواة التلف قال أبو القاسم يريد بذلك أن من ركن إلى التقليد ولم يتأمل دلائل التوحيد سقط عن متن النجاة ووقع في أسر الهلاك ." (٢)

" إلا جسم أو عرض اذالجوهر الفرد جزء من الجسم فهذا الكلام لا يوافقه ثم إنه في نفسه قد يقال هو من جنس الشطح لا حقيقة

فما الذي بالجسم ظهوره أهو الجسم أم غيره إن كان هو الجسم لم يصح أن يقال الذي ظهوره هو الجسم وإن كان غيره وسلم ذلك له فما الموجب لتخصيص ذلك بالكلام فيه دون الجسم والعرض يلزم الجسم أبين من لزومه ما ليس بجسم

---

(١) الاستقامة، ١/ ١٠

(٢) الاستقامة، ١/ ٩٣

ثم إذا قيل إن العرض يلزمه هو طريقة بعض أهل الكلام المحدث في الاستدلال على حدوث الأجسام بلزوم الأعراض لها وفي هذه الطريقة من الاضطراب ما قد ذكرناه في موضعه وليست هذه طريقة المشايخ والعارفين

" أحدهما أن الكلام على الإطلاق من غير إضافة إلى نفس وقلب أو نحو ذلك هل هو اسم لمجرد أو لمجرد الحروف أو لمجموع المعاني والحروف

هذا فيه ثلاثة أقوال فالقشيري وطائفة يقولون بالاول وطائفة أخرى من أهل الكلام والفقه **والعربية** تقول بالثاني وأما سلف الأمة وأئمتها فإنهم يقولون بالوسط وهو الثالث أن الكلام عند الإطلاق يتناول الحروف والمعاني جميعا

وقول النبي ص إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتلكم أو تعمل به يفرق بين الحديث المقيد بالنفس وبين الكلام المطلق

الثاني أن معنى الكلام الذي تطابقه العبارة هل هو من جنس العلوم والإرادات أم ليس من هذا الأحسن بل هو حقيقة أخرى وهذا فيه نزاع بين الطوائف المنتسبة إلى السنة والتي ليست منتسبة إليها ففي هؤلاء وهؤلاء من يقول بهذا وفي هؤلاء وهؤلاء من يقول بهذا

فتبين أن ما ذكره الجنيد من قول القلب ليس هو قول من يقول إن الكلام هو المعنى القائم بالنفس

وأما قول أبي القاسم إن هذا قول أهل الأصول بالعموم فلا ." (١)

" بهذه الأمور في غير هذا الموضع في مواضع

الوجه الثاني أن المراد بالقول في هذا الموضع القرآن كما جاء ذلك في قوله ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون سورة القصص ٥١ فإن القول الذي أمروا بتدبره هو الذي أمروا بأستماعه والتدبر بالنظر والاستدلال والاعتبار والاستماع فمن أمرنا بأستماع كل قول أو بأستماع القول الذي لم يشرع استماعه فهو بمنزلة من أمر بتدبر كل قول والنظر فيه أو بالتدبر للكلام الذي لم يشرع تدبره والنظر فيه فالمنحرفون في النظر والاستدلال بمثل هذه الأقوال من أهل الكلام المبتدع

---

(١) الاستقامة، ٢١١/١

وذلك أن اللام في لغة **العرب** هي للتعريف فتنصرف إلى المعروف عند المتكلم والمخاطب وهي تعم جميع المعروف فاللام في القول تقتضي التعميم والاستغراق لكن عموم ما عرفته وهو القول المعهود المعروف بين المخاطب والمخاطب ومعلوم ان ذلك هو القول الذي أثنى الله عليه وأمرنا بأستماعه والتدبر له واتباعه فإنه قال في أول هذه السورة تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فأعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين ." (١)

" وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا سورة الأنفال ٢

وقال تعالى وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول سورة الأعراف ٢٠٤ ٢٠٥

ثم قال بعد ذلك ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا **عربيا** غير ذي عوج لعلهم يتقون سورة الزمر ٢٧ ٢٨ فذكر القرآن وبين أنه قدر فيه من جميع المقاييس والأمثال المضروبة لأجل التذكير فدعى هنا إلى التذكير والاعتبار بما فيه من الأمثال وذلك يتضمن النظر والاستدلال والكلام المشروع كما أنه في الآية الأولى أثنى على أهل السماع له والوجد وذلك يتضمن السماع والوجد المشروع

ثم قال بعد ذلك فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للمتكبرين والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون سورة الزمر ٣٢ ٣٣

ذكر البخاري في صحيحه تفسير مجاهد وهو أصح تفسير التابعين قال والذي جاء بالصدق القرآن وصدق به المؤمن ." (٢)

" وفي الصحيح عن النبي ص أنه قال كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل إلا رمية بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبة امرأته فإنهن من الحق

والباطل من الأعمال هو ما ليس فيه منفعة فهذا يرخص فيه للنفوس التي لا تصبر على ما ينفع وهذا الحق في القدر الذي يحتاج إليه في الأوقات التي تقتضي ذلك الأعياد والأعراس وقدوم الغائب ونحو ذلك

---

(١) الاستقامة، ١/٢٢٢

(٢) الاستقامة، ١/٢٢٤

وهذه نفوس النساء والصبيان فهن اللواتي كن يغنين في ذلك على عهد النبي ص وخلفائه ويضربن بالدف وأما الرجال فلم يكن ذلك فيهم بل كان السلف يسمون الرجل المغنى مخنثا لتشبهه بالنساء ولهذا روى اقرأوا القرآن بلحون **العرب** وإياكم ولحون العجم والمخانيث والنساء ." (١)

" بالأنبياء والمرسلين وفيهم من يتفضل أيضا على الانبياء والمرسلين على أنواع من الكفر التي ليس هذا موضعها

وجماع الأمر انه صار فيه وفيما يتبعه في وسائل ذلك ومقاصده في موجوده ومقصوده في صفته ونتيجته ضد ما في السماع والعبادات الشرعية في وسائلها ومقاصدها موجودها ومقصودها صفتها ونتيجتها فذاك يوجب العلم والإيمان وهذا يوجب الكفر والنفاق ولهذا كان أعراب الناس أهل البوادي من **العرب** والترك والكرد وغيرهم أكثر استعمالا له من أهل القرى فإنهم كما قال الله تعالى الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله سورة التوبة ٩٧

ولهذا كان يحضره الشياطين كما أن سماع أهل الإيمان تحضره الملائكة وتنزل عليهم فيه الشياطين وتوحى إليهم كما تنزل الملائكة على المؤمنين وتقذف في قلوبهم ما امرهم الله فإن الملائكة تنزل عند سماع القرآن وعند ذكر الله

كما في الصحيح ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا غشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ." (٢)

" مهمان دار لمثل رسول يرد على الأمير والعيون الذين هم الجواميس ونحو ذلك ممن يتخذ له ضيافة ويوجد منه أخبار وكتب ويعطى ذلك ونحو ذلك

فإن الأف والنون في لغتهم جمع كما يقولون مسلمان وفقيهان وعالمان أي مسلمون وفقهاء وعلماء ونحو ذلك قولهم فراش خاناه أي بيت الفرس والفراش يسمونه باللفظ **العربي** ويقولون زرد خاناه أي بيت الزرد

وهذا الخاص هو عام في العرف يراد به بيت السلاح مطلقا وإن ذكر لفظ الزرد خاصة كما كان الصحابة يعبرون عن السلاح بالحلقة والحلقة هي الدروع المسرودة من السرد الذي يقال له الزرد فنقلت السين زايا وربما قالوا الحلقة والسلاح أي الدروع والسلاح

---

(١) الاستقامة، ٢٧٧/١

(٢) الاستقامة، ٣١٢/١

ولهذا لما صالح النبي ص من صالحه من يهود صالحهم على أن له الحلقة وفي السيرة كان في بني فلان وفلان من الأنصار الحلقة والحصون أي هم الذين لهم السلاح الذين يقاتلون بها والحصون التي يأوون إليها كما يكون لأمراء الناس من أصناف الملوك المعاقل والحصون والقلاع ولهم السلاح فإن هذه الأمور هي جنن القتال وبها يمتنع المقاتل والمطلوب بخلاف من لا سلاح له ولا حصن فإنه ممكن ." (١)

" فمن جعل شيئا من التخنث دينا أو طلب ذلك من الصبيان مثل تحسين الصبي صورته أو لباسه لأجل نظر الرجال واستمتاعهم بذلك في سماع وغير سماع أليس يكون مبدلا لدين الله من جنس الذي إذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون وإذا كانت الفاحشة العرب المشركين كشف عوارتهم عند الطواف لئلا يطوفون في ثياب عصوا الله فيها فكيف بما هو أعظم من ذلك

والمخنث قد يكون مقصوده معاشرة النساء ومباشرتهن وقد يكون تخنثه بمباشرة الرجال ونظرهم ومحبتهم وقد يجمع الأمرين وفي المتنسكين من الأقسام الثلاثة خلق كثير

وهؤلاء شر ممن يفعل هذه الأمور على غير وجه التدين فإن يوجد في الأمم الجاهلية من الترك ونحوهم من يتشبه فيهم من النساء بالرجال ومن يتشبه من الرجال بالنساء خلق عظيم حتى يكون لنسائهم من الإمرة والملك والطاعة والبروز للناس وغير ذلك مما هو من خصائص الرجال ما ليس لنساء غيرهم وحتى ان المرأة تختار لنفسها من شاءت من ممالكيها وغيرهم لقهرها للزوج وحكمها ويكون في كثير من صبيانهم من التخنث وتقريب الرجال له وإكرامه لذلك أمر عظيم حتى قد يغار بعض صبيانهم من النساء وحتى يتخذهم الرجال كالسراري لكن هم لا يفعلون ذلك تدينا فالذين يفعلون ذلك تدينا شر منهم فإنهم جعلوا دينا والفاحشة حسنة لا لما في ذلك من ميل الطباع فهكذا من جعل ." (٢)

" وإذا كان السماع نوعين سماع الرحمن وسماع الشيطان كان ما بينهما من أعظم الفرقان لكن الأقسام هنا أربعة إما أن يشتغل العبد بسماع الرحمن دون سماع الشيطان أو بسماع الشيطان دون سماع الرحمن أو يشتغل بالسماعين أو لا يشتغل بواحد منهما

فالأول حال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان

---

(١) الاستقامة، ٣٢٧/١

(٢) الاستقامة، ٣٧١/١

وأما الثاني فحال المشركين الذين قال الله فيهم وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية سورة الأنفال ٣٥ وهو حال من يتخذ ذلك دينا ولا يستمع القرآن فإن كان يشتغل بهذا السماع شهوة لا دينا ويعرض عن القرآن فهم الفجار والمنافقون إذا أبطنوا حال المشركين

وأما الذين يشتغلون بالسماعين فكثير من المتصوفة

والذين يعرضون عنهما على ما ينبغي كثير من المتعربة

فهذه النصوص المأثورة عن النبي ص التي فيها مدح الصوت الحسن بالقرآن والترغيب في هذا السماع فيحتج بها على المعرض عن هذا السماع الشرعي الإيماني لا يحتج بها على حسن السماع البدعي الشركي

بل الراغبون في السماعين جميعا والزاهدون في السماعين جميعا خارجون عن محض الاستقامة والشريعة القرآنية الكاملة هؤلاء ." (١)

" وقد قال تعالى عن المنافقين وإذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة سورة المنافقون ٤

وقال تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا سورة مريم ٧٤ والأثاث المال من اللباس ونحوه والرئي المنظر فأخبر ان الذين أهلكهم قبلهم كانوا أحسن صورا وأموالا لنتبين أن ذلك لا ينفع عنده ولا يعبأ به

وقال النبي ص لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى

وفي السنن عنه أنه قال البذاذة من الايمان

وأيضا فقد حرم علينا من لباس الحرير والذهب وآنية الذهب والفضة ما هو أعظم الجمال في الدنيا وحرم الله الفخر والخيلاء واللباس الذي فيه الفخر والخيلاء كإطالة الثياب ." (٢)

" ولا أثنوا على ما كان كذلك وكذلك العقلاء من جميع الأمم ولكن طائفة من المتفلسفة والمتصوفة تأمر بذلك وتثنى عليه لما فيه زعموا من إصلاح النفس ورياضتها وتهذيب الأخلاق واكتساب الصفات المحمودة من السماحة والشجاعة والعلم والفصاحة والاختيال ونحو ذلك من الأمور حتى أن طائفة من فلاسفة الروم والفرس ومن اتبعهم من العرب تأمر به وكذلك طائفة من المتصوفة حتى يقول أحدهم ينبغي

---

(١) الاستقامة، ١/٣٧٧

(٢) الاستقامة، ١/٤٢٦

للمريد أن يتخذ له صورة يجتمع قلبه عليها ثم ينتقل منها إلى الله وربما قالوا إنهم يشهدون الله في تلك الصورة ويقولون هذه مظاهر الجمال ويتأولون قوله ص إن الله جميل يحب الجمال على غير تأويله

فهؤلاء وأمثالهم ممن يدخل في ذلك يزعمون أن طريقهم موافق لطريق العقل والدين والخلق وإن اندرج في ذلك من الأمور الفاحشة ما اندرج

وهؤلاء لهم نصيب من قوله تعالى وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء سورة الأعراف ٢٨

لكن **العرب** الذين كانوا سبب نزول هذه الآية إنما كانت فاحشتهم التي قالوا فيها ما قالوا طوافهم بالبيت عراة لاعتقادهم أن ثيابهم التي ." (١)

" الاعراف ٢٨ فقولهم والله امرنا بها يقتضي انهم متدينون بها يرونها عبادة وطاعة كما كان مشركو **العرب** يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في الثياب التي عصينا الله فيها إلا الحمس قريش وحلفاؤها فكانوا يطوفون في ثيابهم وكان غيرهم قد يطوف في ثياب احمسى ان حصل له ذلك والا طاف عريانا حتى كانت المرأة تطوف عريانة وربما سترت فرجها بيدها وتقول ... اليوم يبدو بعضه او كله ... وما بدا منه فلا احله ...

وكان من طاف في ثيابه من الحمس القاها فسميت لقى وحرمت عليه

وكانوا ايضا في الاحرام لا يأكلون من الدهن الذي في الانعام ولهذا لما فتح النبي صلى الله عليه و سلم مكة وغزا تبوك ." (٢)

" ولهذا قال تعالى قل ان الله لا يأمر بالفحشاء سورة الاعراف ٢٨ فان الفحشاء قبيحة منكرة تنكرها القلوب بفطرتها والله لا يأمر بمنكر وهذا يقتضي ان الافعال القبيحة السيئة تكون على صفات تمنع معها ان الله يأمر بها وفي هذا نزاع معروف بين الناس بيناه في غير هذا الموضع

ثم قال اتقولون على الله ما لا تعلمون سورة الاعراف ٢٨ أي اتقولون انه امر بهذا وانتم لا تعلمون انه امر به اذ ليس معكم الا عادة ابائكم ودينكم وانتم لا تعلمون ان الله انزل بهذا سلطانا

---

(١) الاستقامة، ٤٤٩/١

(٢) الاستقامة، ١٧٢/٢

فهذه الاية يدخل فيها كل من تعبد بفاحشة وامر منكر وان احتج بالعادة التي لسلفه او زعم ان الله يأمر بذلك او لما يذكره من الاسباب كقول مشركي **العرب** هذه الثياب عصينا الله فيها فلا نطوف له فيها يريدون وقت العبادة ان يجتنبوا ثياب المعصية

وكذلك تقسيمهم الناس الى قسمين حمس وغير حمس ." (١)

" وقال بعض **العرب** في صفة النبي صلى الله عليه و سلم يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر

ولما كان الشيطان يدعوالناس عند هذين النوعين الى تعدي الحدود بقلوبهم واصواتهم وايديهم نهى النبي صلى الله عليه و سلم عن ذلك فقال لما قيل له لما رأى ابراهيم في النزع أتبكي او لم تنه عن البكاء فقال انما نهيت عن صوتين احمقين فاجرين صوت عند نعمة لهو ولعب ومزامير الشيطان وصوت عند مصيبة لطم خدود وشق جيوب ودعاء بدعوى الجاهلية فجمع بين الصوتين

وأما نهيه عن ذلك في المصائب فمثل قوله صلى الله عليه و سلم ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى ." (٢)

"ص -٧٤- فصل

حال الناس قبل الإسلام

أعلم أن الله سبحانه وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الخلق على فترة من الرسل، وقد مقت أهل الأرض: **عربهم** وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب ماتوا - أو أكثرهم - قبيل مبعثه.

والناس إذ ذاك أحد رجلين: إما كتابي معتصم بكتاب، إما مبدل، وإما مبدل منسوخ، ودين دارس، بعضه مجهول، وبعضه متروك، وإما أمي من **عربي** وعجمي، مقبل على عبادة ما استحسنه، وظن أنه ينفعه: من نجم أو وثن، أو قبر، أو تمثال، أو غير ذلك.." (٣)

"ص -٩٩- آيتا الرعد ٣٦ - ٣٧ ووجه الاستدلال بهما

وفي هذا الباب قوله سبحانه: ﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب وكذلك أنزلناه حكما **عربيا** ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق﴾. فالضمير في أهوائهم، يعود - والله أعلم - إلى

---

(١) الاستقامة، ٢/١٧٥

(٢) الاستقامة، ٢/٢٧٥

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ٣/٢

ما تقدم ذكره، وهم الأحزاب الذين ينكرون بعضه، فدخل في ذلك كل من أنكر شيئا من القرآن: من يهودي، ونصراني، وغيرهما. وقد قال: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم﴾ ومتابعتهم فيما يختصون به من دينهم وتوابع دينهم، إتباع لأهوائهم، بل يحصل إتباع أهوائهم بما هو دون ذلك.

آية البقرة ١٢٠ ووجه الاستدلال بها

ومن هذا - أيضا - قوله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير﴾.

فانظر كيف قال في الخبر: ﴿ملتهم﴾ وقال في النهي: ﴿أهواءهم﴾، لأن القوم لا يرضون إلا بإتباع الملة مطلقا، والزجر وقع عن إتباع أهوائهم في قليل أو كثير، ومن المعلوم أن متابعتهم في بعض ما هم عليه من الدين، نوع متابعة لهم في بعض ما يهوونه، أو مظنة لمتابعتهم فيما يهوونه، كما تقدم.." (١)

"ص -١٣٧- حديث ثالث

وعن معاوية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - يعني الأهواء - كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة ".

وقال: " إنه سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله، والله يا معشر **العرب** لئن لم تقوموا بما جاء به محمد لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به ".

هذا حديث محفوظ من حديث صفوان بن عمرو، عن الأزهر بن عبد الله الحرازي، عن أبي عامر - عبد الله بن لحي، عن معاوية، رواه." (٢)

"ص -١٧٤- عن عطية قال: "كان يأتي ناس من اليهود فيقولون: راعنا سمعك، حتى قالها ناس من المسلمين، فكره الله لهم ما قالت اليهود".

وقال عطاء "كانت لغة في الأنصار في الجاهلية".

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٦/٤

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٤٥/٤

وقال أبو العالية: "إن مشركي **العرب** كانوا إذا حدث بعضهم بعضا يقول أحدهم لصاحبه: أرعني سمعك، فنهوا عن ذلك" وكذلك قال الضحاك.." (١)

"ص -١٨٩- أو **عربية**، أو عجمية، أو غير ذلك من الصفات، لكن المقصود: هو المطلق المشترك بين هذه المعينات.

وكذلك إذا قيل: اتقوا الله وخالفوا اليهود، فإن التقوى تارة تكون بفعل واجب: من صلاة أو صيام، وتارة بترك محرم: من كفر أو زنا، أو نحو ذلك، فخصوص ذلك الفعل إذا دخل في التقوى لم يمنع دخول غيره، فإذا رؤى رجل على زنا فقيل له: اتق الله، كان أمرا له بعموم التقوى، داخلا فيه: خصوص ترك ذلك الزنى، لأن سبب اللفظ العام لابد أن يدخل فيه، كذلك إذا قيل: " إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم "، كان أمرا بعموم المخالفة، داخلا فيه المخالفة بصبغ اللحية، لأنه سبب اللفظ العام.

وسببه: أن الفعل فيه عموم وإطلاق لفظي ومعنوي فيجب الوفاء به، وخروجه على سبب يوجب أن يكون داخلا فيه لا يمنع أن يكون غيره داخلا فيه - وإن قيل إن اللفظ العام يقصر على سببه - لأن العموم ههنا من جهة المعنى - فلا يقبل من التخصيص ما يقبله العموم اللفظي.." (٢)

"ص -٢٤٩- فالقسم الأول:

- الخارجون عن طاعة السلطان، فنهى عن نفس الخروج عن الطاعة، والجماعة وبين أنه: إن مات ولا طاعة عليه، مات ميتة جاهلية، فإن أهل الجاهلية، من **العرب** ونحوهم، لم يكونوا يطيعون أميرا عاما - على ما هو معروف من سيرتهم.

ثم ذكر:

- الذي يقاتل تعصبا لقومه، أو أهل بلده، ونحو ذلك، وسمى الراية عمية لأنه الأمر الأعمى الذي لا يدري وجهه، فكذلك قتال العصبية: يكون من غير علم بجواز قتال هذا.

وجعل قتلة المقتول جاهلية، سواء غضب بقلبه، أو دعى بلسانه، أو ضرب بيده، وقد فسر ذلك فيما رواه مسلم - أيضا - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليأتين على الناس

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٨٢/٤

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٩٧/٤

زمان لا يدري القاتل في أي شيء قتل، ولا يدري المقتول على أي شيء قتل، فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: الهرج القاتل والمقتول في." (١)

"ص -٢٥٦- فإن الجاهلية - وإن كانت في الأصل صفة، لكنه غلب عليه الاستعمال حتى صار اسما، ومعناه قريب من معنى المصدر، وأما الثاني فتقول: طائفة جاهلية، وشاعر جاهلي، وذلك نسبة إلى الجهل الذي هو عدم العلم، أو عدم إتباع العلم، فإن من لم يعلم الحق، فهو جاهل جهلا بسيطا، فإن اعتقد خلافه: فهو جاهل جهلا مركبا، فإن قال خلاف الحق عالما بالحق، أو غير عالم: فهو جاهل أيضا، كما قال تعالى: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا كان أحدكم صائما، فلا يرفث ولا يجهل ".

ومن هذا قول بعض شعراء **العرب:**." (٢)

"ص -٢٦٠- هذه الملل الجاهلية، فإنها جميعها: مبتدعها ومنسوخها، صارت جاهلية بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم، وإن كان لفظ " الجاهلية " لا يقال غالبا إلا على حال **العرب**، التي كانوا عليها، فإن المعنى واحد.

النهي عن دخول أماكن المعذبين والصلاة فيها

وفي الصحيحين، عن نافع، " عن ابن عمر،: أن الناس نزلو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر - أرض ثمود - فاستقوا من آبارها، وعجنوا به العجين، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يهريقوا ما استقوا، ويعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة ".

ورواه البخاري من حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك، أمرهم أن لا يشربوا من." (٣)

"ص -٢٧٦- أحمد، قال يحيى بن سعيد القطان - وذكر عنده سعيد بن عامر فقال: هو شيخ المصر منذ أربعين سنة، وقال أبو مسعود بن الفرات: ما رأيت بالبصرة مثل سعيد بن عامر، وقال الميموني،:

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ١٥٧/٤

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ١٦٤/٤

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ١٦٨/٤

رأيت أبا عبد الله عمامته تحت ذقنه، ويكره غير ذلك، وقال: العرب عمائمها تحت أذقانها.

وقال أحمد – في رواية الحسن بن محمد –: يكره أن." (١)

"ص –٣٤٩– قوله: " وسأحدثكم عن ذلك "، يقتضي أن هذا الوصف – وهو كونه مدى الحبشة – له تأثير في المنع: إما أن يكون علة، أو دليلا على العلة، أو وصفا من أوصاف العلة، أو دليلها، والحبشة في أظفارهم طول، فيذكون بها دون سائر الأمم، فيجوز أن يكون نهى عن ذلك: لما فيه من مشابهتهم فيما يختصمون به.

وأما العظم: فيجوز أن يكون نهيه عن التذكية به، كنهيه عن الاستنجاء به لما فيه من تنجيسه على الجن، إذ الدم نجس، وليس الغرض هنا ذكر مسألة الذكاة بخصوصها، فإن فيها كلاما ليس هذا موضعه.

أول من سيب السائبة ومنع البحيرة وجلب الأصنام، وحرف العرب عن الحنيفية هو عمرو بن لحي وذلك تشبها بالكفار حين رآهم يفعلون ذلك

وأيضا: ففي الصحيحين، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، قال: البحيرة: التي يمنع درها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة: كانوا يسيبونها لآلهتهم، لا يحمل عليها شيء وقال: قال أبو هريرة: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رأيت عمرو بن عامر الخزاعي، يجر قصبه." (٢)

"ص –٣٥١– حول البيت، ويقال: إنه جلبها من البلقاء، من أرض الشام، متشبها بأهل البلقاء، وهو أول من سيب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمى الحام، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه رآه: "يجر قصبه في النار"، وهي الأمعاء، ومنه سمي القصاب بذلك، لأنها تشبه القصب، ومعلوم أن العرب قبله كانوا على ملة أبيهم إبراهيم، على شريعة التوحيد، والحنيفية السمحة، دين أبيهم إبراهيم، فتشبه عمرو بن لحي، وكان عظيم أهل مكة يومئذ، لأن خزاعة كانوا ولاة البيت قبل قريش، وكان سائر العرب متشبهين بأهل مكة، لأن فيها بيت الله، وإليها الحج، ما زالوا معظمين من زمن إبراهيم عليه السلام، فتشبه عمرو بمن رآه في الشام، واستحسن بعقله ما كانوا عليه، ورأى أن في تحريم ما حرمه من البحيرة والسائبة! والوصيلة والحام، تعظيما لله ودنيا، فكان ما فعله أصل الشرك في العرب، أهل دين إبراهيم،وأصل تحريم الحلال، وإنما فعله متشبها فيه بغيره من أهل الأض، فلم يزل الأمر يتزايد، ويتفاقم حتى غلب على أفضل الأرض الشرك بالله عز وجل، وتغيير دينه إلى أن بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم، فأحيا ملة إبراهيم عليه السلام وأقام التوحيد، وحلل

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ١٨٤/٤

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ١٢/٥

ما كانوا يحرمونه.

وسورة الأنعام: من عند قوله تعالى: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا﴾ إلى قوله: ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله﴾ إلى آخر السورة. خطاب مع هؤلاء الضرب. ولهذا:." (١)

"ص -٣٦٣- في ذكر إجماع الصحابة والسلف على شرعية المخالفة للكفار ونحوهم الوجه الأول من دلائل الإجماع: شروط عمر على أهل الذمة تقتضي منعهم من التشبه بالمسلمين

وأما الإجماع فمن وجوه:-

- من ذلك أن أمير المؤمنين، عمر في الصحابة رضي الله عنهم، ثم عامة الأئمة بعده، وسائر الفقهاء - جعلوا في الشروط المشروطة على أهل الذمة من النصارى وغيرهم، فيما شرطوه على أنفسهم: أن نوقر المسلمين، ونقوم لهم من مجالسنا، إذا أرادوا الجلوس، ولا نتشبه بهم في شيء، من لباسهم: قلنسوة، أو عمامة أو نعلين، أو فرق شعر، ولا نتكلم بكلامهم، ولا نكتني بكناهم، ولا نركب السروج، ولا نتقلد السيوف، ولا نتخذ شيئا من السلاح، ولا نحمله، ولا ننقش خواتيمنا **بالعربية**، ولا نبيع الخمور، وأن نجز مقادم رؤوسنا، وأن نلزم زينا حيثما كان، وأن نشد الزنابير، وأن لا نظهر الصليب على كنائسنا، ولا نظهر." (٢)

"ص -٣٦٧- الخطاب كتب: أن لا تكاتبوا أهل الذمة، فتجري بينكم وبينهم المودة، ولا تكنوهم، وأذلوهم ولا تظلموهم، ومروا نساء أهل الذمة، أن يعقدن زناراتهن، ويرخين نواصيهن، ويرفعن عن سوقهن حتى يعرف زيهن من المسلمات، فإن رغبن عن ذلك، فليدخلن في الإسلام طوعا أو كرها.

كذلك الشروط التي شرطها عمر بن عبد العزيز تقتضي منعهم من التشبه بالمسلمين

وری - أيضا - أبو الشيخ بإسناده، عن محمد بن قيس، و سعد بن عبد الرحمن بن حبان قالا: دخل ناس من بني تغلب على عمر بن عبد العزيز عليهم العمائم كهيئة **العرب**، فقالوا يا أمير المؤمنين ألحقنا **بالعرب** قال: فمن أنتم؟ قالوا: نحن بنو تغلب، قال أولستم من أوسط **العرب؟** قالوا نحن نصارى، قال علي بجلم،

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ١٤/٥

(٢) اقتضاء الصراط المستقويم، ٢/٦

فأخذ من نواصيهم، وألقى العمائم وشق رداء كل واحد شبرا يحتزم به، وقال: لا تركبوا السروج، واركبوا على الأكف، ودلوا رجليكم من شق واحد.." (١)

"ص -٣٧٣- وقال أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا زهير، حدثنا عاصم الأحول، عن أبي عثمان قال: جاءنا كتاب عمر رضي الله عنه، ونحن بأذربيجان: يا عتبة بن فرقد، إياكم والتنعم، وزي أهل الشرك، ولبوس الحرير، رسول الله صلى الله عليه وسلم فـ" إن رسول الله صلى الله عليه وسلم: نهانا عن لبوس الحرير وقال: "إلا هكذا، ورفع لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أصبعيه "، وهذا ثابت على شرط الصحيحين.

وفيه: أن عمر رضي الله عنه أمر بالمعدية، وهي زي بني معد بن عدنان، وهم **العرب**، فالمعدية نسبة إلى معد ونهى عن زي العجم وزي المشركين، وهذا عام كما لا يخفى، وقد تقدم هذا مرفوعا، والله أعلم به.

عمر بن الخطاب عاب كعب الأحبار في مشورته له أن يصلي مستقبل الصخرة

وروى الإمام أحمد في المسند: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا حماد بن." (٢)

"ص -٣٨٤- وليس الغرض عين هذه المسألة، وإنما الغرض أن عليا رضي الله عنه شبه السادلين باليهود، مبينا بذلك كراهة فعلهم، فعلم أن مشابهة اليهود: أمر كان قد استقر عندهم كراهته.

تفسير فهر اليهود

وفهر اليهود - بضم الفاء - مدارسهم، وأصلها: بهر، وهي عبرانية **فعربت**، هكذا ذكره الجوهري، وكذلك ذكر ابن فارس وغيره: أن فهر اليهود مدارسهم، وفي "العين" عن الخليل بن أحمد: أن فهر اليهود مدارسهم.

النهي عن تغطية الفم في الصلاة كما يفعل المجوس عند نيرانهم

وسنذكر عن علي رضي الله عنه، من كراهة، التكلم بكلامهم - ما يؤيد هذا، وما في الحديث المذكور من النهي عن تغطية الفم، قد علله بعضهم." (٣)

"ص -٤٠٠- الجيلي، وغيره، في أصناف اللباس وأقسامه:- ومن اللباس المكروه: ما خالف زي **العرب**، وأشبه زي الأعاجم وعادتهم، ولفظ عبد القادر: ويكره كل ما خالف زي **العرب**، وشابه زي الأعاجم.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٦/٦

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ١٢/٦

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ٢٣/٦

وقال أيضا أصحاب أحمد وغيرهم، منهم أبو الحسن الآمدي المعروف بـ ابن البغدادي – وأظنه نقله أيضا عن أبي عبد الله بن حامد -: ولا يكره غسل اليدين في الإناء الذي أكل فيه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم فعله، وقد نص أحمد على ذلك، وقال: لم يزل العلماء يفعلون ذلك ونحن نفعله وإنما تنكره العامة، وغسل اليدين بعد الطعام مسنون، رواية واحدة. وإذا قدم ما يغسل فيه اليد، فلا يرفع حتى يغسل الجماعة أيديها لأن الرفع من زي الأعاجم، وكذلك قال الشيخ أبو محمد عبد القادر الجيلي: ويستحب أن يجعل ماء اليد في طست." (١)

"ص -٤٠٣- والثاني: لا يجعل بمجرد ذلك قولا له، لأنه إنما حكاه فقط، ومجرد الحكاية لا يدل على الموافقة.

وفي لبس المنطقة أثر، وكلام ليس هذا موضعه.

ولمثل هذا – تردد كلامه في القوس الفارسية، فقال الأثرم: سألت أبا عبد الله عن القوس الفارسية؟ فقال: إنما كانت قسي الناس **العربية** ثم قال: إن بعض الناس احتج بحديث عمر رضي الله عنه: "جعاب وأدم" قلت: حديث أبي عمرو بن حماس؟ قال: نعم، قال أبو عبد الله يقول: فلا تكون جعبة إلا للفارسية، والنبل فإنما هو قرن.

قال الأثرم: قلت لـ أبي عبد الله: في تفسير مجاهد، ﴿قلوبنا في أكنة﴾ قال: كالجعبة للنبل، قال: فإن كان يسمي جعبة للنبل، فليس ما احتج به الذي قال هذا بشيء، ثم قال: ينبغي أن يسأل عن هذا أهل **العربية**.." (٢)

"ص -٤٠٤- قال أبو بكر: قيل لـ أبي عبد الله: الدراعة يكون لها فرج؟ فقال: كان لـ خالد بن معدان دراعة لها فرج من بين يديها قدر ذراع، قيل لـ أبي عبد الله: فيكون لها فرج من خلفها؟ قال: ما أدري، أما من بين يديها فقد سمعت، وأما من خلفها فلم أسمع، قال: إلا أن في ذلك سعة له عند الركوب ومنفعة. قال: وقد احتج بعض الناس في هذا بقوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾. قال الأثرم: قلت لـ أبي عبد الله: واحتج بهذه الآية بعض الناس في القوس الفارسية، ثم قلت: إن أهل خراسان يزعمون أنه لا منفعة لهم في القوس **العربية**، وإنما النكاية عندهم للفارسية، قال: كيف!؟ وإنما افتتحت الدنيا **بالعربية**، قال الأثرم: قلت لـ أبي عبد الله ورأيتهم بالثغر لا يكادون يعدلون بالفارسية قال: إنما رأيت الرجل بالشام

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٣٩/٦

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٤٢/٦

متنكبا قوسا عربية.

وروى الأثرم، عن حفص بن عمر، حدثنا رجاء بن مرجى،." (١)

"ص -٤٠٥- حدثني عبد الله بن بشر، عن أبي راشد الحبراني، و أبي الحجاج السكسكي، " عن علي قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوكأ على قوس له عربية، إذ رأى رجلا معه قوس فارسية فقال: "ألقها فإنها ملعونة، ولكن عليكم بالقسي العربية، وبرماح القنا، فبها يؤيد الله الدين، وبها يمكن لكم في الأرض "، ولأصحابنا في القوس الفارسية ونحوها، كلام طويل، ليس هذا موضعه، وإنما نبهت بذلك على أن ما لم يكن من هدي المسلمين بل هو من هدي العجم أو نحوهم، وإن ظهرت فائدته، ووضحت منفعته، تراهم يترددون فيه، ويختلفون لتعارض الدليلين: دليل ملازمة الهدي الأول، ودليل." (٢)

"ص -٤١١- وقد كان في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن وفد عليه ومن غيرهم، من الأعراب، من هو أفضل من كثير من القرويين.

فهذا كتاب الله يحمد بعض الأعراب، ويذم بعضهم، وكذلك فعل بأهل الأمصار، فقال سبحانه: ﴿ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾. فبين أن المنافقين في الأعراب وذوي القرى، وعامة، سورة التوبة فيها الذم للمنافقين من أهل المدينة ومن الأعراب، كما فيها الثناء على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وعلى الأعراب الذين يتخذون ما ينفقون قربات عند الله وصلوات الرسول.

الناس ينقسمون إلى بر وفاجر ومؤمن وكافر ولا عبرة بالنسب

وكذلك العجم - وهم من سوى العرب من الفرس والروم والترك والبربر، والحبشة وغيرهم - ينقسمون إلى المؤمن والكافر، والبر والفاجر، كانقسام الأعراب. قال الله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: " إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء، مؤمن تقي وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب ".." (٣)

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ، ٤٣/٦

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٤٤/٦

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ٣/٨

"ص -٤١٢- وفي حديث آخر رويناه بإسناد صحيح من حديث، سعيد الجريري - " عن أبي نضرة: حدثني - أو قال حدثنا - من شهد خطبة صلى الله عليه وسلم بمنى في وسط أيام التشريق، وهو على بعير، فقال: يا أيها الناس، ألا إن ربكم عز وجل واحد، ألا وإن أباكم واحد، ألا لا فضل **لعربي** على عجمي ألا لا فضل لأسود على أحمر إلا بالتقوى، ألا قد بلغت؟ قالوا: نعم قال: ليبلغ الشاهد الغائب ".

وروى هذا الحديث عن أبي نضرة عن جابر.

وفي الصحيحين عن عمرو بن العاص رضي الله عنه " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن آل فلان ليسوا لي بأولياء، إنما ولي الله وصالحوا المؤمنين ".." (١)

"ص -٤١٤- الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء ".

وفي صحيح مسلم، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس، أو قال من أبناء فارس، حتى يتناوله ".

وفي رواية ثالثة: " لو كان العلم عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس ".

وقد روى الترمذي " عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم﴾: أنهم من أبناء فارس " إلى غير ذلك من آثار رويت في فضل رجال من أبناء فارس.

ومصداق ذلك ما وجد في التابعين ومن بعدهم، من أبناء فارس الأحرار والموالي: مثل الحسن و ابن سيرين و عكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم، إلى من وجد بعد ذلك فيهم من المبرزين في الإيمان والدين والعلم، حتى صار هؤلاء المبرزون في ذلك أفضل من أكثر **العرب**.." (٢)

"ص -٤١٥- وكذلك في سائر أصناف العجم من الحبشة والروم والترك وبينهم سابقون في الإيمان، والدين، لا يحصون كثرة، على ما هو معروف عند العلماء إذ الفضل الحقيقي: هو إتباع ما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم من الإيمان والعلم باطنا وظاهرا، فكل من كان فيه أمكن: كان أفضل.

سكنى القرى أقرب لكمال الدين ورقة القلوب من سكنى البادية

والفضل إنما هو بالأسماء المحمودة في الكتاب والسنة مثل: الإسلام، والإيمان، والبر والتقوى، والعلم، والعمل الصالح، والإحسان، ونحو ذلك، لا بمجرد كون الإنسان **عربيا**، أو عجميا، أو أسود، أو أبيض ولا بكونه قرويا، أو بدويا، وإنما وجه النهي عن مشابهة الأعراب والأعاجم - مع ما ذكرناه من الفضل فيهم

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٤/٨

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٦/٨

وعدم العبرة بالنسب والمكان – مبني على أصل، وذلك: أن الله سبحانه وتعالى جعل سكنى القرى يقتضي من كمال الإنسان في العلم والدين، ورقة القلوب ما لا يقتضيه سكنى البادية، كما أن البادية توجب من صلابة البدن والخلق، ومتانة الكلام ما لا يكون في القرى، هذا هو الأصل.

وإن جاز تخلف هذا المقتضى لمانع، وكانت البادية أحيانا أنفع من القرى، وكذلك – جعل الله الرسل من أهل القرى، فقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى﴾، وذلك لأن الرسل لهم الكمال في عامة الأمور، حتى في النسب، ولهذا قال الله سبحانه: ﴿الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم﴾. ذكر هذا بعد." (١)

"ص –٤١٨– عدي بن ثابت عن شيخ من الأنصار، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم – بمعناه، قال: " ومن لزم السلطان افتتن "، وزاد: " وما ازداد عبد من السلطان دنوا إلا ازداد من الله عز وجل بعدا ". ولهذا: كانوا يقولون لمن يستغلظونه: إنك لأعرابي جاف، إنك لجلف جاف، يشيرون إلى غلظ عقله وخلقه.

لفظ الأعراب يطلق على بادية العرب

ثم لفظ: "الأعراب" هو في الأصل: اسم لبادية العرب، فإن كل أمة لها حاضرة وبادية، فبادية العرب: الأعراب، ويقال: إن – بادية الروم: الأرمن ونحوهم، وبادية الفرس: الأكراد ونحوهم، وبادية الترك: التتار. وهذا – والله أعلم – هو الأصل، وإن كان قد يقع فيه زيادة ونقصان.." (٢)

"ص –٤١٩– سائر سكان البوادي لهم حكم الأعراب

والتحقيق: أن سائر سكان البوادي لهم حكم الأعراب، سواء دخلوا في لفظ الأعراب أو لم يدخلوا، فهذا الأصل يوجب أن يكون جنس الحاضرة أفضل من جنس البادية، وإن كان بعض أعيان البادية أفضل من أكثر الحاضرة مثلا.

ويقتضي: أن ما انفرد به البادية عن جميع جنس الحاضرة – أعني في زمن السلف من الصحابة والتابعين – فهو ناقص عن فضل الحاضرة، أو مكروه.

فإذا وقع التشبه بهم فيما ليس من فعل الحاضرة المهاجرين، كان ذلك إما مكروها، أو مفضيا إلى مكروه، وهكذا العرب والعجم.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٧/٨

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ١٠/٨

جنس **العرب** أفضل من جنس العجم

فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة: اعتقاد أن جنس **العرب** أفضل من جنس العجم، عبرانيهم وسريانيهم، روميهم وفرسيهم، وغيرهم.." (١)

"ص -٤٢٠- وقريش أفضل **العرب**، وبني هاشم أفضل قريش، ومحمد صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق نفسا ونسبا

وأن قريشا: أفضل **العرب**، وأن بني هاشم: أفضل قريش، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل بني هاشم، فهو: أفضل الخلق نفسا، وأفضلهم نسبا.

وليس فضل **العرب**، ثم قريش، ثم بني هاشم لمجرد كون النبي صلى الله عليه وسلم منهم، وإن كان هذا من الفضل، بل هم في أنفسهم أفضل، وبذلك يثبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه أفضل نفسا ونسبا، وإلا لزم الدور، ولهذا ذكر أبو محمد حرب بن إسماعيل الكرماني، صاحب الإمام أحمد، في وصفه للسنة التي قال فيها: هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر، وأهل السنة المعروفين بها، المقتدى بهم فيها، وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق، والحجاز والشام وغيرهم، عليها، فمن خالف شيئا من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها - فهو مبتدع خارج من الجماعة، زائل عن منهج السنة، وسبيل الحق، وهو مذهب أحمد و إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، و عبد الله بن الزبير الحميدي، و سعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا، وأخذنا عنهم العلم، وكان من قولهم: إن الإيمان قول وعمل ونية، وساق كلاما طويلا... إلى أن قال: ونعرف **للعرب** حقها وفضلها وسابقتها ونحبهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: " حب **العرب** إيمان، وبغضهم نفاق ". ولا." (٢)

"ص -٤٢١- نقول بقول الشعوبية وأرذل الموالي الذين لا يحبون **العرب**، ولا يقرون بفضلهم، فإن قولهم بدعة وخلاف.

الشعوبية لا تعترف بفضل **العرب**، وهذا نوع نفاق

ويروى هذا الكلام عن أحمد نفسه في رسالة أحمد بن سعيد الاصطخري عنه - إن صحت - وهو قوله، وقول عامة أهل العلم.

وذهبت فرقة من الناس، إلى أن لا فضل لجنس **العرب** على جنس العجم، وهؤلاء يسمون الشعوبية،

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٨/١١

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٨/١٢

لانتصارهم للشعوب، التي هي مغايرة للقبائل، كما قيل: القبائل: **للعرب**، والشعوب: للعجم.

ومن الناس من قد يفضل بعض أنواع العجم على **العرب**.

والغالب أن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن نوع نفاق: إما في الإعتقاد." (١)

"ص -٤٢٢- وإما في العمل المنبعث عن هوى النفس، مع شبهات اقتضت ذلك، ولهذا جاء في الحديث: " حب **العرب** إيمان وبغضهم نفاق " مع أن الكلام في هذه المسائل لا يكاد يخلو عن هوى للنفس، ونصيب للشيطان من الطرفين، وهذا محرم في جميع المسائل.

فإن الله قد أمر المؤمنين بالإعتصام بحبل الله جميعا، ونهاهم عن التفرق والإختلاف، وأمرهم بإصلاح ذات البين، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ".

وقال صلى الله عليه وسلم: " لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا، كما أمركم الله "، وهذان حديثان صحيحان.

وفي الباب من نصوص الكتاب والسنة ما لا يحصى.

والدليل على فضل جنس **العرب**، ثم جنس قريش، ثم جنس بني هاشم: ما رواه الترمذي، من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن يزيد بن." (٢)

"ص -٤٢٥- يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن المطلب بن أبي وداعة، قال: " قال العباس رضي الله عنه: بلغه صلى الله عليه وسلم بعض ما يقول الناس، قال فصعد المنبر فقال: من أنا، قالوا: أنت رسول الله، قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن - الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقهم، وجعلهم فرقتين، فجعلني في خير فرقة، وخلق القبائل، فجعلني في خير قبيلة، وجعلهم بيوتا، فجعلني في خيرهم، فأنا خيركم بيتا، وخيركم نفسا ".

أخبر صلى الله عليه وسلم: أنه ما انقسم الخلق فريقين إلا كان هو في خير الفريقين، وكذلك جاء حديث بهذا اللفظ.

وقوله في الحديث: " خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثم خيرهم فرقتين فجعلني في خير فرقة ". يحتمل شيئين:

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ١٣/٨

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ١٤/٨

أحدهما: أن الخلق هم الثقلان، أو هم جميع ما خلق في الأرض وبنو آدم خيرهم، وإن قيل بعموم الخلق، حتى يدخل فيه الملائكة كان فيه تفضيل جنس بني آدم على جنس الملائكة، وله وجه صحيح.

هذا التفضيل يوجب المحبة لبني هاشم ثم لقريش ثم **للعرب**

جعل بني آدم فرقتين، والفرقتان: **العرب** والعجم، ثم جعل **العرب** قبائل، فكانت قريش أفضل قبائل **العرب**، ثم جعل قريشا بيوتا، فكانت بنو هاشم أفضل البيوت.." (١)

"ص -٤٢٦- ويحتمل أنه أراد بالخلق: بني آدم، فكان في خيرهم: أي في ولد إبراهيم، أو في **العرب**، ثم جعل بني إبراهيم فرقتين: بني إسماعيل، وبني إسحاق، أو جعل **العرب** عدنان وقحطان، فجعلني في بني إسماعيل، في بني عدنان، ثم جعل بني إسماعيل، أو بني عدنان قبائل، فجعلني في خيرهم قبيلة: وهو قريش.

وعلى كل تقدير: فالحديث صريح بتفضيل **العرب** على غيرهم، وقد بين صلى الله عليه وسلم: أن هذا التفضيل يوجب المحبة لبني هاشم، ثم لقريش، ثم **للعرب**.

فروى الترمذي من حديث أبي عوانة، عن يزيد بن أبي زياد - أيضا - عن عبد الله بن الحارث، حدثني المطلب بن أبي ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب: " أن العباس بن عبد المطلب، دخل علي." (٢)

"ص -٤٣٠- صحيح.

وهذا يقتضي: أن إسماعيل، وذريته صفوة ولد إبراهيم، فيقتضي أنهم أفضل من ولد إسحاق، ومعلوم أن ولد إسحاق الذين هم بنو إسرائيل أفضل العجم لما فيهم من النبوة والكتاب، فمتى ثبت الفضل على هؤلاء، فعلى غيرهم بطريق الأولى، وهذا جيد، إلا أن يقال: الحديث يقتضي: أن إسماعيل هو المصطفى من ولد إبراهيم، وأن بني كنانة هم المصطفون من ولد إسماعيل، وليس فيه ما يقتضي أن ولد إسماعيل أيضا مصطفون على غيرهم، إذا كان أبوهم مصطفى، وبعضهم مصطفى على بعض.

فيقال: لو لم يكن هذا مقصودا في الحديث، لم يكن لذكر اصطفاء إسماعيل فائدة إذا كان اصطفاؤه لم يدل على اصطفاء ذريته، إذ يكون على هذا التقدير: لا فرق بين ذكر إسماعيل وذكر إسحاق.

ثم هذا - منضما إلى بقية الأحاديث - دليل على أن المعنى في جميعها واحد، واعلم أن الأحاديث في

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ١٧/٨

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ١٨/٨

فضل قريش، ثم في فضل بني هاشم - فيها كثرة، وليس هذا موضعها، وهي تدل أيضا على ذلك إذ نسبة قريش إلى العرب كنسبة العرب إلى الناس، وهكذا جاءت الشريعة كما سنومئ إلى بعضه.." (١)

"ص -٤٣١- فإن الله تعالى خص العرب ولسانهم بأحكام تميزوا بها، ثم خص قريشا على سائر العرب، بما جعل فيهم من خلافة النبوة، غير ذلك من الخصائص.

ثم خص بني هاشم بتحريم الصدقة، واستحقاق قسط من الفيء، إلى غير ذلك من الخصائص، فأعطى الله سبحانه كل درجة من الفضل بحسبها والله عليم حكيم: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس﴾ و ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾.

وقد قال الناس في قوله: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ وفي قوله: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾: أشياء ليس هذا موضعها.

النهي عن بغض العرب

ومن الأحاديث التي تذكر في هذا ما رويناه من طرق معروفة إلى محمد بن إسحاق الصغاني، حدثنا عبد الله بن." (٢)

"ص -٤٣٣- من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشا، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا من خيار إلى خيار، فمن أحب العرب، فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم ".

وأيضا في المسألة - ما رواه الترمذي وغيره من حديث أبي بدر شجاع بن الوليد، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، " عن سلمان رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا سلمان لا تبغضني فتفارق." (٣)

"ص -٤٣٤- دينك، قلت: يا رسول الله، كيف أبغضك وبك هداني الله؟ قال: "تبغض العرب فتبغضني ".

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي بدر شجاع بن الوليد.

فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم: بغض العرب سببا لفراق الدين، وجعل بغضهم مقتضيا لبغضه.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٢٢/٨

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٢٣/٨

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ٢٥/٨

ويشبه أن يكون صلى الله عليه وسلم خاطب بهذا سلمان – وهو سابق الفرس ذو الفضائل المأثورة – تنبيها لغيره من سائر الفرس، لما علمه الله من أن الشيطان قد يدعو بعض النفوس إلى شيء من هذا.

كما أنه صلى الله عليه وسلم لما قال: " يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئا،." (١)

"ص –٤٣٥– يا عباس عم رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئا، سلوني من مالي ما شئتم ". كان في هذا تنبيه لمن انتسب لهؤلاء الثلاثة – أن لا يغتروا بالنسب ويتركوا الكلم الطيب، والعمل الصالح.

بغض **العرب** كفر أو سبب للكفر، ونفاق، وحبهم إيمان

وهذا دليل على أن بعض جنس **العرب**، ومعاداتهم كفر أو سبب للكفر، ومقتضاه: أنهم أفضل من غيرهم، وأن محبتهم سبب قوة الإيمان، لأنه لو كان تحريم بغضهم كتحريم بغض سائر الطوائف – لم يكن ذلك سببا لفراق الدين، ولا لبغض الرسول، بل كان يكون نوع عدوان، فلما جعله سببا لفراق الدين وبغض الرسول – دل على أن بغضهم أعظم من بغض غيرهم، وذلك دليل على أنهم أفضل، لأن الحب والبغض يتبع الفضل، فمن كان بغضه أعظم – دل على أنه أفضل، ودل – حينئذ على أن محبته دين، لأجل ما فيه من زيادة الفضل." (٢)

"ص –٤٣٦– ولأن ذلك ضد البغض، ومن كان بغضه سببا للعذاب بخصوصه –كان حبه سببا للثواب، وذلك دليل على الفضل.

وقد جاء ذلك مصرحا به في حديث آخر، رواه أبو طاهر السلفي، في فضل **العرب**، من حديث أبي بكر بن أبي داود، حدثنا عيسى بن حماد زغبة، حدثنا علي بن الحسن الشامي، حدثنا خليد بن دعلج، عن." (٣)

"ص –٤٣٧– يونس بن عبيد، عن الحسن، عن جابر بن عبد الله، قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حب أبي بكر وعمر من الإيمان، وبغضهما من الكفر، وحب **العرب** من الإيمان، وبغضهم من الكفر ".

وقد احتج حرب الكرماني وغيره بهذا الحديث، وذكروا لفظه: " حب **العرب** إيمان، وبغضهم نفاق وكفر

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٢٦/٨

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٢٧/٨

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ٢٨/٨

."

وهذا الإسناد وحده فيه نظر، لكن لعله روي من وجه آخر، وإنما كتبته لموافقته معنى حديث سلمان، فإنه قد صرح في حديث سلمان: بأن بغضهم نوع كفر، ومقتضى ذلك: أن حبهم نوع إيمان، فكان هذا موافقا له.

وكذلك قد رويت أحاديث، النكرة ظاهرة عليها - مثل ما رواه الترمذي من حديث حصين بن عمر، عن مخارق بن." (١)

"ص -٤٣٨- عبد الله، عن طارق بن شهاب، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من غش العرب لم يدخل في شفاعتي، ولم تنله مودتي ". قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حصين بن عمر الأحمسي، عم مخارق. وليس حصين عند أهل الحديث بذاك القوي.." (٢)

"ص -٤٤١- وكذلك روى عبد الله بن أحمد في مسند أبيه، حدثنا إسماعيل أبو معمر، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن زيد بن جبيرة، عن داود بن الحصين، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن علي رضي الله عنه قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يبغض العرب إلا منافق "، و زيد بن جبيرة عندهم منكر الحديث، وهو مدني ورواية إسماعيل بن عياش، عن غير الشاميين مضطربة.

وكذلك روى أبو جعفر محمد بن عبد الله الحافظ الكوفي المعروف." (٣)

"ص -٤٤٢- بمطين، حدثنا العلاء بن عمرو الحنفي، حدثنا يحيى بن يزيد الأشعري، حدثنا ابن جريج، عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل الجنة عربي "." (٤)

"ص -٤٤٤- الجوهري، حدثنا أبو أحمد، حدثنا عبد الجبار بن العباس - وكان رجلا من أهل الكوفة، يميل إلى الشيعة، وهو صحيح الحديث مستقيمه - وهذا - والله أعلم - كلام البزار - عن أبي إسحاق، عن أوس بن ضمعج قال: قال سلمان: نفضلكم يا معاشر العرب لتفضيل رسول الله صلى الله

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٢٩/٨

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٣٠/٨

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ٣٣/٨

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم، ٣٤/٨

عليه وسلم إياكم، لا ننكح نساءكم، ولا نؤمكم في الصلاة.

وهذا إسناد جيد، و أبو أحمد هو - والله أعلم - محمد بن عبد الله الزبيري، من أعيان العلماء الثقات، وقد أثنى." (١)

"ص -٤٤٥- عليه شيخه، و الجوهري و أبو إسحاق السبيعي أشهر من أن يثنى عليهما، و أوس بن ضمعج ثقة روى له مسلم.

وقد أخبر سلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل **العرب**، فإما إنشاء وإما إخبار، فانشاؤه صلى الله عليه وسلم: حكم لازم، وخبره: حديث صادق.

وتمام الحديث قد روي عن سلمان من غير هذا الوجه، رواه الثوري عن أبي إسحاق، عن أبي ليلى الكندي، عن سلمان الفارسي أنه قال: فضلتمونا يا معاشر **العرب** باثنتين، لا نؤمكم ولا ننكح نساءكم، رواه محمد بن أبي عمر العدلي، و سعيد في سننه، وغيرها.

وهذا مما احتج به أكثر الفقهاء الذين جعلوا **العربية** من الكفاءة بالنسبة إلى العجمي، واحتج به أحمد في إحدى الروايتين على أن الكفاءة ليست حقا لواحد معين، بل هي من الحقوق المطلقة في النكاح، حتى أنه يفرق بينهما عند عدمها.." (٢)

"ص -٤٤٦- واحتج أصحاب الشافعي و أحمد بهذا على أن الشرف مما يستحق به التقديم في الصلاة، ومثل ذلك ما رواه محمد بن أبي عمر العدني حدثنا سعيد بن عبيد، أنبأنا علي بن ربيعة، عن ربيع بن فضلة،: أنه خرج في اثني عشر راكبا كلهم قد صحب محمدا صلى الله عليه وسلم غيره وفيهم سلمان الفارسي، وهم في سفر، فحضرت الصلاة، فتدافع القوم، أيهم يصلي بهم، فصلى بهم رجل منهم أربعا، فلما انصرف قال سلمان: ما هذا؟ ما هذا؟ مرارا، نصف المربوعة - قال مروان: يعني نصف الأربع - نحن إلى التخفيف أفقر، فقال القوم: صل بنا يا أبا عبد الله، أنت أحقنا بذلك، فقال: لا، أنتم بنو إسماعيل الأئمة، ونحن الوزراء.

وفي المسألة آثار غير ما ذكرته في بعضها نظر، وبعضها موضوع، وأيضا - فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما وضع ديوان العطاء، كتب الناس على قدر أنسابهم فبدأ بأقربهم فأقربهم نسبا إلى رسول الله

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٣٦/٨

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٣٧/٨

صلى الله عليه وسلم، فلما انقضت العرب ذكر العجم، هكذا كان الديوان على عهد الخلفاء الراشدين، وسائر الخلفاء من بني أمية وولد العباس، إلى أن تغير الأمر بعد ذلك.." (١)

"ص -٤٤٧- أسباب تفضيل العرب

وسبب هذا الفضل - والله أعلم - ما اختصوا به في عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم، وذلك أن الفضل: إما بالعلم النافع، وإما بالعمل الصالح، والعلم له مبدأ، وهو: قوة العقل الذي هو الفهم والحفظ، وتمام، وهو: قوة المنطق، الذي هو البيان والعبارة، والعرب هم أفهم من غيرهم، وأحفظ وأقدر على البيان والعبارة، ولسانهم أتم الألسنة بيانا وتمييزا للمعاني، جمعا وفرقا، يجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل، إذا شاء المتكلم الجمع، ثم يميز بين كل شيئين مشتبهين بلفظ آخر مميز مختصر، كما تجده من لغتهم في جنس الحيوان فهم - مثلا - يعبرون عن القدر المشترك بين الحيوان بعبارات جامعة، ثم يميزون بين أنواعه في أسماء كل أمر من أموره: من الأصوات، والأولاد، والمساكن، والأطفال، إلى غير ذلك من خصائص اللسان العربي، التي لا يستراب فيها.

وأما العمل: فإن مبناه على الأخلاق، وهي الغرائز المخلوقة في النفس، وغرائزهم أطوع للخير من غيرهم، فهم أقرب للسخاء، والحلم والشجاعة، والوفاء، وغير ذلك من الأخلاق المحمودة، لكن كانوا قبل الإسلام طبيعة قابلة للخير، معطلة عن فعله، ليس عندهم علم منزل من السماء، ولا شريعة موروثة عن نبي، ولا هم - أيضا - مشتغلين ببعض العلوم العقلية المحضة، كالطب والحساب، ونحوها، إنما علمهم ما سمحت به قرائحهم: من الشعر والخطب، أو ما حفظوه من أنسابهم وأيامهم أو ما احتاجوا إليه في دنياهم من الأنواء والنجوم، أو من الحروب.." (٢)

"ص -٤٤٨- فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى: الذي ما جعل الله في الأرض، ولا يجعل أمرا أجل منه وأعظم قدرا - الجاهلية، وتلقوه عنه بعد مجاهدته الشديدة لهم، ومعالجتهم على نقلهم عن تلك العادات - الجاهلية، والظلمات الكفرية، التي كانت قد أحالت قلوبهم عن فطرتها فلما تلقوا عنه ذلك الهدي العظيم، زالت تلك الريون عن قلوبهم، واستنارت بهدى الله الذي أنزل على عبده ورسوله، فأخذوا هذا الهدي العظيم، بتلك الفطرة الجيدة، فاجتمع لهم الكمال بالقوة المخلوقة فيهم، والكمال الذي أنزل الله إليهم -: بمنزلة أرض جيدة في نفسها، لكن هي معطلة عن الحرث، أو قد نبت

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٣٨/٨

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٣٩/٨

فيها شجر العضاة، والعوسج، وصارت مأوى الخنازير والسباع، فإذا طهرت عن المؤذن من الشجر والدواب، وازدرع فيها أفضل الحبوب والثمار - جاء فيها من الحرث ما لا يوصف مثله، فصار السابقون الأولون، من المهاجرين والأنصار أفضل خلق الله بعد الأنبياء، وصار أفضل الناس بعدهم، من اتبعهم بإحسان إلى يوم القيامة: من العرب والعجم،." (١)

"ص -٤٤٩- وكان الناس إذ ذاك الخارجون عن هذا الكمال قسمين:

إما كافر: من اليهود والنصارى، لم يقبل هدى الله.

وإما غيرهم من العجم، الذين لم يشركوهم فيما فطروا عليه، وكان عامة العجم حينئذ كفارا من: الفرس والروم، فجاءت الشريعة باتباع أولئك السابقين على الهدي الذي رضيه الله لهم، وبمخالفة من سواهم، إما لمعصيته وإما لنقيصته، وإما لأنه مظنة النقصية، فإذا نهت الشريعة عن مشابهة الأعاجم دخل في ذلك ما عليه الأعاجم الكفار، قديما وحديثا، ودخل فيه ما عليه الأعاجم المسلمون، مما لم يكن عليه السابقون الأولون، كما يدخل في مسمى الجاهلية العربية ما كان عليه أهل الجاهلية قبل الإسلام، وما عاد إليه كثير من العرب من الجاهلية التي كانوا عليها، ومن تشبه من العرب بالعجم لحق بهم، ومن تشبه من العجم بالعرب لحق بهم، ولهذا كان الذين تناولوا العلم والإيمان من أبناء فارس، إنما حصل ذلك بمتابعتهم للدين الحنيف، بلوازمه من العربية وغيرها، ومن نقص من العرب إنما هو بتخلفهم عن هذا، وإما بموافقتهم للعجم، فيما السنة أن يخالفوا فيه، فهذا وجه.

وأيضا - فإن الله تعالى لما أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغا." (٢)

"ص -٤٥٠- عنه للكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به، لم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط اللسان، وصارت معرفته من الدين، وصار اعتبار التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين، وأقرب إلى مشابهتهم للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، في جميع أمورهم، وسنذكر إن شاء الله بعض ما قاله العلماء، من الأمر بالخطاب العربي، وكراهة مداومة غيره لغير حاجة، واللسان تقارنه أمور أخرى: من العلوم والأخلاق، فإن العادات لها تأثير عظيم فيما يحبه الله أو فيما يكرهه، فلهذا - أيضا - جاءت الشريعة بلزوم عادات السابقين الأولين، في أقوالهم وأعمالهم، وكراهة الخروج عنها إلى غيرها من غير حاجة، فحاصله: أن النهي

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٨/٤٠

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٨/٤١

عن التشبه بهم لما يفضي إليه من فوت الفضائل، التي جعلها الله تعالى للسابقين الأولين، أو حصول النقائص التي كانت في غيرهم.

فضل بعض العجم – خاصة عجم أصبهان – لاكتسابهم فضائل السابقين من **العرب**

ولهذا – لما علم المؤمنون من أبناء فارس، وغيرهم، هذا الأمر، أخذ من وفقه الله منهم نفسه بالإجتهاد في تحقيق المشابهة بالسابقين، فصار اولئك من أفضل التابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة، وصار كثير منهم أئمة لكثير من غيرهم، ولهذا كانوا يفضلون من الفرس من رأوه أقرب إلى متابعة السابقين، حتى قال الأصمعي فيما رواه عنه أبو طاهر السلفي في كتاب فضل الفرس." (١)

"ص –٤٥٢– وكان أئمة السنة: علما وفقها، والعارفون بالحديث وسائر أمور الإسلام المحض، فيهم أكثر من غيرهم حتى أنه قيل: إن قضاتهم كانوا من فقهاء الحديث، مثل: صالح بن أحمد بن حنبل، ومثل: أبي بكر بن أبي عاصم، ومن بعدهم، وأنا لا أعلم حالهم بآخرة.

فضل **العرب** السابقين وأن الفاضل من تبعهم

وكذلك كل مكان، أو شخص، من أهل فارس يمدح المدح الحقيقي: إنما يمدح لمشابهته السابقين، حتى قد يختلف في فضل شخص على شخص، أو قول على قول، أو فعل على فعل، لأجل اعتقاد كل ممن المختلفين أن هذا أقرب إلى طريق السابقين الأولين، فإن الأمة مجمعة على هذه القاعدة وهي: فضل طريقة **العرب** السابقين، وأن الفاضل من تبعهم، وهو المطلوب هنا.

وإنما يتم الكلام بأمرين: أحدهما: إن الذي يجب على المسلم إذا نظر في الفضائل، أو تكلم فيها – أن يسلك سبيل العاقل الدين، الذي غرضه أن يعرف الخير، ويتحراه جهده، ليس غرضه الفخر على أحد، ولا الغمص من أحد، فقد روى مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه أوحي إلي أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد .." (٢)

"ص –٤٥٣– فنهى الله سبحانه على لسان رسوله عن نوعي الاستطالة على الخلق، وهي: الفخر والبغي، لأن المستطيل إن استطال بحق فقد افتخر، وإن كان بغير حق، فقد بغى فلا يحل لا هذا ولا هذا، فإن كان الرجل من الطائفة الفاضلة، مثل: أن يذكر فضل بني هاشم أو قريش أو **العرب** أو بعضهم، فلا

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٤٢/٨

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٤٤/٨

يكن حظه استشعار فضل نفسه، والنظر إلى ذلك، فإنه مخطئ في هذا، لأن فضل الجنس لا يستلزم فضل الشخص كما قدمناه، فرب حبشي أفضل عند الله من جمهور قريش، ثم هذا النظر يوجب نقصه وخروجه عن الفضل، فضلا عن أن يستعلي بهذا، ويستطيل.

وإن كان من الطائفة الأخرى، مثل العجم، أو غير قريش، أو غير بني هاشم فليعلم أن تصديقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر وطاعته فيما أمر، ومحبة ما أحبه الله، والتشبه بمن فضل الله، والقيام بالدين الحق، الذي بعث الله به محمدا - يوجب له أن يكون أفضل من جمهور الطائفة المفضلة، وهذا هو الفضل الحقيقي.

وانظر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حين وضع الديوان، وقالوا له: يبدأ أمير المؤمنين بنفسه، فقال: لا، ولكن ضعوا عمر حيث وضعه الله، فبدأ بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يليهم حتى جاءت نوبته في بني عدي وهم متأخرون عن أكثر بطون قريش.

ثم هذا الإتباع للحق ونحوه، قدمه على عامة بني هاشم، فضلا عن غيرهم من قريش.." (١)

"ص -٤٥٤- الثاني: أن اسم **العرب** والعدم قد صار فيه اشتباه، فإنا قدمنا أن اسم العجم يعم في اللغة، كل من ليس من **العرب**، ثم لما كان العلم والإيمان في أبناء فارس أكثر منه في غيرهم، من العجم، كانوا ه أفضل الأعاجم، فغلب لفظ العجم في عرف العامة المتأخرين عليهم، فصار حقيقة عرفية عامية فيهم.

اسم **العرب** في الأصل لقوم جمعوا ثلاثة أصناف

واسم **العرب** في الأصل كان إسما لقوم جمعوا ثلاثة أوصاف: أحدها: أن لسانهم كان اللغة **العربية**. الثاني: أنهم كانوا من أولاد **العرب**. الثالث: أن مساكنهم كانت أرض **العرب** وهي: جزيرة **العرب**، التي هي من بحر القلزم، إلى بحر البصرة، ومن أقصى حجر اليمن، إلى أوائل الشام، بحيث كانت تدخل اليمن في دارهم، ولا تدخل فيها الشام، وفي هذه الأرض كانت **العرب**، حين المبعث وقبله، فلما جاء الإسلام وفتحت الأمصار سكنوا سائر البلاد، من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، وإلى سواحل الشام وأرمينية، وهذه كانت مساكن فارس والروم البربر، وغيرهم.." (٢)

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٤٥/٨

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٤٦/٨

"ص -٤٥٥- ثم انقسمت هذه البلاد قسمين: منها ما غلب على أهله لسان العرب حتى لا يعرف عامتهم غيره، أو يعرفونه وغيره، مع ما دخل في لسان العرب من اللحن، وهذه غالب مساكن الشام، والعراق ومصر والأندلس، ونحو ذلك، وأظن أرض فارس وخراسان كانت هكذا قديما، ومنها العجمية كثيرة فيهم، أو غالبة عليهم، كبلاد الترك، وخراسان وأرمينية، وأذربيجان، ونحو ذلك، فهذه البقاع انقسمت: إلى ما هو عربي ابتداء، وإلى ما هو عربي انتقالا، وإلى ما هو عجمي.

أنساب العرب ولسانهم أقسام

وكذلك الأنساب ثلاثة أقسام:

قوم من نسل العرب، وهم باقون على العربية لسانا ودارا، أو لسانا لا دارا، أو دارا لا لسانا.

وقوم من نسل العرب، بل من نسل بني هاشم صارت العجمية لسانهم ودارهم، أو أحدهما، وقوم مجهولوا الأصل، لا يدرى من أمن نسل العرب هم، أم من نسل." (١)

"ص -٤٥٦- العجم، وهم أكثر الناس اليوم، سواء كانوا عرب الدار واللسان، أو عجما في أحدهما.

وكذلك انقسموا في اللسان ثلاثة أقسام:

قوم يتكلمون العربية لفظا ونغمة، وقوم يتكلمون بها لفظا لا نغمة، وهم المتعربون الذين ما تعلموا اللغة ابتداء من العرب، وإنما اعتادوا غيرها، ثم تعلموها، كغالب أهل العلم، ممن تعلم العربية، وقوم لا يتكلمون بها إلا قليلا.

وهذا القسمان، منهم من تغلب عليه العربية، ومنهم من تغلب عليه العجمية ومنهم من قد يتكافأ في حقه الأمران: إما قدرة، وإما عادة.

فإذا كانت العربية قد انقسمت: نسبا ولسانا ودارا، فإن الأحكام تختلف بإختلاف هذه الأقسام خصوصا النسب واللسان.

فإن ما ذكرناه من تحريم الصدقة على بني هاشم، وإستحقاق نصيب من الخمس - ثبت لهم بإعتبار النسب، وإن صارت ألسنتهم أعجمية.

وما ذكرناه من حكم اللسان العربي وأخلاق العرب: يثبت لمن كان كذلك، وإن كان أصله فارسيا، وينتفي عمن لم يكن كذلك وإن كان أصله هاشميا.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٤٧/٨

العبرةبما كان عليه صدر الإسلام من السابقين الأولين

والمقصود هنا: أن ما ذكرته من النهي عن التشبه بالأعاجم إنما العبرة بما كان عليه صدر الإسلام، من السابقين الأولين، فكل ما كان إلى." (١)

"ص -٤٥٧- هديهم أقرب فهو المفضل، وكل ما خالف ذلك فهو المخالف، سواء كان المخالف لذلك اليوم عربي النسب، أو عربي اللسان، وهكذا جاء عن السلف.

فروى الحافظ أبو طاهر السلفي - في فضل العرب - بإسناده عن أبي شهاب الحناط، حدثنا حبان بن موسى عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي، قال: "من ولد في الإسلام فهو عربي"، وهذا الذي يروي عن أبي جعفر: لأن من ولد في الإسلام، فقد ولد في دار العرب، واعتاد خطابها، هكذا كان الأمر.

وروى السلفي عن المؤتمن الساجي، عن أبي القاسم الخلال أنبأنا أبو محمد لـ حسن بن الحسين النوبختي، حدثنا علي بن عبد الله بن." (٢)

"ص -٤٥٨- مبشر، حدثنا محمد بن حرب النشائي، حدثنا إسحاق الأزرق عن هشام بن حسان، عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه قال: " من تكلم بالعربية فهو عربي، ومن أدرك له اثنان في الإسلام فهو عربي "، وهكذا فيه، وأظنه: " ومن أدرك له أبوان "، فهنا - إن صح هذا الحديث - فقد علقت العربية فيه بمجرد اللسان وعلقت في النسب بأن يدرك له أبوان في الدولة الإسلامية العربية، وقد يحتج بهذا القول أبو حنيفة: أن من ليس له أبوان في الإسلام أو في الحرية،." (٣)

"ص -٤٦٠- حدثنا أبو بكر الهذلي، عن مالك بن أنس عن الزهري، " عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: جاء قيس بن حطاطة، إلى حلقة فيها صهيب الرومي، وسلمان الفارسي وبلال الحبشي، فقال: هذا الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل فما بال هؤلاء؟ فقام معاذ بن جبل فأخذ بتلابيبه، ثم أتى به النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بمقالته، فقام النبي صلى الله عليه وسلم مغضبا، يجر رداءه - حتى دخل المسجد، ثم نودي: أن الصلاة جامعة، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس، فإن الرب رب واحد، والأب أب واحد، والدين دين واحد، وإن العربية ليست لأحدكم بأب ولا

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٤٨/٨

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٤٩/٨

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ٥٠/٨

أم، إنما هي لسان، فمن تكلم **بالعربية** فهو **عربي**، فقام معاذ بن جبل فقال: بم تأمرنا في هذا المنافق؟ فقال: دعه إلى النار " فكان قيس ممن ارتد فقتل في الردة،." (١)

"ص -٤٨٢- ولكن قد قال قوم: إن المراد: شهادة الزور التي هي الكذب، وهذا فيه نظر، فإنه تعالى قال: ﴿لا يشهدون الزور﴾ ولم يقل: لا يشهدون بالزور.

والعرب تقول: شهدت كذا: إذا حضرته، كقول ابن عباس: شهدت العيد مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقول عمر: الغنيمة لمن شهد الوقعة وهذا كثير في كلامهم، وأما شهدت بكذا - فمعناه: أخبرت به.

ووجه تفسير التابعين المذكورين: أن الزور هو المحسن المموه، حتى يظهر بخلاف ما هو عليه في الحقيقة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: " المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور "، لما كان يظهر مما يعظم به مما ليس عنده، فالشاهد بالزور يظهر كلاما يخالف الباطن، ولهذا فسره السلف تارة بما يظهر حسنه لشبهة، أو لشهوة، وهو قبيح في الباطن، فالشرك ونحوه: يظهر حسنه للشبهة، والغناء ونحوه: يظهر حسنة للشهوة.." (٢)

"ص -٤٩٩- مع ما فيه من أعيادهم، بشرط: أن لا يظهروها، ولا شيئا من دينهم، وأولئك لم يقروا، بل أعياد الكتابيين التي تتخذ دينا وعبادة - أعظم تحريما من عيد يتخذ لهوا ولعبا، لأن التعبد بما يسخطه الله ويكرهه أعظم من اقتضاء الشهوات بما حرمه، ولهذا كان الشرك أعظم إثما من الزنا، ولهذا كان جهاد أهل الكتاب أفضل من جهاد الوثنيين، وكان من قتلوه من المسلمين له أجر شهيدين.

وإذا كان الشارع قد حسم مادة أعياد أهل الأوثان خشية أن يتدنس المسلم بشيء من أمر الكفار، الذين قد يئس الشيطان أن يقيم أمرهم في جزيرة **العرب** - فالخشية من تدنسه بأوضار الكتابيين الباقين أشد، والنهي عنه أوكد، كيف وقد تقدم الخبر الصادق بسلوك طائفة من هذه الأمة سبيلهم؟.

الوجه الثالث: وهو عودة إلى الإستدلال بالحديث السابق على تحريم أعياد الجاهلية

الوجه الثالث من السنة: أن هذا الحديث وغيره، قد دل على أنه كان للناس في الجاهلية أعياد يجتمعون فيها، ومعلوم أنه بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، محى الله ذلك عنه، فلم يبق شيء من ذلك.

ومعلوم أنه لولا نهيه ومنعه لما ترك الناس تلك الأعياد، لأن المقتضى لها قائم من جهة الطبيعة التي تحب

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٥٢/٨

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٧/١١

ما يصنع في الأعياد، خصوصا أعياد الباطل، من اللعب واللذات، ومن جهة العادة التي ألفت ما يعود من العيد، فإن العادة طبيعة ثانية، وإذا كان المقتضى قائما قويا، فلولا المانع القوي، لما درست تلك الأعياد.." (١)

"ص -٥٠٤- قوم عيدا وإن هذا عيدنا " لأن تعقيب الحكم بالوصف بحرف الفاء دليل على أنه علة، فيكون علة الرخصة: أن كل أمة مختصة بعيد، وهذا عيدنا، وهذه العلة مختصة بالمسلمين، فلو كانت الرخصة معلقة باسم "عيد" لكان الأعم مستقلا بالحكم فيكون الأخص عديم التأثير، فلما علل بالأخص علم أن الحكم لا يثبت بالوصف الأعم وهو مسمى: عيد، فلا يجوز لنا أن نفعل في كل عيد للناس من اللعب ما نفعل في عيد المسلمين، وهذا هو المطلوب، وهذا فيه دلالة على النهي عن التشبه بهم في اللعب ونحوه.

الوجه الخامس: أن أهل الكتاب موجودون في صدر الإسلام في أرض **العرب** ولهم أعياد ولم يشركهم المسلمون في ذلك

الوجه الخامس من السنة: أن أرض **العرب** ما زال فيها يهود ونصارى، حتى أجلاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته، وكان اليهود بالمدينة كثيرا في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكن قد هادنهم حتى نقضوا العهد، طائفة بعد طائفة، وما زال بالمدينة يهود، وإن لم يكونوا كثيرا، فإنه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عد يهودي، وكان في اليمن يهود كثير، والنصارى بنجران وغيرها، والفرس بالبحرين، ومن المعلوم: أن هؤلاء كانت لهم أعياد يتخذونها، ومن المعلوم - أيضا - أن المقتضى لما يفعل في العيد: من الأكل والشرب، واللباس والزينة، واللعب والراحة، ونحو ذلك - قائم في النفوس كلها إذا." (٢)

"ص -٥٠٧- ثم إنه في هذا الحديث ذكر أن الجمعة لنا، كما أن السبت لليهود، والأحد للنصارى، واللام تقتضي الاختصاص، ثم هذا الكلام: يقتضي الإقتسام إذا قيل: هذه ثلاثة أثواب، أو ثلاثة غلمان: هذا لي، وهذا لزيد، وهذا لعمرو، أوجب ذلك أن يكون كل واحد مختصا بما جعل له، ولا يشركه فيه غيره، فإذا نحن شاركناهم في عيدهم يوم السبت، أو عيد يوم الأحد، خالفنا هذا الحديث، وإذا كان هذا في العيد الأسبوعي، فكذلك في العيد الحولي، إذ لا فرق، بل إذا كان هذا في عيد يعرف بالحساب **العربي**، فكيف بأعياد الكافرين العجمية التي لا تعرف إلا بالحساب الرومي القبطي، أو الفارسي أو العبري، ونحو

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٢٤/١١

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٢٩/١١

ذلك. وقوله صلى الله عليه وسلم: " بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله "، أي: من أجل. كما يرى أنه قال: " أنا أفصح **العرب** بيد أني من قريش، واسترضعت في بني سعد بن بكر ".

والمعنى والله أعلم: أي نحن الآخرون في الخلق، السابقون في." (١)

"ص -٥٠٩- رواه أحمد و النسائي و ابن أبي عاصم. وهو محفوظ من حديث عبد الله بن المبارك، عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي، عن أبيه عن كريب. وصححه بعض الحفاظ. وهذا نص في شرع مخالفتهم في عيدهم، وإن كان على طريق الاستحباب، وسنذكر حديث نهيه عن صوم يوم السبت، وتعليل ذلك أيضا بمخالفتهم، ونذكر حكم صومه مفردا عند العلماء، وأنهم متفقون على شرع مخالفتهم في عيدهم، وإنما اختلفوا: هل مخالفتهم يوم عيدهم بالصوم لمخالفة فعلهم فيه، أو بالإهمال حتى لا يقصد بصوم ولا بفطر، أو يفرق بين العيد **العربي**، والعيد العجمي؟ على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

تقرير الإجماع على النهي عن مشابهة الكافرين وما وراء ذلك من آثار ومن وذلك وجود أحدهما: وجود الكفار في أمصار المسلمين بفعلون أعيادهم ولم يشركهم أحد من المسلمين رغم قيام المقتضى الطبعي

وأما الإجماع والآثار فمن وجوه:-

أحدها: ما قدمت التنبيه عليه، من أن اليهود والنصارى والمجوس ما زالوا في أمصار المسلمين بالجزية، يفعلون أعيادهم التي لهم والمقتضي لبعض ما يفعلونه قائم في كثير من النفوس، ثم لم يكن على عهد السابقين من المسلمين، من يشركهم في شيء من ذلك، فلولا قيام المانع في نفوس." (٢)

"ص -٥١٨- كنائسهم في أعيادهم، وهو كما ذكرنا من باب التنبيه على المنع عن أن يفعل كفعلهم.

كراهة السلف للرطانة – وهي التشبه بالأعاجم في كلامهم ولغتهم

وأما الرطانة، وتسمية شهورهم بالأسماء العجمية، فقال أبو محمد الكرماني – المسمى بحرب -: باب تسمية الشهور بالفارسية، قلت لـ أحمد فإن للفرس أياما وشهورا، يسمونها بأسماء لا تعرف؟ فكره ذلك أشد الكراهة.

وروى فيه عن مجاهد حديثا أنه كره أن يقال: آذرماه، وذي ماه قلت: فإن كان اسم رجل أسميه به؟ فكرهه قال: وسألت إسحاق قلت: تاريخ الكتاب يكتب بالشهور الفارسية مثل: آذرماه، وذي ماه، قال إن لم يكن

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٣٢/١١

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٣٤/١١

في تكل الأسامي اسم يكره، فأرجو، قال: وكان ابن المبارك يكره ايزدان يحلف به، وقال: لا آمن أن يكون أضيف إلى شيء يعبد، وكذلك الأسماء الفارسية قال: وكذلك أسماء **العرب**، كل شيء مضاف، قال وسألت إسحاق مرة أخرى قلت: الرجل يتعلم شهور الروم والفرس، قال: كل اسم معروف في كلامهم فلا بأس.." (١)

"ص -٥١٩- كراهة أن يتعود المسلم النطق بغير **العربية**

فما قاله أحمد من كراهة هذه الأسماء له وجهان:-

أحدهما: إذا لم يعرف معنى الاسم، جاز أن يكون معنى محرما، فلا ينطق المسلم بما لا يعرف معناه، ولهذا كرهت الرقى العجمية، كالعبرانية، أو السريانية، أو غيرها، خوفا أن يكون فيها معان لا تجوز.

وهذا المعنى هو الذي اعتبره إسحاق لكن إن علم أن المعنى مكروه فلا ريب في كراهته وإن جهل ف أحمد كرهه، وكلام إسحاق يحتمل أنه لم يكرهه.

الوجه الثاني: كراهته أن يتعود الرجل النطق بغير **العربية** فإن اللسان **العربي** شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون، ولهذا كان كثير من الفقهاء أو أكثرهم يكرهون في الأدعية، التي في الصلاة والذكر، أن يدعى الله، أو يذكر بغير **العربية**.

وقد اختلف الفقهاء في أذكار الصلوات: هل تقال بغير **العربية**؟ وهي ثلاث درجات - أعلاها القرآن، ثم الذكر الواجب غير القرآن، كالتحريمة بالإجماع، وكالتحليل، والتشهد عند من أوجبهما، ثم الذكر غير الواجب، من دعاء أو تسبيح أو تكبير أو غير ذلك.

فأما القرآن: فلا يقرؤه بغير **العربية**، سواء قدر عليها أو لم يقدر عند." (٢)

"ص -٥٢٠- الجمهور، وهو الصواب الذي لا ريب فيه، بل قد قال غير واحد، إنه يمتنع أن يترجم سورة، أو ما يقوم به الإعجاز.

واختلف أبو حنيفة وأصحابه في القادر على **العربية**، وأما الأذكار الواجبة: فاختلف في منع ترجمة القرآن، هل يترجمها العاجز عن **العربية** وعن تعلمها وفيه لأصحاب أحمد وجهان، أشبهها بكلام أحمد: أنه لا يترجم، وهو قول مالك و إسحاق، والثاني: يترجم، وهو قول أبي يوسف و محمد و الشافعي.

وأما سائر الأذكار فالمنصوص من الوجهين: أنه لا يترجمها، ومتى فعل بطلب صلاته، وهو قول مالك و

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٤٣/١١

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٤٤/١١

إسحاق وبعض أصحاب الشافعي.

والمنصوص عن الشافعي: أنه يكره ذلك بغير العربية ولا تبطل، ومن أصحابنا من قال: له ذلك، إذا لم يحسن العربية.

وحكم النطق بالعجمية، في العبادات: من الصلاة والقراءة والذكر - كالتلبية والتسمية على الذبيحة - وفي العقود والفسوخ - كالنكاح واللعان وغير ذلك، معروف في كتب الفقه.

و أما الخطاب بها من غير حاجة في أسماء الناس والشهور - كالتواريخ ونحو ذلك - فهو منهي عنه، مع الجهل بالمعنى، بلا ريب، وأما مع العلم به فكلام أحمد بين في كراهته أيضا، فإنه كره: آذرماه، ونحوه ومعناه ليس محرما.

وأظنه سئل عن الدعاء في الصلاة بالفارسية فكرهه وقال: لسان سوء!." (١)

"ص -٥٢١- وهو أيضا قد أخذ بحديث عمر رضي الله عنه الذي فيه النهي عن رطانتهم، وعن شهود أعيادهم، وهذا قول مالك أيضا، فإنه قال: لا يحرم بالعجمية، ولا يدعو بها، ولا يحلف بها، وقال: نهى عمر عن رطانة الأعاجم وقال: "إنها خب"، فقد استدل بنهي عمر عن الرطانة مطلقا، وقال الشافعي فيما رواه السلفي بإسناد معروف إلى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول: سمى الله الطالبين من فضله في الشراء والبيع تجارا، ولم تزل العرب تسميهم التجار ثم سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما سمى الله به من التجارة بلسان العرب، والسماسرة اسم من أسماء العجم، فلا نحب أن يسمى رجل يعرف العربية تاجرا، إلا تاجرا، ولا ينطق بالعربية فيسمي شيئا بأعجمية، وذلك أن اللسان الذي أختاره الله عز وجل لسان العرب، فأنزل به كتابه العزيز وجعله لسان خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم، وبهذا نقول: ينبغي لكل أحد يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها، لأنها اللسان الأولى، بأن يكون مرغوبا فيه من غير أن يحرم على أحد أن ينطق بأعجمية.." (٢)

"ص -٥٢٢- فقد كره الشافعي لمن يعرف العربية، أن يسمى بغيرها، وأن يتكلم بها خالطا لها بالعجمية، وهذا الذي قاله الأئمة مأثور عن الصحابة والتابعين.

وقد قدمنا عن عمر وعلي رضي الله عنهما ما ذكره.

وروى أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، حدثنا وكيع، عن أبي هلال عن أبي بريدة قال: قال عمر: "ما

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٤٥/١١

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٤٦/١١

تكلم الرجل بالفارسية إلا خب، ولا خب إلا نقصت مرؤته"، وقال: حدثنا وكيع عن ثور عن عطاء قال: "لا تعلموا رطانة الأعاجم، ولا تدخلوا عليهم كنائسهم، فإن السخط ينزل عليهم".." (١)

"ص -٥٢٤- من يحسن أن يتكلم **بالعربية** فلا يتكلم بالعجمية فإنه يورث النفاق ".

ورواه أيضا بإسناد معروف، إلى أبي سهل محمود بن عمر العكبري، حدثنا محمد بن الحسن بن محمد المقري، حدثنا أحمد بن الخليل - ببلخ - حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحريري، حدثنا عمر بن هارون، عن أسامة بن زيد، عن نافع، عن ابن عمر قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كان يحسن أن يتكلم **بالعربية** فلا يتكلم بالفارسية فإنه يورث النفاق ".

وهذا الكلام يشبه كلام عمر بن الخطاب، وأما رفعه فموضع تبين.

تسامح السلف في الكلمات القليلة من العجمية للحاجة

ونقل عن طائفة منهم، أنهم كانوا يتكلمون بالكلمة بعد الكلمة من العجمية، قال أبو خلدة: كلمني أبو العالية بالفارسية، وقال منذر." (٢)

"ص -٥٢٦- وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال لمن أوجعه بطنه: "أشكم بدرد" وبعضهم يرويه مرفوعا، ولا يصح.

وأما اعتياد الخطاب بغير اللغة **العربية**، التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله، أو لأهل الدار، للرجل مع صاحبه، أو لأهل السوق، أو للأمراء، أو لأهل الديوان، أو لأهل الفقه، فلا ريب أن هذا مكروه فإنه من التشبه بالأعاجم، وهو مكروه كما تقدم، ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر، وأهلهما رومية، وأرض العراق وخراسان ولغة أهلهما فارسية، وأهل المغرب، ولغة أهلها بربرية - عودوا أهل هذه البلاد **العربية**، حتى غلبت على أهل هذه الأمصار: مسلمهم وكافرهم، وهكذا كانت خراسان قديما.

ثم إنهم تساهلوا في أمر اللغة، واعتادوا الخطاب بالفارسية، حتى غلبت عليهم، وصارت **العربية** مهجورة عند كثير منهم، ولا ريب أن هذا مكروه، إنما الطريق الحسن اعتياد الخطاب **بالعربية**، حتى يتلقنها الصغار

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٤٧/١١

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٤٩/١١

في المكاتب وفي الدور فيظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلف، بخلاف من اعتاد لغة ثم أراد أن ينتقل إلى أخرى فإنه يصعب.." (١)

"ص -٥٢٧- اللغة **العربية** من الدين

واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل، والخلق، والدين تأثيرا قويا بينا، ويؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق.

وأيضا – فإن نفس اللغة **العربية** من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة **العربية**، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ثم منها ما هو واجب على الأعيان، ومنها ما هو واجب على الكفاية، وهذا معنى ما رواه أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عيسى بن يونس، عن ثور، عن عمر بن زيد: كتب عمر إلى أبي موسى رضي الله عنه: "أما بعد. فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في اللغة **وأعربوا** القرآن، فإنه **عربي**"، وفي حديث آخر عن عمر رضي الله عنه أنه قال: "تعلموا." (٢)

"ص -٥٢٨- **العربية** فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم" وهذا الذي أمر به عمر رضي الله عنه من فقه **العربية** وفقه الشريعة، يجمع ما يحتاج إليه، لأن الدين فيه أقوال وأعمال، ففقه **العربية** هو الطريق إلى فقه أقواله، وفقه السنة هو فقه أعماله.

تقرير الإعتبار في مسألة الأعياد من وجوه: أحدها: أن الأعياد من الشرائع والمناهج التي جعل الله لكل أمة فيها شرعة ومنهاجا

وأما الإعتبار في مسألة العيد فمن وجوه:

أحدها: أن الأعياد من جملة الشرع والمناهج والمناسك، التي قال الله سبحانه: ﴿لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه﴾. كالقبلة والصلاة والصيام، فلا فرق بين مشاركتهم في العيد وبين مشاركتهم في سائر المناهج، فإن الموافقة في جميع العيد، موافقة في الكفر، والموافقة في بعض فروعه: موافقة في بعض شعب الكفر، بل الأعياد هي من أخص ما تتميز به الشرائع، ومن أظهر ما لها من الشعائر، فالموافقة في١٥ موافقة في

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٥٢/١١

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٥٣/١١

أخص شرائع الكفر، وأظهر شعائره، ولا ريب أن الموافقة في هذا قد تنتهي إلى الكفر في الجملة بشروطه.." (١)

"ص -٥٣١- نعم: هؤلاء يقرون على دينهم المبتدع، والمنسوخ، مستسرين به، والمسلم لا يقر على مبتدع ولا منسوخ، لا سرا ولا علانية، وأما مشابهة الكفار فكمشابهة أهل البدع وأشد.

الثالث: أنه إذا سوغ فعل القليل من أعياد الكفار أدى ذلك إلى فعل الكثير، عرض بعض مما وقع فيه جهال المسلمين من متابعة النصارى وغيرهم في أعيادهم وما يجري بسبب ذلك من البدع والمنكرات

الوجه الثالث: أنه إذا سوغ فعل القليل من ذلك أدى إلى فعل الكثير، ثم إذا اشتهر الشيء دخل فيه عوام الناس، وتناسوا أصله حتى يصير عادة للناس، بل عيدا، حتى يضاهى بعيد الله، بل قد يزاد عليه، حتى يكاد أن يفضي إلى موت الإسلام وحياة الكفر، كما قد سوله الشيطان لكثير ممن يدعي الإسلام، فيما يفعلونه في أواخر صوم النصارى، من الهدايا والأفراح، والنفقات وكسوة الأولاد، وغير ذلك، مما يصير به مثل عيد المسلمين، بل البلاد المصاقبة للنصارى، التي قل علم أهلها وإيمانهم، قد صار ذلك أغلب عندهم وأبهى في نفوسهم من عيد الله ورسوله، على ما حدثني به الثقات، وأما ما رأيته بدمشق، وما حولها من أرض الشام، مع أنها أقرب إلى العلم والإيمان فهذا الخميس الذي يكون في آخر صوم النصارى، يدور بدوران صومهم، الذي هو سبعة أسابيع، وصومهم وإن كان في أوائل الفصل الذي تسميه **العرب**: الصيف وتسميه العامة الربيع، فإنه يتقدم ويتأخر ليس له حد واحد، من السنة الشمسية كالخميس الذي هو في أول نيسان، بل يدور في." (٢)

"ص -٣٦- الخمس من أرض أهل الذمة، التي في أرض **العرب** -أبأثر عندكم، أم بغير أثر؟ قال: ليس عندنا فيه أثر، ولكن قسناه بما أمر به عمر رضي الله عنه: أن يؤخذ من أموالهم إذا اتجروا بها، ومروا بها على عشار.

فهذا أحمد رضي الله عنه سئل عن إحياء الذمي الأرض، فأجاب: بأنه ليس عليه شيء. وذكر اختلاف الفقهاء في مسألة اشترائه الأرض -هل يمنع، أو يضعف عليه العشر؟. وهذا يبين لك أن المسألتين عنده واحدة، وهو تملك الذمي الأرض العشرية، سواء كان بابتياع أو إحياء، أو غير ذلك. وكذلك ذكر العنبري قاضي أهل البصرة: أنهم يأخذون الخمس من جميع أرض أهل الذمة العشرية، وذلك يعم ما ملك انتقالا،

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٥٤/١١

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٥٧/١١

أو ابتداء. وهذا يفيدك أن أحمد إذا منع الذمي أن يبتاع الأرض العشرية، فكذلك يمنعه من إحيائها، وأنه إذا أخذ منه فيما ابتاعه الخمس، فكذلك فيما أحياه، وأن من نقل عنه عشرا مفردا في الأرض المحياة دون المبتاعة فليس بمستقيم وإنما سببه قوله في الرواية الأخرى، التي نقلها الكرماني: هي أرض." (١)

"ص -٥٧- ابن القاسم: وكذلك ما ذبحوا وسموا عليه اسم المسيح، وهو بمنزلة ما ذبحوا لكنائسهم، ولا أرى أن يؤكل.

ونقلت الرخصة في ذبائح الأعياد ونحوها، عن طائفة من الصحابة رضي الله عنهم، وهذا فيما إذا لم يسموا غير الله، فإن سموا غير الله في عيدهم، أو غير عيدهم، حرم في أشهر الروايتين، وهو مذهب الجمهور، وهو مذهب الفقهاء الثلاثة فيما نقله غير واحد. وهو قول علي بن أبي طالب، وغيره من الصحابة منهم: أبو الدرداء، وأبو أمامة، والعرباض بن سارية، وعبادة بن الصامت، وهو قول أكثر فقهاء الشام وغيرهم.

والثانية: لا يحرم، وإن سموا غير الله، وهذا قول عطاء ومجاهد ومكحول والأوزاعي والليث.

نقل ابن منصور: أنه قيل لأبي عبد الله: سئل سفيان عن رجل ذبح ولم يذكر اسم الله متعمدا. قال: أرى أن لا يؤكل. قيل له: أرأيت إن كان يرى أنه يجزى عنه فلم يذكر؟ قال: أرى أن لا يؤكل. قال أحمد: المسلم فيه اسم الله. يؤكل، ولكن قد أساء في تركه التسمية، النصارى: أليس يذكرون غير اسم الله؟.." (٢)

"ص -٨١- ذلك على مذهبه؟ على وجهين.

وعللوا ذلك بأنهما يومان تعظمهما الكفار، فيكون تخصيصهما بالصيام دون غيرهما موافقة لهم في تعظيمهما، فكره، كيوم السبت. قال الإمام أبو محمد المقدسي: وعلى قياس هذا، كل عيد للكفار، أو يوم يفردونه بالتعظيم. وقد يقال: يكره صوم يوم النيروز والمهرجان، ونحوهما من الأيام التي لا تعرف بحساب العرب. بخلاف ما جاء في الحديث من يوم السبت والأحد لأنه إذا قصد صوم مثل هذه الأيام العجمية، أو الجاهلية، كان ذريعة إلى إقامة شعار هذه الأيام وإحياء أمرها، وإظهار حالها بخلاف السبت والأحد، فإنهما من حساب المسلمين. فليس في صومهما مفسدة، فيكون استحباب صوم أعيادهم المعروفة بالحساب العربي الإسلامي، مع كراهة الأعياد المعروفة بالحساب الجاهلي العجمي، توفيقا بين الآثار. والله أعلم.." (٣)

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٢٩/١٤

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٥٠/١٤

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ١٢/١٥

"ص -٨٣- النار".

وفيما رواه أيضا في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد" وفي لفظ في الصحيحين: "من أحدث في أمرنا "هذا" ما ليس منه فهو رد".

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أهل السنن عن **العرباض** بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة".." (١)

"ص -٩١- لا يدل وجوده على القبح، ولا عدمه على الحسن، بل يكون قوله: "كل بدعة ضلالة" بمنزلة قوله: كل عادة ضلالة. أو: كل ما عليه **العرب** أو العجم فهو ضلالة. ويراد بذلك: أن ما نهى عنه من ذلك فهو الضلالة.. وهذا تعطيل للنصوص من نوع التحريف والإلحاد، وليس من نوع التأويل السائغ، وفيه من المفاسد أشياء.

أحدها: سقوط الاعتماد على هذا الحديث، فإنما علم أنه منهي عنه بخصوصه فقد علم حكمه بذلك النهي، وما لم يعلم لا يندرج في هذا الحديث، فلا يبقى في هذا الحديث فائدة! مع كون النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب به في الجمع، ويعده من جوامع الكلم.

الثاني: أن لفظ البدعة ومعناها يكون اسما عديم التأثير، فتعليق الحكم بهذا اللفظ أو المعنى، تعليق له بما لا تأثير له، كسائر الصفات العديمة التأثير.

الثالث: أن الخطاب بمثل هذا، إذا لم يقصد إلا الوصف الآخر -وهو كونه منهيا عنه- كتمان لما يجب بيانه. وبيان لما لم يقصد ظاهره، فإن البدعة والنهي الخاص بينهما عموم وخصوص إذ ليس كل بدعة عنها نهي خاص، وليس كل ما فيه نهي خاص بدعة، فالتكلم بأحد الاسمين وإرادة الآخر تلبيس محض، لا يسوغ للمتكلم، إلا أن يكون مدلسا كما لو قال: الأسود. وعنى به الفرس أو: الفرس، وعنى به الأسود." (٢)

"ص -٩٨- وسلم، فعمل المسلمون بمقتضى سنته، وذلك العمل من سنته، وإن كان يسمى في اللغة بدعة، وصار هذا كنفي عمر رضي الله عنه ليهود خيبر، ونصارى نجران، ونحوهما من أرض **العرب**، فإن النبي صلى الله عليه وسلم عهد بذلك في مرضه، فقال: "أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة **العرب**"

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٣/١٦

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ١١/١٦

وإنما لم ينفذه أبو بكر رضي الله عنه لاشتغاله عنه بقتال أهل الردة، وشروعه في قتال فارس والروم وكذلك عمر لم يمكنه فعله في أول الأمر لاشتغاله بقتال فارس والروم، فلما تمكن من ذلك فعل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان هذا الفعل قد يسمى بدعة في اللغة، كما قال له اليهود: كيف تخرجنا وقد أقرنا أبو القاسم وكما جاءوا إلى علي رضي الله عنه في خلافته، فأرادوا منه إعادتهم، وقالوا: كتابك بخطك فامتنع من ذلك، لأن." (١)

"ص -١٥٦- وهذه أنواع لا يمكن ضبطها، بخلاف الزمان، فإنه محصور. وهذا الضرب أقبح من الذي قبله، فإن هذا يشبه عباده الأوثان أو هو ذريعة إليها، أو نوع من عبادة الأوثان، إذ عباد الأوثان كانوا يقصدون بقعة بعينها لتمثال هناك أو غير تمثال، يعتقدون أن ذلك يقربهم إلى الله تعالى.

ذكر أصنام الجاهلية: اللات والعزى ومناة

وكانت الطواغيت الكبار التي تشد إليها الرحال ثلاثة: اللات، والعزى، ومناة الثالثة الأخرى. كما ذكر الله ذلك في كتابه حيث يقول: ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى﴾. كل واحد من هذه الثلاثة لمصر من أمصار **العرب**. والأمصار التي كانت من ناحية الحرم، ومواقيت الحج ثلاثة: مكة، والمدينة، والطائف. فكانت اللات: لأهل الطائف، ذكروا أنه كان في الأصل رجلا صالحا، يلت السويق للحجيج، فلما مات عكفوا على قبره مدة، ثم اتخذوا تمثاله، ثم بنوا عليه بنية سموها: بيت الربة. وقصتها معروفة، لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم لهدمها لما افتتحت الطائف بعد فتح مكة، سنة تسع من الهجرة.

وأما العزى: فكانت لأهل مكة قريبا من عرفات، وكانت هناك شجرة." (٢)

"ص -١٥٧- يذبحون عندها ويدعون. فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إليها خالد بن الوليد، عقب فتح مكة فأزالها، وقسم النبي صلى الله عليه وسلم مالها، وخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها، فيئست العزى أن تعبد.

وأما مناة: فكانت لأهل المدينة، يهلون لها شركا بالله تعالى، وكانت حذو قديد الجبل الذي بين مكة والمدينة من ناحية الساحل.

ومن أراد أن يعلم كيف كانت أحوال المشركين في عبادة أوثانهم، ويعرف حقيقة الشرك الذي ذمه الله،

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ١٨/١٦

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٩/١٨

وأنواعه، حتى يتبين له تأويل القرآن، ويعرف ما كرهه الله ورسوله، فلينظر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأحوال العرب في زمانه، وما ذكره الأزرقي في أخبار مكة، وغيره من العلماء.

قصد بقعة أو شجرة لم تأت الشريعة بقصدها منكر، وكذلك النذر لها

و"لما كان للمشركين شجرة يعلقون عليها أسلحتهم، ويسمونها ذات أنواط، فقال بعض الناس: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط. فقال: الله أكبر، قلتم كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم". فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم مجرد مشابهتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها، معلقين عليها سلاحهم.." (١)

"ص -١٩٢- آدم ونوح عليهما السلام، وكان لهم اتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم. فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر، فعبدوهم قال قتادة وغيره: كانت هذه الآلهة يعبدها قوم نوح، ثم اتخذها العرب بعد ذلك.

وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع هي أوقعت كثيرا من الأمم، إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين، وبتماثيل يزعمون أنها طلاسم للكواكب، ونحو ذلك. فإن يشرك بقبر الرجل الذي يعتقد نبوته أو صلاحه، أعظم من أن يشرك بخشبة أو حجر على تمثاله. ولهذا نجد أقواما كثيرين يتضرعون عندها، ويخشعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في المسجد، بل ولا في السحر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد التي تشد إليه الرحال.

مفسدة الشرك هي التي حسم النبي صلى الله عليه وسلم مادتها

فهذه المفسدة -التي هي مفسدة الشرك، كبيرة وصغيرة- هي التي حسم النبي صلى الله عليه وسلم مادتها، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقا، وإن لم يقصد." (٢)

"ص -١٩٩- قصة دانيال وسد الصحابة لذريعة الشرك وتعظيم القبور

على أنا قد روينا في مغازي ابن إسحاق، من زيادات يونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار، حدثنا أبو العالية قال: لما فتحنا تستر، وجدنا في بيت مال الهرمزان، سريرا عليه رجل ميت، عند رأسه مصحف

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ١٠/١٨

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٤٥/١٨

له، فأخذنا المصحف، فحملناه إلى عمر رضي الله عنه، فدعا له كعبا، فنسخه **بالعربية**، فأنا أول رجل من **العرب** قرأه قراءة مثل ما أقرأ القرآن هذا فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيرتكم وأموركم، ولحون كلامكم، وما هو كائن بعد، قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة، فلما كان بالليل دفناه، وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس لا ينبشونه فقلت وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا." (١)

"ص -٣٠١- أن قبور الأنبياء لا تنبش ولا يكون ترابها نجسا، وقال صلى الله عليه وسلم عن نفسه: "اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد". وقال: "لا تتخذوا قبري عيدا" فعلم أن نهيه عن ذلك من جنس نهيه عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، لأن الكفار يسجدون للشمس حينئذ، فسد الذريعة، وحسم المادة، بأن لا يصلى في هذه الساعة وإن كان المصلي لا يصلي إلا لله، ولا يدعو إلا الله، وكذلك نهى عن اتخاذ القبور مساجد، وإن كان المصلي عندها لا يصلي إلا لله، ولا يدعو إلا الله، لئلا يفضي ذلك إلى دعائها والصلاة لها، وكلا الأمرين قد وقع، فإن من الناس من يسجد للشمس وغيرها من الكواكب ويدعو لها بأنواع الأدعية، والتسبيحات ويلبس لها من اللباس والخواتم ما يظن مناسبته لها، ويتحرى الأوقات والأمكنة والأبخرة المناسبة لها في زعمه. وهذا من أعظم أسباب الشرك الذي ضل به كثير من الأولين والآخرين، حتى شاع ذلك في كثير ممن ينتسب إلى الإسلام، وصنف فيه بعض المشهورين كتابا سماه: السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم على مذهب المشركين من الهند والصابئه، والمشركين من **العرب** وغيرهم، مثل طمطم." (٢)

"ص -٣٠٨- عرشك، هل هو سؤال بمخلوق أو خالق؟ فيه نزاع بينهم. فلذلك تنازعوا فيه، وأبو يوسف بلغه الأثر فيه: أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك، وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامة فجوزه لذلك.

وقد نازع في هذا بعض الناس، وقالوا: في حديث أبي سعيد الذي رواه ابن ماجة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء الذي يقوله الخارج إلى الصلاة: "اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك. وبحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا، ولا رياء، ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذني من النار، وأن تغفر لي" وقد قال تعالى: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ على قراءة حمزة

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٥٢/١٨

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٣٢/٢١

وغيره ممن خفض الأرحام. ومن زعم من النحاة أنه لا يجوز العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار، فإنما قاله لما رأى غالب الكلام بإعادة الجار، وإلا فقد سمع من الكلام **العربي** نثره ونظمه العطف بدون ذلك، كما حكى سيبويه: ما فيها غيره وفرسه ولا ضرورة هنا، كما يدعى مثل ذلك." (١)

"ص -٣٨١- ولهذا تجد ما أحدث من الشرك والبدع، يفترق أهله فكان لكل قوم من مشركي **العرب** طاغوت، يتخذونه ندا من دون الله، فيقربون له ويستشفعون به ويشركون به. وهؤلاء ينفرون عن طاغوت هؤلاء، وهؤلاء وهؤلاء ينفرون عن طاغوت هؤلاء، بل قد يكون لأهل هذا الطاغوت شريعة ليست للآخرين. كما كان أهل المدينة الذين يهلون لمناة أن الثالثة الأخرى ويتحرجون من الطواف بين الصفا والمروة، حتى أنزل الله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ الآية وهكذا تجد من يتخذ شيئا من نحو الشرك كالذين يتخذون القبور وآثار الأنبياء والصالحين مساجد، تجد كل قوم يقصدون بالدعاء والاستعانة والتوجه عند من لا تعظمه الطائفة الأخرى. بخلاف أهل التوحيد فإنهم يعبدون الله لا يشركون به، في بيوته التي قد أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، مع أنه قد جعلت لهم الأرض مسجدا وطهورا. وإن حصل بينهم تنازع في شيء مما يسوغ فيه الاجتهاد، لم يوجب ذلك تفرقا ولا اختلافا، بل هم يعلمون أن المصيب منهم له أجران، وأن المجتهد المخطئ له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور له.

والله هو معبودهم، إياه يعبدون وعليه يتوكلون، وله يخشون ويرجون." (٢)

"ص -٣٨٦- وأثبتوا ذاتا مجردة عن الصفات، أو وجودا مطلقا بشرط الإطلاق.

وقد علم بصريح المعقول المطابق لصحيح المنقول: أن ذلك لا يكون إلا في الأذهان، لا في الأعيان. وزعموا أن إثبات الصفات يستلزم ما سموه تركيبا وظنوا أن العقل ينفيه، كما قد كشفنا أسرارهم وبينا فرط جهلهم، وما أضلهم من الألفاظ المجملة، المشتركة في غير هذا الموضع.

التوحيد لا يتحقق إلا بتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية معا

وطائفة ظنوا أن التوحيد ليس إلا الإقرار بتوحيد الربوبية، وأن الله خالق كل شيء وهو الذي يسمونه: توحيد الأفعال.

من أهل الكلام من أطال نظره في تقرير توحيد الأفعال

ومن أهل الكلام من أطال نظره في تقرير هذا التوحيد: إما بدليل أن الاشتراك يوجب نقص القدرة وفوات

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٤٠/٢١

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٣٧/٢٣

الكمال، واستقلال كل من الفاعلين بالمفعول محال، وإما بغير ذلك من الدلائل. ويظن أنه بذلك قرر الوحدانية وأثبت أنه لا إله إلا هو. وأن الإلهىة هي القدرة على الاختراع أو نحو ذلك. فإذا ثبت أنه لا يقدر على الاختراع إلا الله، وأنه لا شريك له في الخلق- كان هذا معنى قولنا: لا إله إلا الله، ولم يعلم أن مشركي **العرب** كانوا مقرين بهذا التوحيد، كما قال تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس." (١)

"ص -٣٩٥- عباد الله المخلصون الذين لم يعبدوا إلا إياه، ممن عبد غيره، وأشرك به أو نظر إلى القدر الشامل لكل شيء، فسوى بين المؤمنين والكفار، كما كان يفعل المشركون من **العرب**.

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: "إنها براءة من الشرك".

وسورة ﴿قل هو الله أحد﴾ فيها إثبات الذات، وما لها من الأسماء والصفات الذي يتميز به مثبتوا الرب الخالق، الأحد الصمد، من المعطلين له بالحقيقة: نفاة الأسماء والصفات، المضاهين لفرعون، وأمثاله، ممن أظهر التعطيل والجحود للإله المعبود، وإن كان في الباطن يقر به، كما قال تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا﴾ وقال موسى: ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا﴾.

الله سبحانه بعث أنبياءه بإثبات مفصل للصفات ونفي مجمل، لكن المعطلة عكسوا القضية

والله سبحانه بعث أنبياءه بإثبات مفصل، ونفي مجمل، فأثبتوا له الأسماء والصفات، ونفوا عنه مماثلة المخلوقات. ومن خالقهم من المعطلة المتفلسفة وغيرهم عكسوا القضية، فجاءوا بنفي مفصل وإثبات مجمل، يقولون كذا، ليس كذا، ليس كذا. فإذا أرادوا إثباته قالوا: وجود مطلق بشرط النفي، وبشرط الإطلاق،." (٢)

"يعرفوا أصل دين المسلمين، وأعانه على ذلك من عادتهم إعانة [الرافضة من المتظاهرين بالإسلام، من] (١) أصناف الباطنية الملحدين (٢) الذين هم في الباطن من الصابئة (٣) الفلاسفة الخارجين عن حقيقة

---

(١) ما بين المعقوفتين مكانه بياض في (ن) .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٤٢/٢٣

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٥١/٢٣

(٢) الباطنية هم الذين جعلوا لكل ظاهر من الكتاب باطنا، ولكل تنزيل تأويلا، ويذكر الشهرستاني (الملل والنحل ١/١٧٢) أن " الباطنية القديمة "كانت تخلط كلامها ببعض كلام الفلاسفة. أما الباطنية على زمانه فقد جعلهم هم والإسماعيلية الغلاة فرقة واحدة، وذكر أنهم يسمون في العراق بالباطنية والقرامطة والمزدكية، وفي خراسان بالتعليمية والملحدة، وأضاف محمد بن الحسن الديلمي في كتابه " قواعد عقائد آل محمد " (القاهرة سنة ١٩٥٠) ص ٣٤، الألقاب التالية: السبعية، والخرمية، والبابكية، والمحمرة، والمباركية، والإباحية، والزنادقة، والخرمدينية، ونقل ابن طاهر البغدادي (الفرق بين الفرق، ص ١٩٦) عن أصحاب المقالات قولهم بأن الذين أسسوا دعوة الباطنية جماعة منهم ميمون بن ديصان المعروف بالقداح، ومحمد بن الحسين الملقب بدندان.

وانظر أيضا: الملل والنحل ١/١٧٠ – ١٧٨؛ الفرق بين الفرق، ص ١٦٩ – ١٨٨؛ مقالة كارادي فوفي دائرة المعارف الإسلامية، مادة: الباطنية؛ كتاب " الصراع بين الموالي والعرب " تأليف الدكتور محمد بديع شريف، ص ٥٧ – ٦٥، القاهرة، ١٩٥٤.

(٣) قال الرازي عن " الصابئة " (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص [٠ – ٩] ٠) : " قوم يقولون: إن مدبر هذا العالم وخالقه هذه الكواكب السبعة والنجوم، فهم عبدة الكواكب ". وأما الشهرستاني (الملل والنحل ١/٢١٠ – ٢١١) فيذكر أن الفرق كانت في زمان إبراهيم – عليه السلام – ترجع إلى صنفين اثنين: الصابئة، والحنفاء، وقال الصابئة بالحاجة إلى وجود " متوسط " روحاني، وجعل بعضهم هذا " المتوسط "من الكواكب وبعضهم جعلوه من الأصنام. وابن تيمية كثيرا ما يصف الفلاسفة بأنهم من الصابئة المشركين وهو يذكر بأن الفارابي قدم حران – التي كانت مركزا للصابئة المشركين – في القرن الرابع الهجري وتعلم منهم وأخذ عنهم الفلسفة، وكذلك فعل ثابت بن قرة الحراني وغيره قبل الفارابي. ويفرق ابن تيمية بين هؤلاء الصابئة المشركين الذين يذكرهم الله تعالى في كتابه [سورة الحج: ١٧] وبين الصابئة الموحدين الذين يثني الله عليهم [سورة البقرة: ٦٢] . انظر تفصيل ذلك وغيره في الرد على المنطقيين، ص [٠ – ٩] ٨٧ – ٢٩٠، ٤٥٤ – ٤٥٨؛ منهاج السنة (بولاق ١/١٩٧) ؛ مجموعة الرسائل والمسائل ٣٧/٤، ٣٨.؛ مجموعة رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية ٥٨، ٧٤، ٩٣، ٩٤، ٩٧ – ٩٩. ويسمي ابن تيمية المعتزلة وغيرهم من النفاة بالصابئة المعطلة، انظر مثلا مجموعة الرسائل والمسائل ١/١٨٣.." [١]

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٥

"في كتاب] (تثبيت النبوة) (١) .

[تحريم كتمان العلم]

[(فصل (٢) .)] .

فلما ألحوا في طلب الرد لهذا الضلال المبين، ذاكرين أن في الإعراض [عن ذلك خذلانا للمؤمنين] ، وظن (٣) أهل الطغيان نوعا من العجز [عن] (٤) رد هذا البهتان، فكتبت ما يسره الله من البيان، [وفاء بما أخذه الله من] الميثاق على أهل العلم، والإيمان، وقياما بالقسط، وشهادة

---

(١) في (أ) ، (ب) ، (ل) : نقل هذا. إلخ، كتبت العبارة مقلوبة ومضطربة. والقاضي عبد الجبار هو القاضي عماد الدين أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمداني الأسدابادي، شيخ المعتزلة في عصره، وهم يلقبونه " قاضي القضاة "، توفي سنة ٤١٥، وله مؤلفات كثيرة أهمها " المغني في العدل والتوحيد " و " شرح الأصول الخمسة " و " تثبيت دلائل النبوة " و " تنزيه القرآن عن المطاعن ". انظر ترجمته ومذهبه في: شرح العيون للجشمي (ضمن كتاب " فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة "، تحقيق الأستاذ فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر، ١٣٩٣ - ١٩٧٤) ص ٣٦٥ - ٣٧١؛ طبقات الشافعية ٩٧/٥ - ٩٨؛ لسان الميزان ٣٨٦/٣ - ٣٨٧؛ تاريخ بغداد ١١٣/١١ - ١١٥؛ شذرات الذهب ٢٠٢/٣ - ٢٠٣؛ الأعلام ٤٧/٤. وترجم له سزكين مجلد ١ ج [٠ - ٩] ص [٠ - ٩] ١ - ٨٤ وذكر أنه توجد نسخة خطية من كتاب تثبيت دلائل النبوة في مكتبة شهيد علي (إستانبول) . وتوجد مصورة من هذه النسخة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ٦٠ توحيد) . وقد ذكر هذا الخبر الذي يشير إليه ابن تيمية القاضي عبد الجبار في كتابه " تثبيت دلائل النبوة " ٥٤٩/١ تحقيق د. عبد الكريم عثمان (رحمه الله) ، ط. دار العربية، بيروت، ١٣٨٦/١٩٦٦.

(٢) فصل: زيادة في (أ) ، (ل) ، (ب) .

(٣) ن، م: فظن.

(٤) عن: ساقطة من (ن) فقط.." (١)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٥/١

"ومن أعظم خبث القلوب أن يكون في قلب العبد غل لخيار (١) المؤمنين، [وسادات أولياء] الله بعد النبيين، ولهذا لم يجعل الله [تعالى] (٢) في الفيء نصيبا لمن بعدهم إلا الذين يقولون: ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم﴾ [سورة الحشر: ١٠] .

ولهذا كان بينهم وبين اليهود من [المشابهة في الخبث] (٣) ، واتباع الهوى، وغير ذلك من أخلاق اليهود، وبينهم وبين النصارى من المشابهة في الغلو، والجهل (٤) ، وغير ذلك من أخلاق النصارى ما أشبهوا به هؤلاء من وجه، وهؤلاء من وجه، وما زال الناس يصفونهم بذلك.

ومن أخبر [الناس بهم] الشعبي (٥) وأمثاله من علماء الكوفة، وقد ثبت عن الشعبي أنه قال: (ما رأيت أحمق من الخشبية (٦) لو كانوا من الطير لكانوا رخما (٧) ، ولو كانوا من البهائم لكانوا حمرا، والله لو طلبت منهم أن

---

(١) م: على خي ا ر، وهو تحريف.

(٢) تعالى: ليست في (ن) ، (م) ، (ل) .

(٣) في الخبث: زيادة في (م) ، (ل) وظهر جزء من الكلمة في (ن) .

(٤) أ، ب، ل: والجهل واتباع الهوى.

(٥) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد الشعبي، كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم، توفي سنة ١٠٤. ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/٢٢٧ - ٢٢٩؛ شذرات الذهب ١/١٢٦ - ١٢٨.

(٦) أ، ل: الحبشية، وهو تحريف. والخشبية نسبة إلى الخشب، وذلك لأنهم كانوا يرفضون القتال بالسيف ويقاتلون بالخشب كما سيرد بعد قليل (ص ٢٢) . وذكر ابن حزم (الفصل ٥/٤٥) أن بعض الشيعة كانوا " لا يستحلون حمل السلاح حتى يخرج الذي ينتظرونه فهم يقتلون الناس بالخنق وبالحجارة، والخشبية بالخشب فقط ".

(٧) الرخم نوع من الطير، واحدته رخمة، يوصف بالغدر والقذر وهو من لئام الطير. لسان العرب ١٢/٢٣٥ (ط. بيروت) .." [1]

---

[1] (١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٢٢

"يملئوا لي (١) هذا البيت ذهبا على أن أكذب على علي [لأعطوني، ووالله ما] أكذب عليه أبدا) ، وقد روي هذا الكلام مبسوطا عنه أكثر من هذا، لكن (٢) الأظهر أن المبسوط من كلام غيره.

كما [روى أبو حفص بن] شاهين في كتاب اللطيف في السنة (٣) : حدثنا (٤) محمد بن [أبي] القاسم (٥) بن هارون، حدثنا أحمد بن الوليد الواسطي، حدثني جعفر [بن نصير الطوسي الواسطي] ، عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول، عن أبيه قال: قال لي (٦) الشعبي: (أحذركم هذه الأهواء (٧) [المضلة، وشرها الرافضة] لم يدخلوا في الإسلام رغبة، ولا رهبة، ولكن مقتا لأهل الإسلام، وبغيا عليهم قد حرقهم علي - رضي الله عنه - بالنار (٨) ، ونفاهم إلى البلدان، منهم عبد الله بن سبأ: يهودي من يهود صنعاء نفاه إلى ساباط، وعبد الله بن يسار نفاه إلى خازر (٩) .

---

(١) لي: ساقطة من (ب) فقط.

(٢) أ، ل، ب: الكلام عنه مبسوطا لكن. والمثبت من (ن) ، (م) .

(٣) أ، ل، ب: اللطف في السنة؛ م: اللطيف في السنية. وابن شاهين هو أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد البغدادي المتوفى سنة ٣٨٥. ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/١٨٣ - ١٨٤؛ سزكين م [٠ - ٩] ، ج [٠ - ٩] ، ص ٤٢٥ - ٤٢٧.

(٤) ن، م: وقد روى.

(٥) ن، م: محمد بن القاسم.

(٦) لي: زيادة في (ن) .

(٧) ب (فقط) : أحذركم أهل هذه الأهواء.

(٨) بالنار: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٩) أ، ل خارز، ن: حادر؛ م. . حادن. وقد ذكر الحسن بن موسى النوبختي (وهو من كبار علماء الشيعة) في كتابه " فرق الشيعة " (ط. إستانبول ١٩٣١) ، ص ١٩ - ٢٠ ما يلي: فلما قتل. علي - عليه السلام - افترقت التي ثبتت على إمامته وأنها فرض من الله - عز وجل - ورسول الله - عليه السلام - فصاروا فرقا ثلاثا: فرقة منهم قالت: إن عليا لم يقتل ولم يمت ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملأ الأرض عدل، كما ملئت ظلما وجورا، وهي أول فرقة قالت في الإسلام بالوقف بعد النبي - صلى الله عليه وسلم وآله - من هذه الأمة، وأول من قال منها بالغلو وهذه الفرقة تسمى " السبئية " أصحاب

عبد الله بن سبأ، وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم وقال إن عليا – عليه السلام – أمره بذلك، فأخذه علي فسأله عن قوله هذا فأقر به فأمر بقتله. وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي – عليه السلام – أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا – عليه السلام –، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى – عليه السلام – بهذه المقالة فقال في إسلامه بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وآله – في علي – عليه السلام – بمثل ذلك، وهو أول من شهر القول بفرض إمامة علي – عليه السلام – وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه فمن هناك قال من خالف الشيعة: إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية ".

وانظر عن عبد الله بن سبأ والسبئية ما ذكر في مقالات الأشعري ١/٨٥ – ٨٦؛ الإسفراييني: التبصير في الدين، ص ٧١ – ٧٢؛ الفرق بين الفرق، ص ١٤٣ – ١٤٥، الملل والنحل ١/١٥٥ – ١٥٦؛ كتاب " الشيعة والتشيع " للأستاذ إحسان إلهي ظهير، ص ٦٧ – ٧٧، ط. هور، باكستان، ١٤٠٤ ١٩٨٤.

ويذكر ابن طاهر البغدادي (الفرق بين الفرق ص ١٨) أن السبئية أظهروا بدعتهم في زمان علي – رضي الله عنه – فقال بعضهم لعلي: أنت الإله، فأحرق علي قوما منهم ونفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن (ويسميها ياقوت في " معجم البلدان " بساباط كسرى بالمدائن) . وأما عبد الله بن يسار فهو عبد الله بن أبي ليلى. ذكره الذهبي (ميزان الاعتدال ٢/٥٢٧) وابن حجر (لسان الميزان ٣/٣٧٩) ولم يذكرا سنة وفاته وقالا إن حديثه عن علي لا يصح. وخازر (بكسر الزاي) نهر بين إربل والموصل (ياقوت) .." (١)

"دعوتهم مدحوضة، وكلمتهم مختلفة، وجمعهم متفرق (١) كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله.

قلت: هذا الكلام بعضه [ثابت عن الشعبي كقوله] : لو كانت الشيعة من البهائم لكانوا (٢) حمرا، ولو كانت من الطير لكانوا (٣) رخما، فإن هذا ثابت عنه.

قال ابن شاهين: حدثنا محمد بن العباس (٤) النحوي، حدثنا إبراهيم الحربي، حدثنا أبو الربيع الزهراني (٥) ، حدثنا وكيع بن الجراح، حدثنا مالك بن مغول، فذكره، وأما السياق المذكور، فهو معروف عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول عن أبيه عن الشعبي.

وروى أبو عاصم خشيش بن أصرم. (٦) في كتابه، ورواه من طريقه أبو عمرو الطلمنكي في كتابه في الأصول قال (* أبو عاصم، حدثنا أحمد بن محمد، وعبد الوارث بن إبراهيم، حدثنا السندي بن سليمان

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٢٣

(١) ن، م: مفترق.

(٢) ن، م، ل: لكانت.

(٣) ن، م، ل: لكانت.

(٤) ن، م: محمد بن العباس، وهو خطأ. وأبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي النحوي. قال عنه ابن خلكان (٤٦١/٣) إنه كان إماما في النحو والأدب ونقل النوادر وكلام **العرب**، وذكر أنه توفي سنة ٣١٠.

(٥) ن، م: الزهري، والصواب ما في (أ) ، (ل) ، (ب) . وهو سليمان بن داود العتكي أبو الربيع الزهراني البصري، توفي سنة ٢٣٤. انظر تهذيب التهذيب ١٩١/٤.

(٦) ن: خشيش بن أضرم؛ أ: حسيس بن صرم؛ ل: حسيس بن صرام والصواب ما في (م) ، (ب) . وهو خشيش بن أصرم بن الأسود أبو عاصم النسائي المتوفى سنة ٢٥٣. انظر تهذيب التهذيب ١٤٢/٣.." [1]

"الكندرة (١) ، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يخلصون بالسلام إنما يقولون: سام عليكم، وهو الموت، وكذلك الرافضة، (٢ واليهود حرفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن ٢) (٢) ، واليهود عادوا جبريل، فقالوا: هو عدونا، وكذلك الرافضة قالوا: أخطأ جبريل بالوحي، واليهود يستحلون أموال الناس، وقد نبأنا الله عنهم أنهم قالوا: ﴿ليس علينا في الأميين سبيل﴾ [سورة آل عمران: ٧٥] ، وكذلك الرافضة [يستحلون مال كل مسلم] (٣) (٤ [واليهود يستحلون دم كل مسلم، وكذلك الرافضة، واليهود يرون غش الناس، وكذلك الرافضة] ٤) (٤) .

---

(١) يسجدون في صلاة الفجر الكندرة: كذا في جميع النسخ، والعبارة ليست مذكورة في العقد الفريد. وفي " لسان **العرب** ": " والكندرة من الأرض: ما غلظ وارتفع. وكندرة البازي: مجثمه الذي يهيأ له من خشب أو مدر، وهو دخيل ليس **بعربي** ". والأرجح أن معنى العبارة أن: اليهود يسجدون على جبينهم وهو ما ارتفع من وجوههم. يقول لبيد (ص ١٨٣، شرح ديوان لبيد، تحقيق د. إحسان عباس، الكويت، ١٩٦٢) : يلمس الأحلاس في منزله بيديه كاليهودي المصل وفي الشرح: " وقوله: كاليهودي المصل. قال أبو الحسن الطوسي: كأنه يهودي يصلي في جانب يسجد على جبينه. قال البغدادي: يسجد على شق وجهه ".

(٢) (٢ - ٢) : جاءت هذه العبارات في (أ) ، (ل) ، (ب) قبل مكانها هنا.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٨/١

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) . وفي (ل) : يستحلون دم كل مسلم.
(٤) (٤ - ٤) : ساقط من (ن) .." (١)

"يوم القيامة درعا من جرب، وسربالا من قطران.») (١) ، وفي الصحيح عنه أنه قال: («من ينح عليه، فإنه يعذب بما ينح عليه» .) (٢) ، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وهؤلاء يأتون من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعوى الجاهلية، وغير

---

(١) الحديث عن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - مع حديث آخر قبله في: مسلم ٢/٦٤٤ (كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة) وأول الحديث الأول: " أربع في أمتي من أمر الجاهلية. " والحديث الثاني نصه: " النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب ". وجاء الحديث مع اختلاف في الألفاظ في: سنن ابن ماجه ١/٥٠٣ - ٥٠٤ (كتاب الجنائز، باب في النهي عن النياحة) ؛ المسند (ط. الحلبي) ٥/٣٤٢ - ٣٤٣. وذكر ابن ماجه في سننه ١/٤٠٥ حديثا بلفظ مقارب عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وجاء في التعليق عليه ما يبين ضعفه.

(٢) هذا الحديث جاء في (أ) ، (ب) قبل الحديث السابق وفيهما: من نيح عليه. . بما نيح عليه. والحديث جاء بهذا اللفظ عن ابن عمر - رضي الله عنهما - في: المسند (ط. المعارف) ٢/١٨٦ - ١٨٧ وفيه ". . بما نيح عليه يوم القيامة " وصحح الشيخ أحمد شاكر الحديث. وجاء الحديث بلفظ: " من نيح عليه يعذب بما نيح عليه " عن المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - (وجاء مطولا في بعض الروايات) في: البخاري ٢/٨٠ (كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت) وأوله: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: إن كذبا علي ليس ككذب على أحد " مسلم ٢/٦٤٤ (كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه) ؛ سنن الترمذي ٢/٢٣٤ - ٢٣٥ (كتاب الجنائز، باب في كراهية النوح) ؛ المسند (ط. الحلبي) ٤/٢٤٥ - ٢٥٢. وأطال النووي في شرحه على مسلم ٦/٢٢٨ - ٢٢٩ الكلام على هذا الحديث وأمثاله ومن ذلك قوله: " واختلف العلماء في هذه الأحاديث فتأولها الجمهور على من وصى بأن يبكى عليه ويناح بعد موته فنفذت وصيته، فهذا يعذب ببكاء أهله عليه ونوحهم لأنه بسببه ومنسوب إليه: قالوا: فأما من بكى عليه أهله وناحوا من غير وصية منه فلا يعذب؛ لقول الله تعالى: (ولا تزر وازرة وزر أخرى) [سورة الأنعام: ١٦٤] . قالوا: وكان من عادة **العرب** الوصية بذلك ومنه قول طرفة بن

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٢/١

العبد: إذا مت فانعيني بما أنا أهله وشقي علي الجيب يا ابنة معبد قالوا: فخرج الحديث مطلقا حملا على ما كان معتادا لهم.." (١)

"[هو] (١) هشام بن الحكم (* بل قال: الجاحظ في كتابه " الحجج في النبوة " (٢) ليس على ظهرها رافضي إلا وهو يزعم أن ربه مثله، وأن البدوات تعرض له، وأنه لا يعلم الشيء قبل كونه إلا بعلم يخلقه لنفسه *) (٣) ، وقد كان (٤) ابن الراوندي، وأمثاله من المعروفين بالزندقة، [والإلحاد] (٥) صنفوا (٦) لهم كتبا أيضا على أصولهم.

[فصل مقدمة كتاب ابن المطهر]

[الإمامة هي أهم المطالب في أحكام الدين وأشرف مسائل المسلمين]

(فصل)

قال. المصنف [الرافضي] (٧) :

أما بعد (٨) ، فهذه رسالة شريفة، ومقالة لطيفة، اشتملت على.

---

(١) هو زيادة في (أ) ، (ب) .

(٢) ن: بصحيح النبوة؛ م: تصحيح النبوة. وأرجو أن يكون الصواب ما أثبته. وقد ذكره ياقوت في معجم الأدباء ٧٧/٦، كما ذكر له (٦) كتاب " النبي والمتنبئ ". وقد نشرت قطعة من كتاب " حجج النبوة " في: رسائل الجاحظ، جمعها ونشرها حسن السندوبي (ص [٠ - ٩] ١٧ - ١٥٤) القاهرة، ١٣٥٢ ١٩٣٣، وذكر بروكلمان الكتاب وأسماه حجة (أو حجج) النبوة، وذكر أن منه نسخة مخطوطة في المتحف البريطاني بلندن، وأنه نشر عدة مرات. انظر: تاريخ الأدب **العربي** لبروكلمان، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ١١٢/٣، ط. المعارف، القاهرة، ١٩٦٢. .

(٣) ما بين النجمتين ساقط من (أ) ، (ب) .

(٤) ن، م: وكان.

(٥) والإلحاد: زيادة في (أ) ، (ب) .

(٦) ن، م: صنف.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٤/١

(٧) الرافضي: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٨) أما بعد: ساقطة من (م) .." (١)

"أهم المطالب في أحكام الدين، وأشرف مسائل المسلمين، وهي مسألة الإمامة التي يحصل بسبب إدراكها نيل درجة الكرامة، وهي أحد أركان الإيمان المستحق بسببه الخلود في الجنان، والتخلص من غضب الرحمن، [فقد قال] رسول الله. (١) - صلى الله عليه وسلم -: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» .

خدمت بها خزانة السلطان الأعظم مالك رقاب الأمم ملك ملوك طوائف **العرب**، والعجم مولى النعم، ومسدي (٢) الخير، والكرم شاهنشاه المكرم (٣) ، غياث الملة والحق. والدين الجايتو خدابنده (٤) قد لخصت فيه خلاصة الدلائل، وأشرت إلى رءوس المسائل (٥) ، وسميتها (منهاج الكرامة في معرفة الإمامة.) (٦) .

ورتبتها على فصول: الفصل الأول: في نقل المذاهب في هذه المسألة.) .

ثم ذكر الفصل الثاني: (في أن مذهب الإمامية. واجب.

---

(١) ك (منهاج الكرامة) : وقد قال رسول الله؛ ن، م: قال رسول.

(٢) ك: مسند.

(٣) ك: المعظم.

(٤) الجايتوخدابنده: كذا في (ك) وهو الصواب. وفي (ب) : أولجايوخدابنده، وفي (ن) : أولحانوحدابندا؛ (م) : ولحاهبوحذابندا. وفي (ك؛ توجد هذه الزيادة. الجايتوخدابندة محمد خلد الله سلطانه وثبت قواعد ملكه وشيد أركانه، وأمد بعنايته وألطافه، وأيده بجميل إسعافه، وقرن دولته بالدوام إلى يوم القيامة.

(٥) توجد بعد ذلك هذه الزيادة في (ك) : من غير تطويل ممل، ولا إيجاز مخل.

(٦) توجد بعد ذلك هذه الزيادة في (ك) : والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب.." (٢)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٧٣

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٧٤

"وأيضا، فإنه على هذا التقدير الذي نتكلم عليه، وهو تقدير أن لا يكون الأزلي مستلزما لتلك الحوادث، بل كانت حادثة بعد أن لم تكن، فيلزم (١) أن العالم كان خاليا عن جميع الحوادث، ثم حدثت (٢) فيه بلا سبب حادث، وهو شبيه بقول الحرانيين القائلين (٣) بالقدماء الخمسة الواجب بنفسه، والمادة، والمدة، والنفس، والهيولي، كما يقوله ديمقراطيس (٤) ، وابن زكريا الطبيب (٥) ومن. وافقهما، أو بقول يحكى عن بعض القدماء، وهو أن جواهر العالم (٦) أزلية، وهو القول بقدم المادة –

---

(١) ب (فقط) : يلزم.

(٢) أ، ب: حدث.

(٣) أ، ب: وهم من يقول.

(٤) وهو ديموقريطس DEMOKRITOS الفيلسوف اليوناني المشهور، وقد ولد في أبديرا من أعمال تراقيا، ولكننا لا نعلم تاريخ ولادته ووفاته بالضبط، وإنما نعلم أنه اشتهر حوالي سنة ٤٢٠ ق. م. (انظر مثلا بروتراندرسل: تاريخ الفلسفة الغربية ١/١١٤، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود، القاهرة، ١٩٥٤) . وهو أهم شخصيات المدرسة الذرية ومذهبها – كما ذكر العرب فيما بعد – هو مذهب القائلين بالجزء الذي لا يتجزأ أو بالجوهر الفرد. وانظر ترجمته ومذهبه في الكتب العربية مثل طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل، ص [٠ – ٩] ٣ ؛ إخبار العلماء بأخبار الحكماء لابن القفطي، ص [٠ – ٩] ٨٢ ؛ الملل والنحل ١/١٠٧ – ١٠٨، ١٢٠ – ١٢٢.

(٥) وهو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب والفيلسوف المتوفى سنة ٣١٣، وهو أحد القائلين بمذهب الجوهر الفرد من المنتسبين إلى الإسلام. انظر ترجمته في طبقات الأطباء لابن جلجل، ص ٧٧، ٧٨ ؛ ابن القفطي، ٢٧١ – ٢٧٧ ؛ ابن ظهير البيهقي، تاريخ حكماء الإسلام (دمشق ١٩٤٦) ، ص [٠ – ٩] ١، ٢٢. وقد تكلم الدكتور س. بينيس في كتابه " مذهب الذرة عند المسلمين " (ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبي ريده، القاهرة، ١٩٤٦) على مذهب الرازي بالتفصيل، وذكر (ص [٠ – ٩] ٠) قول الرازي: إن القدماء أو الجواهر خمسة: الباري والنفس والهيولى والزمان والمكان. وانظر نفس الكتاب ص

[٠ - ٩] ١ - ٥٦ ؛ انظر أيضا: الفصل لابن حزم ٥ - ١٩٧.

(٦) ن، م: العوالم.." [١]

"المتحرك الأزلي يوجب متحركا أزليا لم يوجب] (١) إلا ما يناسبه، وأما المتحركات المختلفة في قدرها وصفاتها وحركاتها فيمتنع صدورها عن متحرك حركة متشابهة.

وأيضا، فإن المفعول المخلوق مفتقر إلى الفاعل من جميع الوجوه ليس له شيء إلا من الفاعل، والفاعل الخالق غني عنه من جميع الوجوه، واقترانهما (٢) أزلا وأبدا يمنع كون أحدهما فاعلا غنيا والآخر مفعولا فقيرا، بل يمنع كونه متولدا عنه، ويوجب كونه صفة له، فإن الولد وإن تولد عن والده بغير قدرته [وإرادته] (٣) ، واختياره ومشيئته (٤) ، فهو حادث عنه، وأما كون المتولد عن الشيء ملازما للمتولد عنه مقارنا له في وجوده، فهذا أيضا لا يعقل.

ولهذا كان قول من قال من مشركي **العرب**: إن الملائكة أولاد الله وإنهم بناته، مع ما في قولهم من الكفر والجهل (٥) ، فقول هؤلاء أكفر منه من وجوه، فإن أولئك يقولون: إن الملائكة حادثة كائنة بعد أن لم تكن، وكانوا يقولون: إن (٦) الله خلق السماوات والأرض ولم يكونوا يقولون بقدم العالم.

وأما هؤلاء فيقولون: إن العقول والنفوس - التي يسمونها الملائكة،

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط.

(٢) أ، ب: واقترانها.

(٣) وإرادته: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٤) ومشيئته: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٥) ن، م: من الجهل والكفر.

(٦) إن: ساقطة من (أ) ، (ب) .." [٢]

"وكلام أرسطو بين في ذلك في (مقالة اللام) التي هي آخر كلامه في علم ما بعد الطبيعة (١) ، وغير ذلك.

وأرسطو وقدماء أصحابه - مع سائر العقلاء - يقولون: إن الممكن الذي يمكن وجوده وعدمه لا يكون

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٢٠٩

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٢٢٩

إلا محدثا كائنا بعد أن لم يكن، والمفعول لا يكون إلا محدثا، وهم إذا قالوا بقدم الأفلاك لم يقولوا إنها ممكنة ولا مفعولة ولا مخلوقة، بل يقولون: إنها تتحرك للتشبه بالعلة الأولى، فهي [محتاجة إلى العلة الأولى] (٢) التي يسميها ابن سينا وأمثاله واجب الوجود من جهة أنه لا بد في حركتها من التشبه به، فهو لها (٣) من جنس العلة الغائية لا أنه علة فاعلة لها عند أرسطو. وذويه.

وهذا القول - وإن كان من أعظم الأقوال كفرا وضلالا ومخالفة لما عليه جماهير العقلاء [من الأولين والآخرين] (٤) ، ولهذا عدل متأخرو الفلاسفة [عنه] (٥) ، وادعوا موجبا وموجبا، كما زعمه ابن سينا، وأمثاله،

---

(١) مقالة " اللام " هي المقالة الثانية عشرة من أربع عشرة مقالة كتبها أرسطو في العلم الإلهي أو الفلسفة الأولى، وقد ضمت هذه المقالات ورتبت حسب أحرف الهجاء اليونانية وسميت بكتاب " الحروف " أو كتاب " الإلهيات " أو كتاب " ما بعد الطبيعة "، وقد ترجم الفلاسفة العرب والمسلمون هذا الكتاب وشرحوه - كما فعل ابن رشد - ولكنهم اهتموا بمقالة اللام بوجه خاص، فترجموها أكثر من مرة وشرحوها وعلقوا عليها. وانظر في ذلك كتاب " أرسطو عند العرب " نشر الدكتور عبد الرحمن بدوي، القاهرة، ١٩٤٧ ؛ وانظر الفهرست لابن النديم، ص ٢٥١. وقد ترجم الدكتور أبو العلا عفيفي مقالة اللام (انظر: مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة (فؤاد الأول) ، الجزء الأول من المجلد الخامس، القاهرة ١٩٣٩) .

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط

(٣) ن، م: فهو له، وهو خطأ.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

(٥) عنه: ساقطة من (ن) فقط.." (١)

"وقدمنا أن جماهير نظار المسلمين وغيرهم يقولون: إن العدم لا يفتقر إلى علة، وما علمت أحدا من النظار جعل عدم الممكن مفتقرا إلى علة إلا هذه الطائفة القليلة من متأخري (١) المتفلسفة كابن سينا وأتباعه وإلا فليس هذا قول قدماء الفلاسفة لا أرسطو ولا أصحابه كبرقلس (٢) ، والإسكندر الأفروديسي (٣) شارح كتبه، وثامسيطوس (٤) ، ولا غيرهم [من

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٣٦/١

(١) ن، م: متأخرة.

(٢) برقلس proclus آخر وأشهر ممثلي الأفلاطونية الجديدة neoplatonism ولد بالقسطنطينية سنة ٤١٢ (ميلادية) وتلقى الفلسفة في الإسكندرية ثم في أثينا حتى صار زعيم مدرستها الفلسفية، وقد كان برقلس من القائلين بقدم العالم، وكانت وفاته سنة ٤٨٥. وقد ترجم له ابن النديم في الفهرست (ص [٠ - ٩] ٥٢ - ٢٥٣) وذكر مصنفاته وأورد الشهرستاني في الملل والنحل ٢/١٥٧ - ١٦٢ أدلته على قدم العالم. وقد نشر الدكتور عبد الرحمن بدوي رسالة ہ في قدم العالم (مع رسائل أخرى) في كتابه " الأفلاطونية المحدثة عند **العرب** "، القاهرة ١٩٥٥.

(٣) ن، م: الأفرديوسي، أ، ب: الأفرديوسي ؛ والمشهور ما أثبتناه وهو الموجود في أكثر كتب التراجم **العربية**. والإسكندر الأفروديسي ale \ ander of aphrodisias من أعظم شراح أرسطو وقد ولد في أفروديسيا من أعمال آسيا الصغرى، وتولى تدريس الفلسفة الأرسطية في أثينا ما بين سنتي ١٩٨، ٢١١. انظر تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم، ص [٠ - ٩] ٢، القاهرة ١٩٥٨ ؛ وانظر ترجمته ومصنفاته في ابن أبي أصيبعة ١/١٠٥ - ١٠٧ ؛ الفهرست لابن النديم، ص [٠ - ٩] ٥٢ - ٢٥٣ ؛ الملل والنحل ٢/١٦٣ - ١٦٤. وقد نشر له الدكتور عبد الرحمن بدوي بعض مقالاته في كتابه " أرسطو عند **العرب** ".

(٤) أ، ب: والإسكندر الأفرديوسي شارح كتب تامسيطوس، وهو خطأ. وتامسيطوس themistius. (في (م) : تامسيطوس ؛ (أ) ، (ب) : تامسيطوس من شراح أرسطو مع أنه كان أفلاطونيا جديدا، وقد ولد سنة ٣١٧ م، وعاش في القسطنطينية وأيد الإمبراطور جوليان في العمل على بعث الوثنية، وتوفي سنة ٣٨٨ م. انظر: يوسف كرم، المرجع السابق، ص [٠ - ٩] ٠٣ ؛ وانظر ترجمته والكلام عن آرائه ومصنفاته في ابن النديم، ص [٠ - ٩] ٥٣ ؛ ابن القفطي، ص ١٠٧ ؛ الملل والنحل ٢/١٦٢ - ١٦٣ وقد نشر له الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه " أرسطو عند **العرب** " السالف الذكر مقالة وشطرا من شرحه لمقالة " اللام ".." (١)

"فالخالق سبحانه يمتنع أن يكون مقارنا له في القدم شيء من العالم كائنا ما كان، سواء قيل: إنه يخلق بمشيئته وقدرته كما يقوله المسلمون وغيرهم، أو قيل (١) : إنه موجب بذاته أو علة مستلزمة للمعلول، أو سمي مؤثرا؛ لكون لفظ التأثير يعم هذه الأنواع، فيدخل فيه الفاعل باختياره، ويدخل فيه بذاته (٢) وغير ذلك، بل هو المختص بالقدم الذي استحق ما سواه كونه (٣) مسبوقا بالعدم.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٢٦٠

ولكن الاستدلال على ذلك بالطريقة الجهمية المعتزلية (٤) ، طريقة الأعراض والحركة والسكون التي مبناها على أن الأجسام محدثة؛ لكونها لا تخلو عن الحوادث، وامتناع حوادث لا أول لها طريقة (٥) مبتدعة في الشرع باتفاق أهل العلم بالسنة، وطريقة (٦) مخطرة مخوفة في العقل، بل مذمومة عند طوائف كثيرة وإن (٧) لم يعلم (٨) بطلانها؛ لكثرة مقدماتها وخفائها والنزاع فيها عند كثير من أهل النظر "كالأشعري في رسالته إلى أهل الثغر (٩) " ومن سلك سبيله في ذلك كالخطابي (١٠) وأبي عمر

---

(١) ن، م: أو يقول.

(٢) ب (فقط) : الواجب بذاته.

(٣) ن، م: بكونه.

(٤) ن، م: المعتزلة.

(٥) ن، م: طريق.

(٦) ن، م: طريق.

(٧) ا، ب: وإنه.

(٨) ن: وإن لم يعلموا.

(٩) ا، ب: رسالة الثغر. وقد طبعت في مجلة كلية الإلهيات بجامعة أنقرة، ١٩٢٨، ومنها نسخة خطية بالجامعة العربية، وانظر درء تعارض العقل والنقل ١٨٦/٧ - ٢١٩.

(١٠) أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، الخطابي، البستي، فقيه أديب محدث ولد سنة ٣١٩ وتوفي سنة ٣٨٨. له " معالم السنن في شرح سنن أبي داود " وله رسالة " الغنية عن الكلام وأهله " (مطبوعة باختصار ضمن صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام للسيوطي ١٣٧/١ - ١٤٧ وانظر ما نقله ابن تيمية عنها في " درء تعارض العقل والنقل " في ج [٠ - ٩] ، ٨. انظر ترجمة الخطابي في: وفيات الأعيان ٤٥٣/١ - ٤٥٥؛ تذكرة الحفاظ ١٠١٨/٣ - ١٠٢٠؛ شذرات الذهب ١٢٧/٣ - ١٢٨؛ الأعلام ٣٠٤/٢.." (١)

"بينوا فساد قول من قال: هو مخلوق من الجهمية والمعتزلة، فكان في كلام كل طائفة من هؤلاء من الفائدة (١) بيان فساد قول الطائفة الأخرى لا صحة قولها؛ إذ الأقوال المخالفة للحق كلها باطلة.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٠٣/١

وكان الناس لما بعث الله محمدا - صلى الله عليه وسلم - في ضلال عظيم كما في صحيح مسلم (٢) من حديث عياض بن حمار (٣) عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه (٤) قال: " «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وإن ربي قال لي: قم في قريش فأنذرهم، فقلت: أي رب إذن يثلغوا رأسي حتى يدعوه خبزة (٥) ، فقال: إني مبتليك ومبتل بك ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظان، فابعث جندا، ابعث مثليهم (٦) ، وقاتل بمن أطاعك من عصاك، وأنفق أنفق عليك، وقال: إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم ألا يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا» . . . " الحديث بطوله (٧) .

---

(١) ا، ب: من هؤلاء الطوائف من الفائدة.

(٢) ا، ب: كما في الصحيح.

(٣) ا، ب: حماد، وهو خطأ.

(٤) أنه: ساقطة من (ا) ، (ب) .

(٥) قال النووي في شرحه على مسلم: ج [٠ - ٩] ٧، ص [٠ - ٩] ٩٨: يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة: هي بالثاء المثلثة أي يشدخوه ويشجوه كما يشج الخبز أي يكسر.

(٦) ب (فقط) : فابعث جندا نبعث خمسة مثله، وهذه هي رواية مسلم.

(٧) الحديث عن عياض بن حمار المجاشعي - رضي الله عنه - مع اختلاف في الألفاظ في مسلم: ٤/٢١٩٧ - ٢١٩٩ (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار) ؛ المسند (ط. الحلبي) ٤/١٦٢. وأول الحديث في مسلم: " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم. . الحديث، وفي رواية - وهي التي في المسند -: إن الله أمرني، أو: إن ربي - عز وجل - أمرني. . . ومن الحديث قول النبي - صلى الله عليه وسلم -. . . . وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم. . ولم أجد رواية: " ابعث مثليهم ".." (١)

"يتكلم بمشيئته وقدرته أزلا وأبدا، وإن كلامه قديم بمعنى أنه قديم النوع، لم يزل الله متكلما بمشيئته كما قاله (١) السلف والأئمة.

ثم قالوا: إنه قديم العين، وافترقوا (٢) على حزبين: حزب قالوا: يمتنع أن يكون القديم هو الحروف

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٣٠٥

والأصوات؛ لامتناع البقاء عليها وكونها توجد شيئا بعد شيء؛ لأن المسبوق بغيره لا يكون قديما، فالقديم هو المعنى، ويمتنع وجود معان لا نهاية لها في آن واحد، والتخصيص بعدد دون عدد لا موجب له، فالقديم معنى واحد هو الأمر بكل مأمور، والخبر عن كل مخبر، وهو معنى التوراة والإنجيل والقرآن، وهو معنى (٣) آية الكرسي، وآية الدين، وقل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وأنكروا أن يكون الكلام العربي كلام الله.

والحزب الثاني قالوا: بل الحروف أو الحروف (٤) والأصوات قديمة أزلية الأعيان، وقالوا: الترتيب في ذاتها لا في وجودها، وفرقوا بين الحقيقة وبين وجود الحقيقة كما يفرق كثير من أهل الكلام بين وجود الرب وبين حقيقته، وكثير منهم ومن الفلاسفة يفرق بين وجود الممكنات وبين حقيقتها، وقالوا: الترتيب هو [في] (٥) حقيقتها لا في وجودها، بل هي موجودة أزلا وأبدا، لم يسبق منها شيء شيئا (٦) ، وإن كانت حقيقتها (٧)

---

(١) ن، م: كما قال.

(٢) ا: ثم قالوا: إنه قديم العين افترقوا؛ ب: ثم الذين قالوا: إنه قديم العين افترقوا.

(٣) معنى: ساقطة من (ا) ، (ب) .

(٤) أو الحروف: ساقطة من (ب) . وفي (ا) : والحروف.

(٥) في: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٦) ا، ب: لم يسبق شيء منها شيئا.

(٧) ا، ب: صفتها.." [(١)]

"طائفة من الناس، فإن ذلك كان متقدما (١) على هذا، وذلك المتقدم هو (٢) الذي بنى سد يأجوج ومأجوج، وهذا المقدوني لم يصل إلى السد، وذاك كان [مسلما] (٣) موحدا، وهذا المقدوني كان مشركا (٤) هو وأهل بلده اليونانيون، [كانوا مشركين] (٥) يعبدون الكواكب والأوثان وقد قيل إن آخر ملوكهم [كان] (٦) هو بطليموس صاحب المجسطى (٧) ، وأنهم بعده انتقلوا إلى دين المسيح، فإن الناموس الذي بعث به المسيح كان أعظم وأجل، بل النصارى بعد أن غيروا دين المسيح وبدلوا هم أقرب إلى الهدى ودين الحق من أولئك الفلاسفة الذين كانوا مشركين، وشرك أولئك الغليظ (٨) هو مما أوجب

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٣١٤

إفساد دين المسيح كما ذكره طائفة من أهل العلم، قالوا: كان (٩) أولئك يعبدون الأصنام ويعبدون الشمس والقمر والكواكب ويسجدون لها

---

(١) ن، م: فإن ذلك متقدم.

(٢) ا، ب: وذاك هو.

(٣) مسلما: زيادة في (ا) ، (ب) .

(٤) ا، ب: وهذا المقدوني مشرك.

(٥) كانوا مشركين: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٦) كان: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٧) يتابع ابن تيمية بعض مؤرخي **العرب** الذين ظنوا بطليموس القلوذي العالم صاحب كتاب المجسطى (وهو كتاب في الفلك) واحدا من ملوك البطالسة، وقد لاحظ ابن القفطي (تاريخ الحكماء، ص ٩٥ - ٩٦) هذا الخطأ، وذكر ما هو معروف لدينا اليوم من أن آخر ملوك البطالسة هي قلوبطرة (كليوباترا) . وانظر أيضا: ابن جلجل، ص ٣٥ - ٣٨ (انظر تعليقات المحقق الأستاذ فؤاد سيد) ؛ طبقات الأطباء ص ٣٥ - ٣٨؛ الفهرست لابن النديم، ص [٠ - ٩] ٦٧ - ٢٦٨؛ الخطط للمقريزي ١/١٥٤؛ درء تعارض العقل والنقل ١/١٥٨.

(٨) ن، م: الغليظة.

(٩) ن، م: لو كان.." (١)

"مسلم عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " «خلقت الملائكة من نور، وخلقت الجان من مارج من نار (١) ، وخلق آدم مما وصف لكم» " (٢) .

والمقصود هنا أن المنقول عن أساطين الفلاسفة القدماء لا يخالف ما أخبرت به الأنبياء من خلق هذا العالم من مادة، بل المنقول عنهم أن هذا العالم محدث كائن بعد أن لم يكن.

وأما قولهم في تلك المادة: هل هي قديمة الأعيان، أو محدثة بعد أن لم تكن، أو محدثة من مادة أخرى بعد مادة؟ قد تضطرب النقول عنهم في هذا الباب، والله أعلم بحقيقة ما يقوله كل من هؤلاء، فإنها أمة **عربت** كتبهم، ونقلت من لسان إلى لسان، وفي مثل ذلك قد يدخل من الغلط والكذب ما لا يعلم حقيقته.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٣١٨

ولكن ما تواطأت به النقول عنهم يبقى (٣) مثل المتواتر، وليس لنا غرض معين (٤) في معرفة قول كل واحد منهم، بل: ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ . [سورة البقرة: ١٣٤، ١٤١] .

[ضلال أرسطو وأتباعه وشركهم]
لكن الذي لا ريب فيه أن [هؤلاء] (٥) أصحاب التعاليم كأرسطو وأتباعه كانوا مشركين يعبدون المخلوقات، ولا يعرفون النبوات ولا المعاد البدني، وأن اليهود والنصارى خير منهم في الإلهيات والنبوات والمعاد.

---

(١) م، ن، ا: وخلقت الجان من نار.
(٢) الحديث عن عائشة - رضي الله عنها - في: مسلم ٤/٢٢٩٤ (كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة) ؛ المسند (ط. الحلبي) ٦/١٥٣، ١٦٨.
(٣) ن: بنفي؛ ا: ينفي، وهو تحريف.
(٤) معين: ساقطة من (ا) ، (ب) .
(٥) هؤلاء: ساقطة من (ن) ، (م) .." [1]

"عن المعنى الشرعي (١) بالعبارات الدالة عليه، مثل حرب الكرماني (٢) ، ونقله عن الأئمة، ومثل عثمان بن سعيد الدارمي (٣) ، ونقله عن أهل السنة، ومثل البخاري صاحب الصحيح، [وأبي بكر] بن خزيمة (٤) الملقب إمام الأئمة، ومثل أبي عبد الله بن حامد (٥) ، وأبي إسماعيل الأنصاري (٦) الملقب بشيخ الإسلام، ومن لا يحصي عدده إلا الله.
والمعتزلة كانوا ينكرون أن يقوم بذات الله (٧) صفة أو فعل، وعبروا عن ذلك بأنه لا تقوم به الأعراض والحوادث، فوافقهم [أبو محمد عبد الله بن سعيد] بن كلاب (٨) على [نفي] (٩) ما يتعلق بمشيئته وقدرته، وخالفهم في

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٣٦٤

(١) ن، م: بالمعنى الشرعي، وهو تحريف.

(٢) حرب بن إسماعيل بن خلف الحنظلي الكرماني صاحب الإمام أحمد، ومن أئمة الحنابلة، توفي سنة ٢٨٠. ترجمته في شذرات الذهب ٢/١٧٦؛ طبقات الحنابلة ١/١٤٥ - ١٤٦.

(٣) أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي السجزي، محدث وله مؤلفات في الرد على المبتدعة، توفي سنة ٢٨٠. ترجمته في شذرات الذهب ٢/١٧٦؛ تذكرة الحفاظ ٣/٦٢١ - ٦٢٢؛ الأعلام ٤/٣٦٦؛ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤/٣١؛ سزكين م [٠ - ٩] ج [٠ - ٩] ص [٠ - ٩] ١ - ٣٢.

(٤) ن، م: وابن خزيمة.

(٥) هو أبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي بن مروان البغدادي، إمام الحنابلة في زمانه له " الجامع " في مذهب الحنابلة، وله " شرح الخرقي " توفي سنة ٤٠٣. ترجمته في طبقات الحنابلة ٢/١٧١ - ١٧٧؛ تذكرة الحفاظ ٣/١٠٧٨؛ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣/٣١٥.

(٦) هو أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الهروي الأنصاري، كان يدعى شيخ الإسلام، وكان إمام أهل السنة بهراة، ويسمى خطيب العجم، لتبحر علمه وفصاحته ونبله، توفي سنة ٤٨١. ترجمته في طبقات الحنابلة ٢/٢٤٧ - ٢٤٨؛ الذيل لابن رجب ١

- ٦٨؛ الأعلام ٤/٢٦٧.

(٧) ن، م: أن يقوم بالله.

(٨) ن، م: فوافقهم ابن كلاب.

(٩) نفي: ساقطة من (ن) فقط.." (١)

"نفي الصفات ولم يسمها أعراضا. ووافقه على ذلك الحارث المحاسبي أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي من شيوخ الصوفية، توفي ببغداد سنة ٢٤٣ ترجمته في طبقات الشافعية ٢/٢٧٥ - ٢٧٩؛ شذرات الذهب ٢؛ الشعراني: الطبقات الكبرى ١/٦٤؛ السلمي: طبقات الصوفية، ص ٥٦ - ٦٠؛ الخلاصة للخزرجي، ص ٥٧؛ ميزان الاعتدال ١/٤٣٠ - ٤٣١؛ الأعلام ٢/١٥٣ - ١٥٤؛ سزكين م [٠ - ٩] ج ١، ص [٠ - ٩] ١٣ - ١١٩.، ويقال إنه رجع عن ذلك، وبسبب مذهب ابن كلاب هجره الإمام أحمد بن حنبل، وقيل: إنه تاب منه.

وصار النزاع في هذا [الأصل] الأصل: ساقطة من (ن) فقط. بين طوائف الفقهاء، فما من طائفة من

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٤٢٣

أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي [وأحمد] إلا [وفيهم] من يقول (١) بقول ابن كلاب في هذا الأصل، كأبي الحسن التميمي والقاضي أبي بكر والقاضي أبي يعلى [وأبي المعالي] الجويني (٢) وابن عقيل وابن الزاغوني، وفيهم من يقول بقول جمهور أهل الحديث كالخلال (٣) وصاحبه أبي بكر عبد العزيز (٤) وأبي عبد الله بن حامد وأبي

---

(١) ن (فقط) : والشافعي إلا من يقول.

(٢) ن، م: والجويني.

(٣) ن، ا، ب: كالجلال؛ م (غير منقوطة) والصواب ما أثبتناه. وهو أحمد بن محمد بن هارون، أبو بكر المعروف بالخلال، من أئمة الحنابلة، له التصانيف الدائرة والكتب السائرة، مثل " الجامع " و " العلل " و " السنة "، توفي سنة ٣١١. ترجمته في طبقات الحنابلة ١٢/٢ - ١٥؛ تذكرة الحفاظ ٧/٣؛ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣١٣/٣ - ٣١٤؛ الأعلام ١٩٦/١.

(٤) هو عبد العزيز بن جعفر بن أحمد بن يزداد بن معروف، أبو بكر المعروف بغلام الخلال. من أهم مصنفاته " الشافي " و " المقنع "، توفي سنة ٣٦٣. ترجمته في طبقات الحنابلة ١١٩/٢ - ١٢٧؛ شذرات الذهب ٤٥/٣ - ٤٦؛ الأعلام ١٣٩/٤.." [1]

"ومنهم (١) من يفضل زيارة قبور شيوخهم على الحج، ومنهم من يجد عند قبر من يعظمه من الرقة والخشوع ما لا يجده في المساجد والبيوت، وغير ذلك مما يوجد في الشيعة.

ويروون أحاديث مكذوبة من جنس أكاذيب الرافضة، مثل قولهم: لو أحسن أحدكم ظنه بحجر نفعه الله به. وقولهم: إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور. وقولهم: قبر فلان هو الترياق المجرب.

ويروون عن بعض شيوخهم أنه قال لصاحبه: إذا كان لك حاجة فتعال إلى قبري واستغث بي، ونحو ذلك، فإن في المشايخ من يفعل بعد مماته كما كان يفعل في حياته. وقد يستغيث الشخص بواحد منهم، فيتمثل له الشيطان في صورته: إما حيا وإما ميتا، وربما قضى حاجته أو [قضى بعض حاجته] (٢) ، كما يجري نحو ذلك للنصارى مع شيوخهم، ولعباد الأصنام من العرب والهند والترك وغيرهم.

قيل: هذا كله مما نهى الله عنه ورسوله، وكل ما نهى الله عنه ورسوله فهو مذموم منهي عنه، سواء كان فاعله منتسبا إلى السنة أو إلى التشيع، ولكن الأمور المذمومة المخالفة للكتاب والسنة في هذا وغيره هي

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٢٤/١

في الرافضة أكثر منها في أهل السنة، [فما يوجد في أهل السنة] (٣) من الشر ففي الرافضة أكثر منه، وما يوجد في الرافضة من الخير ففي أهل السنة أكثر منه.

---

(١) أ، ب: وفيهم.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .." [(١)]

"قال: وحديث سفيان، عن عبد الملك بن عمير، عن ربعي، عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر» " (١) .

قال: (٢) " وأسند البخاري، عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول (٣) «بينا أنا نائم (٤) رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها (٥) ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذنوبا أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف، والله يغفر له (٦) ، ثم استحالت غربا فأخذها عمر بن الخطاب فلم أر عبقريا يفري فريه (٧) ، حتى ضرب الناس بعطن» (٨) " قال: " وذلك نص في الإمامة ".

---

(١) جاء الحديث بهذا اللفظ أحيانا، وجاء أحيانا أخرى بلفظ: " إني لا أدري ما قدر بقائي فاقتدوا باللذين. . . . الحديث. والحديث عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - في سنن الترمذي ٥/٢٧١ - ٢٧٢ (كتاب المناقب، باب منه) ، وقال الترمذي: " وفي الباب عن ابن مسعود. هذا حديث حسن "؛ سنن ابن ماجه ١/٣٧ (المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -) ؛ المسند (ط. الحلبي) ٥/٣٨٢، ٣٩٩، \ ٤٠٢، وصحح الألباني الحديث في " صحيح الجامع الصغير " ١/٣٧٢.

(٢) قال: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٣) أ، ب: قال.

(٤) ن، م: بين النائم واليقظان.

(٥) ن: عنها.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٤٨٣

(٦) ب (فقط) : والله يغفر له ضعفه.

(٧) أ، ب: فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر.

(٨) جاء هذا الحديث عن أبي هريرة وعن سالم بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن عمر - رضي الله عنهم - بألفاظ متقاربة في عدة مواضع من البخاري: ٦/٥ (كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي لو كنت متخذا من أمتي خليلا. . . .) ، ٣٨/٩ - ٣٩ (كتاب التعبير، باب نزع الماء من البئر حتى يروى الناس، باب نزع الذنوب والذنوبين من البئر بضعف، باب الاستراحة في المنام) ، ١٣٩/٩ (كتاب التوحيد، ب ١ ب في المشيئة والإرادة. . . قول الله تعالى: تؤتي الملك من تشاء. .) ؛ مسلم ١٨٦٠/٤ - ١٨٦٢ (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر. .) ؛ سنن الترمذي ٣٦٩/٣ (كتاب الرؤيا، باب ما جاء في رؤيا النبي. . .) ؛ المسند (ط. المعارف) الأرقام: ٤٨١٤، ٤٩٧٢، ٥٦٢٩، ٥٨١٧، ٥٨٥٩، ١٠٣/١٦ (رقم ٨٢٢٢) ٩/١٧ - ١٠ (رقم ٨٧٩٤) ، المسند (ط. الحلبي) ٤٥٠/٢. وسيرد الحديث مرة أخرى في هذا الجزء (ص ٥١١) . والقليب هي البئر. وفي فتح الباري ٣٨/٧ - ٣٩: " أنزع منها: أي أملأ بالدلو. قوله: فنزع ذنوبا أو ذنوبين بفتح المعجمة وبالنون وآخره موحدة: الدلو الكبير إذا كان فيها الماء. . . . " قوله: وفي نزعه ضعف: أي أنه على مهل ورفق. . . قوله: فاستحالت في يده غربا. . . أي دلوا عظيمة. قوله: فلم أر عبقريا. . . المراد به كل شيء بلغ النهاية، وأصله أرض يسكنها الجن ضرب بها العرب المثل في كل شيء عظيم. . . قوله: يفري. . . فريه. . .: ومعناه يعمل عمله البالغ. . . قوله: حتى ضرب الناس بعطن. . .: هو مناخ الإبل إذا شربت ثم صدرت ".." (١)

"الخفي الذي يحتاج إلى تأمل لمعناه. وحكي عن الجارودية من الزيدية (١) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نص على علي بصفة لم تكن توجد إلا فيه، لا من جهة التسمية.

فدعوى الراوندية في النص من جنس دعوى الرافضة، وقد ذكر في الإمامية أقوال أخر.

قال [أبو محمد] بن حزم (٢) " اختلف القائلون بأن الإمامة (٣) لا تكون (٤) إلا في صليبة قريش (٥) ، فقالت طائفة: هي جائزة في

---

(١) ن، م: الجارودية والزيدية. وهو خطأ. والجارودية هم من فرق الزيدية وينتسبون إلى من يعرف بأبي الجارود. انظر عن مذهبهم: مقالات الإسلاميين ١٣٣/١ - ١٣٥؛ الملل والنحل ١٤٠/١ - ١٤١؛ الفرق

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٨٩/١

بين الفرق، ٢٢ - ٢٤.

(٢) ن، م: ابن حزم. والكلام التالي في (ف) ٤/١٥٤. وأوله في (ف) : واختلف.

(٣) ن: الإمامية، وهو تحريف.

(٤) ف: لا تجوز.

(٥) ف ٤/١٥٤: صلبة؛ أ، ب: صبية، والصواب ما أثبتناه، وهو الذي في (ن) ، (م) والمعنى أن الإمامة لا تكون إلا في قرشي خالص النسب. وفي " أساس البلاغة " للزمخشري، مادة: " صلب ": عربي صليب: خالص النسب.." (١)

"فمن قال إنه يصير إماما بموافقة واحد أو اثنين أو أربعة، وليسوا هم ذوي القدرة والشوكة، فقد غلط؛ كما أن من ظن أن تخلف الواحد أو الاثنين والعشرة يضره، فقد غلط.

وأبو بكر بايعه المهاجرون والأنصار، الذين هم بطانة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، والذين بهم صار للإسلام قوة وعزة، وبهم قهر المشركون، وبهم فتحت جزيرة العرب، فجمهور الذين بايعوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هم الذين بايعوا أبا بكر. وأما كون عمر أو غيره (١) سبق إلى البيعة، فلا بد في كل بيعة (٢) من سابق، ولو قدر أن بعض الناس كان كارها للبيعة، لم يقدح ذلك في مقصودها، فإن نفس الاستحقاق لها ثابت بالأدلة الشرعية الدالة على أنه أحقهم بها، ومع قيام الأدلة الشرعية لا يضر من خالفها، ونفس حصولها ووجودها ثابت بحصول القدرة والسلطان، بمطاوعة (٣) ذوي الشوكة.

فالدين الحق لا بد فيه من الكتاب الهادي والسيف الناصر، كما قال تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب﴾ [سورة الحديد: ٢٥] (٤) .

---

(١) ن، م: عمر وغيره.

(٢) أ: في كل بيعة فلا بد؛ ب: ففي كل بيعة لا بد.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٥٠٢

(٣) ن، م: بطاعة.

(٤) ن، م: للناس الآية.." [1]

"أنه قال: " «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» (١) ".

وعن كعب بن عجرة قال: «خرج إلينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن معه تسعة: خمسة وأربعة، أحد العددين من العرب، والآخر من العجم، فقال: " اسمعوا، هل سمعتم أنه سيكون بعدي (٢) أمراء، من دخل عليهم فصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس مني ولست منه، وليس يرد علي الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فهو مني وأنا منه، وسيرد علي الحوض» " رواه أحمد، والنسائي وهذا لفظه، والترمذي وقال: حديث صحيح غريب (٣) .

وفي الصحيحين (٤) «عن عبادة [بن الصامت] (٥) قال: دعانا النبي

---

(١) سبق ورود هذا الحديث والكلام عليه. انظر: ص ١١٩ ت [٠ - ٩] .

(٢) بعدي: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٣) الحديث بهذه الألفاظ في سنن النسائي (بشرح السيوطي، ط. القاهرة، ١٣٨٣/١٩٦٤) ١٤٣/٧ (كتاب البيعة، باب من لم يعن أميرا على الظلم) عن كعب بن عجرة - رضي الله عنه -. وهو في سنن الترمذي ٣٥٨/٣ (كتاب الفتن، باب حدثنا هارون بن إسحاق الهمذاني) وفيه: وهو وارد على الحوض. وقال الترمذي تعقيبا عليه: " هذا حديث صحيح غريب لا نعرفه من حديث مسعر إلا من هذا الوجه. . وفي الباب عن حذيفة وابن عمر ". وورد الحديث بألفاظ أخرى في باب " ما ذكر في فضل الصلاة " من كتاب الجمعة في صحيح الترمذي ٦١/٢ - ٦٢. وانظر أيضا جامع الأصول لابن الأثير ٤٦٠/٤ - ٤٦١، وانظر المسند (ط. الحلبي) ٣٢١/٣، ٢٤٣/٤، ٣٨٤/٥.

(٤) ن: وفي الصحيح.

(٥) بن الصامت: زيادة في (أ) ، (ب) .." [2]

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٣١/١

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٦٣/١

"والذين بايعوه هم أزهد (١) . الناس في الدنيا، وهو الذين أثنى الله عليهم ؛ وقد علم الخاص والعام زهد عمر وأبي عبيدة وأمثالهما، وإنفاق الأنصار أموالهم: كأسيد (٢) . بن حضير وأبي طلحة [وأبي أيوب] وأمثالهم (٣) ، ولم يكن عند موت النبي - صلى الله عليه وسلم - لهم بيت مال يعطيهم ما فيه، ولا كان هناك ديوان للعطاء يفرض لهم فيه، فالأنصار (٤) . كانوا في أملاكهم وكذلك المهاجرون (٥) .: من كان له شيء من مغنم أو غيره فقد كان له.

وكانت سيرة أبي بكر في قسم الأموال (٦) . التسوية، وكذلك سيرة علي [رضي الله عنه] (٧) ، فلو بايعو عليا أعطاهم ما أعطاهم أبو بكر، مع كون قبيلته أشرف القبائل، وكون بني عبد مناف - وهم (٨) . أشرف قريش الذين هم أقرب **العرب** - من بني أمية [وغيرهم] (٩) . إذ ذاك، كأبي سفيان بن حرب [وغيره] (١٠) ، وبني هاشم - كالعباس وغيره - كانوا معه.

---

(١) ن، م: والذين بايعوه فأزهد. . . إلخ

(٢) ن، م: كأسد، وهو خطأ

(٣) ن، م:. . . . وأبي طلحة وأمثالهما

(٤) أ، ب: والأنصار

(٥) ن، م: المهاجرين

(٦) ن، م: المال

(٧) رضي الله عنه: زيادة في (أ) ، (ب)

(٨) ن: هم. وسقطت من (م)

(٩) وغيرهم: ساقطة من (ن) ، (م)

(١٠) وغيره: ساقطة من (ن) ، (م) .." [١]

"للرياسة بغير حق، بمنزلة الحاكم وأمثاله من ملوك بني عبيد، أما كان يكون كاذبا مفتريا في ذلك لصحة إيمان علي والحسين ودينهما وفضلهما، ولنفاق هؤلاء وإلحادهم؟ .

وكذلك من شبه عليا والحسين ببعض من قام من الطالبيين أو غيرهم بالحجاز أو الشرق أو الغرب يطلب الولاية بغير حق ويظلم الناس في أموالهم وأنفسهم (١) ، أما كان يكون ظالما كاذبا؟ .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٥٣

فالمشبه لأبي بكر وعمر بعمر بن سعد أولى بالكذب والظلم، ثم غاية عمر بن سعد وأمثاله أن يعترف بأنه طلب الدنيا بمعصية يعترف (٢) أنها معصية، وهذا ذنب كثير [وقوعه] من المسلمين (٣) .

وأما الشيعة فكثير منهم يعترفون بأنهم إنما (٤) . قصدوا بالملك إفساد دين الإسلام ومعاداة النبي – صلى الله عليه وسلم –، كما يعرف ذلك من خطاب الباطنية وأمثالهم من الداخلين في الشيعة، فإنهم يعترفون بأنهم في الحقيقة لا يعتقدون دين الإسلام، وإنما يتظاهرون بالتشيع لقلة عقل الشيعة وجهلهم، ليتوسلوا بهم إلى أغراضهم.

وأول هؤلاء – بل خيارهم – هو المختار بن أبي عبيد الكذاب (٥) . فإنه

---

(١) ن، م: ببعض أمراء الحجاز الذين يطلبون الملك بغير حق ويظلمون الناس في أنفسهم وأموالهم. . . إلخ.

(٢) ن: معترف ؛ م: فعبروا، وهو تحريف.

(٣) ن، م: وهذا ذنب كثير من المسلمين.

(٤) ن، م: إذا، وهو خطأ

(٥) المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي أبو إسحاق، دعا الشيعة إلى بيعة محمد بن الحنفية، وزعم أنه استخلفه فتبعه الكثيرون، ثم قتل أكثر قتلة الحسين، وحارب جيش بني أمية وقتل عبيد الله بن زياد وتمت له ولاية الكوفة والجزيرة وغيرهما، وادعى بعد ذلك النبوة ونزول الوحي عليه، ثم حاربه مصعب بن الزبير حتى قتله سنة ٦٧. وتنسب إلى المختار فرق الكيسانية من الرافضة ويسمى الشهرستاني وغيره أتباعه خاصة المختارية، ويقال إنه كان يلقب بكيسان، وقيل بل أخذ مقالته عن مولى لعلي – رضي الله عنه – اسمه كيسان. انظر أخبار المختار وسيرته في: تاريخ الطبري (ط. المعارف) ٥/٥٦٩ – ٥٨٢، أحداث سنة ٦٦، ٦٧، ٦/٥ – ١١٦ ؛ الأخبار الطوال للدينوري (ط. وزارة الثقافة، ١٩٦٠) ، ص [٠ – ٩] ٨٨ – ٣٠٨ ؛ تاريخ أبي الفدا (ط. الحسينية) ١/١٩٤ – ١٩٥ ؛ مروج الذهب للمسعودي ٣/١٠٥ – ١٠٧ ؛ سير أعلام النبلاء للذهبي ٣/٣٥٣ – ٣٥٦ ؛ لسان الميزان ٦ ؛ الأعلام للزركلي ٨/٧٠ – ٧١ ؛ الفرق بين الفرق، ص ٢٦ – ٣٤ ؛ الملل والنحل ١/١٣٢ – ١٣٤ ؛ فرق الشيعة للنوبختي (ط. المطبعة الحيدرية

بالنجف، ١٣٧٩/١٩٥٩) ، ص [٠ - ٩] ٤ - ٤٥، ٤٨. وانظر كتاب المختار الثقفي، سلسلة العرب، تأليف د. علي الخربوطلي، القاهرة، ١٩٦٣." [1]

"فقال (١) : " ومنهم طائفة يقال لهم المالكية ينتسبون إلى رجل يقال له مالك بن أنس، ومنهم طائفة يقال لهم الشافعية ينتسبون إلى رجل يقال له الشافعي ".

وشبهة هؤلاء أن الأئمة المشهورين كلهم يثبتون الصفات لله تعالى، ويقولون: إن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ويقولون: إن الله يرى في الآخرة.

هذا مذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أهل البيت وغيرهم، وهذا مذهب الأئمة المتبوعين مثل مالك بن أنس والثوري والليث بن سعد والأوزاعي، وأبي حنيفة (والشافعي) (٢) ، وأحمد بن حنبل وإسحاق وداود، ومحمد بن خزيمة ومحمد بن نصر المروزي (٣) ، وأبي بكر

---

(١) طبع قسم من كتاب الزينة في الكلمات العربية والإسلامية لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي بتحقيق الأستاذ حسين بن فيض الله الهمداني، وفي الجزأين الأول (ط. القاهرة، ١٩٥٧) والثاني (ط. القاهرة، ١٩٥٨) لم يصل المؤلف إلى الموضع الذي نقل ابن تيمية هذا النص عنه، وهو الذي يوجد على الأغلب في كلامه عن الفرق، وانظر مقدمة المؤلف ١/٥٦ - ٥٧.

(٢) والشافعي: ساقطة من (أ) .

(٣) أبو عبد الله بن نصر المروزي الإمام شيخ الإسلام الفقيه الحافظ، ولد ببغداد سنة ٢٠٢ وتوفي سنة ٢٩٤. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ٤٨٩/٩ - ٤٩٠ ؛ تذكرة الحفاظ ٢٠١/٢ - ٢٠٣ تاريخ بغداد ٣١٥/٣ - ٣١٨ ؛ الأعلام للزركلي ٣٤٦/٧.." [2]

"فقال لهم أهل الإثبات: وهكذا العلم بالصفات (١) في الجملة هو مما يعلم بالضرورة مجيء الرسول به، وذكره في الكتاب والسنة أعظم من ذكر الملائكة والمعاد، مع أن المشركين من العرب لم تكن تنازع فيه كما كانت تنازع في المعاد، مع أن التوراة مملوءة من ذلك، ولم ينكره الرسول على اليهود كما

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦٨/٢

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٠٦/٢

أنكر عليهم ما حرفوه وما وصفوا به الرب من النقائص كقولهم: ﴿إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ [سورة آل عمران: ١٨١] ، و ﴿يد الله مغلولة﴾ [سورة المائدة: ٦٤]
[ونحو ذلك] (٢) ، وذلك مما يدل على أن الله (٣) أظهر في السمع والعقل من المعاد، فإذا كانت نصوص المعاد لا [يجوز] (٤) تحريفها فهذا بطريق الأولى، وهذه الأمور مبسوطة في موضع آخر (٥) .

والجواب الثاني: (٦) أن يقال: هذا الدليل قد عرف ضعفه ؛ لأنه إذا كان هذا الحادث ليس بدائم، وهذا ليس بدائم باق، يجب أن يكون نوع الحوادث ليست بدائمة (٧) باقية كما أنه إذا كان هذا الحادث ليس بباق، [وهذا الحادث ليس بباق] (٨) ، يجب أن يكون نوع الحوادث ليس بباق.

---

(١) ب: فيقال لهم: وهكذا الإثبات وكذا العلم بالصفات ؛ أ: مثل نسخة (ب) إلا أن فيها. فقال لهم. . . إلخ. وأما المثبت فهو عن (ن) ، (م) .

(٢) ونحو ذلك: زيادة في (أ) ، (ب) .

(٣) ن، م: على أنه.

(٤) يجوز: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٥) ن، م: في موضعها.

(٦) بدأ الجواب الأول على دليل الرافضة والمعتزلة ص ١٤٦.

(٧) أ، ب: دائمة.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط. وفي (أ) ، (ب) : وهذا ليس بباق.." [(١)]

"الهند والخطا (١) والنبط (٢) والكلدانيين والكشدانيين (٣)
ولهذا قال الخليل: ﴿ياقوم إني بريء مما تشركون﴾ [سورة الأنعام: ٧٧] وقال: ﴿أفرأيتم ما كنتم تعبدون - أنتم وآباؤكم الأقدمون - فإنهم عدو لي إلا رب العالمين﴾ [سورة الشعراء: ٧٥ - ٧٧] ، وأمثال ذلك.
وأيضا، فالأفول في لغة العرب هو المغيب والاحتجاب، ليس هو الحركة والانتقال (٤) .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٥٣/٢

(١) يطلق لفظ الخطا أحيانا على الصين بعامة، وأحيانا على الصين الشمالية بخاصة، ويطلق تارة على قبائل الخطا التي كانت تعيش في شمال الصين والتي نزحت من موطنها في القرن السادس الهجري إلى غرب إقليم التركستان حيث كونوا دولة عرفت بمملكة القراخطائيين. انظر: جامع التواريخ لرشيد الدين الهمذاني، المجلد الثاني، ١/١٠٩ - ١٢١، ط. الحلبي، ١٩٦٠ ؛ المغول في التاريخ للدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد، ص [٠ - ٩] ، ٢٩ - ٣٣، ؛ دائرة المعارف البريطانية مادة aycath

(٢) في اللسان: " النبيط والنبط كالحبيش والحبش في التقدير: جيل ينزلون السواد، وفي المحكم ينزلون سواد العراق وهم الأنباط. وفي الصحاح: ينزلون البطائح بين العراقين ". وذكر الأستاذ أحمد عطية الله في " القاموس الإسلامي " مادة: " أنباط " أنباط أو نبط: شعب عربي قديم كان يعيش في الإقليم الصحراوي الذي يمتد ما بين شبه جزيرة سيناء وحوران. . وكان للأنباط حضارة مازالت آثارها تتمثل في أطلال مدينة بطرا أو البتراء. . وعند ظهور الإسلام كانت هناك بقايا من الأنباط اختلطت بغيرها من شعوب المنطقة كالسريان والأراميين وللأنباط كتابة خاصة تعرف بالخط النبطي وهو يشبه الخط الحميري "

(٣) ذكرت كلمتا: " الكلدانيين والكشد انيين " محرفتين في (ن) . وغير هؤلاء.

(٤) في اللسان: " أفل أي: غاب، وأفلت الشمس تأفل (بكسر الفاء وضمها) أفلا وأفولا: غربت ".." [١]

"وهؤلاء ظنوا أن هذه الكليات (١) موجودة في الخارج مشتركة، وذلك غلط، فإن ما في الخارج ليس فيه اشتراك، بل لكل موجود شيء يخصه لا يشركه فيه غيره، والاشتراك يقع في الأمور العامة الكلية المطلقة، وتلك لا تكون عامة مطلقة كلية إلا في الأذهان لا في الأعيان، فما فيه الاشتراك ليس فيه إلا العلم والعقل (٢) ، وما به الاختصاص والامتياز - وهو (٣) الموجود في الخارج - لا اشتراك فيه، وإنما فيه اشتباه وتماثل يسمى اشتراكا، كالاشتراك في المعنى العام، والانقسام بحسب الاشتراك، فمن لم يفرق بين قسمة الكلي إلى جزئياته، [والكل إلى أجزائه] (٤) ، كقسمة الكلمة إلى: اسم، وفعل، وحرف (٥) ، وإلا غلط كما غلط كثير من الناس في هذا الموضع.

ولما قالت طائفة من النحاة كالزجاجي (٦) وابن جني (٧) : الكلام ينقسم

(١) ن، م: كليات.

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيم ية ١٩٥/٢

(٢) أ، ب: فما فيه الاشتراك إلا في العلم والعقل.

(٣) ن، م: هو.

(٤) ما بين القوسين غير موجود في النسخ الأربع وإثباته يقتضيه سياق الكلام.

(٥) بعد كلمة " وحرف " يوجد تكرار واضطراب في نسختي (ن) ، (م) هكذا. . . وحرف وكقسمة الكل إلى أجزائه، كقسمة الكلمة إلى اسم، وفعل وحرف وإلا غلط.

(٦) عبد الرحمن بن إسحاق ويعرف بالزجاجي، أبو القاسم النهاوندي، شيخ العربية في عصره، توفي بطبرية سنة ٣٣٧ وقيل ٣٣٩ وقيل ٣٤٠. ترجمته في: وفيات الأعيان ٣١٧/٢ - ٣١٨ ؛ إنباه الرواة للقفطي ١٦٠/٢ - ١٦١ (ط. دار الكتب، ١٩٥٢) ؛ بغية الوعاة للسيوطي، ص ١٢٩ (ط. الخانجي، ١٣٢٦) ؛ طبقات النحويين واللغويين للزبيدي، ص ١٢٩ (ط. الخانجي، ١٩٤٥) ؛ الأعلام للزركلي ٤.

(٧) عثمان بن جني، أبو الفتح الموصلي، من أئمة الأدب واللغة، صاحب أبا علي الفارسي وروى عنه، توفي ببغداد سنة ٣٩٢ وقيل ٣٧٢. ترجمته في: وفيات الأعيان \ ٤١٠ - ٤١٢ ؛ إنباه الرواة ٣٣٥/٢ - ٣٤٠ ؛ بغية الوعاة، ص [٠ - ٩] ٢٢ ؛ الأعلام للزركلي ٣٦٤/٤.." [(١)]

"وأما من أثبتها كالأشعري وأئمة أصحابه. فهؤلاء يقولون: تأويلها بما يقتضي نفيها [تأويل] (١) باطل، فلا يكتفون بالتفويض، بل يبطلون تأويلات النفاة.

وقد ذكر الأشعري ذلك في عامة كتبه "كالموجز " و " المقالات الكبير " و " المقالات الصغير " و " الإبانة " (٢) وغير ذلك، ولم يختلف في ذلك كلامه، لكن طائفة ممن توافقه وممن تخالفه يحكون له قولا آخر، أو تقول (٣) : أظهر غير ما أبطن ؛ وكتبه تدل على بطلان هذين الظنين.

وأما القول الثالث - وهو القول الثابت عن أئمة السنة المحضة، كالإمام أحمد وذويه (٤) - فلا يطلقون لفظ الجسم لا نفيا ولا إثباتا لوجهين:

---

(١) تأويل: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٢) قال ابن عساكر في " تبيين كذب المفتري " ص ١٢٩: " وذكر بعده الكتاب الذي سماه كتاب " الموجز " وذلك أنه يشتمل على اثني عشر كتابا على حسب تنوع مقالات المخالفين من الخارجين عن الملة والداخلين فيها " وقال بعد ذلك (ص ١٣٠ - ١٣١) : " وألفنا كتابا في مقالات المسلمين يستوعب

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٠٤/٢

جميع اختلافهم ومقالاتهم، وألفنا كتابا في جمل مقالات الملحدين وجمل أقاويل الموحدين سميناه كتاب " جمل المقالات ". وكتاب " الموجز " أو " الموجز الكبير " (وانظر تبيين كذب المفتري، ص ١٤٠) ليس بين أيدينا، وكذلك كتاب " جمل المقالات " أو " المقالات الكبير " وأما " المقالات الصغير " فهو: " مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ". وأما كتاب " الإبانة " فهو كتاب " الإبانة عن أصول الديانة " المطبوع بحيدر أباد ومصر عدة طبعات. وانظر عن هذه الكتب وغيرها للأشعري ما ورد في: وفيات الأعيان ٤٤٧/٢ ؛ طبقات الشافعية ٣٥٩/٣ - ٣٦١ ؛ الخطط للمقريزي ٣٥٩/٢ ؛ دائرة المعارف الإسلامية، مادة الأشعري ؛ الأعلام للزركلي ٦٩/٥ ؛ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ٣٧/٤ - ٤١ ؛ سزكين م [٠ - ٩] ، ح [٠ - ٩] ، ص ٣٥ - ٣٩.

(٣) ن، م: ويقولون.

(٤) أ، ب: ودونه.." (١)

"وأبي مالك الحضرمي (١) ، وعلي بن ميثم (٢) ، وطوائف كثيرين هم

---

(١) لم أهتد إلى ترجمة مفصلة له ولكن ورد ذكره ضمن أصحاب جعفر الصادق (رجال الطوسي، ص ٢٢١) فقال: الضحاك أبو مالك الحضرمي، كوفي وكذا ورد اسمه في أعيان الشيعة ١١٠/٧، ١١١ بدون تفصيلات أخرى. وفي رجال الحلي، ص ٩٠: " الضحاك أبو مالك الحضرمي، كوفي عربي أدراك أبا عبد الله (جعفرا الصادق) عليه السلام. وقال قوم من أصحابنا: روى عنه. وقال آخرون: لم يرو عنه، وروى عن أبي الحسن عليه السلام (موسى الكاظم) ، وكان متكلما ثقة في الحديث ". وسماه النجاشي (الرجال، ص ١٥٤) الضحاك بن أبي مالك (كذا وهو تحريف) الحضرمي. وذكر ما نقله عنه الحلي إلا أن فيه: " وله كتاب في التوحيد رواية علي بن الحسن الطاطري " ثم ذكر سند هذه الرواية. وانظر أيضا تنقيح المقال للمامقاني ١٠٤/٢.

(٢) في النسخ الأربع: علي بن متيم، والصواب ما أثبته. وهو علي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم بن يحيى التمار، أبو الحسن، لم تذكر كتب التراجم التي بين أيدينا تاريخ مولده أو وفاته، ولكن جاء فيها أنه كان من أصحاب علي بن موسى الرضا (المتوفى سنة ٢٠٣) ، وأنه أدرك موسى بن جعفر الكاظم (المتوفى سنة ١٨٣) قال ابن النديم في " الفهرست " (ص ١٧٥) : إنه أول من تكلم في مذهب الإمامة وإنه صنف

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٢٤/٢

كتابي " الإمامة " و " الاستحقاق " وانظر ترجمته ومذهبه في: أعيان الشيعة ٧٣/٤١ ؛ الرجال للنجاشي، ص ١٨٩ - ١٩٠ ؛ رجال الطوسي، ص ٣٨٣ ؛ لسان الميزان ٢٦٥/٤ - ٩٦٦ (وسماه العوفي) ؛ الفصل لابن حزم ٣٩/٥ - ٤٠ (وسماه الصابوني) ؛ الفرق بين الفرق، ص ٤٣ (وفيه علي بن هيثم، وهو تحريف) ؛ فرق الشيعة للنوبختي، ص ١٠٣.." (١)

"قلت (١) : ومعلوم أن قول جعفر [ابن محمد] (٢) الصادق، وهؤلاء (٣ الذين قالوا من السلف ٣) (٣) : ليس بمخلوق، لم يريدوا أنه ليس بمكذوب، بل أرادوا أنه لم يخلقه (٤) ، كما قالت المعتزلة، وهذا قول متأخري الرافضة. (٥) (*) فإن [طائفة من متأخري الإمامية] كأبي القاسم الموسوي (٦) المعروف بالمرتضى وغيره لما وافقوا المعتزلة على أنه محدث منفصل عن الله، وأنه لم يكن يمكنه أن يتكلم ثم صار متكلما بعد أن لم يكن متكلما، وليس له كلام يقوم به، بل كلامه من جملة مصنوعاته المنفصلة عنه، ثم سمعوا عن السلف من أهل البيت مثل جعفر بن محمد وغيره أنهم قالوا: إنه غير مخلوق (٧) . قالوا: لا نقول إنه مخلوق متابعة لهؤلاء، بل نقول: إنه محدث مجعول (٨) موافقة (٩) لما ظنوه من لفظ القرآن في قوله: ﴿إنا جعلناه قرآنا **عربيا**﴾ [سورة الزخرف: ٣] ، وقوله: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ [سورة الأنبياء: 2] .

وكثير (١٠) من الناس - غير الشيعة (١١) - يقولون: غير مخلوق،

---

(١) قلت: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٢) ابن محمد: زيادة في (ع) .

(٣) (٣ - ٣) ساقط من (أ) ، (ب) .

(٤) أ، ب: بل أرادوا به أنه لم يخلقه.

(٥) يبدأ من هنا سقط كبير في (ب) ، (أ) ويستمر حتى ص [٠ - ٩] ٥٧.

(٦) ن، م: فإن أبا القاسم الموسوي. وسبقت ترجمة الموسوي ٥٨/١، ١٠١/٢.

(٧) ن، م: غير محدث.

(٨) ن: إنه مجعول مخلوق ؛ م: أنه مخلوق مجعول.

(٩) ن: موافقا.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٣٣/٢

(١٠) ن: في كثير، وهو تحريف.

(١١) ن: في غير الشيعة.." [١]

"له: حكمت مخلوقا! ؟ قال: لم أحكم مخلوقا وإنما حكمت القرآن.

وما رواه ابن أبي حاتم في " الرد على الجهمية " (١) . قال: "كتب إلي حرب الكرماني، ثنا محمد بن المصفى، (٢) ثنا عبد الله بن محمد، عن عمرو بن جميع، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس قال: لما حكم علي الحكمين، قالت الخوارج: حكمت رجلين؟ قال: ما حكمت مخلوقا، إنما حكمت القرآن.

حدثنا الأشج، ثنا يحيى بن يمان، ثنا حسن بن صالح، عن عبد الله بن الحسن، قال: قال علي للحكمين: احكما بالقرآن كله، فإنه كله لي ".

وقال ابن أبي حاتم: " ثنا أبي (٣) ، ثنا الصهيبي ابن عم علي بن عاصم وعلي بن صالح، عن عمران بن حدير (٤) ، عن عكرمة قال: كان ابن

---

(١) الإمام الحافظ الناقد شيخ الإسلام أبو محمد عبد الرحمن بن الحافظ الكبير أبي حاتم محمد بن إدريس المنذر التميمي الحنظلي، ولد سنة ٢٤٠ وتوفي سنة ٣٢٧. قال الذهبي: " وله مصنف كبير في " الرد على الجهمية " يدل على إمامته ". انظر ترجمته ومصنفاته: تذكرة الحفاظ للذهبي (الطبعة الثالثة بحيدرآباد، ١٣٧٦/١٩٥٧) ٨٢٩/٣ - ٨٣٢، فوات الوفيات لابن شاكر ٥٤٢/١ - ٥٤٣ ؛ طبقات الحنابلة، ٢ ؛ العبر للذهبي (ط. الكويت) ٢٠٨/٢ ؛ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢٢٣/٣ ؛ الأعلام للزركلي ٩٩/٤ ؛ سزكين م [٠ - ٩] ، ج [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٥٢ - ٣٥٥

(٢) هو محمد بن المصفى بن بهلول الحمصي، توفي سنة ٢٤٦. ترجمته في: الجرح والتعديل ج [٠ - ٩] ، ق [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٠٤ ؛ الخلاصة للخزرجي، ص ٣٠٧ ؛ اللباب لابن الأثير ٣١٩/١.

(٣) عبارة " ثنا أبي " ساقطة من (ع) ، (م) وهي في (ن) .

(٤) في الخلاصة للخزرجي، ص ٢٥٠: " عمران بن حدير بمهملات مصغرا. . مات سنة ١٤٩ ".." [٢]

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٤٩/٢

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٥٢/٢

"فهذا هو مراد علي [بن أبي طالب] وجعفر [بن محمد] وغيرهما (١) من أهل البيت -[رضوان الله عليهم] (٢) - وسائر سلف الأمة بلا ريب. فتبين أن هؤلاء الرافضة مخالفون لأئمة أهل البيت وسائر السلف في مسألة القرآن كما خالفوهم في غيرها.

وأما قولهم: إنه مجعول، فالله لم يصفه بأنه مجعول معدى إلى مفعول واحد، بل قال: ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا﴾ [سورة الزخرف: ٣] ، فإذا قالوا: هو مجعول قرآنا عربيا، فهذا حق. وأما قوله تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ [سورة الأنبياء: ٢] ، فهذه الآية تدل على أن " الذكر " نوعان: محدث وغير محدث، كما تقول: ما جاءني من رجل عدل إلا قبلت شهادته، وصفة النكرة للتخصيص، وعندهم كل ذلك محدث، والمحدث في القرآن ليس هو المحدث في كلامهم، فلم يوافقوا القرآن.

ثم إذا قيل: هو محدث (٣) ، لم يلزم من ذلك أن يكون مخلوقا بائنا (٤) عن الله، بل إذا تكلم الله به (٥) بمشيئته وقدرته وهو قائم به، جاز أن يقال: هو محدث، وهو مع ذلك كلامه القائم بذاته وليس بمخلوق.

وهذا قول كثير من أئمة السنة والحديث. وقد احتج البخاري وغيره على ذلك بقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: " «إن الله يحدث من أمره ما

---

(١) ن، م: علي وجعفر وغيرهما.

(٢) عبارة " رضوان الله عليهم ": زيادة في (ع) .

(٣) ن: إنه محدث.

(٤) ن، م: ثابتا، وهو خطأ.

(٥) ع: بل إذا تكلم به.." (١)

"وكل أحد يعلم أنها طريق محدثة لم يسلكها السلف، والناس متنازعون في صحتها، فكيف يقولون: إن العلم بالصانع والعلم بحدوث العالم موقوف عليها؟

وقالوا: (١) [بل هذه الطريقة تنافي العلم بإثبات الصانع، وكونه خالقا للعالم آمرا بالشرائع، مرسلا للرسل، فالذين ابتدعوها من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم قالوا: إنها صحيحة في العقل، وإن العلم بالنبوة وصحة دين الإسلام لا يتم إلا بها.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٢٥٦

وقولهم: إن العلم بذلك لا يتم إلا بها، مما أنكره عليهم جماهير الأمة من الأولين والآخرين، لا سيما السلف والأئمة، وكلامهم في تبديع أهل هذا الكلام وذمه وذم أهله ونسبتهم إلى الجهل وعدم العلم من الأمور المتواترة عن السلف.

وكذلك القول بصحتها من جهة العقل هو مما أنكره جمهور أئمة الأمة (٢) ، لكن سلم ذلك طوائف من الكرامية والكلابية وغيرهم، ونازعوهم في موجب هذه الطريق، ونازعوهم أيضا في توقف صحة دين الإسلام عليها، كما ذكر ذلك غير واحد ؛ مثل ما ذكره أبو الحسن الأشعري في " رسالته إلى أهل الثغر بباب الأبواب " (٣) ، وذكره الخطابي

(١) ب، ا: قالوا، وما بعدها من (ب) ، (أ) ، (ن) ، (م) ويستمر الكلام حتى الصفحة التالية.

(٢) في الأصل (ع) : أئمة الأئمة.

(٣) ذكرها ابن عساكر في " تبيين كذب المفتري " ص ١٣٦ فقال: " وجواب مسائل كتب بها إلى أهل الثغر في تبيين ما سألوه عنه من مذاهب أهل الحق ". ومن الرسالة نسخة خطية في مكتبة روان كشك ومنها صورة في الجامعة العربية، وانظر فهرس المخطوطات المصورة، ١/١٢٥. وسبقت الإشارة إليها.." (١)

"بالعين في الآخرة ونفيها في الدنيا، إلا الخلاف في النبي - صلى الله عليه وسلم - خاصة] (١)
.

وأما احتجاجه [واحتجاج النفاة أيضا] بقوله [تعالى] (٢) : ﴿لا تدركه الأبصار﴾ [سورة الأنعام: ١٠٣] فالآية حجة عليهم لا لهم، لأن الإدراك: إما أن يراد به مطلق الرؤية، أو الرؤية، أو الرؤية المقيدة بالإحاطة، والأول باطل، لأنه ليس كل من رأى شيئا يقال: إنه [أدركه، كما لا يقال:] (٣) أحاط به، كما سئل ابن عباس [رضي الله عنهما] (٤) عن ذلك فقال (٥) : ألست ترى السماء؟ قال: بلى، قال: أكلها ترى (٦) ؟ قال: لا.

ومن رأى جوانب الجيش أو الجبل (٧) أو البستان أو المدينة لا يقال: إنه أدركها (٨) ، وإنما يقال:

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٢٦٨

أدركها إذا أحاط بها رؤية (٩) ، ونحن في هذا المقام ليس علينا بيان ذلك، وإنما ذكرنا هذا بيانا لسند (١٠) المنع، بل المستدل بالآية عليه أن يبين أن الإدراك في لغة **العرب** مرادف للرؤية، و أن كل من رأى شيئا يقال في لغتهم إنه أدركه، وهذا لا سبيل إليه، كيف وبين لفظ

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ب) ، (أ) ، (ن) ، (م) .

(٢) ب، ا: وأما احتجاج النفاة بقوله تعالى ؛ ن، م: وأما احتجاجه بقوله.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

(٤) رضي الله عنهما: ساقطة من (ن) ، (م) . وفي (ع) : رضي الله عنه.

(٥) ن، م: قال.

(٦) ع: أترى كلها؟

(٧) ن، م: جوانب الخيل أو الجيش ؛ ': جوانب الجيش أو الجند.

(٨) ع: أدركه.

(٩) ن: ولا يقال إنه أدركها إلا إذا أحاط بها رؤية ؛ م: إلا إذا أحاط بها رؤية.

(١٠) ع: لنسند ؛ أ: لسد.." (١)

"جمع طرقها أكثر (١) أهل العلم بالحديث، كأبي الحسن الدارقطني وأبي نعيم الأصبهاني وأبي بكر الآجري وغيرهم (٢) . (* وقد أخرج أصحاب الصحيح (٣) ذلك من وجوه متعددة توجب لمن كان عارفا بها العلم القطعي (٤) بأن لرسول الله [- صلى الله عليه وسلم -] (٥) قال ذلك *) (٦) . وقالت طائفة: إنه يرى [لا] (٧) في جهة، لا أمام الرائي ولا خلفه، ولا عن يمينه ولا عن يساره، ولا فوقه ولا تحته. وهذا هو المشهور عند متأخري (٨) الأشعرية فإن هذا مبني على اختلافهم في كون البارئ [تعالى] (٩) فوق العرش.

فالأشعري وقدماء أصحابه كانوا يقولون: إنه بذاته فوق العرش، وهو مع ذلك (١٠) ليس بجسم (١١) .

---

(١) أكثر: زيادة في (ن) فقط.

(٢) ذكر بروكلمان (تاريخ الأدب **العربي** ٣/ ٢١١) أن للدارقطني كتابا جمع فيه ما ورد من النصوص الواردة

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/ ٣١٧

في كتاب الله والأحاديث المتعلقة برؤية الباري، ومنه نسخة خطيةٌ في الإسكوريال، كما ذكر (٢٠٩/٣) أن للآجري كتاب التصديق بالنظر إلى الله في الآخرة، ومنه نسخة خطية في الظاهرية، وفي كتاب " الشريعة " له باب بهذا العنوان، ص [٠ - ٩] ٥١ - ٢٧٠، ط. حامد الفقي ١٣٦٩/١٩٥٠.

(٣) ن: أصحاب البخاري ومسلم ؛ م: أصحاب الصحيح كالبخاري ومسلم.

(٤) القطعي: زيادة في (ن) ، (م) .

(٥) صلى الله عليه وسلم: ساقطة من (ن) .

(٦) ما بين النجمتين ساقط من (أ) ، (ب) .

(٧) لا: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٨) متأخري: ساقطة من (ع) .

(٩) تعالى: ساقطة من (ن) ، (م) .

(١٠) ب، أ: ومع ذلك.

(١١) كتب مقابلا لهذا الموضع في هامش (ع) : " قلت: وممن يقول بكونه تعالى فوق العرش بذاته أبو زيد في رسالته المشهورة عندهم. وقد ينيف من شرح هذه الرسالة من العلماء على ثلاثمائة، وهي في غاية الشهرة عند المغاربة وكانوا يقولون لمؤلفها مالك الصغير ".." (١)

"قول هذا الإمامي وأمثاله من الرافضة المتأخرين والزيدية والمعتزلة والجهمية.

وثالثها: قول من يقول *) (١) : إنه (٢) معنى واحد قديم قائم بذات الله هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، إن عبر عنه **بالعربية** كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرية (٣) كان توراة (٤) ، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه كالأشعري وغيره (٥) .

ورابعها: قول من يقول: إنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل، وهذا قول طائفة من أهل الكلام وأهل الحديث. ذكره الأشعري في " المقالات " عن طائفة (٦) . وهو الذي يذكر عن السالمية ونحوهم. وهؤلاء قال طائفة منهم: إن تلك الأصوات القديمة هي الصوت

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦٢٣/٢

(١) ما بين النجمتين ساقط من (ب) ، (أ) .

(٢) ب: بأنه.

(٣) ب، أ، م: بالعبرانية.

(٤) ع: إن عبر عنه بالعبرية كان توراة وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنا.

(٥) يقول الأشعري في المقالات ٢/٢٣٣: " قال عبد الله بن كلاب. . وإنه (القرآن) معنى واحد بالله عز وجل، وإن الرسم هو الحروف المتغايرة، وهو قراءة القرآن، وإنه خطأ أن يقال: كلام الله هو هو أو بعضه أو غيره، وإن العبارات عن كلام الله سبحانه تختلف وتتغاير، وكلام الله سبحانه ليس بمختلف ولا متغاير، كما أن ذكرنا لله عز وجل يختلف ويتغاير والمذكور لا يختلف ولا يتغاير، وإنما سمي كلام الله سبحانه عربيا لأن الرسم الذي هو العبارة عنه وهو قراءته عربي فسمي عربيا لعلة، وكذلك سمي عبرانيا لعلة، وهو أن الرسم الذي هو عبارة عنه عبراني، وكذلك سمي أمرا لعلة، وسمي نهيا لعلة، وخبرا لعلة، ولم يزل الله متكلما قبل أن يسمي كلامه أمرا، وقبل وجود العلة التي لها سمي كلامه أمرا، وكذلك القول في تسمية كلامه نهيا وخبرا. . ".

(٦) انظر " المقالات " ٢/٢٣٤.." [١]

"وسادسها (١) : قول من يقول: إنه لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء (٢) بكلام يقوم به وهو يتكلم [به] بصوت (٣) يسمع، وأن نوع الكلام [أزلي (٤)] قديم، م وإن لم يجعل نفس (٥) الصوت المعين قديما. وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة. (٦)

(* وسابعها: قول من يقول: كلامه يرجع إلى ما يحدث من علمه وإرادته القائم بذاته. ثم من هؤلاء من يقول: لم يزل ذاك حادثا في ذاته، كما يقوله أبو البركات صاحب " المعتبر " وغيره، ومنهم من لا يقول بذلك، و [أبو عبد الله] الرازي يقول بهذا القول (٧) في مثل " المطالب العالية ".

وثامنها: قول من يقول: كلامه يتضمن معنى قائما بذاته وهو ما خلقه في غيره. ثم من هؤلاء من يقول في ذلك المعنى بقول ابن كلاب، وهذا قول أبي منصور الماتريدي (٨) . ومنهم من يقول بقول المتفلسفة وهذا قول طائفة من الملاحدة الباطنية متشيعهم ومتصوفيهم.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٣٦٠

(١) ب، ا: وسابعها، وهو خطأ.

(٢) : (٢ - ٢) ساقط من (ب) ، (أ) . وفي (ن) ، (م) : وكيف شاء ومتى شاء.

(٣) ب، ا: وهو متكلم بصوت ؛ ن، م: وهو يتكلم بصوت.

(٤) أزلي: في (ع) فقط.

(٥) نفس: ساقطة من (ع) .

(٦) في هامش (ع) كتب التعليق التالي: " وهذا القول السادس هو ما ذهب إليه الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه ومن تمذهب بمذهبه ".

(٧) ن، م: والرازي يميل إلى هذا القول.

(٨) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (نسبة إلى ماتريد بسمرقند) ، توفي سنة ٣٣٣. من أئمة المتكلمين ورأس الماتريدية، وقد خالف الأشعري في مسائل أوردها أبو عذبة في كتابه. " الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية "، ط. حيدر آباد سنة ١٣٢٢. وانظر عن الماتريدي: تاج التراجم لابن قطلوبغا، ص ٥٩، ط المثنى، بغداد، ١٩٦٢ ؛ طبقات الفقهاء لطاش كبرى زاده، ص ٥٦، ط. الموصل، ١٩٦١ ؛ الأعلام ٢٤٢/٧ ؛ تاريخ الأدب العربي ٤١/٤ - ٤٣ ؛ سزكين م [٠ - ٩] ، ج [٠ - ٩] ع [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٠ - ٤٢.." [(١)]

"الجعفي (١) ولعثمان بن سعيد الدارمي، وكذلك " نقض عثمان بن سعيد على بشر المريسي (٢) والرد على الجهمية " لعبد الرحمن بن أبي حاتم (٣) ، وكتاب " السنة " لعبد الله بن الإمام أحمد - رضي الله عنه - (٤) ولأبي بكر الأثرم (٥) وللخلال (٦) ، وكتاب " خلق

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين الجعفي الكوفي القاضي المعروف بالهرواني أو بابن الهرواني، أحد الأئمة الأعلام في مذهب أبي حنيفة. ولد سنة ٣٠٥ وتوفي سنة ٤٠٢. ترجمته في: العبر للذهبي ٨١/٣ ؛ اللباب لابن الأثير ٢٨٩/٣ ؛ تاريخ بغداد ٤٧٢/٥ - ٤٧٣ ؛ شذرات الذهب ١٦٥/٣ ؛ الجواهر المضية في طبقات الحنفية لأبي محمد القرشي ٦٥/٢، ط. حيدر آباد، ١٣٣٢. ولم تذكر هذه المراجع كتاب " الرد على الجهمية ". وقارن: " درء " ١٠٨/٧.

(٢) سبقت ترجمته ٤٢٣/١. وانظر ترجمته أيضا في: تذكرة الحفاظ ٦٢١/٣ - ٦٢٢ ؛ الأعلام ٣٦٦/٤.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٦٢/٢

وقد طبع كتابه " الرد على الجهمية " حديثا في ليدن سنة ١٩٦٠ بتحقيق المستشرق جوستا ويتستام. وطبع كتاب " نقض عثمان بن سعيد على بشر المريسي " بتحقيق محمد حامد الفقي، القاهرة، ١٣٥٨، وطبع الكتابان ضمن مجموعة عقائد السلف ط. المعارف، الأسكندرية، ١٩٧١ م.

(٣) سبقت ترجمته ونقل نصوص من كتابه هذا ٢٥١/٢ - ٢٥٤. وذكر الكتاب حاجي خليفة في كشف الظنون ٨٣٨/١.

(٤) أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل، ولد سنة ٢١٣ وتوفي سنة ٢٩٠. ترجمته في: طبقات الحنابلة ١٨٠/١ - ١٨٨ ؛ تذكرة الحفاظ ٦٦٥/٢ - ٦٦٦. وذكر له بروكلمان (تاريخ الأدب العربي ٣١٣/٣) : "كتاب السنن في الرد على المعتزلة والجهمية وفرق أخرى " وقال إن منه نسخة خطية في بنكيبور ٤٩١/١٠، وسماه سزكين م [٠ - ٩] ، ج [٠ - ٩] ص [٠ - ٩] ٣٢ كتاب " السنة ". وقد طبع الكتاب بالقاهرة، سنة ١٣٤٩.

(٥) أبو بكر أحمد بن محمد بن هاني، الطائي الإسكافي ، الأثرم صاحب الإمام أحمد ومن أئمة المحدثين، توفي حوالي سنة ٢٦١. ترجمته في: طبقات الحنابلة ٦٦/١ - ٧٤ ؛ تذكرة الحفاظ ٥٧٠/٢ - ٥٧٢ ؛ الأعلام ١٩٤/١ ؛ سزكين م [٠ - ٩] ج [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٢٩. ولا يوجد كتابه " السنة " بين أيدينا.

(٦) سبقت ترجمته ٤٢٤/١، وذكره الزركلي (الأعلام ١٩٦/١) وبروكلمان (تاريخ الأدب العربي \ ٣١٣ - ٣١٤) وذكرا كتابه " السنة " ولكنهما لم يتكلما عن نسخ خطية منه. وانظر ترجمته في: سزكين م [٠ - ٩] ، ج [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٣٣ - ٢٣٤.." (١)

"و " السنة " لأبي ذر الهروي (١) \ ٦٥.، و " الإبانة " لابن بطة (٢) .، و " شرح أصول السنة " لأبي القاسم اللالكائي (٣) .، و " السنة " لأبي حفص بن شاهين (٤) .، و " أصول السنة " لأبي عمر

---

(١) أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد الهروي المالكي الحافظ الثقة، توفي سنة ٤٣٤. ترجمته في: شذرات الذهب ٢٥٤/٣ ؛ تبيين كذب المفتري ٢٥٥ - ٢٥٦ ؛ الأعلام ٤١/٤. وذكر الزركلي من كتبه " السنة والصفات " وذكره عمر كحالة في معجم المؤلفين ٥

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٦٤/٢

(٢) سبقت ترجمة ابن بطة والكلام عن كتابيه " الإبانة الكبرى " و " الإبانة الصغرى " ١/٦١، ٢/٢٢ - ٢٣. وكتب مستجي زاده فوق اسم كتابه: " وعندي هذا الكتاب وطالعت أكثر مواضيعه وهو كتاب جليل ". وانظر: سزكين، م [٠ - ٩] ، ج [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٣٩ - ٢٤٠.، وقبله " الشريعة " لأبي بكر الآجري أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجري، الإمام المحدث الqدوة، توفي بمكة سنة ٣٦٠. ترجمته في: تذكرة الحفاظ ٣/٩٣٦ ؛ وفيات الأعيان ٣/٤١٩ ؛ طبقات الشافعية ٣/١٤٩ ؛ شذرات الذهب ٣/٣٥ ؛ تاريخ بغداد ٢/٢٠٣ ؛ سزكين، م [٠ - ٩] ، ج [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٨٩ - ٣٩٢ ؛ الأعلام ٦/٣٢٨. ونشر كتاب " الشريعة " بتحقيق محمد حامد الفقي ١٣٦٩/١٩٥٠، ومنه نسخة خطية في آصفية رقم ٣٧٧ (ذكرها بروكلمان ٣/٢٠٩)

(٣) هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، أبو القاسم اللالكائي، الفقيه الشافعي المحدث، توفي سنة ٤١٨. ترجمته في: تذكرة الحفاظ ٣/١٠٨٥ - ١٠٨٧ ؛ شذرات الذهب ٣/٢١١ ؛ الأعلام ٩/٥٧. ذكر له بروكلمان ٣/٣٠٥ - ٣٠٦ كتابين: " حجج أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " ومنه نسخة خطية بليبزج رقم ١، ٣١٨ ؛ " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم والمخالفين لهم من علماء الأمة " ومنه نسخة خطية بالظاهرية رقم ٣، ١٢٤، 73. ذكره سزكين م [٠ - ٩] ، ج [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ١١ - ٢١٢. وقد طبع قسم من الكتاب بتحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان، مكة المكرمة، ١٤٠٢ (وانظر مقدمة التحقيق)

(٤) سبقت ترجمته ١/٢٣. وفي فهرس المخطوطات المصورة بالجامعة **العربية** ١/١٣٦ - ١٣٧ أنه توجد نسخة خطية من الجزءين ٢٠، ١٩ من كتابه " اللطيف لشرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع السنن " في الظاهرية برقم ٥٦/١٦٤ حديث، ١٤٦ حديث. وانظر: سزكين م [٠ - ٩] ، ج [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٢٦." (١)

"المسمى مشهدا على قبر صحيح، فكيف وكثير من هذه المشاهد المبنية على (قبور) (١) . الأنبياء والصالحين من الصحابة والقرابة وغيرهم كذب؟ وكثير منها مختلف فيه لا يتوثق فيه بنقل ينقل في ذلك مما يوجد بالشام والعراق وخراسان وغير ذلك، والسبب في خفائها وكثرة الخلاف فيها أن الله حفظ الدين الذي

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٣٦٦

بعث به رسوله بقوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [سورة الحجر: ٩] ، واتخاذ هذه معابد ليس من الدين، فلهذا لم يحفظ هذه المقامات والمشاهد، بل مبني أمرهم على الجهل والضلال، وإنما يستند أهلها إلى منامات تكون من الشياطين أو إلى (أخبار إما) (٢) . مكذوبة، وإما منقولة عمن ليس قوله حجة.

والشياطين تضل أهلها كما تضل عباد الأصنام، فتارة تكلمهم، وتارة تتراءى لهم، وتارة تقضي بعض حوائجهم، وتارة تصيح وتحرك السلاسل التي فيها القناديل وتطفئ القناديل، وتارة تفعل أمورا أخر كما تفعل عبادة الأوثان التي كانت **للعرب**، وهي اليوم تفعل مثل ذلك في أوثان الترك والصين والسودان وغيرهم فيظنون أن ذلك هو الميت أو ملك صور على صورته، وإنما هو شيطان أضلهم بالشرك، كما يجري ذلك لعباد الأصنام المصورة على صورة الآدميين، وهذا باب واسع ليس هذا موضع استقصائه] (٣) . .

---

(١) قبور: ليست في الأصل، وإثباتها يقتضيه سياق الكلام

(٢) بعد عبارة " أو إلى " توجد إشارة إلى الهامش ولكن لم تظهر الكلمات الساقطة في المصورة، ورجحت أن تكون هي ما أثبته بين القوسين

(٣) هنا ينتهي السقط الطويل في (ب) ، (أ) ، (ن) ، (م) ، وقد بدأ في ص ٤٠٩." [١]

"ويقال ثالثا: الكذب على هؤلاء في الرافضة أعظم الأمور، لاسيما على جعفر بن محمد الصادق، فإنه ما كذب على أحد ما (١) كذب عليه، حتى نسبوا إليه كتاب " الجفر " و " البطاقة " [و " الهفت "] (٢) و " اختلاج الأعضاء " [و " جدول الهلال "] (٣) و " أحكام الرعود (٤) والبروق " و " منافع سور القرآن " (٥) [و " قراءة القرآن في المنام "] (٦) .

---

(١) م: مثلما.

(٢) والهفت: ساقطة من (ن) .

(٣) وجدول الهلال: في (ع) فقط.

(٤) ن: الوعود.

(٥) ومنافع سور القرآن: ساقط من (ب) ، (أ) .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٤٥١

(٦) وقراءة القرآن في المنام: في (ع) فقط. وقد نسبت إلى جعفر الصادق عدة كتب موضوعها العلوم الباطنية الخفية التي يزعم الشيعة أن أئمتهم اختصوا بها، ومن أشهر هذه الكتب كتاب " الجفر " وقد نسب أحيانا إلى علي رضي الله عنه (انظر بروكلمان ١٨٢/١ حيث يتكلم عن كتاب لعلي رضي الله عنه بعنوان " الجفر، تنبؤا بالأحداث إلى نهاية العالم ") . ونسب أحيانا أخرى إلى جعفر الصادق (انظر بروكلمان ٢٦٠/١، ويذكر بروكلمان أيضا في نفس الصفحة أن من كتبه كتاب " اختلاج الأعضاء " وكتاب " منافع سور القرآن ") . ويذكر ابن خلدون في مقدمته ٧٦٦/٢ - ٧٦٧ (ط. علي عبد الواحد وافي، ١٣٧٨/١٩٥٨) أن كتاب الجفر من الكتب التي تبين ما يطرأ على الدول من أحداث عن طريق الآثار والنجوم، ويقول: إن هارون بن سعيد العجلي روى هذا الكتاب عن جعفر الصادق وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص، وكان مكتوبا عند جعفر في جلد ثور صغير، ولذلك سماه هارون باسم الجلد الذي كتب عليه، وكان فيه تفسير القرآن وما في باطنه من غرائب المعاني المروية عن جعفر. على أن ابن خلدون يقول بعد ذلك: " وهذا الكتاب لم تتصل روايته ولا عرف عينه، وإنما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصحبها دليل ". وينقل الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه: الإمام الصادق، ص [٠ - ٩] ٤ (ط. دار الفكر العربي) عن كتاب " الكافي " للكليني " أن الجفر فيه توراة موسى وإنجيل عيسى وعلوم الأنبياء والأوصياء، ومن مضى من علماء بني إسرائيل، وعلم الحلال والحرام، وعلم ما كان وما يكون. ثم يذكر أن الجفر قسمان: أحدهما كتب على إهاب ماعز، والآخر كتب على إهاب كبش ". وانظر: الكافي للكليني ٢٣٨/١ - ٢٤٢، ط. طهران، ١٣٨١. وانظر عن الجفر وسائر كتب الشيعة الباطنية: دائرة المعارف الإسلامية، مادة " الجفر " بقلم ماكدونالد، مادة " جعفر بن محمد الصادق " بقلم سترشتين ؛ جولدتسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام (الطبعة الثانية) ، ص ٢١١ - ٢١٢ - ٣٧١ - ٣٧٢ ؛ محمد أبو زهرة: الإمام الصادق، ص [٠ - ٩] ٣ - ٣٧. وقارن: التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، مادة " الجفر ".." (١)

"وضعت (١) في أثناء المائة الرابعة لما ظهرت الدولة العبيدية بمصر وبنوا القاهرة، فصنفت على مذهب أولئك الإسماعيلية، كما يدل على ذلك ما فيها، وقد ذكروا فيها ما جرى على المسلمين من استيلاء النصارى على سواحل الشام، وهذا إنما كان بعد المائة الثالثة، [وقد عرف الذين صنفوها مثل زيد بن رفاعة وأبي سليمان (٢) بن معشر البستي المعروف بالمقدسي وأبي الحسن علي بن هارون الزنجاني (٣) وأبي

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٦٤/٢

أحمد النهرجوري (٤) والعوفي. ولأبي الفتوح المعافى بن زكرياء الجريري صاحب كتاب " الجليس والأنيس " (٥) مناظرة معهم، وقد ذكر ذلك أبو حيان التوحيدي في كتاب " الإمتاع والمؤانسة " (٦)] (٧) .

---

(١) ب: وهي صنفت ؛ أ: وصنفت.

(٢) في الأصل (ع) : ابن سليمان، والصواب ما أثبته، وهو الذي ذكره القفطي في كتابه " تاريخ الحكماء "، ص ٨٣ (ط. ليبزج، ١٩٠٣) نقلا عن أبي حيان التوحيدي (انظر: الإمتاع والمؤانسة ٢/٤، ط. لجنة التأليف، ١٩٤٢ ؛ المقابسات، ص [٠ - ٩] ٦، تحقيق السندوبي، القاهرة، ١٣٤٧/١٩٢٩) .

(٣) في الأصل: الريحاني، والصواب ما أثبته، وهو الذي في " تاريخ الحكماء " نفس الصفحة ؛ المقابسات، نفس الصفحة ؛ الإمتاع ٢/٥.

(٤) في " دائرة المعارف الإسلامية " مادة: إخوان الصفا: محمد بن أحمد النهرجوري ؛ " الإمتاع " و " المقابسات ": " أبو أحمد المهرجاني ".

(٥) تكلم الدكتور ألبرت ديتريش عن كتاب " الجليس والأنيس " وعن مؤلفه المعافى بن زكرياء بن يحيى الجريري النهرواني المتوفى سنة ٣٩٠ في مجلة المجمع العلمي **العربي** بدمشق، ج [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٨٠ - ٣٩٤ (وانظر ترجمة المعافى في: إنباه الرواة ٣/٢٩٦ - ٢٩٧ ؛ الفهرست لابن النديم، ص [٠ - ٩] ٣٦ ؛ بغية الوعاة، (ص ٣٩٤ - ٣٩٥) . ص ٣٩٤ - ٣٩٥) .

(٦) انظر: الإمتاع ٢/٣ - ١٨ ؛ المقابسات، ص [٠ - ٩] ٥ - ٥١.

(٧) ما بين المعقوفتين في) ع) فقط وقد نقل مستجي زاده كلام ابن تيمية إلى كلمة " العوفي " ثم كتب ما يلي: " ورأيت في كتاب " التبيين " للجاحظ يذكر مصنفات سهل بن مروان كاتب حسن بن سهل ويذكر منها كتاب " إخوان الصفا " ولعل الكتاب المشهور اليوم بين الناس بإخوان الصفا المؤلف بعد المائة الثالثة مأخوذ منه، وكأن أشياع الفاطميين - مؤلفي هذا الكتاب - زادوا ونقصوا في تأليف سهل بن هارون وأبقي اسمه القديم عليه: وكان سهل هذا من المتفلسفين، **عرب** كتبا كثيرة من كتب الفلاسفة ". وقد ذكر الجاحظ في " البيان والتبيين " ١/٥٢ من كتب سهل بن هارون بن راهبوني (الكاتب المتوفى سنة ٢١٥، وانظر الأعلام) كتاب " الإخوان " وذكره ابن النديم في الفهرست (ص ١٧٤) بعنوان: "كتاب إسباسيوس في اتحاد الإخوان ".." (١)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٤٦٦

"[الرد على قوله ولم يلتفتوا إلى القول بالرأي والاجتهاد وحرموا الأخذ بالقياس والاستحسان]

فصل

وأما قوله (١) : " ولم يلتفتوا إلى القول بالرأي والاجتهاد، وحرموا الأخذ بالقياس والاستحسان ".

فالكلام على هذا من وجوه: أحدهما: أن الشيعة في هذا مثل غيرهم، ففي أهل السنة في الرأي والاجتهاد والقياس والاستحسان كما في الشيعة النزاع في ذلك، فالزيدية تقول بذلك وتروي فيه الروايات عن الأئمة (٢) .

الثاني: أن كثيرا من أهل السنة - العامة والخاصة - لا تقول بالقياس، فليس كل من قال بإمامة الخلفاء الثلاثة قال بالقياس، بل المعتزلة البغداديون لا يقولون بالقياس (٣) ،

---

(١) الكلام التالي سبق وروده في (ك) ١/٨٣ (م) . وهو آخر القسم الأول من كلام ابن المطهر في الوجه الأول من الفصل الثاني من كتاب " منهاج الكرامة "، وسبق وروده في هذا الجزء، ص [٠ - ٩] ٩. وقد تناول ابن تيمية الرد على جزء من هذا القسم في الصفحات ١٠٢ - ٢٨٨، ثم رد على سائر الأجزاء في الصفحات ٢٨٨ إلى هذه الصفحة حيث يرد على الجزء الأخير وينتهي رده ص [٠ - ٩] ٨١.

(٢) يقول الزيدية بالقياس، ويختلفون في اجتهاد الرأي، ويذكر الأشعري في المقالات ١/١٤١ أن الزيدية ينقسمون في اجتهاد الرأي إلى فرقتين: الأولى تجيز هذا الاجتهاد في الأحكام والثانية تنكره. وانظر عن قول الزيدية بالقياس كتاب " الإمام زيد " للشيخ محمد أبي زهرة، ص [٠ - ٩] ٢٢ وما بعدها (ط. دار الفكر العربي، ١٣٧٨/١٩٥٩) .

(٣) قال الآمدي في " الإحكام في أصول الأحكام " ٤/٦ (ط. دار الكتب، ١٣٣٢/١٩١٤) : " وقالت الشيعة والنظام وجماعة من معتزلة بغداد كيحيى الإسكافي وجعفر بن مبشر وجعفر بن حرب بإحالة ورود التعبد به (القياس) عقلا، وإن اختلفوا في مأخذ الإحالة العقلية " وانظر: الفرق بين الفرق، ص [٠ - ٩] ٧، ١٠١ ؛ أصول الدين لابن طاهر، ص [٥ - ٩] ٩ - ٢٠ ؛ عيسى منون: نبراس العقول في تحقيق القياس عند علماء الأصول (ط. المنيرية) ١/٥٧ - ٦٢ ؛ صديق حسن خان: حصول المأمول (ط. استانبول، ١٩٢٦) ، ص ١٥٩.." (١)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٤٦٩

"الحميري (١) يقول برجعة الأموات، وفي ذلك يقول:

إلى يوم يئوب الناس فيه (٢)

إلى دنياهم قبل الحساب (٣) قال (٤) : " ومنهم صنف (٥) يزعمون أن الله وكل الأمور وفوضها إلى محمد [- صلى الله عليه وسلم -] (٦) ، وأنه أقدره على خلق الدنيا فخلقها ودبرها، وأن الله لم يخلق من ذلك شيئا، ويقول ذلك كثير منهم في علي، ويزعمون أن الأئمة ينسخون الشرائع، وتهبط عليهم الملائكة، وتظهر عليهم أعلام المعجزات ويوحى إليهم.

ومنهم من يسلم على السحاب، ويقول إذا مرت سحابة: إن عليا فيها (٧) . [وفيهم يقول بعض الشعراء (٨) :

برئت من الخوارج لست منهم ... من الغزال منهم وابن باب (٩)

---

(١) ب، ا: السيد الحمري ؛ ن: السيد الخمري، وهو تحريف. وهو إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري من شعراء الرافضة المتقدمين، ولد سنة ١٠٥ وتوفي سنة ١٧٣. انظر ترجمته في: لسان الميزان ١/٤٣٦ - ٣٨٤ ؛ فوات الوفيات ١/٣٢ - ٣٦ ؛ أعيان الشيعة ١٢/٨٥ - ١٦٥ ؛ روضات الجنات، ص [٠ - ٩] ٩ - ٣١ ؛ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢/٦٨ - ٦٩ ؛ الأعلام ١/٣٢٠ - ٣٢١.

(٢) ب، أ: إلى يوم يؤم الناس فيهم، وهو خطأ. والمثبت عن (ع) ، (ن) ، المقالات ١/٨٦

(٣) ع: قبل يوم الحساب.

(٤) قال: ساقطة من (ب) ، (أ) . والكلام التالي في " المقالات " ١/٨٦ - ٨٧.

(٥) المقالات ١/٨٦: والصنف الخامس من أصناف الغالية.

(٦) - صلى الله عليه وسلم -: ساقطة من (ن) ، (م) ، (ع) .

(٧) ع: ومنهم من يسلم على السحاب إذا مرت عليه سحابة، يرى أن عليا فيها.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) وسقط بعضه من (م) .

(٩) ن: لا يوجد من البيت إلا ثلاث كلمات محرفة ؛ ب، أ، ع،: من العزال منهم وابن داب، والصواب

من: المقالات ٨٧/١ ؛ الفرق بين الفرق، ص [٠ - ٩] ١، ١٤٤. والغزال هو واصل بن عطاء، وابن باب هو عمرو بن عبيد بن باب.." [١]

"الكمال، كما قد بينا ذلك في الكتاب المصنف في تفسير قل هو الله أحد (١) .

[عود إلى الكلام على لفظ الجسم]

وأما لفظ " الجسم " (٢) فإن الجسم عند أهل اللغة كما ذكره الأصمعي وأبو زيد وغيرهما هو الجسد والبدن (٣) ، وقال تعالى: ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾ [سورة المنافقون: ٤] ، وقال تعالى ﴿وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ [سورة البقرة: ٢٤٧] ، فهو يدل في اللغة على معنى الكثافة والغلظ كلفظ الجسد، ثم قد يراد به نفس الغليظ، وقد يراد به غلظه، فيقال: لهذا الثوب جسم أي غلظ وكثافة، ويقال: هذا أجسم من هذا أي أغلظ وأكثف. (٤) ثم صار لفظ " الجسم " في اصطلاح أهل الكلام أعم من ذلك، فيسمون الهواء وغيره من الأمور اللطيفة (٥) جسما، وإن كانت العرب لا تسمي هذا جسما، وبينهم نزاع فيما يسمى جسما: هل هو مركب من الجواهر المنفردة التي لا يتميز منها شيء عن شيء: إما جواهر متناهية (٦ كما يقوله أكثر القائلين بالجوهر الفرد، وإما غير متناهية ٦) (٦) كما يقوله (٧)

---

(١) ع: في تفسير (قل هو الله أحد الله الصمد) والمقصود هنا كتاب " تفسير سورة الإخلاص " وسبق الكلام عليه ١٤٠/٢ (ت [٠ - ٩]) .

(٢) سبق كلام ابن تيمية عن معاني الجسم ١٣٤/٢ وما بعدها، ١٩٨/٢ وما بعدها.

(٣) في " الصحاح " للجوهري: " قال أبو زيد: الجسم: الجسد، وكذلك الجسمان والجثمان. وقال الأصمعي: الجسم والجسمان الجسد والجثمان الشخص ".

(٤) في اللسان: " ورجل جسماني وجثماني إذا كان ضخم الجثة. . وقد جسم الشيء أي عظم. . والأجسم الأضخم.

(٥) ع: من الأمور اللفظية، وهو تحريف.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥١١/٢

(٦) : (٦ – ٦) ساقط من (ب) ، (أ) .

(٧) ت، أ: كما يقول.." [١]

"وإذا كان منازعوه من (لا) ينفي (١) التركيب من هذا وهذا، فالفريقان متفقان على تنزيه الرب عن ذلك، لكن أحدهما يقول: نفي لفظ (٢) الجسم لا يفيد هذا التنزيه، وإنما يفيده لفظ التركيب ونحوه (٣) ، والآخر يقول: بل (نفي) (٤) لفظ الجسم يفيد هذا التنزيه.

ومن قال: هو جسم، فالمشهور عن نظار الكرامية وغيرهم ممن يقول: هو جسم، أنه يفسر ذلك بأنه الموجود أو القائم بنفسه، لا بمعنى المركب.

وقد اتفق الناس على أن من قال: إنه جسم، وأراد هذا المعنى، فقد أصاب في المعنى، لكن إنما يخطئه من يخطئه في اللفظ.

أما من يقول: الجسم هو المركب، فيقول: أخطأت (حيث) (٥) استعملت لفظ " الجسم " في القائم بنفسه أو الموجود.

وأما من (لا) (٦) يقول بأن كل جسم مركب، فيقول: تسميتك لكل موجود أو قائم بنفسه جسما ليس هو موافقا للغة العرب المعروفة، ولا تكلم بهذا اللفظ أحد من السلف والأئمة، ولا قالوا (٧) : إن الله جسم،

---

(١) ب، أ: ممن ينفي، والصواب ما في (ع) ، والمقصود هنا من أثبت الجواهر الفردة مثل الأشاعرة، أو المادة والصورة مثل الفلاسفة فإنهم جميعا متفقون على تنزيه الرب عن الجسمية.

(٢) لفظ: ساقطة من (ب) ، (أ) .

(٣) ب، أ: وإنما يفيده لفظ هذا التركيب ونحوه ؛ ع: وإنما يفيد لفظ التركيب ونحوه. ورجحت أن يكون الصواب ما أثبته.

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ب) ، (أ) .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ب) ، (أ) .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ب) ، (أ) .

(٧) ع: وقالوا.." [٢]

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٣٠/٢

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٤٨/٢

"فأنت مخطئ في اللغة والشرع، وإن كان المعنى الذي أردته صحيحا.

فيقول: أنا تكلمت (١) بالاصطلاح الكلامي، فإن الجسم عند النظار من المتكلمين والفلاسفة هو ما يشار إليه، ثم ادعى طائفة منهم أن كل ما كان كذلك فهو مركب من الجواهر المنفردة أو من المادة والصورة، ونازعهم طائفة أخرى في هذا المعنى، وقالوا: ليس كل ما يشار إليه هو مركب لا (٢) من هذا ولا من هذا، فإذا أقام صاحب هذا القول دليلا عقليا على نفي تركيب المشار إليه خصم منازعيه، إلا من يقول: إن أسماء الله تعالى توقيفية فيقول له: ليس لك أن تسميه بذلك.

وأما أهل السنة المتبعون للسلف فيقولون: كلكم مبتدعون في اللغة والشرع حيث سميتم كل ما يشار إليه جسما، فهذا اصطلاح لا يوافق اللغة، ولم يتكلم به أحد من سلف الأمة.

قال المدعون أن الجسم هو المركب: بل قولنا موافق للغة، والجسم في اللغة هو المؤلف المركب، والدليل (٣) على ذلك أن العرب تقول: هذا أجسم من هذا عند زيادة الأجزاء، والتفضيل إنما يقع بعد الاشتراك في الأصل، فعلم أن لفظ الجسم عندهم هو المركب، وكلما (٤) زاد التركيب قالوا: أجسم.

[بطلان القول بأن العرب أطلقوا اسم الجنس على المركب من الأجزاء من وجوه]

فيقال: لهم أما كون العرب تقول لما كان أغلظ من غيره أجسم فهذا

---

(١) ع: فإن كان المعنى الذي أردته صحيحا، فنقول: إنما تكلمت. . إلخ.

(٢) لا: في (ع) فقط.

(٣) ب، أ: فالدليل.

(٤) ب، أ: فكلما.." (١)

"الجواهر الفردة، فالجسم له قدر وصفات، وليست صفاته لأجل الجواهر، فكذلك قدره. فهذا ونحوه من البحوث العقلية الدقيقة لم تخطر ببال عامة من تكلم بلفظ " الجسم " من العرب وغيرهم.

الوجه الثالث: أنه من المعلوم أن اللفظ المشهور في اللغة الذي يتكلم به الخاص والعام ويقصدون معناه لا يجوز أن يكون معناه مما يخفى تصوره على أكثر الناس، ويقف (١) العلم بصحة ذلك المعنى (٢) على

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٤٩/٢

أدلة دقيقة عقلية، ويتنازع فيها العقلاء، فإن الناطقين به جميعهم متفقون على إرادة المعنى الذي يدل اللفظ عليه في اللغة، (وما كان دقيقا لا يفهمه أكثر الناس لا يكون مراد الناطقين به وكذلك ما كان متنازعا فيه. ولهذا قال من قال من الأصوليين: اللفظ المشهور لا يجوز أن يكون موضوعا لمعنى خفي لا يعلمه إلا خواص الناس، كلفظ " الحركة " ونحوه. ومعلوم أن لفظ " الجسم " مشهور في لغة العرب) (٣) ، مع عدم تصور أكثرهم للتركيب، وعدم علمهم بدليل التركيب، وإنكار كثير منهم للتركيب من الجواهر الفردة والمادة والصورة. وهذا مما يعلم به قطعا أنه ليس موضوعه في اللغة ما تنازع فيه النظار، ومعرفته تتوقف (٤) على النظر والأدلة الخفية.

---

(١) ب (فقط) : ويتوقف.

(٢) المعنى: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٣) ما بين القوسين في (ع) فقط.

(٤) ع، أ: تقف.." (١)

"الرب مركب من الجواهر المنفردة ولا من المادة والصورة. وقد تنازع النظار في الأجسام المشهودة: هل هي مركبة من جواهر أو من أجزاء، أو لا من هذا ولا من هذا؟ على ثلاثة أقوال.

فمن قال: إن المخلوق ليس مركبا لا من هذا ولا هذا، فالخالق أولى أن لا يكون مركبا.

ومن قال: إن المخلوق مركب، فهو بين أمرين: إما أن ينفي التركيب عن الرب سبحانه، ويحتاج إلى دليل، وأدلتهم على ذلك ضعيفة. وإما أن يثبت تركيبه من هذا وهذا، وهو قول سخيف. فكلا القولين - النفي والإثبات - ضعيف لضعف الأصل الذي اشتركوا فيه.

وهذا الموضع من محارات كثير من العقلاء في صفات المخلوق والخالق. مثال ذلك الثمرة، كالتفاحة والأترجة (١) لها لون وطعم وريح، وهذه صفات قائمة بها، ولها أيضا حركة. فمن النظار من قال: صفاتها ليست أمورا زائدة على ذاتها، ويجعل لفظ " التفاحة " يتناول هذا كله. ومنهم من يقول: بل صفاتها زائدة على ذاتها.

وهذا في التحقيق نزاع لفظي، فإن عنى بذاتها ما يتصوره الذهن من الذات المجردة، فلا ريب أن صفاتها زائدة على هذه الذات. وإن عنى بذاتها الذات الموجودة في الخارج، فتلك متصفة بالصفات، لا تكون ذاتا

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٥٥١

موجودة في الخارج إلا إذا كانت متصفة بصفاتها اللازمة لها.

---

(١) في " المعجم الوسيط " (نشر مجمع اللغة العربية) : " الأترج شجر يعلو، ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره كالليمون الكبير، وهو ذهبي اللون، ذكي الرائحة، حامض الماء ". وفي اللسان: " واحدته ترنجة وأترجة. . وفي الحديث: نهى عن لبس القسي المترج، هو المصبوغ بالحمرة صبغا مشبعا ".." (١)

"مع جنس الجهمية من المعتزلة [والنجارية] (١) والضرارية وأنواع المرجئة، فكل معتزلي جهمي وليس كل جهمي معتزليا، [لكن جهم أشد تعطيلا؛ لأنه نفى الأسماء والصفات، والمعتزلة تنفي الصفات دون الأسماء] (٢) .

وبشر المريسي كان من المرجئة، لم يكن من المعتزلة، بل كان من كبار (٣) .

---

(١) والنجارية: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٢) دون الأسماء: في (ع) فقط. وسقط ما بين المعقوفتين من (ن) ، (م) .

(٣) أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن المريسي، العدوي بالولاء، كان جده مولى لزيد بن الخطاب رضي الله عنه، وقيل إن أباه كان يهوديا قصارا صباغا بالكوفة قال ابن حجر: " تفقه على أبي يوسف فبرع، وأتقن علم الكلام، ثم جرد القول بخلق القرآن وناظر عليه، ولم يدرك الجهم بن صفوان إنما أخذ مقالته واحتج لها ودعا إليها ". وهو رأس طائفة المريسية من المرجئة وكانت تقول إن الإيمان هو التصديق وأن التصديق يكون بالقلب واللسان جميعا، وقال الشهرستاني إن مذهب المريسي كان قريبا من مذهب النجار وبرغوث وأنهم أثبتوا كونه تعالى مريدا لم يزل لكل ما علم أنه سيحدث من خير وشر وإيمان وكفر وطاعة ومعصية. وقد توفي بشر سنة ٢١٨ وقيل: ٢١٩، واختلف في نسبته فقيل إنه ينسب إلى قرية مريس بصعيد مصر وقيل غير ذلك. انظر ترجمته ومذهبه في: لسان الميزان ٢/٢٩ - ٣١ ؛ وفيات الأعيان ١/٢٥١ - ٢٥٢ ؛ تاريخ بغداد ٧/٥٦ - ٦٧ ؛ الأعلام ٢/٢٧ - ٢٨ ؛ الفرق بين الفرق، ص ١٢٤ ؛ التبصير في الدين، ص ٦١ ؛ الخطط للمقريزي ٢/٣٥٠ ؛ الفصل لابن حزم ٣/٣٣، ٤/٨٠ ؛ دائرة المعارف الإسلامية، مقالة كارادي فو عن " بشر بن غياث ". وانظر كتاب " الرد على بشر المريسي " للدارمي ؛

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٥٦٩

تاريخ الأدب العربي ٤/٢٧ - ٢٨ ؛ سزكين م [٠ - ٩] ، ج [٠ - ٩] ، ص ٦٥ - ٦٦ وكتب مستجي زاده في هامش (ع) : " وقد شاع عنه أنه (كان) يلعن المعتزلة لقولهم بخلق الأفعال ".." (١)

"ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه (١) ما خلا الشرك بالله خير له من أن يبتلى بالكلام (٢) . وقد صنفت (٣) في ذمهم مصنفات مثل كتاب أبي عبد الرحمن السلمي (٤) ، وكتاب شيخ الإسلام الأنصاري (٥) وغير ذلك.

وأما من جهة العقل فلأن هذا اللفظ مجمل يدخل فيه نافيه (٦) معاني يجب إثباتها لله، ويدخل فيه مثبته (٧) ما ينزه الله تعالى عنه، فإذا لم يدر مراد المتكلم [به لم ينف ولم يثبت، وإذا فسر] (٨) مراده قبل الحق وعبر عنه بالعبارات الشرعية ورد الباطل، وإن تكلم بلفظ لم يرد عن الشارع

---

(١) م: ولأن يبتلي الله العبد بكل ما نهاه عنه.

(٢) قال ابن عبد البر في كتابه " جامع بيان العلم وفضله "، ٢/٩٥: " وقال يونس بن عبد الأعلى، سمعت الشافعي يوم ناظره حفص الفرد قال لي: يا أبا موسى لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الكلام، لقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه ". ونقل هذه العبارات عنه السيوطي في المرجع السابق، ص [٠ - ٩] ٣٦. كما نقل بعض هذا الكلام (ص [٠ - ٩] ٦) عن الأنصاري الهروي في كتابه " ذم الكلام ". وورد جزء من عبارة الشافعي أيضا في تلبيس إبليس، ص ٨٢.

(٣) ب، أ، م: صنف. وفي (ن) : وهو صنف.

(٤) أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد السلمي النيسابوري، سبقت ترجمته ٢/٤٦٩ وذكر سزكين م [٠ - ٩] ، ج [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٨٤ من كتبه كتاب " الرد على أهل الكلام " وقال إن نسخة خطية منه في الظاهرية بدمشق.

(٥) هو أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الهروي الأنصاري. وسبقت ترجمته ١/٤٣٥. والكتاب الذي يقصده ابن تيمية هنا كتاب " ذم الكلام وأهله " وقد لخصه السيوطي في كتاب " صون المنطق. . . ص [٠ - ٩] ٣ - ٨١ ". ومنه نسخة خطية في مكتبة الظاهرية رقم ٣٣٧ حديث وصورت المخطوطة في معهد المخطوطات بالجامعة العربية (رقم ٩٧ توحيد) .

(٦) ب، أ، ن، م: ما فيه، وهو تحريف.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٦٠٤

(٧) ب، أ: مثبتته.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، وسقطت ولم ينف من (م) .." [(١)]

"للحاجة إلى إفهام المخاطب بلغته مع ظهور المعنى الصحيح لم يكن بذلك [بأس، فإنه يجوز] (١) ترجمة القرآن والحديث للحاجة إلى الإفهام، وكثير ممن قد تعود عبارة معينة إن لم يخاطب بها لم يفهم ولم يظهر له (٢) صحة القول وفساده، وربما نسب المخاطب إلى أنه لا يفهم ما يقول.

وأكثر الخائضين في الكلام والفلسفة من هذا الضرب: ترى أحدهم يذكر له (٣) المعاني الصحيحة بالنصوص الشرعية فلا يقبلونها لظنهم أن في عبارتهم من المعاني ما ليس في تلك، فإذا أخذ المعنى الذي دل عليه الشرع وصيغ (٤) بلغتهم، وبين به (٥) بطلان قولهم المناقض للمعنى الشرعي، خضعوا لذلك (٦) وأذعنوا له، كالتركي والبربري [والرومي] (٧) والفارسي الذي يخاطبه بالقرآن العربي ويفسره فلا يفهمه حتى يترجم له شيئا بلغته (٨) فيعظم سروره وفرحه، ويقبل الحق ويرجع عن باطله، لأن المعاني التي جاء بها الرسول أكمل المعاني وأحسنها وأصحها، لكن هذا يحتاج إلى كمال المعرفة لهذا ولهذا، كالترجمان الذي [يريد أن] يكون حاذقا في فهم اللغتين (٩) .

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط.

(٢) ولم يظهر له: سقطت العبارة كلها من (ب) وسقطت عبارة " ولم يظهر " من (أ) .

(٣) له: ساقطة من (ع) .

(٤) ب، أ: وسع ؛ ن: وضيع، وهو تحريف. والكلمة غير منقوطة في (م) .

(٥) به: ساقطة من (ب) ، (أ) .

(٦) ع: خضعوا له.

(٧) والرومي: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٨) ب: الذي تخاطبه بالقرآن العربي وتفسيره فلا يفهم حتى تترجم له شيئا بلغته ؛ أ: الذي يخاطبه بالقرآن العربي وتفسيره فلا يفهم حتى يترجم له شيئا بلغته ؛ ن، م: الذي يخاطبه بالقرآن العزيز وتفسيره ولا

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٦١١

يفهمه حتى يترجم له شيئا بلغته.

(٩) ن، م: الذي يكون حاذقا في فهم اللغتين.." (١)

"عنهما فهو محدث لامتناع حوادث لا أول لها، فهذا منتهى ما عند المعتزلة وأتباعهم من الشيعة.

قال لهم أولئك: لا نسلم أن الجسم لا يخلوا عن الحركة والسكون [الوجوديين] (١) ، بل يجوز خلوه عن الحركة، لأن السكون عدم الحركة [مطلقا (٢) ، وعدم الحركة] (٣) عما من شأنه أن يقبلها، فيجوز ثبوت (٤) جسم قديم ساكن لا يتحرك.

وقالوا لهم (٥) : لا نسلم امتناع حوادث لا أول لها، وطعنوا في أدلة نفي ذلك بالمطاعن المعروفة، حتى حذاق المتأخرين (٦) كالرازي وأبي الحسن الآمدي وأبي الثناء الأرموي (٧) وغيرهم طعنوا في ذلك (* كله، وطعن الرازي في ذلك في مواضع وإن كان اعتمد عليه *) (٨) في

---

(١) الوجوديين: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٢) ب، أ: عدم الحركة إما مطلقا.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

(٤) ن، م: إثبات.

(٥) ب، أ، ن، م: أو قالوا لهم.

(٦) ب، أ: المسلمين.

(٧) أبو الثناء سراج الدين محمود بن أبي بكر أحمد الأرموي، صاحب التحصيل مختصر المحصول في أصول الفقه واللباب مختصر الأربعين في أصول الدين والبيان والمطالع في المنطق وغير ذلك، وقيل: إنه شرح الوجيز في الفقه للرافعي، كان الأرموي شافعيا قرأ بالموصل على كمال الدين بن يونس، وولد الأرموي سنة ٥٩٤ وتوفي بمدينة قونية سنة ٦٨٢. انظر ترجمته في: طبقات الشافعية ٣٧١/٨ ؛ مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده ٢٤٥/١، ط. حيدر آباد ؛ الأعلام ٤١/٨ - ٤٢. وذكر ابن تيمية في كتابه درء تعارض العقل والنقل ٣٢٣/١ أن الأرموي صاحب " لباب الأربعين " قد اعترض على إنكار الرازي للقول بحوادث لا أول لها. ومن كتاب " لباب الأربعين في أصول الدين " توجد مصورة في

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦١٢/٢

معهد المخطوطات بالجامعة العربية، رقم ٢٠١ توحيد.

(٨) ما بين النجمتين ساقط من (ب) ، (أ) .." [(١)]

"فقيها من أهل الكوفة، في زمن أبي حنيفة والثوري وشريك وابن أبي ليلى (١) وكان قد تفقه ثم انقطع للعبادة، وأخباره وسيرته مشهورة عند (٢) العلماء (٣) ، ولم يقل الرجل شيئا من هذا الباطل، وإنما القائل لذلك داود الجواربي، فكأنه اشتبه عليه أو على شيوخه الجواربي بالطائي (٤) ، إن لم يكن (٥) الغلط في النسخة التي أحضرت [إلي] ، وداود الجواربي أظنه (٦)

---

(١) سبقت ترجمة الثوري (٢) وشريك بن أبي ليلى (٢/٤٧١) . .

(٢) ب، أ: عن، وهو تحريف.

(٣) أبو سليمان بن نصير الطائي الكوفي الزاهد. قال الذهبي (العبر ١/٢٣٨) "كان أحد من برع في الفقه ثم اعتزل. روى عن عبد الملك بن عمير وجماعة، وكان عديم النظير زهدا وصلاحا ". ورجح الذهبي أن تكون وفاته سنة ١٦٢ وأغلب المراجع تجعلها ١٦٠ أو ١٦٥. وانظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٣٦٧/٦ ؛ تاريخ بغداد ٣٤٧/٨ - ٣٥٥ ؛ حلية الأولياء ٣٣٥/٧ - ٣٣٦ ؛ وفيات الأعيان ٢٩/٢ - ٣١ ؛ تقريب التهذيب لابن حجر (ط. دار الكتاب العربي) ص ٢٣٤، الطبقات الكبرى للشعراني ٦٥/١ ؛ الأعلام ١١/٣.

(٤) علق مستجي زاده على كلام ابن تيمية عن داود الطائي بقوله: " قلت: نقل عنه - يعني داود الطائي - أن الكافر الذي اجتهد وسعى في الوصول إلى الحق ولم يتيسر له ومات على الكفر فهو معذور عند الله يرجى له العفو، وهو خارق لإجماع أهل السنة والجماعة وقد مال إلى هذا القول الإمام الغزالي والقاضي بيضاوي في تفسيره وفي كتابه الموسوم بالطوالع، وممن (في الأصل: من) ذهب إلى هذا من قدماء المعتزلة قاضي بصرة المسمى بالعنبري مع مخالفة تلامذته له. ومما ذهب إليه داود الطائي أن دليل الشرع اثنان فقط: الكتاب والسنة، وكان ينكر القياس والإجماع أن يكونا حجة شرعية وهو (مخالف) لإجماع الأئمة الأربعة، وابن حزم الأندلسي ممن تبعه في إنكار القياس والإجماع. وأبو حيان صاحب " البحر " و " النهر " من الظاهرية أيضا من شيعة داود ". وظاهر من هذا الكلام أن مستجي زاده يخلط بين داود الطائي وداود الظاهري.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦١٥/٢

(٥) ن، م: أو لم يكن. .

(٦) أ: في النسخة التي أحضرت إلى داود الحواري وأظنه. . . إلخ ؛ ب: في النسخة التي أحضرت إلى داود الجواهري وأظنه. . إلخ ؛ ن: في النسخة التي أحضرت إلى داود الحواري وأظنه. . ؛ م: في النسخة التي أحضرت إلى داود الجواربي وأظنه. . .." (١)

"ومنه قول العرب: ما في السماء قدر كف سحابا، وذلك لأن الكف تقدر (١) بها الممسوحات كما يقدر بالذراع، وأصغر الممسوحات التي يقدرها الإنسان من أعضائه كفه (٢) ، فصار هذا مثلا لأقل شيء.

فإذا قيل: إنه ما يفضل من العرش أربع أصابع، كان المعنى: ما يفضل منه شيء، والمقصود هنا بيان أن الله أعظم وأكبر من العرش.

ومن المعلوم أن الحديث إن لم يكن النبي – صلى الله عليه وسلم –[قد] (٣) قاله فليس علينا منه، [وإن كان [قد] (٤) قاله فلم يجمع بين النفي والإثبات] (٥)] ، وإن (٦) كان قاله بالنفي لم يكن قاله بالإثبات ؛ [والذين قالوه بالإثبات] (٧) ذكروا فيه ما يناسب أصولهم، كما قد بسط في غير هذا الموضع. فهذا وأمثاله – سواء كان حقا أو باطلا – لا يقدح في مذهب أهل السنة ولا يضرهم، لأنه بتقدير أن يكون باطلا ليس هو قول جماعتهم، بل غايته

---

(١) ب، أ: يقدر به.

(٢) ب، أ: وأصغر الممسوحات التي يقدر بها الإنسان من أعضائه كف.

(٣) قد: في (ع) فقط.

(٤) قد: في (ع) فقط.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٦٢١

(٦) ب، أ: فإن.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .." (١)

"كتب المعتزلة، بل كثير منه منقول نقل المسطرة وبعضه قد تصرفوا فيه.

وكذلك ما يذكرونه من (١) تفسير القرآن في آيات الصفات والقدر ونحو ذلك، هو منقول من تفاسير المعتزلة كالأصم (٢) والجبائي (٣) وعبد الجبار بن أحمد الهمذاني (٤) والرماني (٥) وأبي مسلم الأصبهاني (٦) وغيرهم، لا ينقل عن قدماء الإمامية من هذا حرف واحد، لا في الأصول العقلية ولا في

---

(١) من: كذا في (ع) وفي (ب) ، (أ) : في.

(٢) ب، أ: كالاسم، وهو تحريف، وهو أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم، ذكره القاضي عبد الجبار ضمن الطبقة السادسة من طبقات المعتزلة في كتابه: (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة) ص ٢٦٧ - ٢٦٨، تحقيق الأستاذ فؤاد سيد، طبعة الدار التونسية للنشر، تونس ١٣٩٣ ١٩٧٤ وسبقت ترجمة الأصم والكلام على آرائه ٥٦٩/٢.

(٣) يطلق اسم الجبائي على أبي علي محمد بن عبد الوهاب، والفرقة التي تنسب إليه هي الجبائية، سبق الكلام عليه ٣٩٥/١، كما يطلق على ابنه أبي هاشم عبد السلام بن أبي علي محمد، والفرقة التي تنتسب إليه هي البهشمية، وسبق الكلام عليه ٢٧٠/١، ١٢٤/٢، وذكر القاضي عبد الجبار أبا علي ضمن الطبقة الثامنة في المرجع الذي سبق ذكره، ص ٢٨٧ - ٢٩٦، وذكر ابنه أبا هاشم في الطبقة التاسعة، ص ٣٠٤ - ٣٠٨.

(٤) هو القاضي أبو الحسين عبد الجبار بن أحمد الهمذاني الأسدآبادي، المتوفى سنة ٤١٥، سبقت ترجمته ١٥/١، وانظر ترجمته أيضا في كتاب " فضل الاعتزال " ص ١٢١ - ١٢٧، وانظر كتاب (قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمذاني) تأليف الدكتور عبد الكريم عثمان (رحمه الله) ، ط. دار **العربية**، بيروت ١٣٨٦ ١٩٦٧.

(٥) أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني، من مفسري المعتزلة، ومن كبار النحاة، ولد ببغداد سنة ٢٩٦ وتوفي بها ٣٨٤، انظر ترجمته في: المنية والأمل لابن المرتضى، ص ٦٥ - ٦٦، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٣٣٣ ؛ بغية الوعاة للسيوطي، ٣٤٤ - ٣٤٥ ط الخانجي، ١٣٢٦، وفيات

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦٣٠/٢

الأعيان ٢/٤٦١، تاريخ بغداد ١٦/١٢ - ١٧، الأعلام ٥/١٣٤.

(٦) هو أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني، ذكره القاضي عبد الجبار في كتابه المشار إليه مرتين ص ٢٩٩، ٣٢٣: وذكره ابن المرتضى اليماني في ((المنية والأمل)) ص ٥٣، وقال عنه: ((صاحب التفسير والعلم الكبير)) وقد ولد الأصفهاني عام ٢٥٤ وتوفي سنة ٣٢٢، وله شعر، وولي أصفهان وبلاد فارس للمقتدر العباسي، وانظر ترجمته في الأعلام ٦/٢٧٣، معجم المؤلفين ٩/٩٧ لسان الميزان ٥/٨٩ ؛ بغية الوعاة للسيوطي ص ٢٣، وقد علق مستجى زاده عند هذا الموضع بقوله: ((وعندي تفسير يقال له تفسير (الكلمة غير واضحة) ينقل عن الأصم والجبائي، وقد كان الإمام الرازي ينقل في تفسيره الكبير عن أبي مسلم الأصفهاني أشياء ويستحسن أكثرها ويروجها ويؤيدها حتى إنه نقل عنه في تفسير قوله تع١لى رب أرني كيف تحي الموتى كلمات هي خارجة عن إجماع المسلمين، بل عن إجماع اليهود والنصارى، واستحسنها الإمام وأيدها، وقد بينت فسادها وبطلانها وكونها خارقة لإجماع أهل التفسير في حاشيتي على تفسير القاضي)) .." (١)

"بعثوا بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها فأتباع الرسل أكمل الناس في ذلك، والمكذبون للرسل انعكس الأمر في حقهم، فصاروا يتبعون المفاسد ويعطلون المصالح، فهم شر الناس، ولا بد لهم مع ذلك من أمور يجتلبونها، وأمور يجتنبونها، وأن يتدافعوا جميعا ما يضرهم (١) من الظلم والفواحش ونحو ذلك. فلو ظلم بعضهم بعضا في دمه وماله وعرضه وحرمته (٢) فطلب المظلوم الاقتصاص والعقوبة، لم يقبل أحد من ذوي العقول احتجاجه بالقدر. ولو قال: اعذروني فإن هذا كان مقدرا علي. لقالوا له (٣) : وأنت لو فعل بك هذا (٤) فاحتج عليك ظالمك بالقدر لم تقبل منه.

وقبول هذه الحجة يوجب الفساد الذي لا صلاح معه، وإذا كان الاحتجاج بالقدر مردودا في فطر جميع الناس وعقولهم، مع أن جماهير الناس مقرون بالقدر، علم أن الإقرار بالقدر لا ينافي دفع الاحتجاج به، بل لا بد من الإيمان به، ولا بد من رد الاحتجاج بهـ.

ولما كان الجدل (٥) ينقسم إلى حق وباطل، والكلام ينقسم إلى حق وباطل (٦) ، وكان من لغة **العرب** أن الجنس إذا انقسم إلى نوعين أحدهما أشرف من الآخر، خصوا الأشرف باسمه الخاص (٧) وعبروا عن الآخر

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣/٦

(١) ع: وإن تدافعوا جميعا ما يضرهم ؛ م، ن: وأن يتدافعوا ما يضرهم جميعا.
(٢) ب: في دمه أو ماله أو حرمه ؛ أ: في دمه وماله وحرمته ؛ م: في ذمته وماله وعرضه وحرمته.
(٣) له: ساقطة من (أ) ، (ب) .
(٤) أ، ب: ذلك.
(٥) ن، م: الجدال.
(٦) ساقط من (ع) .
(٧) أ، ب: بالاسم الخاص.." (١)

"وأيضا، فهذا الكلام المحكي عن موسى بن جعفر يقوله أصاغر القدرية وصبيانهم، وهو معروف من حين حدثت القدرية قبل أن يولد موسى بن جعفر، فإن موسى بن جعفر ولد بالمدينة سنة ثمان أو تسع وعشرين ومائة قبل الدولة العباسية بنحو ثلاث سنين، وتوفي ببغداد سنة ثلاث وثمانين ومائة. قال أبو حاتم: ثقة صدوق إمام من أئمة المسلمين (١) والقدرية حدثوا قبل هذا التاريخ، بل حدثوا في أثناء المائة الأولى من زمن الزبير وعبد الملك (٢) .

[وهذا مما يبين أن هذه الحكاية كذب، فإن أبا حنيفة إنما اجتمع بجعفر بن محمد، وأما موسى بن جعفر فلم يكن ممن سأله (٣) أبو حنيفة ولا اجتمع به، وجعفر بن محمد هو من أقران أبي حنيفة، ولم يكن أبو حنيفة (ممن) (٤) يأخذ عنه مع شهرته بالعلم، فكيف يتعلم من موسى بن جعفر] (٥) ؟

---

(١) سبقت ترجمة موسى الكاظم ٢/٤٦٠.
(٢) يقول ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل ٥/٤٤٢: والمرجئة والقدرية حدثوا في أواخر عصر الصحابة، ويقول ابن طاهر البغدادي في الفرق بين الفرق، ص [٠ - ٩] ٧: ثم حدث في زمان المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية في القدر والاستطاعة من معبد الجهني وغيلان الدمشقي والجعد بن درهم. وقد خرج معبد الجهني مع ابن الأشعث وقتل بعد سنة ثمانين.
(٣) ع: ممن يسأله.
(٤) ممن: في (ع) فقط.
(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) وهو في (ع) ، (أ) ، (ب) ، وفي آخر هذه العبارات في (أ)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣/٨٤

، (ب) كلمة انتهى وهي ليست في (ع) ، وعلق مستجي زاده عند هذا الموضع في (ع) بتعليق جاء فيه فإن قلت: إن أبا نعيم صاحب الحلية ذكر فيه أن جعفر الصادق لما اجتمع بأبي حنيفة نهاه عن القياس، فقال: أول من قاس إبليس، فقال أبو حنيفة مثنيا عليه وقبولا لهذا الكلام: " ذرية بعضها من بعض "، مع أن أبا حنيفة ممن يقول بالقياس وصحة الاحتجاج به، وإن أبا نعيم ذكر هذه القصة بسندها المسرودة على جعفر، والجواب أن القياس الذي قال به أبو حنيفة هو في الأحكام والفروع التي تختلف باختلاف الملل والأديان فهو مذموم ومدار الفرق الضالة من الفرق الإسلامية من المعتزلة وغيرها على هذه المقالة الخبيثة، ومن ثم اتفق عظماء الأمة وكبراء الملة على ذم القياس في الأصول الدينية، والحكاية التي يشير إليها مستجي زاده في حلية الأولياء ١٩٦/٣ - ١٩٧ وهي لا تدل على أن أبا حنيفة كان يتعلم من جعفر الصادق، ولا يمنع إن صحت الحكاية أن يكون قد استفاد منه بعض العلم. وانظر كتاب " الإمام الصادق " لمحمد أبي زهرة، ص \ ٢٥٢ - ٢٥٥ - ٢٩١ - ٢٩٣ ط. دار الفكر العربي بدون تاريخ.." [١]

"ومن كان يحب من غيره أن يفعل أمرا فأمره به، والآمر لا يساعده عليه، لما في ذلك من المفسدة له، لم يكن سفيها (١) .

فظهر بطلان ما ذكره هذا وأمثاله من القدرية. وكذلك من نهى غيره عما يريد أن يفعله هو، لم يلزم أن يكون سفيها، فإنه [قد] (٢) يكون مفسدة لذلك مصلحة للناهي. فالمريض الذي يشرب المسهلات إذا نهى ابنه (٣) الصغير عن شربها لم يكن سفيها.

والحاوي (٤) الذي يريد إمساك الحية إذا نهى ابنه عن إمساكها لم يكن سفيها، والسابح في البحر إذا نهى العاجز عن السباحة لم يكن سفيها، والملك الذي خرج لقتال عدوه إذا نهى نساءه عن الخروج معه لم يكن سفيها، ونظائر هذا لا تحصى (٥) .

[ولو نهى الناهي غيره عن فعل ما يضره فعله نصحا له، إذ لو كان مصلحة الناهي (٦) أن يفعله هو به؛ حمد على فعله، وحمد على نصحه، كما يوجد كثير من الناس ينهون من ينصحونه عن فعل أشياء، وقد يطلبون فعلها منهم لمصلحتهم.

---

(١) ن، ع: سفها.

(٢) قد: ساقطة من (ن) .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٤٠/٣

(٣) ابنه: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٤) ع: والحوى، أ، ب: والحواء، وفي لسان العرب، والحاوي: صاحب الحيات، وهو فاعل، ومن قال لصاحب الحيات حاي فهو فاعل من هذا البناء، ومن قال حواء فهو على بناء فعال.

(٥) بعد عبارة لا تحصى يوجد سقط في (ن) سأشير إلى نهايته في موضعه بإذن الله.

(٦) أ، ب: إذا كان مصلحة للناهي.." (١)

"من الخوارج والنواصب، فضلا عن أن يقيموا الحجة على أهل الاستقامة والاعتدال المتبعين للكتاب والسنة] (١) .

ولهذا نبهنا على [بعض] (٢) ما في أقوالهم من التناقض والفساد (٣) الذي لا يكاد ينضبط (٤) . والأشعري وغيره من متكلمة أهل (٥) الإثبات انتدبوا لبيان تناقضهم في أصولهم (٦) وأوعبوا (٧) في بيان تناقض أقوالهم (٨) .

وحكاية الأشعري مع الجبائي في الإخوة الثلاثة مشهورة، فإنهم يوجبون على الله أن يفعل بكل عبد ما هو الأصلح له (٩) في دينه. وأما في الدنيا فالبغداديون من المعتزلة يوجبونه أيضا، والبصريون لا يوجبونه. فقال له: إذا خلق الله ثلاثة إخوة، فمات أحدهم صغيرا، وبلغ الآخران: أحدهما آمن، والآخر كفر، فأدخل المؤمن الجنة ورفع درجته، وأدخل الصغير الجنة وجعل منزلته تحته. قال له الصغير: يا رب ارفعني إلى درجة أخي. قال: إنك لست مثله ؛ إنه آمن وعمل الصالحات (١٠) ،

---

(١) و ا لسنة، ساقطة من (ع) ، وهنا ينتهي السقط الطويل في نسخة (ن) .

(٢) بعض: ساقطة من (ن) .

(٣) أ، ب، ع: من الفساد.

(٤) أ، ب: يضبط.

(٥) أهل: زيادة في (ن) .

(٦) أ، ب: أصلهم.

(٧) أ: وأذعنوا، وهو تحريف، وفي لسان العرب: وعب الشيء وعبا وأوعبه واستوعبه، أخذه أجمع.

(٨) أ، ب: الأقوال.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٨٩/٣

(٩) له: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(١٠) أ، ب: وعمل صالحا.." [(١)]

"يعلو غيره عليه، [ومتى قدر أن يعلو عليه (١) كان مفتقرا إليه (٢) محتاجا إلى امتناعه من علوه عليه، وانكفافه عن ذلك العلو، ومن غلبه غيره (٣) لا يكون عزيزا منيعا يدفع عن نفسه، فكيف يدفع عن غيره؟ .

والعرب تقول: عز يعز بالفتح (٤) إذا قوي وصلب (٥) ، وعز يعز بالكسر (٦) إذا امتنع، وعز يعز بالضم (٧) إذا غلب، فإذا (٨) قويت الحركة قوي المعنى، والضم أقوى من الكسر، والكسر أقوى من الفتح.

فإذا كان مغلوبا (٩) لم يكن منيعا، وإذا لم يكن منيعا (١٠) لم يكن قويا بطريق الأولى، ومن لا يكون قويا لا يكون (١١) ربا فاعلا.

فتبين أنه لو كان معه إله لعلا بعضهم على بعض، كما تبين (١٢) أنه كان يذهب كل إله بما خلق.

وهذا (١٣) بعض تقرير البرهانين (١٤) اللذين في القرآن. ومما يوضح ذلك أنك

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، وفي (أ) : ومتى إن قدر عليه، وفي (ب) : ومتى قدر عليه، وفي (م) : ولا يقدر أن يعلو عليه.

(٢) أ، ب: فقيرا إليه.

(٣) ن، م: وانكفافه عليه من ذلك الامتناع ومن عليه غيره، وهو تحريف.

(٤) بالفتح: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٥) ن، م: وغلب.

(٦) بالكسر: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٧) بالضم: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٨) ن، م، ع: إذا.

(٩) ن، م معلوما، وهو تحريف.

(١٠) ن، م: ممتنعا.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٩٨/٣

(١١) أ، ب: لم يكن.

(١٢) ن، ع: كما بين.

(١٣) ع: فهذا.

(١٤) ن: الزمانين.." [١]

"والمشركون كانوا يقرون بهذا التوحيد الذي هو (١) نفي خالقين، لم يكن مشركو **العرب** تنازع (٢) فيه؛ ولهذا قال الله لهم (٣) : ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾ [سورة النحل: ١٧] فكانوا يعترفون بأن (٤) آلهتهم لا تخلق.

ولهذا ذكر الله [تعالى هذا] (٥) التقرير بعد قوله: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون - سيقولون لله قل أفلا تذكرون - قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم - سيقولون لله قل أفلا تتقون - قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون - سيقولون لله قل فأنى تسحرون - بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون - ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾ عالم ﴿الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون﴾ [سورة المؤمنون: ٨٤ - ٩٢] ولم يكن إشراكهم أنهم جعلوهم خالقين، بل أن جعلوهم وسائط في العبادة فاتخذوهم شفعاء، وقالوا: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى.

كما قال الله تعالى عنهم: (٦) ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في

---

(١) هو: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٢) أ، ب: تتنازع.

(٣) ن، م، ع: ولهذا قال تعالى.

(٤) أ، ب: فكانوا يعرفون أن.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

(٦) عنهم: ساقطة من (أ) ، (ب) ، (ع) .." [٢]

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣/٣٢٥

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣/٣٣٠

"السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ [سورة يونس: ١٨] .

فالذين أثبتوا فاعلا مستقلا غير الله كالفلك والآدميين وجعلوا هذه الحركات الحادثة (١) ليست مخلوقة لله – فيهم من الشرك والتعطيل ما ليس في مشركي **العرب**، فإن مشركي **العرب** كانوا يقرون بالقدر وأن الله وحده خالق كل شيء.

ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا﴾ [سورة الإسراء: ٤٢] فهم كانوا يقولون: [إنهم] (٢) وسائل ووسائط وشفعاء، لم يكونوا (٣) يقولون: إنهم يخلقون كخلقه، فقال تعالى: ﴿لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا﴾ ، كما قال في الآية الأخرى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا – أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا﴾ [سورة الإسراء: ٥٦، ٥٧] .

فتبين أن ما يدعى من دونه من الملائكة والأنبياء وغيرهم يبتغى به (٤) الوسيلة إلى الله والتقرب إليه، وذلك لأنه هو الإله المعبود الحق الذي كل ما سواه مفتقر إليه من جهة أنه ربه ليس له شيء إلا منه، ومن جهة أنه إلهه لا منتهى لإرادته (٥) دونه، فلو لم يكن هو (٦) المعبود لفسد

---

(١) ن: الجارية.

(٢) إنهم: ساقطة من (ن) .

(٣) ن، م: ما كانوا.

(٤) به: ساقطة من (ن) ، (م) ، (ع) .

(٥) أ، ب: ومن جهته وأن إلهه لا ينتهي لإرادته، ن، م: ومن جهة أنه إله لا منتهى لإرادته.

(٦) ن، م: هذا.." [1]

"بل القرآن نزل بلغة **العرب**، بل بلغة قريش، وقد علمت العادة المعروفة في خطاب الله ورسوله، فليس لأحد أن يخرج عنها.

وبالجملة فنحن ليس مقصودنا هنا نصر قول من يقول: القرآن قديم، فإن هذا القول أول من عرف أنه قاله في الإسلام أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب، واتبعه على ذلك طوائف، فصاروا حزبين: حزبا يقول:

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٣١/٣

القديم هو معنى قائم بالذات، وحزبا يقول: هو حروف، أو حروف وأصوات.
وقد صار إلى كل من القولين طوائف من المنتسبين إلى السنة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم.
وليس هذا القول ولا هذا القول قول أحد من الأئمة الأربعة، بل الأئمة الأربعة وسائر الأئمة متفقون على أن كلام الله منزل غير مخلوق. وقد صرح غير واحد منهم أن الله تعالى متكلم (١) (* بمشيئته وقدرته، وصرحوا بأنه لم يزل متكلما إذا شاء كيف شاء، وغير ذلك من الأقوال المنقولة عنهم، وهذه المسألة قد تكلم فيها السلف *) (٢) ، لكن اشتهر النزاع فيها في المحنة المشهورة لما امتحن أئمة الإسلام، وكان الذي ثبته الله في المحنة وأقامه لنصر السنة هو الإمام أحمد (٢ بن حنبل - رحمه الله تعالى ٢) (٣) - وكلامه وكلام غيره في ذلك (٤) موجود في كتب كثيرة، وإن كان طائفة من متأخري

---

(١) ن، م: يتكلم.

(٢) ما بين النجمتين ساقط من (م) ، وسقطت كلمة السلف من (أ) ، (ب) .

(٣) (٢ - ٢) ساقط من (أ) ، (ب) ، وفي (ن) : بن حنبل رضي الله عنه.

(٤) في ذلك: ساقطة من (أ) ، (ب) .." [١]

"أحد له سلطان تدعى له العصمة إلا علي - رضي الله عنه - (١) زمن خلافته.

ومن المعلوم بالضرورة أن حال اللطف والمصلحة التي (٢) كان المؤمنون فيها زمن الخلفاء الثلاثة أعظم من اللطف والمصلحة (٣) الذي كان [في خلافة علي] (٤) زمن القتال والفتنة والافتراق، فإذا لم يوجد من يدعي الإمامية فيه أنه معصوم وحصل له سلطان بمبايعة ذي الشوكة (٥) إلا علي وحده، وكان مصلحة المكلفين واللطف الذي حصل لهم في دينهم ودنياهم في ذلك الزمان أقل منه في زمن الخلفاء الثلاثة - علم (٦) بالضرورة أن ما يدعونه من اللطف والمصلحة الحاصلة بالأئمة المعصومين باطل (٧) قطعا.
وهو (٨) من جنس الهدى والإيمان الذي يدعى في رجال (٩) الغيب بجبل لبنان وغيره من الجبال (١٠) مثل جبل قاسيون بدمشق، ومغارة الدم، وجبل الفتح بمصر، ونحو ذلك من الجبال والغيران (١١) ، فإن

---

(١) رضي الله عنه: زيادة في (أ) ، (ب) .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣/٣٦٩

(٢) أ، ب: ومن المعلوم أن المصلحة واللطف الذي.

(٣) أ، ب: المصلحة واللطف.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م)

(٥) ن: بمتابعة ذوي الشوكة، م: بمبايعة (غير منقوطة) ذوي الشوكة، و: بمبايعته ذوي الشوكة.

(٦) أ، ب، ن: فعلم.

(٧) أ، ب: باطلة.

(٨) وهو: زيادة في (أ) ، (ب) .

(٩) أ، ب، ن، م: برجال.

(١٠) من الجبال، ساقطة من (ن) ، (م) .

(١١) في لسان العرب الغار كالكهف في الجبل، والجمع الغيران.." (١)

"وقتل (١) . أهل العلم والدين، واستبقاء أهل الصناعات والتجارات الذين ينفعونه في الدنيا، وأنه استولى على الوقف الذي للمسلمين، وكان يعطي منه ما شاء الله لعلماء المشركين وشيوخهم من البخشية (٢) . السحرة (٣) . وأمثالهم، وأنه لما بنى الرصد الذي بمراغة (٤) على طريقة الصابئة المشركين، كان أبخس (٥) . الناس نصيبا منه من كان إلى (٦) . أهل الملل أقرب، وأوفرهم نصيبا من كان أبعدهم عن (٧) . الملل، مثل الصابئة [المشركين، ومثل المعطلة] (٨) . وسائر المشركين، [وإن ارتزقوا بالنجوم والطب ونحو ذلك] . (٩) . .

---

(١) أ، ب: وبقتل

(٢) هـ، ر: النجشية، أ، ب، و: النخشية، ن، م: الكلمة غير منقوطة، وما أثبته عن (ص) ويذكر بارتولد في دائرة المعارف الإسلامية أن (بخش) كلمة سنسكريتية الأصل هي بهشكو تدل على كهنة بوذا، وهذا أحد معانيها ويتكلم A. K. Banarjee عن Bhagavata وهي فلسفة هندية قديمة في الصفحات ١٢٠ - ١٣٠ وذلك في الجزء الأول من كتاب: History of Philosophy Eastern and Wastern، London;1952 فلعل هذه الطائفة التي كانت تجعل بوذا محورا لعبادتها هي البخشية

(٣) ن، م، و: والسحرة

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٧٩/٣

(٤) في معجم البلدان لياقوت الحموي: بلدة مشهورة عظيمة، أعظم وأشهر بلاد أذربيجان، وفي تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، للأستاذ قدري حافظ طوقان، ص [٠ - ٩] ٠٨ أن نصير الطوسي بنى لهولاكو مرصد مراغة، الذي بدئ في تأسيسه سنة ٦٥٧، وقد اشتهر المرصد بآلاته وبمقدرة في الرصد

(٥) ب، و، ر: أخس، ن، م، هـ، أ: أحسن. والمثبت عن (ص)

(٦) ن، م: من

(٧) ص، ر، هـ، و: أبعد عن

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) ، (و)

(٩) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) ، ويوجد بدلا منه في (ن) ، كلمة المشهورين." (١)

"خمسة تقوم بذات المتكلم، هو الأمر والنهي والخبر: إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرية (١) . كان توراة، فإن هذا لم يقله أحد من الطوائف غيرهم.

وكذلك الكرامية باينوا سائر (٢) . الطوائف في قولهم: إن الإيمان هو القول باللسان، فمن أقر بلسانه كان مؤمنا، وإن جحد بقلبه قالوا: وهو (٣) . مؤمن مخلد في النار ؛ فإن هذا لم يقله غيرهم.

بل طوائف أهل السنة والعلم لكل طائفة قول لا يوافقهم عليه بقية الطوائف، فلكل واحد من أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد مسائل تفرد بها عن الأئمة الثلاثة كثيرة.

وإن أراد بذلك أنهم اختصوا بجميع أقوالهم، فليس كذلك، فإنهم في توحيدهم (٤) . موافقون للمعتزلة، وقدماؤهم كانوا مجسمة، وكذلك في القدر هم موافقون للمعتزلة، فقدماؤهم (٥) . كان كثير منهم يثبت القدر، وإنكار القدر في قدمائهم أشهر من إنكار الصفات. وخروج أهل الذنوب من النار، وعفو الله - عز وجل (٦) . عن أهل الكبائر لهم فيه قولان. ومتأخروهم موافقون فيه الواقفية (٧) . الذين يقولون: لا ندري هل يدخل

---

(١) ر، ص: بالعبرانية

(٢) أ، ب: جميع

(٣) ب فقط: هو

(٤) و: توحيدهم

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣/٤٤٦

(٥) ساقط من (أ) ، (ب)

(٦) عز وجل: زيادة في (أ) ، (ب)

(٧) ص، ر، هـ، و: الواقفة." (١)

"إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض (١) قيل هم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا

يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم إلا حين يبتسم

ينشق نور الهدى عن صبح غرته ... كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلم

مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت عناصره والخيم والشيم

الله شرفه قدما وفضله ... جرى بذاك له في لوحه القلم (٢)

من معشر حبهم دين وبغضهم

كفر وقربهم ملجا ومعتصم ... لا يستطيع جواد بعد غايتهم

ولا يدانيهم قوم وإن كرموا ... هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت

والأسد أسد الشرى والرأي (٣) محتدم ... لا ينقص (٤) العسر بسطا من أكفهم

سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا ... ما قال لا قط إلا في تشهده

لولا التشهد كانت لاؤه نعم ... يستدفع السوء (٥) والبلوى بحبهم

ويسترق به الإحسان والنعم ... مقدم بعد ذكر الله ذكرهم

في كل بر (٦) ومختوم به الكلم ... من يعرف الله يعرف أولوية ذا (٧)

فالدين من بيت هذا ناله الأمم (٨)

---

(١) ك: أو قيل من خير خلق الله. .

(٢) ص: في اللوح والقلم:

(٣) ب (فقط) : والبأس.

(٤) ب (فقط) : لا يقبض، ك: لا ينقبض.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٦٢/٣

(٥) ن، م: الشر، ك: الضر.

(٦) ب (فقط) : بدء.

(٧) ن، م، أ، ر، هـ: أوليته، و، ص: ديوان الفرزدق (ص ٨٤٩) : أولية ذا. والمثبت من (ب) ، (ك) .

(٨) في (ك) بعد هذا البيت: وليس قولك من هذا بضائره **فالعرب** تعرف من أنكرت والعجم هذا البيت الأخير كتب في هامش (ك) . وفي الأغاني ٣٢٧/١٥: فليس قولك. . وهذه الأبيات لم يذكر منها في ديوان الفرزدق (ط. القاهرة، ١٣٥٤ ١٩٣٦) . إلا ستة أبيات، وفي نسبة سائر الأبيات خلاف كبير. انظر الأغاني ٣٢٦/١٥ - ٣٢٩ (ط. دار الكتب) .." [(١)]

"الحج، وهي سنة الوفود. فإن مكة لما فتحت سنة ثمان قدمت وفود **العرب** من كل ناحية، فهذه الآية تدل على كمال اتصالهم برسول الله - صلى الله عليه وسلم -، كما دل على ذلك حديث الكساء، ولكن هذا لا يقتضي أن يكون الواحد منهم أفضل من سائر المؤمنين ولا أعلم منهم، لأن الفضيلة بكمال الإيمان والتقوى لا بقرب النسب.

كما قال تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [سورة الحجرات: ١٣] . وقد ثبت أن الصديق كان أتقى الأمة بالكتاب والسنة، وتواتر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " «لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا» " (١) وهذا مبسوط في موضعه.

وأما ما نقله عن علي (٢) أنه كان يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة، فهذا يدل على جهله بالفضيلة وجهله بالواقع. أما أولا فلأن (٣) هذا ليس بفضيلة، فإنه قد ثبت في الصحيح «عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان لا يزيد في الليل على ثلاث عشرة ركعة» (٤) . وثبت عنه في الصحيح أنه قال

---

(١) مضى هذا الحديث من قبل في هذا الكتاب ٥١٢/١.

(٢) عن علي: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٣) ن، م: فإن.

(٤) ورد أكثر من حديث عن بعض الصحابة جاء فيه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان لا يزيد عن ثلاث عشرة ركعة في صلاة الليل. انظر الأحاديث عن ابن عباس، وعائشة - رضي الله عنهما - في: البخاري ٥١/٢ (كتاب التهجد، باب كيف كان صلاة النبي - صلى الله عليه وسلم - وكم كان النبي -

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٩/٤

صلى الله عليه وسلم - يصلي من الليل) ، مسلم ١/٥٠٨ - ٥١٠ (كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الليل. . .) الأحاديث رقم ١٢١ - ١٢٨، سنن الترمذي ١/٢٧٤ - ٢٧٦ (كتاب الصلاة، باب ما جاء في وصف صلاة النبي - صلى الله عليه وسلم - بالليل) .." [١]

"إلى جعفر [بن محمد] (١) علمت أنه من سلالة النبيين " (٢) .

وأما قوله: " اشتغل بالعبادة عن الرياسة ".

فهذا تناقض من الإمامية، لأن الإمامة (٣) عندهم واجب عليه (٤) أن يقوم بها وبأعبائها، فإنه لا إمام في وقته إلا هو، فالقيام بهذا الأمر العظيم (٥) لو كان واجبا [لكان] (٦) أولى من الاشتعال بنوافل العبادات.

وأما قوله: إنه (٧) : " هو الذي نشر فقه الإمامية، والمعارف الحقيقية، والعقائد اليقينية ".

فهذا الكلام يستلزم أحد أمرين: إما أنه ابتدع في العلم ما لم يكن يعلمه من قبله. وإما أن يكون الذين قبله قصروا (٨) فيما يجب [عليهم] (٩) من نشر العلم. وهل يشك عاقل أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بين لأمته

---

(١) بن محمد ساقطة من (ن) ، (م) .

(٢) أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الملقب بالصادق، الإمام السادس عند الرافضة. ولد بالمدينة سنة: ٨٠ وتوفي بها سنة: ١٤٨. انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ: ١/١٦٦ ١٦٧، صفة الصفوة ٢/٩٤ ٩٨، وفيات الأعيان ١/٢٩١ ٢٩٢، حلية الأولياء ٣/١٩٢ ٢٠٦، الأعلام ٢/١٢١. وانظر عنه كتاب " الإمام الصادق " للشيخ محمد أبي زهرة رحمه الله، ط. دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

(٣) أ، ب، ر، ص، هـ: الإمام، ن: الإمامية. وما أثبته عن (م) ، (و) .

(٤) عليه: ساقطة من (أ) ، (ب) (ص) ،.

(٥) أ، ب: أعظم.

(٦) لكان: ساقطة من (ن) ، (م) ، (أ) ، (ب) ، (و) .

(٧) إنه: ساقطة من (أ) ، (ب) (ص) ،.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/٢٨

(٨) أ، ب، ر، م: الذي قبله قصر (ر، م: قصروا) .

(٩) عليهم: في (ر) ، (هـ) ، (ص) فقط.." [(١)]

"وأما الجماهير فعلى أن الجزاء يجب على المبتدئ وعلى العائد. وقوله في القرآن: ﴿ومن عاد فينتقم الله منه﴾ ، قيل: إن المراد من عاد إلى ذلك في الإسلام، بعدما عفا الله عنه في الجاهلية وقبل نزول هذه الآية.

كما قال: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف﴾ [سورة النساء: ٢٢] .

وقوله: ﴿وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف﴾ [سورة النساء: ٢٣] وقوله: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ [سورة الأنفال: ٣٨] .

يدل على ذلك أنه لو كان المراد به: عفا الله عن أول مرة، لما أوجب عليه جزاء ولا انتقم منه، وقد أوجب عليه الجزاء أول مرة، وقال: ﴿ليذوق وبال أمره﴾ [سورة المائدة: ٩٥] فمن أذاقه الله وبال أمره، كيف يكون قد عفا عنه؟ .

وأيضا فقوله: ﴿عما سلف﴾ لفظ عام، واللفظ العام المجرد عن قرائن التخصيص، لا يراد به (١) مرة واحدة، فإن هذا ليس من لغة **العرب**. ولو قدر أن المراد بالآية: عفا الله عن أول مرة، وأن قوله: (ومن عاد) يراد به العود إلى القتل، فإن انتقام الله منه إذا عاد لا يسقط الجزاء عنه، فإن تغليظ الذنب لا يسقط الواجب (٢) كمن قتل نفسا بعد نفس (٣) لا يسقط ذلك عنه قودا (٤) ولا دية ولا كفارة.

---

(١) به: ساقطة من (ب) فقط.

(٢) عند عبارة " لا يسقط الواجب " تعود نسخة (ر) بعد الصفحة المفقودة.

(٣) و: بغير حق.

(٤) أ، ب: لا يسقط عنه قود. .." [(٢)]

"أحدها: أنكم لا تحتجون بأحاديث أهل السنة، فمثل هذا الحديث لا يفيدكم فائدة (١) . وإن قلتم: هو حجة على أهل السنة، فنذكر كلامهم فيه.

الثاني: إن هذا من أخبار الآحاد (٢) ، فكيف يثبت به أصل الدين الذي لا يصح الإيمان إلا به؟ .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٣/٤

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٧٣/٤

الثالث: أن لفظ الحديث حجة عليكم لا لكم (٣) ، فإن لفظه: " يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي " فالمهدي الذي أخبر به النبي - صلى الله عليه وسلم - اسمه محمد بن عبد الله لا محمد بن الحسن.
وقد روي عن علي [- رضي الله عنه -] (٤) أنه [قال: هو] (٥) من ولد الحسن بن علي، لا من ولد الحسين [بن علي] (٦) .

وأحاديث المهدي معروفة، رواها الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي وغيرهم، كحديث عبد الله بن مسعود عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم (٧) حتى يبعث فيه رجلا من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه ا‌سم أبي، يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وجورا» " (٨) .

---

(١) أ: فإنه، وهو تحريف. وسقطت الكلمة من (ب) .

(٢) ن، و: أن هذا أخبار آحاد، م: أن هذه أخبار آحاد.

(٣) عبارة " لا لكم ": ساقطة من (أ) ، (ب) . .

(٤) - رضي الله عنه -: ساقطة من (ن) . وفي (م) ، (و) . عليه السلام.

(٥) قال هو: ساقطة من (ن) ، (م) ، (و) .

(٦) بن علي: ساقطة من (ن) ، (م) ، (و) .

(٧) ن، م: لطوله الله.

(٨) الحديث بهذا اللفظ عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - في: سنن أبي داود ٤/١٥١ (كتاب المهدي) وصححه الألباني في " صحيح الجامع الصغير " ٥/٧٠، ٧١ وجاء حديث بسند آخر عن عبد الله بن مسعود بلفظ: " لا تذهب أو لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي " في سنن أبي داود (نفس الموضع) ، سنن الترمذي ٣/٣٤٣ (كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي) وقال الترمذي: " وفي الباب عن علي، وأبي سعيد ن وأم سلمة، وأبي هريرة، هذا حسن صحيح ". وذكر الترمذي حديثا آخر عن عبد الله بن مسعود بلفظ: " يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي " وهو عن أبي هريرة وأوله: " لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي. . . هذا حديث حسن صحيح ". وذكر الترمذي في نفس الصفحة حديثا عن أبي سعيد الخدري ولفظه: " إن في أمتي المهدي يخرج يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا " زيد الشاك قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: " سنين ". قال: "

فيجيء إليه الرجل فيقول: يا مهدي أعطني، قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله. قال الترمذي: " هذا حديث حسن، وقد روي من غير وجه عن أبي سعيد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - " وجاء الحديث بإسنادين مختلفين عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في المسند (ط. المعارف) ١١٧/٢ ١١٨ (حديث رقم: ٧٧٣) ولفظه: " لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث الله عز وجل رجلا منا، يملؤها عدلا كما ملئت جورا " قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: " إسناداه صحيحان ". وهذا الحديث عن علي - رضي الله عنه - في: سنن أبي داود (في نفس الموضع) وصححه الألباني في (صحيح الجامع الصغير) ٧١/٥ إلا أن لفظ أبي داود: " لو لم يبق من الدهر. . . إلخ. وأورده ابن ماجه في سننه: ٩٢٨/٢ ٩٢٩ (كتاب الجهاد، باب ذكر الديلم وفضل قزوين) . حديثا عن أبي هريرة - رضي الله عنه - لفظه: " لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطوله الله عز وجل حتى يملك رجل من أهل بيتي، يملك جبل الديلم والقسطنطينية " وأورد المعلق ما يبين ضعف الحديث.." (١)

"بني هاشم (* من مالك (١) ، ومن أحرص الناس على ما يستفيده من علم الرسول من بني عمه وغير [بني عمه] (٢) - فلو وجد (٣) عند أحد من بني هاشم *) (٤) أعظم من العلم الذي وجده عند مالك، لكان أشد الناس مسارعة إلى ذلك، فلما كان يعترف بأنه لم يأخذ [العلم] (٥) عن أحد أعلم من مالك، وسفيان بن عيينة، وكانت كتبه مشحونة بالأخذ عن هذين [الاثنين] (٦) وعن غيرهما (٧) ، وليس فيها شيء عن موسى بن جعفر وأمثاله من بني هاشم، علم أن مطلوبه من علم الرسول -[صلى الله عليه وسلم]- (٨) كان عند مالك أكثر مما هو عند هؤلاء.

وكذلك أحمد بن حنبل قد علم كمال محبته لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولحديثه، ومعرفته بأقواله وأفعاله، وموالاته لمن يوافقه، ومعاداته لمن يخالفه، ومحبته لبني هاشم، وتصنيفه في فضائلهم، حتى صنف " فضائل (٩) علي، والحسن، والحسين "كما صنف " فضائل الصحابة (١٠) "، ومع

______

(1) أ، ب: من بني هاشم من مالك، وهو تحريف.

(٢) ن: وغيرهم.

(٣) ن: فلو وجدوا، أ، ب: ولو وجد.

(٤) ما بين النجمتين ساقط من (م)

______

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٩٥/٤

(٥) العلم: في (ر) فقط. وفي (ص) : لم يأخذه.

(٦) الاثنين: زيادة في (أ) ، (ب) .

(٧) أ، ب: وغيرهما.

(٨) صلى الله عليه وسلم: زيادة في (أ) ، (ب) .

(٩) ن، م: صنف في فضائل. . .

(١٠) م (فقط) : صنف في فضائل الصحابة. وذكر سزكين من كتب الإمام أحمد بن حنبل المخطوطة " كتاب فضائل الصحابة " ومن كتبه الأخرى كتاب " فضائل علي " انظر: تاريخ التراث **العربي**، م [٠ - ٩] ، ج [٠ - ٩] ، ص [٠ - ٩] ٢٥، ٢٢٦. وقد طبع كتاب " فضائل الصحابة ".." [(١)]

"«وزوج ابنتيه لعثمان بن عفان، واحدة بعد واحدة، وقال: " لو كانت عندنا ثالثة لزوجناها عثمان» " (١) .

وكذلك من جهلهم وتعصبهم أنهم (٢) يبغضون أهل الشام؛ لكونهم (٣) كان فيهم أولا من يبغض عليا. ومعلوم أن مكة كان فيها كفار ومؤمنون، وكذلك المدنية كان فيها مؤمنون ومنافقون (٤) ، والشام في هذه الأعصار لم يبق فيه (٥) من يتظاهر ببغض علي، ولكن لفرط جهلهم يسحبون ذيل البغض. وكذلك من جهلهم أنهم يذمون من ينتفع بشيء من آثار بني أمية، كالشرب من نهر يزيد، ويزيد لم يحفره [ولكن وسعه] (٦) ،

---

(١) ن، م: لعثمان، والحديث في كتاب " فضائل الصحابة " في موضعين ٤٨١/١ (رقم ٧٨٢) ، ٥٠٨/١ - ٥٠٩ (رقم ٨٣١) والأول عن عبد الله بن الحسن قال: بلغني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " ألا أبو أيم، ألا ولي أيم، ألا أخو أيم يزوج عثمان، فلو كان عندي ثالثة لزوجته، وما زوجته إلا بوحي من السماء "،. قال المحقق: " ضعيف لانقطاعه ورجال الحسن ". وقال إن ابن أبي عاصم أخرجه في السنة، وذكره الهيثمي في " مجمع الزوائد ٨٣/٩. وقال المحقق عن الحديث الثاني: " إسناده ضعيف للإرسال ".

(٢) أنهم: ساقطة من أ، ب.

(٣) لكونهم: كذا في أ، ب، وفي سائر النسخ لكونه.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٢٥/٤

(٤) ن، م، و، ر، هـ، ص: مؤمن ومنافق.

(٥) أ، ب، م: فيها.

(٦) ولكن وسعه: ساقطة من (ن) ، (م) . وقال ابن عساكر في كتابه " تاريخ مدينة دمشق " المجلدة الثانية، ق [٠ - ٩] ص ١٤٥ (ط. المجمع العلمي العربي، دمشق ١٣٧٣/١٩٥٤) بعد أن ساق سنده:. . . عن جدي زفر قال: سألت مكحولا عن نهر يزيد وكيف كانت قصته. قال: سألت مني خبيرا، أخبرني الثقة أنه كان نهرا صغيرا نباطيا يجري شيئا يسقي ضيعتين لقوم يقال لهم: بني فوقا، ولم يكن فيه لأحدهم شيء غيرهم، فماتوا في خلافة معاوية ولم يبق لهم وارث، فأخذ معاوية ضياعهم وأموالهم، فلما مات معاوية في رجب سنة ستين وولى ابنه يزيد نظر إلى أرض واسعة ليس لها ماء، وكان مهندسا، فنظر إلى النهر فإذا هو صغير فأمر بحفره، فمنعه من ذلك أهل الغوطة، ودافعوه، فلطف بهم على أن ضمن لهم خراج سنتهم من ماله، فأجابوه إلى ذلك، فاحتفر نهرا سعته ستة أشبار في عمق ستة أشبار وله ملء جنبتيه، وكان على ذلك كما شرط لهم فهذه قصة نهر يزيد ".." (١)

"وكالصلاة في جامع بناه بنو أمية. ومن المعلوم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يصلي إلى الكعبة التي بناها المشركون، وكان يسكن في المساكن التي بنوها، وكان يشرب من [ماء] (١) الآبار التي حفروها، ويلبس [من] (٢) الثياب التي نسجوها، ويعامل بالدراهم التي ضربوها. فإذا كان ينتفع بمساكنهم وملابسهم، والمياه التي أنبطوها (٣) ، والمساجد التي بنوها، فكيف بأهل القبلة؟ ! .

فلو فرض أن يزيد كان كافرا وحفر نهرا، لم يكره الشرب منه (٤) بإجماع المسلمين، ولكن لفرط تعصبهم كرهوا ما يضاف إلى من يبغضونه.

ولقد حدثني ثقة أنه كان لرجل (٥) منهم كلب فدعاه آخر منهم: بكير

---

(١) ماء: زيادة في (أ) ، (ب) .

(٢) من: زيادة في (أ) ، (ب) .

(٣) في " لسان العرب ": " النبط: الماء الذي ينبط من قعر البئر إذا حفر. وقد نبط ماؤها ينبط وينبط نبطا ونبوطا، وأنبطنا الماء، أي استنبطناه وانتهينا إليه ".

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٤٦/٤

(٤) ن، م: أن يشرب منه.

(٥) أ، ب: لواحد.." (١)

"ومن فرط جهلهم وتعصبهم أنهم يعمدون إلى دابة عجماء فيؤذونها بغير حق، إذ جعلوها بمنزلة من يبغضونه (١) ، كما يعمدون إلى نعجة حمراء يسمونها عائشة وينتفون شعرها، ويعمدون إلى دواب لهم فيسمون بعضها أبا بكر وبعضها عمر ويضربونها بغير حق، ويصورون صورة إنسان من حيس (٢) يجعلونه عمر ويبعجون بطنه، ويزعمون أنهم يأكلون لحمه ويشربون دمه (٣) .

وأما الطريق الثاني في الجواب فنقول: الذي عليه أئمة الإسلام أن ما كان مشروعا لم يترك لمجرد فعل أهل البدع: لا الرافضة ولا غيرهم. وأصول الأئمة كلهم توافق (٤) هذا، منها مسألة التسطيح الذي ذكرها،

---

(١) أ، ب: يبغضونها.

(٢) في " لسان العرب ": " الحيس: الخلط، ومنه سمي الحيس. والحيس: الأقط يخلط بالتمر والسمن ".

(٣) يقول دونلدسن في كتابه " عقيدة الشيعة " ص ٢٥ (ط. الخانجي، ١٣٦٥/١٩٤٦) : " ويذكر هيوجز في كتابه " قاموس الإسلام " ص ٨21 قضية ظريفة عن عيد الغدير، قال: وللشيعة عيد في الثامن عشر من ذي الحجة، يصنعون به ثلاثة تماثيل من العجين يملئون بطونها بالعسل، وهي تمثل أبا بكر وعمر وعثمان، ثم يطعنونها بالمدى، فيسيل العسل، تمثيلا لدم الخلفاء الغاصبين ".

(٤) أ، ب: يوافقون.." (٢)

"فإن مذهب أبي حنيفة وأحمد أن تسنيم القبور أفضل، كما ثبت في الصحيح «أن قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - كان مسنما» (١) ، ولأن ذلك أبعد عن مشابهة أبنية الدنيا، وأمنع عن القعود (٢) على القبور. والشافعي يستحب التسطيح لما روي من الأمر بتسوية (٣) القبور، فرأى أن التسوية هي التسطيح (٤) ، ثم إن بعض أصحابه قال: [إن] (٥) هذا شعار الرافضة فيكره ذلك، فخالفه جمهور الأصحاب (٦) وقالوا: بل هو المستحب وإن فعلته الرافضة.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/١٤٧

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/١٤٩

وكذلك الجهر بالبسملة هو (٧) مذهب الرافضة، وبعض الناس تكلم في الشافعي بسببها، وبسبب (٨) القنوت، ونسبه إلى قول الرافضة والقدرية؛ لأن المعروف في العراق أن الجهر [كان] (٩) من شعار (١٠)

---

(١) عن سفيان التمار في البخاري ٢ (كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبي بكر وعمر) : أنه رأى قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - مسنما. وفي " لسان **العرب** ": " وقبر مسنم إذا كان مرفوعا عن الأرض، وكل شيء علا شيئا فقد تسنمه. وتسنيم القبر خلاف تسطيحه ".

(٢) أ، ب: وأبعد من القعود.

(٣) و: بتسطيح.

(٤) انظر الحكم الشرعي في هذه المسألة واختلاف الأئمة فيها في: المغني لابن قدامة ٢/٤٢٠ ٤٢١؛ أحكام الجنائز للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ص ١٥٣ ١٥٦، ٢٠٧ ٢٠٩ (ط. بيروت، ١٣٨٨، ١٩٦٩) ويقول الألباني ص ١٥٣) : " ويسن. . . أن يرفع القبر عن الأرض قليلا نحو شبر، ولا يسوى بالأرض، وذلك ليتميز فيصان ولا يهان ".

(٥) إن: زيادة في (أ) ، (ب) .

(٦) أ: فخالفوهم جميع الأصحاب، ب: وخالفهم جميع الأصحاب.

(٧) ن، م: وهو، و: هي.

(٨) أ، ب: وسبب.

(٩) كان: ساقطة من (ن) ، (م) ، (ص) .

(١٠) و: شعائر.." [(١)]

"العلوية (١) [خلاف] (٢) ، فقال: والله لأرغمن أنفي وأنوفهم وأرفع (٣) عليهم بني تيم وعدي، وذكر الصحابة في خطبته، واستمرت [هذه البدعة] (٤) إلى هذا الزمان ".

[الجواب على زعم الرافضي بأن المنصور ابتدع ذكر الخلفاء الراشدين في خطب الجمعة من وجوه]

فيقال: الجواب (٥) من وجوه: أحدها: أن ذكر الخلفاء على المنبر كان على عهد عمر بن عبد العزيز، بل قد روي أنه كان على عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، وحديث ضبة بن محصن (٦) من

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/١٥٠

أشهر الأحاديث. فروى الطلمنكي من حديث ميمون بن مهران، قال: كان أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - إذا خطب بالبصرة يوم الجمعة، وكان واليها، صلى على النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم ثنى بعمر بن الخطاب يدعو له. فيقوم ضبة بن محصن العنزي فيقول (٧) : فأين أنت عن (٨) ذكر صاحبه قبله يفضله؟ (٩) - يعني أبا بكر - رضي الله عنهما -. ثم قعد، فلما فعل ذلك مرارا أمحكه (١٠) أبو موسى، فكتب أبو موسى إلى عمر - رضي الله عنه - أن ضبة

---

(١) ص، ر، هـ: وبين العلويين.

(٢) خلاف: في (ب) ، (ك) فقط.

(٣) ك: فأرفع.

(٤) هذه البدعة: في (ب) ، (ك) فقط.

(٥) أ، ب: فيقال في الجواب.

(٦) أ: ضبة بن محسن، ن: صبة بن محصن، هـ: ظبة بن محصن. وهو ضبة بن محصن العنزي البصري. ذكره ابن حجر في: تهذيب التهذيب ٤/٤٤٢ ٤٤٣.

(٧) ب (فقط) : فقام ضبة بن محصن العنزي فقال.

(٨) ب (فقط) : من.

(٩) ب (فقط) : تفضله عليه.

(١٠) ص، م: محكه. وفي " لسان العرب ": " المحك: المشادة والمنازعة في الكلام. والمحك: التمادي في اللجاجة عند المساومة والغضب ونحو ذلك. والمماحكة: والملاجة، وقد محك يمحك، ومحك محكا ومحكا، فهو ماحك ومحك، وأمحكه غيره "." [١]

"ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: " «لا تحزن يا أبا بكر (١) إن الله معنا» " فأنزل الله سكينته وطمأنينته لأبي بكر (٢) ، فهذه ليلته (٣) .

وأما يومه فلما توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ارتدت العرب، فقال بعضهم: نصلي ولا نزكي. وقال بعضهم: نزكي ولا نصلي. فأتيته لا آلوه نصحا. فقلت: يا خليفة رسول الله، تألف الناس وارفق بهم. فقال لي: أجبار (٤) في الجاهلية وخوار (٥) في الإسلام؟ قبض رسول الله - عليه وسلم - وارتفع

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/١٥٦

الوحي، والله لو منعوني عقالا كانوا يعطونه رسول الله (٦) - صلى الله عليه وسلم - لقاتلتهم عليه. فقاتلنا معه (٧) ، فكان والله رشيد الأمر، فهذا يومه. ثم كتب إلى أبي موسى يلومه (٨) .

---

(١) عبارة " يا أبا بكر ": ساقطة من (أ) ، (ب) ، (و) .

(٢) ب (فقط) : على أبي بكر.

(٣) ن: فهذه الليلة.

(٤) ن، هـ، ر، ص، و: جبار، م: جبان.

(٥) وخوار: كذا في (أ) ، (ب) . وفي سائر النسخ: جوار.

(٦) ن، م: يعطونه لرسول الله؛ ص: يؤدونه إلى رسول الله.

(٧) عبارة " فقاتلنا معه ": ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٨) ذكر هذا الخبر المحب الطبري في كتابه " الرياض النضرة في مناقب العشرة " ص ٨٩، ٩١ (ط. الخانجي، الطبعة الثانية، ١٣٧٢ ١٩٥٣) وقال المحب: " وخرجه الحافظ أبو الحسن بن بشران والملاء في سيرته عن ميمون بن مهران عن ضبة بن محصن الغنوي (كذا) ". ثم ذكر بعد سرد الخبر: " خرجه الملاء في سيرته وصاحب فضائله، وخرج الخجندي معناه وزاد. . . ". وأورد الطبري في تاريخه ١٨٤/٤ ١٨٥ (ط. المعارف) . خبرا عن واقعة أخرى بين ضبة بن محصن وبين أبي موسى الأشعري حكم فيها عمر - رضي الله عنه -.." [1]

"عليهم ومنعا (١) ممن يريد عوراتهم والطعن عليهم، فإنه قد صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة» " (٢) .

والأحاديث في ذكر خلافتهم (٣) كثيرة، فلما كان في بني أمية من يسب عليا - رضي الله عنه - ويذمه (٤) ويقول: إنه ليس من الخلفاء (٥) الراشدين، وتولى عمر بن عبد العزيز [بعد أولئك] (٦) ، فقيل: إنه أول من ذكر الخلفاء [الراشدين] (٧) الأربعة على المنبر، فأظهر ذكر (٨) علي والثناء عليه وذكر فضائله، بعد أن كان طائفة ممن يبغض عليا لا تختار ذلك (٩) . والخوارج تبغض عليا وعثمان وتكفرهما، فكان في ذكرهما مع أبي بكر وعمر - رضي الله عنهم - رد على الخوارج الذين أمر النبي - صلى الله

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٥٩/٤

عليه وسلم – بقتالهم.

---

(١) ن، م، و، أ: ومنعها؛ ب: ومنعهم.

(٢) هذا جزء من حديث عن العرباض بن سارية – رضي الله عنه –، وأوله: " وأوصيكم بتقوى الله. . . الحديث. وهو في: سنن أبي داود ٤/٢٨٠ ٢٨١ (كتاب العلم، باب الأخذ بالسنة. .) ؛ سنن ابن ماجه ١/١٥ ١٦ (المقدمة، باب في اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين) ؛ سنن الدارمي ١/٤٤ ٤٥ (المقدمة، باب اتباع السنة) ؛ المسند (ط. الحلبي) ٤/١٢٦ ١٢٧. وصححه الشيخ الألباني في " صحيح الجامع الصغير " ٢/٣٤٦.

(٣) ن، م: خلافهم، وهو تحريف.

(٤) ويذمه: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٥) أ، ب: ويقول: ليس هو من الخلفاء. . .

(٦) بعد أولئك: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٧) الراشدين: زيادة في (أ) ، (ب) .

(٨) ن، م، أ: فأظهر ذلك. .

(٩) أ، ب: لا يختارون ذلك. .." (١)

"غسل الجميع كلفة لا تدعو إليها الطباع، (١) كما تدعو الطباع إلى طلب الرئاسة والمال (٢) ؛ فإن جاز أن يقال: إنهم كذبوا وأخطئوا فيما نقلوه عنه من ذلك، كان الكذب والخطأ فيما نقل (٣) من لفظ الآية أقرب إلى الجواز.

وإن قيل: بل لفظ (٤) الآية ثبت بالتواتر الذي لا يمكن الخطأ فيه، فثبوت التواتر في نقل (٥) الوضوء عنه أولى وأكمل، ولفظ الآية لا يخالف ما تواتر من السنة، فإن المسح جنس تحته نوعان: الإسالة، وغير الإسالة، كما تقول العرب: تمسحت للصلاة، فما كان بالإسالة فهو الغسل، وإذا خص أحد النوعين باسم الغسل فقد يخص النوع الآخر باسم المسح، فالمسح يقال على المسح العام الذي يندرج فيه الغسل، ويقال على الخاص الذي لا يندرج فيه الغسل.

ولهذا نظائر كثيرة، مثل لفظ " ذوي الأرحام " فإنه يعم العصبة [كلهم] (٦) وأهل الفروض وغيرهم، ثم لما

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/١٦٤

كان للعصبة وأصحاب

---

(١) أ، ب: الطبايع.

(٢) (٢٢) : ساقط من (ب) وفي (أ) سقطت عبارة "كما تدعو الطباع ".

(٣) أ، ب: فيما نقلوه.

(٤) ن، م: فإن قيل إن لفظ.

(٥) أ، ب: في لفظ.

(٦) كلهم: زيادة في (أ) ، (ب) .." [١]

"ويترك إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فإن كان مقصوده الطعن في (١) أهل السنة مطلقا فهذا لا يرد عليهم، وإن كان مقصوده أن عمر أخطأ في مسألة فهم لا ينزهون عن الإقرار على الخطأ إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. وعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أقل خطأ من علي - رضي الله عنه -. وقد جمع العلماء مسائل الفقه التي ضعف فيها قول أحدهما فوجدوا (٢) الضعيف في أقوال (٣) علي - رضي الله عنه - أكثر: مثل إفتائه أن المتوفى عنها زوجها تعتد أبعد الأجلين، مع أن سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الثابتة عنه الموافقة لكتاب الله تقتضي أنها تحل بوضع الحمل. وبذلك أفتى عمر وابن مسعود - رضي الله عنهما - (٤) .

ومثل إفتائه بأن المفوضة يسقط مهرها بالموت، وقد أفتى ابن مسعود وغيره بأن لها مهر نسائها (٥) ، كما رواه الأشجعيون عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في بروع بنت واشق (٦(.

وقد وجد من أقوال علي المتناقضة في مسائل الطلاق وأم الولد والفرائض وغير ذلك أكثر مما وجد من أقوال عمر المتناقضة.

وإن أراد بالتمتع فسخ الحج إلى العمرة، فهذه المسألة نزاع بين

---

(١) أ، ب: علي.

(٢) فوجدوا: كذا في (ن) ، (م) . وفي سائر النسخ: فوجد.

(٣) أ، ب، م: قول.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٧٢/٤

(٤) انظر: المغني لابن قدامة ٤٧٣/٧ (ط. مكتبة الجمهورية العربية) .

(٥) أ، ب: أن لها المهر مهر نسائها. .

(٦) انظر المغني لابن قدامة ٧٢١/٦ - ٧٢٣؛ الإصابة لابن حجر ٢٤٤/٤.." (١)

"عليكم إلا الخمس، والخمس مردود عليكم» " (١) . فلما أضاف هذه الأموال إلى الله والرسول رأى طائفة من لعلماء (٢) أن [هذه] (٣) الإضافة تقتضي أن ذلك ملك للرسول - صلى الله عليه وسلم - كسائر أملاك الناس، ثم جعلت الغنائم بعد ذلك للغانمين، وخمسها لمن سمى (٤) ، وبقي الفيء، أو أربعة أخماسه (٥) ، ملكا للرسول - صلى الله عليه وسلم - كما يقول ذلك الشافعي، وطائفة من أصحاب أحمد، وإنما ترددوا في الفيء، فإنه عامة العلماء لا يخمسون الفيء، وإنما قال بتخميسه الشافعي وطائفة من أصحاب أحمد (٦)

---

(١) الحديث في: سنن النسائي ١١٩/٧ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -) (كتاب قسم الفيء) ونصه: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتى بعيرا فأخذ من سنامه وبرة بين إصبعيه، ثم قال: " إنه ليس لي من الفيء شيء ولا هذه إلا الخمس، والخمس مردود فيكم ". وجاء حديث آخر في نفس الصفحة بألفاظ مقاربة عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه -. وفي سنن أبي داود ١٠٩/٣ (كتاب الجهاد، باب في الإمام يستأثر بشيء من الفيء لنفسه) حديث ثالث عن عمرو بن عبسة - رضي الله عنه - بألفاظ مقاربة. وصحح الألباني الحديثين الأول والثاني في " صحيح الجامع الصغير " ٢٧٢/٦ - ٢٧٣، وصحح الحديث الثالث في " سلسلة الأحاديث الصحيحة " ٥٨٧/٢ - ٥٨٨. وجاء الحديث مرسلا عن عبد الله بن عمرو في: الموطأ ٤٥٧/٢ - ٤٥٨ (كتاب الجهاد، باب ما جاء في الغلول) . والحديث بألفاظ مقاربة عن العرباض بن سارية - رضي الله عنه - في المسند (ط. الحلبي) ١٢٧/٤ - ١٢٨، وهو فيه عن عبادة بن الصامت ٣١٦/٥ - ٣١٩ - ٣٢٦.

(٢) أ، ب: من أهل العلم.

(٣) هذه: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٤) ن، و: بقي؛ م: يفي.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٨٣/٤

(٥) أ، ب: لمن سمى بفيء الفيء أو بأربعة أخماسه، وهو تحريف.

(٦) ساقط من (أ) ، (ب) .." (١)

"يمنعها [النبي - صلى الله عليه وسلم -] (١) إياه ولا يجب عليه أن (٢) يعطيها إياه (٣) ، جاز أن تطلب ذلك من أبي بكر خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وعلم أنها ليست معصومة أن تطلب ما لا يجب إعطاؤها إياه. وإذا لم يجب عليه الإعطاء لم يكن مذموما بتركه (٤) ما ليس بواجب وإن كان مباحا. فأما (٥) إذا قدرنا أن الإعطاء ليس بمباح، فإنه يستحق أن يحمد على المنع. وأما أبو بكر فلم يعلم أنه منع أحدا حقه، ولا ظلم أحدا حقه، (٦) لا في حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا بعد موته.

وكذلك ما ذكره من إيصائها أن تدفن ليلا ولا يصلي عليها أحد منهم، لا يحكيه عن فاطمة ويحتج به إلا رجل جاهل يطرق على فاطمة ما لا يليق بها، (٧) وهذا لو صح لكان بالذنب المغفور أولى منه بالسعي المشكور، فإن صلاة المسلم على غيره زيادة خير تصل إليه، ولا يضر (٨) أفضل الخلق أن

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة في (أ) ، (ب) .

(٢) أ، ب: ولا يجب أن. . .

(٣) ن (فقط) : أن يعطيها حقها إياه.

(٤) بتركه: كذا في (ن) ، (و) . وفي سائر النسخ: بترك.

(٥) أ، ب: أما.

(٦) (٦٦) ساقط من (أ) ، (ب) .

(٧) في " المعجم الوسيط ": " طرق الكلام: عرض له وخاض فيه. وفي " لسان العرب ": " من أمثال العرب التي تضرب للذي يخلط في كلامه ويتفنن فيه قولهم: اطرقي وميشي ".

(٨) ن: ولا يضير.." (٢)

"عبد مناف، وبطون قريش والأنصار والعرب، إلى أن يسترضوا أسامة بن زيد، وهو من أضعف رعيتهم، ليس له قبيلة ولا عشيرة، ولا [معه] (١) مال ولا رجال، ولولا حب النبي - صلى الله عليه وسلم - إياه (

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/٢٠٩

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/٢٤٧

٢) وتقديمه له لم يكن إلا كأمثاله من الضعفاء؟ .

فإن قلتم: إنهما استرضياه (٣) لحب النبي - صلى الله عليه وسلم - له، فأنتم تقولون: إنهم بدلوا عهده، وظلموا وصيه وغصبوه (٤) ، فمن عصى الأمر الصحيح، وبدل العهد البين، وظلم واعتدى وقهر، ولم يلتفت إلى طاعة الله ورسوله، ولم يرقب في آل محمد إلا ولا ذمة، يراعي مثل أسامة بن زيد ويسترضيه؟ وهو قد رد شهادة أم أيمن ولم يسترضها، وأغضب فاطمة وآذاها، وهي أحق بالاسترضاء. فمن يفعل (٥) مثل هذا أي حاجة به (٦) إلى استرضاء أسامة بن زيد؟ وإنما يسترضى الشخص للدين أو للدنيا، فإذا لم يكن عندهم دين يحملهم على استرضاء من يجب استرضاؤه، ولا هم محتاجون في الدنيا إليه، فأي داع يدعوهم إلى استرضائه؟ ولا هم محتاجون في الدنيا إليه، فأي داع يدعوهم إلى استرضائه؟ والرافضة من جهلهم وكذبهم يتناقضون تناقضا [كثيرا] (٧) بينا إذ هم (٨) في قول مختلف، يؤفك عنه من أفك.

---

(١) معه: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٢) أ، ب: له.

(٣) أ، ب: إنه استرضاه، وهو خطأ.

(٤) ن: وظلموا وصيه وصيغوه ؛ م: وظلموا وصيته وصيغوه، أ: وظلموا وصيه وغضبوه ؛ ص: وظلموا وصيته وأغضبوه.

(٥) أ، ب: فمن فعل.

(٦) أ: أي حاجة له ؛ ب: فأي حاجة له.

(٧) كثيرا: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٨) ب (فقط) : أو هم.." (١)

"وأما قوله: "كيف أطاعها على ذلك عشرات ألوف من المسلمين (١) وساعدوها (٢) على حرب أمير المؤمنين، ولم ينصر أحد منهم بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما طلبت حقها من أبي بكر - رضي الله عنه - ولا شخص واحد [كلمه] (٣) بكلمة واحدة ".

فيقال: أولا: هذا من أعظم الحجج عليك ؛ فإنه لا يشك عاقل أن القوم كانوا يحبون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويعظمونه ويعظمون قبيلته وبنته أعظم مما يعظمون أبا بكر وعمر، ولو لم يكن هو رسول

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/٢٨٥

الله - صلى الله عليه وسلم -. فكيف إذا كان [هو] (٤) رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي هو أحب إليهم من أنفسهم وأهليهم؟ ولا (٥) يستريب عاقل أن العرب - قريشا وغير قريش (٦) - كانت تدين لبني عبد مناف وتعظمهم أعظم مما يعظمون بني تيم وعدي (٧) ، ولهذا لما مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتولى أبو بكر، قيل لأبي قحافة: مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. فقال: حدث عظيم، فمن ولي (٨) بعده؟ قالوا: أبو بكر.

---

(١) أ: عشرة آلاف من المسلمين ؛ و: عشرة ألف من المسلمين ؛ ر، ص، هـ: عشرات ألوف من الناس.

(٢) ن، م: وساعدها، وهو تحريف.

(٣) كلمه: في (ب) فقط.

(٤) هو: في (هـ) ، (و) ، (ص) فقط.

(٥) ب (فقط) : أهليهم وأنفسهم فلا.

(٦) ن، م: قريشا وغيرهم ؛ و: من قريش وغير قريش.

(٧) أ، ن، ر، ص، هـ: مما يعظمون لبني تيم وعدي ؛ و: مما تدين لبني تيم وعدي.

(٨) ولي: كذا في (ن) ، (م) . وفي سائر النسخ: تولى.." (١)

"علي - رضي الله عنهما -، فأقام ستة أشهر، ثم سلم إلى معاوية، تحقيقا لما ثبت في الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» " (١) وبقي معاوية بعد ذلك عشرين سنة، ومات سنة ستين.

ومما يبين كذب ما ذكره هذا الرافضي أنه لم يتأخر إسلام أحد من قريش إلى هذه الغاية، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد بعث أبا بكر عام تسع بعد الفتح بأكثر من سنة ليقيم الحج، وينادى أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. وفي تلك السنة نبذت العهود إلى المشركين، وأجلوا أربعة أشهر، فانقضت المدة في سنة عشر، فكان هذا أمانا عاما لكل مشرك من سائر قبائل العرب، وغزا النبي - صلى الله عليه وسلم - غزوة تبوك سنة تسع لقتال النصارى بالشام، وقد ظهر الإسلام بأرض العرب.

ولو كان لمعاوية من الذنوب ما كان لكان الإسلام يجب ما قبله، فكيف ولم يعرف له ذنب يهرب لأجله، أو يهدر دمه لأجله؟ ! وأهل السير والمغازي متفقون على أنه لم يكن معاوية ممن أهدر دمه عام الفتح.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٥٩/٤

فهذه مغازي عروة بن الزبير، والزهري، وموسى بن عقبة، وابن إسحاق، والواقدي، وسعيد بن يحيى الأموي، ومحمد بن عائذ (٢) ، وأبي إسحاق الفزاري، وغيرهم. وكتب التفسير والحديث كلها تنطق بخلاف ما ذكره ويذكرون

---

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ٥٣٩/١ ٥٤٠.

(٢) هـ، و: محمد بن عابد، وهو خطأ. وهو محمد بن عائذ بن أحمد القرشي الدمشقي، ولد سنة ١٥٠ وتوفي سنة ٢٣٣ ومن كتبه كتاب " السير ". انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ٢٤١/٩ ٢٤٢ ؛ شذرات الذهب ٧٨/٢ ؛ الأعلام ٤٨/٧.." [1]

"يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن» " (١) .

وفي الصحيح عن أسامة بن زيد - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " «إني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كمواقع القطر» " (٢) .

والذين رووا أحاديث القعود في الفتنة والتحذير منها، كسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة وأسامة بن زيد لم يقاتلوا لا مع علي ولا مع معاوية.

وقال حذيفة - رضي الله عنه -: " «ما أحد من الناس تدركه الفتنة إلا أنا

---

(١) الحديث عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - في: البخاري ٩/١ (كتاب الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن) ، ١٢٧/٤ (كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ؛ سنن النسائي (بشرح السيوطي) ١٠٧/٨ - ١٠٨ (كتاب الإيمان وشرائعه ؛ باب الفرار بالدين من الفتن) ؛ سنن ابن ماجه ١٣١٧/٢ (كتاب الفتن، باب العزلة) ؛ المسند (ط. الحلبي) ٦/٣، ٤٣، ٥٧ ؛ الموطأ ٩٧٠/٢ (كتاب الاستئذان، باب ما جاء في أمر الغنم) . وفي لسان العرب " شعفة كل شيء أعلاه وشعفة الجبل بالتحريك رأسه، والجمع شعف وشعاف وشعوف وهي رءوس الجبال. وفي الحديث: من خير الناس رجل في شعفة من الشعاف في غنيمة له حتى يأتيه الموت وهو معتزل الناس ". وانظر " النهاية في غريب الحديث " لابن الأثير مادة " شعف ".

(٢) الحديث عن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - مع اختلاف في اللفظ - في: البخاري ٢١/٣ -

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٤٠/٤

٢٢ (كتاب فضائل المدينة، باب آطام المدينة) ، ١٩٨/٤ (كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام) ، ٤٨/٩ (كتاب الفتن، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: ويل للعرب من شر قد اقترب) ؛ ٢٢١١/٤ (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر) ؛ المسند (ط. الحلبي) ٢٠٠/٥.." (١)

"وأعجب من ذلك قوله: " ولا شك بين العلماء أن إبليس كان أعبد الملائكة ".

فيقال: من الذي قال هذا من علماء الصحابة والتابعين وغيرهم من علماء المسلمين؟ فضلا عن أن يكون هذا متفقا عليه بين العلماء؟ وهذا شيء لم يقله قط عالم يقبل قوله من علماء المسلمين. وهو أمر لا يعرف إلا بالنقل، ولم ينقل هذا أحد عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: [لا] (١) بإسناد صحيح ولا ضعيف. فإن كان قاله بعض الوعاظ أو المصنفين في الرقائق، أو بعض من ينقل في التفسير من الإسرائيليات ما لا إسناد له (٢) ، فمثل هذا لا يحتج به في جرزة بقل (٣) ، فكيف يحتج به في جعل إبليس خيرا (* من كل من عصى الله من بني آدم، ويجعل الصحابة من هؤلاء الذين إبليس خير منهم *) (٤) ؟ .

وما وصف الله ولا رسوله - صلى الله عليه وسلم - إبليس بخير قط ولا بعبادة (٥) متقدمة ولا غيرها (٥ مع أنه لو كان له عبادة لكانت قد حبطت بكفره وردته ٥) (٦) .

وأعجب من ذلك قوله: " لا شك بين العلماء أنه كان يحمل العرش

---

(١) لا: ساقطة من (ن) ، (م) ، (و) .

(٢) أ، ب: ما لا أصل له.

(٣) و: في نقل. وفي " لسان العرب ": " والجرزة ": الحزمة من القت ونحوه ".

(٤) ما بين النجمتين ساقط من (و) .

(٥) ب (فقط) : بخير قط ولا بعبادة. . .

(٦) (٥ - ٥) : ساقط من (و) .." (٢)

"لو كان (١) بينه وبين الحسين رحم لما قتله. وقال: قد كنت أرضى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين. وأنه جهز أهله بأحسن الجهاز وأرسلهم إلى المدينة، لكنه مع ذلك ما انتصر للحسين، ولا أمر

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٥١/٤

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥١٠/٤

بقتل قاتله، ولا أخذ بثأره.

وأما ما ذكره من سبي نسائه [والذراري] (٢) ، والدوران بهم في البلاد (٣) ، وحملهم على الجمال بغير أقتاب، فهذا كذب وباطل: ما سبى المسلمون - ولله الحمد - هاشمية قط، ولا استحلت أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - سبي بني هاشم قط، ولكن أهل الهوى والجهل يكذبون كثيرا، كما تقول طائفة منهم: إن الحجاج قتل الأشراف، يعنون بني هاشم.

وبعض الوعاظ وقع بينه وبين بعض من كانوا يدعون أنهم علويون، ونسبهم مطعون فيه، فقال على منبره: إن الحجاج قتل الأشراف كلهم، فلم يبق لنسائهم رجل، فمكنوا منهن (٤) رجالا، فهؤلاء من أولاد أولئك. وهذا كله كذب ؛ فإن الحجاج لم يقتل من بني هاشم أحدا قط، مع كثرة قتله لغيرهم. فإن عبد الملك أرسل إليه يقول له: إياك وبني هاشم أن تتعرض لهم، فقد رأيت بني حرب لما تعرضوا للحسين أصابهم ما أصابهم. أو كما قال (٥) . ولكن قتل الحجاج كثيرا من أشراف **العرب**، أي

---

(١) ن، م:. . بن زياد والله لو كانت. . .

(٢) والزراري: زيادة في (ر) ، (ص) ، (هـ) .

(٣) ب (فقط) : في البلدان.

(٤) منهن: كذا في (ص) ، (ب) . وفي سائر النسخ: منهم.

(٥) (٥٥) بدلا من هذه العبارات في (ن) ، (م) ، (و) : لم يبق منهم أحد.." [(١)]

"سادات **العرب**. ولما سمع الجاهل أنه قتل الأشراف - وفي لغته أن الأشراف هم (١) الهاشميون أو بعض الهاشميين، ففي بعض البلاد أن الأشراف عندهم ولد العباس، وفي بعضها الأشراف عندهم ولد علي.

ولفظ " الأشراف " لا يتعلق به حكم شرعي، وإنما الحكم يتعلق ببني هاشم، كتحريم الصدقة، وأنهم آل محمد - صلى الله عليه وسلم - وغير ذلك.

والحجاج كان قد تزوج بنت عبد الله بن جعفر، فلم يرض بذلك بنو أمية حتى نزعوها منه، لأنهم معظمون لبني هاشم.

وفي الجملة فما يعرف في الإسلام أن المسلمين سبوا امرأة يعرفون أنها هاشمية، ولا سبي عيال الحسين،

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/٥٥٨

بل لما دخلوا إلى بيت يزيد (٢) قامت النياحة في بيته، [وأكرمهم] (٣) وخيرهم بين المقام عنده والذهاب إلى المدينة، فاختاروا الرجوع إلى المدينة، ولا طيف برأس الحسين. وهذه الحوادث فيها من الأكاذيب (٤) ما ليس هذا موضع بسطه.

وأما ما ذكره من الأحداث والعقوبات الحاصلة بقتل الحسين ؛ فلا ريب أن قتل الحسين من أعظم الذنوب، وأن فاعل ذلك والراضي به والمعين عليه مستحق لعقاب الله الذي يستحقه أمثاله، لكن قتله ليس بأعظم من قتل من هو أفضل منه من النبيين، والسابقين الأولين، ومن قتل في حرب مسيلمة، وكشهداء أحد، والذين قتلوا ببئر معونة، وكقتل عثمان، وقتل

---

(١) هم: ساقطة من (ص) ، (ب) .

(٢) أ، ب: دخلوا دار يزيد.

(٣) وأكرمهم: ساقطة من (ن) ، (م) ، (و) .

(٤) أ، ب: من الكذب.." (١)

"تكن قبيلة من قريش (١) إلا وبينها وبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرابة، فقال: " ﴿لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾ : إلا أن تودوني (٢) في القرابة التي بيني وبينكم " رواه البخاري وغيره (٣) .

وقد ذكر طائفة من المصنفين من أهل السنة والجماعة والشيعة، من أصحاب أحمد وغيرهم، حديثا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - «أن هذه الآية لما نزلت قالوا: يا رسول الله من هؤلاء؟ قال علي وفاطمة وابناهما» . وهذا كذب باتفاق أهل المعرفة [بالحديث] (٤) .

[ومما يبين ذلك أن هذه الآية نزلت بمكة باتفاق أهل العلم] (٥) ؛ فإن سورة الشورى جميعها مكية، بل جميع آل حم كلهن مكيات، وعلي لم يتزوج فاطمة إلا بالمدينة كما تقدم، ولم يولد له الحسن والحسين إلا في السنة الثالثة والرابعة من الهجرة، فكيف يمكن أنها «لما نزلت بمكة قالوا: يا رسول الله من هؤلاء؟ قال: علي وفاطمة وابناهما» .

قال الحافظ عبد الغني المقدسي: " ولد الحسن سنة ثلاث من الهجرة في النصف من شهر رمضان. هذا أصح ما قيل فيه. وولد الحسين لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة ". قال: " وقيل سنة ثلاث

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٥٩/٤

."

قلت: ومن قال هذا يقول: إن الحسن ولد سنة اثنتين (٦) ، وهذا

---

(١) ن، م: من العرب قريش، و: من العرب.

(٢) ن: إلا أن تؤذوني، و، ص، ر: إلا ألا تؤذوني، أ: إلا أن توذني.

(٣) سبق الحديث فيما مضى ٤/ ٢٥ ٢٦.

(٤) ن، م: أهل العلم.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

(٦) يقول: ولد الحسين سنة اثنتين، وهو خطأ.." (١)

"سبحانه وإحسانه يطلب لكل أحد (١) ، لكن يقال: إن هذا حق لآل محمد أمر الله به.

ولا ريب أنه لآل محمد - صلى الله عليه وسلم - حقا على الأمة لا يشركهم فيه غيرهم، ويستحقون من زيادة المحبة والموالاة ما لا يستحقه سائر بطون قريش، كما أن قريشا يستحقون (٢) من المحبة والموالاة ما لا يستحقه غير قريش من القبائل، كما أن جنس العرب يستحق من المحبة والموالاة ما لا يستحقه سائر أجناس بني آدم. وهذا على مذهب الجمهور الذين يرون فضل العرب على غيرهم، وفضل قريش على سائر العرب، وفضل بني هاشم على سائر قريش. وهذا هو المنصوص عن الأئمة كأحمد وغيره.

والنصوص دلت على هذا القول (٣) ، كقوله - صلى الله عليه وسلم - في [الحديث] الصحيح: (٤) " «إن الله اصطفى قريشا من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم» " (٥) . وكقوله في [الحديث] الصحيح: (٦) " «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ؛ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» " (٧) ، وأمثال ذلك.

---

(١) عبارة " لكل أحد " ساقطة من (ب) فقط.

(٢) ن، م، و: تستحق.

(٣) ب: وعلى هذا دلت النصوص، و: والمنصوص على هذا القول.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/٥٦٣

(٤) ن، م: في الصحيح.

(٥) الحديث عن واثلة بن الأسقع - رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ في: مسلم ١٧٨٢/٤ (كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي - صلى الله عليه وسلم - سنن الترمذي ٢٤٣/٥ (كتاب المناقب، باب ما جاء في فضل النبي - صلى الله عليه وسلم -) ؛ المسند ١٠٧/٤.

(٦) ن، م: في الصحيح.

(٧) سبق الحديث في هذا الجزء، ص ٣٥٣.." (١)

"وذهبت طائفة إلى عدم التفضيل بين هذه الأجناس. وهذا قول طائفة من أهل الكلام، كالقاضي أبي بكر بن الطيب وغيره، وهو الذي ذكره القاضي أبو يعلى في المعتمد. وهذا القول يقال له مذهب الشعوبية (١) ، وهو قول ضعيف من أقوال أهل البدع، كما بسط في موضعه، وبينا أن تفضيل الجملة على الجملة لا يقتضي تفضيل كل فرد على كل فرد، كما أن تفضيل القرن الأول على الثاني والثاني على الثالث لا يقتضي ذلك، بل في القرن الثالث من هو خير (٢) من كثير من القرن الثاني.

وإنما تنازع العلماء: هل في غير الصحابة من هو خير من بعضهم؟ على قولين. ولا ريب أنه قد ثبت اختصاص قريش بحكم شرعي، وهو كون الإمامة فيهم دون غيرهم. وثبت اختصاص بني هاشم بتحريم الصدقة عليهم، وكذلك استحقاقهم من الفيء عند أكثر العلماء، وبنو المطلب معهم في ذلك، فالصلاة عليهم من هذا الباب، فهم مخصوصون بأحكام لهم وعليهم، وهذه الأحكام تثبت ﻟلواحد منهم وإن لم يكن رجلا صالحا، بل كان عاصيا.

وأما نفس ترتيب الثواب والعقاب على القرابة، ومدح الله عز وجل للشخص المعين، وكرامته عند الله تعالى - فهذا لا يؤثر فيه النسب، وإنما

---

(١) قال ابن منظور في " لسان العرب ": " والشعوب فرقة لا تفضل العرب على العجم. والشعوبي: الذي يصغر شأن العرب، ولا يرى لهم فضلا على غيرهم ". وانظر ما ذكره ابن تيمية عن الشعوبية والرد عليهم في " اقتضاء الصراط المستقيم " ٣٧٢/١ ٤٠٩، تحقيق الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل، ط. الرياض، ١٤٠٤.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٩٩/٤

(٢) ب: بل في القرن الثالث خير. .، أ. . بل في القرن الثالث من هو أفضل، ر: بل في القرن الثالث من هو أخير.." (١)

"يؤثر فيه الإيمان والعمل الصالح، وهو التقوى. كما قال تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ .

و [قد ثبت] في الصحيح «أن النبي (١) - صلى الله عليه وسلم - سئل: أي الناس أكرم؟ فقال: " أتقاهم ". فقالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: " فيوسف نبي الله ابن يعقوب نبي الله ابن إسحاق نبي الله ابن إبراهيم خليل الله " قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: " أفعن معادن **العرب** تسألوني؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» " (٢) .

و [ثبت عنه] في الصحيح (٣) أنه قال: " «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» " رواه مسلم (٤) .

ولهذا أثنى الله في القرآن على [السابقين الأولين من] المهاجرين (٥)

---

(١) ن، م: وفي الصحيح عن النبي. .

(٢) جاء جزء من هذا الحديث في هذا الجزء من قبل، وهو بهذا اللفظ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - في: البخاري ٤/١٤٠. (كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلا) ، ٤/١٤٩ (كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) .

(٣) ن، م: وفي الصحيح.

(٤) الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - في: مسلم ٤/٢٠٧٤ (كتاب الذكر والدعاء. .، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر) وأوله: " من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا. الحديث وفي آخره: " ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ". وجاء الحديث بتمامه في: سنن الترمذي ٤/٢٦٥ (كتاب القرآن، باب منه رقم ٣) ، سنن ابن ماجه ١/٨٢ (المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم). وجاء الحديث مختصرا، وفيه العبارة التي أوردها ابن تيمية في: سنن أبي داود ٣/٤٣٣ (كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم) ؛ سنن الدارمي ١/٩٩ (المقدمة، باب في فضل العلم والعالم) ؛ المسند (ط. المعارف) ١٣/١٦١، ١٨/٤٩ - ٥٠.

(٥) ن، م، ر: على المهاجرين. .." (٢)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/٦٠٠

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/٦٠١

"والأنصار، وأخبر أنه رضي عنهم، كما أثنى على المؤمنين عموما. فكون الرجل مؤمنا وصف استحق به (١) المدح والثواب [عند الله، وكذلك كونه ممن آمن بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وصحبه وصف يستحق به المدح والثواب] (٢) . ثم هم متفاوتون في الصحبة، فأقومهم بما أمر الله به ورسوله في الصحبة، أفضل ممن هو دونه، كفضل السابقين الأولين على من دونهم، وهم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا. ومنهم أهل (٣) بيعة الرضوان، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، وهؤلاء لا يدخل النار منهم أحد، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - (٤) .

وأما نفس القرابة فلم يعلق بها ثوابا ولا عقابا، ولا مدح [أحدا] (٥) بمجرد ذلك، وهذا لا ينافي ما ذكرناه من أن بعض الأجناس والقبائل أفضل من بعض، فإن هذا التفضيل معناه كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» "، فالأرض إذا كان فيها معدن ذهب ومعدن فضة، كان معدن الذهب خيرا، لأنه مظنة وجود أفضل الأمرين فيه، فإن قدر أنه تعطل ولم يخرج ذهبا، كان ما يخرج الفضة أفضل منه.

فالعرب في الأجناس، وقريش فيها ثم هاشم في قريش مظنة أن يكون فيهم من (٦) الخير أعظم مما يوجد في غيرهم. ولهذا كان في بني هاشم النبي

---

(١) ن، م، و: يستحق به.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) .

(٣) ن، م: وقاتلوا وهم أهل. .

(٤) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢/٢٨.

(٥) أحدا: ساقطة من (ن) ، (م) ، (و) .

(٦) من: ساقطة من (ر) ، (ي) ، (ح) ، (ب) .." (١)

"- صلى الله عليه وسلم - الذي لا يماثله أحد في قريش، فضلا عن وجوده في سائر **العرب** [وغير **العرب**] (١) ، وكان في قريش الخلفاء الراشدون وسائر العشرة وغيرهم ممن لا يوجد له نظير في **العرب** وغير **العرب**، وكان في **العرب** من السابقين الأولين من لا يوجد له نظير في سائر الأجناس.

فلا بد أن يوجد في الصنف الأفضل ما لا يوجد مثله في المفضول، وقد يوجد في المفضول ما يكون أفضل

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/٦٠٢

من كثير مما يوجد في الفاضل. كما أن الأنبياء الذين ليسوا من العرب أفضل من العرب الذين ليسوا بأنبياء، والمؤمنون المتقون من غير قريش أفضل من القرشيين الذين ليسوا مثلهم في الإيمان والتقوى، وكذلك المؤمنون المتقون من قريش وغيرهم أفضل ممن ليس مثلهم في الإيمان والتقوى من بني هاشم.

فهذا هو الأصل المعتبر في هذا الباب دون من ألغى فضيلة الأنساب (٢) مطلقا، ودون من ظن أن الله تعالى يفضل الإنسان بنسبه على من هو مثله في الإيمان والتقوى، فضلا عمن هو أعظم إيمانا وتقوى. فكلا القولين خطأ، وهما متقابلان. بل الفضيلة بالنسب (٣) فضيلة جملة، وفضيلة لأجل المظنة والسبب، والفضيلة بالإيمان والتقوى فضيلة تعيين وتحقيق وغاية ؛ فالأول يفضل به لأنه سبب وعلامة، ولأن الجملة أفضل من جملة تساويها في العدد. والثاني: يفضل به لأنه الحقيقة والغاية (٤) ، ولأن كل من كان أتقى

(١) وغير العرب: ساقطة من (ن) ، (م) . وفي (و) : أو غير العرب.

(٢) الأنساب كذا في (ن) ، (ب) . وفي سائر النسخ: الإنسان.

(٣) ن: في النسب.

(٤) ن: لأنه الغاية والحقيقة.." (١)

"وقد روي عن علي بن الحسين أنه جعل هذا الحكم عاما في آل البيت، وأن عقوبة الواحد منهم تضاعف، وتضاعف حسناته، كما تضاعف العقوبة والثواب على من كان في المسجد الحرام، وعلى من فعل ذلك في شهر رمضان (١) ، ونحو ذلك.

وهذا كله مما يبين أن كرامة الله تعالى [لعباده] (٢) إنما هي بالتقوى فقط. كما في الحديث الذي في السنن عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود (٣) على أبيض، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى. الناس من آدم وآدم من تراب» " (٤) .

وقال: " «إن الله تعالى أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، الناس رجلان:: مؤمن تقي، وفاجر شقي» " (٥) .

فالصلاة على آل محمد حق لهم عند المسلمين، وذلك سبب لرحمة الله تعالى لهم بهذا النسب (٦) ، لأن ذلك يوجب أن يكون كل واحد من بني

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/٦٠٣

(١) ن، م، و، أ: في شهر الصيام.

(٢) لعباده: زيادة في (ب) فقط.

(٣) ن: بالأسود، و: أسود.

(٤) في المسند (ط. الحلبي) ٥/٤١١ عن أبي نضرة: حدثني من سمع خطبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في وسط أيام التشريق فقال: " يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد. ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى. أبلغت؟ قالوا: بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. . . " الحديث.

(٥) مضى الحديث من قبل ١/٥٢١.

(٦) ن، م، و، ر، ي: السبب.." (١)

"جمهور الأغنياء ؛ فإبراهيم وداود وسليمان ويوسف وأمثالهم أفضل من أكثر الفقراء، ويحيى وعيسى ونحوهما أفضل من أكثر الأغنياء.

فالاعتبار العام هو التقوى، كما قال تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ . فكل من كان أتقى كان أفضل مطلقا، وإذا تساوى اثنان في التقوى استويا في الفضل، سواء كانا - أو أحدهما - (١) غنيين أو فقيرين، أو أحدهما غنيا والآخر فقيرا، وسواء كانا - أو أحدهما - (٢) عربيين أو أعجميين، أو قرشيين أو هاشميين، أو كان أحدهما من صنف والآخر من صنف آخر. وإن قدر أن أحدهما له من سبب الفضيلة ومظنتها [ما ليس للآخر] (٣) ، فإذا كان ذاك [قد] (٤) أتى بحقيقة الفضيلة كان أفضل ممن لم يأت بحقيقتها، وإن كان أقدر على الإتيان بها، فالعالم خير من الجاهل، وإن كان الجاهل أقدر على تحصيل العلم، والبر أفضل من الفاجر، وإن كان الفاجر أقدر على البر، والمؤمن الضعيف خير من الكافر القوي، وإن كان ذاك يقدر على الإيمان أكثر من المؤمن القوي. وبهذا تزول شبه كثيرة تعرض في مثل هذه الأمور (٥) .

(١) عبارة " أو أحدهما ": ساقطة من (ب) فقط.

(٢) عبارة " أو أحدهما ": ساقطة من (ب) فقط.

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/٦٠٦

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط.

(٤) قد: ساقطة من (ن) .

(٥) أ، و، ر، ي: الأمور والله أعلم.." (١)

"مالك فتمنيت أن أكون أنا (١) ذلك الميت (٢) . وهذا الدعاء ليس مختصا بذلك الميت.

الفصل الحادي عشر (٣)

قال الرافضي (٤) : " وعن عامر بن واثلة (٥) قال: كنت مع علي عليه السلام (٦) يوم الشورى (٧) يقول لهم (٨) : لأحتجن عليكم بما لا يستطيع عربيكم وعجميكم تغيير ذلك، ثم قال: أنشدكم بالله أيها النفر جميعا أفيكم (٩) أحد وحد الله تعالى

---

(١) أنا: زيادة في (ي) ، (ر) ، (ب) .

(٢) الحديث مع اختلاف في الألفاظ، عن عوف بن مالك رضي الله عنه في مسلم ٦٦٢/٢ - ٦٦٣ كتاب الجنائز باب الدعاء للميت في الصلاة، سنن النسائي ٤٦/١ كتاب الطهارة باب الوضوء بماء البرد ٥٩/٤ - ٦٠ كتاب الجنائز باب الدعاء، المسند ط. الحلبي ٢٣/٦.

(٣) ن، م، و، أ: فصل.

(٤) الرافضي: ساقطة من (و) ، والكلام التالي في (ك) ص ١٢٦ (م) ١٣٠ (م) .

(٥) ن: وايلة.

(٦) عليه السلام: في (ن) ، (و) ، (ك) ، وفي (ر) ، (ي) ، (ق) رضي الله عنه.

(٧) يوم الشورى: كذا في (ق) فقط، وفي (ك) : في البيت يوم الشورى، فسمعت عليا عليه السلام.

(٨) أ، ب، ق، ر، ح، ي: وهو يقول لهم، و: يقول.

(٩) ك ص [٠ - ٩] ٢٦ م - ١٢٧ م: هل فيكم.." (٢)

"قالوا: اللهم (١) لا.

قال: فأنشدكم بالله (٢) هل فيكم أحد بارز عمرو بن عبد (٣) ود العامري حيث (٤) دعاكم إلى البراز

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦٠٨/٤

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٠/٥

غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد نزل فيه آية التطهير حيث (٥) يقول: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣] غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم: «أنت سيد المؤمنين» (٦) غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم: «ما سألت الله شيئا إلا وسألت لك (٧) مثله» غيري؟ قالوا: اللهم (٨) لا.

ومنها ما رواه أبو عمرو (٩) الزاهد عن ابن عباس قال: لعلي

---

(١) اللهم ساقطة من (ن) فقط.

(٢) ك: بالله ربكم.

(٣) عبد: ساقطة من (ن) ، (م) ، (و) ، (ي) ، (ق) .

(٤) أ، ب: حين.

(٥) حيث: ساقطة من ›ك) .

(٦) ك: أنت سيد العرب المؤمنين.

(٧) ك: إلا سألت لك.

(٨) اللهم: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٩) أبو عمرو: كذا في (أ) ، (ر) ، (ك) ، وفي سائر النسخ أبو عمر.." [1]

"أربع خصال ليست (١) لأحد من الناس غيره، هو أول عربي وعجمي صلى مع النبي – صلى الله عليه وسلم – (٢) وهو الذي كان لواؤه (٣) معه في كل زحف، وهو الذي صبر معه يوم حنين (٤) ، وهو الذي غسله وأدخله قبره (٥) .

وعن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «مررت ليلة المعراج بقوم (٦) تشرشر أشداقهم، فقلت: يا جبريل (٧) من هؤلاء؟ قال: قوم يقطعون (٨) الناس بالغيبة. قال: ومررت بقوم وقد ضوضئوا (٩) ، فقلت: يا جبريل (١٠) من هؤلاء؟ قال: هؤلاء (١١) الكفار. قال: ثم عدلنا عن الطريق (١٢) ، فلما

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥/٥٦

انتهينا إلى السماء الرابعة رأيت عليا يصلي، فقلت: يا جبريل (١٣) هذا علي قد سبقنا. قال: لا ليس هذا عليا (١٤) . قلت: فمن هو (١٥) قال: إن الملائكة

---

(١) ك: ليس.

(٢) ك: صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٣) م، ح، ي، ر، و: لواه، ك: لوائه.

(٤) ن: خيبر، أ: في يوم حنين.

(٥) ك: وأدخله في قبره صلى الله عليهما، وأدخله في قبره.

(٦) أ: بأقوام.

(٧) أ، ك: يا جبرائيل.

(٨) ك ص ١٢٩ م ١٣٠ م: هؤلاء الذين يقطعون، و: هؤلاء قوم يقطعون.

(٩) أ، ب: بقوم قد ضوضؤا، ك: بقوم ضؤضؤا.

(١٠) ي، ك: يا جبرئيل.

(١١) هؤلاء ساقطة من (ك) .

(١٢) ر: عدلنا الطريقة، ك: عدلنا عن ذلك الطريق.

(١٣) ي: فقلت يا جبرئيل، ك: فقلت لجبرئيل: يا جبرئيل.

(١٤) ك: علي.

(١٥) أ، ب: فمن هذا؟." [1]

"المقربين والملائكة الكروبيين لما سمعت فضائل علي وخاصته (١) وسمعت (٢) قولك فيه: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، اشتاقت إلى علي، فخلق الله تعالى لها ملكا على صورة علي، فإذا اشتاقت إلى علي (٣) جاءت (٤) إلى ذلك المكان؛ فكأنها قد رأت عليا» .

وعن ابن عباس قال: «إن المصطفى - صلى الله عليه وسلم - قال ذات يوم وهو نشيط: أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى» . قال: فقوله: أنا الفتى، يعني (٥) هو فتى **العرب** (٦) وقوله ابن الفتى، يعني إبراهيم (٧) من قوله تعالى: ﴿سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾ [سورة الأنبياء: ٦٠] وقوله: أخو الفتى، يعني

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥/٥٧

عليا، وهو معنى قول جبريل في (٨) يوم بدر وقد عرج إلى السماء وهو فرح (٩) وهو يقول (١٠) : «لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي» .

---

(١) ك: ومحاسنه.

(٢) ن، م، و، ق، ر: سمعت.

(٣) ن، م: إليه.

(٤) ك: جاءوا.

(٥) يعني: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٦) ك: العرب بالإجماع أي سيدها.

(٧) ك: وإبراهيم الخليل عليه السلام.

(٨) في: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٩) وهو فرح: ساقطة من (ن) ، (م) ، (ق) .

(١٠) ك: وقد عرج إلى السماء بالفتح وهو فرح مسرور يقول.." [(١)]

"كالعباس وأولاده، ومولاه شقران (١) ، وبعض الأنصار، لكن علي كان (٢) يباشر الغسل، والعباس حاضر لجلالة العباس، وأن عليا أولاهم بمباشرة ذلك.

وكذلك قوله: " هو أول عربي وعجمي (٣) صلى " يناقض ما هو المعروف عن ابن عباس.

فصل

وأما حديث المعراج وقوله فيه: إن الملائكة المقربين والملائكة الكروبيين لما سمعت فضائل علي وخاصته، وقول النبي – صلى الله عليه وسلم (٤) : " أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ " اشتاقت إلى علي فخلق الله (٥) لها ملكا على صورة علي ".

فالجواب: أن هذا (٦) من كذب الجهال الذين لا يحسنون أن يكذبوا، فإن المعراج كان بمكة قبل الهجرة بإجماع الناس، كما قال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ [سورة الإسراء: ١] .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥/٥٨

(١) شقران: ساقطة من (ن) ، (م) ، (و

(2) أ، ب، ي: لكن كان علي.

(٣) وعجمي: ساقطة من (ن) ، (م) ، (و) .

(٤) ن، م: وخاصة قوله صلى الله عليه وسلم، و، ر، ح، ي: وخاصة قول النبي صلى الله عليه وسلم.

(٥) لفظ الجلالة ليس في (ح) ، (ر) ، (و) ، (ي) .

(٦) و: فيقال هذا.." [(١)]

"فقوله: أنا الفتى يعني فتى **العرب**، وقوله: ابن الفتى يعني إبراهيم الخليل صلوات الله عليه، من قوله: ﴿سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾ [سورة الأنبياء: ٦٠] ، وقوله أخو الفتى يعني عليا، وهو معنى قول جبريل في يوم بدر وقد عرج إلى السماء وهو فرح وهو يقول: " «لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي» ."

فإن هذا الحديث (١) من الأحاديث المكذوبة الموضوعة باتفاق أهل المعرفة بالحديث (٢) ، وكذبه معروف من غير جهة الإسناد من وجوه.

منها: أن لفظ الفتى في الكتاب والسنة ولغة **العرب** ليس هو من أسماء المدح، كما ليس هو من أسماء الذم، ولكن بمنزلة اسم (٣) الشاب والكهل والشيخ ونحو ذلك. والذين قالوا عن إبراهيم: سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم، هم الكفار، ولم يقصدوا مدحه بذلك، وإنما الفتى كالشاب الحدث (٤) .

---

(١) ن: فإن هذه الأحاديث.

(٢) لم أجد الجزء الأول من هذا الحديث الموضوع، وأما الجزء الأخير منه وهو: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي، فوصفه بالوضع وتكلم على الكذابين من رواته كل من ابن الجوزي في الموضوعات ١/٣٨١ - ٣٨٢، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة ١/٣٦٤ - ٣٦٥ وعلي القارئ في الأسرار المرفوعة ص ٣٨٤ - ٣٨٥، وابن عراق الكناني، في تنزيه الشريعة، ١/٣٨٥ وابن العجلوني في كشف الخفاء ٢/٣٦٣ - ٣٦٤.

(٣) اسم: ساقطة من (أ) ، (ب) .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥/٦٦

(٤) بعد كلمة الحدث يوجد سقط طويل في (ح) ، (ي) ، (ر) ينتهي عند عبارة: نفعه إيمانه وإن أبغضه ص ٧٥." (١)

"الناس (١) ؛ وهو شيعي يروي عن أبيه (٢) . وعن أبي مخنف، وكلاهما متروك كذاب. وقال الإمام أحمد في هذا: " الكلبي ما ظننت (٣) أن أحدا يحدث عنه (٤) ، إنما هو صاحب سمر وشبه (٥) ". وقال الدارقطني: هو متروك. وقال ابن عدي: " هشام الكلبي الغالب عليه الأسمار، ولا أعرف له في المسند شيئا، وأبوه أيضا كذاب ". وقال زائدة والليث وسليمان التيمي (٦) : هو كذاب. وقال يحيى: " ليس بشيء (٧) كذاب ساقط ". وقال ابن حبان (٨) : " وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق (٩) في وصفه ".

النوع الثاني: ما هو صدق. وأكثر هذه الأمور لهم فيها معاذير تخرجها

---

(١) سبقت ترجمة هشام الكلبي فيما مضى ٥٩/١ وترجمته عند سزكين م [٠ - ٩] ج [٠ - ٩] ص ٥١ - ٥٧ ولم يذكر من كتبه الموجودة كتاب مثالب الصحابة، وكذلك لم يذكره الزركلي في كتابه الأعلام ٨٧/٩ وبروكلمان في تاريخ الأدب العربي ٣٠/٣ - ٣٣ ولكنهم ذكروا جميعا كتاب مثالب العرب، وذكر بروكلمان أن الكلبي تكلم على مثالب الأمويين، وذكر خبر كتابته في مثالب الأمويين الطبري في تاريخه ونقل ذلك عنه الأستاذ أحمد أمين في ضحى الإسلام ٢٧/٢ الطبعة الثالثة ١٣١٧ ١٩٥٢

(٢) انظر ما ذكره الأستاذ محب الدين الخطيب عن محمد بن السائب الكلبي في المنتقى ص ٣١٨ - ٣١٩

(٣) و: وقال الإمام أحمد بن حنبل ما ظننت.

(٤) ن، م: يروي عنه.

(٥) وشبه: ساقطة من (ن) ، (م) ، وفي (أ) ، (ب) ، (ر) : وسنب، وفي (ق) ذنوبا وشبه.

(٦) ن: سليمان والتيمي.

(٧) عبارة " ليس بشيء ": ساقطة من (ن) ، (م) .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٧٠/٥

(٨) ن، و، ر: ابن حيان.

(٩) ن، أ: الإعراف، و: الاعتراف، ح: التعريف، ق: الإغراب.." [١]

"الذين يقولون: المصيب واحد في كل مسألة أصلية وفرعية، وكل من سوى المصيب فهو آثم لأنه مخطئ، والخطأ والإثم عندهم متلازمان. وهذا قول بشر المريسي وكثير من المعتزلة البغداديين.

الثاني: أن المسائل العملية (١) إن كان عليها دليل قطعي فإن من خالفه آثم مخطئ كالعلمية، وإن لم يكن عليها دليل قطعي فليس لله فيها حكم في الباطن، وحكم الله في حق كل مجتهد ما أداه اجتهاده إليه. وهؤلاء وافقوا الأولين في أن الخطأ والإثم متلازمان (٢) ، وأن كل مخطئ آثم، لكن خالفوهم في المسائل الاجتهادية، فقالوا: ليس فيها قاطع.

والظن ليس عليه دليل عند هؤلاء، وإنما هو من جنس ميل النفوس إلى شيء دون شيء. فجعلوا الاعتقادات الظنية من جنس الإرادات، وادعوا أنه ليس في نفس الأمر [حكم مطلوب بالاجتهاد، ولا ثم في نفس الأمر] (٣) أمارة أرجح من أمارة.

وهذا القول قول أبي الهذيل العلاف ومن اتبعه كالجبائي وابنه، وهو أحد قولي الأشعري وأشهرهما، وهو اختيار القاضي أبي بكر الباقلاني، وأبي حامد الغزالي، وأبي بكر بن العربي، ومن اتبعهم، وقد بسطنا القول في ذلك بسطا كثيرا [في غير هذا الموضع] (٤) .

---

(١) ح، م: العلمية، وهو خطأ.

(٢) ن، م، و: يتلازمان.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من ن، (م) .

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .." [٢]

"لأصحابه: تعلمون والله بلاءكم من صاحب هذا القبر، يقول: مروا أبا بكر فليصل بالناس، لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر» .

وهذا كما أنه ليس لأحد *) (١) أن يقول بسبب نزول القرآن بلسان العرب (٢) اختلفت الأمة في التأويل واقتتلوا، إلى أمثال هذه الأمور التي يجعل الشر الواقع فيها بسبب ما جاء به الرسول ؛ فإن هذا كله باطل،

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥/٨٢

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥/٨٥

وهو من كلام الكفار.

قال تعالى عن الكفار الذين قالوا (٣) لرسلهم: ﴿قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم – قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون﴾ [سورة يس ١٨ – ١٩] .

وقال عن قوم فرعون: ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله﴾ [سورة الأعراف ١٣١] .

وقال لما ذكر الأمر بالجهاد وأن من الناس من يبطئ عنه ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا – ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [سورة النساء ٧٨ – ٧٩] .

---

(١) ما بين النجمتين ساقط من (و) .

(٢) ن، م، ر، ي: بسبب نزول القرآن ونزوله بلسان **العرب**، ح: بسبب نزول القرآن ونزوله بلسان الأعراب.

(٣) و: أنهم قالوا.." (١)

"وهم يكذبون على الحجاج وغيره أنه قتل الأشراف، ولم يقتل الحجاج هاشميا قط، مع ظلمه وغشمه ; فإن عبد الملك نهاه عن ذلك، وإنما قتل ناسا من أشراف **العرب** غير بني هاشم، وقد تزوج هاشمية، وهي بنت عبد الله بن جعفر، فما مكنه بنو أمية من ذلك، وفرقوا بينه وبينها وقالوا: ليس الحجاج كفوا لشريفة هاشمية.

وكذلك من كان (١) بالشام من الرافضة الذين لهم كلمة أو سلاح يعينون الكفار من المشركين ومن النصارى (٢) أهل الكتاب على المسلمين، على قتلهم وسبيهم وأخذ أموالهم.

والخوارج ما عملت من هذا شيئا، بل كانوا هم (٣) يقاتلون الناس، لكن ما كانوا يسلطون الكفار من المشركين وأهل الكتاب على المسلمين.

---

(١) ن: وكان كذلك من كان.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٣٨/٥

(٢) ن: والنصارى.

(٣) هم: في (ن) ، (م) ، (أ) فقط.." [١]

"يشترط لها دوام الطهارة دون ابتدائها، وقوله: إن النجاسة تزول بكل ما يزيلها، وهذا أحد الأقوال الثلاثة في مذهب أحمد ومذهب مالك، وكذلك قوله بأنها تطهر بالاستحالة.

ومثل قول مالك بأن الخمس مصرفه مصرف الفيء، وهو قول في مذهب أحمد، فإنه عنه روايتان في خمس الركاز (١) : هل يصرف مصرف الفيء أو مصرف الزكاة (٢) ؟ وإذا صرف مصرف الفيء فإنما هو تابع لخمس الغنيمة.

ومثل قوله بجواز أخذ الجزية من كل كافر جازت معاهدته، لا فرق بين العرب والعجم، ولا بين أهل الكتاب وغيرهم، فلا يعتبر قط أمر النسب، بل الدين (٣) في الذمة والاسترقاق وحل الذبائح والمناكح، وهذا أصح الأقوال في هذا الباب، وهو أحد القولين في مذهب أحمد ؛ فإنه لا يخالفه إلا في أخذ الجزية من مشركي العرب، ولم يبق من مشركي العرب أحد بعد نزول (٤) آية الجزية، بل كان جميع مشركي العرب قد أسلموا.

ومثل قول مالك: إن أهل مكة يقصرون الصلاة بمنى وعرفة، وهو قول في مذهب أحمد وغيره.

ومثل مذهبه في الحكم بالدلائل (٥) والشواهد، وفي إقامة الحدود

---

(١) أ: الزكاة.

(٢) ن، م: الفيء والزكاة.

(٣) أ، ر، ح، ي: الذين.

(٤) بعد عبارة " بعد نزول " توجد ورقة ناقصة من مصورة (م) .

(٥) ن: ومثل حكمه بالدلائل.." [٢]

"صوابا فهو مما جاء به الرسول عن الله، فهو من الله، وإن كان خطأ فالله لم يبعث الرسول بخطأ، فهو من نفسه ومن الشيطان، لا من الله ورسوله.

والمقصود بالإضافة إليه (١) الإضافة إليه من جهة إلاهيته، من جهة الأمر والشرع والدين، وأنه يحبه

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٥٦/٥

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٧٩/٥

ويرضاه، ويثيب فاعله عليه. وأما من جهة الخلق، فكل الأشياء منه. والناس لم يسألوا الصحابة عما من الله خلقا وتقديرا، فقد علموا أن كل ما وقع فمنه. **والعرب** كانت في جاهليتها تقر بالقضاء والقدر. قال ابن قتيبة وغيره: ما زالت **العرب** في جاهليتها وإسلامها مقرة بالقدر (٢) . وقد (٣) قال عنترة:

يا عبل أين من المنية مهرب ... إن كان ربي في السماء قضاها

وإنما كان سؤال الناس عما من الله من جهة أمره ودينه وشرعه الذي يرضاه ويحبه ويثيب أهله.

وقد علم الصحابة أن ما خالف الشرع والدين فإنه يكون من النفس والشيطان، وإن كان بقضاء الله وقدره، وإن كان يعفي عن صاحبه، كما يعفي عن النسيان والخطأ.

ونسيان الخير يكون من الشيطان كما قال تعالى: ﴿وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ [سورة الأنعام: ٦٨] .

وقال فتى موسى - صلى الله عليه وسلم: ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره﴾ [سورة الكهف: ٦٣]

وقال: ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ [سورة يوسف: ٤٢] .

---

(١) ر، ح، ي، ب: والمقصود هنا بالإضافة إليه.

(٢) ب فقط: مقرة بالقضاء والقدر.

(٣) وقد: ساقطة من (ن) .." [(١)]

"الذي أمرهم بالنفاق ولم يكن ظاهرا حتى يخلو (١) معهم، ويقول: إنا معكم، لا سيما إذا كانوا يظنون أنهم على حق.

كما قال تعالى: ﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾ [سورة البقرة: ١٣] ، ولو علموا أن الذي يأمرهم (٢) بذلك شيطان لم يرضوه.

وقد قال الخليل بن أحمد: كل متمرد عند **العرب** شيطان. وفي اشتقاقه قولان أصحهما أنه من شطن يشطن إذا بعد عن الخير، والنون أصلية. قال أمية بن أبي الصلت في صفة سليمان عليه السلام:

أيما شاطن (٣) عصاه عكاه ثم يلقى في السجن والأغلال (٤) عكاه: أوثقه. وقال النابغة:

نأت بسعاد عنك نوى شطون ... فبانت والفؤاد بها رهين (٥) ولهذا قرنت به (٦) اللعنة ؛ فإن اللعنة هي البعد من الخير، والشيطان بعيد من الخير، فيكون وزنه: فيعالا، وفيعال (٧) نظير فعال، وهو من صفات

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٨٣/٥

المبالغة، مثل القيام والقوام. فالقيام فيعال، والقوام فعال، ومثل العياذ والعواذ (٨) . وفي قراءة عمر: الحي القيام.

---

(١) أ، ر: حتى يخلو.

(٢) ن: أمرهم.

(٣) و، أ: شيطان.

(٤) البيت في تفسير الطبري ط. المعارف ١١٢/١ وهو في ديوانه تحقيق د. عبد الحفيظ السطلي ص ٤٤٥

(٥) في ديوان النابغة تحقيق الدكتور شكري فيصل ص ٢٥٦

(٦) ح: قارنته، ر: قرنته.

(٧) وفيعال: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٨) و: العياد والعواد، أ: العباد والقواد.." [1]

"فالشيطان المتصف بصفة ثابتة قوية في كثرة البعد عن الخير، بخلاف من بعد عنه مرة وقرب منه أخرى ؛ فإنه لا يكون شيطانا. ومما يدل على ذلك قولهم: تشيطن يتشيطن شيطنة، ولو كان من شاط يشيط لقيل: تشيط يتشيط. والذي قال: هو من شاط يشيط إذا احترق والتهب، جعل النون زائدة وقال: وزنه فعلان. كما قال الشاعر:

وقد يشيط على أرماحنا البطل (١) .

وهذا يصح في الاشتقاق الأكبر الذي يعتبر فيه الاتفاق في جنس الحروف، كما يروى عن أبي جعفر أنه قال: العامة مشتق من العمى، ما رضي الله أن يشبههم (٢) بالأنعام حتى قال: ﴿بل هم أضل سبيلا﴾ وهذا كما يقال السرية مأخوذة من السر، وهو النكاح. ولو جرت على القياس لقيل: سريرة (٣) فإنها على وزن فعيلة (٤) . ولكن العرب تعاقب بين الحرف المضاعف والمعتل، كما يقولون: تقضى البازي وتقضض. قال الشاعر:

تقضي البازي إذا (٥) البازي كسر (٦) ومنه قوله تعالى: ﴿فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه﴾ [سورة البقرة: ٢٥٩] ، وهذه الهاء تحتمل أن تكون أصلية فجزمت بلم، ويكون من سانهت، وتحتمل أن تكون

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٨٩/٥

هاء السكت، كالهاء من كتابيه

---

(١) البيت للأعشى في ديوانه ط. جابر ص ٤٠ وصدره: قد نطعن العير في مكنون فائله.

(٢) أ، و: أن شبههم.

(٣) أ: سرية.

(٤) ن، أ، ر: فعلية.

(٥) ن، و، ح: إن.

(٦) البيت للعجاج في ديوانه ط. د. عزة حسن ص [٠ - ٩] ٨." (١)

"و " حسابيه " و " اقتده " و " ماليه " و " سلطانيه ". وأكثر القراء يثبتون الهاء وصلا ووقفا، وحمزة والكسائي يحذفانها من الوصل هنا ومن " اقتده " فعلى قراءتهما يجب أن تكون هاء السكت، فإن الأصلية لا تحذف، فتكون لفظة: " لم يتسن "، كما تقول: لم يتغن، وتكون مأخوذة من قولهم: تسنى يتسنى. وعلى الاحتمال الآخر تكون من: تسنه يتسنه، والمعنى واحد. قال ابن قتيبة: أي لم يتغير بمر السنين عليه. قال: واللفظ مأخوذ من السنه، يقال (١) : سانهت النخلة إذا حملت عاما. وحالت عاما فذكر ابن قتيبة لغة من جعل الهاء أصلية، وفيها لغتان: يقال: عاملته مسانهة ومساناة. ومن الشواهد لما ذكره ابن قتيبة قول الشاعر:

فليست بسنهاء ولا رجبية (٢)

ولكن عرايا (٣) في السنين الجوائح (٤) يمدح النخلة، والمقصود مدح صاحبها بالجود، فقال: إنه (٥) يعريها لمن يأكل ثمرها، لا يرجبها (٦) لتخلية (٧) ثمرها (٨) ول ا هي بسنهاء (٩) .

والمفسرون من أهل اللغة يقولون في الآية: معناه: لم يتغير. وأما لغة من قال: إن أصله سنوة فهي مشهورة، ولهذا يقال في جمعها: سنوات،

---

(١) م، ر، ي: يقول، ح، ب: تقول.

(٢) و: ولا رحبيه، ب، ر: ولا رحيية، وفي سائر النسخ: ولا عربية.

(٣) ن، م، و، أ: عرابا.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٩٠/٥

(٤) أ: الحوايج، وذكر ابن منظور البيت في اللسان كما أثبته هنا، وقال إن لبعض الأنصار وهو سويد بن الصامت.

(٥) أ: بالجود وأنه.

(٦) أ، ر، ي، ح: لا يرجيها.

(٧) أ، ر: لتحلية، و: لنحليته.

(٨) و: الثمرة.

(٩) أ: ولا هي منها.." [1]

"المقالة عرف فسادها، فكان في ذلك نهي عما فيها من المنكر والباطل.

وكذلك إذا عرف رد هؤلاء على أولئك (١) ، فإنه أيضا يعرف ما عند أولئك من الباطل، فيتقي الباطل الذي معهم. ثم من بين الله له الذي جاء به الرسول: إما بأن يكون قولا ثالثا خارجا عن القولين، وإما بأن يكون بعض قول هؤلاء وبعض قول هؤلاء، وعرف أن هذا هو الذي كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وعليه دل الكتاب والسنة كان الله قد أتم عليه النعمة، إذ هداه الصراط المستقيم، وجنبه صراط أهل البغي والضلال.

وإن لم يتبين له، كان امتناعه من موافقة هؤلاء على ضلالهم، وهؤلاء على ضلالهم، نعمة في حقه، واعتصم بما عرفه من الكتاب والسنة مجملا، وأمسك عن الكلام في تلك المسألة، وكانت من جملة ما لم يعرفه ؛ فإن الإنسان لا يعرف الحق في كل ما تكلم الناس به، وأنت تجدهم يحكون أقوالا متعددة في التفسير وشرح الحديث في مسائل الأحكام، بل **والعربية** والطب وغير ذلك، ثم كثير من الناس يحكي الخلاف ولا يعرف الحق.

وأما الخلاف الذي بين الفلاسفة فلا يحصيه أحد لكثرته ولتفرقهم (٢) ، فإن الفلسفة التي (٣) عند المتأخرين كالفارابي وابن سينا ومن نسج على منوالهما هي فلسفة أرسطو وأتباعه، وهو صاحب التعاليم: المنطق، والطبيعي، وما بعد الطبيعة (٤) . والذي (٥) يحكيه الغزالي

---

(١) ح: على هؤلاء.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٩١/٥

(٢) ح، و، ب: وتفرقهم.

(٣) التي: ساقطة من (ب) فقط.

(٤) أ، ب: وما بعد الطبيعي، ح، و: وما بعد الطبيعية.

(٥) ن، م: هو الذي.." [(١)]

"وقال: ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا﴾ [سورة المزمل: ١٩] .

[وقال] (١) : ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما﴾ [سورة الإنسان: ٣٠] .

وقال: ﴿فمن شاء ذكره - وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾ [سورة المدثر: ٥٥ - ٥٦] .

وقد أمرنا أن نقول في الصلاة: ﴿اهدنا الصراط المستقيم - صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ [سورة الفاتحة: ٦ - ٧] .

والذين أنعم الله عليهم: هم (٢) المذكورون في قوله - تعالى -: ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾ [سورة النساء: ٦٩] .

والإنعام المطلق إنما يدخل فيه المؤمنون، فدل ذلك على [أن] الطاعة (٣) الحاصلة من المؤمنين هو الذي أنعم بها، ولو كانت نعمته عليهم كنعمته على الكفار لكان الجميع من المنعم عليهم، أهل الصراط المستقيم.

وقوله تعالى: ﴿غير المغضوب عليهم﴾ [سورة الفاتحة: ٧] صفة لا استثناء (٤) ؛ لأنه خفض " غير " كما تقول العرب: إني لأمر بالصادق غير

---

(١) وقال: في (ح) ، (ب) فقط

(٢) هم: ساقطة من (ح) ، (ب)

(٣) ن: فدل ذلك على الطاعة، م: فدل ذلك إنما الطاعة

(٤) ن، م: صفة الاستثناء." [(٢)]

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥/٢٨٢

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥/٣٠٦

"الذي يحبه الله.

ومعلوم أن الله إذا خلق شخصا أعظم من شخص، وأكبر منه في بعض الصفات: إما في جسمه، وإما في قوته، و [إما في] عقله (١) ، وذكائه ونحو ذلك، لم يكن هذا مبغضا، فإن هذا ليس باختيار العبد، بل هذا خلق فيه بغير اختياره، بخلاف ما إذا كان هو متكبرا على غيره، بذلك أو بغيره، فيكون هذا من عمله الذي يمقته الله عليه، كما قال لإبليس: ﴿فما يكون لك أن تتكبر فيها﴾ [سورة الأعراف: ١٣] .

كذلك من خلقه الله حسن اللون معتدل القامة جميل الصورة، فهذا ليس من عمله الذي يحمد عليه أو يذم، أو يثاب (٢) أو يعاقب (٣) ويحبه الله ورسوله عليه أو يبغضه [عليه، كما أنه إذا كان أسود أو قصيرا، أو طويلا ونحو ذلك، لم يكن هذا من عمله الذي يحمد عليه أو يذم، ويثاب أو يعاقب (٤) ، ويحبه الله ورسوله عليه أو يبغضه] (٥) ؛ ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى» " (٦) .

ولهذا [لما] (٧) كان المنافقون لهم جمال في الصورة] وليس في

---

(١) ن، م: قوته وعقله.

(٢) ب فقط: ويثاب.

(٣) ن، م، ر، ي: ويعاقب.

(٤) ي، و، ر: ويذم ويثاب ويعاقب.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

(٦) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤/٦٠٦

(٧) لما: ساقطة من (ن) ، (م) .." [1]

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥/٣٢٠

"فقال لهم جمهور الناس: هذا القول مخالف لصريح المعقول وصحيح المنقول، فإنا نعلم بالاضطرار أن معنى آية الكرسي ليس هو معنى آية الدين، ولا معنى: ﴿قل هو الله أحد﴾ ، هو معنى: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ ، وقد عرب الناس التوراة فوجدوا فيها معاني ليست هي المعاني التي في القرآن، ونحن نعلم قطعا أن المعاني التي أخبر الله بها في القرآن في قصة بدر وأحد والخندق ونحو ذلك، لم ينزلها الله على موسى بن عمران، كما لم ينزل على محمد تحريم السبت، ولا الأمر بقتال عباد العجل، فكيف يكون كل كلام الله معنى واحدا (١) ؟ ! .

ونحن نعلم بالاضطرار أن الكلام معانيه وحروفه تنقسم إلى خبر وإنشاء، والإنشاء منه الطلب، والطلب ينقسم إلى أمر ونهي، وحقيقة الطلب غير حقيقة الخبر، فكيف لا تكون هذه أقسام الكلام وأنواعه، بل هو موصوف بها كلها؟ ! .

(* وأيضا فالله تعالى يخبر أنه [لما] (٢) أتى موسى الشجرة ناداه، فناداه في ذلك الوقت، لم يناده في الأزل، وكذلك قال: ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة *) (٣) اسجدوا لآدم﴾) . [سورة الأعراف: ١١] .

وقال: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ [سورة آل عمران: ٥٩] .

وقال: ﴿وإذ قال ربك للملائكة﴾ [سورة البقرة: ٣٠] إلى مواضع كثيرة من

---

(١) ن: بمعنى واحد.

(٢) لما ساقطة من (ن) .

(٣) ما بين النجمتين ساقط من (م)." (١)

"القرآن تبين أنه تكلم بالكلام المذكور في ذلك الوقت، فكيف يكون أزليا أبديا، ما زال ولا يزال؟ ! وكيف يكون لم يزل ولا يزال؟ ! قائلا: ﴿يانوح اهبط بسلام منا﴾ [سورة هود: ٤٨] ، ﴿ياعيسى إني متوفيك ورافعك إلي﴾ [سورة آل عمران: ٥٥] ، يا موسى: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا﴾ [سورة طه: ١٤]

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥/٤١٨

، ﴿ياأيها المزمل – قم الليل إلا قليلا﴾ [سورة المزمل: آية ١ – ٢] .

وقال هؤلاء: هذا القرآن **العربي** ليس هو كلام الله. وقال هؤلاء: كلام الله لا يتعدد ولا يتبعض.

فقال لهم الناس: موسى لما كلمه الله أفهمه كلامه كله أو بعضه؟ إن قلتم: كله ؛ فقد صار موسى يعلم علم الله، وإن قلتم: بعضه ؛ فقد تبعض، وهو عندكم واحد لا يتبعض.

وكذلك هذا القرآن **العربي** هو عندكم ليس كلام الله، ولكنه عبارة عنه، أفهو عبارة عن كله؟ فهذا ممتنع أم عن بعضه؟ فهذا ممتنع أيضا، إلى كلام آخر يطول ذكره هنا.

وقال الحزب الثاني لما رأوا فساد هذا القول:، بل نقول: إن القرآن قديم، وإنه حروف، أو حروف وأصوات، وإن هذا القرآن **العربي** كلام الله، كما دل على ذلك القرآن والسنة وإجماع المسلمين.

وفي القرآن مواضع كثيرة تبين أن هذا المنزل هو القرآن، وهو كلام الله، وأنه **عربي**.

وأخذوا يشنعون على أولئك إنكارهم (١) أن يكون هذا كلام الله ؛ فإن

---

(١) ن، م، ب: بإنكارهم.." (١)

"أولئك أثبتوا قرآنين: قرآنا قديما، وقرآنا مخلوقا. فأخذ هؤلاء يشنعون على أولئك بإثبات قرآنين.

فقال لهم أولئك: فأنتم إذا جعلتم القرآن **العربي** – وهو قديم – كلام الله، لزم أن يكون مخلوقا، وكنتم موافقين للمعتزلة ؛ فإن قولكم: إن القرآن **العربي** قديم. ممتنع في صرائح العقول، ولم يقل ذلك أحد من السلف، ونحن وجميع الطوائف ننكر عليكم هذا القول، ونقول: إنكم ابتدعتموه وخالفتم به المعقول والمنقول، وإلا فكيف تكون السين المعينة المسبوقة بالباء المعينة قديمة أزلية (١) ، وتكون الحروف المتعاقبة قديمة، والصوت (٢) الذي كان في هذا الوقت قديما؟ ! .

ولم يقل هذا أحد من الأئمة الأربعة ولا غيرهم، وإن كان بعض المتأخرين من أصحاب مالك والشافعي وأحمد يقولونه، ويقوله ابن سالم وأصحابه (٣) ، وطائفة من أهل الكلام والحديث ؛ فليس في هؤلاء أحد من السلف، وإن كان الشهرستاني ذكر في " نهاية الإقدام " أن هذا قول السلف والحنابلة، فليس هو قول السلف، ولا قول أحمد بن حنبل، ولا أصحابه القدماء، ولا جمهورهم.

فصار كثير من هؤلاء الموافقين للسالمية، وأولئك الموافقين للكلابية، بينهم منازعات ومخاصمات، بل وفتن، وأصل ذلك قولهم جميعا: إن

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥/٤١٩

(١) ن: قديمة وأزلية.

(٢) و، ر، ي: أو الصوت.

(٣) سبق الكلام عن السالمية ١/١٥٦." (١)

"وأبي البركات وغيرهما، وأنه (١) يوجد من كلامهم أنفسهم (٢) ، ومن رد بعضهم على بعض، ما يبين أن ما ذكروه من تقسيم الصفات اللازمة للموصوف إلى هذه الأقسام الثلاثة تقسيم باطل، إلا إذا جعل ذلك باعتبار ما في الذهن من الماهية، لا باعتبار ماهية موجودة في الخارج.

وكذلك ما فرعوه على هذا من أن الإنسان مركب من الجنس والفصل، فإن هذا التركيب (٣) ذهني لا حقيقة له في الخارج، وتركبه من الحيوان والناطق من جنس تركبه من الحيوان والضاحك، إذا جعل كل من الصفتين (٤) لازما ملزوما، وأريد الضاحك بالقوة والناطق بالقوة (٥) .

وأما إذا قيل: [في الخارج] (٦) الإنسان مركب من هذا وهذا. فإن أريد به أن الإنسان موصوف بهذا وهذا، فهذا (٧) صحيح، وكذلك (٨) إذا فرق بين الصفات اللازمة للإنسان، التي لا يكون إنسانا إلا بها، كالحيوانية والناطقية، والضاحكية، وبين ما يعرض لبعض الناس، كالسواد والبياض، **والعربية** والعجمية، فهذا صحيح.

أما إذا قيل: هو مركب من صفاته اللازمة له، وهي أجزاء له، وهي

(١) ن: فإنه.

(٢) ح، ب: بأنفسهم.

(٣) و: المركب.

(٤) ح، ر، و: الصنفين.

(٥) ن: وبالناطق بالقوة، وهو تحريف، وسقطت العبارة من (م) .

(٦) في الخارج: ساقطة من (ن) .

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٢٠/٥

(٧) ن: فهو.

(٨) ح، ر، ب، ي: وهكذا.." [١]

"الله: [أن] (١) لا ترغبوا عن آبائكم، فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم (٢) ، ألا إن (٣) رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " «لا تطروني كما أطرت النصاري عيسى (٤) ابن مريم، وقولوا: عبد الله ورسوله» " ثم إنه بلغني أن قائلا منكم (٥) يقول: والله، لو مات عمر لبايعت (٦) فلانا، فلا يغترن امرؤ أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة (٧) فتمت (٨) ، ألا وإنها قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها، وليس فيكم (٩) من تقطع الأعناق إليه مثل

---

(١) أن في (ب) والبخاري فقط.

(٢) البخاري: عن آبائكم أو إن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم.

(٣) ب: ألا وإن، البخاري ألا ثم إن.

(٤) البخاري كما أطري عيسى، م: لا تطروني إطراء النصارى عيسى.

(٥) أن قائلا منك: كذا في (ب) والبخاري وفي (ح) ، (ر) ، (ي) : أن قائلا فيكم، وفي (ن) ، (م) : أن فلانا فيكم وفي هامش (ي) كتب ما يلي: " وقال بعض العلماء: إن آية الرجم التي نسخت: قوله تعالى: والشيخ والشيخة إذا زنيا فراجموهم ألبتة. وقد أبقى الله في كتابه نظيرها وهو قوله تعالى: ويدرؤ عنها العذاب [سورة النور: ٨] .

(٦) البخاري: بايعت.

(٧) قال ابن حجر في شرحه للحديث فتح الباري ١٤٧/١٢: " أي: فجأة وزنه ومعناه "، ثم قال (فتح الباري ١٤٩/١٢) : " الفلتة الليلة التي يشك فيها: هل هي من رجب أو شعبان، وهل من المحرم أو صفر؟ كان العرب لا يشهرون السلاح في الأشهر الحرم، فكان من له ثأر تربص، فإذا جاءت تلك الليلة انتهز الفرصة من قبل أن يتحقق انسلاخ الشهر فيتمكن ممن يريد إيقاع الشر به وهو آمن فيترتب على ذلك الشر الكثير، فشبه عمر الحياة النبوية بالشهر الحرام، والفلتة بما وقع من أهل الردة، ووقى الله شر ذلك ببيعة أبي بكر لما وقع منه من النهوض في قتالهم وإخماد شوكتهم، كذا قال (ابن الأعرابي) والأولى أن يقال: الجامع بينهم، انتهاز الفرصة، لكن كان ينشأ عن أخذ الثأر الشر الكثير فوقى الله المسلمين شر ذلك ".

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٥٥/٥

(٨) البخاري: وتمت.

(٩) البخاري: منكم (وفى قراءة فيه: فيكم) .." [١]

"فلما جلسنا قليلا تشهد خطيبهم، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر (١) المهاجرين رهط وقد دفت دافة (٢) من قومكم، [فإذا هم] (٣) يريدون أن يختزلونا (٤) من أصلنا وأن يحضنونا (٥) من الأمر، فلما سكت أردت (٦) أن أتكلم، وكنت زورت (٧) مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحد، فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك (٨) . فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر، فكان هو أحلم مني وأوقر. والله، ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها، حتى سكت. فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف (٩) هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط **العرب**

---

(١) ح، ر، ي، ب: معاشر.

(٢) قال ابن حجر: " وقد دفت دافة من قومكم، بالدال المهملة والفاء: أي عدد قليل، وأصله من الدف، وهو السير البطيء في جماعة ".

(٣) فإذا هم: في (ب) والبخاري فقط.

(٤) قال ابن حجر: " يختزلونا: بخاء معجمة وزاي: أي يقتطعونا عن الأمر وينفردوا به دوننا، وقال أبو زيد: خزلته عن حاجته: عوقته عنها، والمراد هنا بالأصل: ما يستحقونه من الأمر ".

(٥) ح، ر، ي: أن يجتثونا، والكلمة غير منقوطة في (ن) ، (م) ، قال ابن حجر: " وأن يحضنونا بحاء مهملة وضاء معجمة، وقع في رواية المستملي: أي يخرجونا، قاله أبو عبيد، وهو كما يقال: حضنه واحتضنه عن الأمر: أخرجه في ناحية عنه واستبد به أو حبسه عنه.

(٦) ح، ر، ي، ن: وأردت.

(٧) قال ابن حجر: " قد زورت، بزاي ثم راء: أي هيأت وحسنت، وفي رواية مالك: رويت من الروية ضد البديهة ".

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٧٣/٥

(٨) قال ابن حجر: على رسلك: بكسر الراء وسكون المهملة ويجوز الفتح أي: على مهلك بفتحتين.

(٩) ن، ح، ر، ي: ولن نعرف.." (١)

"[سورة الزمر: ٣٠] ، وقال: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين﴾ [سورة آل عمران: ١٤٤] قال: فنشج الناس يبكون، واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا: منا أمير، ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله، ما أردت بذلك إلا أني هيأت كلاما قد أعجبني، خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله، لا نفعل منا أمير، ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا. ولكنا الأمراء، وأنتم الوزراء. هم أوسط **العرب** دارا، **وأعربهم** (١) أحسابا، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك أنت. فأنت سيدنا وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس. فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة (٢) . فقال عمر: قتله الله (٣) ".

وفي صحيح البخاري عن عائشة في هذه القصة قالت (٤) : " ما كان (٥) من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها، لقد خوف عمر الناس، وإن فيهم

---

(١) ن، م، ب: وأرفعهم.

(٢) ر، ح، ي: قتلتم سعدا، ب: قتلتم والله سعدا.

(٣) جاء خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في البخاري في عدة أحاديث في: ٧١/٢ \ ٧٢ كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت. .)

(٤) البخاري ٧/٥ بعد الحديث السابق مباشرة.

(٥) البخاري: فما كانت.." (٢)

"ولا كان أحد من الصحابة يتكلم بحضرة النبي - صلى الله عليه وسلم - قبله، فيأمر وينهى، ويخطب ويفتي، يوقره النبي - صلى الله عليه وسلم - على ذلك راضيا بما يفعل.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٧٥/٥

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٧٩/٥

ولم يكن ذلك تقدما بين يديه، بل بإذن منه قد علمه، وكان ذلك معونة للنبي – صلى الله عليه وسلم – وتبليغا عنه، وتنفيذا لأمره ؛ لأنه كان أعلمهم بالرسول وأحبهم (١) إلى الرسول وأتبعهم له.

وأما قول الرافضي: إنه لما أنفذه ببراءة رده بعد ثلاثة أيام، فهذا من الكذب المعلوم أنه كذب ؛ فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – لما أمر أبا بكر على الحج، ذهب كما أمره، وأقام الحج في ذلك العام، عام تسع، للناس ولم يرجع إلى المدينة حتى قضى الحج، وأنفذ فيه ما أمره به النبي – صلى الله عليه وسلم – ، فإن المشركين كانوا يحجون البيت، وكانوا يطوفون بالبيت عراة، وكان بين النبي – صلى الله عليه وسلم – وبين المشركين عهود مطلقة، فبعث أبا بكر وأمره أن ينادي: «أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان» ، فنادى بذلك من أمره أبو بكر بالنداء ذلك العام، وكان علي بن أبي طالب من جملة من نادى بذلك في الموسم بأمر أبي بكر، ولكن لما خرج أبو بكر أردفه النبي – صلى الله عليه وسلم – بعلي بن أبي طالب لينبذ إلى المشركين العهود.

قالوا: وكان من عادة العرب أن لا يعقد العهود ولا يفسخها إلا المطاع، أو رجل من أهل بيته. فبعث عليا لأجل فسخ العهود التي كانت مع المشركين خاصة، لم يبعثه لشيء آخر، ولهذا كان علي يصلي خلف

---

(١) ح، ر، ي: وأخصهم.." (١)

"في الله (١) ، فما برحت شكيمته في ذات الله تعالى تشتد (٢) ، حتى اتخذ بفنائه مسجدا (٣) ، يحيي فيه ما أمات المبطلون. وكان – رحمه الله – غزير الدمعة، وقيذ الجوانح (٤) ، شجي النشيج (٥) ، فتتقصف عليه نسوان مكة وولدانها (٦) ، يسخرون منه ويستهزئون به (الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) [سورة البقرة: ١٥] فأكبرت ذلك رجالات قريش فحنت له قسيها (٧) ، وفوقت له سهامها (٨) ، وانتبلوه غرضا (٩) ، فما فلوا له

---

(١) الرياض النضرة، المنتقى: استشرى في دينه، الطنطاوي: في دين الله، وفي رواية في الرياض النضرة: استشرى في الله تعالى، استشرى: أي جد وقوي واهتم وألح.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٩٣/٥

(٢) تشتد في (ب) ، والمنتقى فقط. والشكيمة: الأنفة والإباء.

(٣) قال الأستاذ محب الدين الخطيب (المنتقى ص ٣٦٥) : تشير إلى المسجد الذي أقامه أبوها رضي الله عنهما في ساحة منزله بمكة قبل الهجرة فكان من أعظم وسائل الدعاية للإسلام.

(٤) وقيذ الجوانح: كذا في (ب) ، المنتقى، الرياض النضرة، (أبو بكر الصديق) للطنطاوي، وفي سائر النسخ: وقيذ الجوارح، والمعنى: محزون القلب، قال المحب الطبري: حتى كأن الحزن صيره لا حراك به. من الوقذ: وهو الضرب حتى يصير المضروب لا حراك به.

(٥) الشجو: الحزن، والشجي: المحزن، والنشيج: الصوت الذي يتردد في الحلق، أرادت كأنه يحزن من يسمعه يقرأ لأن في صوت بكائه رقة وحنان.

(٦) فتنقصف عليه. . . إلخ: كذا في (ب) ، المنتقى، وفي (ن) : انفضت إليها، وفي (م) : فانفضت إليه، وفي (ح) ، (ر) ، (ي) فانقضت إليه، وفي لسان العرب: وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه: كان يصلي ويقرأ فتتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، أي: يزدحمون.

(٧) القسي: جمع قوس، وفي اللسان: فحنت لها قوسها أي وترت؛ لأنها إذا وترتها عطفتها، ويجوز أن تكون: حنت مشددة، يريد صوتت.

(٨) فوق السهم: موضع الوتر منه، وفوقت سددت.

(٩) ح، ر، ي: وانبتلوا عرضا، ن، ب: وانتثلوه غرضا، والمثبت من (م) ، المنتقى، وفي الرياض النضرة، الطنطاوي: وامتثلوه غرضا، وفي رواية في الرياض النضرة: فانتثلوه عرضا، ولعل الصواب ما أثبته، والمعنى: أي: اتخذوه هدفا لنبالهم.." (١)

"صفاة (١) ، ولا قصفوا له قناة، ومر على سيسائه (٢) ، حتى إذا ضرب الدين بجرانه (٣) ، وألقى بركه (٤) ، ورست (٥) أوتاده، ودخل الناس فيه أفواجا، ومن كل فرقة أرسالا وأشتاتا (٦) ، اختار الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم - ما عنده. فلما قبض الله نبيه نصب الشيطان رواقه (٧) ، ومد طنبه (٨) ، ونصب حبائله (٩) ، فظن رجال أن قد تحققت أطماعهم، ولات (١٠) حين الذي يرجون، وأنى والصديق بين أظهرهم، فقام حاسرا مشمرا، فجمع حاشيته ورفع قطريه (١١) ، فرد (١٢) نشر الإسلام على غره (١٣) ، ولم شعثه

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٤٤/٦

(١) ن، م: فما فاصواله صفاة، وهو تحريف، والمعنى: أنهم عجزوا عن أن يكسروا له حجرا، والصفاة: صخرة ملساء.

(٢) سيساء الظهر من الدواب: مجتمع وسطه، وهو موضع الركوب.

(٣) الجران: باطن العنق: أي: قر قراره واستقام، وذلك أن البعير إذا برك واستراح مد عنقه على الأرض.

(٤) البرك: الصدر.

(٥) ورست: أي: وثبتت.

(٦) أرسالا: جمع رسل وهو في الأصل القطيع من الإبل والغنم، فاستعير للجماعة من الناس وأشتاتا: متفرقين.

(٧) الروق والرواق: ما بين يدي البيت.

(٨) الطنب: الحبل الذي تشد به أطراف الخيمة.

(٩) أي مصايده: واحدها حبالة بكسر الحاء.

(١٠) لات: كلمة معناها ليس، وقيل: إنها " لا " زيدت عليها التاء.

(١١) في جميع النسخ: ورفع فطرته، والذي أثبته قراءة في الرياض النضرة، وقال المحب الطبري في شرحه: وقطرا الشيء: جانباه، وكتبها الأستاذ محب الدين الخطيب " وضم قطريه " وقال: صححناها من النهاية لابن الأثير.

(١٢) ن، م: ورد.

(١٣) على غره: كذا في (ب) ، وفي سائر النسخ، على **عرب**، (ح: **عربه**) ، ويقال: طوى الثوب على غره الأول، أي كما كان مطويا، والمراد أنه أعاده إلى حالته التي كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.." (١)

"بطبه (١) ، وأقام أوده بثقافه (٢) ، فدق (٣) النفاق بوطأته، وانتاش الدين فمنعه (٤) ، فلما أراح الحق على أهله (٥) ، وقرر (٦) الرءوس على كواهلها، وحقن الدماء في أهبها (٧) ، أتته منيته، فسد ثلمه (٨) بنظيره (٩) في الرحمة، وشقيقه في السيرة والمعدلة، ذاك (١٠) ابن الخطاب، [لله] (١١) أم حملت به (١٢) ، [ودرت عليه] (١٣) ، لقد أوحدت (١٤) به، ففنخ الكفرة وديخها (١٥) ، وشرد الشرك (١٦) شذر مذر (١٧) ، وبعج الأرض وبخعها (١٨) ،

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٤٥/٦

(١) ن، م: بطنه. ر، الرياض النضرة: بطيه، ولم شعثه، جمع ما تفرقه من أمره.

(٢) ب: بثفاقه، وهو خطأ مطبعي، والأود: العوج: والثقاف: تقويم المعوج.

(٣) فدق: كذا في (ح) ، وفي (ن) ، (م) : فاندفر وفي (ر) ، (ي) فاندقر، وفي (ب) ، المنتقى: فوقذ. وفي الرياض النضرة: امذقر، ولعل الصواب ما أثبته.

(٤) فمنعه: كذا في (ح) ، (ر) ، وفي (ن) ، (م) : فنغه، وفي (ي) : فنعه، وفي (ب) : فنعشه، وفي المنتقى، الرياض: بنعشه، وانتاش الدين: تناوله واستنقذه وانتشله.

(٥) ن، م: فلما راح الحق إلى أهله، ح، ر، ي: فلما زاح الحق إلى أهله، والمثبت من (ب) ، المنتقى، الرياض، والمعنى: رد الحق إلى أهله.

(٦) ن، م: وقرت.

(٧) جمع إهاب، وهو الجلد قبل الدبغ.

(٨) ثلمة: كذا في (ب) ، المنتقى وفي سائر النسخ: ثلمته.

(٩) ن، م: بنظره.

(١٠) ح، ر، ي: ذلك.

(١١) لله: ساقطة من (ن) ، (م) .

(١٢) ب، المنتقى: حفلت له.

(١٣) ودرت عليه: ساقطة من (ن) ، (م) .

(١٤) ن، ر، ي: أوجدت.

(١٥) ب، المنتقى: فقبح الكفر، والمثبت من سائر النسخ، (أبو بكر) للطنطاوي، وفنخ الكفرة: أي أذلهم، وديخها: أي دوخها وقهرها.

(١٦) ن، م: الكفر.

(١٧) شذر مذر: أي في كل جهة.

(١٨) ح، ر: ونجعها، ب، م: وبجعها، والمثبت من (ي) ، (ن) : المنتقى، وفي لسان **العرب** وفي

حديث عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت عمر رضي الله عنه فقالت: وبخع الأرض فقاءت أكلها: أي قهر أهلها وأذلهم واستخرج ما فيها من الكنوز وأموال الملوك.." (١)

"عبد الله بن عمر، وليس له من (١) الأمر شيء، فإن أصابت الخلافة سعدا، وإلا فليستعن به من ولي، فإني لم أعزله عن (٢) عجز ولا خيانة ". ثم قال (٣) : " أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله تعالى، وأوصيه بالمهاجرين الأولين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم (٤) : أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم: أن يقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار [خيرا] (٥) ، فإنهم ردء الإسلام، وغيظ العدو، وجباة الأموال، لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضى منهم، وأوصيه بالأعراب خيرا، فإنهم أصل **العرب**، ومادة الإسلام: أن يؤخذ منهم من حواشي (٦) أموالهم فترد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله ورسوله أن يوفى لهم بعهدهم، ويقاتل من وراءهم (٧) ، ولا يكلفوا إلا طاقتهم ".

فقد وصى (٨) الخليفة من بعده بجميع أجناس الرعية السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وأوصاه بسكان الأمصار من المسلمين،

---

(١) ن، م: في.

(٢) ح، م، ب: من.

(٣) في البخاري ٥/١٧

(٤) ن: من ديارهم بغير حق وأموالهم.

(٥) خيرا: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٦) ر، ي: أن يؤخذ من حواشي، ح: أن يأخذ من حواشي، ب: أن يأخذ منهم من حواشي.

(٧) ن، م: من دونهم.

(٨) ب: أوصى.." (٢)

"وكذلك قول القائل: إنه علم (١) أن عليا وعثمان لا يجتمعان على أمر، كذب [على عمر - رضي الله عنه -] (٢) . ولم يكن بين عثمان وعلي نزاع في حياة عمر أصلا، بل كان أحدهما أقرب إلى صاحبه

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٤٦/٦

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٦٠/٦

من سائر الأربعة إليهما (٣) ، [كلاهما] (٤) من بني عبد مناف. وما زال بنو عبد مناف يدا واحدة، حتى أن أبا سفيان بن حرب أتى عليا عقب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وطلب منه أن يتولى الأمر، لكون علي كان ابن عم أبي سفيان، وأبو سفيان كان (٥) فيه بقايا من جاهلية **العرب**، يكره أن يتولى على الناس رجل من غير قبيلته، وأحب أن تكون الولاية في بني عبد مناف.

وكذلك خالد بن سعيد كان غائبا، فلما قدم تكلم مع عثمان وعلي وقال: أرضيتم أن يخرج الأمر عن بني عبد مناف؟

وكل من يعرف الأمور العادية، ويعرف ما تقدم من سيرة القوم، يعلم أن بني هاشم وبني أمية كانوا في غاية الاتفاق في أيام النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبي بكر وعمر، حتى أن أبا سفيان لما خرج من مكة عام الفتح يكشف الخبر، ورآه العباس، أخذه وأركبه خلفه، وأتى به النبي صلى الله عليه وسلم، وطلب من النبي أن يشرفه بشيء لما قال له: إن

---

(١) إنه علم: ساقطة من (ح) .

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) .

(٣) إليهما: كذا في (ب) فقط، وفي سائر النسخ: إليه.

(٤) كلاهما: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٥) كان: ساقطة من (ح) ، (ر) ، (م) .." (١)

"أبا سفيان [رجل] (١) يحب الشرف (٢) . وكل هذا من محبة العباس لأبي سفيان وبني أمية؛ لأنهم كلهم بنو عبد مناف.

وحتى أنه كان بين علي وبين رجل آخر (٣) من المسلمين منازعة في حد، فخرج عثمان في موكب فيهم معاوية ليقفوا على الحد، فابتدر معاوية وسأل عن معلم من معالم الحد: هل كان هذا على عهد عمر؟ فقالوا: نعم (٤) . فقال: لو كان هذا ظلما لغيره عمر. فانتصر معاوية لعلي في تلك الحكومة، ولم يكن علي حاضرا، بل كان قد وكل ابن جعفر. وكان [علي] (٥) يقول: " إن للخصومات قحما (٦) ، وإن الشيطان يحضرها " وكان قد وكل عبد الله بن جعفر عنه في المحاكمة.

وبهذا احتج الشافعي وغير واحد من الفقهاء على جواز التوكيل في الخصومة بدون اختيار الخصم، كما هو

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٦٨/٦

مذهب الشافعي، و [أصحاب] أحمد (٧) وأحد القولين في مذهب أبي حنيفة.
فلما رجعوا ذكروا ذلك لعلي، فقال: أتدري لم فعل ذلك معاوية؟

---

(١) رجل: ساقطة من (ن) .
(٢) سبق الكلام على هذا الخبر فيما مضى ٥/٤٣٤ وهو كلام ذكره العباس للنبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن.
(٣) آخر زيادة في (ن) ، (م) .
(٤) ح: فقالوا لا نعلم، وهو تحريف.
(٥) علي: ساقطة من (ن) ، (م) .
(٦) في لسان العرب: والقحم: الأمور العظام التي لا يركبها كل أحد وللخصومة قحم، أي: أنها تقحم بصاحبها على ما لا يريده، وفي حديث علي كرم الله وجهه: أنه وكل عبد الله بن جعفر بالخصومة، وقال: إن للخصومة قحما، وهي الأمور العظام الشاقة، واحدتها قحمة.
(٧) ن، م: الشافعي وأحمد.." (١)

"بعض. فقيل: لا يجب القود إلا على المباشر خاصة. وهو قول أبي حنيفة. وقيل: إذا كان السبب قويا وجب على المباشر والمتسبب كالمكره والمكره، وكالشهود بالزنا والقصاص إذا رجعوا وقالوا: تعمدنا. وهذا مذهب الجمهور كمالك والشافعي وأحمد. ثم إذا أمسك واحد وقتله الآخر، فمالك يوجب القود على الممسك والقاتل (١) ، وهو إحدى الروايتين عن أحمد. والرواية الأخرى: يقتل القاتل ويحبس (٢) الممسك حتى يموت، كما روي عن ابن عباس. وقيل: لا قود إلا على القاتل، كقول أبي حنيفة والشافعي. وقد تنازعوا أيضا في الآمر الذي لم يكره، إذا أمر من يعتقد أن القتل محرم، هل يجب القود على الآمر؟ على قولين.
وأما الردء فيما يحتاج فيه إلى المعاونة كقطع الطريق، فجمهورهم على أن الحد يجب على الردء والمباشر جميعا. وهو قول أبي حنيفة ومالك وأحمد. وكان عمر [بن الخطاب] (٣) يأمر بقتل الربيئة (٤) وهو

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦/١٦٩

الناطور (٥) لقطاع الطريق.

---

(١) ح، ب: والمباشر.

(٢) ن، م: ويمسك.

(٣) بن الخطاب: ليست في (ن) ، (م) .

(٤) ح: الرئية، ن، م: الرئية بدون نقط، وفي لسان العرب: ربأ القوم يربؤهم ربأ، وربأ لهم: اطلع لهم على شرف، وربأتهم أي رقبتهم، وذلك إذا كنت لهم طليعة فوق شرف، والربيئة الطليعة.

(٥) ب فقط: الناظور: وفي اللسان: الناطر والناطور، من كلام أهل السواد: حافظ الزرع والتمر والكرم، قال بعضهم: وليست بعربية محضة، وقال أبو حنيفة، هي عربية وفي اللسان أيضا: والناظر: الحافظ، وناظور الزرع والنخل وغيرهما: حافظه، والطاء نبطية.." (١)

"وأعلم من فيهم وأدين مشرك يعبد الكواكب والأوثان وغايته أن يكون ساحرا أو كاهنا، له رئي (١) من الجن، وفيهم من الشرك والفواحش ما هم به شر من الكهان الذين يكونون في العرب.

فلا يشك عاقل أن استيلاء مثل هؤلاء على بلاد الإسلام، وعلى أقارب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بني هاشم، كذرية العباس وغيرهم، بالقتل وسفك الدماء وسبي النساء واستحلال فروجهن، وسبي الصبيان واستعبادهم، وإخراجهم عن دين الله إلى الكفر، وقتل أهل العلم والدين من أهل القرآن والصلاة، وتعظيم بيوت الأصنام - التي يسمونها البذخانات (٢) والبيع والكنائس - على المساجد، ورفع المشركين وأهل الكتاب من النصارى وغيرهم على المسلمين، بحيث يكون المشركون (٣) وأهل الكتاب أعظم عزا، وأنفذ كلمة، وأكثر حرمة من المسلمين، إلى أمثال ذلك مما لا يشك عاقل أن هذا أضر على المسلمين من قتال بعضهم بعضا، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا رأى ما جرى (٤) على أمته من هذا، كان كراهته (٥) له، وغضبه منه، أعظم من كراهته (٦) لاثنين مسلمين تقاتلا على الملك، ولم يسب

---

(١) ن: رأي، م: ري.

(٢) ن: البدخاناه، م: البدخان.

(٣) ساقط من (ب) فقط، وفي (ن) ، (م) بحيث يكون المشركين، إلخ، وهو خطأ ظاهر.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦/٢٧٩

(٤) ن، م: ما يجري.

(٥) ن، ب: كراهيته.

(٦) ن، ب: كراهيته.." (١)

"لا قرشي ولا أنصاري، فإن من نازع أولا من الأنصار لم تكن منازعته للصديق، بل طلبوا أن يكون منهم أمير ومن قريش أمير.

وهذه منازعة عامة لقريش، فلما تبين لهم أن هذا الأمر في قريش قطعوا المنازعة، وقال لهم الصديق: " رضيت لكم أحد هذين الرجلين: عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجراح (١) " قال عمر: فكنت والله أن أقدم فتضرب عنقي، لا يقربني ذلك (٢) إلى إثم، أحب إلي من أن أتأمر (٣) على قوم فيهم أبو بكر " وقال له بمحضر الباقين: " أنت خيرنا وأفضلنا وأحبنا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " وقد ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة (٤) .

ثم بايعوا أبا بكر من غير طلب منه ولا رغبة بذلت لهم (٥) ولا رهبة، فبايعه الذين بايعوا الرسول تحت الشجرة، والذين بايعوه ليلة العقبة، والذين بايعوه لما كانوا يهاجرون إليه، والذين بايعوه لما كانوا يسلمون من غير هجرة، كالطلقاء وغيرهم.

ولم يقل أحد قط: إني أحق بهذا من أبي بكر، ولا قاله أحد في أحد بعينه: إن فلانا أحق بهذا الأمر من أبي بكر.

وإنما قال من فيه أثر جاهلية عربية أو فارسية: إن بيت الرسول أحق

---

(١) ب: وأبي عبيدة.

(٢) ن، ب: لا يقربني من ذلك، وهو خطأ.

(٣) م: أن أمر.

(٤) انظر ذلك في حديث السقيفة الذي سبق فيما مضى ١/٥٣٦، ٢/٥٠

(٥) ب: بذلتهم، وهو تحريف.." (٢)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦/٣٧٣

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦/٤٥٥

"بالولاية. لكون (١) **العرب** [كانت] في جاهليتها (٢) تقدم أهل بيت الرؤساء، وكذلك الفرس يقدمون أهل بيت الملك.

فنقل عمن نقل عنه كلام يشير به إلى هذا، كما نقل عن أبي سفيان (٣) . وصاحب هذا الرأي لم يكن (٤) له غرض في علي ؛ بل كان العباس عنده بحكم رأيه أولى من علي، وإن قدر أنه رجح عليا، فلعلمه (٥) بأن الإسلام يقدم الإيمان والتقوى على النسب، فأراد أن يجمع بين حكم الجاهلية والإسلام.

فأما الذين كانوا لا يحكمون إلا بحكم الإسلام المحض، وهو التقديم بالإيمان والتقوى، فلم يختلف منهم اثنان في أبي بكر، ولا خالف أحد من هؤلاء (٦) ولا من هؤلاء في أنه ليس في القوم أعظم إيمانا وتقوى (٧) من أبي بكر، فقدموه مختارين له مطيعين، فدل ذلك (٨) على كمال إيمانهم وتقواهم، واتباعهم لما بعث الله به نبيهم من تقديم الأتقى فالأتقى، وكان ما اختاره الله لنبيهم (٩) - صلى الله عليه وسلم - ولهم أفضل لهم، والحمد لله على أن هدى هذه الأمة، وعلى أن جعلنا من أتباعهم.

---

(١) ب: لأن.

(٢) ب: في جاهليتها كانت. وسقطت كانت من (ن) .

(٣) في جميع النسخ: عن أبي عثمان، وأرجو أن يكون الصواب ما أثبته.

(٤) عبارة " لم يكن " ساقطة من (م) .

(٥) ب: فعله، وهو تحريف، وفي (ن) ، (م) : فعلمه، وأرجو أن يكون الصواب ما أثبته.

(٦) م: أحد لأمره من هؤلاء.

(٧) م: أو تقوى.

(٨) ذلك: ساقطة من (ب) .

(٩) ب: لنبيه.." (١)

"بهذا حتى رفعت بضبعي (١) ابن عمك وفضلته علينا، وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه (٢) . وهذا منك (٣) أم من الله؟ قال النبي - صلى الله عليه وسلم - والله (٤) الذي لا إله إلا هو هو من أمر الله (٥) ، فولى الحارث (٦) يريد راحلته، وهو يقول: اللهم إن كان هذا هو الحق (٧) من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦/٤٥٦

(٨) من دبره فقتله، وأنزل (٩) الله تعالى: ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ . ﴿للكافرين ليس له دافع من الله﴾ » [سورة المعارج: ١ – ٣] . وقد روى هذه الرواية النقاش من علماء الجمهور في تفسيره ".

والجواب من وجوه: أحدها: أن هذا أعظم كذبا وفرية من الأول، كما سنبينه – إن شاء الله تعالى –. وقوله: " اتفقوا على نزولها في علي " أعظم كذبا مما قاله في تلك الآيه. فلم يقل لا هذا ولا ذاك أحد من العلماء، الذين يدرون ما يقولون.

---

(١) ن، م: بضعى، س: بضع، وفي لسان **العرب**: الضبع بسكون الباء: وسط العضد بلحمه يكون للإنسان وغيره، وقيل: العضد كلها، وقيل: الإبط، وقيل: ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاه، تقول: آخذ بضبعيه، أي: بعضديه.

(٢) ك: فهذا علي مولاه.

(٣) ك: فهذا شيء منك.

(٤) ك: فقال: والله.

(٥) ن: هن من أمر الله، ك ص ١٥٠ م: إنه من أمر الله، س، ب: أمر الله.

(٦) ك: الحارث بن النعمان.

(٧) م: إن كان هو الحق، ك: إن كان ما يقول محمد حقا، وسقطت (من عندك) .

(٨) ك: فخرج.

(٩) ك: فأنزل.." (١)

"وأما ما (١) يرويه أبو نعيم في " الحلية " أو في " فضائل الخلفاء " والنقاش والثعلبي والواحدي ونحوهم في التفسير، فقد (٢) اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن فيما (٣) يروونه كثيرا من الكذب الموضوع، واتفقوا على أن هذا الحديث المذكور الذي رواه الثعلبي في تفسيره (٤) هو من الموضوع، وسنبين أدلة يعرف بها أنه (٥) موضوع، وليس [الثعلبي] (٦) من أهل العلم * بالحديث.

ولكن المقصود هنا أنا نذكر قاعدة فنقول: المنقولات فيها كثير من الصدق وكثير من الكذب * (٧) ، والمرجع في التمييز بين هذا وهذا إلى أهل علم الحديث (٨) ، كما نرجع إلى النحاة في الفرق بين نحو **العرب** ونحو غير **العرب** (٩) ، ونرجع إلى علماء اللغة فيما هو من اللغة وما ليس من اللغة، وكذلك علماء

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٣/٧

الشعر والطب وغير ذلك، فلكل علم رجال يعرفون به،

---

(١) س، ب: وما.

(٢) س، ب: قد.

(٣) ن، م، س: أن ما.

(٤) سبقت ترجمة أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧ فيما مضى ٢٧/٢ وذكرت هناك أن تفسيره " الكشف والبيان " في تفسير القرآن " غير مطبوع. وانظر عنه أيضا: " طبقات المفسرين " للداودي ٦٥/١ - ٦٦، " معجم المؤلفين " ٦٠/٢، وذكر بروكلمان في مقالته عن الثعلبي في دائرة المعارف الإسلامية، عن تفسير الثعلبي: وقد نقده ابن الجوزي فيما رواه ابن تغري بردي لأنه أخذ فيه بالروايات الضعيفة وخاصة في السور الأولى. وانظر البداية والنهاية ٤٠/١٢ حيث يقول ابن كثير: وكان كثير الحديث واسع السماع، ولهذا يوجد في كتبه من الغرائب شيء كثير.

(٥) أنه ساقط من (م) .

(٦) الثعلبي: ساقطة من جميع النسخ، وبها يتم الكلام.

(٧) ما بين النجمتين ساقط من (م) .

(٨) إلى علم أهل الحديث، س، ب: إلى علم الحديث.

(٩) س، ب: وغير نحو **العرب**.." (١)

"ولهذا لما اختصره أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي - وكان أعلم بالحديث والفقه منه، والثعلبي أعلم بأقوال المفسرين -[ذكر البغوي عنه أقوال المفسرين] (١) والنحاة وقصص الأنبياء، فهذه الأمور نقلها البغوي من الثعلبي، وأما الأحاديث فلم يذكر في تفسيره شيئا من الموضوعات التي رواها الثعلبي، بل يذكر الصحيح منها ويعزوه إلى البخاري وغيره، فإنه مصنف كتاب " شرح السنة " وكتاب " المصابيح " وذكر ما في الصحيحين والسنن، ولم يذكر الأحاديث التي تظهر لعلماء الحديث أنها موضوعة، كما يفعله غيره من المفسرين، كالواحدي صاحب الثعلبي، وهو أعلم **بالعربية** منه، وكالزمخشري وغيرهم من المفسرين الذين يذكرون من الأحاديث ما يعلم أهل الحديث أنه موضوع (٢) . الثاني: أن هذا الحديث موضوع عند أهل المعرفة بالحديث، ولهذا لم يذكره علماء الحديث في كتبهم التي يعتمد في الحديث عليها، كالصحاح

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٤/٧

والسنن والمسانند (3) ، مع أن في بعض هذه (٤) ما هو ضعيف، بل ما يعلم أنه كذب، لكن هذا قليل جدا. وأما هذا الحديث (٥) وأمثاله فهو أظهر كذبا من أن يذكروه في مثل ذلك. الثالث: أن يقال: الآية باتفاق الناس هي في المساجد (٦) ، كما قال:

---

(١) ما بين المعقوفتين في (م) فقط، وسقط من (ن) ، (س) ، (ب) .

(٢) انظر ما ذكرته عن البغوي فيما سبق ٤٥٧/١

(٣) م: والمسانيد

(٤) س، ب: هذا.

(٥) لم أجد هذا الحديث.

(٦) انظر تفسير آية ٣٦ من سورة النور في تفسير الطبري وابن كثير وزاد المسير، وتفسير الفخر الرازي ٣/٢٤." (١)

"الوجه الرابع: أن تفسير الآية الذي في الصحيحين عن ابن عباس يناقض ذلك. ففي الصحيحين عن سعيد بن جبير قال: سئل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾ [سورة الشورى: ٢٣] ، فقلت: أن لا تؤذوا (١) محمدا في قرابته. فقال ابن عباس: عجلت، إنه لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيهم قرابة، فقال: لا أسألكم عليه أجرا، لكن [أسألكم] أن تصلوا (٢) القرابة التي بيني وبينكم (٣) . فهذا ابن عباس ترجمان القرآن، وأعلم أهل البيت بعد علي، يقول: ليس معناها مودة ذوي القربى، لكن معناها: لا أسألكم يا معشر **العرب** ويا معشر قريش عليه أجرا، لكن أسألكم أن تصلوا القرابة التي بيني وبينكم، فهو سأل الناس الذين أرسل إليهم أولا أن يصلوا رحمه، فلا يعتدوا عليه حتى يبلغ رسالة ربه (٤) .

---

(١) ن: ألا تؤذوا، م: إلا أن تؤذوا.

(٢) ن، س: لكن تصلوا، ب: لكن أن تصلوا.

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢٥/٤ - ٢٦

(٤) قال ابن الجوزي في (زاد المسير) ٢٨٤/٧ - ٢٨٥: ثم في المراد بقرابته قولان: أحدهما: علي

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٩١/٧

وفاطمة وولداها، وقد رووه مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم " وقال محقق الكتاب تعليقا على ذلك: " قال السيوطي في (الدر) ٦/٧: أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه بسند ضعيف من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية: " قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى " قالوا: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وولداها. وقد ذكره الحافظ ابن حجر في (تخريج الكشاف) وقال: في سنده حسين الأشقر ضعيف ساقط. قال: وقد عارضه ما هو أولى منه ؛ ففي البخاري من رواية طاوس عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآية، فقال: سعيد بن جبير: قربى لآل محمد صلى الله عليه وسلم. فقال ابن عباس: عجلت، إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة. . . الحديث.." (١)

"فقال له (١) : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. قال: فلما كانت عتمة الليل (٢) اجتمعوا على بابه يرصدونه متى (٣) ، ينام، فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مقامهم قال لعلي (٤) : نم على فراشي واتشح (٥) ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فنم فيه (٦) ، فإنه لن يخلص (٧) إليك شيء تكرهه منهم» . وعن محمد بن كعب القرظي (٨) قال: «لما اجتمعوا له، وفيهم: أبو جهل (٩) ، فقال وهم على بابه: إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم [من] (١٠) بعد موتكم، فجعلت لكم جنات كجنات (١١) الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت (١٢) لكم نار تحرقون فيها. قال: وخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عليهم (١٣) ، فأخذ حفنة (١٤)

---

(١) سيرة ابن هشام: جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال.

(٢) سيرة ابن هشام: عتمة من الليل.

(٣) ب: حتى.

(٤) ابن هشام: مكانهم قال لعلي بن أبي طالب.

(٥) ابن هشام: وتسج.

(٦) فيه: ساقطة من (ب) (س)

(٧) م: لا يخلص.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٧/١٠٠

(٨) ابن هشام: قال ابن إسحاق، فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال.

(٩) ابن هشام: أبو جهل بن هشام.

(١٠)) من: ساقطة من (ن) ، (س) ، (ب) ، وأثبتها من (م) ، ابن هشام.

(١١) ابن هشام: جنان كجنان.

(١٢) ابن هشام: ثم جعلت.

(١٣) سقطت عليهم من (م) ، " وفي ابن هشام ": وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١٤) ن: حفية، م: حصاة.." (١)

"وهذا اللفظ في لغة **العرب** لا يقتضي المساواة. قال تعالى في قصة الإفك: ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا﴾ [سورة النور: ١٢] ، ولم يوجب ذلك أن يكون المؤمنون والمؤمنات متساوين. وقد قال الله تعالى في قصة بني إسرائيل: ﴿فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم﴾ [سورة البقرة: ٥٤] ، أي: يقتل بعضكم بعضا، ولم يوجب ذلك أن يكونوا متساوين، ولا أن يكون من عبد العجل مساويا لمن لم يعبده. وكذلك قد قيل في قوله: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ [سورة النساء: ٢٩] أي: لا يقتل بعضكم بعضا، وإن كانوا غير متساوين. وقال تعالى: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ [سورة الحجرات: ١١] : أي لا يلمز بعضكم بعضا ؛ فيطعن عليه ويعيبه. وهذا نهي لجميع المؤمنين، أن لا يفعل بعضهم ببعض هذا الطعن والعيب، مع أنهم غير متساوين لا في الأحكام، ولا في الفضيلة ولا الظالم كالمظلوم، ولا الإمام كالمأموم. ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم﴾ [سورة البقرة: ٨٥] : أي يقتل بعضكم بعضا. وإذا كان اللفظ في قوله: ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾ كاللفظ في قوله: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ [سورة الحجرات: ١١] ، ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا﴾ [سورة النور: ١٢] ونحو ذلك، مع أن التساوي هنا ليس بواجب بل ممتنع، فكذلك هناك وأشد. بل هذا اللفظ يدل على المجانسة والمشابهة. والتجانس والمشابهة يكون بالاشتراك." (٢)

"حيث زعم أن المراد بالأنفس: المساوون، وهو خلاف المستعمل في لغة **العرب**. ومما يبين ذلك أن قوله: " نساءنا " لا يختص بفاطمة، بل من دعاه من بناته كانت بمنزلتها في ذلك، لكن لم يكن عنده إذ ذاك إلا فاطمة، فإن رقية وأم كلثوم وزينب كن قد توفين قبل ذلك. فكذلك " أنفسنا " ليس مختصا

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١١٤/٧

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٢٤/٧

بعلي، بل هذه (١) صيغة جمع، كما أن " نساءنا " صيغة جمع وكذلك " أبناءنا " صيغة جمع، وإنما دعا حسنا وحسينا لأنه لم يكن ممن ينسب إليه (٢) بالبنوة سواهما، فإن إبراهيم إن كان موجودا إذ ذاك فهو طفل لا يدعى، فإن إبراهيم هو ابن مارية القبطية التي أهداها له [المقوقس] (٣) صاحب مصر، وأهدى له البغلة ومارية وسيرين، فأعطى سيرين لحسان بن ثابت، وتسرى مارية فولدت له إبراهيم، وعاش بضعة عشر شهرا ومات، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " «إن له مرضعا في الجنة تتم إرضاعه» (٤)

---

(١) ن، س، ب: هذا.

(٢) ن، س: إليهما، وهو خطأ.

(٣) له: ساقطة من (م) ، المقوقس، ساقطة من (ن) ، (س)

(٤) رضاعه: كذا في (س) وفي سائر النسخ: رضاعته، والحديث بهذا اللفظ تقريبا عن البراء بن عازب رضي الله عنه في: (المسند ط الحلبي ٢٨٣/٤، ٢٩٧، ٣٠٤ ووجدت حديثا مقاربا عن أنس بن مالك رضي الله عنه في مسلم ١٨٠٨/٤ (كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك) ، وأوله: ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه: قال عمرو (بن سعيد وهو الراوي عن أنس) ، فلما توفي إبراهيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي، وإن له ظئرين تكملان رضاعه في الجنة ". مات في الثدي: أي مات وهو في سن رضاع الثدي، والظئر هي المرضعة ولد غيرها، والحديث في: المسند (ط الحلبي) ١١٢/٣ وجاء حديثان ضعيفان فيهما أن رضاعة إبراهيم تتم في الجنة في سنن ابن ماجه ٤٨٤/١ (كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر وفاته) .." [١]

"[فصل البرهان الحادي والعشرون " سورة هل أتى " والجواب عليه]

فصل

قال الرافضي (١) : " البرهان الحادي والعشرون: سورة هل أتى في تفسير الثعلبي من طرق مختلفة قال: «مرض الحسن والحسين (٢) ، فعادهما جدهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعامة **العرب**، فقالوا (٣) : يا أبا الحسن، لو نذرت على ولديك. فنذر صوم ثلاثة أيام، وكذا نذرت (٤) أمهما فاطمة وجاريتهم فضة، فبرئا، وليس عند آل محمد قليل ولا كثير (٥) ، فاستقرض علي ثلاثة آصع (٦) من

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٢٩/٧

شعير، فقامت فاطمة إلى صاع فطحنته، وخبزت (٧) منه خمسة أقراص، لكل واحد منهم قرصا (٨) ، وصلى علي مع النبي – صلى الله عليه وسلم – المغرب، ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه ؛ إذ أتاهم (٩) مسكين، فقال (١٠) : السلام عليكم أهل بيت محمد – صلى

---

(١) في (ك) ص ١٥٨ (م) ، ١٦٠ (م) .

(٢) ك: والحسن صلوات الله وسلامه عليهما.

(٣) ك: العرب والعجم فقال.

(٤) نذرت: ليست في (ك) .

(٥) ك: ولا كثير من الطعام.

(٦) ك: أصوع.

(٧) ك: واختبزت.

(٨) ب: قرص.

(٩) ب: فأتاهم.

(١٠)) ك: ص ١٥٩ م مسكين فوقف بالباب فقال.." (١)

"في فجر يوم الجمعة ؛ لأن فيه خلق آدم، وفيه دخل الجنة، وفيه تقوم الساعة.

وهاتان السورتان متضمنتان لابتداء خلق السماوات والأرض وخلق الإنسان إلى أن يدخل فريق الجنة وفريق النار. وإذا كانت السورة نزلت بمكة قبل أن يتزوج علي بفاطمة، تبين أن نقل (١) أنها نزلت بعد مرض الحسن والحسين من الكذب والمين.

الوجه الرابع: أن سياق هذا الحديث وألفاظه من وضع جهال الكذابين. فمنه قوله: " فعادهما جدهما وعامة العرب " فإن عامة (٢) العرب لم يكونوا بالمدينة، والعرب الكفار ما كانوا يأتونهما يعودونهما.

ومنه قوله: " فقالوا (٣) : يا أبا الحسن، لو نذرت على ولديك ". وعلي لا يأخذ الدين من أولئك العرب، بل يأخذه من النبي – صلى الله عليه وسلم – فإن كان هذا أمرا بطاعة فرسول الله – صلى الله عليه وسلم – أحق أن يأمره به من أولئك العرب، وإن لم يكن طاعة لم يكن علي يفعل ما يأمرون به. ثم كيف يقبل منهم ذلك من غير مراجعة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – في ذلك؟ !

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٧٤/٧

الوجه الخامس: أن في الصحيحين عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه «نهى عن النذر، وقال: إنه (٤) لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل» (٥) ".

---

(١) ن، م: أن من نقل.

(٢) ن: وعامة. وسقطت عبارة " فإن عامة العرب " من (م) ، (س) .

(٣) ن، س: فقال.

(٤) إنه: ساقطة من (س) ، (ب) .

(٥) الحديث مع اختلاف في الألفاظ - عن ابن عمر رضي الله عنه في البخاري ١٢٤/٨ - ١٢٥ (كتاب القدر باب إلقاء العبد النذر إلى القدر) ، ونصه فيه: نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النذر، قال: ((إنه لا يرد شيئا، وإنما يستخرج به من البخيل)) مسلم ١٢٦٠/٣ - ١٢٦١ (كتاب النذر، باب النهي عن النذر، وأنه لا يرد شيئا) وجاءت به ثلاث روايات (الأحاديث رقم ٢، ٣، ٤) منها الرواية التي ذكرها ابن تيمية، والحديث أيضا في سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه والدارمي والبيهقي ومسند أحمد، وانظر ما ذكره عنه الألباني في " إرواء الغليل " ٢٠٨/٨ - ٢٠٩ رقم ٢٥٨٥.." (١)

"[فصل البرهان الرابع والعشرون " يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين " والجواب عليه]

فصل

قال الرافضي (١) : " البرهان الرابع والعشرون: قوله تعالى: ﴿يأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ [سورة الأنفال: ٦٤] . من طريق أبي نعيم قال: نزلت في علي (٢) . وهذه فضيلة لم تحصل لأحد من الصحابة غيره، فيكون هو الإمام ".

والجواب من وجوه: أحدها: منع الصحة.

الثاني: أن هذا القول ليس بحجة.

الثالث: أن يقال: هذا الكلام (٣) من أعظم الفرية على الله ورسوله. وذلك أن قوله: ﴿حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ [سورة الأنفال: ٦٤] معناه: أن (٤) الله حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين، فهو وحده كافيك وكافي من معك (٥) من المؤمنين. وهذا كما تقول العرب: حسبك وزيدا درهم.

ومنه قول الشاعر:

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٨٠/٧

فحسبك والضحاك سيف مهند

---

(١) في (ك) ص ١٦٠ (م) ١٦١ (م) .

(٢) ك: علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٣) ن، س، ب: كلام.

(٤) أن: ساقطة من (س) ، (ب) .

(٥) م: من اتبعك.." (١)

"ظلمات بعضها فوق بعض، فظنوا أن قوله: ﴿حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ معناه: أن الله ومن اتبعك من المؤمنين حسبك، ثم جعلوا المؤمنين الذين اتبعوه هم (١) علي بن أبي طالب.

وجهلهم [في] (٢) هذا أظهر من جهلهم في الأول، فإن الأول قد يشتبه على بعض الناس، وأما هذا فلا (٣) يخفى على عاقل، فإن عليا لم يكن وحده [من الخلق] (٤) كافيا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولو لم يكن معه إلا علي لما أقام دينه. وهذا علي لم يغن عن نفسه ومعه أكثر جيوش الأرض، بل لما حاربه معاوية مع أهل الشام، كان معاوية مقاوما له أو مستظهرا، سواء كان ذلك بقوة قتال أو قوة مكر واحتيال (٥) ، فالحرب خدعة:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهي المحل الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفس مرة بلغت (٦) من العلياء كل مكان (٧) .

فإذا لم يغن عن نفسه بعد ظهور الإسلام واتباع أكثر أهل الأرض له، فكيف يغني عن الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وأهل الأرض كلهم أعداؤه؟ !

وإذا قيل: إن عليا إنما لم يغلب معاوية ومن معه لأن جيشه لا يطيعونه، بل كانوا مختلفين عليه.

---

(١) : ساقطة من (س) ، (ب) .

(٢) : في (ب) فقط.

(٣) ، م: فما.

(٤) الخلق: زيادة في (م) فقط.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٠١/٧

(٥) : واحتيار، س، ب: واختبار.

(٦) ، س، ب: فإذا هما اجتمعا لعبد مرة: بلغا.

(٧) البيتان للمتنبي في مطلع قصيدة يمدح بها سيف الدولة عند منصرفه من بلاد الروم سنة ٣٤٥ انظر: شرح ديوان المتنبي ٣٠٧/٤ وضع الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي، ط. دار الكتاب **العربي**، بيروت.." (١)

"قيل: فإذا كان من معه من المسلمين لم يطيعوه، فكيف يطيعه الكفار الذين يكفرون بنبيه وبه؟ !

وهؤلاء الرافضة يجمعون بين النقيضين ؛ لفرط جهلهم وظلمهم: يجعلون عليا أكمل الناس قدرة وشجاعة، حتى يجعلوه هو الذي أقام دين الرسول، وأن الرسول كان محتاجا إليه. ويقولون مثل هذا الكفر، إذ يجعلونه (١) شريكا لله في إقامة دين محمد، ثم يصفونه بغاية العجز والضعف والجزع والتقية بعد ظهور الإسلام وقوته ودخول الناس فيه أفواجا (٢) .

ومن المعلوم قطعا أن الناس بعد دخولهم في دين الإسلام أتبع للحق منهم قبل دخولهم فيه، فمن كان مشاركا لله في إقامة دين محمد، حتى قهر الكفار وأسلم الناس، كيف لا يفعل هذا في قهر طائفة بغوا عليه، هم أقل من الكفار (٣) الموجودين عند بعثة الرسول، وأقل منهم شوكة، وأقرب إلى الحق منهم؟ !

فإن الكفار حين بعث الله محمدا كانوا أكثر ممن نازع عليا وأبعد عن الحق، فإن أهل الحجاز والشام واليمن ومصر والعراق وخراسان والمغرب كلهم كانوا كفارا، ما بين مشرك وكتابي ومجوسي وصابئ، ولما مات النبي - صلى الله عليه وسلم - كانت جزيرة **العرب** قد ظهر فيها الإسلام، ولما قتل عثمان كان الإسلام قد ظهر في الشام ومصر والعراق وخراسان والمغرب.

فكان أعداء الحق عند موت النبي - صلى الله عليه وسلم - أقل منهم

---

(١) ن، م، س: الذي يجعلونه.

(٢) أفواجا: ساقطة من (س) ، (ب) .

(٣) م: فهم أقل الكفار.." (٢)

"وأيضا فكان من **العرب** من ارتد عن الإسلام، ولم يتبع متنبئا كذابا.

ومنهم قوم أقروا بالشهادتين، لكن امتنعوا من أحكامهما كمانعي الزكاة. وقصص هؤلاء مشهورة متواترة يعرفها

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٠٦/٧

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٠٧/٧

كل من له بهذا الباب أدنى معرفة.
والمقاتلون للمرتدين [هم من الذين يحبهم الله ويحبونه] (١) ، وهم أحق الناس بالدخول في هذه الآية، وكذلك الذين قاتلوا سائر الكفار من الروم والفرس. وهؤلاء أبو بكر وعمر ومن اتبعهما من أهل اليمن وغيرهم. ولهذا روي أن هذه الآية لما نزلت سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن هؤلاء، فأشار إلى أبي موسى الأشعري، وقال: " هم قوم هذا " (٢) .
فهذا أمر يعرف بالتواتر والضرورة: أن الذين أقاموا الإسلام وثبتوا عليه حين الردة، وقاتلوا المرتدين والكفار، هم داخلون في قوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [سورة المائدة: ٥٤] .
وأما علي - رضي الله عنه - فلا ريب أنه ممن يحب الله ويحبه الله، لكن ليس بأحق بهذه الصفة من أبي بكر وعمر وعثمان، ولا *كان جهاده للكفار والمرتدين أعظم من جهاد هؤلاء، ولا حصل به من المصلحة للدين أعظم * (٣) مما حصل بهؤلاء، بل كل منهم له سعي مشكور وعمل مبرور وآثار صالحة في الإسلام، والله يجزيهم عن الإسلام وأهله خير جزاء، فهم

---

(١) في جميع النسخ: ومن المقاتلين للمرتدين، وهم أحق الناس، إلخ، والكلام غير مستقيم، ولعل ما أثبته تستقيم به العبارة.
(٢) ذكر هذا الحديث الطبري في تفسيره ١٠/٤١٤ - ٤١٥ " وانظر تعليق المحقق ".
(٣) ما بين النجمتين ساقط من (م)." (١)

"دين الإسلام، ونقض عراه، وقلعه بعروشه آخرا، لكن صار يظهر منه ما يكنه (١) من ذلك، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.
وهذا معروف عن (٢) ابن سبأ وأتباعه (٣) ، وهو الذي ابتدع النص في علي، وابتدع أنه معصوم. فالرافضة (٤) الإمامية هم أتباع المرتدين، وغلمان الملحدين، وورثة المنافقين، لم يكونوا أعيان المرتدين الملحدين.
الوجه الخامس: أن يقال: هب أن الآية نزلت في علي، أيقول القائل: أنها مختصة به، ولفظها يصرح بأنهم جماعة؟ قال تعالى: ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ [سورة المائدة: ٥٤] إلى قوله: ﴿لومة لائم﴾ . أفليس هذا صريحا في أن هؤلاء ليسوا رجلا، فإن الرجل (٥) لا يسمى قوما في

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٧/٢١٨

لغة **العرب**: لا حقيقة ولا مجازا.

ولو قال: المراد هو وشيعته.

لقيل: إذا كانت الآية أدخلت مع علي غيره، فلا ريب أن الذين قاتلوا الكفار والمرتدين أحق بالدخول فيها ممن لم يقاتل إلا أهل القبلة، فلا ريب أن أهل اليمن، الذين قاتلوا مع أبي بكر وعمر وعثمان أحق بالدخول فيها من الرافضة، الذين يوالون اليهود والنصارى والمشركين، ويعادون السابقين الأولين.

فإن قيل: الذين قاتلوا مع علي كان كثير منهم من أهل اليمن.

قيل: والذين قاتلوه أيضا كان كثير منهم من أهل اليمن. فكلا

---

(١) ن، م، س: ما يمكنه.

(٢) س، ب: عند.

(٣) في جميع النسخ: ابن سينا وأتباعه، وهو تحريف، وأرجو أن يكون الصواب ما أثبته.

(٤) م: والرافضة.

(٥) ن، س، ب: فإن الواحد.." (١)

"وفي صحيح مسلم عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " «إن الله اصطفى كنانة من بني (١) إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم (٢) ، واصطفاني من بني هاشم» " (٣) . فإذا كان جملة قريش أفضل من غيرها (٤) لم يلزم أن يكون كل منهم أفضل من غيرهم، بل في سائر **العرب** وغيرهم من المؤمنين من هو أفضل من أكثر قريش، والسابقون الأولون من قريش نفر معدودون (٥) ، وغالبهم إنما أسلموا عام الفتح (٦) ، وهم الطلقاء.

وليس كل المهاجرين من قريش، بل المهاجرون من قريش وغيرهم (٧) -كابن مسعود الهذلي (٨) ، وعمران بن حصين الخزاعي، والمقداد بن الأسود الكندي - وهؤلاء وغيرهم من البدريين أفضل من أكثر بني هاشم، فالسابقون من بني هاشم: حمزة وعلي وجعفر وعبيدة بن الحارث أربعة أنفس. وأهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر، فمنهم من بني هاشم ثلاثة، وسائرهم أفضل من سائر بني هاشم.

وهذا كله بناء على أن الصلاة والسلام على آل محمد (٩) وأهل بيته تقتضي

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٧/٢٢٠

(١) ب: من ولد.

(٢) ن، م: واصطفى هاشما من قريش.

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤/٥٩٩

(٤) ن، م: من غيرهم.

(٥) نفر: ساقطة من (س) ، (ب) وفي (م) نفر متحدون.

(٦) م: يوم الفتح.

(٧) م: وغير قريش.

(٨) ب: كأبي مسعود الهذلي، وهو خطأ، م: كأبي مسعود والهذلي، وهو خطأ، وهو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٩) م: على محمد، وهو خطأ.." (١)

"أن يكونوا أفضل من سائر أهل البيوت. وهذا مذهب أهل السنة والجماعة الذين يقولون: بنو هاشم أفضل قريش، وقريش أفضل **العرب**، **والعرب** أفضل بني آدم.

وهذا هو المنقول عن أئمة السنة، كما ذكره حرب الكرماني عمن لقيهم مثل أحمد وإسحاق وسعيد بن منصور وعبد الله بن الزبير الحميدي وغيرهم.

وذهبت طائفة إلى منع التفضيل بذلك، كما ذكره القاضي أبو بكر، والقاضي أبو يعلى في " المعتمد " وغيرهما.

والأول أصح ؛ فإنه قد ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في الصحيح (١) أنه قال: " «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى هاشما من قريش، واصطفاني من بني هاشم» " (٢) . وروي: " إن الله اصطفى بني إسماعيل " وهذا مبسوط في غير هذا الموضع.

[فصل البرهان الثلاثون " مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان " والجواب عليه]

فصل

قال الرافضي (٣) : " البرهان الثلاثون: قوله تعالى: ﴿مرج البحرين يلتقيان - بينهما برزخ لا يبغيان﴾ [سورة الرحمن: ١٩ - ٢٠] (٤) .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٧/٢٤٣

(١) في الصحيح: ساقطة من (س) ، (ب) .

(٢) ن، س، ب:. . . إسماعيل واصطفى هاشما من بني كنانة، واصطفاني من بني هاشم، وهو خطأ، وسبق الحديث قبل قليل.

(٣) في (ك) ص ١٦٢ (م) ، ١٦٣ (م) .

(٤) في (ك) الآية ١٩ من سورة الرحمن فقط.." (١)

": " الثعلبي أخبرني الحسن بن محمد الدينوري، حدثنا موسى بن محمد بن علي بن عبد الله، قال: قرأ أبي على أبي محمد (١) بن الحسن بن علوية القطان من كتابه وأنا أسمع، حدثنا بعض أصحابنا، حدثنا رجل من أهل مصر يقال له طسم، حدثنا أبو حذيفة، عن أبيه، عن سفيان الثوري في قوله: ﴿مرج البحرين يلتقيان - بينهما برزخ لا يبغيان﴾ قال: فاطمة وعلي، ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ : الحسن والحسين.

وهذا الإسناد ظلمات بعضها فوق بعض، لا يثبت بمثله شيء.

ومما يبين كذب ذلك وجوه: أحدهما: أن هذا في سورة الرحمن، وهي مكية بإجماع المسلمين، والحسن والحسين إنما ولدا بالمدينة.

الثاني: أن تسمية هذين بحرين، وهذا لؤلؤا، وهذا مرجانا، وجعل النكاح مرجا - أمر لا تحتمله لغة **العرب** بوجه، لا حقيقة ولا مجازا، بل كما أنه كذب على الله وعلى القرآن، فهو كذب على اللغة (٢) .

الثالث: أنه ليس في هذا شيء زائد على ما يوجد في سائر بني آدم، فإن كل من تزوج امرأة وولد لهما ولدان * فهما من هذا الجنس، فليس في ذكر

(١) س، ب: قرأ إلى أبي محمد، وهو تحريف.

(٢) قال ابن كثير في تفسير هذه الآيات: مرج البحرين يلتقيان قال ابن عباس: أي أرسلهما، وقوله " يلتقيان " قال ابن زيد: أي منعهما أن تلتقيا بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما، والمراد بقوله " البحرين ": الملح والحلو، فالحلو هذه الأنهار السارحة بين الناس، وقد قدمنا الكلام على ذلك في سورة الفرقان عند قوله تعالى: " بينهما برزخ لا يبغيان " أي: وجعل بينهما برزخا، وهو الحاجز من الأرض لئلا

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٧/٢٤٤

يبغي هذا على هذا وهذا على هذا، " ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ " أي من مجموعهما فإذا وجد ذلك من أحدهما كفى، واللؤلؤ معروف، وأما المرجان فقيل: هو صغار اللؤلؤ ". وانظر تفسير الطبري، وزاد المسير لابن الجوزي، والدر المنثور للسيوطي.." (١)

"يرد أنهما مثلهم في كل شيء لكن فيما دل عليه السياق من الشدة في الله، واللين في الله.

وكذلك هنا إنما هو بمنزلة هارون فيما دل عليه السياق، وهو استخلافه في مغيبه كما استخلف موسى هارون، وهذا الاستخلاف ليس من خصائص علي، بل ولا هو مثل استخلافاته، فضلا عن أن يكون أفضل منها، وقد استخلف من علي أفضل منه في كثير من الغزوات، ولم تكن تلك الاستخلافات توجب تقديم المستخلف على علي إذا قعد معه فكيف يكون موجبا لتفضيله على علي؟

بل قد استخلف على المدينة غير واحد، وأولئك المستخلفون منه بمنزلة هارون من موسى من جنس استخلاف علي، بل كان ذلك الاستخلاف يكون على أكثر وأفضل ممن استخلف عليه عام تبوك، وكانت الحاجة إلى الاستخلاف أكثر فإنه كان يخاف من الأعداء على المدينة.

فأما عام (١) تبوك فإنه كان قد أسلمت **العرب** بالحجاز، وفتحت مكة، وظهر الإسلام وعز، ولهذا أمر الله نبيه أن يغزو أهل الكتاب بالشام، ولم تكن المدينة تحتاج إلى من يقاتل بها العدو، ولهذا لم يدع النبي صلى الله عليه وسلم عند علي أحدا من المقاتلة كما كان يدع بها في سائر الغزوات، بل أخذ المقاتلة كلهم معه.

وتخصيصه لعلي بالذكر هنا هو مفهوم اللقب، وهو نوعان: لقب هو جنس، ولقب يجري مجرى العلم، مثل زيد، وأنت، وهذا المفهوم

---

(١) ن، م: فأقام عام، وهو تحريف.." (٢)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٤٧/٧

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٣١/٧

"وإنما أردفه به لينبذ العهد إلى **العرب**، فإنه كان من عادتهم أن لا يعقد العقود وينبذها إلا السيد المطاع أو رجل من أهل بيته، فلم يكونوا يقبلون نقض العهود إلا من رجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.

ومما يبين ذلك أنه لو أراد أن يكون خليفة على أمته بعده لم يكن هذا خطابا بينهما يناجيه به، ولا كان أخره حتى يخرج إليه علي ويشتكي، بل كان هذا من الحكم الذي يجب بيانه، وتبليغه للناس كلهم بلفظ يبين المقصود.

، ثم من جهل الرافضة أنهم يتناقضون، فإن هذا الحديث يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخاطب عليا بهذا الخطاب إلا ذلك اليوم في غزوة تبوك، فلو كان علي قد عرف أنه المستخلف من بعده - كما رووا ذلك فيما تقدم - لكان علي مطمئن القلب أنه مثل هارون بعده وفي حياته، ولم يخرج إليه يبكي (١) ، ولم يقل له: أتخلفني مع النساء والصبيان؟

ولو كان علي بمنزلة هارون مطلقا لم يستخلف عليه أحدا، وقد كان

---

(١) عبارة " ولم يخرج إليه يبكي "، ساقطة من (م) .." [1]

"الحرب، وخرج مرحب يتعرض للحرب فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر، فقال له خذ الراية فأخذها في جمع من المهاجرين (١) (فاجتهد) (٢) ، ولم يغن شيئا، ورجع منهزما فلما كان من الغد تعرض لها عمر فسار غير بعيد، ثم رجع يخبر أصحابه (٣) ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: جيئوني بعلي، فقيل: إنه أرمد، فقال: أرونيه أروني (٤) رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله ليس بفرار، فجاءوا بعلي فتفل في يده، ومسحها على عينيه (٥) ورأسه فبرئ (٦) فأعطاه (٧) الراية ففتح الله على يديه (٨) ، وقتل مرحبا» (٩) ، ووصفه عليه السلام بهذا الوصف يدل على انتفائه عن غيره، وهو يدل على أفضليته فيكون هو الإمام.

والجواب من وجوه: أحدها: المطالبة بتصحيح النقل، وأما قوله: " رواه الجمهور "، فإن الثقات الذين رووه لم يرووه هكذا، بل الذي

---

(١) م: فأخذها فجمع المهاجرين، وهو خطأ

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٧/٣٣٦

(٢) فاجتهد: في (ك) فقط، وسقطت من سائر النسخ

(٣) ك: يجبن أصحابه ويجبنه أصحابه

(٤) ك: تروني

(٥) ن، م: عينه

(٦) س: فبرء ؛ ب: فبرأ، وفي " اللسان " " وأهل الحجاز يقولون: برأت من المرض برءا بالفتح، وسائر العرب يقولون: برئت من المرض "

(٧) ن، م: وأعطاه

(٨) م: على يديه خيبر

(٩) ن، م، س، ب: وقتل مرحب، والمثبت من (ك)." (١)

"مؤلفا محببا يعاون الناس على مصالحهم، كما قال فيه ابن الدغنة سيد القارة لما أراد أن يخرج من مكة: " مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج، فإنك تحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق ". (١)

وفي صلح الحديبية لما قال «لعروة بن مسعود: " امصص بظر اللات، أنحن نفر عنه وندعه؟ قال لأبي بكر: لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك» " (٢) .

وما عرف قط أن أحدا كانت له يد على أبي بكر في الدنيا لا قبل

---

(١) الحديث عن عائشة رضي الله عنها في: البخاري ٥/٥٨ (هذه العبارات في ص [٠ - ٩] ٨) (كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة) . وانظر الخبر في: سيرة ابن هشام ٢/١١ - ١٣. وفي تعليق المحققين: " واسم ابن الدغنة، مالك. وقد ضبطه القسطلاني بفتح الدال وكسر الغين وفتح النون مخففة، وبضم الدال وفتح النون مشددة

(٢) الحديث عن المسور بن مخرمة ومروان، يصدق كل واحد منهما صاحبه في البخاري: ٣/١٩٣ - ١٩٨ (كتاب الشروط، في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط) وهذه العبارات في ص ١٩٤ ؛ المسند (ط. الحلبي) ٤/٣٢٣ - ٣٢٦، ٣٢٨ - ٣٣١. وقال ابن حجر في " فتح الباري " ٥/٣٤٠: " قوله: امصص بظر اللات زاد ابن عائذ من وجه آخر عن الزهري - وهي - أي اللات - طاغيته التي يعبد. أي

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٧/٣٦٥

طاغية عروة وقوله: امصص، بألف وصل ومهملتين الأولى مفتوحة، بصيغة الأمر. وحكى ابن التين عن رواية القابسي: بضم الصاد الأولى، وخطأها، والبظر: بفتح الموحدة وسكون المعجمة: قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة. واللات: اسم أحد الأصنام التي كانت قريش وثقيف يعبدونها، وكانت عادة **العرب** الشتم بذلك، لكن بلفظ الأم، فأراد أبو بكر المبالغة في سب عروة بإقامة من كان يعبد مقام أمه، وحمله على ذلك ما أغضبه به من نسبة المسلمين إلى الفرار، وفيه جواز النطق بما يستبشع من الألفاظ لإرادة زجر من بدا منه ما يستحق به ذلك "." (١)

"وكذلك لو أخبرنا بأنه تولى (١) رجل بين عمر وعثمان، أو تولى بين عثمان وعلي، أو أخبرنا بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤذن له في العيد، أو في صلاة الكسوف أو الاستسقاء، أو أنه كان يقام بمدينته يوم الجمعة أكثر من جمعة واحدة، أو يصلى يوم العيد أكثر من عيد واحد، أو أنه كان يصلي العيد بمنى يوم العيد، أو أن أهل مكة كانوا يتمون الصلاة بعرفة ومزدلفة ومنى خلفه، أو أنه (٢) كان يجمع بين الصلاتين بمنى، كما كان يقصر، أو أنه فرض صوم شهر آخر غير رمضان، أو أنه فرض صلاة سادسة وقت الضحى أو نصف الليل، أو أنه فرض حج بيت آخر غير الكعبة، أو أن القرآن عارضه طائفة من **العرب** أو غيرهم بكلام يشابهه، ونحو هذه الأمور - لكنا نعلم كذب هذا الكاذب، فإنا نعلم انتفاء هذه الأمور بانتفاء لازمها، فإن هذه لو كانت مما يتوفر الهمم والدواعي على نقلها عامة لبني آدم، وخاصة لأمتنا شرعا، فإذا لم ينقله أحد من أهل العلم، فضلا عن أن تتواتر، علم أنها كذب.

ومن هذا الباب نقل النص على خلافة علي، فإنا نعلم أنه كذب من طرق كثيرة، فإن هذا النص لم ينقله أحد (من أهل العلم) بإسناد (٣) صحيح، فضلا عن أن يكون متواترا، ولا نقل أن أحدا ذكره على عهد (٤)

---

(١) م: لو أخبر بأنه توفي

(٢) ن، م، س: وأنه

(٣) ن، س، ب: لم يبلغه أحد بإسناد. .

(٤) س، ب: على جهة." (٢)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٧/٣٧٩

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٧/٤٤٠

"كما قال أبو أمامة الباهلي: " لقد فتح البلاد أقوام كانت خطم خيلهم ليفا، وركبهم العلابي " (١) رواه البخاري (٢) .

وحديث عمار من الموضوعات، وكذلك حديث سويد بن غفلة ليس مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وأما حديث الثوب الذي اشتراه فهو معروف، وحديث ضرار بن ضمرة قد روي، وليس في واحد منهما ما يدل على أنه أزهد من أبي بكر وعمر، بل من عرف المنقول من سيرة عمر وعدله وزهده، وصرفه الولايات عن أقاربه، ونقصه لابنه في العطاء عن نظيره، ولابنته في العطاء عن نظيرتها، وأكله الخشن مع كونه هو الذي قسم كنوز كسرى وقيصر، وإنما كان الذي يقسمه علي (٣) جزءا من فتوح عمر، وأنه مات وعليه ثمانون ألف درهم دينا - تبين له من وجوه كثيرة أن عمر كان أزهد من علي، ولا ريب أن أبا بكر أزهد من عمر (٤) .

فصل

قال الرافضي (٥) : " وبالجملة زهده لم يلحقه أحد فيه، ولا سبقه

---

(١) ن، م، س: العلاي. وفي " النهاية في غريب الحديث " ٣/١٢١: " العلابي جمع علباء، وهو عصب في العنق كانت العرب تشده على أجفان سيوفهم "

(٢) الأثر عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه بلفظ مختلف في: البخاري ٤/٣٩: (كتاب الجهاد، باب حلية السيوف) ونصه:. . سمعت أبا أمامة يقول: " لقد فتح الفتوح قوم ما كانت حلية سيوفهم الذهب ولا الفضة، إنما كانت حليتهم العلابي والآنك والحديد "

(٣) م: الفيء، وهو تحريف

(٤) س، ب: من عمر، والله أعلم

(٥) في (ك) ص ١٧٦ (م)." [١]

"بالمدينة، فإذا نسبنا مدة أبي بكر من حياته، وأضفنا تفري (١) علي البلاد بلدا بلدا، وكثرة سماع الناس منه إلى لزوم أبي بكر موطنه، وأنه لم تكثر حاجة من حواليه إلى الرواية عنه، ثم نسبنا عدد حديثه من عدد حديثه، وفتاويه من فتاويه، علم كل ذي حظ من علم أن الذي عند أبي بكر من العلم أضعاف ما كان

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٧/٤٩٢

عند علي منه.

وبرهان ذلك أن من عمر من الصحابة عمرا قليلا قل النقل عنه، ومن طال عمره منهم كثر النقل عنه (إلا اليسير) (٢) ممن اكتفى بنيابة (٣) غيره عنه في تعليم الناس، وقد عاش علي بعد عمر سبعة عشر عاما غير أشهر (٤) ، ومسند عمر خمسمائة حديث وسبعة وثلاثون حديثا، يصح منها نحو خمسين، كالذي عن علي سواء (٥) ، فكل ما زاد حديث علي على حديث عمر تسعة وأربعون (٦) حديثا في هذه المدة (٧) ، ولم يزد عليه في الصحيح إلا حديث أو حديثان.

وفتاوى عمر موازية لفتاوى علي في أبواب الفقه، فإذا نسبن١ مدة من مدة، وضربا في البلاد من ضرب فيها، وأضفنا حديثا إلى حديث،

---

(١) س، ب، الفصل: تقري، ن، م: الكلمة غير منقوطة. ورجحت أن يكون الصواب ما أثبته. ففي " لسان العرب " (مادة: فرا) : " فريت الأرض: إذا سرتها وقطعتها " وهذا يوافق عبارة ابن حزم

(٢) عبارة " إلا اليسير " ساقطة من جميع النسخ، وزدتها من " الفصل "

(٣) في جميع النسخ: ببيانه غيره عنه. والمثبت من " الفصل "

(٤) الفصل: غير شهر

(٥) الفصل: سواء بسواء

(٦) ن، س: بسبعة وأربعين ؛ م، الفصل: تسعة وأربعين

(٧) الفصل: المدة الطويلة." (١)

"وقد يجعلون قوى النفس التي تقتضي فعل الخير هي الملائكة، وقواها التي تقتضي الشر هي الشياطين، وأن الملائكة التي تنزل على الرسل، والكلام الذي سمعه موسى بن عمران إنما هو في نفوس الأنبياء، ليس في الخارج، بمنزلة ما يراه النائم، وما يحصل لكثير من الممرورين (١) وأصحاب الرياضة ؛ حيث يتخيل في نفسه أشكالا نورانية، ويسمع في نفسه أصواتا، فتلك هي عندهم ملائكة الله، وذلك هو كلام الله، ليس له كلام منفصل.

ولهذا يدعي أحدهم أن الله كلمه كما كلم موسى بن عمران، أو أعظم مما كلم موسى ؛ لأن موسى كلم عندهم بحروف وأصوات في نفسه، وهم يكلمون بالمعاني المجردة العقلية.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٧/٥٢٠

وصاحب " مشكاة الأنوار " و " الكتب المضنون بها على غير أهلها " (٢) وقع في كلامه قطعة من هذا النمط، وقد كفرهم بذلك في مواضع أخر، ورجع عن ذلك، واستقر أمره على مطالعة البخاري ومسلم وغيرهما.

ومن هنا سلك صاحب " خلع النعلين " ابن قسي (٣) وأمثاله، وكذلك

---

(١) ن، س، ب: الممروزين، وهو تحريف. وفي " لسان **العرب** ": " والمرارة: التي فيها المرة. والمرة: إحدى الطبائع الأربع. ابن سيده: والمرة مزاج من أمزجة البدن. . . والممرور الذي غلبت عليه المرة " ويقول ابن سينا في " الإشارات والتنبيهات " ٣، ٤/٨٧١ - ٨٧٢: " وقد يشاهد قوم من المرضى والممرورين صورا محسوسة ظاهرة حاضرة، ولا نسبة لها إلى محسوس خارج، فيكون انتقاشها إذن من سبب باطن أو سبب مؤثر في سبب باطن ".

(٢) وهو الغزالي.

(٣) هو أبو القاسم أحمد بن الحسن بن قسي، رومي الأصل، من بادية شلب، **استعرب** وتأدب وقال الشعر، ثم عكف على الوعظ وكثر مريدوه، فادعى أنه المهدي وتسمى بالإمام. ثار على دولة الملثمين واشترك في الأحداث السياسية إلى أن قتل سنة ٥٤٦ هـ. انظر ترجمته في: الحلة السيراء، ص. ١٩٩ - ٢٠٣، الأعلام ١/١١٣ - ١١٤. وكتابه " خلع النعلين " طبع ببيروت.." [1]

"تكلفه متأخرو الشعراء والخطباء، والمترسلين والوعاظ، فهذا لم يكن من دأب خطباء الصحابة والتابعين، والفصحاء منهم، ولا كان ذلك مما يهتم به (١) **العرب**.

وغالب من يعتمد ذلك يزخرف اللفظ بغير فائدة مطلوبة من المعاني، كالمجاهد الذي يزخرف السلاح وهو جبان.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/٢١

ولهذا يوجد الشاعر، كلما أمعن في المدح والهجو، خرج في ذلك إلى الإفراط في الكذب، يستعين بالتخيلات والتمثيلات (٢) .

وأيضا فأكثر الخطب التي ينقلها صاحب " نهج البلاغة "كذب على علي، وعلي – رضي الله عنه – أجل وأعلى قدرا من أن يتكلم بذلك الكلام، ولكن هؤلاء وضعوا أكاذيب وظنوا أنها مدح، فلا هي صدق ولا هي مدح. ومن قال: إن كلام علي وغيره من البشر فوق كلام المخلوق، فقد أخطأ. وكلام النبي – صلى الله عليه وسلم – فوق كلامه، وكلاهما مخلوق.

ولكن هذا من جنس كلام ابن سبعين الذي يقول: هذا كلام بشير (٣) يشبه بوجه ما كلام البشر، وهذا ينزع إلى أن يجعل كلام الله ما في نفوس البشر. وليس هذا من كلام المسلمين.

وأيضا فالمعاني الصحيحة التي توجد في كلام علي موجودة في كلام غيره، لكن صاحب " نهج البلاغة " وأمثاله أخذوا كثيرا من كلام الناس

---

(١) م: مما يتهم به. . .

(٢) ب: أو التمثيلات.

(٣) م: تبشير، ب: بشر.." (١)

"وقال بعض الجهال: إنه مد يده حتى عبر الجيش على يده بخيبر، وإنه قال للبغلة: " قطع الله نسلك " فانقطع نسلها. هذا من الكذب البين ؛ فإنه يوم خيبر لم يكن معهم بغلة، ولا كان للمسلمين بغلة على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – إلا بغلته التي أهداها له المقوقس، وذلك بعد غزوة خيبر، بعد أن أرسل إلى الأمم، وأرسل إلى ملوك الأرض (١) : هرقل ملك الشام، وإلى المقوقس ملك مصر، وإلى كسرى ملك الفرس. وأرسل إلى ملوك **العرب** (٢) مثل صاحب اليمامة وغيره.

وأيضا فالجيش لم يعبر أحد منهم على يد علي ولا غيره، والبغلة لم تزل عقيما قبل ذلك، ولم تكن قبل ذلك تلد فعقمت، ولو قدر أنه دعا على بغلة معينة لم تعم الدعوة جنس البغال.

ومثل هذا الكذب الظاهر قول بعض الكذابين: إنه لما سبي بعض أهل البيت حملوا على الجمال عرايا،

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/٥٥

فنبتت لهم سنامات من يومئذ، وهي البخاتي. وأهل البيت لم يسب أحد منهم في الإسلام، ولا حمل أحد من نسائهم مكشوف العورة، وإنما جرى هذا على أهل البيت في هذه الأزمان بسبب الرافضة، كما قد علمه الخاص والعام.

بل هذا الكذب مثل كذب من يقول: إن الحجاج قتل الأشراف، والحجاج (٣) لم يقتل أحدا من بني هاشم، مع ظلمه وفتكه بكثير من

---

(١) ن، م، س: إلى ملوك الشام ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) ن، م، س: ملك، وهو خطأ.

(٣) والحجاج: ساقطة من (ب) فقط.." [١]

"غيرهم، لكن قتل كثيرا من أشراف **العرب**، وكان الملك قد أرسل إليه أن لا يقتل أحدا من بني هاشم، وذكر له أنه لما قتل الحسين في ولاية بني حرب - يعني ملك يزيد - أصابهم شر، فاعتبر عبد الملك بذلك، فنهاه أن يقتل أحدا من بني هاشم، حتى إن الحجاج طمع أن يتزوج هاشمية، فخطب إلى عبد الله بن جعفر ابنته، وأصدقها صداقا كثيرا، فأجابه عبد الله إلى ذلك، فغضب من ذلك من غضب من أولاد عبد الملك، ولم يروا الحجاج أهلا لأن يتزوج واحدة من بني هاشم، ودخلوا على عبد الملك وأخبروه بذلك، فمنع الحجاج من ذلك، ولم يروه كفؤا لنكاح هاشمية ولا أن يتزوجها.

وبالجملة فالأحاديث التي ينقلها كثير من الجهال لا ضابط لها، لكن منها ما يعرف كذبه بالعقل، ومنها ما يعرف كذبه بالعادة، ومنها ما يعرف كذبه بأنه خلاف ما علم بالنقل الصحيح ومنها ما يعرف كذبه بطرق أخرى.

[فصل كلام الرافضي وفي غزاة الأحزاب والرد عليه]

(فصل)

قال الرافضي (١) : " وفي غزاة الأحزاب، وهي غزاة الخندق، لما فرغ النبي - صلى الله عليه وسلم - من عمل (٢) الخندق، أقبلت

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/١٠٤

(١) في (ك) ص ١٨٣ (م) - ١٨٤ (م) .

(٢) عمل: ساقطة من (س) ، (ب) .." [1]

"[فصل كلام الرافضي وفي غزوة السلسلة جاء أعرابي. . . والرد عليه]

(فصل) (١)

قال الرافضي (٢) : " وفي غزوة السلسلة جاء أعرابي فأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن جماعة من **العرب** قصدوا أن يكبسوا عليه بالمدينة (٣) ، «فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: من للوائي؟ (٤) . فقال أبو بكر: أنا له، فدفع إليه اللواء، وضم إليه سبعمائة، فلما وصل إليهم قالوا (٥) .: ارجع إلى صاحبك، فإنا في جمع كثير، فرجع (٦) ، فقال في (٧) اليوم الثاني: من للوائي؟ (٨) . فقال عمر: أنا (٩) .، فدفع إليه الراية، (* ففعل كالأول، فقال في اليوم الثالث (١٠) : أين علي؟ فقال علي: أنا ذا (١١) يا رسول الله،

---

(١) فصل: ساقطة من (س) ، (ب) .

(٢) في (ك) ص. ١٨٤ (م) - ١٨٥ (م) .

(٣) ك: أن يبيتوا النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة.

(٤) ن، م: للوادي

(٥) ك: قالوا له

(٦) في هامش (ك) : " خوفا من الهلاك. وقد قال الله تعالى: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) .

(٧) ك: فقال عليه السلام في. . .

(٨) ن، م: للوادي

(٩) ك: أنا له

(١٠) ك: فقال صلى الله عليه وآله في اليوم الثالث.

(١١) ك: أين علي بن أبي طالب - عليه السلام -؟ فقال عليه السلام: أنا ذا. . .." [2]

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٠٥/٨

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١١٥/٨

"وجعل الزبير على المجنبة اليمنى (١) .، وجعل أبا عبيدة على البياذقة (٢) ". وبطن الوادي. فقال: " «يا أبا هريرة ادع لي الأنصار» "، فجاءوا (٣) يهرولون، فقال: " «يا معشر الأنصار: هل ترون أوباش قريش؟» " قالوا: نعم. قال: " «انظروا إذا لقيتموهم غدا أن تحصدوهم حصدا» " وأحفى (٤) ". بيده، ووضع يمينه على شماله، وقال: " «موعدكم الصفا» " فما أشرف يومئذ [لهم] (٥) . أحد إلا أناموه (٦) ". . قال: فصعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الصفا، وجاءت الأنصار، فأطافوا بالصفا، فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله: أبيدت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: " «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن» ".

وفي الصحيحين (٧) . من حديث عروة بن الزبير قال: " لما سار رسول

---

(١) المجنبتان: هما الميمنة والميسرة، ويكون القلب بينهما

(٢) ن، م، س: الساقة. والمثبت من (ب) وهو في مسلم " وفي التعليق: " على البياذقة هم الرجالة. وهو فارسي معرب. . . قيل: سموا بذلك لخفتهم وسرعة حركتهم

(٣) مسلم: فدعوتهم فجاءوا. . .

(٤) ن، م، س: وأكفى. والمثبت من (ب) . وفي " مسلم ": أخفى، وهو كذلك في شرح النووي على مسلم ١٣٢/١٢ (ولم يشرحها النووي) وقال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ": " ومنه حديث الفتح: أن تحصدوهم حصدا، وأحفى بيده أي أمالها، وصفا للحصد والمبالغة في القتل

(٥) لهم: في (ب) فقط، وهي في مسلم

(٦) قال النووي ١٣٢/١٢: " أي ما ظهر لهم أحد إلا قتلوه فوقع إلى الأرض، أو يكون بمعنى: أسكنوه بالقتل كالنائم

(٧) وفي الصحيحين: كذا في جميع النسخ. ولم أجد الحديث في مسلم، وهو في: البخاري ١٤٦/٥ - ١٤٧ (كتاب المغازي، باب أين ركز النبي - صلى الله عليه وسلم - الراية يوم الفتح) وهو عن هشام عن أبيه. قال ابن حجر في فتح الباري ٦/٨: عن هشام (هو ابن عروة) عن أبيه. . . هكذا أورده مرسلا، ولم

أره في شيء من الطرق عن عروة موصولا، ومقصود البخاري منه ما ترجم به وهو آخر الحديث، فإنه موصول عن عروة عن نافع بن جبير بن مطعم عن العباس بن عبد المطلب والزبير بن العوام." (١)

"يعبروا، ثم أخبره آخر بذلك، فقال: لم (١) . يعبروا، وإنه - والله - لمصرعهم، فكان كذلك.

وأخبر بقتل نفسه الشريفة.

وأخبر شهربان بأن اللعين يقطع يديه ورجليه ويصلبه (٢) ، ففعل به معاوية ذلك.

وأخبر ميثم التمار (٣) . بأنه يصلب على باب دار عمرو بن

---

(١) ب (فقط) : لن

(٢) ن، م، س: وأخبر أن (س: بأن) شهربان اللعين يقطع يديه ورجليه ويصلبه، (ب) وأخبر بأن شهربان اللعين يقطع يداه ورجلاه ويصلب، ك: وأخبر عليه السلام جويرية بن مسهر بأن اللعين يقطع يديه ورجليه ويصلب. وأرجو أن يكون الصواب ما ذكرته. ووجدت أن الكشي قد ذكر جويرية بن مسهر العبدي في " رجاله " ص ٩٨ ط. كربلاء، بدون تاريخ وقال المعلق - السيد أحمد الحسيني -: " جويرية بضم الجيم وفتح الواو وسكون الياء وكسر الراء وفتح الياء الثاني ثم هاء. ومسهر بضم الميم وسكون السين وكسر الهاء، والعبدي نسبة إلى بني العبيد، وبنو العبيد مصغرا بطن من بني عدي بن خباب بن قضاعة. والراجح أن ابن المطهر يقصد باللعين معاوية - رضي الله عنه -. وذكره ابن حجر في " لسان الميزان " ١٨/٢ قال: وقال: " روى عن علي وعنه الحسن بن محبوب وجابر بن الحر "، كما ذكره الطوسي في رجال " الطوسي "، ص ٣٧ وقال: " جويرية بن مسهر: عربي كوفي ".

(٣) ن، س: مسمار التمار، م: مسمر التمار، ب: مسمارا التمار، ك: ميتم التمار. وذكره الكشي في " الرجال " ص ٧٤ - ٨١ وذكر أخبارا عن صلبه، وذكر المعلق في تعليقه أنه قتل قبل ورود الحسين إلى العراق بعشرة أيام. وذكره ابن حجر في " الإصابة " ٤٧٩/٣ وذكر أخبارا عن تسمية الرسول - صلى الله عليه وسلم - له ولم يذكر درجتها من الصحة، وذكر أنه أول من ألجم في الإسلام. ونقل عنه الزركلي في " الأعلام " ٢٩٤/٨ أكثر ما ذكره وحدد سنة مقتله ٦٠ هـ. وذكره الطوسي في " رجال الطوسي " ص ٧٩

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٢٤/٨

وقال المعلق: " ميثم بن يحيى أو عبد الله التمار النهرواني، حاله أشهر من أن يذكر، وقتل قبل قدوم الحسين (ع) إلى العراق بعشرة أيام وصلب بعد أن قطع لسانه "." (١)

"ردت عليه الشمس لما فاته ... وقت الصلاة وقد دنت للمغرب

حتى تبلج نورها في وقتها ... للعصر ثم هوت هوي الكوكب

وعليه قد ردت ببابل مرة ... أخرى وما ردت لخلق **معرب** (١) .

والجواب: أن يقال: فضل علي وولايته لله وعلو منزلته عند الله معلوم (٢) ، ولله الحمد، من طرق ثابتة أفادتنا العلم اليقيني، لا يحتاج معها إلى كذب ولا إلى ما لا يعلم صدقه. وحديث رد الشمس له قد ذكره طائفة، كالطحاوي، والقاضي عياض، وغيرهما، وعدوا ذلك من معجزات النبي - صلى الله عليه وسلم. لكن المحققون من أهل العلم والمعرفة بالحديث يعلمون أن هذا الحديث كذب موضوع، كما ذكره ابن الجوزي في كتاب " الموضوعات " (٣) فرواه من كتاب أبي جعفر العقيلي في الضعفاء، من طريق عبيد الله (٤) بن موسى، عن فضيل بن مرزوق، عن إبراهيم بن الحسن بن الحسن (٥) ، عن فاطمة بنت الحسين، عن أسماء بنت عميس، قالت: " «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوحى إليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس، (* فقال النبي - صلى الله عليه وسلم: صليت يا علي؟ قال: لا *) (٦) . فقال رسول الله

---

(١) ن، س، ب: مغرب وفي (ك) بعد هذه الأبيات بيت رابع هو: إلا ليوشع أو له من بعدها ولردها تأويل أمر معجب

(٢) س، ب: عند الله معلوم عند الله

(٣) (٣) ١/٣٥٥ - ٣٥٧

(٤) م: الموضوعات " عبد الله، وهو خطأ. وسيرد فيما يلي كما أثبته هنا.

(٥) ن، م: بن الحسن بن حسن، الموضوعات: بن الحسن بن الحسين. وسقطت " بن الحسن " الثانية من (ب) .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٣٢/٨

(٦) ما بين النجمتين ساقط من " الموضوعات " وموجود في " تنزيه الشريعة " " اللآلئ المصنوعة "، " الفوائد المجموعة "..." (١)

"وهذه الخوارق لا تراد لنفسها، بل لأنها وسيلة إلى طاعة الله ورسوله، فمن جعلها غاية له ويعبد لأجلها، لعبت به الشياطين، وأظهرت له خوارق من جنس خوارق السحرة والكهان. فمن كان لا يتوصل إلى ذلك إلا بها، كان أحوج إليها، فتكثر في حقه أعظم مما تكثر في حق من استغنى عنها ؛ ولهذا كانت في التابعين أكثر منها في الصحابة.

ونظير هذا في العلم: علم الأسماء واللغات: فإن المقصود بمعرفة النحو واللغة التوصل إلى فهم كتاب الله ورسوله وغير ذلك، وأن ينحو الرجل بكلامه نحو كلام **العرب**. والصحابة لما استغنوا عن النحو واحتاج إليه من بعدهم، صار لهم من الكلام في قوانين **العربية** ما لا يوجد مثله للصحابة ؛ لنقصهم وكمال الصحابة، وكذلك صار لهم من الكلام في أسماء الرجال وأخبارهم ما لا يوجد مثله للصحابة (١) ؛ لأن هذه وسائل تطلب لغيرها، فكذلك كثير من النظر والبحث احتاج إليه كثير من المتأخرين، واستغنى عنه الصحابة.

وكذلك ترجمة القرآن لمن لا يفهمه **بالعربية**، يحتاج إليه من لغته فارسية تركية ورومية، والصحابة لما كانوا **عربا** استغنوا عن ذلك.

وكذلك كثير من التفسير والغريب يحتاج إليه كثير من الناس، والصحابة استغنوا عنه.

فمن جعل النحو ومعرفة الرجال، والاصطلاحات النظرية والجدلية المعينة على النظر والمناظرة، مقصودة لنفسها، رأى أصحابها أعلم من

---

(١) (١ - ١) ساقط من (س) ، (ب) .." (٢)

"وإذا تبين هذا فيقال: إذا كان الرجل أعجميا، والآخر من **العرب**، فنحن وإن كنا نقول مجملا: إن **العرب** أفضل جملة، فقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه أبو داود وغيره: " «لا فضل **لعربي** على عجمي، ولا لعجمي على **عربي**، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض، إلا بالتقوى. الناس

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٦٥/٨

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٠٥/٨

من آدم، وآدم من تراب» " (١) .
وقال: " «إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء. الناس رجلان: مؤمن تقي، وفاجر شقي» " (٢) .
ولذلك إذا كان الرجل من أفناء **العرب** [والعجم] (٣) ، وآخر من قريش، فهما (٤) عند الله بحسب تقواهما: إن تماثلا فيها تماثلا في الدرجة عند الله، وإن تفاضلا فيها تفاضلا في الدرجة. وكذلك إذا كان رجل من بني هاشم، ورجل من الناس أو **العرب** (٥) أو العجم، فأفضلهما عند الله أتقاهما، فإن تماثلا في التقوى تماثلا في الدرجة، ولا يفضل أحدهما عند الله لا (٦) بأبيه ولا ابنه، ولا بزوجته، ولا بعمه، ولا بأخيه.

---

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤/٦٠٦

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ١/٥٢١

(٣) والعجم: زيادة في (م)

(٤) ن، م، س: فهم

(٥) ن، س، ب: ورجل من أفناء قريش أو **العرب**، وهو خطأ.

(٦) لا: ساقطة من (س) ، (ب) .." [١]

"وكونهم علموا الحق وعدلوا عنه أعظم وأعظم ؛ فإن ذلك قدح في عدالتهم، وذلك يمنع أن يكونوا خير القرون بالضرورة. ولأن القرآن أثنى عليهم ثناء (١) يقتضي غاية المدح، فيمتنع (٢) إجماعهم وإصرارهم على الظلم الذي هو ضرر في حق الأمة كلها ؛ فإن هذا ليس ظلما للممنوع من الولاية فقط، بل هو ظلم لكل من منع نفعه من ولاية الأحق بالولاية، فإنه إذا كان راعيان: أحدهما هو الذي يصلح للرعاية ويكون أحق بها، كان منعه من رعايتها يعود بنقص الغنم حقها من نفعه.
ولأن القرآن والسنة دلا على أن هذه الأمة خير الأمم، وأن خيرها أولها، فإن كانوا مصرين على ذلك، [لزم] (٣) أن تكون هذه الأمة شر الأمم، وأن لا يكون أولها خيرها.
ولأنا (٤) نحن نعلم أن المتأخرين ليسوا مثل الصحابة، فإن كان أولئك ظالمين مصرين على الظلم، فالأمة كلها ظالمة، فليست خير الأمم.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/٢٢١

وقد قيل لابن مسعود لما ذهب إلى الكوفة: من وليتم؟ قال: " ولينا أعلانا ذا فوق ولم نأل ". وذو الفوق هو السهم (٥) ، يعني أعلانا سهما في الإسلام.

فإن قيل: قد يكون أحق بالإمامة، وعلي أفضل منه.

---

(١) م: بثناء.

(٢) ن، ش، ب: فيمنع.

(٣) لزم: ساقطة من (ن) .

(٤) م: فإنا. .

(٥) في " لسان **العرب** ": " والفوق ": مشتق رأس السهم حيث يقع الوتر "..".[1]

"عثمان *) (١) ، فكان الإسلام وشرائعه في زمنهم أظهر وأوسع مما كان بعدهم.

وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " «لا يزال هذا الأمر عزيزا إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش» ".

ولفظ البخاري: " «اثني عشر أميرا» ". وفي لفظ: " «لا يزال أمر الناس ماضيا ولهم اثنا عشر رجلا» ". وفي لفظ: " «لا يزال الإسلام عزيزا إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش» " (٢) .

وهكذا كان، فكان الخلفاء: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ثم تولى من اجتمع الناس عليه وصار له عز ومنعة: معاوية، وابنه يزيد، ثم عبد الملك وأولاده الأربعة، وبينهم عمر بن عبد العزيز. وبعد ذلك حصل في دولة الإسلام من النقص ما هو باق إلى الآن ؛ فإن بني أمية تولوا على جميع أرض الإسلام، وكانت الدولة في زمنهم عزيزة (٣) ، والخليفة يدعى باسمه: عبد الملك، وسليمان، لا يعرفون عضد الدولة، ولا عز الدين، وبهاء الدين (٤) ، وفلان الدين، وكان أحدهم هو الذي يصلي بالناس الصلوات (٥) الخمس، وفي المسجد يعقد الرايات ويؤمر الأمراء، وإنما يسكن داره، لا يسكنون الحصون، ولا يحتجبون عن (٦) الرعية.

---

(١) ما بين النجمتين ساقط من (م) .

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ٥٣٣/٣ - ٥٣٤.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٢٧/٨

(٣) ن، س، ب: عربية وهو تحريف

(٤) م: ولا عز الدولة وبهاء الدولة.

(٥) س، ب: يصلي بالصلوات

(٦) ن، س، ب: على. .." [1]

"وقد تأول ابن هبيرة (١) الحديث على أن المراد أن قوانين المملكة باثني عشر، مثل الوزير والقاضي ونحو ذلك. وهذا ليس بشيء، بل الحديث على ظاهره لا يحتاج إلى تكلف.

وآخرون قالوا فيه مقالة ضعيفة، كأبي الفرج بن الجوزي وغيره. ومنهم من قال: لا أفهم معناه كأبي بكر بن العربي.

وأما مروان وابن الزبير فلم يكن لواحد (٢) منهما ولاية عامة، بل كان زمنه زمن فتنة، لم يحصل فيها من عز الإسلام وجهاد أعدائه ما يتناوله الحديث.

ولهذا جعل طائفة من الناس خلافة علي من هذا الباب. وقالوا: لم تثبت بنص ولا إجماع. وقد أنكر الإمام أحمد وغيره على هؤلاء، وقالوا: " من لم يربع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله ". واستدل على ثبوت خلافته بحديث سفينة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " «تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة ثم تكون ملكا» ". فقيل للراوي: إن بني أمية يقولون: إن عليا لم يكن خليفة. فقال: " كذبت أستاه بني الزرقاء " (٣) ، والكلام على هذه المسألة لبسطه موضع آخر.

---

(١) سمي بابن هبيرة عدة أشخاص، ولكني أرجح أن الذي يقصده ابن تيمية هو ابن هبيرة الوزير وهو يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني أبو المظفر عون الدين من كبار الوزراء في الدولة العباسية، عالم بالفقه والأدب، ولد سنة ٤٩٩ وتوفي سنة ٥٦٠، كان ابن الجوزي من تلاميذه وجمع ما استفاده منه في كتاب. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٥/٢٧٤ - ٢٨٧ شذرات الذهب ٤/١٩١ - ١٩٧ الأعلام ٩/٢٢٢

(٢) س، ب: لأحد

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ١/٥١٥، ٥٣٧.." [2]

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/٢٣٨

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/٢٤٣

"إسماعيل، ولا من العرب، وإن كانوا كذلك ؛ لأنه قصد القبيلة التي يمتازون بها، فلو امتازوا بكونهم من بني هاشم، أو من قبيل علي مع علي لذكروا بذلك، فلما جعلهم من قريش مطلقا علم أنهم من قريش، بل لا يختصون بقبيلة، بل بنو تيم (١) ، وبنو عدي، وبنو عبد شمس، وبنو هاشم، فإن الخلفاء الراشدين كانوا من هذه القبائل.

[فصل حديث المهدي كما يرويه الرافضي والرد عليه]

فصل

وأما الحديث الذي رواه (٢) : عن ابن عمر عن النبي - صلى الله عليه وسلم (٣) : " «يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي، اسمه كاسمي (٤) ، وكنيته كنيتي، يملأ الأرض عدلا (٥) كما ملئت جورا، وذلك (٦) هو المهدي» " (٧) .

فالجواب: أن الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة، رواها أبو داود، والترمذي، وأحمد، وغيرهم، من حديث ابن مسعود وغيره.

---

(١) م: بنو تميم وهو تحريف

(٢) أي ابن المطهر في (ك) ص ١٩٣ و ا لكلام التالي فيه بعض اختلاف عن (ك) كما سنذكر إن شاء الله.

(٣) ك: وقد روى ابن عمر قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله -. .

(٤) ك: اسمه اسمي

(٥) ك: قسطا وعدلا

(٦) ن، م، س: وكذلك، وهو تحريف، ك: فذلك

(٧) ك: المهدي - عليه الصلاة والسلام -. ورواه ابن الجوزي الحنبلي عن أبي داود وصحيح الترمذي.." (١)

"بقوم دون قوم، ولا مكان دون مكان، بل هو في الحشوش على هذا القول كما هو فوق العرش] (١) .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/٢٥٤

والقرآن يدل على اختصاص المعية تارة وعمومها أخرى؛ فعلم أنه ليس المراد بلفظ " المعية " اختلاطه.

وفي هذا أيضا رد على من يدعي أن ظاهر القرآن هو الحلول؛ لكن يتعين تأويله على خلاف ظاهره، ويجعل ذلك أصلا يقيس عليه ما يتأوله من النصوص.

فيقال له: قولك إن القرآن يدل على ذلك خطأ كما أن قول قرينك الذي اعتقد هذا المدلول خطأ، وذلك لوجوه.

أحدها: أن لفظ (مع) في لغة **العرب** إنما تدل على المصاحبة والموافقة والاقتران، ولا تدل على أن الأول مختلط بالثاني في عامة موارد الاستعمال.

كقوله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه﴾ [سورة الفتح: ٢٩] لم يرد أن ذواتهم مختلطة بذاته.

وقوله: ﴿اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [سورة التوبة: ١١٩] .

وكذلك قوله: ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾ [سورة الأنفال: ٧٥] .

وكذلك قوله عن نوح: ﴿وما آمن معه إلا قليل﴾ [سورة هود: ٤٠] .

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) .." (١)

"وقوله: ﴿فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين﴾ [سورة التوبة: ٨٣] .

وقوله: ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ [سورة التوبة: ٨٧] .

وقال: ﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾ [سورة التوبة: ٨٨] .

ومثل هذا كثير في كلام الله تعالى وسائر الكلام **العربي**.

وإذا كان لفظ " مع " إذا استعملت في كون المخلوق مع المخلوق لم تدل على اختلاط ذاته بذاته؛ فهي أن لا تدل على ذلك في حق الخالق بطريق الأولى.

فدعوى ظهورها في ذلك باطل من وجهين: أحدهما: أن هذا ليس معناها (١) في اللغة ولا اقترن بها في الاستعمال ما يدل على الظهور؛ فكان الظهور منتفيا (٢) من كل وجه.

الثاني: أنه إذا انتفى الظهور فيما هو أولى به فانتفاؤه فيما هو أبعد عنه أولى.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٧٥/٨

الثاني (٣) : أن القرآن قد جعل المعية خاصة أكثر مما جعلها عامة، ولو كان المراد اختلاط ذاته بالمخلوقات لكانت عامة لا تقبل التخصيص.

الثالث (٤) : أن سياق الكلام أوله وآخره يدل على معنى المعية، كما

---

(١) ن، م، س: معناه

(٢) ن، م، س: منفيا.

(٣) ن، س: الثالث، وهو خطأ. وهذا هو الوجه الثاني بعد الوجه الأول الذي سبق قبل صفحات ()

(٤) ن، م، س: الرابع، وهو خطأ.." (١)

"قال تعالى في آية المجادلة: ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾ [سورة المجادلة: ٧] فافتتحها بالعلم، وختمها بالعلم فعلم أنه أراد عالم بهم لا يخفى عليه منهم خافية.

وهكذا فسرها السلف: الإمام أحمد ومن قبله من العلماء كابن عباس والضحاك وسفيان الثوري.

وفي آية الحديد قال: ﴿ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ [سورة الحديد: ٤] فختمها أيضا بالعلم وأخبر أنه مع استوائه على العرش يعلم هذا كله.

كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في حديث الأوعال: " «والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه» " (١) فهناك أخبر بعموم العلم لكل نجوى.

---

(١) الحديث عن العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - في: سنن أبي داود ٣١٩/٤ - ٣٢٠ (كتاب السنة، باب في الجهمية) ونصه: "كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فمرت بهم سحابة، فنظر إليها، فقال: ما تسمون هذه قالوا: السحاب. قال: " والمزن؟ " قالوا: والمزن. قال: " والعنان؟ " قالوا: والعنان - قال: أبو داود لم أتقن العنان جيدا - قال: " هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض؟ " قالوا: لا ندري. قال: " إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنان أو ثلاث وسبعون

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٧٧/٨

سنة، ثم السماء فوقها كذلك، " حتى عد سبع سماوات " ثم فوق السحابة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك ". قال المحقق رحمه الله: " وأخرجه الترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: " غريب. وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك فوقفه " والوليد بن أبي ثور لا يحتج بحديثه. وروى أبو داود الحديث من طريقين آخرين (انظر الأرقام ٤٧٢٣، ٤٧٢٤، ٤٧٢٥) والحديث في سنن الترمذي ٥/٩٦ - ٩٧ (كتاب التفسير، سورة الحاقة) . وقال الترمذي: " قال عبد بن حميد: سمعت يحيى بن معين يقول: ألا يريد عبد الرحمن بن سعد أن يحج حتى يسمع منه هذا الحديث. هذا حديث حسن غريب. وروى الوليد بن أبي ثور عن سماك نحوه ورفعه. وروى شريك عن سماك بعض هذا الحديث ووقفه ولم يرفعه. وعبد الرحمن هو ابن عبد الله بن سعد الرازي ". والحديث أيضا في: سنن ابن ماجه، ١ ٦٩ المقدمة: باب فيما أنكرت الجهمية) ، المسند (ط المعارف ٣/٢٠٢ - ٢٠٣، ٢٠٤ - ٢٠٥ (رقم ١٧٧٠ - ١٧٧١) وعلق الشيخ أحمد شاكر تعليقا مسهبا، وقال عن الحديث الأول: إسناده ضعيف جدا، وعن الثاني: إسناده ضعيف أيضا، غير أنه قال (ص ٢٠٤) : " فلو كان الحديث بهذا الإسناد والذي قبله وحدهما لم يكن صحيحا، لضعفهما كما ترى؛ ولكن لم ينفرد به الوليد بن أبي ثور، فقد رواه أبو داود أيضا عن أحمد بن أبي سريج عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد ومحمد بن سعيد عن عمرو بن أبي قيس عن سماك بن حرب بإسناده ومعناه. ورواه أيضا عن أحمد بن حفص عن أبيه عن إبراهيم بن طهمان عن سماك. ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عبد الرحمن بن سعد عن عمرو بن أبي قيس عن سماك،. . . وهذه أسانيد صحاح ". ثم تكلم على رجال هذه الأسانيد موثقا لهم، ثم قال: " ورواه أيضا البيهقي في الأسماء والصفات ٢٨٦ - ٢٨٧ من طريق أبي داود بإسناد الوليد بن أبي ثور وإسناد إبراهيم بن طهمان، ورواه الحاكم في المستدرك ٢/٥٠٠ - ٥٠١ من طريق شريك عن سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف عن العباس مختصرا موقوفا، وقال: " صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ". ثم ذكر الحاكم طريقا آخر مرفوعا ووافقه الذهبي على أن الإسناد الأول الموقوف على شرط مسلم، وضعف الطريق المرفوع. والحديث أيضا في كتاب " رد الإمام الدارمي. . . على بشر المريس العنيد "، ص ٧٣ (تحقيق الفقي) من رواية ابن مسعود، وفي كتاب " التوحيد. . " لابن خزيمة، ص ١٠٧ - ١٠٨ (تحقيق الهراس) من رواية ابن مسعود أيضا. وحدثني أخي الدكتور محمد بن لطفي الصباغ أن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ضعف هذا الحديث في تخريجه لسنن ابن ماجه وقال:

" ضعيف "، وأحال إلى كتابه " الظلال " ٥٧٧ وهذا أملاه علي الدكتور الصباغ من النسخة المخطوطة لتخريج سنن ابن ماجه للألباني الذي يطبع صحيحه الآن في مكتب التربية **العربي** لدول الخليج. ويؤكد هذا ما ذكره الشيخ الألباني في مقدمة كتاب " مختصر العلو للعلي الغفار " للذهبي، ص ١٢ - ١٣ " الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١ ١٩٨١ حيث يقول: " وقد أحذف ما صرح المؤلف بثبوته أو نقله عن غيره، لعلة قادحة ظهرت لي كحديث أبي هريرة. . . وكحديث الأوعال الذي يروى عن العباس (ص ٤٩ - ٥٠) وهو مخرج في المصدر السابق " سلسلة الأحاديث الضعيفة " رقم ١٢٤٧. . . والذي أعلمه أن الجزء الثالث من كتاب سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة " الذي يتكلم فيه الشيخ الألباني على الأحاديث التي بعد رقم الألف - حسب ترقيمه - لم يطبع أو لم يوزع بعد.." [١]

"فجعل يكلم النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - له نحوا من قوله لبديل، فقال عروة عند ذلك: أي محمد، أرأيت إن استأصلت قومك (١) ، هل سمعت أحدا من **العرب** (٢) اجتاح أصله (٣) قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فإني والله لأرى (٤) وجوها وإني لأرى أوباشا (٥) من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك، ولفظ أحمد: " خلقاء أن يفروا ويدعوك (٦) " فقال [له] (٧) أبو بكر: - رضي الله عنه -: امصص بظر اللات (٨) أنحن نفر عنه وندعه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك، وجعل يكلم النبي - صلى الله عليه وسلم - فكلما كلمه أخذ بلحيته، والمغيرة قائم على رأس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه السيف وعليه المغفر؛ فكلما أهوى عروة بيده إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ضرب يده بنعل (٩) السيف، ويقول: أخر يدك عن لحية رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فرفع عروة رأسه (١٠) فقال: من ذا (١١) ؟ قالوا: المغيرة بن شعبة.

---

(١) البخاري: آمر قومك.

(٢) البخاري، المسند: بأحد من **العرب**

(٣) ب، في رواية للبخاري: أهله.

(٤) م، ب: لا أرى.

(٥) ن، س: وأرى أوباشا، م: وأرى أوشاصا. وفي رواية للبخاري " أشوابا ".

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/٣٧٨

(٦) العبارات المعترضة في رواية المسند.

(٧) له: ساقطة من (ن) ، (م) ، (س)

(٨) سبق شرح هذه العبارة فيما مضى

(٩) في " المسند " فقط: بنصل.

(١٠)) ن، م، س، المسند: يده.

(١١)) البخاري، المسند: من هذا.." [(١)]

"اكتب (١) بسم الله الرحمن الرحيم " فقال سهيل: أما الرحمن فما أدري (٢) ما هو، ولكن اكتب: باسمك اللهم، كما كنت تكتب فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم؛ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " اكتب باسمك اللهم "، ثم قال: " هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله "؛ فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله؛ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " والله إني لرسول الله وإن كذبتموني؛ اكتب: محمد بن عبد الله ". قال الزهري: وذلك لقوله: " لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ". قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " على أن تخلوا (٣) بيننا وبين المسجد الحرام نطوف به " (٤) ؛ فقال سهيل: والله لا تتحدث **العرب** أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذاك (٥) من العام المقبل (٦) فكتب، وقال سهيل: وعلى أن (٧) لا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا قال المسلمون: سبحان الله! كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما؟ فبينما هم كذلك إذ جاء (٨) أبو جندل بن سهيل

---

(١) اكتب: ليست في " البخاري ".

(٢) البخاري، المسند: فوالله ما أدري.

(٣) س، ب: يخلوا.

(٤) المسند، البخاري: وبين البيت فنطوف به

(٥) البخاري: ذلك، المسند: لك

(٦) م: القابل.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/٣٩٦

(٧) البخاري: المسند: أنه.

(٨) البخاري: إذ دخل.." (١)

"ومن علم أن الاعتبار بكمال النهاية، وأن التوبة تنقل العبد إلى مرتبة أكمل مما كان عليه؛ علم أن ما فعله الله بعباده المؤمنين كان من أعظم نعم الله عليهم.

وأيضا ففي المواضع التي لا يكون مع النبي - صلى الله عليه وسلم - من أكابر الصحابة إلا واحد كان يكون هو ذلك الواحد، مثل سفره في الهجرة ومقامه يوم بدر في العريش: لم يكن معه فيه إلا أبو بكر، ومثل خروجه إلى قبائل العرب يدعوهم إلى الإسلام كان يكون معه من أكابر الصحابة أبو بكر.

وهذا الاختصاص في الصحبة لم يكن لغيره باتفاق أهل المعرفة بأحوال النبي - صلى الله عليه وسلم -.

وأما من كان جاهلا أحوال النبي - صلى الله عليه وسلم - أو كذابا فذلك يخاطب (١) خطاب مثله.

فقوله تعالى في القرآن: ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن﴾ [سورة التوبة: ٤٠] لا يختص بمصاحبته في الغار، بل هو صاحبه المطلق الذي كمل [في] الصحبة (٢) كمالا لم يشركه فيه غيره، فصار مختصا بالأكملية (٣) من الصحبة.

كما في الحديث رواه البخاري عن أبي الدرداء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " «أيها الناس اعرفوا لأبي بكر حقه؛ فإنه لم

---

(١) س: أو كذابا يخاطب، ب: أو كذابا فيخاطب.

(٢) ن، م، س: كمل الصحبة. . .

(٣) م: بالأهلية.." (٢)

"أن يرد إليك جوارك؛ فإنا قد كرهنا أن نخفرك (١) ، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان. قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة أبا بكر؛ فقال: قد علمت الذي عقدت لك عليه؛ فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترد إلي ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت (٢) في رجل عقدت له، قال أبو بكر: إني أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله (٣) ، ورسول الله يومئذ بمكة؛ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " قد أريت (٤) دار هجرتكم: ذات نخل، بين لابتين - وهما الحرتان - (٥) فهاجر من هاجر

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/٣٩٩

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/٤١٦

إلى المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " على رسلك (٦) ، فإني أرجو أن يؤذن لي " فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي؟ قال " نعم " فحبس أبو بكر نفسه (٧) على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر - وهو

---

(١) ن، م: أن نحقرك، وهو تحريف. وقال ابن حجر: " نخفرك: بضم أوله وبالخاء المعجمة وكسر الفاء، أي نغدر بك. يقال: خفره إذا حفظه وأخفره إذا غدر به ".

(٢) ن: أني أحقرت، وهو تحريف.

(٣) بجوار الله: أي أمانه وحمايته.

(٤) م: قد رأيت.

(٥) قال ابن حجر، " قوله: بين لابتين وهما الحرتان: هذا مدرج في الخبر، وهو من تفسير الزهري، والحرة أرض حجارتها سود ".

(٦) على رسلك: بكسر أوله: أي على مهلك، والرسل: السير الرقيق.

(٧) فحبس نفسه: أي منعها من الهجرة." (١)

"وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال: يا سراقة إني قد رأيت آنفا أسودة (١) بالساحل: أراها محمدا وأصحابه، قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت [له] (٢) : إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقا بأعيننا (٣) ، ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها علي، وأخذت رمحي، ثم خرجت به من ظهر البيت، فحططت بزجة الأرض وخفضت عاليه (٤) حتى أتيت فرسي فركبتها، فرفعتها تقرب بي (٥) حتى دنوت منهم، فعثرت فرسي، فخررت عنها فقمت فأهويت بيدي إلى كنانتي، فاستخرجت منها الأزلام، فاستقسمت بها (٦) : أضرهم

---

(١) قال ابن حجر: " أسودة: أي أشخاصا ".

(٢) له: ساقطة من (ن) ، (م) ، (س) .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٤٢/٨

(٣) ن، م، س: عينا والمثبت من (ب) البخاري. وقال ابن حجر: " أي في نظرنا معاينة يبتغون ضالة لهم "

(٤) م: وحفظت إليه، س: وحفظت عليه. والمثبت في (ن) و (ب) البخاري وقال ابن حجر: " فخططت: بالمعجمة، وللكشميهني والأصيلي بالمهملة، أي أمكنه أسفله وقوله: بزجة: الزج بضم الزاي بعدها جيم: الحديدة التي في أسفل الرمح. . . قوله: " وخفضت " أي أمسكه بيده وجر زجه على الأرض فخطها به لئلا يظهر بريقه لمن بعد منه، لأنه كره أن يتبعه منهم أحد فيشركوه في الجعالة ".

(٥) ن: نفرت بي. وقال ابن حجر: " التقريب: السير دون العدو وفوق العادة "

(٦) قال ابن حجر: " والأزلام: هي الأقداح وهي السهام التي لا ريش لها ولا نصل ". وفي " لسان العرب ": " واستقسموا بالأقداح: قسموا الجزور على مقدار حظوظهم منها ".." (١)

"﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة﴾ [سورة الكهف: ٣٧] الآية.

فيقال: معلوم أن لفظ " الصاحب " في اللغة يتناول من صحب غيره ليس فيه دلالة بمجرد هذا اللفظ على أنه وليه، أو عدوه، أو مؤمن، أو كافر، إلا لما يقترن به.

وقد قال تعالى: ﴿والصاحب بالجنب وابن السبيل﴾ [سورة النساء: ٣٦] ، وهو يتناول الرفيق في السفر والزوجة، وليس فيه دلالة على إيمان، أو كفر (١) .

وكذلك قوله تعالى: ﴿والنجم إذا هوى - ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ [سورة النجم: ١، ٢] وقوله: ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ [سورة التكوير: ٢٢] المراد به محمد صلى الله عليه وسلم لكونه صحب البشر فإنه إذا كان قد صحبهم كان بينه وبينهم من المشاركة ما يمكنهم أن ينقلوا عنه ما جاءه من الوحي، وما يسمعون به كلامه ويفقهون معانيه بخلاف الملك الذي لم يصحبهم فإنه لا يمكنهم الأخذ عنه.

وأيضا قد تضمن ذلك أنه بشر من جنسهم (٢) ، وأخص من ذلك أنه عربي بلسانهم كما قال تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه﴾ [سورة التوبة: ١٢٨] ، وقال: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ [سورة إبراهيم: ٤] فإنه إذا كان قد صحبهم كان قد تعلم لسانهم، وأمكنه

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/٤٤٦

(١) م: وكفر.

(٢) ن، م، س: أنه من جنسهم بشر.." (١)

"لأن المهاجرين إنما هاجروا باختيارهم لما آذاهم الكفار على الإيمان وهم (١) بمكة لم يكن يؤمن أحدهم إلا باختياره، بل مع احتمال الأذى فلم يكن أحد يحتاج أن يظهر الإيمان ويبطن الكفر لا سيما إذا هاجر إلى دار يكون فيها سلطان الرسول عليه ولكن لما ظهر الإسلام في قبائل الأنصار صار بعض من لم يؤمن بقلبه يحتاج إلى أن يظهر موافقة قومه، لأن المؤمنين صار لهم سلطان وعز ومنعة وصار معهم السيف يقتلون من كفر.

ويقال: ثالثا: عامة عقلاء بني آدم إذا عاشر أحدهم الآخر مدة يتبين له صداقته من عداوته (٢) فالرسول يصحب أبا بكر بمكة بضع عشرة سنة ولا يتبين له هل هو صديقه، أو عدوه وهو يجتمع معه في دار الخوف وهل هذا إلا قدح في الرسول؟ .

ثم يقال: جميع الناس كانوا يعرفون أنه أعظم أوليائه من حين المبعث (٣) إلى الموت فإنه أول من آمن به من الرجال الأحرار، ودعا غيره إلى الإيمان به حتى آمنوا وبذل أمواله في تخليص من كان آمن به من المستضعفين مثل بلال وغيره، وكان يخرج معه إلى الموسم فيدعو القبائل إلى الإيمان به، ويأتي النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم إلى بيته: إما غدوة وإما عشية، وقد آذاه الكفار على إيمانه حتى خرج من مكة فلقيه ابن الدغنة أمير من أمراء **العرب** سيد (٤) القارة، وقال: إلى

---

(١) ن، م، س: وهو.

(٢) ن، م: من عدوه

(٣) م: البعث.

(٤) م. وسيد. .." (٢)

"وسلم، وغزا تبوك سنة تسع، لكن لم يكن فيها قتال: غزا فيها النصارى بالشام وفيها أنزل الله (١) سورة براءة، وذكر فيها المخلفين الذين قال فيهم: ﴿فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا﴾ [سورة التوبة: ٨٣] .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/٤٧٠

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/٤٧٦

وأما مؤتة فكانت سرية قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: " «أميركم زيد، فإن قتل فجعفر، فإن قتل فعبد الله بن رواحة» " (٢) ، وكانت بعد عمرة القضية وقبل فتح مكة، فإن جعفرا حضر عمرة القضية، وتنازع هو وعلي وزيد في بنت حمزة قضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لأسماء امرأة جعفر خالة البنت، وقال: " «الخالة بمنزلة الأم» " (٣) ، ولم يشهد زيد ولا جعفر ولا ابن رواحة فتح مكة ؛ لأنهم استشهدوا قبل ذلك في غزوة مؤتة.

وإذا عرف هذا فوجه الاستدلال من الآية أن يقال قوله تعالى: ﴿ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون﴾ [سورة الفتح: ١٦] يدل على أنهم متصفون بأنهم أولو بأس شديد وبأنهم يقاتلون، أو يسلمون قالوا: فلا يجوز أن يكون دعاهم (٤) إلى قتال أهل مكة وهوازن عقيب عام الفتح، لأن هؤلاء هم الذين دعوا إليهم عام الحديبية، ومن لم يكن منهم فهو من جنسهم ليس هو أشد بأسا منهم كلهم عرب من أهل الحجاز، وقتالهم من جنس واحد، وأهل مكة ومن

---

(١) لفظ الجلالة غير موجود في (س) ، (ب)

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤/٢٧٨

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤/٣٤.

(٤) ن، س، ب: أن يكون دعاءهم، وهو خطأ. والمثبت من (م) .." [1]

"[سورة الفتح: ١٦] إلى أن يسلموا، ولا قال: قاتلوهم حتى يسلموا، بل وصفهم بأنهم يقاتلون، أو يسلمون، ثم إذا قوتلوا فإنهم يقاتلون كما أمر الله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

فليس في قوله: ﴿تقاتلونهم﴾ ما يمنع أن يكون القتال إلى الإسلام وأداء الجزية، لكن يقال قوله: ﴿ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد﴾ [سورة الفتح: ١٦] كلام حذف فاعله فلم يعين الفاعل الداعي لهم إلى القتال، فدل القرآن على وجوب الطاعة لكل من دعاهم إلى قتال قوم أولي بأس شديد يقاتلونهم، أو يسلمون.

ولا ريب أن أبا بكر دعاهم إلى قتال المرتدين، ثم قتال فارس والروم، وكذلك عمر دعاهم إلى قتال فارس والروم، وعثمان دعاهم إلى قتال البربر ونحوهم، والآية تتناول هذا الدعاء كله.

أما تخصيصها بمن دعاهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم كما قاله (١) طائفة من المحتجين بها على خلافة أبي بكر فخطأ، بل إذا قيل: تتناول هذا وهذا كان ہ ذا مما يسوغ، ويمكن أن يراد بالآية (٢)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/٥٠٧

ويستدل عليه بها، ولهذا وجب قتال الكفار مع كل أمير دعا إلى قتالهم، وهذا أظهر الأقوال في الآية وهو أن المراد تدعون إلى قتال أولي بأس شديد أعظم من **العرب** لا بد فيهم من أحد أمرين: إما أن يسلموا، وإما أن يقاتلوا بخلاف من دعوا إليه عام الحديبية، فإن بأسهم لم يكن شديدا مثل هؤلاء ودعوا إليهم ففي ذلك لم يسلموا ولم يقاتلوا.

---

(١) س، ب: كما قال.

(٢) م: يراد به الآية.." (١)

"العهد (١) إلى الكفار، وأمره أن يقاتل أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، صار حينئذ مأمورا بأن يدعو الناس إلى قتال من لا بد من قتالهم، أو إسلامهم (٢) ، وإذا قاتلهم قاتلهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية لم يكن له حينئذ أن يعاهدهم بلا جزية، كما [كان] (٣) (٤) يعاهد الكفار من المشركين وأهل الكتاب كما عاهد أهل مكة عام الحديبية، وفيها دعا الأعراب إلى قتالهم، وأنزل فيها سورة الفتح، وكذلك دعا المسلمين وقال فيها: ﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون﴾ [سورة الفتح: ١٦] بخلاف هؤلاء الذين دعاهم إليهم عام الحديبية.

والفرق بينهما من وجهين: أحدهما: أن الذين يدعون إلى قتالهم في المستقبل أولو بأس شديد بخلاف أهل مكة وغيرهم من **العرب**.

والثاني: أنكم تقاتلونهم، أو يسلمون ليس لكم أن تصالحوهم ولا تعاهدوهم بدون أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، كما قاتل أهل مكة وغيرهم، والقتال إلى أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

وهذا يبين أن هؤلاء أولي البأس (٥) لم يكونوا ممن يعاهدون بلا جزية، فإنهم يقاتلون أو يسلمون ومن يعاهد بلا جزية له (٦) حال ثالث: لا يقاتل فيها ولا يسلم، وليسوا أيضا من جنس **العرب** الذين " (*) قوتلوا قبل ذلك.

---

(١) م: العهود

(٢) س، ب: قتالهم وإسلامهم

(٣) كان: زيادة في (ب)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/٥١٠

(٤) م: أولي بأس شديد. .

(٥) ن، م، س: فإنه.

(٦) له: ساقطة من (م) .." [(١)]

"فتبين أن الوصف [لا] يتناول (١) الذين قاتلهم *) (٢) بحنين وغيرهم، فإن هؤلاء بأسهم من جنس بأس أمثالهم من العرب الذين قوتلوا قبل ذلك.

فتبين أن الوصف يتناول فارس والروم الذين أمر الله بقتالهم، أو يسلمون وإذا قوتلوا [قبل ذلك] (٣) فإنهم يقاتلون حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

وإذا قيل: إنه دخل ذلك في قتال المرتدين ؛ لأنهم يقاتلون أو يسلمون، كان أوجه من أن يقال: المراد قتال أهل مكة وأهل حنين الذين قوتلوا في حال كان يجوز فيها مهادنة الكفار، فلا يسلمون ولا يقاتلون، والنبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وحنين كان بينه وبين كثير من الكفار عهود بلا جزية فأمضاها لهم، ولكن لما أنزل الله براءة بعد ذلك عام تسع سنة غزوة تبوك بعث أبا بكر بعد تبوك أميرا على الموسم، فأمره أن ينادي: «أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، وأن من كان بينه وبين رسول الله عهد، فعهده إلى مدته وأردفه بعلي يأمره بنبذ العهود المطلقة، وتأجيل من لا عهد له أربعة أشهر» كان آخرها شهر ربيع سنة عشر.

وهذه الحرم المذكورة في قوله: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ الآية (٤) [سورة التوبة: ٥] ، ليس المراد الحرم

---

(١) ن، س: أن الوصف يتناول. . .، وهو خطأ.

(٢) ما بين النجمتين ساقط من (م)

(٣) قبل ذلك: في (م) فقط.

(٤) كلمة " الآية ": ساقطة من (س) ، (ب) .." [(٢)]

"المذكورة في قوله: ﴿منها أربعة حرم﴾ [سورة التوبة: ٣٦] ، ومن قال ذلك فقد غلط غلطا معروفا عند أهل العلم كما هو مبسوط في موضعه.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥١٢/٨

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥١٣/٨

ولما أمر الله بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون أخذ النبي صلى الله عليه وسلم الجزية من المجوس، واتفق المسلمون على أخذها من أهل الكتاب والمجوس.

وتنازع العلماء في سائر الكفار على ثلاثة أقوال: فقيل: جميعهم يقاتلون بعد ذلك حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون إذا لم يسلموا، وهذا قول مالك.

وقيل: يستثنى من ذلك مشركو **العرب**، وهو قول أبي حنيفة وأحمد في إحدى الروايتين عنه.

وقيل: ذلك مخصوص بأهل الكتاب، ومن له شبهة كتاب، وهو قول الشافعي وأحمد في رواية أخرى عنه.

والقول الأول والثاني متفقان في المعنى، فإن آية الجزية لم تنزل إلا بعد فراغ النبي صلى الله عليه وسلم من قتال مشركي **العرب**، فإن آخر غزواته **للعرب** كانت غزوة الطائف، وكانت بعد حنين وحنين بعد فتح مكة، وكل ذلك سنة ثمان، وفي السنة التاسعة غزا النصارى عام تبوك، وفيها نزلت سورة " براءة " وفيها أمر \ بالقتال حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

«وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بعث أميرا على جيش أو سرية أمره أن يقاتلهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» ، كما رواه مسلم." (١)

"في صحيحه (١) ، وصالح النبي صلى الله عليه وسلم نصارى نجران على الجزية وهم أول من أدى الجزية وفيهم أنزل الله صدر سورة آل عمران، ولما كانت سنة تسع نفى المشركون عن الحرم، ونبذ العهود إليهم، وأمره الله تعالى أن يقاتلهم، وأسلم المشركون من **العرب** كلهم، فلم يبق مشرك معاهد لا بجزية ولا بغيرها (٢) وقبل ذلك كان يعاهدهم بلا جزية، فعدم أخذ الجزية منهم (٣) : هل كان لأنه لم يبق فيهم من يقاتل حتى يعطوا الجزية، بل أسلموا كلهم لما رأوا من حسن الإسلام وظهوره، وقبح ما كانوا عليه من الشرك وأنفتهم من أن يؤتوا الجزية عن يد وهم صاغرون؟ .

أو لأن الجزية لا يجوز أخذها منهم، بل يجب قتالهم إلى الإسلام، فعلى الأول تؤخذ من سائر الكفار كما قاله أكثر الفقهاء، وهؤلاء يقولون: لما أمر بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم

---

(١) الحديث عن سليمان بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه في مسلم ١٣٥٧/٣ - ١٣٥٨ (كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث. . .) ونصه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته. . . ثم قال: " اغزوا باسم الله في سبيل. . . وإذا لقيت عدوك من

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥١٤/٨

المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال) فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام. . . فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. . . الحديث. وهو في: سنن ابن ماجه ٩٥٣/٢ - ٩٥٤ (كتاب الجهاد، باب وصية الإمام) ، المسند (ط الحلبي) ٣٥٢/٥، ٣٥٨ وهو في سنن أبي داود وسنن الترمذي.

(٢) س، ب: فلم يبق معاهد بجزية ولا بغيرها.

(٣) ن، م، س: عنهم.." (١)

"وأما قول الرافضي (١) : " إن الداعي جاز أن يكون عليا دون من قبله من الخلفاء (٢) لما قاتل (٣) الناكثين والقاسطين والمارقين " يعني: أهل الجمل وصفين والحرورية والخوارج.

فيقال له: هذا باطل قطعا من وجوه:

أحدها: أن هؤلاء لم يكونوا أشد بأسا من بني جنسهم، بل معلوم أن الذين قاتلوه يوم الجمل كانوا أقل من عسكره، وجيشه كانوا أكثر منهم، وكذلك الخوارج كان جيشه أضعافهم وكذلك أهل صفين كان جيشه أكثر منهم، وكانوا من جنسهم فلم يكن في وصفهم بأنهم أولو بأس شديد ما يوجب امتيازهم عن غيرهم.

ومعلوم أن بني حنيفة وفارس والروم كانوا في القتال أشد بأسا من هؤلاء بكثير، ولم يحصل في أصحاب علي من الخوارج من استحرار (٤) القتل ما حصل في جيش الصديق الذين قاتلوا أصحاب مسيلمة، وأما فارس والروم فلا يشك عاقل أن قتالهم كان أشد من قتال المسلمين **العرب** بعضهم بعضا، وإن كان قتال **العرب** للكفار (* في أول الإسلام كان أفضل وأعظم، فذاك لقلة المؤمنين وضعفهم في أول الأمر لا أن (٥) عدوهم *) (٦)

---

(١) في (ك) ص ٢٠٠ (م) وسبق إيراد هذا الكلام فيما مضى

(٢) عبارة " دون من قبله من الخلفاء " ليست في " ك "

(٣) ك: حيث قاتل

(٤) ن، م، س: من الخوارج واستحرار. . . وهو خطأ والصواب ما أثبته من (ب) .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥١٥/٨

(٥) ن: إلا أن.

(٦) ما بين النجمتين ساقط من (م)." (١)

"كان أشد بأسا من فارس والروم.

ولهذا قال تعالى: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾ [سورة آل عمران: ١٢٣] ، فإن هؤلاء تجمعهم دعوة الإسلام والجنس (١) فليس في بعضهم لبعض من البأس ما كان في فارس والروم والنصارى والمجوس **للعرب** المسلمين الذين لم يكونوا يعدونهم إلا من أضعف جيرانهم ورعاياهم، وكانوا يحتقرون أمرهم غاية الاحتقار، ولولا أن الله أيد المؤمنين بما أيد به رسوله والمؤمنين على سنته الجميلة معهم لما كانوا ممن يثبت معهم في القتال، ويفتح البلاد وهم أكثر منهم عددا وأعظم قوة وسلاحا، لكن قلوب المؤمنين أقوى بقوة الإيمان التي خصهم الله بها.

الوجه الثاني: أن عليا لم يدع ناسا بعيدين منه إلى قتال أهل الجمل وقتال الخوارج، ولما قدم البصرة لم يكن في نيته قتال أحد، بل وقع القتال بغير اختيار منه ومن طلحة والزبير، وأما الخوارج فكان بعض عسكره يكفيهم، لم يدع أحدا إليهم من أعراب الحجاز.

الثالث: أنه لو قدر أن عليا تجب طاعته في قتال هؤلاء فمن الممتنع أن يأمر الله بطاعة من يقاتل أهل الصلاة لردهم إلى طاعة ولي الأمر، ولا يأمر بطاعة من يقاتل الكفار ليؤمنوا بالله ورسوله.

ومعلوم أن من خرج من طاعة علي ليس بأبعد عن الإيمان بالله ورسوله ممن كذب الرسول والقرآن، ولم يقر بشيء مما جاء به الرسول، بل هؤلاء

---

(١) ن، م، س: والجيش، وهو تحريف.." (٢)

"(* وفي السنن عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " «إنها ستكون فتنة تستنظف **العرب**، قتلاها في النار، اللسان فيها أشد من وقع السيف» *) (١) " (٢)

.

وفي السنن عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " «ستكون فتنة صماء بكماء عمياء من أشرف لها استشرفت له، واستشراف اللسان فيها كوقوع السيف» " (٣) .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٢٠/٨

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٢١/٨

وعن أم سلمة قالت: «استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فقال: " سبحان الله ماذا أنزل من الخزائن وماذا أنزل من الفتن» " (٤) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) ما بين النجمتين ساقط من (م)

(٢) الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في سنن أبي داود ١٤٤/٤ (كتاب الفتن والملاحم، باب في كف اللسان) ، سنن الترمذي ٣٢٠/٣ (كتاب الفتن، باب ما جاء في الرجل يكون في الفتنة) وقال الترمذي " هذا حديث غريب " سنن ابن ماجه ١٣١٢/٢ (كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة) المسند (ط. المعارف) ١٨٩/١١ - ١٩٢ (حديث رقم ٦٩٨٠) وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه. " إسناده صحيح. . وقوله " تستنظف **العرب** " بالظاء المعجمة وقال ابن الأثير: أي تستوعبهم هلاكا، يقال استنظفت الشيء، إذا أخذته كله، وقال العلامة علي القاري. . . وقيل: أي تطهرهم من الأرذال وأهل الفتن ".

(٣) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في: سنن أبي داود ١٤٣/٤ (كتاب الفتن والملاحم، باب في كف اللسان) وذكر المحقق رحمه الله في تعليقه أن في السند: " عبد الرحمن بن البيلماني لا يحتج بحديثه، قاله المنذري ".

(٤) الحديث - مع اختلاف في الألفاظ - عن أم سلمة رضي الله عنها في: البخاري ٣٤/١ (كتاب العلم، باب العلم والعظة بالليل) ، سنن الترمذي ٣٣٠/٣ (كتاب الفتن، باب ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم) المسند (ط. الحلبي) ٢٨٩/٥.." [١]

"كان حقا، فإن أبا بكر لم يكن خياطا، وإنما كان تاجرا تارة يسافر في تجارته وتارة لا يسافر، وقد سافر إلى الشام في تجارته (١) في الإسلام، والتجارة كانت أفضل مكاسب قريش، وكان خيار أهل الأموال منهم أهل التجارة، وكانت **العرب** تعرفهم بالتجارة، ولما ولي أراد أن يتجر لعياله فمنعه المسلمون، وقالوا: هذا يشغلك عن مصالح المسلمين.

وكان عامة ملابسهم الأردية والأزر، فكانت الخياطة فيهم قليلة جدا، وقد كان بالمدينة خياط دعا (٢) النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيته (٣) .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٢٤/٨

وأما المهاجرون المشهورون فما أعلم فيهم خياطا مع أن الخياطة من أحسن الصناعات وأجلها.

وإنفاق أبي بكر في طاعة الله ورسوله هو من المتواتر الذي تعرفه العامة والخاصة، وكان له مال قبل الإسلام (٤) ، وكان معظما في قريش محببا مؤلفا خبيرا بأنساب **العرب** وأيامهم، وكانوا يأتونه لمقاصد التجارة ولعلمه وإحسانه، ولهذا لما خرج من مكة قال له ابن الدغنة،

---

(١) ن، م: في تجارة

(٢) س، ب عند

(٣) ب: لآل. والحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه في البخاري ٦٨/٧ (كتاب الأطعمة، باب من تتبع حوالي القصعة. . .) ونصه. . . سمع أنس بن مالك يقول: إن خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه. قال أنس: فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يتتبع الدباء من حوالي القصعة. قال: فلم أزل أحب الدباء من يومئذ. والحديث أيضا في البخاري ٦١/٣ (كتاب البيوع، باب ذكر الخياط، مسلم ١٦١٥/٣ (كتاب الأشربة، باب جواز أكل المرق. . .) والحديث في سنن أبي داود والموطأ ومسند أحمد والدباء. اليقطين أو القرع الواحدة: دباءة.

(٤) م: في الإسلام.." (١)

"" مثلك لا يخرج ولا يخرج " (١) .

ولم يعلم أحد من قريش وغيرهم (٢) عاب أبا بكر بعيب، ولا نقصه ولا استرذله، كما كانوا يفعلون بضعفاء المؤمنين، ولم يكن له عندهم عيب (٣) إلا إيمانه بالله ورسوله، كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن قط به عيب عند قريش ولا نقص ولا يذمونه بشيء قط، بل كان معظما عندهم بيتا ونسبا معروفا بمكارم الأخلاق والصدق والأمانة، وكذلك صديقه الأكبر لم يكن له عيب عندهم من العيوب.

وابن الدغنة سيد القارة إحدى قبائل **العرب** كان معظما عند قريش يجيرون من أجاره لعظمته عندهم.

وفي الصحيحين أن أبا بكر لما ابتلي المسلمون خرج مهاجرا إلى أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة، وهو سيد القارة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي، فقال ابن الدغنة: فإن مثلك لا يخرج ولا يخرج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار فارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٤٦/٨

ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج، أتخرجون رجلا يكسب

---

(١) سبق هذا الحديث قبل صفحات في هذا الجزء.

(٢) وغيرهم: ساقطة من (س) ، (ب) .

(٣) ن: ولم يكن له عيب عندهم. .." (١)

"المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق؟ فلم يكذب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها، وليقرأ ما شاء ولا يؤذنا بذلك، ولا يستعلن به فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره، ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا له فابتنى مسجدا بفناء داره، فكان يصلي فيه، ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، وأفزع ذلك أشراف قريش، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم إليهم فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فجاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه فإن أحب أن يقتصر عىى أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان.

قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر، فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترجع إلي ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له، فقال أبو بكر: فإني أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله، وذكر الحديث (١)

---

(١) سبق هذا الحديث من قبل هذا الجزء.." (٢)

"سنذكرها، أم ذلك من خصائصه؟ على قولين: هما وجهان في مذهب أحمد.

وقد صدق ابن عباس عائشة فيما أخبرت به مع أنه كان بينهما بعض الشيء بسبب ما كان بينهما وبين

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٤٧/٨

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٤٨/٨

علي ؛ ولذلك لم تسمه وابن عباس يميل إلى علي ولا يتهم عليه، ومع هذا فقط صدقها في جميع ما قالت، وسمى الرجل الآخر عليا فلم يكذبها، ولم يخطئها في شيء مما روته.

وفي الصحيحين «عن عائشة قالت: لقد راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا، وإلا إني كنت أرى أنه (١) لن يقوم مقامه أحد إلا تشاءم الناس به فأردت أن يعدل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر» ، قال البخاري: " ورواه ابن عمر وأبو موسى وابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم (٢) ".

وفي الصحيحين عنها «قالت لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: " مروا أبا بكر فليصل بالناس " قالت: فقلت: يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى يقوم مقامك لا

---

(١) أنه: ساقطة من (س) ، (ب) .

(٢) الحديث عن عائشة رضي الله عنها في: البخاري ١٢/٦ (كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته،) مسلم ٣١٣/١ (كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر. . .) حديث رقم ٩٣، وقول عائشة رضي الله عنها: " فأردت أن يعدل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر في " لسان العرب " " وعدل عن الشيء يعدل عدلا وعدولا. حاد والمعنى: أي أن يجعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيد عن أبي بكر رضي الله عنه فيختار غيره.." (١)

"فدل هذا على أن تقديم غير أبي بكر في الصلاة من الباطل الذي يذم من يراود عليه كما ذم النسوة على مراودة يوسف، هذا مع أن أبا بكر قد قال لعمر يصلي فلم يتقدم عمر، وقال: أنت أحق بذلك، فكان في هذا اعتراف عمر له أنه أحق بذلك منه، كما اعترف له بأنه أحق بالخلافة منه ومن سائر الصحابة، وأنه أفضلهم.

كما في البخاري عن عائشة لما ذكرت خطبة أبي بكر بالمدينة، وقد تقدم ذلك قالت: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير فذهب إليهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب (١) عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني هيأت كلاما أعجبني خفت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب (٢) بن المنذر: لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير،

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٦٢/٨

فقال أبو بكر: ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء هم أوسط **العرب** دارا، وأعرقهم (٣) أحسابا، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة، فقال عمر: قتله الله (٤) .

---

(١) (١ - ١) : ساقط من (س) ، (ب)

(٢) ب خباب، وهو خطأ

(٣) م. وأعزهم

(٤) سبق هذا الحديث فيما مضى ١/٧١٥، ٢/٥٠.." [1]

"أن يقول القائلون، أو يتمنى المتمنون، ويدفع الله ويأبى المؤمنون» " (١) .

وهذا الحديث الصحيح فيه همه بأن يكتب لأبي بكر كتابا بالخلافة ؛ لئلا يقول قائل: أنا (٢) أولى، ثم قال: " «يأبى الله ذلك والمؤمنون» " فلما علم الرسول أن الله تعالى لا يختار إلا أبا بكر، والمؤمنون لا يختارون إلا إياه اكتفى بذلك عن الكتاب، فأبعد الله من لا يختار ما اختاره الله ورسوله والمؤمنون.

وقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك مرتين في مرضه، (* «قال لعائشة: " ادعي لي أباك وأخاك» "، وقال قبل ذلك لما اشتكت عائشة: " «لقد هممت أن أكتب لأبي بكر كتابا» " (٣) .

ثم إنه عزم يوم الخميس في مرضه *) (٤) على الكتاب مرة أخرى، كما في الصحيحين عن ابن عباس أنه قال: " «يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم الوجع، فقال: " ائتوني بكتف أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا " فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما شأنه هجر؟ استفهموه، فذهبوا يردون عليه، فقال: " ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه " فأمرهم بثلاث، فقال: " أخرجوا اليهود من جزيرة **العرب**، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم " وسكت عن الثالثة، أو قال: فنسيتها» " (٥) .

---

(١) تقدم هذا الحديث ١/٤٩٦ - ٤٩٧

(٢) م: لئلا يقول القائل: إني. .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٦٤/٨

(٣) تقدم هذا الحديث ٤٩٢/١

(٤) ما بين النجمتين ساقط من (م)

(٥) م: أو قالها فنسيها، س: أو قال فنسيها. وانظر ما سبق.." (١)

"فما أخبرنا الله به من صفات المخلوقين نعلم تفسيره ومعناه، ونفهم الكلام الذي خوطبنا به، ونعلم معنى العسل واللحم واللبن، والحرير والذهب والفضة، ونفرق بين مسميات هذه الأسماء وأما حقائقها على ما هي عليه، فلا يمكن أن نعلمها نحن، ولا نعلم متي تكون الساعة؟ وتفصيل ما أعد الله ـ عز وجل ـ لعباده لا يعلمه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، بل هذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله ـ تبارك وتعالى.

فإذا كان هذا في هذين المخلوقين، فالأمر بين الخالق والمخلوق أعظم؛ فإن مباينة الله لخلقه وعظمته، وكبريائه وفضله، أعظم وأكبر مما بين مخلوق ومخلوق.

فإذا كانت صفات ذلك المخلوق مع مشابهتها لصفات هذا المخلوق، بينهما من التفاضل والتباين ما لا نعلمه في الدنيا ـ ولا يمكن أن نعلمه، بل هو من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى ـ فصفات الخالق ـ عز وجل ـ أولى أن يكون بينها وبين صفات المخلوق من التباين والتفاضل ما لا يعلمه إلا الله ـ تبارك وتعالى ـ وأن يكون هذا من التأويل الذي لا يعلمه كل أحد؛ بل منه ما يعلمه الراسخون، ومنه ما يعلمه الأنبياء والملائكة، ومنه ما لا يعلمه إلا الله.

كما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: إن التفسير على أربعة أوجه: تفسير تعرفه **العرب** من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله، من ادعى علمه فهو كاذب.

ولفظ [التأويل] في كلام السلف لا يراد به إلا التفسير، أو الحقيقة الموجودة في الخارج التي يئول إليها: كما في قوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله﴾ الآية [الأعراف: ٥٣] .

وأما استعمال التأويل بمعنى: أنه صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به أو متأخر أو لمطلق الدليل، فهذا اصطلاح بعض المتأخرين، ولم يكن في لفظ أحد من السلف ما يراد منه بالتأويل هذا المعنى.

ثم لما شاع هذا بين المتأخرين، صاروا يظنون أن هذا هو التأويل في قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ [آل عمران: ٧] .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٧١/٨

ثم طائفة تقول: لا يعلمه إلا الله، وقالت طائفة: بل يعلمه الراسخون. وكلتا الطائفتين غالطة؛ فإن هذا لا حقيقة له، بل هو باطل، والله يعلم انتفاءه وأنه لم يرده. وهذا مثل تأويلات القرامطة الباطنية، والجهمية، وغيرهم من أهل الإلحاد والبدع. وتلك التأويلات باطلة والله لم يردها بكلامه،." (١)

"قالوا: الاستواء فعل فعله في العرش كان به مستويا، وهذا قول أبي الحسن بن الزاغوني.

وهؤلاء يدعون أنهم وافقوا السلف، وليس الأمر كذلك، كما قد بسط في موضعه.

وكذلك ذكرت هذه رواية عن مالك، رويت من طريق كاتبه حبيب بنأبي حبيب، لكن هذا كذاب باتفاق أهل العلم بالنقل، لا يقبل أحد منهم نقله عن مالك، ورويت من طريق أخرى ذكرها ابن عبد البر، وفي إسنادها من لا نعرفه.

واختلف أصحاب أحمد وغيرهم ـ من المنتسبين إلى السنة والحديث ـ في النزول والإتيان، والمجيء وغير ذلك: هل يقال: إنه بحركة وانتقال؟ أم يقال بغير حركة وانتقال؟ أم يمسك عن الإثبات والنفي؟ على ثلاثة أقوال، ذكرها القاضي أبو يعلى في كتاب [اختلاف الروايتين والوجهين] :

فالأول: قول أبي عبد الله بن حامد وغيره.

والثاني: قول أبي الحسن التميمي وأهل بيته.

والثالث: قول أبي عبد الله بن بطة وغيره.

ثم هؤلاء فيهم من يقف عن إثبات اللفظ مع الموافقة على المعنى، وهو قول كثير منهم، كما ذكر ذلك أبو عمر بن عبد الرحمن وغيره.

ومنهم من يمسك عن إثبات المعنى مع اللفظ، وهم في المعنى منهم من يتصوره مجملا، ومنهم من يتصوره مفصلا؛ إما مع الإصابة، وإما مع الخطأ.

والذين أثبتوا هذه رواية عن أحمد هم، وغيرهم ـ ممن ينتسب إلى السنة والحديث ـ لهم في تأويل ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد به إثبات أمره ومجيء أمره.

والثاني: أن المراد بذلك عمده وقصده. وهكذا تأول هؤلاء قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ [فصلت: ١١] قالوا: قصد وعمد.

وهذا تأويل طائفة من أهل **العربية**، منهم أبو محمد عبد الله بن قتيبة، ذكر في كتاب [مختلف الحديث]

---

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/٢٢

له، الذي رد فيه على أهل الكلام، الذين يطعنون في الحديث، فقال: قالوا: حديث في التشبيه يكذبه القرآن والإجماع. قالوا: رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ينزل الله ـ تبارك وتعالى ـ إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر، فيقول: هل من داع." (١)

"السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ [الأنبياء: ١٩،٢٠] . وقال في الشهداء: ﴿أحياء عند ربهم يرزقون﴾ [آل عمران: ١٦٩] قيل لهم: شهداء؛ لأنهم يشهدون ملكوت الله، واحدهم شهيد، كما يقال: علم وعلماء، وكفيل وكفلاء.

وقال عز وجل: ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا﴾ [الأنبياء: ١٧] أي: لاتخذنا ذلك عندنا لا عندكم؛ لأن زوجة الرجل وولده يكونان عنده بحضرته لا عند غيره.

والأمم كلها ـ عجمها **وعربها** ـ تقول: إن الله ـ عز وجل ـ في السماء، ما تركت على فطرتها، ولم تنقل عن ذلك بالتعليم.

وفي الحديث: أن رجلا أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأمة أعجمية للعتق، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أين الله؟ " قالت: في السماء. قال: " من أنا؟ " قالت: أنت رسول الله، فقال:" هي مؤمنة " وأمره بعتقها. وقال أمية بن أبي الصلت:

مجدوا الله فهو للمجد أهل ... ربنا في السماء أمسى كبيرا

بالبناء الأعلى الذي سبق النا ... س وسوى فوق السماء سريرا

شرجعا ما يناله بصر العين ... ن ترى دونه الملائك صورا

وصورا جمع أصور، وهو المائل العنق، وهكذا قيل في حملة العرش صور، وكل من حمل شيئا ثقيلا على كاهله أو على منكبه، لم يجد بدا من أن يميل عنقه.

وفي [الإنجيل] : أن المسيح ـ عليه السلام ـ قال: " لا تحلفوا بالسماء فإنها كرسي الله. وقال للحواريين: إن أنتم غفرتم للناس فإن أباكم ـ الذي في السماء ـ يغفر لكم كلكم، انظروا إلى طير السماء، فإنهن لا يزرعن، ولا يحصدن، ولا يجمعن في الأهواء، وأبوكم الذي في السماء هو الذي يرزقهم، أفلستم أفضل منهن؟ "

ومثل هذا من الشواهد كثير يطول به الكتاب.

---

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/٥٨

قال ابن قتيبة: وأما قوله تعالى: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ [الزخرف: ٨٤] ، فليس في ذلك ما يدل على الحلول بهما، وإنما أراد أنه إله السماء ومن فيها وإله الأرض ومن." (١)

"أحدها: أن تسمية ما يتصف بهذه الصفات بالجسم بدعة في الشرع واللغة، فلا أهل اللغة يسمون هذا جسما، بل الجسم عندهم هو البدن، كما نقله غير واحد من أئمة اللغة، وهو مشهور في كتب اللغة، قال الجوهري في [صحاحه] المشهور: قال أبو زيد: الجسم: الجسد، وكذلك الجسمان والجثمان، وقال الأصمعي: الجسم والجثمان: الجسد، والجثمان الشخص، قال: والأجسم الأضخم بالبدن، وقال ابن السكيت: تجسمت الأمر أي: ركبت أجسمه، وجسيمه أي: معظمه، قال: وكذلك تجسمت الرجل والجبل، أي ركبت أجسمه.

وقد ذكر الله لفظ الجسم في موضعين من القرآن، في قوله تعالى: ﴿وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ [البقرة: ٢٤٧] ، وفي قوله تعالى: ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾ [المنافقون: ٤] ، والجسم قد يفسر بالصفة القائمة بالمحل وهو القدر والغلظ، كما يقال: هذا الثوب له جسم، وهذا ليس له جسم أي: له غلظ وضخامة بخلاف هذا، وقد يراد بالجسم نفس الغليظ والضخم.

وقد ادعى طوائف من أهل الكلام النفاة أن الجسم في اللغة هو المؤلف المركب، وأن استعمالهم لفظ الجسم في كل ما يشار إليه موافق للغة، قالوا: لأن كل ما يشار إليه، فإنه يتميز منه شيء عن شيء، وكل ما كان كذلك؛ فهو مركب من الجواهر المنفردة التي كل واحد منها جزء لا يتجزأ ولا يتميز منه جانب عن جانب، أو من المادة والصورة اللذين هما جوهران عقليان، كما يقول ذلك بعض الفلاسفة.

قالوا: وإذا كان هذا مركبا مؤلفا، فالجسم في لغة **العرب** هو المؤلف المركب، بدليل أنهم يقولون: رجل جسيم، وزيد أجسم من عمرو، إذا كثر ذهابه في الجهات، وليس يقصدون بالمبالغة في قولهم: أجسم وجسيم إلا كثرة الأجزاء المنضمة والتأليف؛ لأنهم لا يقولون: أجسم فيمن كثرت علومه وقدره وسائر تصرفاته وصفاته غير الاجتماع، حتى إذا كثر الاجتماع فيه بتزايد أجزائه قيل: أجسم، ورجل جسيم، فدل ذلك على أن قولهم: جسم مفيد للتأليف.." (٢)

"فهذا أصل قول هؤلاء النفاة، وهومبني على أصلين: سمعي لغوي، ونظري عقلي فطري.

أما السمعي اللغوي فقولهم: إن أهل اللغة يطلقون لفظ الجسم على المركب واستدلوا عليه بقوله: هو أجسم

---

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/٦٠

(٢) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/٧٠

إذا كان أغلظ وأكثر ذهابا في الجهات، وأن هذا يقتضى أنهم اعتبروا كثرة الأجزاء.

فيقال: أما المقدمة الأولى وهو: إن أهل اللغة يسمون كل ما كان له مقدار بحيث يكون أكبر من غيره أو أصغر جسما، فهذا لا يوجد في لغة **العرب** البتة، ولا يمكن أحد أن ينقل عنهم أنهم يسمون الهواء الذي بين السماء والأرض جسما، ولا يسمون روح الإنسان جسما، بل من المشهور أنهم يفرقون بين الجسم والروح؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾ [المنافقون: ٤] يعني أبدانهم دون أرواحهم الباطنة.

وقد ذكر نقلة اللغة: أن الجسم عندهم هو الجسد. ومن المعروف في اللغة أن هذا اللفظ يتضمن الغلظ والكثافة، فلا يسمون الأشياء القائمة بنفسها إذا كانت لطيفة كالهواء وروح الإنسان، وإن كان لذلك مقدار يكون به بعضه أكبر من بعض، لكن لا يسمى في اللغة ذلك جسما، ولا يقولون في زيادة أحدهما على الآخر: هذا أجسم من هذا، ولا يقولون: هذا المكان الواسع أجسم من هذا المكان الضيق، وإن كان أكبر منه، وإن كانت أجزاؤه زائدة على أجزائه عند من يقول بأنه مركب من الأجزاء.

فليس كل ما هو مركب عندهم من الأجزاء يسمى جسما ولا يوجد في الكلام قبض جسمه، ولا صعد بجسمه إلى السماء، ولا أن الله يقبض أجسامنا حيث يشاء، ويردها حيث شاء، إنما يسمون ذلك روحا، ويفرقون بين مسمى الروح ومسمى الجسم كما يفرقون بين البدن والروح، وكما يفرقون بين الجسد والروح، فلا يطلقون لفظ الجسم على الهواء، فلفظ الجسم عندهم يشبه لفظ الجسد، قال الجوهري: الجسد البدن، تقول فيه: تجسد كما تقول في الجسم: تجسم، كما تقدم نقله عن أئمة اللغة أن الجسم هو الجسد.." (١)

"مركب. وهؤلاء ممن اعترف نفاة الجسم بأنهم لا يكفرون؛ فإنهم لم يثبتوا معنى فاسدا في حق الله ـ تعالى ـ لكن قالوا: إنهم أخطؤوا في تسمية كل ما هو قائم بنفسه، أو ما هو موجود جسما، من جهة اللغة؛ قالوا: فإن أهل اللغة لا يطلقون لفظ الجسم إلا على المركب.

والتحقيق أن كلا الطائفتين مخطئة على اللغة، أولئك الذين يسمون كل ما هو قائم بنفسه جسما، وهؤلاء الذين سموا كل ما يشار إليه وترفع الأيدي إليه جسما، وادعوا أن كل ما كان كذلك فهو مركب، وأن أهل اللغة يطلقون لفظ الجسم على كل ما كان مركبا. فالخطأ في اللغة، والابتداع في الشرع مشترك بين الطائفتين. وأما المعاني: فمن أثبت من الطائفتين ما نفاه الله ورسوله، أو نفي ما أثبت الله ورسوله، فهو مخطئ عقلا، كما هو مخطئ شرعا. بل أولئك يقولون لهم: نحن وأنتم اتفقنا على أن القائم بنفسه يسمى جسما في غير

---

(١) شرح حديث النزول ا بن تيمية ص/٧١

محل النزاع، ثم ادعيتم أن الخالق القائم بنفسه يختص بما يمنع هذه التسمية التي اتفقنا نحن وأنتم عليها، فبينا أنه لا يختص؛ لأن ذلك مبني على أن الأجسام مركبة، ونحن نمنع ذلك ونقول: ليست مركبة من الجواهر المنفردة.

ولهذا كره السلف والأئمة -كالإمام أحمد وغيره- أن ترد البدعة بالبدعة، فكان أحمد في مناظرته للجهمية لما ناظروه على أن القرآن مخلوق، وألزمه أبو عيسى محمد ابن عيسى برغوث [هو أحد مناظري الإمام أحمد وقت المحنة، صنف كتاب [الاستطاعة] و [المقالات] وغيرهما، توفي سنة ٢٤٠هـ وقيل: سنة ٢٤١هـ] ، أنه إذا كان غير مخلوق لزم أن يكون الله جسما وهذا منتف، فلم يوافقه أحمد، لا على نفي ذلك، ولا على إثباته؛ بل قال: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد﴾ [سورة الإخلاص] .

ونبه أحمد على أن هذا اللفظ لا يدرى ما يريدون به. وإذا لم يعرف مراد المتكلم به لم يوافقه، لا على إثباته، ولا على نفيه. فإن ذكر معنى أثبته الله ورسوله أثبتناه، وإن ذكر معنى نفاه الله ورسوله نفيناه باللسان **العربي** المبين، ولم نحتج إلى ألفاظ مبتدعة في الشرع، محرفة في اللغة، ومعانيها متناقضة في العقل، فيفسد الشرع واللغة والعقل؛ كما فعل أهل البدع من أهل الكلام الباطل المخالف للكتاب والسنة.." (١)

"بما جاء عن السلف وما دل عليه الكتاب والسنة، وبما يقوله النفاة مما يناقض ذلك، ولا يهتدي للتناقض: ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ [البقرة: ٢١٣] .

وبهذا يحصل الجواب عما احتج به من قال: إن ثلث الليل يختلف باختلاف البلاد - وهذا قد احتج به طائفة - وجعلوا هذا دليلا على ما يتأولون عليه حديث النزول. وهذا الذي ذكروه إنما يصح إذا جعل نزوله من جنس نزول أجسام الناس من السطح إلى الأرض، وهو يشبه قول من قال: يخلو العرش منه بحيث يصير بعض المخلوقات فوقه وبعضها تحته!

فإذا قدر النزول هكذا كان ممتنعا؛ لما ذكروه من أنه لا يزال تحت العرش في غالب الأوقات أو جميعها، فإن بين طرفي العمارة نحو ليلة؛ فإنه يقال: بين ابتداء العمارة من المشرق ومنتهاها من المغرب مقدار مائة وثمانين درجة فلكية، وكل خمس عشرة فهي ساعة معتدلة، والساعة المعتدلة هي ساعة من اثنتي عشرة ساعة بالليل أو النهار، إذا كان الليل والنهار متساويين -كما يستويان في أول الربيع الذي تسميه **العرب** الصيف، وأول الخريف الذي تسميه الربيع - بخلاف ما إذا كان أحدهما أطول من الآخر، وكل واحد اثنتا

---

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/٧٦

عشرة ساعة، فهذه الساعات مختلفة في الطول والقصر، فتغرب الشمس عن أهل المشرق قبل غروبها عن أهل المغرب، كما تطلع على هؤلاء قبل هؤلاء بنحو اثنتي عشرة ساعة أو أكثر.

فإن الشمس على أي موضع كانت مرتفعة من الأرض الارتفاع التام ـ كما يكون عند نصف النهار ـ فإنها تضيء على ما أمامها وخلفها من المشرق والمغرب تسعين درجة شرقية وتسعين غربية، والمجموع مقدار حركتها: اثنتا عشرة ساعة، ستة شرقية، وستة غربية، وهو النهار المعتدل.

ولا يزال لها هذا النهار، لكن يخفي ضوؤها بسبب ميلها إلى جانب الشمال والجنوب، فإن المعمور من الأرض من الناحية الشمالية من الأرض التي هي شمال خط الاستواء المحاذي لدائرة معتدل النهار التي نسبتها إلى القطبين ـ الشمالي والجنوبي ـ نسبة واحدة؛ ولهذا يقال في حركة الفلك: إنها على ذلك المكان دولابية مثل الدولاب، وأنها عند القطبين." (١)

"وهؤلاء منهم من يقول: إن موسى رآه، وإن الجبل كان حجابه، فلما جعل الجبل دكا رآه، وهذا يوجد في كلام أبي طالب ونحوه. ومنهم من يجعل الرائي هو المرئي، فهو الله فيذكرون اتحادا، وأنه أفنى موسى عن نفسه حتى كان الرائي هو المرئي فما رآه عندهم موسى، بل رأى نفسه بنفسه، وهذا يدعونه لأنفسهم.

والاتحاد والحلول باطل. وعلى قول من يقول به إنما هذا في الباطن والقلب، لا في الظاهر؛ فإن غاية ذلك ما تقوله النصارى في المسيح، ولم يقولوا: إن أحدا رأى اللاهوت الباطن المتدرع [أي: المتلبس، وفيها معنى الدخول في الشيء] ـ بالناسوت.

وهذا الغلط يقع كثيرا في السالكين. يقع لهم أشياء في بواطنهم فيظنونها في الخارج في ذلك بمنزلة الغالطين من نظار المتفلسفة ونحوهم؛ حيث يتصورون أشياء بعقولهم كالكليات والمجردات ونحو ذلك، فيظنونها ثابتة في الخارج، وإنما هى في نفوسهم؛ ولهذا يقول أبو القاسم السهيلي وغيره: نعوذ بالله من قياس فلسفي، وخيال صوفي.

ولهذا يوجد التناقض الكثير في كلام هؤلاء وهؤلاء. وأما الذين جمعوا الآراء الفلسفية الفاسدة والخيالات الصوفية الكاسدة كابن عربى وأمثاله، فهم من أضل أهل الأرض؛ ولهذا كان الجنيد ـ رضي الله عنه ـ سيد الطائفة إمام هدى، فكان قد عرف ما يعرض لبعض السالكين، فلما سئل عن التوحيد قال: التوحيد إفراد الحدوث عن القدم.

---

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/١٠٦

فبين أنه يميز المحدث عن القديم تحذيرا عن الحلول والاتحاد. فجاءت الملاحدة ـ كابن عربي ونحوه ـ فأنكروا هذا الكلام على الجنيد؛ لأنه يبطل مذهبهم الفاسد. والجنيد وأمثاله أئمة هدى، ومن خالفه في ذلك فهو ضال، وكذلك غير الجنيد من الشيوخ تكلموا فيما يعرض للسالكين، وفيما يرونه في قلوبهم من الأنوار وغير ذلك، وحذروهم أن يظنوا أن ذلك هو ذات الله ـ تعالى.

وقد خطب عروة بن الزبير من عبد الله بن عمر ابنته، وهو في الطواف، فقال: أتحدثني." (١)

"عبد الله بن موسى صاحب عبادة، ثنا معدان ـ قال ابن المبارك: إن كان أحد بخراسان من الأبدال فمعدان ـ قال: سألت سفيان الثوري عن قوله: ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ [الحديد: ٤] ؛ قال: علمه.

وقال حنبل بن إسحاق في كتاب [السنة] : قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: ما معنى قوله تعالى: ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ و ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إلا هو معهم أين ما كانوا﴾ [المجادلة: ٧] قال: علمه، عالم الغيب والشهادة محيط بكل شيء، شاهد. علام الغيوب، يعلم الغيب، ربنا على العرش بلا حد ولا صفة، وسع كرسيه السموات والأرض.

وقد بسط الإمام أحمد الكلام على معنى المعية في [الرد على الجهمية] . ولفظ المعية في كتاب الله جاء عاما كما في هاتين الآيتين، وجاء خاصا كما في قوله: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ [النحل: ١٢٨] وقوله: ﴿قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾ [طه: ٤٦] وقوله: ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ [التوبة: ٤٠] . فلو كان المراد أنه بذاته مع كل شيء لكان التعميم يناقض التخصيص؛ فإنه قد علم أن قوله: ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ أراد به تخصيصه وأبا بكر دون عدوهم من الكفار، وكذلك قوله: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ خصهم بذلك دون الظالمين والفجار.

وأيضا، فلفظ [المعية] ليست في لغة العرب ولا شيء من القرآن يراد بها اختلاط إحدى الذاتين بالأخرى؛ كما في قوله: ﴿محمد رسول الله والذين معه﴾ [الفتح: ٢٩] ، وقوله: ﴿فأولئك مع المؤمنين﴾ [النساء: ١٤٦] ، وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [التوبة: ١١٩] ، وقوله: ﴿وجاهدوا معكم﴾ [الأنفال: ٧٥] . ومثل هذا كثير؛ فامتنع أن يكون قوله: ﴿وهو معكم﴾ يدل على أن ذاته مختلطة بذوات الخلق. وأيضا، فإنه افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم، فكان السياق يدل على أنه أراد أنه عالم بهم.." (٢)

---

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/١٢٣

(٢) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/١٢٧

"من أهل السنة على أن معنى: ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ ونحو ذلك في القرآن أن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته، مستو على عرشه كيف شاء.

قال: وقال أهل السنة في قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] : الاستواء من الله على عرشه المجيد على الحقيقة لا على المجاز، واستدلوا بقول الله: ﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك﴾ [المؤمنون: ٢٨] ، وبقوله: ﴿لتستووا على ظهوره﴾ [الزخرف: ١٣] ، وبقوله: ﴿واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين﴾ [هود: ٤٤] ، إلا أن المتكلمين من أهل الإثبات في هذا على أقوال: فقال مالك ـ رحمه الله ـ: إن الاستواءمعقول، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وقال عبد الله بن المبارك ـ ومن تابعه من أهل العلم، وهم كثير ـ: إن معنى ﴿استوى على العرش﴾ [يونس: ٣] : استقر، وهو قول القتيبي، وقال غير هؤلاء: استوى أي ظهر. وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: ا ستوى بمعنى: علا، وتقول العرب: استويت على ظهر الفرس، بمعنى: علوت عليه، واستويت على سقف البيت، بمعنى علوت عليه، ويقال: استويت على السطح بمعناه، وقال الله تعالى: ﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك﴾ ، وقال: ﴿لتستووا على ظهوره﴾ ، وقال: ﴿واستوت على الجودي﴾ ، وقال: ﴿استوى على العرش﴾ بمعنى علا على العرش.

وقول الحسن: وقول مالك من أنبل جواب وقع في هذه المسألة وأشده استيعابا؛ لأن فيه نبذ التكييف وإثبات الاستواء المعقول، وقد ائتم أهل العلم بقوله واستجودوه واستحسنوه.

ثم تكلم على فساد قول من تأول ﴿استوى﴾ بمعنى: استولى.." (١)

"المحاسبي في كتاب [فهم القرآن] وغيره. بين فيه من علو الله واستوائه على عرشه ما بين به فساد قول النفاة، وفرح الكثير من النظار الذين فهموا أصل قول المتكلمين، وعلموا ثبوت الصفات لله، وأنكروا القول بأن كلامه مخلوق، فرحوا بهذه الطريقة التي سلكها ابن كلاب، كأبي العباس القلانسي، وأبي الحسن الأشعري، والثقفي؛ ومن تبعهم، كأبي عبد الله بن مجاهد، وأصحابه، والقاضي أبي بكر، وأبي إسحاق الإسفرائيني، وأبى بكر بن فورك، وغير هؤلاء.

وصار هؤلاء يردون على المعتزلة ما رده عليهم ابن كلاب والقلانسي والأشعري وغيرهم من مثبتة الصفات،

---

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/١٤٥

فيبينون فساد قولهم: بأن القرآن مخلوق وغير ذلك، وكان في هذا من كسر سورة المعتزلة والجهمية ما فيه ظهور شعار السنة، وهو القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله يرى في الآخرة، وإثبات الصفات والقدر، وغير ذلك من أصول السنة.

لكن الأصل العقلي الذي بنى عليه ابن كلاب قوله في كلام الله وصفاته، هو أصل الجهمية والمعتزلة بعينه، وصاروا إذا تكلموا في خلق الله السموات والأرض وغير ذلك من المخلوقات، إنما يتكلمون بالأصل الذي ابتدعه الجهمية ومن اتبعهم؛ فيقولون قول أهل الملة، كما نقله أولئك، ويقررونه بحجة أولئك.

وكانت محنة الإمام أحمد سنة عشرين ومائتين، وفيها شرعت القرامطة الباطنية يظهرون قولهم، فإن كتب الفلاسفة قد عربت وعرف الناس أقوالهم. فلما رأت الفلاسفة أن القول المنسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته، هو هذا القول الذي يقوله المتكلمون الجهمية ومن اتبعهم، ورأوا أن هذا القول الذي يقولونه فاسد من جهة العقل. طمعوا في تغيير الملة. فمنهم من أظهر إنكار الصانع، وأظهر الكفر الصريح، وقاتلوا المسلمين، وأخذوا الحجر الأسود، كما فعلته قرامطة البحرين. وكان قبلهم قد فعل بابك الخرمي مع المسلمين ما هو مشهور.." (١)

"شق الله هذه السموات، وأقام القيامة، وأدخل أهل الجنة الجنة، قال تعالى: ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ [مريم: ٦٢] ، وقد جاءت الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم بأنه ـ تبارك وتعالى ـ يتجلى لعباده المؤمنين يوم الجمعة، وأن أعلاهم منزلة من يرى الله ـ تعالى ـ كل يوم مرتين، وليس في الجنة شمس ولا قمر، ولا هناك حركة فلك، بل ذلك الزمان مقدر بحركات، كما جاء في الآثار أنهم يعرفون ذلك بأنوار تظهر من جهة العرش.

وإذا كان مدلول الدليل العقلي أنه لا بد أنه قديم تقوم به الأفعال شيئا بعد شيء، فهذا إنما يناقض قول المبتدعة من أهل الملل الذين ابتدعوا الكلام المحدث ـ الذي ذمه السلف والأئمة ـ الذين قالوا: إن الرب لم يزل معطلا عن الفعل والكلام. فصار ما علمته العقلاء من أصناف الأمم من الفلاسفة وغيرهم بصريح المعقول، هو عاضد وناصر لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم على من ابتدع في ملته ما يخالف أقواله.

وكان ما علم بالشرع ـ مع صريح العقل أيضا ـ راد لما يقوله الفلاسفة الدهرية من قدم شيء من العالم مع الله، بل القول بقدم العالم قول اتفق جماهير العقلاء على بطلانه، فليس أهل الملة وحدهم تبطله، بل أهل

---

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/١٧٣

الملل كلهم، وجمهور من سواهم من المجوس وأصناف المشركين، مشركي **العرب**، ومشركي الهند وغيرهم من الأمم. وجماهير أساطين الفلاسفة كلهم معترفون بأن هذا العالم محدث كائن بعد أن لم يكن، بل وعامتهم معترفون بأن الله خالق كل شيء، **والعرب** المشركون كلهم كانوا يعترفون بأن الله خالق كل شيء وأن هذا العالم كله مخلوق، والله خالقه وربه، وهذه الأمور مبسوطة في موضعها.

والمقصود هنا الكلام على ما يحتاج إليه من معرفة [حديث النزول] وأمثاله، وهما [الأصلان المتقدمان] .

ومن تمام الأصل الثاني لفظ [الحركة] : هل يوصف الله بها أم يجب نفيه عنه؟

اختلف فيه المسلمون، وغيرهم من أهل الملل، وغير أهل الملل من أهل الحديث وأهل الكلام، وأهل الفلسفة وغيرهم على ثلاثة أقوال. وهذه الثلاثة موجودة في أصحاب الأئمة الأربعة من." (١)

"يهفو إلى البان من قلبي نوازعه ... وما بي البان بل من دارة البان

وهذا اللفظ يستعمل في حركة الشيء الخفيف بسرعة، كما يقال: هفا الطائر بجناحه، أي: خفق وطار، وهفا الشيء في الهواء، إذا ذهب كالصوفة ونحوها، ومر الظبي يهفو، أي: يطفو، ومنه قيل للزلة: هفوة، كما سميت زلة، والزلة حركة خفيفة، وكذلك الهفوة. وكذلك يسمى المحب المشتاق الذي صار حبه أقوى من العلاقة [صبا] وحاله صبابة، وهو رقة الشوق وحرارته، والصب المحب المشتاق؛ وذلك لانصباب قلبه إلى المحبوب كما ينصب الماء الجاري، والماء ينصب من الجبل، أي: ينحدر. فلما كان في انحداره يتحرك حركة لا يرده شيء سميت حركة الصب [صبابة] ، وهذا يستعمل في المحبة المحمودة والمذمومة. ومنه الحديث: إن أبا عبيدة ـ رضي الله عنه ـ لما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم في سرية بكى صبابة وشوقا إلى النبي صلى الله عليه وسلم. والصبابة والصب متفقان في الاشتقاق الأكبر. **والعرب** تعاقب بين الحرف المعتل والحرف المضعف كما يقولون: تقضى البازي وتقضض، وصبا يصبو: معناه: مال، وسمي الصبي صبيا؛ لسرعة ميله. قال الجوهري: والصبي ـ أيضا ـ من الشوق، يقال منه: تصابي، وصبا يصبو صبوة وصبوا، أي: مال إلى الجهل والفتوة، وأصبته الجارية. وقد يستعمل هذا في الميل المحمود على قراءة من قرأ: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابين﴾ بلا همزة في قراءة نافع، فإنه لا يهمز ﴿الصابئين﴾ في جميع القرآن. وبعضهم قد حمده الله ـ تعالى ـ وكذلك يقال: حن إليه حنينا، ومنه: حنه في الاشتقاق الأكبر يحنو عليه حنوا. قال الجوهري: حنوت عليه عطفت عليه، ويحني عليه، أي: يعطف، مثل تحنن، كما قال الشاعر:

---

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/١٧٨

تحنى عليك النفس من لاعج الهوى ... فكيف تحنيها وأنت تهينها؟

وقال: الحنين: الشوق وتوقان النفس، ويقال: حن إليه يحن حنينا، فهو حان." (١)

"والحنان الرحمة. يقال: حن عليه يحن حنانا، ومنه قوله تعالى: ﴿وحنانا من لدنا﴾ [مريم: ١٣] . والحنان ـ بالتشديد ـ: ذو الرحمة، وتحنن عليه: ترحم، **والعرب** تقول: حنانيك يا رب، وحنانك، بمعنى واحد، أي: رحمتك، وهذا كلام الجوهري.

وفي الأثر في تفسير [الحنان، المنان] : أن الحنان هو الذي يقبل على من أعرض عنه، والمنان الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال، وهذا باب واسع.

والمقصود هنا أن هذا كله من أنواع جنس الحركة العامة، والحركة العامة هي التحول من حال إلى حال، ومنه قولنا: لا حول ولا قوة إلا بالله. وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي موسي ـ رضي الله عنه ـ: " ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ " قال: بلى، قال: " لا حول ولا قوة إلا بالله ".

وفي صحيح مسلم وغيره، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا قال المؤذن: الله أكبر، فقال الرجل: الله أكبر، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، ثم." (٢)

"رسول الله صلى الله عليه وسلم بال قائما فلا تصدقوه ما كان يبول إلا جالسا» " رواه أحمد وابن ماجه والنسائي والترمذي، وقال: هو أحسن حديث في هذا الباب وأصح. وهذا يدل على أن الغالب عليه كان الجلوس، وأن بوله قائما كان لعذر إما لأنه لم يتمكن من الجلوس في السباطة أو لوجع كان به. لما روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " «بال قائما من جرح كان بمأبضه» " أي تحت ركبته، قال الشافعي: (كانت **العرب** تستشفي لوجع الصلب بالبول قائما، فترى لعله كان به إذ ذاك وجع الصلب) ولكن قد رويت الرخصة عن عمر وعلي وزيد بن ثابت وأبي هريرة وابن عمر وسهل بن سعد وأنس؛ ولأن الأصل الإباحة فمن ادعى الكراهة فعليه الدليل.." (٣)

"وحكى الإمام أحمد عن أبي هريرة أنه مسح وقال " هو موضع الغل ".

والثانية: لا يستحب وهو أظهر؛ لأن الذين وصفوا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يذكروه، ولو كان مسنونا لتكرر منه فنقلوه؛ ولأنه ليس من الرأس حقيقة ولا حكما، والحديث قد طعن فيه سفيان بن

---

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/٨٤١

(٢) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/١٨٥

(٣) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ١٤٧/١

عيينة وأحمد، وغيرهما، ولعله قد فعل ذلك مرة لغرض؛ إذ لو داوم عليه لنقله مثل عثمان وعلي.

[مسألة غسل الرجلين إلى الكعبين وإدخال الكعبين في الغسل]

مسألة:

" ثم يغسل رجليه إلى الكعبين ثلاثا ويدخلهما في الغسل ".

لقوله تعالى: ﴿وأرجلكم إلى الكعبين﴾ [المائدة: ٦] وقد قرئت بالنصب والخفض، وقال من قرأها بالنصب من الصحابة مثل علي وابن مسعود وابن عباس أعاد الأمر إلى الغسل.

ولو كان عطفا على محل الجار والمجرور فهو وقراءة الخفض سواء في أنه يراد به الغسل، فإن المسح اسم لإيصال الماء إلى العضو سواء سال الماء أو لم يسل، قال أبو زيد: يقال تمسحت للصلاة.

وأيضا من لغة **العرب** أن الفعلين إذا تقارب معناهما استغنوا بأحدهما لدلالته على الآخر؛ لذا كان في الكلام ما يدل عليه، وكان هذا من باب." (١)

"نكسها أو غسلها جميعا باغتماس أو يوضئه أربعة لم يجزئه. فأما ما كان مخرجه في كتاب الله واحدا كالوجه واليدين إذا قدم بعضه على بعض كتقديم ظاهر الوجه على باطن الفم والأنف، وتقديم اليسرى على اليمنى فإنه جائز. وقد حكى أبو الخطاب وغيره فيه رواية أخرى، أن الترتيب ليس بواجب مأخوذ من نصه على جواز تأخير المضمضة والاستنشاق عن جميع الأعضاء وأبى ذلك غيره، وخصوا ذلك بمورد نصه فرقا بين المضمضة والاستنشاق وغيرهما حيث صرح هو بالتفرقة كما تقدم.

وهذا أصح، وليس القول بوجوب الترتيب؛ لاعتقادنا أن الواو تفيد الترتيب، فإن نصه ومذهبه الظاهر أنها لا تفيده، وإنما قلناه لدليل آخر؛ وذلك أن الله سبحانه أدخل ممسوحا بين مغسولين، وقطع النظير عن نظيره، أما على قراءة النصب فظاهر مع قول من قال من الصحابة والتابعين عاد الأمر إلى (الغسل) وعلى قراءة الخفض أوكد ؛ لأنه مع تأخير الرجلين أدخلهما في خبر المسح مراد به غسلهما مع إمكان تقديمهما.

والكلام **العربي** الجزل لا يقطع فيه النظير عن النظير، ويفصل بين الأمثال بأجنبي إلا لفائدة، ولا فائدة هنا إلا الترتيب، وكذلك لو قال الرجل أكرمت زيدا، وأهنت عمرا وأكرمت بكرا ولم يقصد فائدة مثل الترتيب

---

(١) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ١٩٤/١

ونحوه لعد عيا ولكنة، ولا يجوز أن تكون الفائدة استحباب الترتيب فقط؛ لأن الآية إنما ذكر فيها الواجبات فقط، وكذلك لم يذكر فيها ترتيب اليسرى." (١)

"الفصل الثاني

إنه جائز على الخفين، وعلى كل ما أشبههما من الجوارب والجراميق سواء لبس ذلك على ما يجوز المسح عليه أو على ما لا يمسح عليه، ولذلك ثلاثة شروط:

أحدها: أن يستر محل الغرض وهو القدم إلى ما فوق الكعبين.

والثاني: أن يثبت في القدم بنفسه.

والثالث: أن يمكن متابعة المشي فيه.

لما روى عبد الرحمن بن عوف عن بلال " «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ ويمسح على عمامته وموقيه» " رواه أحمد وأبو داود.

قال الجوهري: الموق " الذي يلبس فوق الخف، فارسي **معرب** " والموق إنما يلبس غالبا فوق الخف، وعن المغيرة بن شعبة " «أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ ومسح على الجوربين والنعلين» " رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

ولأن ما يلبس في الرجل إذا كان المحل الفرض يمشى فيه عادة فقد شارك الخف في المعنى الذي أبيح له المسح فيشاركه فيه سواء كان مما يقطع به المنازل والقفار أو لا، ولهذا يمسح على الخف من جلد وإن لم يكن له." (٢)

"التيمي لا يصح سماعه من عائشة: وجواب هذا أن عامة ما في الإسناد نوع إرسال وإذا أرسل الحديث من وجهين مختلفين اعتضد أحدهما بالآخر، لا سيما وقد رواه البزار بإسناد جيد عن عطاء عن عائشة رضي الله عنهما مثله.

ورواه الإمام أحمد عن عمرو بن شعيب عن زينب السهمية عن عائشة، ولأنه مس فلم ينتقض كمس البهيمة، والملامسة في الآية المراد بها الجماع كذلك قد فسرها علي وابن عباس، قال سعيد بن جبير اختلف الموالي **والعرب** في الملامسة في الآية فقال عبيد بن عمير **والعرب**." (٣)

---

(١) شرح عمدة الفقه لابن تيمية – من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ١/٢٠٤

(٢) شرح عمدة الفقه لابن تيمية – من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ١/٢٥٠

(٣) شرح عمدة الفقه لابن تيمية – من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ١/٣١٥

"ويهدم الحمام " وكره غلته، وإن اشترط على المكتري أن لا يدخله أحدا إلا بمئزر إذا كان الشرط لا ينضبط، وقال: " فمن بنى حماما للنساء ليس بعدل "؛ لأنه لا يسلم غالبا من المحرمات مثل نظر العورات وكشفها ودخول النساء، وهذه الكراهة كراهة تنزيه عند كثير من أصحابنا، وقال القاضي: " لا يجوز بناؤها وبيعها وإجارتها، كما لم يجز عمل آلة اللهو وبيعها وإجارتها، وعمل أواني الذهب والفضة، وعمل بيت النار والبيع " وهذا ينبغي أن يحمل على بلاد لا يضطرون إلى الحمامات كالحجاز والعراق ومصر، فأما البلاد الباردة كالشام والجزيرة وأرمينية وتشاءم عنها وغيرها فإنهم لا يقدرون على الاغتسال في الشتاء إلا في الحمامات؛ ولهذا قال عمر: " عليكم بالشمس فإنها حمام العرب " ولهذا لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم " «أنها ستفتح بلاد العجم، وأن فيها بيوتا يقال لها: الحمامات، لم يأمر بهدمها» ".

وتكره قراءة القرآن فيه، نص عليه؛ لما روى ابن بطة بإسناده عن معاوية بن قرة قال: "كتب عمر إلى الأشعري أن عندك بيوتا يقال لها: الحمامات، فلا يقرأ فيها آية من كتاب الله ".

وبإسناده عن علقمة عن عبد الله بن مسعود في القراءة قال: " ليس لذلك بني " وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: " بئس البيت الحمام، نزع من أهله الحياء ولا يقرأ فيه القرآن " رواه سعيد، واحتج به إسحاق. ولا بأس بذكر الله فيه؛ لما روى ابن بطة بإسناده عن إبراهيم أن أبا هريرة دخل." (١)

"كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض مسجدا، وجعلت تربتها لنا طهورا، إذا لم نجد الماء» رواه مسلم.

فلما خص التربة بالذكر بعد تعميم الأرض بكونها مسجدا علم اختصاصها بالحكم، وحديث الرمل ضعيف؛ لأن فيه المثنى بن الصباح، ثم إن صح فهو محمول على الرمال التي فيها تراب، " لأنه جاء " بلفظ آخر " عليكم بالتراب " فيدل على الذي في الرمل إنما تيمم بالتراب لأن العرب عادتها أن تعزب إلى الأرض لها حشائش رطبة، وإنما الحشائش الرطبة في الرمل الذي يخالطه التراب، ولأن الرمل لا يلصق باليد فأشبه الحصاء، ولأن طهارة الوضوء خصت بالنوع الذي " هو " أصل المائعات، وكذلك التيمم يخص بالنوع " الذي " هو أصل الجامدات وهو التراب، فأما الأرض السبخة فقد قال أحمد: " أرض الحرث أحب إلي وإن تيمم من أرض سبخة أجزأ "، وقال أيضا: " من الناس من يتوقى السبخة لأنها تشبه الملح "، وقال أيضا: " لا يعجبني التيمم بالسباخ لأنه لا يثبت في يده منه شيء يخرج منها إلى غيرها " فمن أصحابنا من جعلها كالرمل، والمذهب أنها إذا كان لها غبار فهي كالتراب.

---

(١) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ٤٠٧/١

وإن لم يكن لها غبار فهي كالرمل، وعلى هذا ينزل كلام أحمد، فإن عدم التراب وجب عليه التيمم بالرمل والسبخة والنورة والكحل والزرنيخ والرماد." (١)

"الشافعي: " أقل من سمعته من النساء تحيض، نساء تهامة تحيض لتسع سنين " وقال أيضا: " رأيت جدة لها إحدى وعشرين سنة حجر عليها ".

[مسألة أكبر سن الحيض]

مسألة

" وأكثره ستون سنة ".

لا يختلف المذهب أن لانقطاع الحيض غاية إذا بلغتها المرأة لم تحض بعدها، بل يكون الدم حينئذ دم فساد؛ لأن الله تعالى قال: ﴿واللائي يئسن من المحيض﴾ [الطلاق: ٤] ولو أمكن أن الحيض " لا ينقطع " أبدا لم ييئسن أبدا، ولأنه لم يوجد حيض معتاد في بنت المائة ونحوها، فإن وجد شيء من ذلك فهو دم فساد كالصغيرة، وهذه الغاية ستون سنة في إحدى الروايات؛ لأن ما قبل ذلك قد وجد فيه حيض معتاد بنقل نساء ثقات.

والثانية: خمسون، لقول عائشة: " إذا بلغت المرأة خمسين سنة خرجت من حد الحيض " ذكره الإمام أحمد، ورواه الدارقطني ولفظه: " لن ترى المرأة في بطنها ولدا بعد خمسين سنة " قالوا: وهذا تقدير لا يدرك بالرأي فيشبه أن يكون توقيفا.

والثالثة: ستون في " نساء العرب " لأن نساء." (٢)

"العرب أشد جبلة وأسرا. وقد ذكر الزبير بن بكار في جملة النسب عن بعضهم أنه قال:

" لا تلد لخمسين إلا عربية ولا تلد لستين إلا قرشية " وقال أن هند بنت عبيدة بن عبد الله بن زمعة ولدت موسى بن عبد الله بن حسين بن حسن ولها ستون سنة ".

وجعل الخرقي ما بين الخمسين إلى الستين دما مشكوكا فيه، هل هو حيض أو استحاضة؟ لتعارض العادة التي توجب أن يكون حيضا وقول عائشة الذي ظاهره التوقيف، فتصوم فيه وتصلي لجواز أن لا يكون حيضا صحيحا كالمستحاضة، وتغتسل إذا انقطع الدم، وتقضي الصوم لجواز أن يكون حيضا صحيحا.

---

(١) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ٤٤٨/١

(٢) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ٤٨١/١

[مسألة المبتدأة إذا رأت الدم لوقت تحيض في مثله]

مسألة

" والمبتدأة إذا رأت الدم لوقت تحيض في مثله جلست فإذا انقطع لأقل من يوم وليلة فليس بحيض " وذلك لأن الحيض هو شيء كتبه الله على بنات آدم ولا بد للمرأة في الغالب منه، ودم الاستحاضة دم فساد ومرض لعارض، والأصل هو الصحة والسلامة فيجب بناء الدم على الأصل وإلحاق الفرد بالأعم الأغلب، فلذلك تجلس عن الصلاة أول ما ترى الدم فإن انقطع لأقل من يوم وليلة على المشهور فهو دم فساد؛ لأن الحيض لا يكون أقل من ذلك فتقضي ما تركت فيه من الصلاة.." (١)

"قدر بها أشياء كثيرة، مثل: خيار المصارة، وخيار المخدوع، ومدة الهجرة، والإحداد على غير الزوج، وإقامة المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه، وغير ذلك. وقولهم: " العادة مشتقة من العود " إنما يصح لو كان الشرع هو الذي علق الحكم باسم العادة، والعادة من ألفاظ الفقهاء. وهذا كما يقول بعضهم: أقل أسماء الجموع اثنان؛ لأن الجمع الضم، وذلك موجود في الاثنين. وإنما يصح هذا لو كان **العرب** سمت هذه الألفاظ جموعا، وإنما هذه تسمية النحاة، ثم لو راعينا الاشتقاق فإن العادة لا تحصل بعود مرة؛ لأن أصلها عودة، فلما تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا، وهذه صيغة مبالغة، فلا يحصل ذلك إلا بتكرار العود، وأقل ما يتكرر فيه العود مرتين بعد الأولى، وسواء كانت الأشهر الثلاثة متوالية أو متفرقة؛ حتى لو حاضت سبعا ثم ستا ثم خمسا فإنها تجلس الخمس، فإن حاضت في الشهر الرابع ستا صارت هي العادة كتكررها ثلاث مرات، هذا أحد الوجهين.

وفي الثاني: لا تثبت العادة إلا بتوالي أشهر الحيض؛ لأنها لما حاضت بعد ذلك ستا صار اليوم السادس حيضا مبتدئا لا معتادا، وهذا أشبه بالمذهب؛ لأن من أصلنا أن العادة إذا نقصت في بعض الأشهر فإن كانت تحيض عشرا فحاضت في شهر سبعا ثم استحيضت في عقب ذلك، فإنها تبني على سبع.." (٢)

"عهد فعهده إلى مدته، ومن لا مدة له فأربعة أشهر» " رواه أحمد والترمذي، وقال حديث حسن صحيح.

وقد منع الله - سبحانه - المشركين من اليهود والنصارى وغيرهم من سكنى جزيرة **العرب** مبالغة في نفيهم

---

(١) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ٤٨٢/١

(٢) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ٤٨٧/١

عن مجاورة البيت.

ومن عرف بالكفر، ثم حج حكم بإسلامه في أصح الوجهين.

فأما وجوبه عليهم بمعنى أنهم يؤمرون به بشرطه، وأن الله يعاقبهم على تركه فهو ظاهر المذهب عندنا لأن الله - تعالى - قال: ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ [آل عمران: ٩٧] فعم ولم يخص." (١)

"وفائه من ماله، أو عاجز عنه إذا أداه غيره عنه بإذنه جاز، كذلك الحج.

والثاني: أن يكون قد علم أن الحج وجب على الآباء بملك المال، إما بعلمه - صلى الله عليه وسلم - بأن أماكن أولئك السوال قريبة، وأن غالب **العرب** لا يعدم أحدهم بعيرا يركبه، وزادا يبلغه، أو لأنه رأى جزم السائلين بالوجوب، مخصصين لهؤلاء من دون غيرهم من المسلمين، فعلم أنهم إنما جزموا لوجود المال الذي تقدم بيانه أنه هو السبيل، أو لغير ذلك من الأسباب.

ويجوز أن يكون السوال عنوا بقوله: - أدركته فريضة الله في الحج، وعليه فريضة الله في الحج، والحج مكتوب عليه -: الوجوب العام، وهو أن الحج أحد أركان الإسلام وقد أوجبه الله - سبحانه - على كل مسلم حر عاقل بالغ، وهو مخاطب به سواء كان قادرا أو عاجزا، ولهذا لو فعله، أو فعل عنه أجزأه ذلك من حجة الإسلام، وإنما سقط عن غير المستطيع السير للعذر، لا لكونه ليس من أهل الوجوب، بخلاف الصبي والعبد والمجنون، فإنهم ليسوا من أهل الوجوب؛ ولهذا يفرق في الجمعة والحج وغيرهما بين أهل الأعذار في كونهم من أهل وجوب هذه العبادة، وإنما سقط عنهم السعي إليها للمشقة والعذر؛ ولهذا إذا حضروا وجبت عليهم، وانعقدت بهم، وبين العبد." (٢)

"نزل قوله: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا﴾ [التوبة: ٣٦] الآية، والتي بعدها.

وعن أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجته فقال: " «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان» " وذكر الحديث، متفق عليه.

وإذا كان الحج قبل حجة الوداع في تلك السنين باطلا واقعا في غير ميقاته امتنع أن يؤدي فرض الله سبحانه قبل تلك السنة، وعلم أن حجة عتاب بن أسيد، وحجة أبي بكر إنما كانتا إقامة للموسم الذي يجتمع فيه وفود **العرب** والناس؛ لينبذ العهود، وينفى المشركون، ويمنعون من الطواف عراة؛ تأسيسا وتوطئة للحجة التي

---

(١) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ١١٤/٢

(٢) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ١٤٢/٢

أكمل الله بها الدين، وأتم بها النعمة، وأدى بها فرض الله، وأقيمت فيها مناسك إبراهيم عليه السلام.." (١)

"(فصل)

قال أصحابنا: لا يستحب أن يتخللها غيرها من الكلام ليأتي بها نسقا، فإن سلم عليه رد؛ لأن ذلك فرض، والتلبية سنة.

فإن لم يحسن التلبية **بالعربية**، فإنه يتعلمها وإن لم يفقهها.

قال – في رواية حنبل –: والأعجمي والأعجمية إذا لم يفقها يعلمان على قدر طاقتها وبرر لماى المناسك، ويشهدان مع الناس المناسك، والله أعلم بالنية، وأرجو أن يجزئ ذلك عنهما.

ولا يجوز أن يلبي بغير **العربية** وهو يقدر على التلبية **بالعربية**، أو على تعلمها ؛ لأنه ذكر مشروع، فلم يجز إلا **بالعربية** كالأذان والتكبير وغير ذلك من الأذكار المشروعة، لا سيما والتلبية ذكر مؤقت، فهي بالأذان أشبه منها بالخطبة ونحوها، ثم الخطبة لا تكون إلا **بالعربية**، فالتلبية أولى. فإن عجز عن التلبية **بالعربية**: فقال أبو محمد: يجوز أن يلبي بلسانه، ويتوجه أن لا يجوز؛ لأنه قد منع عن الدعاء في الصلاة بغير **العربية**. فإن عجز عن التلبية بأن ل ا يحسنها بالكلية أو يكون أخرس، أو مريضا لا يطيق الكلام، أو صغيرا، فقال أحمد – في رواية أبي." (٢)

"الإعراب وقرئ (فجزاء مثل ما قتل) بالإضافة، والمعنى فعطاء مثل المقتول، فالجزاء على هذا مصدر، أو اسم مصدر أضيف إلى مفعوله وضمن معنى الإعطاء والإخراج والإيتاء، ومثل هذا: القراءتان في قوله تعالى: ﴿فدية طعام مسكين﴾ [البقرة: ١٨٤] وإن كان بعض القراء فرق بينهما حيث جعل الفدية نفس الطعام وجعل الجزاء: إعطاء المثل.

والمراد بالمثل: ما مثال الصيد من جهة الخلقة والصورة سواء كانت قيمته أزيد من قيمة المقتول، أو أنقص؛ بدلالة الكتاب، والسنة، وإجماع الصحابة.

أما الأول: فمن وجوه؛ أحدها: أن الله أوجب مثل المقتول، والمثل إنما يكون من جنس مثله، فعلم أن المثل حيوان، ولهذا يقول الفقهاء في الأموال: ذوات الأمثال، وذوات القيم، وهذا الشيء يضمنه بمثله، وهذا يضمن بقيمته، والأصل بقاء العبارات على ما كانت عليه في لغة **العرب** الذين نزل القرآن بلسانهم،

---

(١) شرح عمدة الفقه لابن تيمية – من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ٢/٢٢٧

(٢) شرح عمدة الفقه لابن تيمية – من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ٢/٦٠٧

وقيمة المتلف لا يسمى مثلا.

الثاني: أن الله أوجب المثل من النعم: احترازا من إخراج المثل من نوع المقتول، فإنه لو أطلق المثل لفهم منه أن يخرج عن الضبع ضبع، وعن الظبي ظبي. ولو كان المثل هو قيمة المقتول: لكان الواجب في ذمة القاتل قيمة." (١)

"ووجه الأولى: - وهي اختيار الخرقي والقاضي وأصحابه، ويشبه أن تكون هي المتأخرة؛ لأن البغوي إنما سمع منه آخر بخلاف ابن الحكم فإن رواياته قديمة؛ لأنه مات قبل أحمد -: قوله: ﴿ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما﴾ [المائدة: ٩٥].

وحرف "أو" إذا جاءت في سياق الأمر والطلب فإنها تفيد التخيير بين المعطوف، والمعطوف عليه، أو إباحة كل منهما على الاجتماع والانفراد كما يقال: جالس الحسن أو ابن سيرين، وتعلم الفقه أو النحو. هذا هو الذي ذكره أهل المعرفة بلغة **العرب** في كتبهم، قالوا: وإذا كانت في الخبر: فقد تكون للإبهام، وقد تكون للتقسيم، وقد تكون للشك. وعلى ما ذكره نخرج معانيها في كلام الله فإن قوله: ﴿ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾ [البقرة: ١٩٦] وقوله: ﴿فكفارته إطعام عشرة مساكين﴾ [المائدة: ٨٩] وقوله: ﴿فجزاء مثل ما قتل من النعم﴾ [المائدة: ٩٥] وإن كان مخرجه مخرج الخبر: فإن معناه: معنى الأمر فيكون الله قد أمر بواحدة من هذه الخصال فيفيد التخيير.

وقوله: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ [سبأ: ٢٤] وقوله: ﴿تقاتلونهم أو يسلمون﴾ [الفتح: ١٦] وقوله: ﴿ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم﴾ [آل عمران: ١٢٧] وقوله: ﴿أو يتوب عليهم أو يعذبهم﴾ [آل عمران: ١٢٨]." (٢)

"الحج ويكون نفس إحرام الحج ظرفا ووعاء للصوم، كما يقال: دعا في صلاته، وتكلم في صلاته، ولبى في حجه، وتمضمض في وضوئه، وهذا لأن الأزمنة لما كانت تحوي الأفعال وتشملها: فالفعل قد يحوي فعلا آخر.

وقال أصحابنا: فصيام ثلاثة أيام في وقت الحج؛ لأن الفعل لا يكون ظرفا للفعل إلا على سبيل التجوز مع تقدير الزمان؛ ولهذا قال أهل الإعراب: إن **العرب** تجعل المصادر أحيانا على سبيل التوسع، إما على حذف

---

(١) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ٢٨١/٣

(٢) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ٣١٩/٣

المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، فيكون المحذوف مقدرا، وإما على تضمين الفعل: الزمان لاستلزامه إياه فيكون الزمان مضمنا، قالوا: وإذا كان المعنى: فصيام ثلاثة أيام في وقت الحج، فالحج شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة، وكلام أحمد يشير إلى هذا الوجه، ويؤيد ذلك أنه قال: ﴿فصيام ثلاثة أيام في الحج﴾ [البقرة: ١٩٦] ثم قال بعيد ذلك: ﴿الحج أشهر معلومات﴾ [البقرة: ١٩٧] فكأنه قال: فصيام ثلاثة أيام في أشهر معلومات والمعنى: فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فليصم ثلاثة أيام في أشهر الحج لا يؤخرهن عن وقت الحج.

وعلى القول الأول: فإذا أحرم بالعمرة إلى الحج فهو حاج، فإذا صامها حينئذ فقد صامها في حجه؛ لأن العمرة هي الحج الأصغر، وعمرة التمتع جزء من الحج بعض له؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: («دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة، وشبك بين أصابعه») والمتمتع حاج من حين يحرم بالعمرة إلا أن إحرامه يتخلله حل بخلاف من أفرد العمرة.

فصل

وأما صيام السبعة فيجوز تأخيره إلى أن يرجع إلى أهله، فإذا رجع إليهم." (١)

"وأيضا فإن الحلق يجمع صفات منها: أنه تحلل من الإحرام ؛ لأنه كان محظورا قبل هذا، والتحلل من العبادة عبادة كالسلام.

ومنها أن وضع النواصي نوع من الذل والخضوع؛ ولهذا كانت **العرب** إذا أرادت المن على الأسير، جزت ناصيته وأرسلته، وأعمال الحج مبناها على الخضوع والذل.

ومنها أنه قد يكون فيه ترفه بإلقاء وسخ الرأس وشعثه وقمله، لكن هذا القدر يمكن إزالته بالترجل، فلو فرض أنه من أنواع المباحات ببعض صفاته لم يمنع أن يكون من نوع العبادات بباقي الصفات. . .

(فصل)

فإن كان معه هدي، وقلنا: يتحلل بالرمي - فلا كلام، وإن قلنا: لا يتحلل إلا بالحلق، قال القاضي وأصحابه مثل أبي الخطاب وابن عقيل: يحصل التحلل الأول بالرمي والحلق، أو بالرمي والطواف، أو بالطواف والحلق على قولنا بأن التحلل نسك واجب.

---

(١) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ٣٤١/٣

وعلى قولنا: يحصل التحلل بدونه، يحصل إما بالرمي أو بالطواف.

[مسألة طواف الإفاضة]

مسألة: (ثم يفيض إلى مكة فيطوف للزيارة ؛ وهو الطواف الذي به تمام الحج).

قال جابر في حديثه: " «ثم ركب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأفاض إلى." (١)

"قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس، وكان سائر العرب يقفون بعرفة، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه أن يأتي عرفات فيقف بها، ثم يفيض منها، فذلك قوله: " ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ [البقرة: ١٩٩]» " وفي لفظ: " «قالت: الحمس هم الذين أنزل الله فيهم: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ [البقرة: ١٩٩] قالت: كان الناس يفيضون من عرفات، وكان الحمس يفيضون من المزدلفة، يقولون: لا نفيض إلا من الحرم، فلما نزلت: ﴿أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ [البقرة: ١٩٩] رجعوا إلى عرفات» " متفق عليه.

وعن جبير بن مطعم قال: " «أضللت بعيرا لي، فذهبت أطلبه يوم عرفة، فرأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واقفا مع الناس بعرفة، فقلت: والله إن هذا لمن الحمس، فما شأنه هاهنا، وكانت قريش تعد من الحمس» " متفق عليه.

وعن جابر قال: «كانت العرب يدفع بهم أبو سيارة على حمار عري، فلما أجاز رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المزدلفة بالمشعر الحرام لم تشك قريش أنه سيقتصر عليه، ويكون منزله ثم، فأجاز ولم يعرض حتى أتى عرفات فنزل» رواه مسلم.

فإن قيل: كيف قيل: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ [البقرة: ١٩٩] والإفاضة من." (٢)

"﴿عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى﴾ [الأعراف: ٢٦] الآيات كلها إلى قوله: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ [الأعراف: ٣١] قال ابن عباس: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة، فتقول: من يعيرني تطوافا تجعله على فرجها، وتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله

،

---

(١) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ٣/٥٤٥

(٢) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ٣/٥٧٣

فما بدا منه فلا أحله.

فنزلت هذه الآية: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ [الأعراف: ٣١] رواه مسلم.

وروى أيضا عن هشام بن عروة عن أبيه قال: "كانت **العرب** تطوف بالبيت عراة إلا الحمس. والحمس قريش، وما ولدت كانوا يطوفون عراة، إلا أن يعطيهم الحمس ثيابا، فيعطي الرجال الرجال والنساء النساء".

فقد سمى الله سبحانه نزع الثياب فتنة وفاحشة، وأمر بأخذ اللباس عند كل مسجد.

وعن أبي هريرة: " أن أبا بكر الصديق – رضي الله عنه – بعثه في الحجة التي أمره عليها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبل حجة الوداع يوم النحر في." (١)

"سبيلهم كما في آية الجزية فإنه مد قتالهم إلى حين الإعطاء فإذا التزموا الإعطاء فهو أول الأسباب بمنزلة الشروع في الفعل فإن حققوا ذلك وإلا قتلناهم ولأنه لو كان المراد مجرد الالتزام وأن عري عن الفعل لم يكن بين الصلاة والزكاة وغيرهما فرق إذ من لم يلتزم جميع الإسلام فإنه يقاتل وأيضا فإن الالتزام قد لا يحصل لقوله: ﴿فإن تابوا﴾ فإن التائب من الكفر لا يكون تائبا حتى يقر بجميع ما جاء به الرسول ويلتزمه ولأن الالتزام أن أريد به اعتقاد الوجوب والإقرار به فليس في اللفظ ما يدل على أنه المراد وحده وأن أريد به الفعل والوعد به فهذا لا يجب إلا إذا وجب قتلهم بالترك وإلا فلو كان قتلهم بالترك غير واجب وقالوا نحن نعتقد الوجوب ولا نفعل لحرم قتلهم وهذا خلاف الآية وأيضا مما هو دليل في المسألة وتفسير للآية ما أخرجاه في الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله" وليس في لفظ مسلم إلا بحق الإسلام وعن أنس بن مالك قال: "لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتدت **العرب** فقال عمر يا أبا بكر كيف تقاتل **العرب** فقال أبو بكر إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة" رواه النسائي فهذا يدل على أن." (٢)

"استبطأ الناس حي على الصلاة حي على الفلاح أو الصلاة خير من النوم في الفجر أو غيرها أو يقول الصلاة الإقامة أو الصلاة رحمكم الله عند الإقامة أو بين النداءين فمكروه سواء قصد ذلك نداء الأمراء أو نداء أهل السوق أو غير ذلك لما روي عن ابن عمر أنه: "نزل الكوفة في بعض الأحياء فنودي بالصبح

---

(١) شرح عمدة الفقه لابن تيمية – من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ٥٩٠/٣

(٢) شرح عمدة الفقه لابن تيمية – من كتاب الصلاة ابن تيمية ص/٦١

في مسجد أولئك الحي فخرج إليهم ليصلي معهم فلما ثوبوا قال أليس قد نودي للصلاة قالوا بلى قال فما يقول هذا قالوا أن هذا شيء يصنعونه عند ضوء الصبح إذا أضاء لهم فقال أن هؤلاء قد ابتدعوا لا نصلي معهم فانصرف إلى منزله فصلى فيه" رواه سعيد وعن أبي العالية قال كنا مع ابن عمر في سفر ونزلنا بذي المجاز على ماء لبعض **العرب** فحضرت الصلاة فأذن مؤذن ابن عمر ثم أقام الصلاة فقام رجل فعلا على رحل من رحالات القوم ثم نادى بأعلى صوته الصلاة يا أهل الماء الصلاة فجعل ابن عمر يسبح في صلاته حتى إذا قضت الصلاة قال ابن عمر من الصائح بالصلاة قالوا أبو عامر يا أبا عبد الرحمن فقال له ابن عمر لا صليت ولا تليت أي شيطانك أمرك بهذا أما كان في الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والصالحين ما أغنى عن بدعتك هذه أن الناس لا يحدثون بدعة وأن رأوها حسنة إلا أماتوا سنة فقال رجل من القوم إنه ما أراد إلا خيرا يا أبا عبد الرحمن فقال ابن عمر لو أراد خيرا ما رغب بنفسه عن سنة نبيه والصالحين من عباده" رواه ابن بطة في جزء." (١)

"المرء على المال والشرف لدينه" قال الترمذي حديث حسن صحيح ولأنه يخاف على صاحبها انتفاخه بذلك واختياله وأن يفتن باشتهاره ولذلك صلى حذيفة بن اليمان مرة إماما ثم قال: "لتصلن وحدانا أو لتلتمسن لكم إماما غيري فإني لما أممتكم خيل إلي أنه ليس فيكم مثلي" وقيل لمحمد بن سيرين في بعض المرات إلا تؤم أصحابك فقال: "كرهت أن يتفرقوا فيقولوا أمنا محمد بن سيرين" ولأن الإمام يتحمل صلاة المأمومين الذي دل عليه حديث الضمان والآذان سليم من هذه المخاوف كلها بل ربما زهد الشيطان فيه وثبط عنه حتى يفوض إلى أطراف الناس ولذلك قال عمر رضي الله عنه لبعض **العرب** من يؤذن لكم قالوا عبيدنا قال ذلك شر لكم وأما إمامته صلى الله عليه وسلم وإمامة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم فمثل الإمارة والقضاء وذلك أن الولايات وأن كانت خطرة لكن إذا أقيم أمر الله فيها لم يعدلها شيء من الأعمال وإنما يهاب الدخول فيه، أولا خشية أن لا يقام أمر الله فيها لكثرة نوائبها وخشية أن يفتن القلب بالولاية لما فيها من الشرف والعز ويكره طلبها لأنه من حب الشرف وإرادة العلو في الأرض يكون في الغالب ولأنه تعرض للمحنة والبلوى فإذا ابتلي المرء بها صار القيام بها فرضا عليه وكذلك إذا تعينت عليه فإمامته وإمامة الخلفاء الراشدين كانت متعينة عليهم فإنها." (٢)

---

(١) شرح عمدة الفقه لابن تيمية – من كتاب الصلاة ابن تيمية ص/١١٠

(٢) شرح عمدة الفقه لابن تيمية – من كتاب الصلاة ابن تيمية ص/١٣٩

"السفر فلا شيء يواريها والجمع جائز فيه لصحة الأحاديث أنه كان يصلي العشاء في السفر قبل مغيب الشفق.

وذلك لما رواه الإمام أحمد في مسنده ومسائل ابنه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم عن وقت الصلاة فقال: " صل معي فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح حين طلع الفجر ثم صلى الظهر حين زاغت الشمس ثم صلى العصر حين كان فيء الإنسان مثله ثم صلى المغرب حين وجبت الشمس ثم صلى العشاء قبل غيبوبة الشفق ثم صلى الظهر حين كان فيء الإنسان مثله ثم صلى العصر حين كان فيء الإنسان مثليه ثم صلى المغرب قبل غيبوبة الشفق ثم صلى العشاء قال بعضهم: ثلث الليل وقال بعضهم: شطره" ومعلوم أنه ما صلى العشاء قبل الشفق الأحمر فعلم أنه صلاها قبل مغيب الأبيض وعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "وقت المغرب ما لم يسقط ثور الشفق" رواه أحمد ومسلم والنسائي وأبو داودولفظه: "فور الشفق وثور الشفق ثوران حمرته وفوره فورانه وسطوعه" وهذا إنما يكون في الشفق الأحمر ولأن الأحمر أظهر في الإستعمالمن الشفق الأبيض قال الفراء سمعت بعض **العرب** يقول عليه ثوب كأنه الشفق وكان احمر ولهذا فسر أكثر الناس." (١)

"وكذلك ما دون السرة بقليل وفوق الركبة بقليل نص عليه في مواضع.

وحكي عنه أنهما من العورة لأنهما تمام الحد ولا يحصل تمام السترة إلا بهما فوجب سترهما كما وجب غسل جزء من الرأس وإمساك جزء من الليل.

والأول أصح لأن العمدة في ذلك على أحاديث الفخذ وهي لا تتناول الركبة والسرة وقد روى الدارقطني عن أيوب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اسفل السرة وفوق الركبتين من العورة" وعن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما بين السرة والركبة عورة" وهذا صريح بأنهما ليستا من العورة وقوله هما تمام الحد غير مسلم بل إذا نزل عن السرة قليلا وصعد عن الركبة قليلا جاز نص عليه لأن عادة الصحابة **والعرب** في زمانه صلى الله عليه وسلم كانت الاكتفاء بالمآزر والعادة انحطاطها عن السرة وقد ذكر الإمام أحمد عن ابن عمر أنه: "كان يشد إزاره." (٢)

"والرواية الأخرى إنه لا يكره إلا إذا كان عليه ثوب واحد قال الآمدي وغيره هو الصحيح لأن الأحاديث الصحاح المفسرة إنما هي في الثوب الواحد وقد علله في الحديث يبدو أحد شقيه وهذا مفقود في الثوبين.

---

(١) شرح عمدة الفقه لابن تيمية – من كتاب الصلاة ابن تيمية ص/١٧٥

(٢) شرح عمدة الفقه لابن تيمية – من كتاب الصلاة ابن تيمية ص/٢٦٣

ومن أصحابنا من قال يكره الاضطباع على المئزر ولا يكره على القميص وهذا قول قوي فإن الأغلب على القوم كان الارتداء فوق المآزر وقد نهوا عن الاشتمال ولأن في ذلك كشفا للمنكب في الصلاة وهو مكروه أو مبطل لما تقدم وقد نص أحمد على كراهته ولأن الذي في الحديث كراهة بروز الشق الأيمن ولو لم يكن تحته مئزر لكانت العورة قد تظهر من الناحية اليسرى فكان التعليل بكشف العورة أولى من التعليل ببروز الشق فقط.

فإن قيل فقد قال أبو عبيد اشتمال الصماء عند **العرب** أن يشتمل الرجل بثوب يجلل به جسده كله ولا يرفع منه جانبا تخرج فيه يده كأنه يذهب به إلى أنه لعله يصيبه شيء يريد الاحتراس منه ولا يقدر عليه.

وتفسير الفقهاء أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبه فيبدو منه فرجه قال والفقهاء أعلم بالتأويل.." (١)

"وقد ذكر أبو عبد الله السامري من أصحابنا مثل ما حكاه أبو عبيد عن **العرب** فقال اشتمال الصماء هو أن يلتحف بالثوب ويرفعه إلى حد جانبيه فلا يكون ليده موضع تخرج منه فلذلك تسمى الصماء قال بعض الفقهاء يحتاج أن يخرج يده من صدره فتبدو عورته.

والتفسير الذي ذكرتموه مخالف لهذين قلنا.

أما التفسير الذي ذكرناه فهو منصوص مفسر في الحديث والتفسير الذي حكاه أبو عبيد عن الفقهاء يدل عليه الحديث أيضا لأنه قال الصماء أن يجعل ثوبه على أحد عاتقيه فيبدو أحد شقيه وهذا يعم ما إذا اضطبع بالثوب من الناحية الأخرى أو لم يضطبع فإنه إذا اضطبع أبدى منكبه الأيمن وستر منكبه الأيسر وبقي شقه الأيسر غير مستور والصورة التي ذكر أبو عبيد يكون المنكب الأيمن مستورا والمنكب الأيسر لكن الشق الأيسر باديا وظهور العورة فيه أشد لكن المنكبين مستوران وهذا أيضا مما يحرم وتبطل الصلاة معه بلا ريب واشتمال الصماء يعمهما.

وأما الذي نقل عن ابن عباس أنه: "يخرج يده من قبل صدره" فإن أخرجها من فوق حاشية الرداء صار مضطبعا وأن أخرجها من تحت الرداء فهو الذي ذكره أبو عبيد وأما التفسير المحكي عن **العرب** فهو أشبه بالاشتقاق لأن الصخرة الصماء التي لا منفذ فيها ومنه الأصم وهو الذي لا ينفذ الصوت إليه ويؤيده ما روى

---

(١) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الصلاة ابن تيمية ص/٣٥٥

أبو بكر بإسناده عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلبس الرجل ثوبا واحدا يأخذ.." (١)

"فصل.

فأما النساء فإن إطالة الذيول لهن سنة نص عليه لما روت أم سلمة أنها قالت: "يا رسول الله كيف يصنع النساء بذيولهن قال: "يرخين شبرا فقالت إذا تنكشف أقدماهن قال يرخينه ذراعا لا يزدن عليه" رواه الخمسة إلا ابن ماجة وقال الترمذي حسن صحيح.

وعن ابن عمر قال: "رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمهات المؤمنين في الذيل شبرا ثم استزدنه فزادهن شبرا فكن يرسلن إلينا فنذرع لهن ذراعا" رواه أبو داود والنسائي وفي رواية لأحمد أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم سألنه عن الذيل فقال: "اجعلنه شبرا فقلن أن شبرا لا يستر من عورة فقال اجعلنه ذر فكانت إحداهن إذا أرادت أن تتخذ ذراعا أرخت ذراعا فجعلته ذيلا".

ولهذا قال أصحابنا: أقل ذيل المرأة شبر وأكثره ذراع.

قال بعض أصحابنا: هذا في حق من مشى بين الرجال كنساء **العرب** اللاتي يمشين بين الحلل والصحراء فأما نساء المدن اللاتي في بيوتهن ولا يراهن رجل أجنبي فيكون ذيلها كذيل الرجل.." (٢)

"والقواعد كسائر فروع الشريعة إذ ذاك لم تكن قد فرضت الأصول والقواعد.

ثم أن الاهتمام في أول الأمر بجمل الشرائع وكلياتها دون الواحد من تفاصيلها والجزء من جزئياتها هو المعروف من طريقة القران وهو الواجب في الحكمة ثم ثياب النبي صلى الله عليه وسلم لم تعرض لها نجاسة إلا أن تكون في الأحيان فتخصيصها بالذكر دون طهارة البدن وغيره مع قلة الحاجة وعدم الاختصاص بالحكم في غاية البعد وإذا حملت الآية على الطهارة من الرجس والاثم والكذب والغدر والخيانة والفواحش كانت قاعدة عظيمة من قواعد الشريعة والكناية بطهارة الثياب عن طهارة صاحبها من الفواحش والكذب والخيانة ونحو ذلك مشهور في لسان **العرب** غالب في عرفهم نظما ونثرا كما قال.

ثياب بني عوف طهارى نقية.

وقال الآخر.

وإني بحمد الله لا ثوب غادر.

---

(١) شرح عمدة الفقه لابن تيمية – من كتاب الصلاة ابن تيمية ص/٣٥٦

(٢) شرح عمدة الفقه لابن تيمية – من كتاب الصلاة ابن تيمية ص/٣٦٩

لبست ولا من خزية اتقنع.
حتى إذا قيل فلان طاهر الثياب طاهر الذيل لم يفهم منه عند الاطلاق إلا ذلك فيكون قد صار ذلك حقيقة عرفية كما صار المجيء من الغائط حقيقة في قضاء الحاجة وكما صار مسيس النساء ومباشرتهن حقيقة في الجماع فيجب حمل الكلام عليه ولذلك وجهان.
أحدهما: أن اللباس يضاف إليه من الحكم ويقصد به الاضافة إلى الإنسان نفسه للعلم بان المقصود من الثوب لا نفس الثوب ويجعل ذلك نوعا من الكناية كما قال الانصار للنبي صلى الله عليه وسلم: "لنمنعنك مما نمنع." (١)

"وأما الحش فهو المكان المعد لقضاء الحاجة فلا تصح الصلاة في شيء من مواضع البيت المنسوب إلى ذلك سواء في ذلك موضع التغوط أو موضع الاستنجاء أو غيرهما فأما المطاهر التي قد بني فيها بيوت للحاجة والاغتسال أيضا وبرانيها للوضوء فقط وللوضوء والبول فينبغي أن تكون نسبة برانيها كنسبة براني الحمام إليها ولا يصلى فيها بل هي أولى بالمنع من الحمام لأنها أولى بالنجاسة والشياطين من الحمام ووجود ذلك في الخارج منها أظهر من وجوده في الخارج من الحمام.
فأما ما ليس مبنيا للحاجة وإنما هو موضع يقصد لذلك كما في البر والقرى ومنه ما قد اعتيد لذلك ومنه ما قد فعل ذلك فيه مرة أو مرتين فينبغي أن يكون من الحشوش أيضا فإن الحش في الأصل هو البستان وإنما كنوا عن موضع التغوط به لأنهم كانوا ينتابونها للحاجة ولأن **العرب** لم يكونوا يتخذون الكنف قريبا من بيوتهم وإنما كانوا ينتابون الصحراء فعلم أن تلك الأمكنة داخلة في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا طهر المكان وقطعت عنه هذه العادة لم يكن حشا.
فصل.
وأما أعطان الإبل فالمنصوص عن أحمد أنها الاماكن التي تقيم بها الإبل وتأوي اليها.." (٢)

"وما ذكروه من نفي الخلق عن العقول والنفوس فهو على الاصطلاحين الآخرين اللذين قد تكلم بهما أبو حامد تارة ذاكرا وتارة أثرا.
قيل: لا ريب أن القوم لهم أوضاع واصطلاحات كما لكل أمة ولكل أهل فن وصناعة ولغتهم في الأصل يونانية وإنما ترجمت تلك المعاني **بالعربية** ونحن نحتاج إلى معرفة اصطلاحهم لمعرفة مقاصدهم وهذا جائز

---

(١) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الصلاة ابن تيمية ص/٤٠٥

(٢) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الصلاة ابن تيمية ص/٤٦٥

بل حسن بل قد يجب أحيانا كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود وقال: لا آمنهم".

قال البخاري في صحيحه: "وقال خارجة بن زيد عن زيد بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يتعلم كتاب يهود حتى كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم كتبه." (١)

"وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه" فإذا كان هذا في كتب الأعاجم بألسنتهم؟ ومعرفتنا بلغات الناس واصطلاحاتهم نافعة في معرفتنا مقاصدهم ثم نحكم فيها كتاب الله تعالى فما وافقه فهو حق وما خالفه فهو باطل كما قال الله تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ .

والاختلاف نوعان:

نوع في جنس اللغة **كالعربية** والفارسية والرومية واليونانية ويقال هي ونوع في أصنافهم إذ قد يكون في الألفاظ العرفية العامة والاصطلاحية الخاصة نظير ما في لغة **العرب**.

ولغة هؤلاء المصنفين منهم كانت من هذا النمط فأما الألفاظ التي أنزل الله بها القرآن الذي تلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين وأخذوا عنه لفظه ومعناه وتناقل ذلك أهل العلم بالكتاب والسنة بينهم خلف عن سلف فهذه لا يجوز أن يرجع في معانيها إلى مجرد أوضاعهم ولا ريب أن القوم أخذوا العبارات الإسلامية القرآنية والسنية فجعلوا يضعون لها معاني توافق معتقدهم ثم يخاطبون بها ويجعلون مراد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من." (٢)

"وأبو المعالي الجويني وأبو الخطاب وأبو الحسن بن الزاغوني والقاضي أبو بكر بن **العربي** المعافري وأكثر أهل الكلام.

فإن هؤلاء يختارون أن العقل الذي هو مناط التكليف هو ضرب من العلوم الضرورية كالعلم باستحالة اجتماع الضدين وكون الجسم في مكانين ونقصان الواحد عن الاثنين والعلم بموجب العادات فإذا أخبره." (٣)

---

(١) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ابن تيمية ص/٢٣٤

(٢) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ابن تيمية ص/٢٣٥

(٣) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ابن تيمية ص/٢٥٦

"يبصر بها غير البصر أو قوة يسمع بها غير السمع وجعلوا إثبات ذلك من جنس قول الفلاسفة والطبائعية الذين يجعلون في الإنسان قوى يفعل بها وقد بالغ في ذلك طوائف منهم القاضي أبو بكر بن **العربي** في العواصم والقواصم وأصل ذلك تقريرهم أن الله خالق كل شيء ولا خالق غيره وهذا مذهب سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة وهو أحسن ما امتاز به الأشعري عن طوائف المتكلمين وبالغ في ذلك حتى جعل أخص أوصاف الرب القدرة على الاختراع وزعم أن هذا معنى الإلهية وفي الأصل رد على القدرية القائلين بأن الله تعالى لم يخلق أفعال الحيوان وعلى الفلاسفة وأتباعهم من أهل النجوم والطبع القائلين بفاعل غير الله لكن زاد من زاد منهم في ذلك أشياء ليست من السنة بل تخالف السنة حتى ردوا بدعة ببدعة فدخل بعضهم في إثبات الجبر الذي أنكره السلف والأئمة حتى توسل بذلك قوم إلى إسقاط الأمر والنهي والوعد والوعيد وأنكر من أنكر منهم ما جعله الله تعالى من." (١)

"المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل".

فهذا الحديث قد بين ما يوافق سائر الأحاديث من أن آدم خلق يوم الجمعة وأنه خلق آخر الخلق.

ومعلوم بنصوص القرآن أن الخلق كان في ستة أيام وذلك يدل على ما وقع فيه من الوهم بذكر الخلق يوم السبت.

والمقصود هنا أنه من المعلوم أن الأسبوع ليس له حد موجود في السماء كما يوجد في اليوم والليلة والشهر بل إنما يعد عدا لأن الله خلق هذا الخلق في ستة أيام ثم استوى على العرش فانتشرت أيام الأسبوع في العالم من جهة إخبار الأنبياء ولم يعلم ذلك إلا من أخذ عنهم ولهذا كانت الأمم الذين لم يتلقوا ذلك ليس لأيام الأسبوع في لغتهم ذكر بحال كالترك والبربر وإذا نطقوا بها نطقوا بلغة الفرس مثلا أو **العرب** فكان في هذا الاجتماع العام حفظ لأيام الأسبوع وفيه تذكير بالأسبوع الأول الذي خلق الله فيه الخلق ومعلوم أن هذا الاجتماع والإخبار بالخلق في ستة أيام معلوم بالاضطرار من دين أهل الملل.

وهؤلاء عندهم أن هذه السماوات ما زالت هكذا ولا تزال هكذا متحركة على هذا الوجه من الأزل إلى الأبد ولا يزال العقل الأول أو الفعال الذي يسمونه بالقلم هذا أو هذا مقارنا لها.

وليس عندهم قيامة تنشق فيها السماوات وتنفطر.." (٢)

---

(١) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ابن تيمية ص/٢٦١

(٢) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ابن تيمية ص/٣٠٧

"الحديث الصحيح "أنه خير البرية" ورواه مسلم في صحيحه وهو الأمة أي القدوة لجميع المؤمنين بعده.

وهو الذي جعله للناس إماما واتخذه خليلا.

وقد قال: ﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ .

بل من رؤيا المؤمنين ما يكون مطابقا للظاهر لا يحتاج إلى تأويل فإذا كان في رؤيا المؤمنين والأنبياء ما لا يحتاج إلى تعبير بل يكون المرئي في المنام هو الموجود في اليقظة فكيف يكون القرآن كلام الله الذي أنزله بلسان **عربي** مبين وجعل هدى وبيانا مشتملا على ما هو من جنس أحاديث الرؤيا المفتقرة إلى التعبير ثم كيف يكون ذلك والرسول صلى الله عليه وسلم ثم الصحابة والتابعون لم يتأولوا القرآن ولم يعبروه بما يخالف مقتضاه ودلالته كما كانوا كثيرا ما يعبرون الرؤيا بما يخالف الظاهر المعروف منها والحقائق المخبر بها الظاهرة المعروفة في القرآن من أمر اليوم الآخر ونعوت الربوبية وإن كانت ليست مماثلة في الحقيقة الحقائق الموجودة في الدنيا كما قال ابن عباس: "ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء" رويناه من حديث وكيع عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس.." (١)

"وروي عنه أنه قال: "هي الجماعة".

وفي حديث آخر هي "من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي".

وأيضا فلفظ الزندقة لا يوجد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يوجد في القرآن وهو لفظ أعجمي **معرب** أخذ من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام **وعرب** وقد تكلم به السلف والأئمة في توبة الزنديق ونحو ذلك فأما الزنديق الذي تكلم الفقهاء في قبول توبته في الظاهر فالمراد به عندهم المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر وإن كان مع ذلك يصلي ويصوم ويحج ويقرأ القرآن وسواء كان في باطنه يهوديا أو نصرانيا أو مشركا أو وثنيا وسواء كان معطلا للصانع وللنبوة أو للنبوة فقط أو لنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم فقط فهذا زنديق وهو منافق وما في القرآن والسنة من ذكر المنافقين يتناول مثل هذا بإجماع المسلمين ولهذا كان هؤلاء مع تظاهرهم بالإسلام قد يكونون أسوأ حالا من الكافر المظهر كفره من اليهود والنصارى مثل كما قال تعالى: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا إلا الذين تابوا." (٢)

---

(١) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ابن تيمية ص/٣١٨

(٢) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ابن تيمية ص/٣٣٨

"ولا بد من التنبيه لقاعدة أخرى وهي أن المخالف قد يخالف نصا متواترا ويزعم أنه مؤول ولكن ذكر تأويله لا انقداح له أصلا عن اللسان لا على قرب ولا على بعد فذلك كفر وصاحبه مكذب وإن كان يزعم أنه مؤول.

مثاله: ما رأيته في كلام بعض الباطنية أن الله تعالى واحد بمعنى أنه يعطي الوحدة ويخلقها وعالم بمعنى أنه يعطي العلم ويخلقه لغيره وموجود بمعنى أنه يوجد غيره.

فأما أن يكون في نفسه واحدا أو موجودا وعالما بمعنى اتصافه به فلا وهذا كفر صراح لأن حمل الوحدة على إيجاد الوحدة ليس من التأويل في شيء ولا تحتمله لغة **العرب** أصلا ولو كان خالق الوحدة يسمى واحدا لخلقه الوحدة لسمى ثلاثا أو أربعا لأنه خلق الأعداد أيضا فأمثلة هذه المقالات تكذيبات إن عبر عنها بالتأويلات".

ثم قال: فصل:

"قد تكلمت في هذه التقسيمات أن النظر في التكفير يتعلق." (١)

"على تصويب التأويل وتخطئته والقطع بذلك فإنه قد ذكر أن من النصوص ما لا يحتمل التأويل وجعل أمثال تلك التأويلات تكذيبات ومن تدبر هذا وجد جمهور ما تذكره الفلاسفة بل والمعتزلة في التأويل هو من هذا الباب ولا ريب أن المعتزلة أقرب إلى الإسلام من الفلاسفة ومن أشهر مسائلهم التي امتحنوا الناس عليها قولهم إن القرآن مخلوق وقالوا معنى أن الله متكلم وأنه تكلم أنه خلق في غيره كلاما.

وقد قال هنا أن حمل الوحدة على إيجاد الوحدة ليس من التأويل في شيء ولا تحتمله لغة **العرب** أصلا ولو كان خالق الوحدة واحدا لخلقه الوحدة لسمي ثلاثا وأربعا لأنه خلق الأعداد أيضا".

ومثل هذا يقال في الكلام والإرادة والرضا والغضب وأشباه ذلك مما تقول الجهمية من المعتزلة وغيرهم أنه خلقه في غيره فتسمى واتصف به فإن حمل المتكلم على الذي أوجد الكلام في غيره بمنزلة حمل العالم والقادر والسميع والبصير على الذي أوجد العلم والقدرة والسمع والبصر في غيره ولو كان متكلما بما يخلقه في غيره لكان ما تنطق به." (٢)

"وأن الشمس هي العقل لكونه هو المفيض على النفس كالشمس مع القمر وهم مضطربون في هذا التأويل فإن العقول عندهم عشرة والنفوس تسعة والشمس والقمر إثنان والكواكب كثيرة فلا ينطبق هذا على

---

(١) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ابن تيمية ص/٣٤٦

(٢) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ابن تيمية ص/٣٤٨

هذا.

ولهذا كلامهم في المطابقة مضطرب كما تقدم.

وملخصه أنه جعل الكواكب من النفوس المتعددة.

وجعل القمر كنفس الفلك التاسع وجعل الشمس هي العقل.

لكن المقصود أن هذا مما يعلم بالاضطرار أنه ليس هو المراد بالآية ولم يقله أحد من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين بل قد اتفق كل من تكلم في تفسير القرآن من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين على أن المراد بالكوكب والقمر والشمس ما هو معروف من مسميات هذه الأسماء وهذه الأعيان المشهودة المستكثرة ولا كان أحد من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين يثبت العقول والنفوس كما يثبتها هؤلاء المتفلسفة ولا الملائكة المذكورون في الكتاب والسنة على الصفة التي ينص هؤلاء عليها وما يذكرونه من العقول والنفوس فضلا عن أن تسميها عقولا ونفوسا بل بينهما من الفروق والمخالفات ما لا يكاد يحصيه إلا الله.

ولفظ الكوكب والشمس والقمر معرفا بلام التعريف والبزوغ والأفول لا يحتمل ما يذكرونه من العقول والنفوس في لغة **العرب** بوجه من الوجوه.

والذين نقلوا القرآن لفظه ومعناه عن الرسول قد علم بالتواتر." (١)

"والمقصود أن مخاطبة الخليل عليه السلام تضمنت الرد على الفلاسفة الصابئين المشركين وأمثالهم فإن أحدهم كانت عبادته تابعة لما يحبه ويهواه فإنهم إنما يتبعون الظن وما تهوى الأنفس وأحدهم يظن أن عبادة هذا الكوكب ومخاطبته تنفعه يجلب منفعة ودفع مضرة فيتخذه إلها مع إقراره بأنه مربوب ليس هو رب العالمين وهؤلاء أحد أنواع المشركين وكانوا تارة يتخذون لهذه الكواكب أجساما على ما يظنونه موافقا لطبائعها كما يلبسون لها من اللباس ويتختمون لها بالخواتيم ويتحرون لها من الأيام ما يظنونه موافقا لطبائعها وقد سمي ذلك علم الاستخدام والروحانيات وقد يتمثل لأحدهم شيطان يخاطبه فيقول هذه روحانية الكوكب أو خادمه كما كان لأصنام **العرب** شياطين تخاطبهم.

وكذلك في بلاد الترك والهند من الشياطين التي تخاطب المشركين ما." (٢)

---

(١) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ابن تيمية ص/٣٥٥

(٢) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ابن تيمية ص/٣٧٢

"هو معروف ولهذا قال الخليل في آخر أمره ﴿إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين﴾ فتبرأ عما كانوا يشركونه بالله وذكر أنه وجه قصده وعبادته للذي فطر السماوات والأرض وهذه الحنيفية ملة إبراهيم التي بعث الله بها الرسل وهي عبادة الله وحده لا شريك له وليس في لفظه إحداث إقرار الصانع بل كان الإقرار بالصانع ثابتا عندهم لهذا قال في الآية الأخرى ﴿قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين﴾ .

وقا أيضا: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ وقال تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾ .

فبهذا وغيره يتبين أن القوم كانوا مشركين بالله مثل ما كان مشركوا **العرب** قال تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ فهم يجعلون معه آلهة أخرى يعبدونها مع اعترافهم أنه وحده رب العالمين كما ذكر الله تعالى ذلك في غير موضع في القرآن في مثل قوله ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون﴾ .." (١)

---

(١) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ابن تيمية ص/٣٧٣

"القرن الرابع عشر تقديرا. وناسخ الأصل من آل قدامة المعروفين بالعلم والفضل من الحنابلة، له ترجمة قصيرة في "الدرر الكامنة" (٣/٣٤٥) و"إنباء الغمر" (١/١٢٧) ، وفي الثاني أنه توفي سنة ٧٧٦.

وفي رأس الصفحة الأولى من النسخة: "فائدة في اسم القيوم سبحانه وتعالى لا إله إلا هو، تأليف شيخ الإسلام أبي العباس أحمد ابن تيمية رضي الله عنه. وهي من خطه الجديد الدمشقي". وهذا يفيد أن الرسالة من مؤلفات الفترة الأخيرة من حياته التي استقر فيها بدمشق وتفرغ للتأليف والكتابة.

وقد قدم ناسخ الأصل للرسالة بنقول من كتاب "مدارج السالكين" لابن القيم، منها قوله نقلا عن شيخ الإسلام: "من واظب على أربعين مرة كل يوم بين سنة الفجر وصلاة الفجر: يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث، حصلت له حياة القلب، ولم يمت قلبه".

ثم قال الناسخ: "سمعت الشيخ الإمام العالم فريد عصره ووحيد دهره لسان العرب وحجة الأدب وترجمان القرآن وشيخ الإسلام الشيخ شرف الدين أحمد بن الحسن بن عبد الله بن شيخ الإسلام أبي عمر محمد – فسح الله في مدته ومتعنا به – يقول: لو اجتمع القاضي أبو يعلى وابن عقيل في شهبر لم يعملوا مثلها، وعملها الشيخ رضي الله عنه على البديه". وشرف الدين أحمد هذا مترجم في "ذيل طبقات الحنابلة" (٢/٤٥٣) و"الدرر الكامنة" (١/١٢٠) . وهو من تلاميذ شيخ الإسلام، قرأ عليه مصنفات في علوم شتى، وأجازه الشيخ بالإفتاء. وكانت وفاته في رجب سنة ٧٧١.

ولشيخ الإسلام رسالة أخرى في هذا الموضوع نشرت بعنوان." (١)

"المدني بالمدينة المنورة، ثم باعها ضمن ما باع من النفائس، فانتقلت إلى دار بريل المشهورة، وتوجد حاليا بمكتبة جامعة ليدن، ولها فهرس من إعداد لاندبرج. (١٢) "فتوى في العشق": توجد نسختها في مكتبة مولانا آزاد بجامعة علي كره (الهند) برقم [١٦/١٧ عربية-فقه حنبلي] (٤ ورقات) ، وقد انتقلت

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٣/١

إليها من مكتبة الشيخ حبيب الرحمن الشرواني التي كانت في قريته حبيب كنج واشتهرت ببعض المخطوطات النادرة. والنسخة بخط نسخي جيد، وليس عليها تاريخ النسخ، ولعلها من القرن العاشر.
وقد كتب على صفحة العنوان: "سؤال رفع لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، في رجل عاشق في صورة. نفع الله به آمين".
(١٣) "مسألة في الفتوة وآدابها وشرائطها": توجد نسختها الخطية ضمن مجموعة في مكتبة تشستر بيتي برقم [٣٥٣٧] (الورقة ٨٧أ- ٨٩أ] . وقد سبق وصفها فيما مضى برقم (٢) .
(١٤) "مسألة فيما يفعله بعض الخطباء يوم الجمعة": هي ضمن مجموعة في مكتبة جامعة برنستون برقم [١٣٧٧] (الورقة ٣٧أ-ب) .
وقد سبق وصفها برقم (٧) .
(١٥) "قاعدة في أفعال الحج": نسختها في مكتبة جامعة ليدن برقم [٢٩٨٩] (في ٧ ورقات) . جاء في آخرها: "تمت بحمد الله تعالى وعونه في ليلة يسفر صباحها عن سادس جمادى الآخرة سنة ثمان وثمان مئة، والحمد لله رب العالمين ... ". وكتب على صفحة العنوان بخط متأخر: "هذه الرسالة بخط العلامة بيدكين التركماني." (١)

"والقيوم والقيام من قام يقوم، فهو معتل، فإن عينه واو، فلهذا قيل فيه: فيعال وفيعول، ولو لم يكن في ألفاظه حرف معتل لا ياء ولا واو لقيل: فعال، كما قيل "حماد" و"ستار"، وفعول كما قيل "سبوح" و"قدوس"، والغالب فعول بالفتح، وهو القياس في شرح "قدوس"، ولكن جاءت دلالة اللفظ على غير القياس بالضم سبوح وقدوس وذو الروح.
وقد تبين أن قراءة الجمهور "القيوم" أتم معنى من قراءة "القيام"، فإن فعول وفيعول أبلغ من فعال وفيعال، لأن الواو أقوى من الألف، والضم أقوى من الفتح، وهذا عينه مضمومة، والمعتل منه واو، فهو أبلغ مما عينه مفتوحة والمعتل منه ألف. ودائما في لغة **العرب** الضم والواو أقوى من الياء والكسرة، والياء والكسرة أقوى من الألف والفتحة، وهكذا هو في النطق، وكذلك في سائر الحركات، فإن المتحرك إلى أسفل كحركة الماء أثقل من المتحرك إلى فوق كالريح والهواء، والمتحرك على الوسط هو الفلك أقوى منهما.
ولهذا كان الرفع لما هو عمدة في الكلام، وهو: الفاعل، والمفعول القائم مقامه، والمبتدأ، والخبر. وكان النصب لما هو فضلة في الكلام، كالمفاعيل وغيرها: المفعول المطلق والمفعول به وله ومعه، والحال

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٨/١

والتمييز. وكان الجر لما هو متوسط بين العمدة والفضلة، وهو المضاف إليه، فإنه تضاف إليه العمدة تارة والفضلة تارة، فتقول: قام غلام زيد، وأكرمت غلام زيد.

ولما كانت "كان" وأخواتها أفعالا تستعمل تارة تامة مكتفية بالفاعل، وتارة ناقصة فتحتاج إلى منصوب، كان الرفع فيها مقدما، فإنه العمدة، ولابد منه في النوعين التامة والناقصة.." (١)

"قال: "لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها، ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق". فإن هذا وهذا مما يحبها الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -، وسيجازى صاحبهما في الآخرة، فإذا أحب الرجل أن يكون له مثل ما لغيره من ذلك فهذا حسن، وهو من المنافسة التي رغب فيها بقوله تعالى وتبارك: (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون (٢٦)) (١) . وأما إذا تمنى زوال النعمة عنه فهذا مذموم معيب، وإن أحب أن يكون له مثلها من المال والرئاسة من غير زوال لذلك عنه فهذا من جنس حب المال والرئاسة ابتداء، فهو باطل وعبث ولعب، إلا ما ينتفع به في الآخرة، والحرص عليه يفسد الدين كما تقدم. وقال شداد بن أوس رضي الله عنه (٢) : يا بقايا **العرب**! إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية. قيل لأبي داود السجستاني: ما الشهوة الخفية؟ قال: حب الرئاسة. وقال سفيان الثوري رحمه الله: رأيناهم يزهدون في الطعام والشراب واللباس، فإذا نوزع أحدهم الرئاسة ناطح نطاح الكباش.

فطلاب الرئاسة عند الذين يريدون ما أحبه الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - أولى بالذم والنقص والعيب، من طلاب المال عند طلاب الرئاسة، حيث أرادوا مالا يدوم نفسه ولا يبقى، بل يزول ويفنى، فطلبوا الباطل الذي يفنى، وتركوا الحق الذي يبقى. وقد قال بعضهم: لو كانت الدنيا ذهبا يفنى، فكيف والدنيا خزف يفنى، والآخرة ذهب يبقى!

ولهذا قال السحرة لما آمنوا وتبين لهم الحق، وقال لهم فرعون

---

(١) سورة المطففين: ٢٦.

(٢) أخرجه أحمد (١٢٥/٤،١٢٣) عن شداد بن أوس مرفوعا بنحوه.." (٢)

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٣٨/١

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٥٣/١

"وقد كان كثير من السلف يسمي من يسمي من هؤلاء الأبدال، وقد قيل في معنى الأبدال (١) : إنهم الذين بدلوا السيئات بالحسنات، كما قال تعالى: {إلا من تاب وءامن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات} (٢) . ولا ريب أن الصالحين من عباد الله لهم سبب في الرزق والنصر، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لسعد بن أبي وقاص: "يا سعد، وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم، بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم" (٣) . فهذا ونحوه حق جاء به الكتاب والسنة، ولا وصول للخلق إلى رضوان الله وكرامته إلا بالإيمان برسله وطاعتهم، فهم الوسائط والسفراء بين الله وبين خلقه، والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أفضل الخلق، فمن ظن أنه يصل إلى رضوان الله وكرامته بدون اتباع محمد - صلى الله عليه وسلم -، أو لأحد من الخلق طريق إلى رضوان الله وكرامته غير اتباع محمد - صلى الله عليه وسلم -، فهو كافر ملحد. ومن ادعى أن أحدا من أولياء الله الذين بلغتهم رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - يصل إلى رضوان الله وكرامته بغير كتاب الله وسنة رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - فهو ملحد ضال مفتر، يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافرا. بل محمد - صلى الله عليه وسلم - رسول الله إلى جميع الخلق الثقلين إنسهم وجنهم، وهو رسول الله إلى جميع الإنس: أسودهم وأحمرهم، وعربهم وعجمهم.

فأولياء الله المتقون هم العالمون العاملون بما بعث الله به محمدا - صلى الله عليه وسلم -، ولا يكون لله ولي إلا من يتبع محمدا، ومن لم يتبع محمدا فهو

---

(١) انظر لمعنى الأبدال: "فتوى في الغوث" للمؤلف.

(٢) سورة الفرقان: ٧٠.

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٩٦) والنسائي (٦/٤٥) عن مصعب بن سعد، ورواه أحمد (١/١٧٣) من طريق مكحول عن سعد نحوه.." (١)

"عن طريق الله ودين المرسلين، ليس من أولياء الله المتقين ولا حزب الله المفلحين ولا عباده الصالحين.

وقد ثبت في الصحيح (١) عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقول في خطبته: "إن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة".

وقال العرباض بن سارية: وعظنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - موعظة بليغة ذرفت منها الأعين،

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١/٧٠

ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله!

كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: "أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كبيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة" (٢) . قال الترمذي: حديث صحيح.

فمن سلك مسلك المبتدعين الضالين لم يكن من أولياء الله المتقين وحزبه المفلحين وعباده الصالحين، مثل الذين يظهرون الإشارات الشيطانية، كإشارة الدم والسكر والنيل واللادن وماء الورد والزعفران، وملابسة النيران، فحين يلبسهم الشيطان قد يزيد أحدهم، ويتكلم الشيطان على لسانه كما يتكلم الجن على لسان المصروع، وإذا أفاق من سكره لم يعرف ما تكلم به الشيطان على لسانه، كما لا يعرف المصروع إذا أفاق ما تكلم به الشيطان على لسانه، ومثل أكل الحيات والعقارب والزنابير، وأكل آذان الكلاب والحمير، وغير ذلك

---

(١) مسلم (٨٦٧) عن جابر.

(٢) أخرجه أحمد (٤/١٢٦) والدارمي (٩٦) وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٣،٤٤) عن **العرباض** بن سارية.." (١)

"استماع القرآن، [و] يختارون سماع أبيات الشيطان على سماع آيات الرحمن. وقد قال عبد الله بن مسعود (١) : الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل، والذكر ينبت الإيمان في القلب كما ينبت الماء البقل.

ولهذا كان هؤلاء المبتدعون الضالون أتباع الشيطان لا تأتيهم الإشارات الشيطانية إلا عند الباع التي لم يشرعها الله ولم يأذن بها، مثل اجتماعهم على سماع أبيات الشيطان ومزاميره، لاسيما إذا كان هناك جيران من الصبيان وأخواتهم من النسوان، فهنالك يكون أظهر لحال الشيطان.

سمعوا القران فاطرقوا لا خيفة لكنه إطراق ساه لاه

أما الغناء فكالحمير تناهقوا والله مارقصوا من أجل الله

دف ومزمار ونغمة شاهد فمتى رأيت عبادة بملاهي

يا أمة ما ضر دين محمد وجنى عليه ومن له إلا هي

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٨٨/١

وأيضا فهم يشركون بالرحمن، فيستغيثون بالمخلوق الميت والغائب، يرجونه ويخافونه ويدعونه، وهو لا يسمع كلامهم ولا يرى مكانهم، ولكن الشياطين قد تخاطبهم وقد تتمثل في صورته، فيظنونه أن ذلك هو المسيح المستغاث به، وإنما هو شيطان تمثل لهؤلاء المشركين، كما تتمثل الشياطين للنصارى في صورة من يستغيثون به مثل جرجس وغيره، مثل ما تدخل الشياطين في الأصنام، وتكلم عابديها أحيانا، مثل ما كان يجري للمشركين من **العرب**، ومثل ما يجري للمشركين من الترك والهند وغيرهم. فإذا حضر أولياء الله المتقون وحزبه

---

(١) أخرجه البيهقي (١٠/٢٢٣) موقوفا. ثم أخرجه هو وأبو داود (٤٩٢٧) عنه مرفوعا، وفي إسناده شيخ لم يسم. وانظر "تلخيص الحبير" (٤/١٩٩) .." [1]

"بسم الله الرحمن الرحيم

(من كلام شيخنا الجديد الذي كتبه بقلعة دمشق في آخر عمره)

الحمد لله، نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما.

فصل

في قوله تعالى (أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين (١٤)) (١) .

القراءة المتواترة التي بها يقرأ جماهير المسلمين قديما وحديثا - وهي قراءة العشرة وغيرهم -: "وهو يطعم ولا يطعم". وروي عن طائفة أنهم قرأوا: "وهو يطعم ولا يطعم" بفتح الياء. قال أبو الفرج (٢) : وقرأ عكرمة والأعمش: "ولا يطعم" بفتح الياء. قال الزجاج (٣) : وهذا الاختيار عند البصراء **بالعربية**، ومعناه: وهو يرزق ويطعم ولا يأكل.

---

(١) سورة الأنعام: ١٤.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٩١/١

(٢) أي ابن الجوزي في "زاد المسير" (١١/٣) . وانظر تفسير القرطبي (٣٩٧/٦) وابن كثير (١٣٠/٢) .
(٣) في "معاني القرآن" (٢٣٣/٢) .." (١)

"فصل

سورة حم السجدة مشتملة على تقرير أمر القرآن بما تضمنه أصول الإيمان، التي هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، بذلك فتحت وبذلك ختمت. كما أن سورة الشورى أيضا بدأت بالوحي، وختمت بالوحي المتضمن للقرآن والإيمان.

قال تعالى: (حم (١) تنزيل من الرحمن الرحيم (٢) كتاب فصلت آياته قرءانا **عربيا** لقوم يعلمون (٣)) (١) في ذكر القرآن ومستمعيه، إلى قوله: (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلى أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه) (٢) يتضمن الإخلاص والتوحيد والنبوة. وجماع الأمر الاستقامة إليه والاستغفار، كما في قوله: (فأعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك) (٣) ، وكما قال: (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه) (٤) .

وذم المشركين الذين لا يؤتون الزكاة، فإن الشرك ضد الاستقامة إليه، التي هي الإخلاص، كما فسر أبو بكر الصديق قوله: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقامو ا) (٥) قال: استقاموا إليه، فلم يلتفتوا يمينا ولا شمالا. فإن المستقيم ضد الزائغ، فالمستقيم إليه ضد الزائغ عنه، والزائغ عنه المشرك به. وعدم إيتاء الزكاة – وهو ما تزكو به

---

(١) سورة فصلت: ١-٣.
(٢) الآية: ٦.
(٣) سورة محمد: ١٩.
(٤) سورة هود: ٣.
(٥) سورة فصلت: ٣٠.." (٢)

"وجه وجب عليه عند ذلك الترجيح، فيأخذ لنفسه بالأسد والأكمل والأرشد والأصلح.

ومن المعلوم أنه ليس في عشق الصور مصلحة شرعية دينية، لما يؤدي إلى الاشتغال بذكر المخلوق عن ذكر الخالق، والعبث بالصور لا المعاني، والالتحاق بالعالم الحيواني غير الناطق في الائتلاف الصوري. كما

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١١١/١
(٢) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٤٣/١

سئل بعضهم عن العشق، فقال: هي قلوب غفلت عن ذكر الحق، فشغلت بذكر الخلق. فهذا مما يدل على بعد عشاق الصور عن الرب العظيم باشتغالهم بالخسيس الذميم.

لكن قد ذكر المتقدمون من عقلاء العرب وظرفائهم وطائفة من الحكماء أن فيه فوائد، مع اتفاقهم على نقصه من جهة ما ذكرنا من أن صاحبه كلما قرب منه بعد عن الله عز وجل. إن فيه فوائد (١) ، من جملتها رقة الطبع وإزالة خبثه وترويح النفس وخفتها ورياضة الجسد، كما روي عن يحيى بن معاذ الرازي أنه قيل له: إن ابنك عشق فلانة، فقال: الحمد لله الذي صيره إلى طبع الآدمي.

وقال بعضهم: ا لعشق داء أفئدة الكرام.

وقال بعضهم: العشق لا يصلح إلا لذي مروءة ظاهرة، أو لذي لسان فاضل وإحسان كامل، أو لذي أدب بارع وحسب خاشع (٢) ، ويقبح لسواهم.

وقال بعضهم: العشق يشجع جنان الجبان، ويصفي ذهن الغبي، ويسخي كف البخيل، ويخضع عزة الملوك، ويسكن نوافر الأخلاق.

---

(١) ذكر ابن القيم في "الجواب الكافي" (ص١٩٤-١٩٥) ما هنا من الأقوال.

(٢) في "الجواب الكافي": "ناصع".." (١)

"وهو أنيس المؤنس وجليس المجالس (١) ، وملك قاهر وسلطان.

وقال بعض العرب (٢) :

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ... فأنت وعير في الفلاة سواء

وحكي أن جالينوس قال: من لم تبتهج نفسه للصوت الشجي والوجه البهي فهو فاسد المزاج، يحتاج إلى العلاج.

وقال بعض الحكماء: العشق يروض النفس ويهذب الأخلاق، وإظهاره طبعي، وإضماره تكليفي، حاجبه الصبر وخادمه الجوارح.

فهذه آثار - كما ترى - دالة على أنه ليس في العشق مصلحة شرعية دينية، وإنما مال إليه هؤلاء لما ذكروا فيه من المصالح العقلية والرياضية، من تهذيب النفس ورياضتها، ولو تعلق هؤلاء بمحبة الإله المعبود لألهاهم ذلك عن محبة الأشخاص الفانية، وحصل لهم مقصودهم من رياضة النفس وفرط المحبة وتهذيب الأخلاق

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٧٨/١

المذكورة، وصار كل موجود يحدث لهم الفكر فيه وجدا لموجده، وكل مخلوق يتبين لهم منه محبة لخالقه، فتخاطبهم الموجودات والمخلوقات بألسنة الأحوال، وتوضح لهم أنه لا يستحق المحبة على الكمال غير ذي الإكرام والجلال.

هذا ما يتعلق بالمقدمة وكيفية بناء الأصلين عليها. أما ما يتعلق بالعاشق فقد ذكرنا أنه لابد من تحصيل المصالح وتكميلها، وإعدام المفاسد وتقليلها، فمن دخل على أمر ما فواجب عليه أن ينظر في ذلك الأمر، فإن كانت مصلحته راجحة على مفسدته أخذ بالأرجح.

---

(١) في الأصل: "المجرس". وفي الجواب الكافي: "أنيس من لا أنيس له، وجليس من لا جليس له"، وهو أوضح.

(٢) البيت في "روضة المحبين" (ص١٧٦) و"تزيين الأسواق" (١/٤٣) .." [1]

"وقد دل الدليل كما ذكرنا على أنه ليس في العشق الصوري مصلحة دينية كما ذكرنا، وإنما فيه مصلحة رياضية نفسية، والمصالح الدينية مقدمة، مع ما يقرن بذلك مع أدائه إلى فساد الذهن وتشويش الحواس، وهو ملحق بشرب الخمر المحرم، وليس لصاحبه عذر يعتذر به ولا حجة يقيمها.

مثال ذلك أن من شرب الخمر فسكر، فحصل منه جناية في حق أحد أو **عربدة** على غيره، فأتلف شيئا، أخذ به، لأن الذي أزال عقله سبب محرم أدخله على نفسه راضيا غير مكره، مع علمه قبل أن يشربه أنه يؤدي به الحال إلى هذا، فإذا اعتذر وقال: لم أع ما قلت، ولا كان عقل أميز به، قلنا له: أنت فرطت حين شربت.

ولهذا جنح بعض العلماء إلى مؤاخذة السكران بما يصدر منه من طلاق وعتاق وجناية، بخلاف من يزول عقله بخلط سوداوي أو روحاني، فإن ذلك ليس هو من فعله، ولا تسبب فيه برضاه، كما روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال (١) : "رفع القلم عن ثلاث"، فذكر المجنون حتى يفيق.

فعلى هذا لا ينبغي لأحد أن يحكم على نفسه عشق الصور، ليؤدي به الحال إلى الهلاك، فمن فعل ذلك فهو المفرط بنفسه والمقرر لها، فإذا هلكت فهو الذي أهلكها، وإذا قتلت فهو الذي قتلها، فإنه لولا تكرار نظره إلى وجه معشوقه لم يثبت محبته في قلبه، حتى أداه إلى ما أداه.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١/١٧٩

(١) أخرجه أحمد (٦/١٤٤،١٠١،١٠٠) والدارمي (٢٣٠١) وأبو داود (٤٣٩٨) والنسائي (٦/١٥٦) وابن ماجه (٢٠٤١) عن عائشة. وفي الباب عن علي.." [١]

"مسألة

في الفتوة وآدابها وشرائطها، وهل لها أصل في كتاب الله وسنة رسول الله؟ وهل الفتوة متصلة بإبراهيم الخليل عليه السلام أو بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه؟ وهل إذا كانت متصلة بأحد من الأنبياء أو من الأولياء، فهل للباس والماء والملح الذي يشربونه أصل في ذلك؟ حتى أنه إذا شرب أحدهم الشربة يعد نسبها إلى آدم عليه السلام، وكيف سميت فتوة؟ وأيش السبب في ذلك؟ وهل لأحد من أئمة المسلمين قول في ذلك أم لا؟.

الجواب

الحمد لله. الفتى في كلام العرب هو الحدث بالنسبة إلى غيره، كما قال تعالى: (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى (١٣)) (١) ، وقال تعالى: (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم (٦٠)) (٢) ، (وإذ قال موسى لفتاه) (٣) ، (وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) (٤) .

ثم إنها غلبت في عرف كثير من الناس على مكارم الأخلاق، لكون الشباب ألين أخلاقا من الشيوخ، وصاروا يطلقون الفتوة على ذلك، حتى قال بعض المشايخ: طريقتنا تتفتى وليس تتعرى. وكما قال آخر منهم: التصوف خلق، من زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف.

---

(١) سورة الكهف: ١٣.

(٢) سورة الأنبياء: ٦٠.

(٣) سورة الكهف: ٦٠.

(٤) سورة يوسف: ٦٢.." [٢]

"جاء رجل إلى عائشة، فقال: يا أم المؤمنين! إني نذرت إن كلمت فلانا فكل مملوك لي عتيق لوجه الله، وكل مال لي ستر للبيت، فقالت: لا تجعل مملوكيك عتقاء لوجه الله، ولا تجعل مالك سترا للبيت، فإن الله يقول: (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) الآية، قالت: فكفر عن يمينك.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١/١٨٠

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١/١٨٩

وروى (١) عن السدي قال: وأما "تبروا" فالرجل يحلف أن لا يبر ذا رحمه، فيقول: قد حلفت، فأمر الله أن لا يعرض بيمينه بينه وبين ذي رحمه، وليبره ولا يبال بيمينه.

وعن عبد الكريم الجزري (٢) قال في قوله (أن تبروا وتتقوا) قال: التقوى يحلف ويقول: قد حلفت أن لا أعتق ولا أصدق.

وعن سعيد بن جبير (٣) في قول الله (وتتقوا وتصلحوا بين الناس) قال: كان الرجل يريد الصلح بين اثنين، فيغضبه أحدهما أو يتهمه، فيحلف أن لا يتكلم بينهما في الصلح، قال: أن تصلوا القرابة وتتقوا وتصلحوا بين الناس فهو خير من وفاء اليمين في المعصية.

قال ابن أبي حاتم (٤) : وروي عن السدي نحو ذلك، وقال: هذا قبل أن تنزل الكفارات.

وأما تفسير اللفظ من جهة **العربية**، فقال الفراء (٥) : والمعنى ولا

---

(١) المصدر نفسه (٢/٤٠٧) .

(٢) المصدر نفسه (٢/٤٠٧) .

(٣) المصدر نفسه (٢/٤٠٧) .

(٤) المصدر نفسه (٢/٤٠٨) .

(٥) "معاني القرآن" (١/١٤٤) .." [(١)]

"ما أمر به. لكن لفظ الآية (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا) ، ولم يقل "بينكم"، فتضمن العرضة معنى المنع، لأن المعترض بين الشيئين مانع بينهما، ويكون المعنى لا تجعلوا الله مانعا لكم من البر والتقوى، ويكون (أن تبروا وتتقوا) منصوبا (١) بالعرضة. لكن هذا ضعيف في **العربية**، فإنه قال: (عرضة لأيمانكم) ، فدل على أنه معروض لليمين، وهو فعلة بمعنى المفعول، لا بمعنى الفاعل، وهو المعارض المانع.

(آخر ما كتب فيها، والحمد لله وحده. بلغ مقابلة بالأصل خط المؤلف، ومنه نقل. والحمد لله رب العالمين) .

***

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٣٧٩/١

(١) في الأصل: "منصوب".." (١)

"نوع فرق، حتى يتميز المعاد من المبتدأ، فأما إذا كان هو إياه من كل وجه فهذا لا يقال فيه: إنه أعاده، ولا عاد إليه.

وقد يقال لمن فعل فعلا وقطعه لتعب أو شغل ونحو ذلك: عد إلى ما كنت، وعد إلى حالك، لأن الأول حصل عقبه فتور تميز به عن الثاني، فلو وصل الثاني بالأول لم يقل: إنه عاد. فإذا قال: أنت على كظهر أمي، أنت على كظهر أمي، أو قال: والله لا أطأك، والله لا أطأك، لم يقل: إن قول الثاني عود إلى الأول، بل هو تكرير محض.

وأيضا فالذي قالوه لو كان صحيحا محتملا إنما يجب الجزم به إذا كانت ما مصدرية، أي ثم يعودون إلى قولهم، وليس في الآية ما يوجب ذلك، بل يجوز أن تكون ما موصولة، أي إلى الذي قالوه.

وهذا أظهر، فإن كونها موصولة أكثر في الكلام، ولفظ العود يستعمل في مثل هذا، كقوله: (ثم يعودون لما نهوا عنه) (١) .

وهذا منشأ غلط طائفة من الناس في الآية، فإنهم ظنوا أن ما مصدرية، وأن المعنى: ثم يعودون لقولهم، ولم يفهموا معنى كونها موصولة.

ثم هؤلاء الذين ظنوا أنها مصدرية قالوا أقوالا كلها باطلة، فقال داود ومن وافقه (٢) : إن العود تكرير القول. وهذا القول لا يعرف عن أحد قبلهم، وقيل: إنه مروي عن بكير بن الأشج.

وقال طائفة من أهل **العربية** ما قاله ابن قتيبة من أن قوله: يتظاهرون في الجاهلية، ثم يعودون إليه في الإسلام. وهو قول فاسد أيضا.

---

(١) سورة المجادلة: ٨.

(٢) انظر "المحلى" (١٠/٥٢) .." (٢)

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١/٣٨١

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١/٤٠١

"المنافع ويدفع عنهم المضار، كما في السنن (١) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم، بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم". وانتفاع الخلق بدعاء المؤمنين وصلاتهم كانتفاع الحي والميت بدعاء المؤمنين واستغفارهم، ونزول الغيث بدعاء المؤمنين واستغفارهم، والنصر على الأعداء بدعاء المؤمنين واستغفارهم، وأمثال ذلك مما اتفق عليه المؤمنون.

فهذان الأصلان هما أصلان ثابتان بالكتاب والسنة والإجماع. وليس لأولياء الله عدد محصور تتساوى فيه الأزمنة، ولا لهم مكان معين من الأمكنة، بل هم يزدادون وينقصون بحسب زيادة أهل الإيمان والتقوى ونقصانهم. فبعث الله محمدا - صلى الله عليه وسلم - إلى الناس، وكان الأمر كما أخبر في الحديث الصحيح (٢) : "إن الله نظر إلى أهل ٢٣٦ ب الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم،/ إلا بقايا من أهل الكتاب".

وقد ثبت في الصحيح (٣) أن إبراهيم الخليل قال لسارة: "إنه ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك". وقد أخبر الله عن نوح

---

(١) أخرج البخاري (٢٨٩٦) عن مصعب بن سعد قال: رأى سعد أن له فضلا على من دونه، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم". ورواه النسائي (٦/٤٥) عن مصعب عن أبيه سعد نحوه، وفيه: "إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم". وأخرجه أحمد في "مسنده" (١/١٧٣) من طريق مكحول عن سعد نحوه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) عن عياض بن حمار المجاشعي.

(٣) البخاري (٢٢١٧، ٣٣٥٨) عن أبي هريرة.." [1]

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٦٢/٢

"وهذا أحد أسباب اختلاف العناوين لمؤلفات شيخ الإسلام، فكتاب واحد يذكره المترجمون له بعناوين مختلفة، وتصلنا نسخه الخطية بأسماء غريبة يستنبطها الناسخ أو القارئ أو المفهرس، ويغتر بها الباحثون فيعدونها كتبا مستقلة. وجل من صنع من المحدثين فهرسا لمؤلفات الشيخ في دراسات مفردة أو مقدمات التحقيق لكتب الشيخ وقع في هذا الوهم. وعذرهم في ذلك أنهم في أغلب، الأحيان لم يطلعوا على هذه النسخ، ولم يقوموا بالمقارنة بينها، حتى يصلوا إلى حقيقتها، وإنما نظروا في فهارس المخطوطات التي تذكر هذه العناوين المختلفة، فظنوها كتبا مختلفة.

والواجب على من يريد معرفة العنوان الصحيح أو الأقرب إلى الصواب لكتاب من كتب شيخ الإسلام أن يرجع إلى القوائم الأساسية لمؤلفاته التي أعدها تلاميذ الشيخ وأصحابه. وأكثرها جمعا واستيعابا ثلاث قوائم عملها ابن رشيق المذكور، وابن عبد الهادي (ت ٧٤٤) ، والصفدي (ت٧٦٤(.

أما ابن رشيق فله "رسالة في أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية" نشرت منسوبة لابن القيم (ت٧٥١) (١) بالاعتماد على نسخة خطية منها توجد في دار الكتب الظاهرية بدمشق. وقد عثرت على نسخة أخرى منها، وهي وإن كانت ناقصة إلا أن فيها زيادات على المطبوعة، وتحتوي على نصوص اقتبسها ابن عبد الهادي في العقود

---

(١) بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد في مجلة المجمع العلمي **العربي** بدمشق ٣٧١/١٩٥٣/٢٨-٣٩٥. ثم صدرت لها طبعات مستقلة.." (١)

"هذه الأمور وغيرها كانت تحتاج إلى البسط والتفصيل والحجاج والمناقشة، فنشط لها المؤلف، وألف هذا الكتاب الذي أتى فيه بنظرات جديدة حول الموضوع، وتناوله بطريقة لم يسبق إليها.

عليه السلام منهج المؤلف فيه

للمؤلف منهج متميز لا يحيد عنه في جميع مؤلفاته، فهو يعتمد على الكتاب والسنة وأقوال السلف في الكلام على أي مسألة، سواء كانت في العقيدة أو الأصول أو المصطلح أو التفسير أو الفقه أو غيرها، وينقل المذاهب والآراء من المصادر المعتمدة لدى أصحابها، ولا ينسب إليهم إلا ما يقولون به ملتزما الأمانة العلمية في ذلك. ثم يعلق على كلامهم ويناقشهم بالحجج والبراهين، ويبين وجه خطئهم، ومدى قربهم أو بعدهم من منهج السلف. ويحرر القول في المسألة تحريرا بالغا، ويرد على جميع الشبه والاعتراضات

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٢٣/٢

التي قد ينخدع بها العامة والخاصة، ويستطرد أحيانا إلى موضوعات أخرى يأتي فيها بفوائد علمية جليلة. كل ذلك بأسلوب سهل ميسر يجري كالماء سلاسة وعذوبة، يكاد يفهمه الجميع: المتعلم منهم وغير المتعلم. وقد انتقد المؤلف الأسجاع والزخارف اللفظية التي يلجأ إليها عامة الكتاب والأدباء، فقال: "وأما تكلف الأسجاع والأوزان والجناس والتطبيق ونحو ذلك مما تكلفه متأخرو الشعراء والخطباء والمترسلين والوعاظ فهذا لم يكن من دأب خطباء الصحابة والتابعين والفصحاء منهم، ولا كان ذلك مما يهتم به **العرب**، وغالب من يعتمد ذلك يزخرف اللفظ بغير فائدة مطلوبة من المعاني،." (١)

"وإذا كانت القرينة موضوعة كانت بمنزلة ما يقترن بالفعل من المفعول به، ومعه، وله، والظرفين، والحال، والتمييز، وما يقترن باللفظ من الصفة، وعطف البيان، وعطف النسق، والاستثناء، والشرط، والغاية، وغير ذلك مما يقيد مطلقه، ويكون مانعا له من العموم، موجبا لاختصاصه ببعض ما يدخل فيه عند عدم تلك القيود، فإن هذا كله مما وضعت **العرب** أجناسه، كما وضعت رفع الفاعل، ونصب المفعول به، وخفض المضاف إليه.." (٢)

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٣٦/٢

(٢) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٣٤٠/٢

"فبالتوحيد يقوى ويستغني، ومن سره أن يكون أقوى الناس، فليتوكل على الله؛ وبالاستغفار له يغفر له. فلا يزول فقره وفاقته إلا بالتوحيد، لابد له منه، وإلا فإذا لم يحصل له لم يزل فقيرا محتاجا لا يحصل مطلوبه معذبا، والله تعالى لا يغفر أن يشرك به. وإذا حصل مع التوحيد الاستغفار حصل غناه وسعادته، وزال عنه ما يعذب به، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهو مفتقر دائما إلى التوكل عليه والاستعانة به، كما هو مفتقر إلى عبادته، فلابد أن يشهد دائما فقره إليه وحاجته في أن يكون معبودا له وأن يكون معينا له، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ولا ملجأ منه إلا إليه. قال تعالى: (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) أي يخوفكم أولياءه (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين (١٧٥)) (١) . هذا هو الصواب الذي علمه جمهور المفسرين (٢) ، كابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة والنخعي، وأهل اللغة كالفراء (٣) وابن قتيبة (٤) والزجاج (٥) وابن الأنباري. وعبارة الفراء: يخوفكم بأوليائه، كما قال: (لينذر بأسا شديدا من لدنه) أي ببأس، وقوله: (لينذر يوم التلاق (١٥)) أي بيوم التلاق. وعبارة الزجاج: يخوفكم من أوليائه. قال أبو بكر الأنباري (٦) : والذي نختاره في الآية أن المعنى يخوفكم أولياءه، يقول **العرب**: أعطيت الأموال، أي أعطيت القوم الأموال، فيحذفون المفعول الأول، ويقتصرون على ذكر الثاني.

---

(١) سورة آل عمران: ١٧٥.

(٢) انظر تفسير الطبري (٤/١٢٢) و"زاد المسير" (١/٥٠٦) .

(٣) معاني القرآن (١/٢٤٨) .

(٤) تفسير غريب القرآن: (ص١١٦) .

(٥) معاني القرآن (١/٤٩٠) .

(٦) نقل عنه ابن الجوزي في "زاد المسير" (١/٥٠٧) .." (١)

"العلم، فيأمرهم وينهاهم. والخلفاء الراشدون كانوا ربانيين. وقال إبراهيم: كان علقمة من الربانيين. ولهذا قال مجاهد: هم الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره. فهم أهل الأمر والنهي والأخبار، يدخل فيه من أخبر بالعلم ورواه عن غيره وحدث به، وإن لم يأمر وينه، وذلك هو المنقول عن السلف في "الرباني" (١) . نقل عن علي رضي الله عنه قال: هم الذين يغذون الناس بالحكمة ويربونهم عليها، وعن ابن عباس

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٣/٥٥

قال: هم الفقهاء المعلمون.

قلت: أهل الأمر والنهي [هم الفقهاء المعلمون] .

وعن قتادة وعطاء: هم الفقهاء العلماء الحكماء. قال ابن قتيبة (٢) : واحدهم رباني، وهم العلماء المعلمون.

وقال أبو عبيد (٣) : أحسب الكلمة ليست **بعربية**، إنما هي عبرانية أو سريانية. وذلك أن أبا عبيدة زعم أن **العرب** لا تعرف الربانيين. قال أبو عبيد: وإنما عرفها الفقهاء وأهل العلم. قال: وسمعت رجلا عالما بالكتب يقول: هم العلماء بالحلال والحرام والأمر والنهي.

قلت: هذا صحيح، واللفظة **عربية** منسوبة إلى ربان السفينة، ولكن **العرب** في جاهليتهم لم يكن لهم ربانيون، لأنهم لم يكونوا على شريعة منزلة من الله عز وجل، فلهذا لم يشتهر هذا الاسم عنهم.

---

(١) انظر تفسير الطبري (٣/٢٣٣) و"زاد المسير" (١/٤١٣) و"فتح الباري" (١/١٦٠، ١٦١) .

(٢) تفسير غريب القرآن: ١٠٧.

نقل عنه ابن الجوزي في "زاد المسير" (١/٤١٣) .." [1]

"وقد روى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما (١) عن أم سلمة أن هذه الآية لما نزلت أدار النبي - صلى الله عليه وسلم - كساءه على علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، فقال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا".

وسنته تفسر كتاب الله وتبينه، وتدل عليه وتعبر عنه، فلما قال: "هؤلاء أهل بيتي" -مع أن سياق القرآن يدل على أن الخطاب مع أزواجه-علمنا أن أزواجه وإن كن من أهل بيته كما دل عليه القرآن، فهؤلاء أحق بأن يكونوا أهل بيته، لأن صلة النسب أقوى من صلة الصهر. **والعرب** تطلق هذا البيان للاختصاص بالكمال لا للاختصاص بأصل الحكم، كقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "ليس المسكين بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، وإنما المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يتفطن له فيتصدق عليه، ولا يسأل الناس إلحافا" (٢) .

بين بذلك أن هذا مختص بكمال المسكنة، بخلاف الطواف فإنه لا تكمل فيه المسكنة، لوجود من يعطيه أحيانا، مع أنه مسكين أيضا. ويقال: هذا هو العالم، وهذا هو العدو، وهذا هو المسلم، لمن كمل فيه ذلك، وإن شاركه غيره في ذلك وكان دونه.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٣/٦٥

ونظير هذا الحديث ما رواه مسلم في صحيحه (٣) عن النبي - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٠٥، ٣٧٨٧) عن عطاء بن أبي رباح عن عمر بن أبي سلمة.
وفي آخر الحديث: "قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك وأنت على خير".
وأخرجه أحمد (١٠٧/٤) من حديث واثلة بن الأسقع نحوه.
(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٦، ١٤٧٩، ٤٥٣٩) ومسلم (١٠٣٩) عن أبي هريرة.
(٣) برقم (١٣٩٨) عن أبي سعيد الخدري، وأخرجه أيضا أحمد (٢٤/٣) . وفي الباب عن أبي بن كعب وسهل بن سعد الساعدي. انظر تفسير ابن كثير (٤٠٤/٢، ٤٠٥) .." (١)

"بدعة ضلالة" (١) .

وروى عنه مولاه سفينة أنه قال: "الخلافة ثلاثون سنة، ثم تصير ملكا" (٢) ، فكان آخر الثلاثين حين سلم سبط رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الحسن بن علي -رضي الله عنهما- الأمر إلى معاوية، وكان معاوية أول الملوك، وفيه ملك ورحمة، كما روي في الحديث: "ستكون خلافة نبوة، ثم يكون ملك ورحمة، ثم يكون ملك وجبرية، ثم يكون ملك عضوض" (٣) .

وقد ثبت عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من وجوه أنه لما قاتل أهل الجمل لم يسب لهم ذرية، ولم يغنم لهم مالا، ولا أجهز على جريح، ولا اتبع مدبرا، ولا قتل أسيرا، وأنه صلى على قتلى الطائفتين بالجمل وصفين، وقال: "إخواننا بغوا علينا" (٤) ، وأخبر أنهم ليسوا بكفار ولا منافقين، واتبع فيما قاله كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم -، فإن الله سماهم إخوة، وجعلهم مؤمنين في الاقتتال والبغي، كما ذكر في قوله: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) (٥) .

وثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في الصحاح (٦) أنه قال: "تمرق مارقة على

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٦/٤، ١٢٧) وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) والدارمي (٩٦) وابن ماجه (٤٣، ٤٤) من حديث العرباض بن سارية.
(٢) أخرجه أحمد (٢٢٠/٥، ٢٢١) وأبو داود (٤٦٤٦، ٤٦٤٧) والترمذى (٢٢٢٦) ، وتكلم عليه الألباني وصححه في "الصحيحة" (٤٥٩) .

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٧٤/٣

(٣) أخرجه أحمد (٤/٢٧٣) والبزار في مسنده (١٥٨٨) بأطول منه عن النعمان بن بشير. وصححه الألباني في "الصحيحة" (٥) .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (١٥/٢٥٦- ٢٥٧) والبيهقي في "السنن الكبرى" (٨/١٨٢) .

(٥) سورة الحجرات: ٩.

(٦) أخرجه مسلم (١٠٦٥) عن أبي سعيد الخدري.." [1]

"جنس فعل المشركين والنصارى، ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه مالك في الموطأ (١) : "اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد".

وقد ذكر غير واحد من السلف (٢) أن أصل عبادة الأصنام كان ذلك، فقالوا في قوله (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا (٢٣)) (٣) : إن هذه أسماء قوم كانوا قوما صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، وهذه الأصنام صارت إلى **العرب**، حتى بعث الله رسوله بأن يعبد الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن الشرك من عبادة الأوثان وغير ذلك، وبين أن أصل الدين أن يعبد الله لا يشرك به شيئا.

وفي الصحيح (٤) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لمعاذ بن جبل: "يا معاذ! أتدري ما حق الله على عباده؟ " قال: الله ورسوله أعلم، قال: "أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ " قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "أن لا يعذبهم".

وفي الصحيحين (٥) عنه أنه قال: "الإيمان بضع وستون أو وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان".

---

(١) ١/١٧٢ عن عطاء بن يسار مرسلا. قال ابن عبد البر: لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث.

(٢) انظر تفسير الطبري (٢٩/٦٢) وابن كثير (٤/٤٥٥) .

(٣) سورة نوح: ٢٣.

(٤) البخاري (٢٨٥٦، ٧٣٧٢) ومسلم (٣٠) .

(٥) مسلم (٣٥) عن أبي هريرة. ورواه البخاري (٩) مختصرا.." [2]

---

[1] جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٨٢/٣

[2] جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٢٧/٣

"بكت عيني وحق لها بكاها وما يغني البكاء ولا العويل (١)

وأما من يكون في المسجد من مصل وقارئ ومحدث ومفت ونحوهم من يفعل في المسجد ما بني له المسجد، فليس لبعضهم أن يؤذي بعضا، ففي السنن (٢) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خرج على أصحابه وهم يصلون ويجهرون بالقرآن، فقال: "أيها الناس! كلكم يناجي ربه، فلا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة". فنهى النبي - صلى الله عليه وسلم - المصلين أن يجهر بعضهم على بعض بالقراءة. ومن هذا أن يكون القوم قد صلوا وهم يذكرون الله بعد صلاة الفجر وغيره، فيقوم بعض من يصلي منفردا أو مسبوقا، فيرفع صوته عليهم بالقراءة حتى يشغلهم.

والمنفرد لا يستحب له الجهر عند كثير من العلماء، كأحمد في المشهور عنه وغيره، فإن الجهر إنما يشرع للإمام الذي يسمع المأمونين، ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "وإذا قرأ فأنصتوا" (٣) . ومن استحب الجهر للمنفرد فإنه ينهاه عن جهر يرفع به صوته على غيره كما نهى النبي - صلى الله عليه وسلم -، بل يجهر جهرا خفيا أو يدعه، لما فيه من إيذاء الغير الذي ينهى عن إيذائهم. ألا ترى أن استلام الحجر وتقبيله مستحب، فإذا كان هناك زحمة وفي ذلك إيذاء للناس فإنه ينهى عنه، كما نهى النبي - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) البيت نسب لكعب بن مالك في "لسان العرب" (بكا) ولعبد الله بن رواحة في "تاج العروس" (بكى) ولحسان بن ثابت في "جمهرة اللغة" (ص١٠٢٧) . وانظر الخلاف في نسبته في "شرح شواهد شرح الشافية" (ص٦٦) .

(٢) لأبي داود (١٣٣٢) من حديث أبي سعيد.

(٣) أخرجه أحمد (٢/٤٢٠) وأبو داود (٦٠٤) وابن ماجه (٨٤٦) من حديث أبي هريرة. قال أبو داود: "وهذه الزيادة (وإذا قرأ فأنصتوا) ليست بمحفوظة، الوهم عندنا من أبي خالد!. ومنهم من صحح هذه الزيادة، والكلام في هذا الحديث طويل.." (١)

"ومن نذر لقبر زيتا أو شمعا أو قناديل أو سترا أو نحو ذلك لم يكن هذا نذر طاعة، ولم يكن على أحد أن يوفي به، وما أعلم في هذا نزاعا بين العلماء. ولكن هل عليه كفارة يمين أم لا؟ فيه قولان.

وكذلك الاجتماع عند قبر من القبور لقراءة ختمة أو دعاء أو ذكر أو عمل سماع أو غير ذلك هو من البدع

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٤١/٣

المنهي عنها؟ فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "لا تتخذوا قبري عيدا"، رواه أهل السنن كأبي داود وغيره (١) .

فإذا كان قد نهي عن اتخاذ قبره عيدا، فقبر غيره أولى بالنهي عن ذلك. والمكان الذي يتخذ عيدا هو أن يعتاد الناس للاجتماع فيه في وقت معين، كما يعتادون الاجتماع فيه بعرفة ومزدلفة ومنى، وكذلك الزمان الذي يتخذ عيدا هو الزمان الذي يعتادون الاجتماع فيه، كيومي الفطر والنحر.

والمشركون الذين كفرهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقاتلهم واستباح دماءهم وأموالهم من **العرب** لم يكونوا يقولون: إن آلهتهم شاركت الله في خلق السماوات والأرض والعالم، بل كانوا يقرون بأن الله وحده خالق السماوات والأرض والعالم، كما قال الله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن) (٢) ، وقال تعالى: (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون (٨٤) سيقولون لله) (٣) الآيات إلى قوله (تسحرون (٨٩)) وقد قال تعالى: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون (١٠٦)) (٤) .

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سورة لقمان: ٢٥ وسورة الزمر: ٣٨.

(٣) سورة المؤمنين: ٨٤- ٨٩.

(٤) سورة يوسف: ١٠٦.." (١)

"وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة" (١) .

والوصية الجامعة من وصية الله التي وصى بها عباده حيث قال. (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله) (٢) . ولما بعث النبي – صلى الله عليه وسلم – معاذا إلى اليمن وصاه ثلاث وصايا، فقال: "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن" (٣) .

وأما كتابة الإجازات فهي بمنزلة الشهادة للرجل أنه أهل المشيخة، وبمنزلة أمر الناس بمتابعته وطاعته، وليس لأحد أن يفعل هذا إلا أن يكون عالما بمن يصلح للقدوة والاتباع، ومن لا يصلح أن يكون عدلا فيما يقوله ويأمر به. فمن كان جاهلا بطريق الله الذي بعث به رسوله، أو كان صاحب غرض يكتب الإجازة لمن يعطيه مالا ويخدمه، إن لم يكن مستحقا لذلك لم يكن لمثل هذا أن يكتب إجازة، ولا حرمة لمن كتب له مثل هذا إجازة، لاسيما إذا كان مضمون الإجا زة أن يعطوه أموالهم. فهذه إجازة الشحاذين والسوال،

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٥٠/٣

(١) أخرجه أحمد (١٢٦/٤) وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٣-٤٤) عن **العرباض** بن سارية.

(٢) سورة النساء: ١٣١.

(٣) اختلفت الروايات في أن هذه الوصايا وصى بها النبي - صلى الله عليه وسلم - أبا ذر أو معاذا، وقد أخرجها أحمد (١٥٣/٥، ١٥٨، ١٧٧) والدارمي (٢٧٩٤) والترمذي (١٩٨٧) .

قال وكيع: وقال سفيان مرة "عن معاذ"، فوجدت في كتابي "عن أبي ذر" وهو السماع الأول. قال أحمد: وكان حدثنا به وكيع عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ، ثم رجع. وقال محمود بن غيلان بعدما رواه من حديث معاذ: والصحيح حديث أبي ذر.." (١)

"وهذا كثير في كتاب الله، وليس في شيء من ذلك أن معنى المعية أن يكون أحدهما حالا في الآخر ولا ممتزجا به ولا مختلطا به، فمن قال: إن ظاهر قوله (وهو معكم) ونحو ذلك أن يكون الله مختلطا بالمخلوقين وممتزجا بهم وحالا فيهم أو مماسا لهم ونحو ذلك، فقد افترى على القرآن وعلى لغة **العرب**، وادعى أن هذا الكفر هو ظاهر القرآن، وهو كذب على الله ورسوله بلا حجة ولا برهان.

وغاية ما يقال: أن لفظ "مع" ظرف أو ظرف مكان، فيقتضي أن يكون المتعلق بهذا الظرف مكانا (١) من المضاف إليه، كما في قول القائل: هذا فوق هذا، فإن "فوق" من ظروف المكان، ولكن هذا لا يقتضي أن يكون المكان عن يمين المضاف إليه أو عن شماله، ولا يقتضي أن يكون عن يمينه وشماله جميعا، بل أكثر ما يقتضي مطلق المكان، فإذا قدر أنه (٢) فوق المضاف إليه لم يكن هذا مخالفا لظاهر المعية.

ومن قال: إنه لابد في المعية من أن يكون ما مع الشيء متيامنا أو متياسرا أو إلى جانبه ونحو ذلك، فقد غلط غلطا بينا. وهذا كما أن قوله (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) ليس ظاهره أن ذاته في السماوات والأرض، بل ظاهره أنه إله أهل السماء وإله أهل الأرض، فأهل السماء يألهونه، وأهل الأرض يألهونه.

وكذلك قوله (وهو الله في السماوات وفي الأرض) ليس ظاهره أن نفس الله في السماوات والأرض، فإنه لم يقل: "هو في السماوات والأرض"، بل

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٥٢/٣

(١) في الأصل: "مكان".

(٢) في الأصل: "أن".." (١)

"القرآن **العربي** مخلوق أو تصنيف جبريل ونحو ذلك= فهذا مفتر على الله فيما نفاه عنه.

وهذا أصل ضلال الجهمية من المعتزلة ومن وافقهم على مذهبهم، فإنهم يظهرون للناس التنزيه، وحقيقة كلامهم التعطيل، فيقولون: نحن لا نجسم، بل نقول: إن الله ليس بجسم، ومرادهم بذلك نفي حقيقة أسمائه وصفاته، فيقولون: ليس لله علم ولا حياة ولا قدرة ولا كلام ولا سمع ولا بصر، ولا يرى في الآخرة، ولا عرج بالنبي إليه، ولا ينزل منه شيء، ولا يصعد إليه شيء، ولا يتجلى لشيء، ولا يقرب إلى شيء، ولا يقرب منه شيء. ويقولون: إنه لم يتكلم بالقران، بل القرآن مخلوق، أو هو كلام جبريل، وأمثال ذلك من مقالات المعطلة الفرعونية الجهمية.

والله تعالى يقول في كتابه (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) (١) أي لا تحيط به، فكما أنه يعلم ولا يحاط به علما، فكذلك سبحانه يرى ولا يحاط به رؤية. فهو سبحانه نفى الإدراك، ولم ينف الرؤية، ونفي الإدراك يدل على عظمته، وأنه من عظمته لا يحاط به. وأما نفي الرؤية فلا مدح فيه، فإن المعدومات لا ترى، ولا مدح لشيء من المعدومات، بل المدح إنما يكون بالأمور الثبوتيه لا بالأمور العدمية، وإنما يحصل المدح بالعدم إذا تضمن ثبوتا، كقوله تعالى: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) (٢) ، فنزه نفسه عن السنة والنوم، لأن ذلك يتضمن كمال حياته وقيوميته،

---

(١) سورة الأنعام: ١٠٣.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.." (٢)

"الرابع: أنه لا معاد أصلا، لا لروع ولا لبدن، وهو قول أكثر مشركي **العرب**، وكثير من الطبائعيين والمنجمين وبعض الإلهيين من الفلاسفة.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٣/١٦٢

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٣/٢٠٧

فعلى هذين القولين ينكر حشر البهائم، وعلى القول الأول يقبل الخلاف.

المسألة الثالثة

أن من لا تكليف عليه -بل قد رفع عنه القلم- هل يعذب في الآخرة؟

وهنا مسألة أطفال المشركين، فمن قال من أصحابنا وغيرهم: إنهم يعذبون تبعا لآبائهم، قال بعذاب غير المكلف تبعا؟ ومن قال: يدخلون الجنة من أصحابنا وغيرهم، قال بتنعيمهم.

والصواب الذي دل عليه الكتاب والسنة أنهم لا يعذبون جميعهم ولا ينعمون جميعهم، بل فريق منهم في الجنة وفريق في السعير كالبلغ. وهذا مقتضى نصوص أحمد، فإن أكثر نصوصه على الوقف فيهم، بمعنى أنه لا يحكم لأحد منهم لا بجنة ولا بنار، فدل على جواز الأمرين عنده في حق المعين منهم. وأما تجويز الأمرين في حق مجموعهم فلا يلزمه، وهذا قول الأشعري وغيره.

وبهذا أجاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما سئل عنهم فقال: "الله أعلم بما كانوا عاملين" (١) ، فبين أن الأمر مردود إلى علم الله بما كانوا يعملون لو بلغوا.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة وابن عباس، انظر: البخاري (٦٥٩٧، ٦٥٩٨) ومسلم (٢٦٥٩، ٢٦٦٠) .." (١)

"ولم يقتل أحد من الخلفاء على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا العدد، بل ولا حمزة سيد الشهداء -الذي يقال: إنه أسد الله ورسوله- لم يقتل هذا العدد، وهو في الشجاعة إلى الغاية. وكذلك الزبير بن العوام هو في الشجاعة إلى الغاية، حتى قال فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الصحيح: "إن لكل نبي حواريا، وحواري الزبير" (١) ، ولم يقتل في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا العدد. وغزوات النبي - صلى الله عليه وسلم - وسراياه مضبوطة عند أهل العلم بالسيرة والحديث، والله تعالى كان يبارك لنبيه وأصحابه في مغازيهم، فمع العمل القليل يظهر الإسلام وتفشو الدعوة ويدخلون في دين الله أفواجا. ومجموع من قتل الصحابة كلهم مع النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يبلغون ألف نفس، بل أقل من ذلك، ومع هذا ببركة الإيمان فتحت أرض **العرب** كلها في حياته.

وكان القتل يوم بدر، وهي أول مغازي القتال، وأسروا منها سبعين أو نحوها. وأما يوم أحد فقتل الكفار قليلا جدا، وكذلك يوم الخندق ويوم فتح مكة، والقتلى في خيبر وحنين ليسوا بالكثير. وأعظم عددا قتلوا جميعا

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٢٣٣/٣

قتلى قريظة، فإنهم بلغوا ثلاث مئة أو أربع مئة قتلهم جميعا.

وجملة مغازي النبي - صلى الله عليه وسلم - بضع وعشرون غزاة، وكان القتال فيها في تسع: مغازي بدر وأحد والخندق وبني المصطلق وقريظة (٢) وخيبر والفتح وحنين والطائف، وأعظم ما كان مع النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم تبوك بلغوا عشرات ألوف، ولكن لم يكن في تبوك قتال، بل أقام النبي - صلى الله عليه وسلم - بتبوك عشرين يوما يقصر الصلاة، وكان قد جاء لقتال النصارى من الروم **والعرب** وغيرهم، فلم يقدموا على قتاله.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٦ ومواضع أخرى) ومسلم (٢٤١٥) عن جابر بن عبد الله.

(٢) في الأصل رسم كلمة غير واضحة، والمقصود ما أثبت.." (١)

"الذي يدل عليه القران واللغة والاعتبار أن إخوة يوسف ليسوا بأنبياء، وليس في القرآن ولا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بل ولا عن أصحابه خبر بأن الله تعالى نبأهم. وإنما احتج من قال إنهم نبئوا بقوله في آيتي البقرة والنساء (والأسباط) (١) ، وفسر الأسباط بأنهم أولاد يعقوب، والصواب أنه ليس المراد بهم أولاده لصلبه بل ذريته، كما يقال فيهم أيضا "بنو إسرائيل"، وكان في ذريته الأنبياء، فالأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من بني إسماعيل.

قال أبو سعيد الضرير: أصل السبط شجرة ملتفة كثيرة الأغصان (٢) .

فسموا الأسباط لكثرتهم، فكما أن الأغصان من شجرة واحدة، كذلك الأسباط كانوا من يعقوب. ومثل السبط الحافد، وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، والأسباط حفدة يعقوب ذراري أبنائه الاثني عشر. وقال تعالى: (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (١٥٩) وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما) (٣) ، فهذا صريح في أن الأسباط هم الأمم من بني إسرائيل، كل سبط أمة، لا أنهم بنوه الاثنا عشر. بل لا معنى لتسميتهم قبل أن تنتشر عنهم الأولاد أسباطا، فالحال أن السبط هم الجماعة من الناس.

ومن قال: الأسباط أولاد يعقوب، لم يرد أنهم أولاده لصلبه، بل أراد ذريته، كما يقال: بنو إسرائيل وبنو آدم. فتخصيص الآية ببنيه

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٢٤٨/٣

(١) سورة البقرة: ١٣٦، وسورة النساء: ١٦٣.

(٢) انظر "لسان العرب" (سبط) .

(٣) سورة الأعراف: ١٥٩- ١٦٠.." [1]

"الحمد لله الذي علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الباهر البرهان، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث إلى الإنس والجان، صلى الله عليه وآله وسلم تسليما يرضى به الرحمن.

سألت -وفقك الله- عن معنى حرف "لو"، وكيف يتخرج قول عمر رضي الله عنه: "نعم العبد صهيب، لو لم يخف الله لم يعصه" (١) على معناها المعروف؟ وذكرت أن الناس يضطربون في ذلك، واقتضبت الجواب اقتضابا أوجب أن أكتب في ذلك ما حضرني الساعة، مع بعد عهدي بما بلغني مما قاله الناس في ذلك، وإني ليس يحضرني الساعة ما أراجعه في ذلك. فأقول، والله الهادي النصير:

الجواب مرتب على مقدمات:

إحداها: أن حرف "لو" المسئول عنها من أدوات الشرط، وأن الشرط يقتضي جملتين إحداهما شرط والأخرى جزاء وجواب، وربما سمي المجموع شرطا، وسمي أيضا جزاء. ويقال لهذه الأدوات أدوات الشرط وأدوات الجزاء، والعلم بهذا كله ضروري لمن كان له عقل وعلم بلغة العرب، والاستعمال على ذلك أكثر من أن يحصر،

---

(١) لم يثبت هذا عن عمر وإن اشتهر على لسان الأصوليين وأصحاب المعاني وأهل العربية. وروي معناه من حديث عمر مرفوعا في حق سالم مولى أبي حذيفة، ونصه كما في "الحلية" (١/١٧٧) : "إن سالما شديد الحب لله عز وجل، لو كان لا يخاف الله ما عصاه". وسنده ضعيف، انظر "المقاصد الحسنة": ٤٤٩، و"الدرر المنتثرة": ١٩٦.." [2]

"يكن شرط الفاعل وجود مفعول، فيلزم من وجود المفعول المنصوب وجود فاعل، ولا ينعكس. بل يلزم من وجود اسم منصوب أو مخفوض وجود مرفوع، ولا يلزم من وجود المرفوع لا منصوب ولا مخفوض، إذ الاسم المرفوع -مظهرا أو مضمرا- لابد منه في كل كلام عربي، سواء كانت الجملة اسمية أو فعلية.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٣/٢٩٧

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٣/٣١٥

فقد تبين أن لفظ الشرط في هذا الاصطلاح يدل عدمه. على عدم المشروط ما لم يخلفه شرط آخر، ولا يدل ثبوته من حيث هو شرط على ثبوت المشروط.

وأما الشرط في الاصطلاح الذي يتكلم به في باب أدوات الشرط اللفظية -سواء كان المتكلم [نحويا] أو فقيها وما يتبعه من متكلم وأصولي ونحو ذلك- فان وجود الشرط يقتضي وجود المشروط الذي هو الجزاء والجواب، وعدم الشرط هل يدل على عدم المشروط؟ مبني على أن عدم العلة هل يقتضي عدم المعلول؟ فيه خلاف وتفصيل قد أومئ إليه.

الخوف (١) لو فرض عدمه لكان مع هذا العدم لا يعصي الله، لأن ترك المعصية له قد يكون لخوف الله، وقد يكون لأمر آخر: إما لنزاهة الطبع أو إجلال الله أو الحياء منه أو لعدم المقتضي إليها، كما كان يقال عن سليمان التيمي: إنه كان لا يحسن أن يعصي الله. فقد أخبرنا عنه أن عدم خوفه لو فرض موجودا لكان مستلزما لعدم معصية الله، لأن هذا العدم يضاف إلى أمور أخرى: إما عدم مقتض أو وجود مانع، مع أن هذا الخوف حاصل.

---

(١) كذا في الأصل، ولعل قبلها سقطا. وهذا شرح لمعنى الأثر.." (١)

"روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "لا كنيسة في الإسلام" (١) .

وهذا مذهب الأئمة الأربعة في الأمصار، ومذهب جمهورهم في القرى. وما زال من يوفقه الله من ولاة أمور المسلمين ينقذ ذلك ويعمل به، مثل عمر بن عبد العزيز الذي اتفق المسلمون على أنه إمام هدى، فروى الإمام أحمد عنه أنه كتب إلى نائبه عن اليمن أن يهدم الكنائس التي في أمصار المسلمين، فهدمها بصنعاء وغيرها.

وروى الإمام أحمد عن الحسن البصري أنه قال: "من السنة أن تهدم الكنائس التي في الأمصار، القديمة والحديثة" (٢) . وكذلك هارون الرشيد في خلافته أمر بهدم ما كان في سواد بغداد، وكذلك المتوكل لما ألزم أهل الكتاب بشروط عمر استفتى علماء وقته في هدم الكنائس والبيع، فأجابوه، فبعث بأجوبتهم إلى الإمام أحمد، فأجابه بهدم كنائس سواد العراق، وذكر الآثار عن الصحابة والتابعين، فمما ذكره ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال (٣) : أيما مصر مصرته **العرب** -يعني المسلمين-، فليس للعجم -يعني أهل الذمة- أن يبنوا فيه كنيسة، ولا يضربوا فيه ناقوسا، ولا يشربوا فيه خمرا.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٣١٨/٣

وأيما مصر مصرته العجم ففتحه الله على **العرب**، فإن للعجم ما في عهدهم، وعلى **العرب** أن يوفوا بعهدهم، ولا يكلفوهم فوق طاقتهم.

---

(١) أخرجه أبو عبيد في "الأموال": ١٢٣.

(٢) انظر "أحكام أهل الذمة": ٦٧٦.

(٣) أخرجه أبو عبيد في "الأموال": ١٢٦.." [1]

"مسألة

في قوله تعالى: (إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) (١) ، هل "من" هاهنا للتبعيض؟ فيكون الحكم بالعداوة على البعض؛ أو تكون "من" زائدة؟ فيحكم على كل واحد ولد وكل زوج بالعداوة.

فإن قلتم: إنها للتبعيض فما حكمكم على من يعتقد زيادتها؟

ويزعم أنه يستدل على الحديث والقرآن بكلام **العرب**، وهل من دليل على ذلك فيما ذكر من القرآن والحديث وكلام **العرب؟** فبينوه، أم ليس الأمر كذلك؟

الجواب

الحمد لله. بل "من" هنا للتبعيض باتفاق الناس، والمعنى أن من الأزواج والأولاد عدوا، وليس المراد أن كل زوج وولد عدو (٢) . فإن هذا ليس هو مدلول اللفظ، وهو باطل في نفسه، فإن سبحانه قد قال عن عباد الرحمن: إنهم يقولون: (ربنا هب لنا من

---

(١) سورة التغابن: ١٤.

(٢) في الأصل: "عدوا".." [2]

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٣/٣٧٠

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٤/٧٦

"غلط، فإن العمل عليه عند من يوجب الجماعة، يوجبها على الأعمى كما يوجب عليه الجمعة، فإذا أمكنه الخروج إليها وجبت عليه وإن لم يكن له قائد، إذ الأعمى قد يذهب إلى السوق وغيره من حوائجه بلا قائد، فكذلك يذهب إلى الجماعة.

فصل

وأما من قال: لا يوجد اليوم منافق، إنما كان النفاق على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم -، فهذا مخطىء بإجماع المسلمين، بل قد قال حذيفة بن اليمان بعد موت النبي - صلى الله عليه وسلم -: إن النفاق اليوم أكثر منه على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم -. والمنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الإسلام، وهذا موجود في سائر الأعصار، بل إذا كان مع رؤية النبي - صلى الله عليه وسلم - وآياته وسماع كلامه يكون المنافقون موجودين فبعده أولى وأحرى.

وأما قوله: إنه يقال زنديق، ولا يقال منافق، فهذا جهل منه، فإن لفظ "زنديق" لفظ معرب لم ينطق به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا أصحابه، ولكن نطقت به الفرس، فأخذته العرب فعربته. ومعنى الزنديق الذي تنازع الفقهاء في قبول توبته هو معنى المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر، ولهذا قال الفقهاء: إن الزنديق هو المنافق، وتنازعوا في قبول توبته. واحتج الشافعي وغيره ممن يرى قبول توبة الزنديق بأن المنافقين الذي كانوا على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله. وكذلك تكلم." (١)

"وهذا كما يرويه الكذابون أن أهل البيت سبوا وحملوا على الجمال فنبتت لها سنامان، فإن كل عاقل يعلم أن هذا كذب، وقد كانت البخاتي موجودة في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - وقبل ذلك، وكما يروون أن الحجاج بن يوسف قتل أشراف بني هاشم، وهذا كذب أيضا، فإن الحجاج مع ظلمه وغشمه صرفه الله عن بني هاشم، فلم يقتل منهم أحدا، وبذلك أمره خليفته عبد الملك، وقال: إياك وبني هاشم أن تتعرض إلى أحد، فإني رأيت آل حرب لما تعرضوا للحسين أصابهم ما أصابهم، أو كما قال. ولم يقتل في دولة بني مروان من الأشراف بني هاشم من هو معروف، لأن زيد بن علي بن الحسين لما صلب بالكوفة، وقد تزوج الحجاج ابنة عبد الله بن جعفر وأعظم صداقها، فلم يروه كفؤا لها وسعوا في مفارقته إياها، ولكن ذكر الناس أن الحجاج كان يقتل الأشراف أشراف الناس وهم رؤوس قبائل العرب، فظن من ظن أنهم بنو هاشم، وتخصيص لفظ الأشراف بهم عرف حادث، والشرف هو الرئاسة، كالحديث الذي رواه الترمذي (١)

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٤/١٣٣

وصححه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه".
وفي الصحيح (٢) عن عائشة أن قريشا أهمهم شأن المخزومية،

---

(١) برقم (٢٧٣٣) عن كعب بن مالك. وأخرجه أيضا أحمد (٣/٤٥٦، ٤٦٠) والدارمي (٢٧٣٣) . ولابن رجب جزء في شرح هذا الحديث.
(٢) البخاري (٦٧٨٧ ومواضع أخرى) .." [1]

"وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - (١) : "صلاة الرجل في المسجد تفضل على صلاته في بيته وسوقه بخمس وعشرين درجة. وذلك أن الرجل إذا تطهر في بيته فأحسن الطهور، ثم أتى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة فيه، كانت خطوتاه إحداهما ترفع درجة والأخرى تحط خطيئة، فإذا جلس فإنه في صلاة ما دام ينتظر الصلاة، والملائكة تصفي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صفى فيه: "اللهم اغفر له، اللهم ارحمه " ما لم يحدث أو يخرج من المسجد".
وأما قول السائل: "بحرمة فلان الميت أن تقضي حاجتي أو تغفر لي " فهذا ليس بمشروع، فإن هذا لم يفعله أحد من السلف، ولا استحبه أحد من الأئمة، ولا فيه أثر عمن مضى، والعبادات مبناها على الاستنان والاتباع، لا على الهوى والابتداع، قال تعالى: (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) (٢) ، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة" (٣) .
ولو كان هذا مشروعا لأحد أو في حق أحد لكان أحق الناس بذلك أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حق النبي - صلى الله عليه وسلم -، فإنه أفضل الخلق

---

(١) البخاري (٦٤٧) ومسلم (بعد رقم ٦٦١) عن أبي هريرة.
(٢) سورة الشورى: ٢١.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٤/١٥٧

(٣) أخرجه أحمد (٤/١٢٦) وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٣، ٤٤) من حديث العرباض بن سارية.." [1]

"ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون (١٠٤) ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم (١٠٥) يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) (١) .

قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والضلالة.

وقد قال تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (٢) . وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "إلا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى، الناس من آدم وآدم من تراب" (٣) .

وقال – صلى الله عليه وسلم –: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر" (٤) .

فالله قد جعل المؤمنين إخوة مع الاقتتال، وأمر بالعدل بينهم، فقال تعالى: (وإن طائفتا ن من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين (٩) إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٢-١٠٦.

(٢) سورة الحجرات: ١٣.

(٣) أخرجه أحمد (٥/٤١١) عن أبي نضرة عمن سمع خطبة النبي – صلى الله عليه وسلم –. وأخرجه أبو نعيم في "الحلية" (٣/١٠٠) عن أبي نضرة عن جابر، وفي إسناده بعض من يجهل. وانظر "الصحيحة" (٢٧٠٠) .

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٣٠) ومسلم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير.." [2]

"مسألة

في رجل قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "كنت نبيا وآدم بين الماء والطين"، فقال له آخر: هذا ما هو صحيح.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٤/١٧٠

(٢) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٤/٢٣٣

الجواب

الحمد لله. ليس هذا الحديث بصحيح، وليس هو في شيء من كتب المسلمين المعروفة، وإنما الحديث المعروف عن ميسرة الفجر قال: قلت: يا رسول الله! متى كنت نبيا؟ وفي لفظ: متى كتبت نبيا؟ قال: "وآدم بين الروح والجسد" (١) . وفي حديث العرباض بن سارية عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "إني كنت مكتوبا عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك، دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي، رأت حين ولدتني أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام" (٢) .

---

(١) أخرجه أحمد (٥٩/٥) وابن أبي عاصم في "السنة" (٤١٠) وأبو نعيم في "الحلية" (٥٣/٩) . وانظر "الصحيحة" (١٨٥٦) .

(٢) أخرجه أحمد (١٢٨/٤) والبزار كما في "كشف الأستار" (٢٣٦٥) والحاكم في المستدرك (٦٠٠/٢) وأبو نعيم في "الحلية" (٨٩/٦-٩٠) . وتكلم عليه الألباني في "الضعيفة" (٢٠٨٥) .." [1]

"يبقى إذا أخذه المسلم، فقد يكره لما فيه من الصغار، ولما فيه من الاشتغال عن الجهاد بالحراثة، فهو مانع آخر غير كونه وقفا يختلف باختلاف المصالح والأوقات، كما أن النبي - صلى الله عليه وسلم - عامل اليهود على خيبر لقلة المسلمين، فلما كثر المسلمون أجلاهم عمر بأمر النبي- - صلى الله عليه وسلم -، صار المسلمون يعمرونها. فكذلك الأرض الخراجية، إذا كثر المسلمون كان استيلاؤهم عليها بالخراج أنفع لهم من أن يبقوا فقراء محاويج، والكفار يستغلون الأرض بالخراج اليسير، فإنهم كانوا زمن عمر قليلا وأهل الذمة كثيرا، وقد انعكس الأمر، فكما أن النبي - صلى الله عليه وسلم - عاملهم على خيبر، ثم عمرها المسلمون لفا كثر المسلمون وتضرروا ببقاء أهل الذمة في أرض العرب، فكان المعنى ضرر المسلمين بأهل الذمة واكتفاء المسلمين بالمسلمين. فكيف إذا احتاج المسلمون إلى الأرض الخراجية وتضرروا ببقائها في أيدي أهل الذمة، فرأى من احتاج من المسلمين أن يعاوض الذمي ويقوم مقامه فيها، فإن كان المؤدى أجرة فهو أحق باستئجار أرض المسلمين وعمارتها، وإن كان ثمنا فهو أحق باشترائها، وإن كان عوضا ثالثا فهو أحق به أيضا.

ومتى كثر المسلمون لم يبق صغار ولا جزية، وإنما كان فيه صغار وجزية في الزمن المتقدم. كما لو أسلم

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٣٠٦/٤

الذمي الذي هو مسئول عليها، فإنها تبقى في يده مؤديا لخراجها، ويسقط عنه جزية رأسه، فكيف يقاس هذا بهذا؟ وإذا جاز أن يبقى بيده بعد إسلامه، فما المانع أن يدفعها إلى مسلم غيره بعوض أو غيره؟." (١)

"مجموعة في مكتبة المكتب الهندي بلندن برقم [عربي ١٨٥٧ من مجموعة دلهي] (الورقة ١١٧-١٢١) ، وهي بخط نسخي حديث، وليس عليها اسم الناسخ. وفي أول هذه المجموعة ما يفيد أنها كانت في "ملك الفقير أحمد الباسطي بن عبد الصمد، ثم ملكه عبد الرحمن أحمد خادم الإمامين الأعظمين".
وقد نشره الدكتور محمد رشاد سالم رحمه الله ضمن "دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى محمود محمد شاكر" (ص ٤٣٧-٤٥٢) ط. القاهرة ١٤٠٣، وهي نشرة جيدة.
(٩) "فصل في انتفاع الإنسان بعمل غيره": هذا الفصل مقتبس من كلام الشيخ في "حاشية الجمل على تفسير الجلالين" (٤/٢٣٦- ٢٣٧) ، وقد أرشدني إليه الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، فجزاه الله خيرا.
ووجدته باختصار في مصادر أخرى، مثل: "حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي" (٤/٤١٦) و"حاشية الصاوي على تفسير الجلالين" (٤/١٤٢) و"روح البيان" لإسماعيل حقي (٩/٢٤٨-٢٤٩) .
ولشيخ الإسلام فتوى في هذا الموضوع ضمن "مجموع الفتاوى" (٢٤/٣٠٦-٣١٣) قرر فيها أن أئمة الإسلام متفقون على انتفاع الميت بدعاء الخلق له وبما يعمل عنه من البر، وأن هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، وقد دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، فمن خالف ذلك كان من أهل البدع. ثم سرد بعض هذه الأدلة.." (٢)

"بسم الله الرحمن الرحيم
رب يسر و [أعن] (١)

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٣٧١/٤
(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١١/٥

قال الشيخ الإمام العالم العامل شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه:

الحمد لله رب العالمين، مالك يوم الدين، والحمد لله الذي بعث إلينا رسولا يتلو علينا آياته و [يزكينا] ، ويعلمنا الكتاب والحكمة، وإن كنا من قبل لفي ضلال مبين. إنه أكمل لنا [ديننا] ، وأتم علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام دينا، وأخبر أن الدين عنده الإسلام هذا الدين، فمن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين. وجعل الكتاب الذي أنزله بيانا للناس وهدى وموعظة [للمتقين] ، وأخبر أنه أنزله بلسان عربي مبين، كما أخبر أنه ليس على الرسول [إلا البلاغ المبين] ، وذكر أن آياته أحكمت ثم فصلت، إذ الإحكام والتفصيل يجمع خبرا وطلبا، وكمال القصد واللفظ الذي تتم به وتتبين الأشياء، (من لدن حكيم يحصل بحكمته الإحكام، (خبير (١)) (٢) يفصل الخطاب للمخاطبين. [فليس] كل من هدي للحق يسدد الخطاب، كما أنه ليس كل من سدد الخطاب يبلغ

---

(١) ما بين الأقواس المربعة في هذه الصفحة مطموس أو مخروم، وقد أثبتنا ما يناسب السياق.

(٢) سورة هود: ١.." (١)

"والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) (١) . وجعل حجته التي يستحق العذاب تاركها رسله المنذرين، دون مجرد الفطرة والعقل، كما قال سبحانه وتعالى: (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) إلى قوله تعالى: (وكلم الله موسى تكليما (١٦٤) رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما (١٦٥)) (٢) .

فأخبر أنه أرسل الرسل لئلا يبقى لأحد حجة، فعلم أن الحجة قامت على أهل الأرض بالرسل، وأنه لم يبق لأحد بعدهم.

و"الحجة" اسم لما يحتج به، سواء كانت بينة أو شبهة، وإن كان قد اصطلح كثير من المتأخرين قصر هذا اللفظ على البينات دون الشبهات. فإن الأول هو لغة القرآن ولغة العرب، كما قال سبحانه: (لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم) (٣) ، وقال تعالى: (لا حجة بيننا وبينكم) (٤) . وهي اسم لما يقصده المحاج ويؤمه في حجاجه، ومثل قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "ما أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث الرسل مبشرين ومنذرين" (٥) .

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٣٥/٥

وقال سبحانه وتعالى: (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا (١٣) اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (١٤)

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٢) سورة النساء: ١٦٣-١٦٥.

(٣) سورة البقرة: ١٥٠.

(٤) سورة الشورى: ١٥.

(٥) أخرجه مسلم (٢٧٦٠) من حديث ابن مسعود.." (١)

"فحمد سبحانه من هذه الأصناف الأربعة من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا، وجعلهم من السعداء في المعاد، وهذا يبين أن في الصابئين من يكون سعيدا في الآخرة حميدا عند الله.

وكذلك قال في سورة المائدة (١) : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله) ، والنصارى مقدمون على الصابئين كما في سورة البقرة، ويشبه -والله أعلم- أنهم قدموا هنا لفظا لتقدم زمنهم، وجيىء بهم بصيغة الرفع ليبين أن مرتبتهم التأخير، لأن المعطوف على "إن" واسمها بصيغة المرفوع إنما يعطف بعد تمام الكلام. والصابىء هو الخارج، ولهذا كانوا يسمون من خرج من دينهم الصابىء. والعلماء وإن كانوا قد اختلفوا في الصابئين فالأشبه بظاهر القرآن **والعربية** وما دلت عليه السير وما تقتضيه أصول الشريعة: أن الصابئين هم المهتدون المستمسكون بأصول دين الأنبياء، وهو المتفق عليه من الإيمان والعمل الصالح دون شريعة معينة، لأنهم يكونون بذلك يصدق عليهم أنهم خارجون من خصوص كل شريعة، ويصدق عليهم أنهم آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا صالحا.

فأما من كان صابئا لا يؤمن بالله واليوم الآخر و [لا] يعمل صالحا فهؤلاء الكفار منهم، كعباد الكواكب ونحوهم، والقوم الذين بعث إليهم إبراهيم كانوا صابئة، وكذلك فرعون وقومه، وكذلك أكثر

---

(١) الآية ٦٩.." (٢)

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٤٦/٥

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٥٤/٥

"هذا الذات بالقياس العقلي أبدا؟ ولهذا قال ابن عباس...... (١)

فتبين أن خواص الرب سبحانه لا تعلم بالقياس الكلي الذي يسميه المتكلمون الدليل العقلي. بل قد تعلم بالقياس الأمور المشتركة بينه وبين غيره، لدخولها تحت القياس. ولهذا كان عامة ما يدركه أهل القياس من معرفة الأمور السلبية أو الإضافية أو المشتركة منهما، لأن نفي الأمر عنه هو حكم على ذلك الأمر بالعدم، وذلك الأمر المعدوم يدخل تحت القياس الكلي، وكذلك إضافة أمر إليه هي حكم على ذلك المضاف باستلزام الإضافة إلى أمر ما، وذلك المضاف يدخل تحت القياس والأمر بالمعدومات، وأما علم [الصفات] التي هي خواصه فتعلم تارة بالفطرة العامة المشتركة بين الخلق، وتارة بالهداية الخاصة التي يمتاز بها المؤمنون، وتارة بالتعريف الخاص الذي يختص به علماء المؤمنين، وتارة بالوحي الذي يمتاز به الأنبياء، وكل من هذه الأقسام فأهله فيه على درجات غير محصورة لنا.

فهذا أصل ينبغي ضبطه.

وأما الوحي فكتاب الله ثم سنة رسوله، ثم سيرة خير قرون هذه الأمة تشهد بأن الله ورسوله بين وهدى وشفى، وأنه بلغ البلاغ المبين، وبين باللسان العربي المبين، وأنه لم يحل الخلق على غيره في هذا الباب، ولا وكلهم إلى القياس الذي لا يجدي كما تقدم، بل تولى بيان ما تحتاج إليه الأمة. وهذه جملة سيأتي – إن شاء الله– تفصيلها.

---

(١) بعده كتب في الأصل: "بياض".." (١)

"به أهل الحديث كله باطلا، وتيقن الحق مع أهل الحديث ظاهرا وباطنا". والمخالفة لا تكون إلا بما يخالف قولهم ويناقضه، فنصير مدعين أن قول المتكلمين الذي يناقض قول أهل الحديث قول باطل، كما لو قلنا: إن قول المتكلمين الذي يخالف الكتاب أو السنة أو الإجماع أو المعقول قول باطل. وهذا ليس بدليل حتى يكون القول بموجبه سؤالا جاء في دلالته، وإنما هي دعوى، فإما أن نوافق عليها أو نخالف، فإن خولفنا فالسؤال على الدليل الآتي، وإن ووفقنا فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

يبقى أن يقال: فهل للمتكلمين قول يخالف قول أهل الحديث، بحيث يكون الكلام في وجوده؟ أم هو كلام على هذه الحقيقة مع قطع النظر على وجودها وعدمها؟ ولا شك أن مرادنا هو القسم الأول، وإن كان تفسير اللفظ بالثاني ممكنا، بأن نقول: إن كان للمتكلمين قول مخالف لأهل الحديث فهو باطل،

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٥٩/٥

وإلا فلا نص.

ومثل هذا السؤال إذا قيل: كل قول للفلاسفة يخالف الأنبياء فهو باطل، فإن المتفلسف المتأول يزعم أن الفلاسفة موافقون الأنبياء لا مخالفون، وإنما يعتقد مخالفتهم لهم عوام أهل الملل ومتكلمو أهل الجدل، فإذا قال: أنا قائل بموجب قولكم لم يكن هذا سؤالا، لكن إن فهم من المتكلم دعوى وجود المخالفة فله أن يطالب بتعيينها.

ومع هذه المناقشة فتسمية مثل هذا الكلام قولا بالموجب لا تأباه اللغة **العربية**، بل تساعد عليه، وقد يستعمله الناس في مناظراتهم، فإن السائل يقول: ما أوجبته بدعواك من بطلان أحد القولين المتناقضين." (١)

"المتكلمون للكتاب والسنة فهو باطل، فيقال: لا نسلم أن معتبريهم خالفوا الكتاب والسنة؛ أو يقال: ما خالف فيه بنو آدم للأنبياء فهو ضلال، فيقال: لا نسلم أن معتبري الآدميين خالفوا الأنبياء؛ أو يقال: كفار مكة من قريش **والعرب** في النار، فيقال: لا نسلم أن المعتبرين من أهل مكة أو قريش **والعرب** كفروا.

وأيضا فقولكم -أحسن الله إليكم-: "لا أسلم أن المعتبرين من المحدثين منعوا تأويل المعتبرين من المتكلمين"، أما الذين تعنون بالمعتبرين من المتكلمين لا يخلو: إما أن تريدوا بالمعتبرين ناسا معينين أو موصوفين، فإن أردتم ناسا معينين فاذكروا من شئتم من جميع أعيان المتكلمين، حتى أذكر لكم أن أقواما من أعيان المتكلمين ردوا عليه تلك التأويلات وأبطلوها، فضلا عن أهل الحديث. بل سموا من شئتم، حتى أبين أنه نفسه يرد بنفسه على نفسه، وأنه يتأول التأويل في كتاب، ثم يمنعه أو يبطله في كتاب آخر، وربما فعل ذلك في المصنف الواحد.

وإن أردتم بالمعتبرين موصوفين، مثل أن يقال: المعتبر من له بصر ثاقب وعلم بما يجوز ويجب ويمتنع على الله وما يسوغ في لسان **العرب**، حتى يتأول بعقله وعلمه ومعرفته بالمعقولات والمسموعات تأويلا سائغا= فهذا أوسع عليكم من الأول، فإن المتكلمين أنواع مختلفة، وكل منهم يرد على الآخر تأويلاته ويبطلها ويحرمها عليه، بل كثير منهم يكفر الآخر ببعض تلك التأويلات، حتى إن التلميذ منهم يكفر أستاذه.." (٢)

"بسم الله الرحمن الرحيم

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين وهداة المسلمين -رضي الله عنهم أجمعين- فيمن عاب أقوالا نقلها

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٥/٦٦

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٥/٧٢

جماعة من أكابر الأئمة وأعيان سادات هذه الأمة:

أولها: ما أورده الشيخ أبو الحسين القدوري الحنفي في كتابه الكبير في الفقه المسمى بشرح الكرخي (١) في باب الكراهية، وصورة اللفظ: "قال بشر بن الوليد: حدثنا أبو يوسف، قال: قال أبو حنيفة -رضي الله عنه-: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول: بمعاقد العز من عرشك أو بحق خلقك. وهو قول أبي يوسف.

قال أبو يوسف: "بمعقد العز من عرشك" هو الله، فلا أكره هذا. وأكره أن يقول: بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت والمشعر الحرام.

قال القدوري: المسألة بخلقه لا تجوز، لأنه لا حق للخلق على الخالق، فلا يجوز.

---

(١) شرح مختصر الكرخي من أمهات الكتب في الفقه الحنفي، توجد نسخه الخطية في مكتبات تركيا والهند. انظر "تاريخ التراث العربي" (١:٣/١٠٢) .

والمسألة مذكورة في "نتائج الأفكار شرح الهداية" لقاضي زاده أفندي (١٠/ ٦٤) و"الفتاوى الهندية" (٣١٨/٥) وحاشية ابن عابدين (٣٩٥/٦-٣٩٧) .." [١]

"(قال في فتيا له تسمى "بالأزهرية":)

ومن قال: إن القرآن عبارة عن كلام الله تعالى، وقع في محذورات:

أحدها: قولهم "إن هذا ليس هو كلام الله"، فإن نفي هذا الإطلاق خلاف ما علم بالاضطرار من دين الإسلام، وخلاف ما دل عليه الشرع والعقل.

والثاني: قولهم "عبارة" إن أرادوا أن هذا الثاني هو الذي عبر عن كلام الله تعالى القائم بنفسه، لزم أن يكون كل تال معبرا عما في نفس الله تعالى. والمعبر عن غيره هو المنشيء للعبارة، فيكون كل قاريء هو المنشيء لعبارة القرآن. وهذا معلوم الفساد بالضرورة.

وإن أرادوا أن القرآن العربي عبارة عن معانيه، فهذا حق، إذ كل كلام فلفظه عبارة عن معناه، لكن هذا لا يمنع أن يكون الكلام متناولا للفظ والمعنى.

الثالث: أن الكلام قد قيل: إنه حقيقة في اللفظ مجاز في المعنى، وقيل: حقيقة في المعنى مجاز في اللفظ، وقيل: بل حقيقة في كل منهما. والصواب الذي عليه السلف والأئمة أنه حقيقة في مجموعهما.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٩٧/٥

كما أن الإنسان قيل: هو حقيقة في البدن فقط، وقيل: بل في الروح فقط. والصواب أنه حقيقة في المجموع. فالنزاع في الناطق كالنزاع في منطقه.." (١)

"ثم إذا عرف مذهبهم بقي خطؤهم في أصول:

منها: زعمهم أن معاني القرآن معنى واحد هو الأمر والنهي والخبر، وأن معنى التوراة والإنجيل والقرآن معنى واحد، ومعنى آية الكرسي معنى آية الدين. وفساد هذا معلوم بالضرورة.

ومنها: زعمهم أن القرآن **العربي** لم يتكلم الله به.

(وأطال في ذلك وبرهن عليه بما يطول هنا ذكره، وقال بعد ذلك:)

وأول من قال هذا في الإسلام عبد الله بن سعيد بن كلاب، وجعل القرآن المنزل حكاية عن ذلك المعنى. فلما جاء الأشعري واتبع ابن كلاب في أكثر مقالته ناقشه على قوله: "إن هذا حكاية عن ذلك"، وقال: الحكاية تماثل المحكي. فهذا اللفظ يصح من المعتزلة، لأن ذلك المخلوق حروف وأصوات عندهم وحكاية مثله، وأما على أصل ابن كلاب فلا يصح أن يكون حكاية. بل نقول: "إنه عبارة عن المعنى".

فأول من قال بالعبارة الأشعري. وكان البلاقلاني -فيما ذكر عنه- إذا درس مسألة القرآن يقول: هذا قول الأشعري ولم يتبين صحته، أو كلاما هذا معناه.

وكان الشيخ أبو حامد الإسفراييني يقول: مذهب الشافعي وسائر الأئمة في القرآن خلاف قول الأشعري، وقولهم هو قول الإمام أحمد (١) .

---

(١) انظر "مجموع الفتاوى" (١٢/١٦٠-١٦١) .." (٢)

"الذي يماس هذا الجانب فقد التقى الجوهران، وإن كان غيره فقد ثبت الانقسام.

وأيضا فنحن نشاهد الهواء يستحيل ماء إذا وضع في الزجاج، ونحوه ثلج صار عليه ماء يقطر، ومعلوم أن الثلج لم يثقب الزجاج، بل الهواء الذي أحاط به برد فاستحال ماء، كما يحيل الله سحابا وماء. هذا مشهود، يكون الإنسان على حيد، فيرى البخار قد صعد من البحار فانعقد سحابا، وينظر تحته وهو أعلى منه في الشمس على رأس الجبل. وكذلك الهواء يستحيل نارا، فإذا قرب ذبالة المصباح إلى النار أوقد، مع أنه لم يخرج من تلك النار شيء، ولكن الهواء المحيط بالذبالة استحال نارا لما سخن سخونة شديدة. فالهواء

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٢٥/٥

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٢٧/٥

يبرد فيستحيل ماء، ويسخن فيستحيل نارا.

وكذلك ما يقدح النار، قال تعالى: (فالموريات قدحا (٢)) (١) ، وقال: (أفرأيتم النار التي تورون (٧١)) (٢) الآيات، وقال تعالى: (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون (٨٠)) (3) .

والعرب يقولون: "في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار" (٤) ، يأخذون عودين أخضرين يحكون أحدهما بالآخر حتى يسخن، فإن الحركة

---

(١) سورة العاديات: ٢.

(٢) سورة الواقعة: ٧١.

(٣) سورة يس: ٨٠.

(٤) انظر أمثال أبي عبيد (ص ١٣٦) و"جمهرة الأمثال" (١/١٧٣) و"فصل المقال" (ص ١٧١) وغيرها من كتب الأمثال.." (١)

"بالحق من مادة.

فاسمه سبحانه "القيوم" يقتضي الدوام والثبات والقوة، ويقتضي الاعتدال والاستقامة، وقد وصف نفسه بأنه قائم بالقسط (١) ، وأنه على صراط مستقيم (٢) . ومنه قوله: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم (٤)) (٣) ، ومنه قامة الإنسان وهو اعتداله، ومنه قيام الإنسان، فإنه يتضمن الاعتدال مع كمال وطمأنينة، ومنه قول الشاعر (٤) :

أقيمي أم زنباع أقيمي ... صدور العيس شطر بني تميم

فإنه أراد: وجهي صدور العيس نحو بني تميم. والعيس هي الإبل التي تركب ويحمل عليها، ويقال: الإبل العيس، جمع عيساء.

---

(١) كما في سورة آل عمران: ١٨.

(٢) كما في سورة هود: ٥٦.

(٣) سورة التين: ٤.

(٤) البيت لأبي جندب الهذلي مطلع قصيدة له في "شرح أشعار الهذليين" (١/ ٣٦٣) . قال الأصمعي:

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٧٢/٥

وتروى لأبي ذؤيب. وفي "لسان العرب" (شطر) لأبي زنباع الجذامي. والرواية فيهما: أقول لأم زنباع ...." (١)

"لا من واجباتها.

وكذلك قال أبو الحسن الأخفش (١) : الحنيف المسلم، وقال غيره: إذا ذكر مع الحنيف المسلم فهو الحاج. قال أبو الحسن الأخفش: وكانوا في الجاهلية يقولون لمن اختتن وحج حنيفا، لأن العرب لم تتمسك بشيء من دين إبراهيم غير الختان والحج، فلما جاء الإسلام عادت الحنيفية. وقال الأصمعي: من عدل عن دين اليهود والنصارى فهو حنيف عند العرب.

قلت: ولهذا يوجد في كتب بعض أهل الكتاب من النصارى وغيرهم وفي كلامهم معاداة الحنيف، وهم هؤلاء العرب الذين كانوا يحجون ويختتنون وهم مشركون، فإن النصارى لا يحجون ولا يختتنون ولا يتعبدون بالختان، بل أكثرهم ينهى عنه، وفيهم من يختتن.

وفي كلام طائفة ممن ينقل المقالات والأديان المقابلة بين الصابئين والحنفاء، وهذا يتناول الحنيفية المحضة ملة إبراهيم ومن اتبعه من الأنبياء وأممهم، فإنهم كانوا يعبدون الله وحده، بخلاف الصابئين المشركين.

والصابئ‍ون نوعان: صابئون حنفاء، وهم الذين أثنى عليهم القرآن، وصابئون مشركون. وأما المجوس وسائر أنواع المشركين فليسوا حنفاء.

---

(١) انظر "لسان العرب" (حنف) .." (٢)

"هي ما كل واحد منهم عليه، يزاد فيه وينقص منه لطول الزمان الذي أتى عليه، وكل واحد منهم ترجم في كتابه في زمانه لقومه وأتباعه على لسانهم.

قال: وأما ماني فإنه ادعى أنه من تلاميذ المسيح المستقيم الجاري على منهاج إبراهيم، وأن غيره من النصارى قد زاغوا عن طريقه، وأن الإنجيل المنزل على عيسى هو الذي عنده، وادعى أنه حين ارتقى إلى السماء أرقي إلى عيسى، وأنه بأمره عمل ما عمل وأسس ما أسس، فبريح المسيح تروح له ما تروح، وتبعه من تبعه، لا برأيه.

قلت: والمشركون أعداء إبراهيم الذين يبغضونه ويحبون عدوه النمرود موجودون إلى اليوم من مشركي الترك

---

(١) جامع المسائل ل ا بن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٧٦/٥

(٢) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ١٨٤/٥

والصين ونحوهم، يصورون الأصنام على صورة النمرود كبارا وصغارا، وفيها ما هو كبير جدا، ويعبدون تلك الأصنام ويسبحون باسم النمرود، ومعهم مسابح يسبحون بها: سبحان النمرود! سبحان النمرود!

وإبراهيم صلوات الله وسلامه عليه هو الذي جعله إماما لمن بعده من الناس، فلا يوجد قط مؤمن ولا منافق يظهر الإيمان إلا وهو معظم لإبراهيم. وإن كان فيهم من يكذب بكثير مما كان عليه إبراهيم. وقد جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، فالأنبياء بعده من ذريته، فلا يوجد من يؤمن بالأنبياء إلا وهو مؤمن بإبراهيم، ولا من يدعو إلى عبادة الله في الجملة وينهى عن الشرك إلا وهو معظم لإبراهيم.

وإن كان فيهم من هو مكذب بكثير مما كان عليه إبراهيم، ومكذب ببعض الأنبياء والرسل= فإبراهيم بريء منه، ومن ذريته محسن وظالم لنفسه مبين، كما كان مشركو **العرب**، وكما يوجد عليه أهل الكتاب،." [(١)]

".... إلى ما خلقوا له من عبادته، كما قال تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (٥٦) ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون (٥٧)) (١) ، وقال تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) (٢) ، وقال تعالى: (إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥) وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (٤٦)) (٣) ، وقال تعالى: (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم (٥٢) صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور (٥٣)) (٤) .

وفرض على أهل الأرض: **عربهم** وعجمهم، وإنسهم وجنهم، ودانيهم وقاصيهم اتباعه وطاعته، كما قال تعالى: (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون (١٥٨)) (٥) ، وقال تعالى: (وما أرسلناك إلا كافة للناس) (٦) .

---

(١) سورة الذاريات: ٥٦-٥٧.

(٢) سورة يوسف: ١٠٨.

(٣) سورة الأحزاب: ٤٥-٤٦.

(٤) سورة الشورى: ٥٢-٥٣.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٨٧/٥

(٥) سورة الأعراف: ١٥٨.

(٦) سورة سبأ: ٢٨.." (١)

"مولها أو مجنونا أن نعالجه حتى يصير عاقلا، فهؤلاء يعمدون إلى الصبيان يربونهم على التوله تربية، ويعودونهم الخروج عن العقل والدين عادة كما يعود الأنبياء والصالحون أتباعهم ملازمة العقل والدين.

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - (١) : "مروهم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع".

قال العلماء: يجب على كافل الصبي أن يعلمه الطهارة والصلاة، ويمنعه اعتياد المحرمات.

وهؤلاء بخلاف ذلك، وعامة ما يبدونه من النار ونحوها مكر وحيلة من جنس حيل الرهبان، فإنهم يتوسلون بالطلق ودهن الضفادع وماء النارنج إلى أن يصفو ذلك، ثم يطلون به لحومهم وثيابهم، فتصبر على النار مدة طويلة من الزمان، وكذلك يصنعون من دم الأخوين ونبت يقال له: أم **عربيل** ما يظهرون به أن الدم يخرج من أحدهم وقت الوجد، وكذلك اللاذن ونحوه، وأضعاف ذلك، كفعل الرهبان على عوام النصارى حيلا أعظم من هذه.

وللصالحين كرامات معروفة من تسخير السباع والنار لهم وتكثير الطعام والشراب ودفع البلاء، ومن المكاشفات وأنواع الخوارق للعادات، في أبواب العلم وأبواب القدرة، لكن طريقة الصالحين

---

(١) أخرجه أحمد (٢/١٨٠، ١٨٧) وأبو داود (٤٩٥، ٤٩٦) عن عبد الله بن عمرو بن العاص. وإسناده حسن.." (٢)

"ابتدعوا الرهبانية فقد نهانا الله ورسوله عن البدع.

وثبت عنه في صحيح مسلم (١) وغيره عن جابر أنه كان يقول في خطبته: "إن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة".

وثبت عنه في السنن (٢) الحديث الذي صححه الترمذي عن **العرباض** بن سارية قال: وعظنا رسول الله

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٥/٢٠٩

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٥/٢٢٤

- صلى الله عليه وسلم - موعظة بليغة فقال رجل: يا رسول الله! كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: "أوصيكم بالسمع والطاعة فإن من يعش منكم سيرى بعدي اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة".

فكيف بما نهى الله عنه ورسوله من العبادات المبتدعة؟ كما أخرجا في الصحيحين (٣) -واللفظ لمسلم- عن أنس بن مالك أن نفرا من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - سألوا أزواج النبي عن عمله في السر؟

فقال بعضهم: لا أتزوج النساء. وقال بعضهم: لا آكل اللحم.

وقال بعضهم: لا أنام على فراش. فحمد الله وأثنى عليه فقال: "ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني".

---

(١) برقم (٨٦٧) .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٢٤، ٤٤) .

(٣) البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١) .." (١)

"ومنهم من اختار أنه لا يقدر على أن يفعل بهم غير ما فعل من الإعانة، وهؤلاء أكثر القدرية.

ولا بد من بيان الكلام في ذلك على أصول العربية التي نزل بها القرآن، فإن هذه اللام التي ينصب بها الفعل تسميها النحاة لام [كي] ، وهي في الحقيقة لام الجر، أضمر بعدها "أن" فانتصب الفعل، ولهذا تليها الأسماء المجردة، كما في قوله: (لجهنم) .

والمجرور بها تارة يكون سببا فاعليا، كما تقول: فعلت هذا لأني اشتهيته وأحببته. وقد يكون سببا غاليا، كما تقول: فعلت هذا ليرضي زيدا وليحسن إلي.

وأما المنصوب على المفعول له فلا يكون إلا لسبب الفاعل، كقوله: (ابتغاء مرضات الله) (١) ونحو ذلك، والفرق بينهما مذكور في غير هذا الموضع.

وأما الذين أجروا الآية على مقتضاها مع الإيمان بالسنة، وقالوا: المراد أن يعبد ويحمد ويشكر، فمنهم من

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٣٧٢/٥

يقول: قد وجد ذلك من بعضهم. ومنهم من يقول: مقصوده أمرهم بذلك، لا نفس وجود المأمور به. والتحقيق أن اللام هنا لام إرادة المحبة والرضا والأمر، لا لام الإرادة العامة الشاملة للكائنات. واللام في قوله: (ولذلك خلقهم) (٢) (ولقد ذرأنا لجهنم) (٣) لام الإرادة العامة الشاملة، فتلك الإرادة

---

(١) سورة البقرة: ٢٠٧.

(٢) سورة هود: ١١٩.

(٣) سورة الأعراف: ١٧٩.." (١)

"يؤخرون الصلاة عن وقتها، فصلوا الصلاة لوقتها، ثم اجعلوا صلاتكم معهم نافلة"، وهو الوقت الذي بينه لهم. والأمراء إنما كانوا يؤخرون الظهر إلى وقت العصر، أو العصر إلى آخر النهار. ودل هذا على أن من فعل هذا لم يقاتل، لأنهم سألوه عن الأمراء نقاتلهم؟ قال: "لا، ما صلوا"، وهذه كانت صلاتهم. ودل على أن هذه الصلاة صحيحة، وإن كان فاعلها آثما. بخلاف صلاة النهار بعد الغروب، فإن من قال: لا يصليها إلا بعد الغروب قد قوتل بلا ريب. وكذلك من قال: لا يصلي المغرب والعشاء إلا بعد طلوع الفجر فإنه يقاتل بلا ريب. وقد قال ابن مسعود وغيره في قوله تعالى: (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) (١) ، قالوا: إضاعتها تأخيرها عن وقتها، ولو تركوها لكانوا كفارا، وأرادوا بذلك تأخيرها إلى الوقت المشترك أو وقت الاضطرار، ولم يريدوا بذلك تأخير صلاة النهار إلى الليل ولا صلاة الليل إلى صلاة النهار، فإن الخلف الذين كان ابن مسعود يسميهم الخلف -كالوليد بن عقبة بن أبي معيط وغيره- لم يكونوا يؤخرون صلاة النهار إلى الليل، ولا صلاة الليل إلى النهار، بل كان التأخير كما تقدم، مع أن ابن مسعود كان يسميهم "خلف"، ويقول: "ما فعل خلفكم؟ "، فالخلف لم يكونوا يصلون بغير الفاتحة، ولا بغير التكبير، ولا يقرأون القرآن بغير **العربية**، بل كانوا يصلون في الوقت المطلق في كتاب الله في الطرف الثاني وقبل الغروب. ثم لما دل الشرع على وجوب الصلاة في الوقت المختص ذموا لأجل ترك هذا الواجب، مع

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٦/٦٠

(١) سورة مريم: ٥٩.." (١)

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٦/٣٤٧